

تفسير
بيان السجادة
في
مقامات العباد

تأليف
المعارف الشهير
الشيخ سلطان محمد الجبائي
المكتبة الإسلامية في مكة
طبعة سنة ١٣٢٠

مطبعة
مؤسسة الأمل للطباعة
بمكة - ٥٥٥٥
ص. ٧١٢٠

بيان السعادة

في

مقامات العبادة

تأليف

العارف الشهير

الحاج سلطان محمد الجنا بدي

الملقب بسلطان علي شاه

طاب ثراه

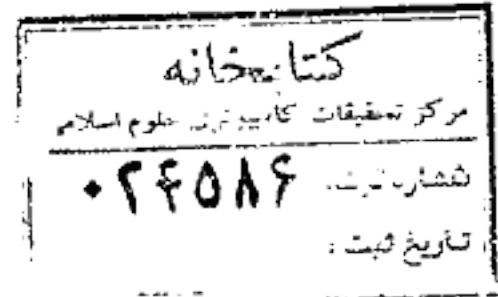
المجلد الثالث

منشورات

مؤسسة الأمل للطبوعات

بيروت - لبنان

ص.ب. ٧١٢٠



الطبعة الثانية
جميع الحقوق محفوظة ومسجلة للناس

١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م



مركز تحقيقات كاريبيز علوم اسلام

مؤسسة الاعالي للطبوعات:

بيروت - شارع المطار - قرب كلية الهندسة - ملك الاعالي - ص.ب. ٧١٢٠

الهاتف : ٨٣٣٤٥٣ - ٨٣٣٤٤٧

سُبْحَانَكَ يَا مَرْبُّ الْعَالَمِينَ

مَكِّيَّةٌ بِتَمَامِهَا ، وَهِيَ ثَمَانٍ وَتِسْعُونَ آيَةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[كَهَيْعَصَ] قد سبق في أول البقرة ما به غنية عن بيان امثال هذا، وذكر في خصوص هذا انه اشار بالكاف الى كربلاء، وبالهاء الى هلاكة اهل البيت، وبالياء الى يزيد، وبالعين الى عطشهم، وبالصاد الى صبرهم. ونسب الى امير المؤمنين (ع) انه قال في دعائه: اسألك يا كهيعص، وقرئ باخفاء نون عين والقياس اظهاره لان سكون الحروف المقطعة في اوائل السور عرضي تعرض الوقف بنية الوصل فلا ينبغي اجراء حكم السكون والوصل عليها [ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكْرِياً] قرئ ذكر مصدر أمر فوعاً، وفعللاً ما ضيأ من الثلاثي، وأمر آمن التفعيل، وعلى الأول كان خبراً لما قبله اول المحذوف او مبتدأ لمحذوف، او مبتدأ خبره زكرياً، او خبره اذ نادى، ورحمة ربك، فاعل المصدر مضاف اليه او مفعوله، والفاعل محذوف اي ذكر ربك رحمة ربك عبده، او الفاعل زكرياً او رحمة ربك، مضاف اليه لادنى ملايسة والفاعل مثل سابقه والمعنى ذكر ربك برحمته عبده، وعبده مفعول التذكر او الرحمة وزكرياً بدل منه او عطف بيان او فاعل التذكر او مفعوله او خبر منه، وكون زكرياً خبراً للتذكر باعتبار ان الكامل وجوده ذكر للرب، وزكرياً بالمد والقصر وتشديد الياء، وكذا بتشديد الياء وتخفيفه بدون المد والقصر اسم [إِذْ نَادَى رَبَّهُ] اذ ظرف للتذكر او للرحمة او مفعول للتذكر او خبر له او بدل من الرحمة او من عبده او من زكرياً نحو بدل الاشتمال [نِدَاءٌ خَفِيًّا] لضعف الشيوخوخة اولانه كان اقرب الى الاخلاص او لخوف اطلاع الموالي على طلبه للولد ومعاندتهم له بذلك او لخوف اطلاع الخلق على طلبه للولد وقت اليأس عن الولد وملاصقتهم له على ذلك [قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي] اظهار لعجزه ومسكته مقدمة للدعاء، او اظهار ليأسه عن الولد واتكاله في دعائه على محض فضله من دون مدخلية الاسباب الطبيعية [وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ] في الارث الصوري من التضييع والتزاع والخلاف، او في الارث المعنوي من الاختلاف وتضييع العباد وهذا اشعار بان دعاءه خال من مداخلة الهوى مقدمة للاجابة، وقرئ خفت بضم التاء من الخوف وخفت الموالي بكسر التاء وتشديد الفاء من الخفة يعني خفت الموالي [مِنْ وَرَائِي] ولم يكن لهم حلم يمكنهم به تحمل متاعب

الهداية من العباد [وَكَاْنَتْ أَمْرًا تِي عَاقِرًا] اظهار لآسسه من الاسباب واتكاله فى دعائه على فضله ، والعاقريستوى فيه المذكر والمؤنث [فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ] لامن الاسباب لآسى من الاسباب [وَلِيًّا] بلى امورى بحسب الظاهر والباطن [يَرِثْنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ] قرئ بالرفع والجزم: وقرئ وارث آل يعقوب بنصب وارث واضافته على ان يكون حالاً من احد الضميرين ، وقرئ او يرث آل يعقوب على التصغير ، ووارث من آل يعقوب بالرفع على ان يكون فاعل يرثنى [وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا] مرضياً [يَا زَكَرِيَّا] جواب سؤال مقدر بتقدير القول كأنه قيل : ما قال فى جوابه ؟- فقال : قال الله : يا زكريا [إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ] ولي ذكر [اسْمُهُ يَحْيَى] الجملة صفة للغلام اوجواب سؤال مقدر [لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا] هذه صفة بعد صفة احوال اوجواب لسؤال مقدر والمراد بالسَمِي المشاركة فى الاسم ، او المماثل فى الوصف والحال [قَالَ] قد تكرر فيما سلف ان امثال هذه جواب لسؤال مقدر كأنه قيل : فما قال زكريا (ع) ؟- فقال : قال [رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ] استفهام للتعجب ، واستغرابه كان من قبل الاسباب لامن عطاء مسبب الاسباب ولذلك ذكر عدم المساعدة من جهة الاسباب [وَكَاْنَتْ أَمْرًا تِي عَاقِرًا] وَقَدْ بَلَغْتَ مِنَ الْكِبَرِ عَتِيًّا] قرئ عتياً بضم العين وكسر ها وهو مصدر بمعنى الكبر او بمعنى يبس الجلد وجفافه ونحول العظم والمفاصل ، وقرئ عتياً بالتسعين بمعناه [قَالَ] جواب لسؤال مقدر كأنه استبعد من مقام الانبياء (ع) مثل هذا الاستغراب فقيل : اقال زكريا ذلك ؟- فقال : قال [كَذَلِكَ] اوقال الله او الملك الم بشر الامر كذلك او كذلك مفعول لقوله [قَالَ رَبُّكَ] وقوله [هُوَ عَلَى هَيْنٍ] بيان لكذلك والمجموع مفعول قال الاول ، وقرئ وهو على هين بواو العطف والمعنى انى لا حاجة لى الى الاسباب حتى تستغربه بالنظر الى الاسباب [وَقَدْ خَلَقْتُكَ] قرئ خلقتك [مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا] وايجاد المعدوم اضعب من جعل العاقرو لوداً ، عن ابى جعفر (ع) : انما ولد يحيى بعد البشارة من الله بخمس سنين [قَالَ] زكريا (ع) [رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً] علامة اعرف بها الميعاد ووقت الانجاز لاصدق الوعد فاته بعيد عن مقام الانبياء (ع) [قَالَ أَيُّتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ] اى لا تقدر على التكلم مع الخلق دون المناجاة مع الله [ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا] حال كونك سليماً غير ذى علة بلسانك والمراد ثلاث ليال ياباً ما فاته يستعمل اليوم او الليل ويراد به دورة الفلك الاطلس بليها ويومها ولذلك قال فى سورة آل عمران : ثلاثة ايام الارمزاً نقل انه اعتقل لسانه عن التكلم مع الناس ولم يعتقل عن ذكر الله [فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ] من مصلاه ، سمي المصلى محراباً لكونه محل محاربة الشيطان ، قيل : وكان زكريا (ع) قد اخبر قومه بما بشر به فلما خرج عليهم وامتنع من كلامهم علموا اجابة دعائه ففسروا به [فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ] اومى اليهم ، وقيل : كتب فى الارض [أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا] صلوا فى الصباح والمساء ، اوسبحوا لله فيهما ، اوفى جملة اوقاتكم فانه يستعمل هذان اللقظان فى استغراق الاوقات [يَا يَحْيَى] هو بتقدير فاعطيناه الغلام وقوتناه وآتيناه الكتاب وقلنا يا يحيى [خُذِ الْكِتَابَ] اى النبوة او الرسالة او كتاب التوراة [بِقُوَّةٍ] وعزيمة من قلبك وهو اشارة الى التمكن فى مقام النبوة فان التلوين لا يليق بصاحب النبوة [وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ] اى الرسالة والقدرة على المحاكمة بين الخصوم ، او النبوة والحكم بين المخاصمين فى وجوده من قواه وجنوده ، او الولاية وآثارها التى هى الدقة فى العلم والعمل [صَبِيًّا وَحَنَانًا] الحنان

كالتسحاب الرحمة والرزق والبركة والهيبة والوقار ورقة القلب وهو عطف على الحكم بمعنى اعطيناه رحمة من لدنا اوبركة (الى آخر معانيه) فصار مرحوماً او ذا بركة (الى آخرها) او بمعنى اعطيناه رحمة فصار راحماً وبركة على الغير، او هو بمعنى اسم الفاعل او المفعول وعطف على صيماً والمعنى آتيناه الحكم حال كونه راحماً او مرحوماً [مِنْ لَدُنَّا] وحينئذ يجوز ان يكون من لدنا متعلقاً بآتيناه الحكم من لدنا حال كونه صيماً وراحماً او مرحوماً [وَزَكُوًا] هي في الاعراب مثل حناناً والزكوة صفوة الشيء او صدقة تخرجها من مالك لتطهر الباقي او نماء المال [وَكُنْ تَقِيًّا] وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا [متكبراً متطاولاً بالنسبة الى الخلق] [عَصِيًّا] بالنسبة الى الحق [وَسَلَامٌ عَلَيْهِ] اي تحية مناعليه، او سلامة وامن من الآفات البدنية والنفسانية عليه [يَوْمَ وَلَدَتْهُ يَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا] ولما كان الاوقات الثلاثة اول الخروج والدخول في عالم آخر وهو وقت الانقطاع من المألوف والاتصال بغير المألوف وكلاهما موحش للانسان خصصها بالذكر [وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ] تحت [مِنْ أَهْلِهَا] واستعمال الانتباذ للاشارة الى انها ذهبت الى تلك الناحية بحيث كأنها نبذها نابذ فانتبذت من اهلها [مَكَانًا شَرْقِيًّا] قيل ذهبت وانزلت من اهلها في دار زكريا الى مشرق الدار للخلوة للعبادة او للاغتسال، او الى مشرق البلد خارج البلد للاغتسال، او الى مكان يشرق عليه الشمس لانها خرجت في يوم شديد البرد فجلست للاستدفاء بالشمس، او الى الفرات الى النخلة اليابسة للغسل قبل الحمل، او للطلق بعد الحمل ويكون قوله [فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا] من قبيل عطف التفصيل على الاجمال ولا يكون الفاء للترتيب المعنوي، واتخاذ الحجاب كان في المحراب اوفى المغسل اوفى محل شروق الشمس [فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا] يعني جبرئيل (ع) والروح الذي هو فوق جبرئيل، والتشريف بالاضافة يقتضي ان يكون هذا هو المراد، على ان التوجه الى البشر وتربية آدم اتما هو من الروح الذي هو رب النوع الانساني وهو اعظم من الملائكة كلهم [فَتَمَثَّلَ] اي تصور بصورة [لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا] قيل تمثّل في صورة شاب سوى الخلقة [قَالَتْ] بحسب اعتيادها التعوذ بالله عند كل مخوف [إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِن كُنْتُ تَقِيًّا] متقياً معنياً باستعاذتي خائفاً من الله، وقيل: انه كان رجلاً مسمى بالتقي وكان مشهوراً بالفجور فظننت انه هو حيث رآته لا يتقى من النظر الى الاجنبية، وقيل: ان نافية والمعنى ما كنت متقياً من الشر لا منك نظرت الى ما لا يجوز لك النظر اليه [قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ] فلا تستعدي مني به [لِأَهَبَ] قرئ بالتكلم والغيبة [لَكَ غُلَامًا زَكِيًّا] طاهراً من الذنوب وممّا يتلوّث به البشر وانامياً او مباركاً او متنعماً او صالحاً [قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ] استفهام للتعجب والتحير من غلام من غير اسباب التوالد مورث للتوم والانتهام [وَلَمْ يَمَسَّ مِنِّي بَشَرٌ] يعني بطريق النكاح المشروع فانه يكتى به عنه كثيراً وبقرينة قولها [وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا] البغي والغواية الفاجرة وكل فاجر [قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ] قد مضى نظيره [وَلِنَجْعَلَهُ] عطف على مقدراو متعلق بمعطوف مقدراي نفعل ذلك لنجعله [آيَةً] دالة على آلهتنا وعلى سعة علمنا وقدرة تعالى ما لا يقدر عليه احد من الابلاد من غير والد ومن احياء الموتى وابرار الاكمه والابرص ونفخ الروح في الطين وجعله حياً [لِلنَّاسِ] وَرَحْمَةً مِنَّا] عليهم [وَكُنْ أَمْرًا مُّقْصِيًّا] محتوماً [فَحَمَلَتْهُ] بان نفخت في جيب مدرعتها، واختلف في مدة حملها فمافي الاخبار الصحيحة ان مدة حملها كانت تسع ساعات بحذاء تسعة اشهر، وفي بعضها: انها كانت ساعة،

وقيل : انها كانت ثمانية اشهر اوسبعة اوسنة اشهر . وعن الباقر (ع) انه تناول جيب مدرعتها فنفتح فيه نفخة فكمّل الولد في الرحم من ساعته كما يكمل في ارحام النساء تسعة اشهر فخرجت من المسحّم وهي حامل مجتّ (١) متقل فنظرت اليها خالتها فانكرتها ومضت مريم (ع) على وجهها مستحبة من خالتها ومن زكريّا (ع) [فَانْتَبَذَتْ بِهِ] فانزلت مع الحمل [مَكَانًا قَصِيًّا] بعيداً ، عن السجّاد (ع) خرجت من دمشق حتى اتت كربلاء فوضعت في موضع قبر الحسين (ع) ثم رجعت في ليلتها ، اقول : موضع مريم (ع) معروف في سمت الرأس من مشهده (ع) [فَاجَاءَهَا الْمَخَاضُ] اي حركة الولد للطلق مخضت المرأة كمنع وسمع وعنى مخاضاً بفتح الميم ومخاضاً بكسرهما ومخضت تمخيضاً وتمخضت اخذها الطلق [إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ] اليابسة التي ألهمت ان تأنيها ، والجذع ما بين العرق والفصن [قَالَتْ] بعدما ولدت عيسى (ع) ونظرت اليه [يَا لَيْتَنِي مِتُّ] قرئ بكسر الميم وضمّها [قَبْلَ هَذَا] قالت ذلك استحياء ومخافة لومهم [وَكُنْتُ نَسِيًّا] قرئ بكسر النون وهو اجد اللغتين ويفتحها وهو في الاصل مصدر يستعمل في الشيء الحقير الذي من شأنه ان ينسى وفيما يلقي من الشيء ولا يعنى به [مَنْسِيًّا] التوصيف به للمبالغة [فَنَادِيَهَا مِنْ تَحْتِهَا] قرئ بكسر الميم وفتحها والمنادى كان عيسى (ع) او جبرئيل (ع) [أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا] شرباً [وَهَزَى إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ] هزه وبه حرّكه [تُسَاقِطُ] قرئ بضم التاء الفوقانية وتخفيف السين وكسر القاف ، وقرئ بساقط بفتح الياء التحتانية وتشديد السين ويفتحها وتخفيف السين ويفتح التاء الفوقانية وتشديد السين [عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا فَكُلِي] واشربى [من الرطب والماء ، او كلي مما يتغذى به واشربى مما يشرب في هذا المكان او مطلقاً] [وَقَرَّرِي عَيْنًا] بهذا الولد فانه لا ينبغي ان تحزنى بسببه ولا تكثرنى بما توهمت من لوم الجهال [فَإِمَّا تَرِينِ] اي فان ترى [مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا] فسالك عن ولدك [فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا] اي سكوتاً ولكونه بمعنى السكوت فرع عدم التكلم عليه ، قيل : كان في بني اسرائيل انه من اراد ان يجتهد في العبادة صام عن الكلام كما يصوم عن الطعام ، ولذلك استعمل الصوم في عدم التكلم [فَلَنْ أَكَلَّمَ الْيَوْمَ نَسِيًّا] قيل : صارت مأذونة لهذا القدر من الكلام ، وقيل : كانت تفهم بالاشارة انها صائمة ولا تتكلم ، قيل : لفته في خرقه [فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِيْلُهُ قَالُوا] بعد ما رآوها حاملة لمولود ولم يكن لها زوج [يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا] الفري الامر المختلق المصنوع او العظيم [يَا أُخْتُ هَارُونَ] قيل : كان هارون امرء صالحاً فنسبوا اليه استهزاء او لصلاحها وعبادتها ، وقيل : ان هارون كان اخاها لايها ، وقيل : ان هارون كان معروفاً بالفسوق فنسبوا اليه [مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ] حتى اكتسبت هذا الفعل منه [وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا] بغت المرأة فجرت فهي بغى وبغوا [فَإِشَارَتْ إِلَيْهِ] ان كلموه واسألوه [قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ] يعني شأنه ان يكون في المهد [صَسِيًّا] قيل : غضبوا من ذلك وقالوا : سخريتها بنا أشد علينا من زناها [قَالَ] عيسى (ع) [إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ] اقر لنفسه بالعبودية او لا لثلاثا يتنزهتموا ما توهموه لكونه بلا اب وتكلمه حين الولادة من انه ابن الله او انه هو الله ، او انه ثالث ثلاثة [إِنِّي الْكِتَابُ] اتى بالماضى لتحقق وقوعه ، اولتحقق استعدادده ، والمراد بالكتاب الانجيل او كتاب النبوة [وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا] كثير الخير نفاعاً او نافعاً في الخير

[أَيْنَمَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا وَبَرًّا بِوَالِدَتِي] قرئ برأ بفتح الباء وصفاً بمعنى كثير البر وحيث يكون عطفاً على مباركاً ويلزم منه الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه ، او عطفاً على اوصاني بتقدير جعلني ، وقرئ برأ بكسر الباء مصدراً فيكون عطفاً على الصلوة [وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا] منجبراً متكبراً [شَقِيًّا وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا] تغيير السلام مع قوله تعالى سلاماً عليه بالتعريف والتشكيك ونسبة الأول الى الله والثاني الى عيسى (ع) نفسه يعلم وجهه من تفاوت مقام عيسى (ع) ويحيى (ع) [ذَلِكَ] المذكور ممن اقر الله بالعبودية [عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ] لامن قالوا بالهتة او بينوته لله [قَوْلَ الْحَقِّ] قرئ بالرفع على ان يكون بدلاً من عيسى (ع) او خبراً بعد خبر ، او خبراً لمبتدأ محذوف اي هذا الكلام قول الحق ، او هو يعني عيسى (ع) قول الحق ، وقرئ قول الحق بالتصبيح فيكون مفعولاً مطلقاً مؤكداً لغيره ، والاضافة بيانية اي اقول قولاً هو الحق او بتقدير التلام اي هو قول الله [الَّذِي فِيهِ يَمْشُرُونَ] اي يشكون او يجادلون وينازعون بان يقول اليهود هو لغير رشده او ساحر ويقول النصارى هو ابن الله ، او هو الله ، او هو واحد من الثلاثة [مَا كَانَ لِلَّهِ] اي ماصح وما يمكن لله فان هذه الكلمة تستعمل ويراد بها نفى الامكان [أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ] كما يقوله بعض النصارى [سُبْحَانَهُ] اي نزهة نزهته من المجانسة مع الولد والاحتياج الى الصاحبة [إِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ] فليس كون عيسى (ع) بلا باب سبباً للقول بانه ولد لله [وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي] قرئ بفتح الهمزة بتقدير التلام متعلقاً بقوله فاعبدوه والفاء زائدة ، او بتقدير اما ابوتو همتها ، او يكون ان وما بعدها عطفاً على الصلوة ، وقرئ بكسر الهمزة معطوفاً على اني عبد الله ، او ابتداء كلام من الله بتقدير قل خطاباً لمحمد (ص) يعني قل يا محمد (ص) ان الله ربّي [وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا] المذكور من الجمع بين اعتقاد ربوبية الله والعبادة له الذي هو كمال القوتين العلامة والعمالة ، او من العبادة والخروج من الانانية والاستقلال بالرأي والدخول تحت الامرالاهي [صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ] الى الله وقد مضت الآية في سورة آل عمران [فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ] الاحزاب جمع الحزب والحزب كل جماعة متقطعة عن غيرهم برأي او صنعة ، ولفظه من اما ابتدائية والظرف حال من الاحزاب او زائدة ، وبينهم ظرف للاختلاف واختلافهم كان في ان قال بعضهم : انه هو الله ، وبعضهم : هو ابن الله ، وبعضهم : هو واحد من الثلاثة ، وبعضهم : هو وامة آلهان [قَوْلِيلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا] باعتقاد الخلاف في المسيح (ع) [مِنْ مَّشْهَدٍ يَوْمٍ عَظِيمٍ] والمشهد اما مصدر ميمي او اسم مكان [أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ] هو صيغة التعجب [يَوْمَ يَأْتُونَنَا] لان الابصار نصير في ذلك اليوم حديدة [لَكِنَّ الظَّالِمُونَ] وضع الظاهر موضع المضمر اشعاراً بعلّة الحكم ونفضيحاً لهم بذكر وصف ذم لهم يعني انهم ظالمون والظالمون [الْيَوْمَ] يعني في الدنيا [فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ] يعني انهم صمّ بكم عمى عن الحق في الدنيا ، ولا ينفعهم حدة البصر في الآخرة ، ويجوز ان يكون المعنى ابصر الظالمين فيكون الباء للتعديّة دون الهمزة ويكون يوم يأتوننا مفعولاً به او ظرفاً ، ويكون معنى قوله لكن الظالمون اليوم لكن الظالمون يوم يأتوننا او يوم الدنيا في ضلال مبين ، ويجوز ان يكون المعنى ابصرهم بسبب الانبياء (ع) ويكون يوم يأتوننا مفعولاً ثانياً او ظرفاً وقوله لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين على المعنيين المذكورين [وَأَنْذِرْهُمْ] يا محمد (ص) [يَوْمَ الْحَسْرَةِ] اي حسرة الكفار على ما فرطوا في جنب الله او حسرة الكفار على التفريط والدّانين من المؤمنين على تقصيرهم

في العمل [إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ] بدل من يوم الحسرة والمعنى اذ قضى امر الخلائق وحسابهم فيدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار ويؤتى بالموت في صورة كبش فيوقف بين الجنة والنار بحيث يراه اهل الجنة واهل النار جميعاً ثم ينادون اشرفوا وانظروا الى الموت فيشرفون وينظرون ثم يذبح الموت ثم يقال يا اهل الجنة خلود فلا موت ابداً ، ويا اهل النار خلود فلا موت ابداً . اعلم ، ان الانسان من اول استقرار مادته في الرحم في الخلع واللبس ، وفي التترك والاخذ ، وفي البيع والشراء ، وفي الموت والحياة ، وفي النشر والحساب ، وهذه الحال مستمرة له الى انقضاء الحياة الدنيا وبعد انقضاء الحياة الدنيا ان كان من اهل البرزخ كان عليه هذه الحالة الى انقضاء البرزخ والوصول الى الاعراف ، وبعد الوصول الى الاعراف والحكم على اهل النار بدخول النار وعلى اهل الجنة بدخول الجنة يتم تلك الاحوال ويتقضى ذلك الاستبدال وينقطع الموت وهذا معنى قضاء الامر وذبح الموت [وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ] حال من جملة انذرهم [وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ إِنَّا تَنَحُّنُ تُرْثُ الْأَرْضَ] جواب لسؤال مقدّر ولذلك اكته استحساناً كأنه قيل : اذا قضى الامر من كان في الدنيا ومن كان مآلكاً فيها ؟ قال تعالى : إِنَّا نَرِثُ الْأَرْضَ يعني ينقضى الانانيات ولا يبقى حين قضاء الامر لاحد مالكية وانانية ، ويظهر ان الارض والانانيات التي تكون مصدراً للمالكية كانت كلها لله [وَمَنْ عَلَيْهَا] فان من عليها عبارة عن الانانيات التي يترأى انتها غير الله [وَالْيَنَابِرُ جَعُونَ] يعني ان الاملاك والملوك الذين هم عبارة عن الانانيات تخلف عنهم ونحن نرثها وذواتهم من دون املاكهم وانانياتهم ترجع اليها بالحشر الى مظاهر القهر او مظاهر اللطف [وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ] فان ذكر الاخيار وذكر احوالهم وسيرهم وسماعها واستماعها مؤثرة في النفوس وجاذبة لها الى جهة العلو ، كما ان ذكر الاشرار وذكر احوالهم وسيرهم زاجرة للنفوس الخيرة [إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا] تعليل لسابقه ، والصديق مبالغة في الصادق وهو الذي يصير صادقاً في اقواله وافعاله وعلومه وحواله ونياته واخلاقه بحيث يؤثر صدقه في مجاوره فيصير سبباً لصدقه ، وصدق المذكورات بان تكون مطابقة لما ينبغي ان يكون الانسان عليه ، ولازم هذا ان يصير صاحبه نبياً ولذلك قال صديقاً [نَبِيًّا] اعم من الرسول [إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ] اذ تعليل لسابقه واسم خالص بدل من ابراهيم (ع) بدل الاشتمال ، او ظرف لكان او لصديقاً او نبياً وقد سبق ذكر الاختلاف في كونه اباه او جده لأمه او عمه [يَا أَبَتِ] تلحق التاء بالاب مضافة الى الباء للاستعطاف او للتعطف ولذلك كرر لفظ يا ابت [لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ] استفهام انكاري والتعليق على الموصول للاشعار بعلّة الانكار [وَلَا يُبْصِرُ] فان غير السميع البصير لا يتأتى منه ما يطلب من المعبود [وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا] شيئاً قائم مقام المصدر اي لا يغني عنك اغناء ولا يقوم مقامك قياماً ما ، او هو مفعول به لا يغني اي لا يغني عن حركتك شيئاً من الجلب والدفع بان يجلب نفعاً او يدفع ضرراً بدون الاحتياج الى حركتك وتسيبك فيه [يَا أَبَتِ] تكرر النداء والمنادي للتعطف والاستعطاف كما ذكر سابقاً [إِنِّي قَدْ جِئْتُكَ مِنَ الْعِلْمِ] من العلم حال مقدم [مَا لَمْ يَأْتِكَ] واستعمال المجيء للإشارة الى ان علمه ليس كسبب تحصيلياً وانما هو من الله قال ذلك ليكون حجة على الامر باتباعه ولذلك قال [فَاتَّبَعْنِي] بقاء الجزاء [أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا] مستوى الطرفين او كناية عن المستقيم [يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ] لكون العذاب والرحمة الرحيمية صورتى الرحمة الرحمانية نسب العذاب الى الرحمن [فَتَكُونُ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا] موالياً او قريناً [قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ إِلَهِي يَا إِبْرَاهِيمَ] اتى بالفاظ غليظة في مقابلة استعطافه اشعاراً بغضبه

وتغيره عن ارشاده ثم هذبه فقال [لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ] عما انت عليه من ازدراء الآلهة والرغبة عنها او من ادعاء الارشاد والهداية [لَأَرْجُمَنَّكَ] بالنشتم والعيب، اولارجمنك بالحجارة، او هو كناية عن القتل فاحذرنى [وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا] برهة من الزمان او ساعة طويلة [قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ] قابل اساءته في اللفظ بالاحسان فيه وودعه بعد ما امره بالهجرة [سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي] قابل تهديده بالرجم بالاستغفار من الله وطلب التوفيق له [إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا] وَاَعْتَزِلْكُمْ وَمَاتَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ] حال مما تدعون وسر التقيد بذلك الاحتراز عن دعاء الخلفاء فانهم ليسوا من دون الله بل من الله ودعاؤهم ايضا من الله [وَأَدْعُوا رَبِّي] والدعاء ههنا كناية عن العبادة [عَسَىٰ أَلَا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا] خائبا ضائع السعي مثلكم في دعاء آلهتكم وصدر الحكم بعسى للتواضع وهضم النفس ولان الاجابة والاثابة بيد الله وليس الا محض التفضل وليس للعباد الا الرجاء فان الخاتمة غيب، ومعايب العمل مخفية، والثبات على حال العبادة الى آخر العمر غير معلوم [فَلَمَّا اعْتَزَلْتَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ] بالهجرة الباطنية عن مقام النفس التي هي كانت موافقة لهم او بالهجرة الى الشام [وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ] بدل من فارقه لم يذكر اسماعيل (ع) لتشريفه بذكره فيما بعد مستقلاً، اولان تشريف ابراهيم (ع) في انظارهم كان باسحاق ويعقوب (ع) لان انبياء (ع) بنى اسرائيل كانوا منهما [وَكُلًّا] منهما [جَعَلْنَا نَبِيًّا وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا] ما يمكن ان يوهب للانسان او من رحمتنا بنفسه مفعول لكون من التبعية اسماً او قائماً مقام المفعول الموصوف لقوة معنى البعضية فيه، او المفعول محذوف اي وهبنا لهم من رحمتنا محمداً (ص)، حذفه لظهوره في المقام اولادعاء ظهوره [وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا] لسان الصدق عبارة عن الثناء الجميل على لسان الخلق، والمراد بالعلی الثناء البالغ المرتفع، والمراد بالعلی بن ابي طالب (ع) فانه كان لسان صدق له في الآخرين لم يكن لسان صدق اشرف منه، والتعبير باللسان عن الثناء لكونه صادراً منه وجارياً عليه، نسب الى علي (ع) انه قال: لسان الصدق للمرء يجعله الله في الناس خيراً من المال يأكله ويورثه [وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا] قرى بكسر اللام وفتحها يعني انه اخلص عبادته عن الاشرار، واخلصه الله لعبادته وولنفسه [وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا] تكرر كان للاشارة الى ان كلاً شرف له بنفسه والمراد بالنبي الرفعة او النبوة وكان تأكيداً للرسل فان الرسول متضمن للنبوة ومستلزم للرفعة وقد سبق الفرق بين الرسول والنبي والامام والمحدث عند قوله واثمهما اكبر من فعهما من سورة البقرة، وذكر هناك معنى حديث ان الرسول يسمع الصوت ويرى في المنام ويعاين الملك في اليقظة، والنبي هو الذي يرى في المنام ويسمع الصوت ولا يعاين الملك، والمحدث هو الذي لا يرى ولا يعاين ويسمع الصوت [وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ] وصف للجانب فان المراد بحسب التأويل من الطور هو الصدر المنشرح بالاسلام، وجانبه الايمن هو الجهة التي تلى العقل والغيب [وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا] حال عن الفاعل او المفعول او كليهما فان النجى مصدر ووصف مطلق على المفرد والاكثر من المفرد [وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا] وهذا تشريف له [أَخَاهُ هَارُونَ] لمعاضدته وموازرتة ولاجابة دعوته من قوله واجعل لي وزيراً من اهلي هارون اخي [نَبِيًّا] حال كونه نبياً بالاستقلال او مشاركاً للنبي لا انه كان نبياً بالاستقلال وكان هارون اسن من موسى (ع)، ورد ان موسى (ع) عاش مائة وستة وعشرين سنة، وعاش هارون مائة وثلاثة وثلاثين سنة [وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ] بن ابراهيم (ع) [إِنَّهُ كَانَ

صَادِقَ الْوَعْدِ] لانه كما في الخبر وعد رجلاً وانتظره سنة لان الرجل نسي ، ونقل انه انتظره ثلاثة ايام وقيل : ان اسماعيل بن ابراهيم (ع) مات قبل ابراهيم (ع) وهذا اسماعيل بن حزقيل بعثه الله الى قومه فأخذوه فسلخوا فرقة رأسه ووجهه فأناه ملك فقال : ان الله جلّ جلاله بعثنى اليك فمرني بما شئت فقال : لي اسوة بالانبياء (ع) او بالحسين بن علي (ع) [وَكُنْ رَسُولًا نَبِيًّا وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ] قد مضى في اول البقرة تحقيق الصلوة والزكاة ولما كان الاهتمام بامر من كان تحت اليد امرأته بما به مرغوباً فيه مندوباً شرفه بهذه الخصلة ولشرافة هذه الخصلة عقبه بقوله [وَكُنْ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا] كانه قال ولذلك كان عند ربه مرضياً [وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ] اسمه اخنوخ في التوراة وكان سبط شيث (ع) وجد ابي نوح (ع) وكان اول من خاط اللباس وألهمه الله تعالى علم الحساب والهيئة والنجوم ، وقيل : سمى ادريس لكثرة دراسته ولعله كان في لغتهم بهذا المعنى والا فان كان عربياً مشتقاً من الدرس كان منصرفاً [إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا] بحسب الرتبة اوبحسب المكان كما ورد ان الله تعالى رفعه حياً الى السماء الرابعة او السادسة وهو حي اوقبض روحه في السماء الرابعة [أُولَئِكَ] الذين تقدم ذكرهم [الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ] بالولاية واستتبع الولاية النبوة والرسالة وسائر النعم بهاتصير نعمة فان النعمة حقيقة هي الولاية وكلما اتصل بالولاية سواء كان بسبب البيعة الولوية اوبطلب تلك البيعة كان نعمة ، وما لم يتصل سواء كان من النعم الصورية الذنوبية او من النعم الصدرية الاخروية من الاذواق والوجدانات ومن العلوم والمشاهدات والمعانيات الصورية كان نعمة الا اذا اتصلت بالولاية فانقلب نعمة ، فأصل النعم هو الولاية وفرعها هو ايضاً ، ان ذكر الخير كنتم بولايتكم اصله وفرعه ومعذنه ومنتهاه ، واولئك مبتداء والجملة جواب لسؤال مقدّر وخبره الذين أنعم الله اوهوصفته او مبتداء ثان وقوله تعالى [مِنَ النَّبِيِّينَ] خبر احوال وقوله تعالى [مِنَ ذُرِّيَةِ آدَمَ] خبر اوهو حال اوبدل ، وقوله تعالى اذا ينلّ عليهم (الى آخره) خبر ومن في قوله تعالى : من النبيين بيانية اوتبعيضية ، وهكذا من في قوله من ذرية آدم تبعيضية اوبيانية [وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ] عطف على من ذرية آدم والمقصود من ذرية من حملنا لكنه اسقط الذرية ههنا تشريفاً لهم لانه يشعر بان المحمول مع نوح (ع) لم يكن منظوراً اليه بنفسه في الحمل بل كان المنظور اليه في الحمل هو تلك الذرية فكانته لم يكن المحمول محمولاً لانه لم يكن منظوراً اليه وكان المنظور اليه من الذرية محمولاً [وَمِنَ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ] وكل هذه من قبيل عطف الخاص على العام لتشريف الخاص بالاختصاص بكثرة الانساب الشريفة فان الكل كانوا من ذرية آدم (ع) واختص عنهم بهذه النسبة ادريس (ع) وبعد ادريس كان الكل من ذرية المحمولين مع نوح وامتاز عنهم بهذه النسبة ابراهيم (ع) وبعد ابراهيم كان الكل من ذرية ابراهيم فان اسحاق (ع) واسرائيل وموسى وهارون واسماعيل وزكريا ويحيى وعيسى (ع) كانوا من ذرية ابراهيم (ع) واسرائيل وامتاز عنهم بالاختصاص بابراهيم (ع) اسحاق واسماعيل (ع) واذا كان المراد بقوله تعالى وهبنا لهم من رحمتنا محمداً (ص) وكان المراد بقوله لسان صادق علياً محمداً (ص) وعلياً (ع) كما اشير اليه في الخبر كانا ايضاً ممتازين بالاختصاص بابراهيم (ع) [وَمِمَّنْ هَدَيْنَا] عطف على من النبيين او على من ذرية آدم ولفظ من للتبعيض او للتبيين والتقدير من ذرية من هدينا واسقاط الذرية لما ذكر في من حملنا اولى است الذرية مقدرة [وَأَجْتَبَيْنَاهُ إِذَا تَتَلَّى] قرئ بالتاء وبالياء وهو خبر كما سبق احوال ومستأنف لبيان حالهم وانهم مع علو نسبهم وشرف النبوة والرسالة لهم كمال التضرع والالتجاء

الى الله ، او ممن هدينا قائم مقام المبتدأ ، وذا تتلى خبر عنه يعنى بعض من هدينا واجتبيينا اذ اتلى [عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا] لكمال خضوعهم لله وتواضعهم لآياته [وَبُكْيًا] لكمال خوفهم من الله ولالتجائهم اليه وقرئ بكياً بضم الباء على الاصل ، وبكسرها على الاتباع [فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ] الخلف بالتسكون يقال للعقب السوء وبالتحريك للحسن ، ويستعمل كل في كل [أَضَاعُوا الصَّلَاةَ] بتركها وتأخيرها عن مواقيتها كما اشير اليه في الخبر [وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ] قيل في بيان اتباع الشهوات كانوا شرايين للقهوات ، ركاين للشهوات ، متبعين لذات ، تاركين للجماعات ، وعن امير المؤمنين (ع) في بيانه من بنى الشديدا^(١) وركب المنظور ولبس المشهور . اعلم ، ان الصلوة والزكوة كما حقق في اول الكتاب في اول سورة البقرة عبارة عن اللبس والخلع ، وهما ثابتان للانسان من اول استقرار نطفته في الرحم الى آخر عمره ، لكن الخلع واللبس الى مقام التكليف والقرب له يكونان بالتكوين الآلهي وعلى الطريق الانساني وفي مقام التكليف اذا كانا بالامر الآلهي كانا في الطريق الانساني ، واذا لم يكونا بالامر الآلهي لم يكونا في الطريق الانساني بل كانا في الطريق النفساني وبمداخلة الشهوات النفسانية وكل فعل او قول او حال له جهة آلهية وجهة نفسانية بمعنى انه ان كان بمحض الامر الآلهي حصل منه فعلية آلهية وليس في الطريق الانسانية وحصل طرح لفعلية نفسانية بواسطة طرح انانية من النفس ، والفعلية الآلهية يعنى اللبس في الطريق الانسانية هي الصلوة حقيقة وطرح اقتضاء النفس وانانيته هي الزكوة حقيقة ، فعلى هذا كان اضاعة الصلوة عبارة عن الغفلة عن الامر الآلهي في الفعل ، اى فعل كان ، واتباع الشهوات عبارة عن لحاظ اقتضاء النفس في الفعل ، اى فعل كان ، فان المصلى اذا كان صلوته صادرة من اقتضاء نفسه سواء كان ذلك الاقتضاء امضاء عادة كما هو حال اكثر الناس او مراياة او اعجابا او جلب نفع في الدنيا او دفع ضرر فيها او دخول الجنة ، او عدم دخول النار ، او قربة من الله ، او كونه مرضيا من الله كان مضيعا للصلوة ، ومتجعا للشهوة ؛ وان كان فاعلا لصورة الصلوة ، واذا كان القاضى لشهوته من حلاله ناظرا الى امر ربه واباحته كان مصليا ، وان كان قاضيا لشهوته فالمقصود من الصلوة هو جهة الافعال لا صورة الاعمال ، وهكذا الحال في اتباع الشهوات ، وحديث على (ع) في بيان اتباع الشهوات يشعر بذلك [فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا] في الآخرة بناء على تجسم الاعمال ، اوجزاء غي ، او المراد بالغى الشر والخية ، او الغي وادفى جهنم [الْأَمْنُ تَابَ] عن اتباع الشهوات في الافعال [وَأَمِنْ] بالبيعة العامة والخاصة ، او اذعن ان الاعمال لها جهة آلهية وجهة نفسانية [وَعَمِلَ صَالِحًا] طبق ما اخذ عليه في بيعته او عمل صالحا يعنى بالامر الآلهي حتى يصير صالحا ، واقامة للصلوة لا اضاعة او اتباعا للشهوات [فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ] قرئ بضم الياء وفتح الخاء وبفتح الياء وضم الخاء [وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا] بنقص شيء من ثواب اعمالهم [جَنَّاتٍ عَدْنٍ] بدل من الجنة ولا منع في ابدال الجمع عن المفرد اذا كان المفرد في معنى الجمع ، او منصوب بفعل محذوف مقطوع عن التبعية للمدح ، والجنتات طبقات وكل طبقة منهما جنات ، وجنة عدن آخرة الجنات التي لا تتجاوز عنها لمن وصل اليها ؛ ولذلك سميت بجنة عدن فان العدن بمعنى الاقامة بخلاف سائر الجنات فانها ليست محل اقامة لكل من وصل اليها [الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ] حالكون الجنات بالغيب ، او حالكون الرحمن بالغيب ، او حالكون العباد بالغيب من الله بمعنى كون الله غائبا عنهم [إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا] جواب سؤال ناش

(١) اى البناء المحكم وركب ما ينظر اليه الناس لحسنه ولبس ما يشتهر بالحسن وهذا معنى لباس الشهوة .

من قوله فاولئك يدخلون الجنة او من قوله وعد الرحمن عبادہ [لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا] حال او مستأنف [لَا سَلَامًا] استثناء من اللغو مبالغة في عدم اللغو فيها يعني لغو الجنات هو السلام من قبيل قول الشاعر:

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

او الاستثناء منقطع [وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ] التلحق بحالهم ومقامهم [فِيهَا بُكْرَةٌ وَعَشِيًّا].

اعلم ، ان الشمس الحقيقية التي هي حقيقة شمس عالم الطبع تنزلت عن مقام غيبها بفعل
البارئ تعالى ، ثم تنزلت وظهرت بالعقول بمراتبها ، ثم ظهرت بالنفوس بمراتبها ، ثم ظهرت
في عالم الطبع بصورة هذه الشمس المحسوسة ، وكما ان هذه الشمس المحسوسة حركتها في
عالمها دورية ، وعالمها كروية ، وبكروية عالمها ودورية حركتها يظهر البكرة والعشي كذلك

بيان لتعدد الافلاك

والشموس

والاقمار

الشمس الحقيقية حركتها في كل من عوالمها التي حددها تارة بسبعين الف عالم ، وتارة بالف عالم دورية ،
وكل من عوالمها كروية لكن كرويته معنوية لا محسوسة فان كلاً مشتمل على قوسى النزول والصعود ، وبعد وصول
النور الحقيقي الى واسط قوس النزول يخفى وتلربجاً الى واسط قوس الصعود وحينئذ يظهر تدرجاً وحين شروعه
في الاختفاء يكون العشي بحسب ذلك العالم وحين التشروع في الظهور يكون البكرة بحسبه ، ولا اختصاص للبكرة
والعشي بعالم الطبع ولا بجنات الدنيا كما قيل ، وقد ورد في الاخبار الاشعار بتعدد الافلاك والشموس والاقمار كما
ورد ان وراء عين شمسكم هذه تسعاً وثلاثين عين شمس ، ووراء قمركم هذا تسعة وثلاثين قمراً ، وقيل بالفارسية:

آسمانهست در ولايت جان كار فرماي آسمان جهان

[تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا].

اعلم ، ان الانسان الكامل ذو نشأت وفي كل نشأة له اموال واقرباء وكما ان صحة النسب الجسمانية
مبتنية على ما استسه الشارعون في كل شريعة وملة لتصحيحها كذلك النسبة الروحانية مبتنية على ما استسه
من عقد الايمان ، وكما ان النسبة الجسمانية اذا لم تكن مبتنية على ما استسه لم تكن مؤثرة في ترتب آثار النسبة
من الميراث وغيرها كذلك النسب الروحانية اذا لم تكن مبتنية على ما استسه لم تكن مؤثرة ، وكما ان المنتسب
بالنسبة الجسمانية اذا لم يكن له ما يصحح نسبه كان لغية كذلك المنتسب بالنسبة الروحانية اذا لم يكن له ما يصحح
نسبه كان متحلاً ، وقد مضى تحقيق تام للنسبة الجسمانية والروحانية والفرق بينهما وشرافة النسبة الروحانية بالنسبة
الى الجسمانية في سورة البقرة عند قوله وبالوالدين احساناً ، وكما ان الانسان مادام يكون في عالم الطبع كان له
اموال واذا انصرف من هذا العالم كان الاحق بامواله قرباته بحق النسبة الجسمانية كذلك المتخلف عن الكامل
في العوالم الروحانية كان الاحق به قرباته الروحانية ، وكما ان المتخلف عن مرتبة الجسمانية لاحق لقرباته الروحانية
فيه كذلك المتخلف عن مرتبة الروحانية لاحق لقرباته الجسمانية فيه فان كل تحلة وكل نسبة منقطعة يوم القيامة
الا الخلة والنسبة في الله ، ولما كان اصل الكاملين وابو الآباء الروحانية على بن ابي طالب (ع) وكان منصرفاً عن
جميع العوالم وتمكناً في مقام المشية التي هي فوق الامكان كان جميع عوالم الامكان متخلفة عنه وميراثاً لولاده
المنتسبين اليه بالنسبة الصحيحة بقدر مراتبهم في النسبة ، وان كانوا في الدنيا مغضوباً منهم امواله كما قال تعالى :
قل هي للذين آمنوا بالايمان الخاص وعقد الايمان مع علي (ع) مغضوباً عليها في الدنيا خالصة يوم القيامة وهذا
معنى ايراث الفردوس ، واما ايراث منازل اهل النار للمؤمنين فهو عبارة عن ايراث ما كان اهل النار يستحقونه لو
لم يقطعوا نسبتهم الى علي (ع) فان كل الموجودات لها نسبة فطرية الى علي (ع) وقد يقطع الانسان نسبه الفطرية

الى الولاية فيترك منازلها وامواله التي كانت مقررة له بحكم الولاية التكوينية فيرتها ذوو انسابه الآخرون مثل الجنين الذي يترك من اموال الميت قسط له فان تولد حياً وبلغ اخذ قسطه وان ولد ميتاً اولم يبلغ كان قسطه لسائر الورثة بحكم النسبة ، اذا عرفت ذلك ، فلاحاجة لك الى التكاليفات التي ارتكبوها في تصحيح اطلاق الارث على ما ذكر ، ومن عبادنا ظرف لغو متعلق بنورث والمعنى نورث الجنة من مال عبادنا المخصوصين الذين خرجوا من رقية انفسهم وصاروا بتمام وجودهم خالصين لنا فصاروا كاملين ومكملين ومالكين بتمليكنا درجات الآخرة ، وبعد ما تخلت منهم بتوجههم ونقلهم الى ما فوقهم اورثنا تلك الدرجات منهم عباداً كانوا اتقياء بان دخلوا في الولاية فان التقوى الحقيقية لا تتصور الا بالدخول في الولاية او من عبادنا ظرف مستقر حال ممن كان تقياً والمعنى حينئذ نورث الجنات من كان تقياً حال كونه صار من عبادنا بان اشترى الله منه ماله ونفسه بان له الجنة ، وفائدة التقييد بالحال الاشعار بان التقوى الحقيقية لا تحصل الا بالبيعة الولوية او النبوية [وَمَا نَنْتَزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ] كلام من الملك الحاكم من الله تعالى معطوف على المحكى من الله فقد ورد ان رسول الله (ص) قال لجبرئيل (ع) : ما منعك ان تزورنا ؟ فترلت [لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا] اى الدنيا او عوالم الآخرة [وَمَا خَلَقْنَا] يعلم بالمقايسة [وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ] اى العالم الذى نحن واقعون فيه [وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا] تاركاً لك ترك المنسى ، او ما كان موصوفاً بالنسيان حتى يتوهم انه غفل عنك ، وفيه اشعار بان سرعة نزوله وبطوئه انما هو منوط بحكمه [رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا] وصف لربك او خبر مبتدئ محذوف وتعليل لامتناع النسيان عليه [فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ] لما كان الصبر على العبادة اصعب اقسام الصبر اى فيه بصيغة المبالغة [هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا] خطاب خاص بمحمد (ص) او عام لمن يتأتى منه الخطاب ، والمراد بالسمى المماثل فى شيء من صفاته لا المسمى بشيء من اسمائه [وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ] اى هذا النوع من الحيوان وان كان القائل بعض افراده [أَيُّدَا مَا مِتْ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا] .

اعلم ، ان الانسان مادام يكون محصوراً ادراكه على المحسوسات ولا يدرك من نفسه الا مقام جسميته كان اقراره ببعثه تقليداً محضاً من غير تصور لنفسه وموته وبعثه وكان انكاره تحقيقاً لا تقليداً فان الناظر الى البدن والى ان النفس جسم لطيف متكيف سار في البدن كسائر اجزاء البدن او كيفية خاصة فى البدن ، وان البدن بالموت يفنى كيفية حيوته وجميع اجزائه ، خصوصاً ان كان بصيراً بالطبيعات وكيفيةاتها لا يتأتى له الاقرار بالبعث بعد الموت والاعادة بعد الفناء ، وروى ان ابي بن خلف اخذ عظماً بالية ففتتها وقال : يزعم محمد (ص) اننا نبعث بعد ما نموت [أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ] اى قبل وجوده او قبل موته [وَلَمْ يَكُ شَيْئًا] لافى العوالم العالية ولا فى العالم الدانى بان خلقناه فى عوالم علمنا حين لم يكن مقدراً ولا موجوداً طبيعياً ، اولم يك شيئاً فى العالم الطبيعى [فَوَرَبُّكَ لَنَخْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ] الموكلة عليهم ، لما كان الكلام ملقى على المنكر اكده بتأكيدات ، وروى ان الكفرة تحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين اغووههم كل مع شيطانه .

اعلم ، ان الانسان الذى هو عالم صغير اذا هبط آدم (ع) وحواء (ع) من الجنة فيه وتوالدا واتى لواحد من ولديهما بحورية وللاخر بجنية وتوالدا فى العالم الصغير كان ما تولد من الحورية سنخاً للملائكة وبتلك السنخية يجذب الملك ، وما تولد من الجنية كان سنخاً للجنة والشياطين ، وبتلك السنخية يجذب الشيطان الى عالمه الصغير من العالم الكبير ، وما ورد ان لكل انسان ملكاً يزجره وشيطاناً يغويه اشارة الى ما ذكر ، ولكل من الملك والشيطان المجذوبين اليه جنود و اعوان فيصير الملك الموكل مع جنوده ملائكة كثيرة والشيطان المنجذب

شياطين عديدة، واذا حشر الانسان حشر معه كل شيطان كان معه، او المعنى لنحشر نهم و الشياطين من غير نظير الى الشياطين الموكلة بخصوصهم [ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا] ضمير المفعول فى لنحضر نهم وفى نحشر نهم راجع الى مطلق البشر المؤمنين والكافرين، وحضور المؤمنين حول جهنم مثل ورودهم عليها، اوراجع الى الكافرين، والجنى جمع الجاني اصله جنو، وقرئ بضم الجيم وكسرها [ثُمَّ لَنُنْزِلَنَّ عَنْ مِّنْ كُلِّ شَيْعَةٍ طَائِفَةٌ شَاعَتْ نَبِيًّا اَوْ اِمَامًا فى الهداية اواماماً فى الضلالة] [أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا] اصله عتو مصدر عتى عتواً وعتياً بضم العين وعتياً بكسرها استكبر وجاوز الحد والمعنى لننزعن من كل فرقة مؤمنة وكافرة اعتاهم، ونعقو من غير اعتاهم، ولننزعن من كل فرقة اعتاهم فندخلهم فى اسفل الجحيم ثم لننزعن العاتين منهم فندخلهم المداخل المترتبة من الجحيم على ترتيب عتوهم حتى يبقى المؤمنون، وائى موصولة مبنية على الضم على قراءة ضم الياء لحذف صدر صلتها ومنصوبة مفعول لننزعن على قراءة فتح الياء، واستفهامية مبتدئة وخبر والجملة حالية بتقدير القول، او مستأنفة بتقدير القول جواب لسؤال مقدر ومفعول لننزعن محذوف، او من كل فرقة مفعوله لكون من اسماً، او لكون الظرف قائماً مقام الموصوف لقوة معنى البعضية فى من [ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أُولَىٰ بِهَا صِلِيًّا] مصدر مثل العتى من صلى النار كرضى قاساها [وَلَإِن مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا] .

اعلم، ان دركات الجحيم واقعة فى الآخرة ولا يدخلها الا من خرج عن الدنيا وعن عقبات البرزخ ووصل الى الاعراف وبقي عليه فعلية مناسبة للنار، واما قبل ذلك فلا يدخل احد النار وكانت ابواب الجحيم مغلقة ولذلك يقال: حيثئذ ادخلوا ابواب الجحيم، وقال تعالى: حتى اذا جاؤوها فتحت ابوابها فرتب فتح الابواب على مجيء اهلها لانها كانت مغلقة قبل المجيء واهل الجنة بعد الوصول الى الاعراف لا يبقى عليهم الا فعلية مناسبة للجنة فلا يدخلون النار لكن نقول: الدنيا انموذجة من الجحيم والاخلاق الذميمة والاصناف الرذيلة كلها انموذجة منهما، ومشتهيات النفس والآلام والاسقام من فوران الجحيم، والبرزخ بوجهه هو جحيم الدنيا كما انه بوجهه هو جنة الدنيا، والواردون على الاعراف كلهم واردون على الجحيم بمعنى انهم مشاهدون لها وكل الناس مؤمنهم وكافرهم لابد لهم من العبور على الدنيا والانتصاف بمشتهياتها والعبور عن الرذائل والاصناف الرذيلة ومشتهيات النفس، وقتما يتفكك الانسان عن علته ما اوالم ما، ولا بد للكل من العبور على البرزخ اختياراً او اضطراراً لكن العبور يتفاوت بتفاوت الاشخاص والاحوال والكل واردون على الاعراف و واردون على جحيم الآخرة بمعنى انهم مشاهدون لها، اذا عرفت ذلك، عرفت وجه الجمع بين الاخبار المتخالفة الواردة فى هذا الباب وعرفت ان المراد بالنسخ فيما ورد ان هذه الآية منسوخة بآية ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون هو النسخ الجزئى الذى يكون بحسب الاشخاص والاحوال لا النسخ الكلى فان هذا الورد من لوازم وجود الانسان وكيفية خلقته ولذلك قال تعالى بعد الاخبار به [كَانَ] ذلك [عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا] مؤكداً بتأكيدات لكن قد يعرض الانسان جذبة من جذبات الرحمن لا يتبجح عليه اثر من الدنيا ونيرانها ولا من البرازخ وعقباتها، ولا من الاعراف ومشاهداتها فكان الورد المحتوم منسوخاً ومرتفعاً فى حقه، وما ورد ان النار تقول للمؤمن يوم القيامة: جزياً مؤمناً فقد أطفأ نورك لهبى؛ كان اشارة الى الدنيا ومشتهيات النفس والاخلاق الرذيلة والبرازخ، وكذلك قول المعصوم جردناها وهى خامدة [ثُمَّ نُنَجِّى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا] واذن تسلى عليهم آياتنا [التدوينية مطلقة اوفى ولاية على (ع) [بَيِّنَاتٍ] واضحات او موضحات رسالتك او قدرة الله على الاحياء بعد الاماتة او ولاية

على (ع) [قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا] بالله اوبرسالتك اوبولاية على (ع) [لِلَّذِينَ آمَنُوا] لاجلهم اومخاطبين لهم استهزاء بالله اوبدينك اوبعلى (ع) [أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ] ممن اقر بالله اوبالرسالة اوبولاية على (ع) وممن انكر ذلك [خَيْرٌ مَّقَامًا] مكاناً اوموضع قيام ، وقرئ بضم الميم [وَأَحْسَنُ نَدِيًّا] مجلساً ومجتمعاً يعني انهم لما سمعوا الآيات الدالات على حقيقة دينك وقدره الله اوبولاية على (ع) وعجزوا عن المعارضة وردوها افتخروا بما لهم من حسن الحال في الدنيا وزعموا ان حسن حالهم انما هو لحقيقة انكارهم ورداءة حال المؤمنين لبطلان اقرارهم كما هوشأن اهل الزمان في كل زمان ، وهذا زعم فاسد فان حسن الحال وزيادة الحظ في الدنيا مانعة عن حصول حظوظ العقبى ومهلكة في العقبى كالتشهد الذي فيه سم غير محسوس ، وعن الصادق (ع) انه قال : كان رسول الله (ص) دعا قريشاً الى ولايتنا فنفروا وانكروا فقال الذين كفروا من قريش للذين آمنوا الذين اقرؤا الأمير المؤمنين (ع) ولنا اهل البيت (ع) أي الفريقين خير مقاماً واحسن ندياً ؛ تعبيراً منهم فقال الله تعالى ردأ عليهم ، وقرء الآية الآتية [وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِيعًا] قرئ ريعياً بكسر الراء المهملة وسكون الهمزة ورياً بكسر الراء وتشديد الياء ورياً بكسر الراء وتخفيف الياء وزياً بكسر الزاء المعجمة وتشديد الياء ، والكل بمعنى المنظر او ما يتجمل به [قُلْ] لهم ردأ على زعمهم ان حسن الحال في الدنيا جالبة لحسن الحال في الآخرة [مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا] اذاه بصيغة الامر للاشعار بان هذا امر كائن واجب على الله لا تخلف عنه فلا تغتروا بامداد الله في الدنيا واجتماع اسباب التمتع لكم فانه استدراج ومورث للهلاكه ابدأ [حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِلَّا الْعَذَابَ] بالقتل والاسرو والنهب والاجلاء والبلايا الواردة من الله من الاسقام والآلام البدنية والنفسانية [وَأَمَّا السَّاعَةُ] ساعة الموت وعذابها [فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرُّ مَكَانًا] فانه وقت العذاب لا ينفع مال ولا بنون ، ولا يدفع جند ولا اقربون ، ووقت الموت ينقطع كل موصول ولا يدفع كل دافع ولا ينفع الآلهة ، فمن انقطع عن الكل واتصل بالله بالبيعة الولوية مع خلفائه كان حيث يشاء احسن ندياً فان مجتمعه كان من جند الله ، ومن لا ينقطع عن الغير ولا يتصل بالله بالبيعة مع على (ع) كان اردء ندياً لا ينقطع كل ممن كان في مجتمعه عنه وعن مجتمعه [وَيَرْبِئُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى] عطف على من كان في الضلالة فليمدد وتغيير الجملة الثانية بالفعلية للاشعار بان الامداد والاستدراج عرضي تابع لاستعداد العباد وافعالهم بخلاف فضل الهداية فانه فضل محض وذاتي له تعالى وليس تابعاً لفعل واستعداد وقد تكرر سابقاً ان الهداية ليست الا ولاية على (ع) والتوجه اليه ، عن الصادق (ع) انه قال : كلهم كانوا في الضلالة لا يؤمنون بولاية امير المؤمنين (ع) ولا بولايتنا فكانوا ضالين مضلين فيمدلهم في ضلالهم وطغيانهم حتى يموتوا فيصيرهم الله شراً مكاناً واضعف جنداً [وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ] وقد سبق بيان الباقيات الصالحات في سورة الكهف [خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا] مما تمتعوا به من الاثاث والرأى [وَأَخَيْرُ مَرَدًّا] مرجعاً مما توهّموه من الاموال والاولاد ، وصيغة التفضيل ههنا لمجرد التفضيل اولللتفضيل على ما زعموه خيراً باعتقادهم [أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا] واعظمها على (ع) [وَقَالَ لَا تُؤْتِيْنَنَا مَالًا وَلَا وَلَدًا] يعني في الآخرة ، ورد انه كان لبعض المؤمنين دين على بعضهم فجاءه يتقاضاه فقال : الستم ترعون ان في الجنة الذهب والفضة والحريز ؟ قال : بلى ، قال : فموعد ما بيني وبينك الجنة فوالله لاوتين فيها خيراً مما اوتيت في الدنيا [أَطْلَعَ الْغَيْبَ] فرأى في الغيب ان له في الآخرة مالا وولداً [أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا] فانه لا يعلم ذلك الا بالمشاهدة والتحقيق ، اوبتمهّد

الصَّادِقِ وَالتَّقْلِيدِ وَعِلْمِ الْغَيْبِ مُتَقِيٍّ عَنْهُ وَالْعَهْدِ لَيْسَ إِلَّا بِالْبَيْعَةِ مَعَ عَلِيٍّ (ع) وَهُوَ يَنْكَرُ ذَلِكَ [كَأَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ] لَنَجْزِيَهُ عَلَيْهِ فَاتَّهَافَتْهُ وَاسْتَهْزَأَ [وَنَمُدُّهُ] عِوَضَ مَا تَصَوَّرَهُ مِنَ الْمَالِ وَالْوَلَدِ [مِنْ الْعَذَابِ مَدًّا وَنَرِيئُهُ مَا يَقُولُ] بِعَنْي الْمَالِ وَالْوَلَدِ الَّذِي يَدْعَى أَنَّهُ يُؤْتِي فِي الْآخِرَةِ مِنْهُمَا بَأْسًا نَهْلِكُهُ وَنَأْخُذُ مَا كَانَ لَهُ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْمَالِ وَالْوَلَدِ [وَيَأْتِينَا] يَوْمَ الْقِيَامَةِ [فَرْدًا] مِمَّا لَهُ فِي الدُّنْيَا فَلَا يَكُونُ لَهُ مَا كَانَ لَهُ فِي الدُّنْيَا وَلَا يَحْصُلُ لَهُ مَا يَدْعِيهِ فِي الْآخِرَةِ [وَأَتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهَةً] عَظُفٌ عَلَى قَالٍ لَا وَتَيْنَ أَوْ عَلَى كُفْرٍ بآيَاتِنَا، وَجَمَعَ ضَمِيرُهُ بِاعْتِبَارِ الْمَعْنَى فَإِنَّ الْمُرَادَ مِنَ الَّذِي كَفَرَ هُوَ الْجِنْسُ لَا الْفَرْدَ الْمَخْصُوصَ [لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا] أَيْ لِيَكُونَ الْإِلَهَةُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَبَبَ عِزٍّ فَإِنَّ الْعِزَّ وَالْعِزَّةَ بِكُسْرِهِمَا وَالْعِزَّازَةُ بِالْفَتْحِ مَصْدَرٌ بِمَعْنَى صَارَ عِزًّا، أَوْ لِيَكُونَ الْكُفْرُ لَاجِلَ الْإِلَهَةِ اعْزَاءً [كَأَلَّا] رَدَعَ لَهُمْ عَنْ هَذَا الزَّعْمِ [سَيَكْفُرُونَ] أَيْ الْإِلَهَةُ أَوِ الْكُفْرُ [بِعِبَادَتِهِمْ] وَالضَّمِيرُ الْمُضَافُ إِلَيْهِ يَحْتَمِلُ الْوَجْهَيْنِ عَلَى كُلِّ مَنْ الْوَجْهَيْنِ [وَيَكُونُونَ] أَيْ الْإِلَهَةُ أَوِ الْكُفْرُ [عَلَيْهِمْ] أَيْ عَلَى الْكُفْرِ أَوْ عَلَى الْإِلَهَةِ [ضِدًّا] وَلَمَّا كَانَ الْمَنْظُورُ مِنْ كُلِّ مَنْظُورٍ هُوَ الْوَلَايَةُ وَالْوَفَاةُ وَالْخِلَافُ مَعَهَا كَانَ الْمُرَادُ أَنَّ الْكَافِرِينَ بِالْوَلَايَةِ اتَّخَذُوا مَطَاعِينَ مِنْ دُونِ عَلِيٍّ (ع) لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا، كَمَا سَبَّكَوْهُ بِطَاعَتِهِمْ لَهُمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا؛ حِينَ مَا يَرَوْنَهُمْ فِي الْأَعْرَافِ أَوْ فِي الْقِيَامَةِ أَوْ فِي النَّارِ أَوْ حَالِ الْإِحْتِضَارِ أَذْلَاءَ مُرْدُودِينَ وَيَرَوْنَ عَلَيْهِ (ع) فِي أَعْلَى مَرَاتِبِ الْعِزِّ وَقَدْ أَشِيرَ إِلَيْهِ فِي الْخَبَرِ، وَلَمَّا كَانَ الرَّسُولُ (ص) مُتَحِزًّا عَلَيْهِمْ وَعَلَى انْحِرَافِهِمْ وَكَأَنَّهُ عَزَمَ عَلَى الدَّعَاءِ عَلَيْهِمْ قَالَ تَعَالَى تَسْلِيَةً لَهُ (ص) وَتَبْطِنَةً عَنِ الدَّعَاءِ [أَلَمْ تَرَ] بِرُؤْيَاكَ الْبَاطِنِيَّةِ [أَنَا] لَا غَيْرَنَا [أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ] فَإِذَا تَرَى أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ فَمَا لَكَ تَحَسَّرَ أَوْ تَعَجَّلَ بِالْعَذَابِ [تَنُوزُ هُمْ أَزًّا] أَزَّتِ الْقَدَرُ مِنْ بَابِ نَصَرٍ وَضُرِبَ اشْتَدَّ غَلِيَانُهَا، وَازَتْ السَّحَابَةُ صَوْتٌ مِنْ بَعِيدٍ، وَازَ النَّارُ أَوْ قَدْهَا، وَالشَّيْءُ حَرَكَةٌ شَدِيدًا، وَالْأَزْ ضَرْبَانِ الْعُرُوقِ؛ فَإِذَا تَرَى أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَيْهِمْ [فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ] بِالْعَذَابِ [إِنَّمَا أَعِدُّ لَهُمْ] الْآيَاتِ أَوِ الْإِنْفَاسَ [عَذَابًا] وَيُقَالُ: هَذِهِ الْكَلِمَةُ حِينَ يَرَادُ الْإِشَارَةُ إِلَى قِلَّةِ الْآيَاتِ وَفِي الْخَبَرِ إِنَّمَا هُوَ عَذَابُ الْإِنْفَاسِ وَالْآيَاتِ وَالْإِمْتِهَاتِ بِعَدْوَنِ الْآيَاتِ أَوِ الْمُرَادُ أَنَا نَعْدَا أَعْمَالَهُمْ عَذَابًا [يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا] وَعَلَى هَذَا فَيَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ ظَرْفٌ لِنَعْدَا، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ظَرْفًا لِقَوْلِهِ لَا يَمْلِكُونَ أَوْ يَكُونُ مَفْعُولًا لِأَذْكُرْ مَقْدَرًا.

اعلم، أَنَّ التَّقْوَى الْحَقِيقِيَّةَ لَا تَحْصُلُ إِلَّا بِالْوَلَايَةِ وَمَنْ تَوَلَّى عَلِيًّا كَانَ تَقِيًّا اسْتَشْعَرَ بِتَقْوَاهُ أَمْ لَا، وَيَوْمَ الْأَعْرَافِ الَّذِي هُوَ آخِرُ الْبَرَازِخِ يَحْشُرُ شَيْعَةَ عَلِيٍّ (ع) إِلَى مَقَامَاتِهِمْ الْآخِرِيَّةِ وَنَعِيمِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ عَلَى مَا نُقِلَ فِي الْأَخْبَارِ مِنَ التَّفَاصِيلِ وَاخْتِيَارِ اسْمِ الرَّحْمَنِ، لِأَنَّ شَيْعَةَ عَلِيٍّ (ع) إِذَا وَصَلَ إِلَى الْأَعْرَافِ لَمْ يَبْقَ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَوْصَافِ النَّفْسِ وَيُظْهِرُ مِنْ كُلِّ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَظْهَرَ عَنْهُ مِنْ نِسْبَةِ الْأَفْعَالِ وَالصِّفَاتِ إِلَى نَفْسِهِ بَلْ مِنْ نِسْبَةِ الْإِنَانِيَّةِ إِلَى نَفْسِهِ وَيَحْصُلُ لَهُ الْفَنَاءُ التَّامُّ الَّذِي هُوَ آخِرُ مَقَامَاتِ التَّقْوَى، وَبَعْدَ الْفَنَاءِ التَّامِّ لَا يَكُونُ بَقَاءٌ إِلَّا بِبَقَاءِ اللَّهِ وَبَعْدَ الْبَقَاءِ بِصِيرِ الْبَاقِي مَبْقِيًا لِأَهْلِ عَالَمِهِ وَمَمْلَكَتِهِ وَهَذَا الْإِبْقَاءُ هُوَ الرَّجْعَةُ فِي الْعَالَمِ الصَّغِيرِ وَهُوَ أَمُودُ رَحْمَةِ اللَّهِ الرَّحْمَانِيَّةِ وَبِهَذَا الْإِعْتِبَارِ قَالَ: نَحْشُرُهُمْ إِلَى الرَّحْمَنِ وَبِحَسَبِ التَّسْلُوكِ إِذَا تَمَّ السَّفَرُ الثَّانِي لِلتَّالِكِ وَانْتَهَى تَقْوَاهُ إِلَى الْفَنَاءِ التَّامِّ وَسَارَ بِالْحَقِّ فِي الْحَقِّ أَنَّ أَدْرَكَهُ الْعَنَابَةُ الْإِلَهِيَّةُ وَابْقَتْهُ بَعْدَ فَنَائِهِ بِصِيرِ التَّالِكِ أَيْضًا بَاقِيًا بِبَقَاءِ اللَّهِ وَمَبْقِيًا لِأَهْلِ مَمْلَكَتِهِ وَأَهْلِ الْمَلِكِ الْكَبِيرِ وَيَصِيرُ عَادِلًا بِعَدْلِ اللَّهِ وَمُعْطِيًا لِكُلِّ حَقِّهِ وَهَذَا مِنْ خَوَاصِّ اسْمِ الرَّحْمَنِ وَلِهَذَا قَالَ: نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ؛ وَوَفْدًا جَمَعَ مِثْلَ رَكْبٍ وَصَحْبٍ حَالٍ مِنَ الْمُتَّقِينَ، أَوْ مَصْدَرٌ بِمَعْنَى الْجَمْعِ الْوَصْفِيِّ وَحَالٍ أَوْ مَصْدَرٍ

مفعول مطلق من غير لفظ الفعل او بتقدير حشروا [وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرِثًا] الورد مصدر بمعنى الاشراف على الماء دخل ام لم يدخل ، واسم جمع بمعنى الجماعة الواردة على الماء ، وهو حال أو مصدر مثل الوعد ، وفي استعمال لفظ الحشر هناك والسوق الذي ليس الا للبهائم ههنا ما لا يخفى من التشريف والتوهين ، وقرئ يحشر ويساق بالغية مبنيين للمفعول والمتقون والمجرمون مرفوعين [لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ] اى العباد المطلق المستفاد من ذكر القسمين او المجرمون [إِلَّا مَن اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا] استثناء من فاعل يملكون او من الشفاعة بتقدير شفاعة من اتخذ عند الرحمن عهداً ، واستثناء مفرغ اى لا يملكون لاحد الشفاعة الا لمن اتخذ عند الرحمن عهداً ، والشفاعة اعنى من المصدر المبني للفاعل والفعول او هو مبنى للفاعل والمعنى لا يملكون شفاعتهم للغير او شفاعة الغير لهم وقد اشير فى الاخبار الى الكل ، والعهد المأخوذ عند الرحمن هو عهد البيعة وقد فسر فى الاخبار بعهد الولاية والبيعة مع علي (ع) فان اخذ العهد عند الرحمن من دون مظاهره وخلفائه لا يتصور لاحد ، وقد ورد عن الصادق (ع) انه قال الا من دان الله بولاية امير المؤمنين (ع) والائمة من بعده فهو العهد عند الله ، وورد عنه ايضاً انه قال : لا يشفع لهم ولا يشفعون الا من اتخذ عند الرحمن عهداً ، الا من اذن له بولاية امير المؤمنين (ع) والائمة (ع) من بعده فهو العهد عند الله ، والولاية قد تكررت فى مطاوى ما سلف انها البيعة لا غير ، وقد ذكر فى الاخبار لبيان العهد بحسب الظاهر امور اخر من عهد الوصية وغيره [وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا] عطف على كفر بآياتنا وقرئ ولداً جمعاً ، عن الصادق (ع) انه قال هذا حيث قالت قريش : ان الله عز وجل اتخذ ولداً من الملائكة انا اننا [لَقَدْ جِئْتُم شَيْئًا إِدًّا] جواب سؤال احوال بتقدير القول والاداة بكسرهما والاداة بفتح الهمزة ، العجب والامر الفظيع والذاهية والمنكر [تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ] صفة لشئاً بعد صفة احوال منه او مستأنفة [وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخْرِجُ الْجِبَالُ هَدًّا] الخرا تسقوط مطلقاً او من علو والهدم الهدم الشديد والكسر [أَنْ دَعَوْا] بدل من الضمير فى منه [لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا] وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولداً [لانه واحد لا ضد له ولا ند ولا ثانى ولو كان له ولد كان ثانياً له ولو كان له ثان لانهدم وحدته وبانهدام وحدته ينهدم وجوبه ف سبحانه من مقتضى ذاته عدم الثانى له [إِنْ كُلٌّ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ] جواب سؤال فى موضع التعليل [إِلَّا اتَّبَى الرَّحْمَنُ عَبْدًا] يعنى كل من فى السموات والارض ياتى يوم القيامة وآت فى حال وجودهم عبداً للرحمن خارجاً من انانيته لا مقابلاً له وثانياً حتى يسمى ولداً وذكر اوانا ، ولما كان المراد بالعبودية العبدية التكوينية وليس كل افراد الانسان عبيداً لاسمائهم اللطيفة ومظاهرها بل يكون بعضها عبيداً لاسمائهم القهرية ومظاهرها فى الدنيا والآخرة اختار من الاسماء اسم الرحمن الذى هو مجمع اسمائه اللطيفة والقهرية [لَقَدْ أَحْصَيْهِمْ] جواب لسؤال مقدر كأنه قيل : هل يعلمهم مع كثرتهم ؟ فقال : لقد احصاهم من حيث ذواتهم و اجزائها ومالها وما عليها [وَعَدَّهُمْ] من حيث اعداد رؤسهم وافعالهم واقوالهم واحوالهم و اخلاقهم وجميع حركاتهم ولمحاتهم [عَدًّا] خارجاً من نحو تعدادكم الموقوف على الزمان والتجسس [وَكُلُّهُمْ أُمِّيَّةٌ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا] عما يحسب انه له من يعتد عليه فى الدين والدنيا ومن جميع الاموال والقوى والاعضاء ومن جميع النسب والاضافات ومن الاختلاء والاحباب [إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا] جواب سؤال مقدر كأنه قيل : كلهم مؤمنهم وكافرهم ياتيه فرداً ، فقال : ان المؤمنين يكونون بوصف المحبة اوع محبتهم غير منقطعى النسبة عن اختلاهم فان كل نسبة وخلقة منقطعة الا بالنسبة والخلقة فى الله وقد تعدد

الاخبار بأن الرسول (ص) قال لعلي (ع) يا علي، قل اللهم اجعل لي في قلوب المؤمنين ودًا، فقال علي (ع) ذلك ونزلت الآية، وفي بعض الاخبار ولاية امير المؤمنين (ع) هي الود الذي قال الله تعالى؛ والود بثلاث الواو مصدر وذن باب علم ومنع او وضمف منه والمناسب هو معناه الوصفى فان المقصود اننا من جعل لهم محبًا هو محبوبهم عند الرجوع اليها، فان نورهم يعنى امامهم يسعى حينئذ بين ايديهم وبايمانهم وان كان المراد به معناه المصدرى فالمقصود هو هذا المعنى، فان الحب الحقيقي هو ملكوت الامام الذي يظهر على صدر السالك وهذا يشير الى ما قاله الصوفية من الفكر والحضور والسكينة وهو ظهور الامام بملكوته على السالك وان السالك ينبغي ان يكون تمام اهتمامه بظهور الشيخ عليه وانه البغية القصوى والقنية العظمى [فَانَّمَا يَسْرُنَاهُ] الفاء عاطفة دالة على شرافة الحكم الآتى والهاء للقرآن او قرآن ولاية علي (ع) او جعل الود الذي هو ملكوت علي (ع) [بِلِسَانِكَ] بلغتك فان اللسان يستعمل كثيرا في اللغة او على لسانك او في لسانك [لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ] الذين اتقوا بالولاية الطرق المنحرفة النفسانية [وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا] جمع الالذ وهو الخصم الشحيح الذي لا يزيغ الى الحق [وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ] بيان لجهة من جهات الانذار [هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ] حال مما بعده [مِنْ أَحَدٍ] لفظة من زائدة [أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا] صوتًا يعنى لا ترى منهم عينًا ولا تسمع منهم صوتًا.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[طه] قد سبق بيان تام لامثاله وقد ورد فيه بخصوصه انه من اسماء النبي (ص) [مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى] بل لتسعد فان المفاهيم في مقام المخطابة معتبرة، والشقاء بمعنى العناء والتعب، وقد ورد بطرق متعددة ان الرسول (ص) كان يقوم على اطراف اصابع قدميه حتى تورمت قدماه (ص) واصفر وجهه (ص)، ويقوم الليل جمع حتى عوتب في ذلك فقال الله تعالى: طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى [لَا تَذْكِرَةٌ] استثناء منقطع او استثناء مفرغ ومفعول له لتشقى او مفعول له لما انزلنا بشرط ان جعل لتشقى حالًا من القرآن او من مجرور عليك او استثناء مفرغ حال من فاعل انزلنا او من مجرور عليك او من القرآن او من فاعل تشقى [لِمَنْ يَخْشَى] الخوف بالمعنى الخاص من صفات النفس الملم تصير عالمة تحقيقًا فاذا صارت عالمة تبدل خوفها بالخشية كما انها اذا صارت مكاشفة ومشاهدة صارت خشيتها هيبة [تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى] تنزيلاً مفعول مطلق لفعله المحذوف، او منصوب على المدح بفعل المدح، او مفعول مطلق نوعي لما انزلنا، او مفعول به ليخشى، او مفعول

له لتذكرة ، او منصوب بنزع اللام وتعليل لتشفى اوليخشي ، ووجه افراد الارض وجمع السماوات وبيان مصاديق كل قد مضى في اول الانعام ، وتقديم الارض على السماوات مع انها اشرف واقدم من الارض لمراعاة رؤس آلاى ، ولان الآية لبيان تشريف التنزيل باضافته الى من هو وسيع الخلق قوى القدرة وهذا المعنى يقتضى الترقى من الأدنى الى الأعلى ، ولتقديم الارض على السماوات في العالم الصغير وفي الانظار الحسية [الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى] قرئ الرحمن مرفوعاً مبتدأ وعلى العرش خبره ويكون الجملة حالاً او مستأنفاً او يكون على العرش متعلقاً باستوى واستوى خبره وعلى الاول فاستوى مستأنفاً او حال او خبر بعد خبر ، وقرئ مرفوعاً مقطوعاً عن الوصفية خبراً لمبتدأ محذوف ، وحينئذ يكون على العرش حالاً او خبراً بعد خبر ، او جملة بتقدير مبتدأ ، و مستأنفة ، وهكذا الحال في استوى وقرئ بالجر صفة لمن خلق الارض ، وعلى العرش حينئذ يكون حالاً او متعلقاً باستوى ، او جملة مستأنفة بتقدير مبتدأ محذوف ويجرى الوجه السابقة في استوى ، وقد مضى في سورة الاعراف بيان تام لاستواء الرحمن على العرش ولوجه خلق السماوات والارض في ستة ايام [لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى] الجملة مستأنفة في موضع التعليل فانه لما ذكر ان خالق السماوات والارض وانه مستوى النسبة الى الجليل والقليل والكثير والحقير اجمالاً اراد ان يعلل ذلك بنحو التفصيل فقال ، لان له بدواً وغايةً وملكاً السماوات جميعاً وما فيها والارض وما فيها لانه سبق مكرراً ان نسبة شيء الى مظروف تشتمل النسبة الى الظرف خصوصاً اذا كان المظروف اشرف من الظرف وما بينهما من عالم البرزخ او من النفوس المتعلقة بهما الغير المنطبعة فيهما ويكون المراد بهما المنطبعات والمكمونات فيهما وما تحت الثرى من عالم الجنة او من القوى والاستعدادات البعيدة المكمونة التي لا يعلمها الا الله [وَإِنْ تَجَهَّرْ] يا محمد (ص) او يا من يتأتى منه الخطاب وهو عطف على قوله له ما في السماوات وتعليل آخر لشمول علمه وسعته وتصريح باحاطة علمه بعد التلويح اليه او جملة حالية والمعنى ان تجهر [بِالْقَوْلِ] يعلمه [فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى] فكيف لا يعلم الجهر ، والسر ما اخفيته في نفسك ، واخفى ما خطر ببالك ثم نسبته كما في الخبر ، او السر ما كان مخفياً عن غيرك ، واخفى ما كان مكموناً عن نفسك ولم تطلع انت ولا غيرك عليه [اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ] استئناف وتعليل وحصر للآلهة فيه تصريحاً بعد ما افاده تلويحاً [لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى] تعليل آخر لعموم جملة صفاته المستفاد اجمالاً فانه ان لم يكن جملة الصفات الكمالية ثابتة له او كان بعض صفاته غير محيطة كان اسم تلك الصفة واسم كمال هذه مسلوباً عنه فلم يكن الاسماء الحسنى محصورة فيه [وَهَلْ أَتَىكَ حَدِيثُ مُوسَى] عطف على ما انزلنا لان الاستفهام للتقرير فهو بمنزلة قد اتيتك او مستأنفة ، والمقصود تذكيره (ص) بحكاية موسى (ع) حتى يكون تسلياً له (ص) عن اذى قومه وحملاته على الصبر على متاعهم وتجربة على دعوتهم من غير تأمل في قبولهم وردهم ، ومن غير خوف من لومهم وايدائهم ، وتقوية لتوكله واعتماده على ربه (ص) وترغيباً في التوسل به والانقطاع من كل من سواه يعني تذكير حكاية موسى (ع) [إِذْ رَأَى نَارًا] بدل من حديث موسى (ع) او ظرف له ومبيح في سورة القصص حكاية حال موسى (ع) وتوكله ونشؤه وفراره الى مدين وتزويج ابنة شعيب (ع) ورجوعه الى مصر [فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا] فانه بعد رجوعه من مدين ضل الطريق في ليل مظلم واصابهم برد شديد وريح وتفرقت غنمه واخذز وجهه الطلق فرأى ناراً فقال لاهله : امكثوا [إِنِّي أَنَسْتُ نَارًا] اي رأيتها بحيث اطمأن قلبي وسكن وحشتي [لَعَلِّي أَتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ] بقطعة [أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ

هُدًى] ما يهتدى به من طريق او اثر معمورة او انسان يدلنى على الطريق وكان موسى (ع) غيوراً لا يمشى مع الرفقة لشلا يرى زوجته الاجنبى فلما دهمه ظلمة الليل وتفرق ما شئت واصابهم برد شديد وابنتيت زوجته بمرض الطلق واراد ان يوقد النار ولم ينقدح زنده واضطرب اضطراباً شديداً ورأى ناراً استأنس بها وقال لاهله تسليه لها انى آتست ناراً وترك الماشية واهله وذهب الى النار [فَلَمَّا أَتَيْهَا] متعلقاً قلبه باهله وما شئت لانه تركها بحال لا يجوز العقل تركها بتلك الحال [ثَوْدَى يَامُوسَى إِنِّى أَنَارْتُكَ] قرئ بفتح همزة انى وكسرهما [فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى] الوادى المفرج بين الجبال والتلال والآكام وطوى قرئ منصرفاً وغير منصرف باعتبار كونه علماً للوادى وعلماً للبقعة وسمى مقدساً لانه بورك فيه بسعة الرزق والخصب كما قيل ، اولاته كان مطهراً من عصيان بنى آدم ، اولاته قدست فيه الارواح واصطفيت فيه الملائكة وكلم الله موسى تكليماً كما فى الخبر ، وسمى طوى لانه كان مطوياً فيه العلوم ، او الملائكة والبشر ، او الخير والبركة ، او عالم الطبع والكثرات ، او الخلق والحق وامره بخلع نعليه لان الحفاء اقرب الى التواضع ، ولان يلاصق قدمه الوادى فتترك به ولان النعلين كانتا كناية عن الاهل ، او عن الاهل والمال كما يعبران فى الرؤيا بالمتكوحه ، اولاتهما كانتا كناية عن خوف ضياع ماله واهله ، او عن خوف ضياع اهله وخوف فرعون فأمره بخلع حبة الغير او خوف الغير من قلبه ، وما نقل من طرق العامة من انهما كانتا من اهاب الميتة فأمره الله بخلعها ؛ ورد صريحاً تكذيبه من طريقنا .

اعلم ، ان الانسان من اول طفولته مبتلى بمشتهياته الحيوانية ومقتضياته النفسانية فهو بعد البلوغ اما يقف عليها ولا يعرف من الدين والملة سوى ما اخذه واعتاده من الآباء والاقربان ، او يظهر فى وجوده زاجراً لله فيزجره عن الوقوف على الحيوانية وهو اما يقف على هذه الحالة ويتحير فى امره حتى يدركه الموت وهو حال اغلب الناس او يصل بهيجانه وانزجاره الى زاجر آلهى ظاهرى من نبي او خليفة ويسلم نفسه له وقبل منه الاحكام القالبية الظاهرة فى اى دين وملة كان ، وهو اما يقف عن طلبه ويكتفى بالاتصال بالزاجر الآلهى وظواهر الاحكام القالبية وهو حال اغلب المليئين ، او يتهيج لطلب بواطن الاحكام القالبية ويطلبها ، وهو اما يقف ويتحير حتى يدركه الموت ، او يصل الى من يدلّه على طريق معرفة بواطن الاحكام ؛ وهذا اما يكتفى بالوصلة البشرية والبيعة الولوية ، او يزاد بذلك شوقه الى معرفة البواطن وشهود الغيب ؛ وذلك اما يقف على هذه الحال حتى يدركه الموت او تتركه العناية الآلهية وتوصله الى مقام من النفس يرى فيه مظاهر الله ويسمع صوت الله من مظاهره وهذا اول مقام الاطلاع على الغيب والالتذاذ ببواطن الشرع ، وهذا اول مقام يصلح العبد لان يرجعه الله الى الخلق للدعوة والتكميل فان دعوته هناك تكون على بصيرة ويصير العبد من اتباع محمد (ص) الذين اشار اليهم بقوله تعالى : قل هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة انا ومن اتبعنى ؛ سواء كان من امة محمد (ص) او من الامم الماضية ، ولما كان الانسان مفتطوراً التعلق بالكثرات ولا يبلغ الى هذا المقام الا من طرح الكثرات وازال الانانيات كان الله تعالى اذا اراد ان يبلغ عبده الى هذا المقام ابتلاه بالبلايا الواردة النفسية والبدنية والحقيقية والخلقية حتى ينزجر غاية الزجرة ويستوحش غاية الوحشة وينصرف من الكثرة الى الوحدة ولذلك يظهر قبل ظهور صاحب الامر الدجّال والسفّيانى ، وقبل خراب الدنيا بأجوج ومأجوج ، ولما اراد الله تعالى ان يبلغ موسى (ع) الى هذا المقام وكان شديداً لاهتمامه بالكثرات وحقوقها سلط عليه البرد وظلمة الليل وتفرق الماشية ومخاض المرأة وعدم انقذاح الزندة وضلال الطريق حتى دهش غاية الدهشة واستوحش غاية الوحشة ، ثم آراه نوره بصورة النار وبلغه الى ذلك الوادى وذلك الوادى واقع بين جبلى

انانية الله وانانية العبد ومطوى فيه الخيرات والبركات ومجتمع للملك والبشر والخلق والحق ، ومطوى فيه انموذجات العلوم كلها والآيات جلّتها ، وهذا هو طور النفس ومرتفعها وفناء دار التوحيد فان الطور اسم للجبل ولفناء الدار كما انه علم لجبل قرب ايلة يضاف الى سينا وسينين وعلم جبل بالشام ، وقيل : هو يضاف الى سينا وسينين ، وعلم جبل بالقدس عن يمين المسجد ، وآخر عن قبلته به قبر هارون ، وجبل برأس العين ، وجبل مشرف على الطبرية وعلم كورة بمصر ، وعلم بلد بنواحي نصيبين [وَأَنَا اخْتَرْتُكَ] معنى للرسالة والوحى ، وقرئ أنا اخترناك بفتح الهمزة وتشديد نون انا ، واخترنا بصيغة المتكلم مع الغير [فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ] للوحى اولئذى يوحى اليك [إِنِّي أَنَا اللَّهُ] بيان لما يوحى [لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا] لما كان اساس الرسالة واصل الاصول والفروع فى الدين هو التوحيد كان الله تعالى يوحى بتوحيده الآلهة والعبادة اول ما يوحى [فَاعْبُدْنِي] اى صرعبداً لى بغير وجحك من رقيبتك لنفسك وللشيطان ومن شراكة نفسك والشيطان لله فى عبديتك او اعمل لى عمل العبيد [وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي] اى لان اذكرك ولاشرف اشرف منه يعنى ان الصلوة ذكرك لى وذكرك لى مستعقب لذكرى لك ، اولان تذكرنى اولمحض ان تذكرنى من غير شوب غرض آخر فيها ، او المعنى اقم الصلوة لحصول ذكرى بمعنى انك كلما تذكرتنى فتوجهت وجهها تاماً حتى تقيم الصلوة ولا تكن كمن يذكركنى ذكر ناقصاً من غير توجه والتفات ، او بمعنى انك كلما ذكرت الصلوة المنسية بان ذكرتنى وذكرت امرى وتذكرت نسيان الصلوة المنسية فأقمها ، او بمعنى اننى ذاكر لك بالذكر العام مداماً يقتضى ذلك ان تكون متوجهاً الى توجهها تاماً وقد سبق فى اول البقرة معانى الصلوة ، وتحقيق اقامتها ، وان اقامة الصلوة عبارة عن اقبال الصلوة القلبية بالصلوة الذكرية القلبية وايصال الصلوة الذكرية بالصلوة الفكرية الصدرية ، وايصال الصلوة الفكرية بالصلوة القلبية الحقيقية ، وايصال الصلوة القلبية بالصلوة الروحية .

واعلم ، ان الذكر كما سبق بيانه فى سورة البقرة عند قوله تعالى فاذا كرونى اذكر كم له مراتب ودرجات وان الذكر الحقيقي وحقيقة الذكر هو خليفة الله فى الارض ، فانه وان كان بحسب ملكه مخفياً كونه ذكر الله لكنه بملكوته ذكر جلّى لله بحيث يلتبس على غير ذى البصيرة التامة انه هو الله لظهور المحكى به بحيث يختفى البينة ويغلب حكم الظاهر على المظهر ، وان المقصود من الاذكار والاعمال التى يقررها صاحب هذا الامر على السالك هو حصول هذا الذكر فانه غاية الغايات ونهاية النهايات ، فالمعنى على هذا اقم الصلوة واوصل مراتبها كلاً بالآخرى لتحصيل هذا الذكر والحصوله يعنى ان لم يكن هذا الذكر حاصل لك فاقم الصلوة ليحصل لك لانه هو البغية العظمى والغنية القصوى ، وان كان هذا الذكر حاصل لك فاقم الصلوة شكراً لهذه النعمة واستتماماً لتلك البركة [إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ] تعليل لقوله : اقم الصلوة لذكرى فان الساعة فسرت فى الاخبار بساعة ظهور القائم (ع) ، وبساعة الموت ، وبالقيامة ، وهذه الثلاث فى العالم الصغير متحدة فان ظهور الامام (ع) بملكوته لا يكون الا عند الموت الاختيارى كما انه لا يكون الموت الاختيارى الا عند ظهور الامام (ع) وعند الموت يكون القيامة الصغرى ، وكما يكون ظهور الامام (ع) فى الموت الاختيارى يكون فى الموت الاضطرارى ايضاً كما فى الاخبار فعلى هذا كان المعنى اقم الصلوة منتظراً لظهور الامام (ع) بملكوته لان ساعة ظهوره آتية لا محالة فانظرها [أَكَاذُ خَفِيهَا] قرئ بضم الهمزة من الاخفاء بمعنى جعل الشيء خفياً ، او بمعنى سلب الخفاء عن الشيء ، وقرئ بفتح الهمزة من خفاء بمعنى اظهره ، ولكن فى الاخبار اشارة الى معنى السر ، ولما كان ظهور الساعة من الامور الخفية التى لا يطلع عليها النفوس الضعيفة بل الكاملة الا صاحب الولاية المطلقة الذى يطلع على دقائق الامور وخفياتها ولذلك قال على (ع) :

قد خصّصت بعلم المنايا والبلايا؛ فإن المراد بالمنايا أنواع موات الإنسان في السلوك وفي البرازخ، وأنواع ظهورات الساعة والقائم عجّل الله فرجه والمراد بالبلايا أنواع الامتحانات للخلاص من حجب ظهور الساعة والامتحان لظهور الساعة فرج العلم بكيفية ظهورها ووقت اتيانها وفي اخبارنا: اكادا خفيها من نفسي، وقيل: اكادا خفيها من نفسي هكذا نزلت، وانه في قراءة ابي كذلك، وهذه الكلمة يقال عند المبالغة في اخفاء شيء من غير اعتبار واخفاء من النفس، والمراد بقوله تعالى: من نفسي: من خيفتي، فان خليفته في الارض بمنزلة نفسه [لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى] لتعيل لقوله: ان الساعة آتية، لان ظهور القائم (ع) يوجب اعطاء كل ذي حق حقه، او تعيل لقوله: اكادا خفيها لان في الاخفاء وعدم الاظهار يحصل الابتلاءات والامتحانات والتخليصات للسالكين في الدنيا وللمسيئين في البرازخ بعد الموت على ان يكون المراد بالساعة القيامة الكبرى والقيام عند الامام بعد الخلاص ممّا عليه من شوائب المساوي والابتلاءات جزاء ما فعله العبد باقتضاء نفسه ومشتبهاتها، او تعيل لكل منهما على سبيل التنازع، والجزاء امّا بعين ما تسعى بناء على تجسّم الاعمال، او بجزاء ما تسعى، وفي الآية على ما فسرت اخيراً دلالة على ما قالته الصوفية من ان السالك ينبغي ان يكون منتظراً لظهور صاحب الامر (ع) وان لا يكون منظوره من جملة اعماله الا ظهور صاحبه، وفي قوله: اقم الصلوة لذكرى ايماء الى حصر المقصود من الاعمال في الذكر باعتبار مفهوم الفيد [فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا] اي عن اقامة الصلوة لذكرى او عن الصلوة لذكرى او عن الساعة اي عن ساعة ظهور الامام عجّل الله فرجه [مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا] في مرجع هذا الضمير ما في مرجع ضمير عنها [وَاتَّبَعَ هَوَاهُ] من قبيل عطف العلة او المعلوم [فَتَرُدُّ] فان في الصد عنها صرفاً عنها وفي الصرف عنها توجهها الى الدار السفلى وحركة فيها لان النفس متحركة وخارجة بالتدريج من القوة الى الفعل، واذا انصرفت عن الدار العليا توجهت لامحالة الى الدار السفلى وتحركت في دركانها وفيها هلاكها [وَمَا تَذَكَّرُكَ بِمِثْلِكَ يَا مُوسَى] لما صار موسى (ع) في غاية الوحشة والدّهشة والاضطراب من خوف ضياع ماله وعياله ورؤية غرائب لم يكن يرى قبل ذلك مثلها من اشتعال نار بيضاء من شجرة خضراء من اصلها الى فرعها لم تكن تضرب النار بخضرتها واهواء النار اليه كلما اراد ان يأخذ منها وتكلم متكلم من النار، سأل تعالى عن احب الاشياء اليه حتى يشتغل به ويأنس من وحشته ويسكن من اضطرابه فان الاشتغال يسكن الاضطراب خصوصاً اذا كان في حق المحبوب ومع من كان الاضطراب منه ولذا بسط موسى (ع) في الجواب و [قَالَ هِيَ عَصَايَ] وزاد على قدر الجواب قوله [أَتَوَكَّلُ عَلَيْهَا] اي اعتمد في المشي او حين اريد ان اقوم على غنمي [وَأَهْشُ بِهَا] اي اخبط الورق من الاشجار [عَلَى غَنَمِي وَلَيْسَ فِيهَا مَأْرَبٌ أُخْرَى] مثل سوق الغنم بها ودفع التذنب حين تعرضه، والاستظلال بسببه بان كان يركزها في الشمس ويعرض الزندين على شعبتها ويلقى عليها كسائه، وتطويل حبل الدلو بها اذا قصر، وغير ذلك، واجمل المأرب مع انه كان اقتضاء بسط الجواب ان يبسط المأرب امّا للاستحياء، او لعدم مساعدة قلبه على اكثر من ذلك لشدة اضطرابه، وايضاً لما اراد الله ان يجعل عصاه آية نبوته وآية ان الكلام رحمانى لا شيطاني اذ قيل: ان موسى (ع) شكك في ان الكلام شيطاني او رحمانى، وقيل: انه (ع) بعد ما سمع اني انا الله من الشجرة قال: ما الدليل على ذلك؟ - سئل من عصاه حتى يتنبه انه جماد ميت ويتذكر ذلك فلا يشك اذا صارت حية حية في انه آلهى لا شيطاني [قَالَ] الله تعالى [الْقَبْهَا يَا مُوسَى] فآلقها فآذا هي حية تسعي تتحرك سريعة، قيل: لما القبها صارت حية بغلظ العصي فعظمت وصارت ثعباناً عظيماً، ولذلك سمّاها جاناً نارة، وثعباناً اخرى، او صارت من اول الامر بعظم الثعبان لكنها تتحرك سريعاً مثل الجان، ولما

لم يرد بكونه وزيراً محض المعاونة في الامر بل اراد ان يكون شريكه في الرسالة ايضاً حتى يكون اهتمامه بالامر مثل اهتمام موسى (ع) [كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا] لما كان عماد امر الرسالة والعبادة هو التسبيح والتحميد بل كان اساس جملة الامور على الطرح والاخذ والخلع واللبس الذين صورتهما الزكوة والصلوة والتسبيح والتحميد والتبري والتولي، جمع في غاية مسئوله بينهما وجعل غاية سؤال الموازنة ذلك للاشعار بان منظوره من السؤال ليس الا ما هو ملاك جملة الامور وفيه اشعار بان الاجتماع اذا كان على سبيل الموافقة يعين على جهة العبادة [إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا] اعتذار عن سؤال وزارة هارون بأنك بصير باحوالنا وانتي منفرداً لا اقدر على امضاء هذا الامر وان هارون اولى من غيره لوزارتي وانتي لم ارد من هذا السؤال الا لتكثير التسبيح والذكر، واستندر لك لنقصان سؤاله بمعنى لكنك كنت بنا بصيراً فان تعلم انه لا يصلح لي هذا المسؤل، ولا يصلح هارون للوزارة، ولا خير لي في شرح صدرى وتيسير امرى فلا تجب مسئولي [قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى] قيل في هذا دلالة على انه اراد بقوله واحلل عقدة من لساني العقدة الباطنية لان لكنه لسانه الظاهر كانت باقية بدليل قوله تعالى حكاية عن فرعون: لا يكاد بين [وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى] كما مننت عليك في هذه المرة بتشريف الرسالة وباجابة مسؤلِكَ [إِذَا وَحْيُنَا] ظرف لمننا او بدل من مرة اخرى ان اعتبر فيها معنى الظرفية فان المرة بمعنى الفعلة من الفعل السابق عليها لكنها قد يعتبر فيها معنى الظرفية بتقدير الزمان قبلها [إِلَى أُمْلِكَ] حين تولدك وخوفها من قتلِكَ [مَا يُوْحَى] ما ينبغي ان يوحى ولا يترك لترتب المصالح العديدة عليه من انجاء بني اسرائيل من القبطي، واهلاك اعداء الله، واحياء العالم بانتشار صيت الرسالة والوحى كان الهاماً، او على لسان نبي وقتها او كان بتحديث الملك في المنام او في اليقظة [أَنِ اقْلُدْ فِيهِ قِيَ السَّابِقِ] ان تفسيرية وتفسير لما يوحى او مصدرية وبدل من ما يوحى بمعنى او حين اليها ان تصنع تابوتاً لا ينفذ الماء فيه وان تلقيتك فيه [فَاقْلُدْ فِيهِ] اى التابوت او موسى (ع) [فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ] تكرر عدو لمطلوبية تكرر التذمائم عند التذم ولان جهة عداوة كل غير جهة عداوة الآخر [وَأَلْقَيْتُ] عطف على او حيناً والتفاوت في المسند اليه اما لان الوحي لا يكون الا بواسطة او وسائط، والقاء المحبة ليس الا بلا واسطة، او للاشارة الى تشريف له بانه تعالى بنفسه القى المحبة اليه دون الوحي الى امه او لمحض التفنن وتجديد النشاط [عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ] عظيمة او حقيرة [مِنْ] صفة لمحبة بمعنى القيت عليك محبتى فصرت محبوباً لي، ومن صار محبوباً لي بصير محبوباً للكل لان محبة كل الموجودات رقيقة من محبتى فاذا تعلق محبتى بشيء تعلق بذلك الشيء محبة جميع الموجودات لميل كل المحبات الى اصلها الذى هو محبتى، او بمعنى القيت عليك محبة الناس من قبلى لامن جانب الاسباب مثل الجمال والكمال، او بمعنى القيت عليك محبتك لي فصرت محباً لي فصرت محباً لك لان كل محبوب يحب محبة، او بمعنى القيت عليك محبتك للناس فصرت محباً للناس فصار الناس محباً لك ومنى ظرف لغو متعلق بالقيت بهذين المعنيين وكان موسى (ع) بحيث كلما رآه احبه، ولذلك اجاب فرعون زوجته آسية في قولها: قرّة عين لي ولك لا تقتلوه [وَلِتَصْنَعَ] عطف على محذوف اى لتصير محبوباً ولتصنع او متعلق بمحذوف معطوف على القيت اى فعلت ذلك لتصنع [عَلَى عَيْنِي] يقال فلان على عيني اى يكرم عندي، او المراد على ديدباني يعنى مكرماً على ديدباني الموكّل بك ولتشريف موسى (ع) بالنسبة الى سفينة نوح (ع) قال ههنا على عيني وهناك اصنع الفلك باعيننا [إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ] متعلق بالقيت او بتصنع يعنى

لتربى وتكمل على عيني وقت وقوعك في يد فرعون ومحبتك لك وطلبه مرضعة لك وعدم التفامك ثدياً وانتظارهم وتوقعهم ارتضاعك وحاجتهم الشديدة الى مرضعة ترضعك اذتمشي اختك [فَتَقُولُ] لهم [هَلْ أَذِلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ] وسألوهم اختك الدلالة عليها واحضر فرعون أمك وسلمك اليها للارضاع باجرة ومؤنة [فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ] أمك اوانت [وَقَتَلْتَ نَفْسًا] عطف على اوحينا والمراد بقتل النفس قتل القبطي الذي كان منازعاً مع السبطي فبطشه كما سباني [فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ] بان الهمناك ودلناك على الخروج من مصر [وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا] ابتليناك من اول انعقاد نطفتك بانواع البلايا لتكون عبرة للنظرين والسامعين لها وحجة على الجاحدين المنكرين لقدرة الله الخادعين مع الله بان جعلنا انعقاد نطفتك على باب قصر فرعون في ليل كان فرق بين نساء بني اسرائيل ورجالهم، وحملت بك أمك في عام كان فرعون وكل فيه بنساء بني اسرائيل نساء من القبطي يفتش النساء لاستظهار الحمل، ويستحيين حياتهن ولم يظهر حملك عليهن، وولدت في عام كان فرعون يقتل كل مولود ذكر اسراييلي فيه فألقيت على المرأة الموكلة بأمك محبة لك حتى قالت لأمك لا تحزني واصنعني به ما شئت ولم تخبر بك، والفتك أمك في البحر فسلمتكم من الغرق وسائر آفات البحر، وسلمتكم الى فرعون وألقيت محبتك في قلبه، وربيتك في حجر علوك حتى استدعى من أمك ان ترضعك باجرة، وابتليتك بان هم فرعون بقتلك غير مرة فسلمتكم، وبان قتلت نفساً منهم ففرت خوفاً منهم من غير رفيق وزاد وراحلة الى مدين فسلمتكم الى مدين والى نبيي شعيب وزوجتك ابنته، وابتليتك بان آجرت نفسك عشرين لرحى ما شئت بان صرت محبوساً بتلك الاجارة وكان كمالك في ذلك الحبس، وبعد ما خرجت من مدين ابتليتك ببرد شديد وظلمة شديدة وضلال الطريق وتفرق الماشية ومخاض المرأة وعدم انقذاح الرشد حتى اخلصتك لمناجاتي وكلامي بذلك [فَلَبِثْتَ سِنِينَ] عشر [فِي أَهْلِ مَدْيَنَ] على ما روى انه اتم ابعد الاجلين [ثُمَّ جِئْتَ] من مدين الى اوالى ههنا اوالى مصر مشتملاً [عَلَى قَدَرٍ] اي مبلغ يبلغ الرجال فيه الى الكمال، او على طاقة لحمل أعباء الرسالة، او على قوة في بدنك ونفسك، او على ما قدر لك من فضل الرسالة [يَا مُوسَى] في تكرار النداء لطف من الله والتذاد للمنادي [وَأَصْطَفَيْنَاكَ] مبالغة في الصنع يعني خلقتك وربيتك وأكملتك كمالاً ينبغي بحال الكمل من الرجال خاصاً [لِنَفْسِي] هذا غاية تشريف وتكريم له (ص)، ولما كان مراده ان يرسله الى من هو خائف منه ذكر قبل ذلك ما من به عليه مرات عديدة ليكون على ذكر من ذلك ويتسلى بذلك عن خوفه ويكون على قوة من القلب حين الذهاب الى فرعون وقال تعالى [إِذْ هَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ] كما سأله [بِأَيَاتِي] الى فرعون وقومه اسقطه ههنا بقرينة السابق واللاحق [وَلَا تَنِيًّا] لا فتراً [فِي ذِكْرِي] الذي اخذتمناه من شيخكما للدوام عليه اوفى تذكرى والتوجه الى بقلوبكما حيثما تقلبتما، اوحين الدعاء الى، اوفى رسالتي، اوفى ذكرى بالاستكم عند فرعون [إِذْ هَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ] تأكيداً للاول ولذلك لم يأت بأداة الوصل [إِنَّهُ طَغَى فَقَوْلَاهُ قَوْلًا لَّيِّنًا] قولاً بمعناه المصدري، او بمعنى المقول مفعول مطلق او مفعول به [لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى] عن الكاظم (ع) واما قوله : لعله يتذكر او يخشى، فانما قال ذلك ليكون أحرص لموسى (ع) على الذهاب وقد علم الله عز وجل ان فرعون لا يتذكر ولا يخشى الا عند رؤية البأس، والتذكر كناية عن الرجاء، والخشية هي الخوف [قَالَا] يعني قال موسى (ع) قالا وهارون (ع) حالا، او قال موسى (ع) وضمير التثنية للتغليب، او قالا بعد رجوع موسى (ع) الى مصر واعلام هارون (ع) بالرسالة [رَبَّنَا إِنَّا أِذَا خَافُ أَنْ

يَفْرُطَ عَلَيْنَا] اى يسبقنا ويسبق آياتنا بقوته وعقوبته اويسرف علينا، وقرئ يفرط مبنياً للمفعول وللفاعل من افرطه اذا حمله على المعالجة ، او من افرط اذا اسرف [أَوْ أَنْ يَطْغَى] يعنى نخاف من قساوته وعن ملكه ان يسبقنا بالعقوبة، او يظهر بالنسبة اليك ما لا ترضاه ولا تتحمله [قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا] معية خاصة غير المعية المطلقة التى تكون لى مع كل شيء فتمنعه معيتى لكما عن الاسراف عليكما وعن الطغيان على [أَسْمَعُ] منه ما لا تسمعه [وَأَرَى] منه ما لا تراه منه فاصرف عنكما شره فى كل حال وانصر كما من حيث لا ترون ولا يرى [فَأَتِيَاهُ] اى اذا كنت معكما اسمع وارى فأتياه من غير خوف منه متكلين على نصرتى [فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ] تثنية الرسول ههنا وافراده فى الشعراء للإشارة الى وحدة الرسالة وتعدد الرسولين [فَأَرْسِلْ] اى اطلق من الاستعباد وارسل [مَعْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ] الى ما نشاء من البلاد ، وارسل من العذاب معنا بنى اسرائيل سواء كنا فى مصر او فى غيرها [وَلَا تُعَذِّبُهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ] جواب سؤال مقدّر او مذكور حين التكلّم محذوف حين الحكاية كأنه قال: وهل لكما ما يدل على صدقكما؟ فقالا: قد جئنا بآية دالة على صدقنا فى رسالتنا من ربك، وتكرار ربك للاشعار بانه مريبوب وليس برب كما ادعاه ، وهذا جزء مقول القول الذى امر به او كلام منهما والتقدير فجاءا وقالاه ما قاله تعالى فقال: ما الدليل؟ قالوا: قد جئناك (الى آخر الآية) [وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مِنْ أَتْبَعِ الْهُدَى] يعنى أظهر ادعوا كما عنده وأظهر ان لكما آية على دعوتكما ، ثم حثياه بتحية المتاركة بنحو التعريض بفضاله ودعائه الى اتباع الهدى ، او قولاه : السّلامة على من اتبع الهدى ، وعلى هذا ف قوله [إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى] كان فى موضع تعليل ، وعلى الاول كان جواباً للسؤال عن حالهما فى رسالتهما ، هذا اذا كان قوله : قد جئناك محكيّاً بالقول ، واذا كان منهما حين الورود على فرعون كان قوله : والسّلام على من اتبع الهدى (الى آخر الآية) من قولهما ، وارتباطه بسابقه كان ظاهراً [قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى] نادى موسى (ع) لانه كان الاصل وهارون (ع) كان فرعاً ، او اراد ان يتكلّم موسى (ع) حتى يظهر على الحاضرين عجزه عن التكلّم ووهنه فى ادعائه ، ويدل عليه قوله ام انا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين [قَالَ] موسى (ع) لما خصّه بالتداء اجاب هو عنه فقال [رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ] قرئ بسكون التلام مفعولاً ثانياً لا عطى ، او مفعولاً اولاً اى اعطى كل شيء خلقه وايجاده او خلقه وصورته الثلاثة به ، او اعطى كل شيء نظيره فان كل شيء من الحيوان له نظير من الذكر والانثى ، وهكذا من النباتات والمعدن حتى العناصر فان الارض نظيرها المرافق لها هو الماء مثلاً ، وقرئ خلقه فعلاً ماضياً صفة لشيء والمعنى اعطى كل شيء من الاعيان الثابتة والتعبينات الظاهرة فى مقام علمه كل ما يحتاج اليه من الوجود ولو ازمه من الكمالات الاولى الثلاثة بحال كل الكمالات الثانية ويكون قوله خلقه [ثُمَّ هَدَى] بياناً وتفصيلاً لقوله اعطى كل شيء ، ومعنى خلقه اعطاه وجوده وكمالاته الاولى ، ثم هده بالاراءة او الايصال الى الطريق او الى المطلوب الى كمالاته الثانوية الاختيارية فى المختارين ، او الاضطرابية فى المضطرين ، والتعبير عن اعطاء الكمالات الثانوية بالهدى للاشعار بان الوصول الى الكمالات الثانوية غير محتوم بل قد يكون وقد لا يكون ، وقد اجابه (ع) بجواب لا يمكنه التلبس والتحمويه على الحاضرين فانه اجابه بعموم الربوبية التى لا يمكنه انكاره ولا نسبة مثله بالتمويه الى نفسه كما قال نمرود : انا احبى وأميت ؛ ولذلك بهت ولم يجر جواباً بالنقض والحل ، وانتقل الى سؤال آخر و [قَالَ فَمَا

بِالْقُرُونِ الْأُولَى] ما حالهم بحسب البقاء والفناء؟ والخير والشر؟ والنعمة والتعنة؟ والمنازل والامكنة؟ اعرض عن السؤال الاول وسأل عما يعجزه في الجواب لانه ان كان يجيب ببيان احوالهم يصير عاجزاً عن اقامة دليل عليه يفهمه السامعون ولهذا أجابه بما لم يطالبه فرعون بدليل عليه و [قَالَ عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي] يعني ان حالهم من الغيب الذي لا يطلع الله احداً عليه الا من ارتضاه ولو كنت اعلم منه شيئاً باعلام الله لا يمكنني افهامك وافهام امثالك [فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي] هو صفة كتاب بتقدير العائد اي لا يضل عنه وعن طريقه قبل العلم [وَلَا يَنْسِي] بعد العلم به او مستأنف جواب لسؤال مفترى، ولما اعرض فرعون عن جواب سؤاله الاول ولم يتعرض له بالرد والقبول اذى موسى (ع) جواب سؤاله الثاني بحيث انجر الى الجواب الاول حتى اضطر الى القول او بهت كما بهت اولاً حتى يظهر عجزه على الحاضرين فقال [الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمُ فِيهَا سُبُلًا] نهتدون بها الى غير بلادكم لتحصيل منافعكم وما نحتاجون اليه ، وسبلاً لتحصيل معايشكم من الزراعات والتجارات والصناعات ، وسبلاً لتحصيل منافعكم الاخرى من الانبياء (ع) وشرائعهم وخلفائهم (ع) [وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ] من جهة العلو [مَاءً فَخَازِنَ جَنَابِهِ] قيل: هو النفثات من الغيبة الى التكلم وهو صحيح اذا كان المتكلم هو المتكلم وليس كذلك ، وقيل: هو كلام من الله مربوط بكلام موسى (ع) بان يكون هو من كلام الحاكي مربوطاً بكلام المحكى عنه ومثله كثير في المخاطبات لكن نقول: ان الرسول (ع) حين رسالته وتبليغها قد ينسلخ من انانيته بحيث لا يبقى في وجوده الا انانية المرسل وحينئذ يجوز ان يظهر بشأن المرسل ويتكلم بكلام خاص بالمرسل بعد ان كان يتكلم بكلامه من حيث رسالته ويكون الكلامان متصلين بحيث يظن انهما من واحد فيجوز ان يكون الكلام الثفاناً من الغيبة الى التكلم بهذا الاعتبار كأنه صار الرسول مرسلًا فقال : فاخر جنا به [أَزْوَاجًا] اي اصنافاً وانواعاً فان كل صنف ونوع من النباتات له كالحيوان قسمان مثل الذكر والانثى من الحيوان ، او اطلاق الارواح باعتبار ان كل صنف من اصناف النباتات له نظير او نظائر من نوعه ، او باعتبار ان كل صنف بملاحظة تركبه من العناصر زوج ، او بملاحظة تعينه ووجوده زوج [مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى] متفرقة مختلفة في الشكل واللون والزهر والحب والثمر والمزاج والخاصية ووقت النبت ووقت الحب والثمر وغير ذلك قائلين [كُلُّوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ] ان في ذلك لايات عديده دالة على علمه تعالى وقدرته وحكمته البالغة وعلى اهتمامه بشأن المواليد الارضية ولا سيما بالاشرف منها وهو الانسان وعلى انه لا يهمل الانسان بحسب بقائه في الآخرة الذي هو المقصود من خلقه في الدنيا بدون تهية اسباب بقائه وبدون من يذره على بقائه وما به بقاؤه بنحو امرضى له وليست الآيات لكل الموجودات لان بعضهم غنى عن اظهار الآيات كالملائكة ، وبعضهم لا يدركون منها كونها آيات بل للانسان وليست لكل فرقة منه بل [لِأُولَى النَّهْيِ] الذين حصلوا بقبول الولاية واتباع شروط عهده عقلاً يكون مرجعاً ومنتهى لكل الاعضاء والجوارح بحسب افعالها ، ولكل القوى والمدارك بحسب آثارها ، وناهيًا لكل عملاً لا ينبغي ، ومنتهى لعلوم السابقين ، وقد اشير في الخبر الى كل وعلم من ذلك وجه تسمية هذا العقل بالتهية ، ولا يحصل هذا العقل الا بالولاية ، لان من لم يتول ولياً امره تمكن الشيطان من عنقه ، ومن تمكن الشيطان من عنقه لم يدعه على حال ولم يذره على شأن فلم يكن له جهة واحدة يرجع الكل اليها فكان كرجل متشاكس فيه رجال والاصل في الاتصاف بالتهية هم الائمة (ع) ولذلك فسروا اولي النهي بانفسهم بطريق الحصر ، والفرع في ذلك شيعتهم وليس لغيرهم منه حظ ونصيب ، وورد عن النبي (ص) ان خياركم اولو النهي قيل : يا رسول الله ومن اولو النهي ؟ قال : هم اولو الاخلاق الحسنة والاحلام الرزينة ، وصلة الارحام والبررة بالامتهات والآباء

والمتعاهدون للفقراء والجيران واليتامى ويطعمون الطعام ويفشون السلام في العالم ويصلّون والناس نيام غافلون
[مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ] .

اعلم ، ان المخاطب من كل مخاطب هو الفعلية الاخيرة التي هي الصورة التي هو بها هو ، لا الفعلية السابقة
الفانية المستهلكة تحت الفعلية الاخيرة لكن الفعلية الاخيرة بحكم الاحاطة والمعينة مع كل الفعليات السابقة كانت
متحدة ، ويجوز ان يجري عليها حكم تلك الفعليات فصيح ان يخاطب الانسان ويحكم عليه بحكم مادته التي هي مخلوقة
من الارض باعتبار غلبة جزئها الارضى والافى مخلوقة من العناصر الاربعة ، وخلق مادة الانسان من الارض وعودها
اليها ظاهراً ، وخروجها منها بعد عودها اليها باعتبار كونها مادة لهذا الانسان خفي غير ظاهر ، نعم مادة الانسان تخرج
من الارض وتجعل مادة لموالبد اخر او لاناسي آخرين تارات اخربل كرات غير متناهية لكن نقول : ان الانسان له مراتب
دانية طبيعية ومراتب عالية روحانية ، والانسانية لسعتها واحاطتها متحدة مع الكل وصداقة عليها كما ان القرآن له
مصاديق دانية طبيعية ومصاديق عالية روحانية ، وان المنظور من الانسان كالقرآن هي المصاديق الروحانية والمصاديق
الطبيعية منظورة بالتبع وكما ان المرتبة الطبيعية من الانسان خلقت من الارض الطبيعية كذلك المرتبة البرزخية
والمثالية منه خلقت من التراب العليينى البرزخى المثالى او السجىنى البرزخى ، فصيح ان يقول الله تعالى : من الارض
البرزخية او المثالية خلقناكم [وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ] بعد موتكم الطبيعى [وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى] بعد
الانتهاء الى الاعراف من البرزخ ، وقد ورد انه سئل ابو ابراهيم (ع) عن الميت لم يغسل غسل الجنابة ؟ فقال : ان الله
تبارك وتعالى اُعلى وأخلص من ان يعث الاشياء بيده ان الله تبارك وتعالى ملكين خلائقين فاذا اراد ان يخلق خلقاً امر
اولئك الخلائقين فاخلوا من التربة التي قال الله عز وجل في كتابه : منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم
تارة اخرى فمجنوها بالنطفة المسكنة في الرحم فاذا اعجنبت النطفة بالتربة قالوا : يارب مانخلق ؟ قال (ع) فيوحى الله
تبارك وتعالى ما يريد ذكر او اننى مؤمن او كافراً اسود او ابيض شقيماً او سعيداً ، فاذا مات سالت عنه تلك النطفة بعينها
لاغير ، فمن ثم صار الميت يغسل غسل الجنابة ، وهذا الخبر يشرب ما ذكرناه من التربة البرزخية فان التربة التي
تعجن بالنطفة فى الرحم او بعد اربعين يوماً من نزولها فى الرحم ليست الا التربة البرزخية فان النطفة لها كيفية
استعدادية لحصول الجسد البرزخى والمثالى فيها ، وبهذا الاستعداد يخلق الانسان الذى هو امر روحانى فيها ، ولولا
هذا الاستعداد لكان النطفة غير قابلة للصورة الانسانية ولالروحانيتها ، والموت صفة طارية لبدن الانسان والافجها
الروحانية حبة لا يطروها الموت والخارج من بدن الانسان حين موته ليس الا روحه واستعداد النطفة لقبول روحه
والتربة المثالية فقله (ع) فى الخبر : فاذا مات يعنى اذا مات مرتبة الانسان الطبيعية وقوله : سالت عنه ، يعنى عن
تلك المرتبة الطبيعية تلك النطفة يعنى تلك المعجونة بالتربة البرزخية من حيث اعتجانها واستعدادها لامن حيث
ارضيتها الطبيعية وقد زد بمضمون هذا الخبر عنهم (ع) [وَلَقَدْ آَرَيْنَاهُ] بواسطة موسى (ع) [اَيَاتِنَا] من جعل
العصا حية ، والبد البضاء والآيات السابقة على رسالة موسى (ع) من حين ولادته الى خروجه من مصر الدالة على
علمنا وقدرتنا ، وان لا مانع من امضاء مقاديرنا ، وان الماكر معنا بكمكر نفسه ، فيغلب من حيث مكره ، او اعلمناه آياتنا
الدالة على قدرتنا وعلمنا ، وغلبتنا فى اليقظة والنام من المعجزات وغيرها [كُلُّهَا] عموم الآيات وتأكيد العموم
بالكل اضافى لاحقيقى يعنى الآيات التى يمكن اراءتها له [فَكَذَّبَ] موسى (ع) او فكذب الآيات [وَأَبَى] من
الايمان بنا وبرسولنا وزعم ان موسى (ع) مثل ابنا الزمان طالب للملك الدائرو [قَالَ أَجِثْنَا لِنُخْرِجَنَّهُ مِنْ]

أَرْضُنَا بِسِحْرِكَ] فانه حمل الآيات على السحر مثل خوارق العادات التي كان السحرة يأتون بها [يَا مُوسَى
فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا] زمان وعدا ومكان وعدا ووعدا [لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ
وَلَا أَنْتَ مَكَانًا] حال عن موعدا او وصف له او يدل عنه بدل الكل او الاشتغال ، او مفعول أول او ثانٍ لاجعل او مفعول
فعل محذوف [سُوءٍ] قرئ بضم السين وكسرها وهما وصفان بمعنى المستوى اى مكانا يكون مستوى السافة البنا
واليك ، او يكون مستويا لاتلال فيه ولا وهاد حتى يكون جميع النظائر ناظرين البنا واليك من غير حجاب [قَالَ
مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ] وكان ذلك اليوم يوم عيد لهم كانوا يترينون فيه ولذلك سمي يوم الزينة ، وقرئ يوم الزينة
بالنصب وانما وعد ذلك اليوم ليحق الحق ويبطل الباطل على رؤس الاشهاد بحيث لا يخفى على الحاضر والغائب
ولذلك قال [وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى] عطف على الزينة او على اليوم بتقدير مضاف وقرئ مبنيا للمفعول
ومبنيا للفاعل بصيغة الخطاب او الغيبة [فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ] عن موسى (ع) او الى جمع السحرة واسباب السحر
[فَجَمَعَ كَيْدَهُ] ما يكاد به من السحرة واسباب سحرهم [ثُمَّ أَتَىٰ] الى الموعد [قَالَ لَهُمْ] اى لفرعون وقومه
او قال للسحرة [مُوسَىٰ وَيَلَكُمْ لَا تَنْفَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا] مفعول به بناء على تجريده الافتراء عن الكذب او مفعول
مطلق من غير لفظ الفعل وكأنهم ادعوا ان سحرهم من الله كما قال موسى (ع) ان آياتي من الله او سمى موسى (ع) نفيعهم
لكون آياته من الله افتراء على الله بجعل القضية السالبة المدعاة موجبة معدولة كأنهم قالوا : ان الله ليس يرسل هذه
الآيات [فَيُسْحِتْكُمْ] قرئ من باب منع ومن باب الافعال اى يستأصلكم [بِعَذَابٍ] عظيم على ان يكون التنوين
للتهويل [وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَىٰ] يعنى خاب عن مأموله فى افترائه كما خاب فرعون عن مأموله الذى هو بقاء ملكه
فى افترائه السحر ، او خاب عما يرجه فطرة الانسان من المقام مع المقرين [فَتَنَّا زُعُورًا] اى السحرة او قوم فرعون
او السحرة وقوم فرعون جميعا او فرعون وقومه او فرعون وقومه والسحرة ، او الجميع ، او بعضهم مع موسى (ع)
وهارون (ع) فى ان امرهما سحرا واآلهي او السحرة مع موسى (ع) وهارون (ع) فى تقديم الالتقاء [أَمَرَهُمْ] يعلم مرجع
هذا الضمير بالمقايسة [بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوى] اى السحرة بينهم او قوم فرعون بينهم او السحرة او قوم فرعون
ناجوا فرعون واسرؤا النجوى عن موسى (ع) وهارون (ع) او عن آخرين [قَالُوا] بيان لاسرؤا النجوى ولذلك
لم يأت باداء الوصل [إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ أِنٍ] قرئ ان بتشديد النون وهذان بالالف وعليها قيل : ان بمعنى نعم من
غير تقدير ، وقيل : بمعنى نعم بتقدير مبتدأ بعد التلام ليكون دخول التلام على المبتدأ ، وقيل : ان ملغاة عن العمل ،
وقيل : تقديره انه لهذا بتقدير ضمير الشأن ، وقيل : ان هذه الالف ليست الف انتثنية وانما لحق بالالف هذا نون
التثنية ، وفى الكل ضعف من وجه او وجوه ، وقيل : اجرى التثنية بالالف على لغة من يجرى التثنية بالالف مطلقا
فان القرآن نزل باللغات المتفرقة ، وقرئ ان هذان بتخفيف نون ان نافية كانت والتلام بمعنى الا او مخففة من المثقلة
والتلام فارقة ، وقرئ ان هذين ولا اشكال ، وقرئ بتشديد نون هذان بجعل تشديد النون عوضا عن الالف المحذوفة
من هذا ، وقرئ ما هذان لساحران ، وروى عن بعضهم ان هذان لاساحران [يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ]
بالاجلاء او بالاستيلاء عليها والتملك لها وقطع تصرفكم عنها [بِسِحْرٍ هُمَا وَيَذْهَبَا بِطَرَفَيْكُمُ الْمُثْلَى]
اى الفضلى بمحو هذا الدين الذى انتم عليه ونشر مذهب غير مألوف وغير امثل حتى يترأسا على الناس به [فَاجْمِعُوا]

قرئ بقطع الهمزة من باب الافعال وبوصلها اى اجمعوا [كَيْدُكُمْ] المتفرق فى باب المقابلة مع موسى (ع) [ثُمَّ انْتُواصَفًا] فان الاتفاق والاصطفاف فى المناظرة اربع واشد هبة فى الانظار، قيل: كانوا سبعين الفا مع كل عصا وحبل [وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى] وغلب قيل: هذا كان قول فرعون للسحرة، وقيل: قول بعضهم لبعض، او قول قوم فرعون للسحرة [قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّمَا أَنْ تُلْقِيَ وَإِنَّمَا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى] خيره مراعاة للادب وحفظاً لتوقيره لما علموا انه آلهى وليس فعله سحراً ولذلك قدموه على انفسهم فى التخيير، قيل: لهذا الادب والتوقير هداهم الله ولم يكلهم الى انفسهم [قَالَ مُوسَى بَلْ أَلْقُوا] فاته (ع) لم يكثر بما فعلوا وقال القوا حتى يلقوا ويؤثروا بغاية جهدهم ليظهر على الكل غلبته اتكالا على ربه [فَأَلْقُوا] ما صنعوا، وقيل: كانوا قد ملأوا الميدان وكان اوسع ما يكون من الاعمدة والحبال [فَإِذَا جِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى] قرئ بخيل بياء الغيبة مبنياً للمفعول وبناء التانيث مبنياً للفاعل [فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى] ورد انه لم يخف على نفسه وانما خاف على مغلوبيته وغلبة الباطل، والايجاس احساس امر خفى كأنه اشار بلفظ الايجاس الى خفاء الخيفة بحيث لم يظهر على غيره، ولما كان الكامل هو الذى كمل فى جميع مراتبه، وكمال المرتبة البشرية ان يأكل ويشرب وينكح ويصحب ويمرض ويرجو ويخاف لم يكن خيفة موسى (ع) دالة على نقص بنا فى مقام رسالته الكاملة [قُلْنَا] بطريق الوحي [لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى] اكدا الجملة بمؤكدات لان خوفه (ع) كان بمنزلة الشك [وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ] اى العصا [تَلْقَفْ] قرئ بالجزم وبالرفع، وقرئ من الثلاثى المجرد، ومن باب التفعيل، ومن باب التفعّل بادغام تاء المضارع فى تاء المطاوعة، ولقف من باب علم ولقف من التفعّل وتلقف من التفعّل بمعنى بلع، واستعمل لقف من التفعّل فى الابلاع، ويجوز ان يكون تلقف خطاباً لموسى (ع) وان يكون منسوباً الى الضمير المؤنث الراجع الى العصا يعنى تبلع [مَا صَنَعُوا] بالحيل الطبيعية من التصرفات الطبيعية او بالحيل الشيطانية من تمزيج القوى الروحانية مع القوى الطبيعية وترتيب آثار خارقة للعادة عليه، وقد مضى فى سورة البقرة عند قوله تعالى: يَعْلَمُونَ النَّاسَ تحقيق وتفصيل تام للسحر ومعانيه [إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ] وقرئ كيد سحر يدون الالف [وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى] يعنى وان بلغ المقامات العالية من سحره [فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سُجُودًا] يعنى لمالقى موسى (ع) عصاه فلقت جميع ما صنعوا وادارت حول قبة فرعون واحاطت بفكيها قبته وحدث فرعون وهامان كما سذكروا، وراوا ان ذلك ليس الا آلهياً اضطربوا والتجأوا ولم يتماكوا كأنهم القاهم ملق فالفوا سجداً تعظيماً لله وتفخيماً لما راوا [قَالُوا أَمَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى] كأنهم من دهشتهم وتحير قلوبهم لم يمكنهم مراعاة الادب والرتبة فقدّموا هارون (ع) على موسى (ع) لذلك، ولمراعاة رؤس الآى ولم يستأذنوا فرعون وآمنوا قبل ان يقولوا له انه لحق ولا يجوز انكاره ولذلك [قَالَ] فرعون [أَمَنْتُمْ لَهُ] قرئ بهزرة واحدة على صورة الاخبار، وقرئ بهزتين على الاستفهام الانكارى [قَبْلَ أَنْ أَدْنَى لَكُمْ] انه لكبيركم [رئيسكم ومعلمكم فى هذا الفن وكنتم مطلعين عليه وتواطئتم على ذلك] الذى علمكم السحر [نقل انهم ابقوا قبل هذا بان موسى (ع) آلهى لكنهم ارادوا بذلك ظهوره على رؤس الاشهاد فلا قطعن أيديكم وآرجلكم من خلاف] البد اليمنى والرجل اليسرى او بالعكس [وَلَا صَلَبْنَكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ] جمع الجذع وهو اصل

الشجرة واصل اغصانها [وَلَتَعْلَمَنَّ أَينَا] بمعنى اى منا ومن موسى (ع)، او منى ومن رب موسى (ع) [أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ] المعجزات الواضحات والدلائل الظاهرات [وَالَّذِي قَطَرْنَا] عطف او قسم [فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ] فامض اى شىء تريد امضاه من القتل والقطع والصلب والحبس، او فاحكم ما تريد من الاحكام لاننا لا نبالى بعد ما ارانا ربنا مقامنا وحجتنا، قيل: انهم حين سجدوا اراهم الله منازلهم فى الجنة [لَنَمَاتَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا] انما تصنع او تحكم فى هذه الحياة الدنيا ولا صنع لك ولا حكم فى الحياة الآخرة، والحياة الآخرة هى المطلوبة الباقية لا الدنيا، او هذه الحياة الدنيا مفعول به والمعنى انما تمضى وتذهب هذه الحياة الدنيا، والآخرة خير وابقى وقد اخترنا الآخرة على الدنيا ولا نسلط لك عليها [إِنَّا أَمْنَا بِرَبِّنَا] استيناف فى مقام التعليل لقوله لن نؤثرك [لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا] الماضية [وَالْخَطِيئَةُ الْحَاضِرَةُ الَّتِي هِيَ] [مَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ] فى معارضة الآيات الالهية، روى انهم قالوا الفرعون: ارنا موسى (ع) نائماً فوجدوه يحرسه العصا، فقالوا: ما هذا بسحر فان الساحر اذا نام بطل سحره فأبى فرعون الا ان يعارضوه [وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى] منك او من الحياة الدنيا او المقصود ان الله خير منك ثواباً وابقى منك عقاباً، وبدل عليه قولهم فى مقام التعليل [إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا] وعلى الاول يكون تعليلاً لقوله انا آمنا بربنا [فَإِنْ لَهُ جَهَنَّمُ لَأَيْمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى] هذه العبارة صارت مثلاً فى العرب والعجم لمن ابتلى ببلية عظيمة لا يكون له مخلص عنها والمقصود من هذا المثل انه لا يموت عن الحياة الانسانية حتى يصير العذاب عذاباً له، ولا يحيى بالحياة الانسانية حياة خالصة عن شوائب الظلمات الشيطانية فيخرج منها [وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى] الاتيان باسم الاشارة البعيدة للتفخيم [جَنَّاتٌ عِدْنُ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ] قد مضى مكرراً ان المراد بجريان الانهار تحت الجنات جريانها تحت عماراتها او تحت اشجارها او تحت قطعها، وان التحقيق ان الوجود وصفاتها بمنزلة الانهار الجارية من الغيب الى عوالم الامكان وان كل مرتبة عالية من العالم باعتبار الجنة وباعتبار محل للجنة، وان افاضات الحق التى هى بمنزلة الانهار تصل اولاً الى العالم الاعلى وتفيض من تحت ذلك العالم الى العالم الادنى [خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى] من الكفر والمعاصى ومما يشوب انسانيته من شوائب البهيمية والسبعية والشيطانية، ولاقبال نفوسهم على الآخرة ونعيمها وقوة جانب الرجاء بسطوا فى جانب الوعد، ويجوز ان يكون الآيات مستأنفة من الله تعالى [وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى] بمعنى بعدما مكث فيهم اربعين سنة او اكثر يدعوهم الى الله ويظهر لهم الآيات ويزيد فى طغيانهم اوحينا اليه [أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي] بنى اسرائيل من مصر على طرف البحر [فَاضْرِبْ لَهُمْ] اى فاطلب من ضرب المجد كسبه وطلبه، او فاضرب بعصاك البحر يظهر لهم [طَرِيقًا] اى طريقاً بارادة الجنس من الطريق دون الوحدة، فان الطرق الظاهرة كانت اثنتى عشرة او طريقاً منشعباً باثنتى عشرة شعبته [فِي الْبَحْرِ يَبَسًا] وهذا التقدير اوفق بقوله تعالى فى الشعراء فأوحينا الى موسى (ع) ان اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم [لَا تَخَافُ] حال او مستأنف او صفة ثانية لطريقاً اى طريقاً لا تخاف فيه [دَرَكًا] ولحوقاً من العدو او من الغرق [وَلَا تَخْشَى] تأكيد لا تخاف، او المراد لا تخشى من العدو والغرق غير ما اريد من لا تخاف حتى يكون تأسيساً، او المعنى لا تخاف مما يصدكم ولا تخشى على اصحابك فان الخشية تكون متعلقة بمن يشفق عليه ويهتم بأمره كما ان الخوف يكون ممن يهرب عنه، وقرئ لا تخف بالجرم ولا تخشى بالالف، وحبيئذ

يكون لا تخف مجزوماً جواب الامر، او حالاً من فاعل او حيناً، او عن فاعل اضرب بتقدير القول، ولا تخشى يكون مجزوماً معطوفاً عليه ويكون الالف للاطلاق مثل قوله تعالى: وتظنون بالله الظنونا، او يكون مستأنفاً او حالاً بتقدير مبتدئ [فَاتَّبَعَهُمْ] اي ادركهم [فَرَعُونَ بِجُنُودِهِ] مع جنوده، اولفظ الباء للتعدية، او الهمزة للتعدية والمعنى اتبعهم فرعون نفسه مع جنوده فان اتبع استعمل لازماً ومتعدياً، وقرئ اتبعهم من باب الافتعال وحيث ان يكون الباء بمعنى مع اول للتعدية وفي الكلام ايجاز في وضوح، فان المعنى فأسرى موسى (ع) بنى اسرائيل ووصل الى البحر وضرب بعصاه البحر فأظهر لهم طريقاً يبساً فدخل هو وقومه ولحقهم فرعون بجنوده فدخل البحر فلما كان آخر من خرج من بنى اسرائيل من البحر وآخر من دخل البحر من جنود فرعون انطبق الطريق [فَغَشَّيَهُمْ مِنَ اللَّيْلِ مَا غَشَّيَهُمْ] اي غشيهم ماء لا يمكن ان يعرف من عظمتها، وقرئ غشاهم ما غشاهم من باب التفعيل اي غشاهم الله او غشاهم فرعون ما غشاهم من الماء [وَأَصْلَ فَرَعُونَ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى] عطف ما هدى للتأكيد والاشعار بان الاضلال كان مستمراً له وما تغير والمقصود انه اضلهم عن الحق او اضلهم في البحر وهو رد على قول فرعون وما اهديكم الا سبيل الرشاد. روى ان جبرئيل (ع) قال لرسول الله (ص) انما قال فرعون لقومه انا ربكم الاعلى حين انتهى الى البحر فرآه قد بيست فيه الطريق فقال لقومه ترون البحر قد يبس من فرقي فصداقوه لما راوا ذلك فذلك قوله تعالى فأضل فرعون قومه وما هدى [يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ] مربوط بسابقه جواب لسؤال مقدر بتقدير القول وحكاية لما قاله تعالى لهم بعد انجاهم كانه قيل: فما فعل بهم بعد غرق فرعون وقومه؟ وما قال الله تعالى لهم؟ فقال: قال لهم: يا بنى اسرائيل، او منقطع عن سابقه واستئناف وخطاب منه تعالى للحاضرين منهم في زمان الرسول (ص) [قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ] باغراق فرعون [وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ] لمناجاة موسى (ع) وانزال التوراة فانه تعالى اخبر موسى (ع) ووعدته التوراة في بيان شرائعهم واحكامهم ووعد موسى (ع) قومه فعلى تعالى وعد موسى (ع) وعدهم، او المقصود واعدنا جانب الطور الذي هو الصدر المنشرح بالاسلام جانبيه الايمن الذي يلي القلب بشرط وفائكم بشروط عهدكم وميثاق بيعتكم [وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوى] في التيه وقدمضى هذه بالتفصيل في اول البقرة، وقرئ الافعال الثلاثة بالمتكلم وحده قائلين [كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ] طغى يطنى من باب علم، وطنى يطنو من نصر، وطنى يطنى من منع جاوز القدر، وارتفع وعلا في الكفر، واسرف في المعاصي والظلم، وكل المعاني راجعة الى الخروج من انقياد العقل الخارجى او الداخلى ومعنى لا تطفوا فيه لا تتجاوزوا في ما رزقناكم عما حده الله من مقدار الاكل وجهة تحصيل المأكول وآداب الاكل وغاياته والتسمية عليه والتشكر عليه من ملاحظة المنعم في التعمه، او لا تسرفوا بكثرة الوان المأكول او كثرة الاكل او اطعام غير الاهل منه، او بغير ذكر الله، او لا تطفوا في الاكل بان يكون الضمير راجعاً الى الاكل الذى في ضمن كلوا، او لا تطفوا بسبب الاكل، او بسبب ما رزقناكم، او لا تطفوا حال كونكم ثابتين في بين ما رزقناكم، او في الاكل [فَيَحْلِلْ] قرئ يضم الحاء وكسرها كما قرئ يحلل يضم التلام الاولى وبكسرها [عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى] تردى وهلك، او سقط من سماء الانسانية الى الارض التسابعة التى هي دار الجنة والاشقياء.

اعلم، ان الله تبارك وتعالى لا ينتقل من حال الى حال ولا يتغير في وصف ولا حال بل هو تعالى صرف الرحمة وبرحمته اوجد كل الموجودات وأبقاها وليس شيء الا وهو متقوم ومتحقق برحمته الرحمانية وهذه الرحمة في اكثر الموجودات تظهر بحيث تكون موافقة لفطرة نوعها سوى الانسان والجان فان الانسان لكونه مجمع العوالم

وفيه انموذج جميع الموجودات بنصّ علم آدم الاسماء كلها قد نصير تلك الرحمة في وجوده مخالفة الانسانية وصورة نوعه لان قوى جميع الموجودات مودعة في الانسان بحيث اذا خرجت قوة منها الى الفعل كانت مسخرة للانسانية الانسان فاذا صارت فعلية من تلك الفعليات مقابلة للانسانية او مسخرة لها كانت مخالفة لها ومخالفة لخلقها، واذا صارت مسخرة للانسانية كانت موافقة لها وموافقة لخلقها، وتلك المخالفة والموافقة كلتا هما ظهور الرحمة الرحمانية وصوراتها؛ فالغضب والرضا المعبر عنه بالرحمة الرحيمية من طواري فعله لامن صفات ذاته وطروهما لفعله من جهة القابل لامن جهة الفاعل من دون مداخلية القابل [وَإِنِّي لَغَفَّارٌ] عطف على كلوا بجعله في جملة مقول القول المقدّر او على قد انجيناكم او حال من واحدة من الجمل السابقة واجزائه يعني قلنا قد انجيناكم وقلنا انتي لغفار [لِمَنْ تَابَ] على ابدى خلفائنا بالانزجار عن النفس ومشتبهاتها [وَأَمِنْ] بالبيعة العامة النبوية التي هي الاسلام [وَعَمِلَ صَالِحًا] موافقاً لامر من باع على يده البيعة العامة [ثُمَّ أَهْتَدَى] الى ولاية ولي امره بالبيعة الخاصة الولوية والمعنى انتي لغفار لمن تاب التوبة الخاصة الولوية على يد ولي امره بالانزجار عن الوقوف على ظاهر الاحكام القلبية وطلب بواطنها وانموذج معانيها وآمن بالبيعة الخاصة الولوية وعمل صالحاً موافقاً لشروط بيعته ثم اهتدى الى ظهور الامام عجل الله فرجه وبروز ملكوته على صدره ودخوله في بيت قلبه، فانه ما لم يظهر القائم عجل الله فرجه لم يظهر المغفرة التامة، وورد في اخبار كثيرة بالفاظ مختلفة ومتوافقة ان المراد الاهتداء الى الولاية، وانه لا ينفع عمل بدون الولاية، وان العبد لو اجهد نفسه في عبادة ربه بين الركن والمقام حتى يصير كالشن البالي ما قبل الله منه الا كبه الله على منخره في النار، وفي اخبار كثيرة ان الاسلام بني على خمس واسناتها واشرفها الولاية، وان الله فرض على خلقه خمساً فرخص في اربع مشيراً الى الصلوة والزكاة والحج والصوم ولم يرخص في واحد مشيراً الى الولاية، وفي خبر عدّ انتظار القائم عجل الله فرجه من اركان الدين، والاخبار الدالة على ان الاسلام غير الايمان وان الاسلام لا يتجاوز اثره عن الدنيا وان منفعة حفظ الدم والعرض وجواز التناكح والتوارث وان الاجر على الايمان تدل على ان ملاك الامر الاخرة هو الولاية لا غير، وقوله تعالى: ولما يدخل الايمان في قلوبكم؛ يدل على ان الايمان الذي هو الولاية التي هي البيعة الخاصة الولوية وقبول الدعوة الباطنة بها يدخل كيفية ممن يبايع معه في قلب البائع بها يصير البائع ابناً لمن يبايع معه، وبها يستحق الكرامة عند الله، وبها لا يضره سيئة ولو اتى بذنوب الثقلين، وبها يستحي الله ان يعذبه ولو كان فاجراً، وبدونها لا يستحي ان يعذبه ولو كان في اعماله باراً، وبها يرث منازل اهل النار ويؤخذ طينته السجينية مع اعماله السيئة التي هي من لوازم الطينة السجينية وتعطى لعلوه ويؤخذ طينة عدوه العليينية مع اعماله الحسنة اللازمة لطينته العليينية وتعطى له، وبها يصدق عليه العلوي والفاطمي والهاشمي والعالم والمتعلم والعارف والمؤمن والعابد والمتقى، وبها يسمى ولياً لله، وفي خبر ضل اصحاب الثلاثة وثاهاوتها عظيمياً مشيراً الى التوبة العامة والبيعة العامة الاسلامية والاعمال الصالحة القلبية، والاخبار الدالة على ان: من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية، تدل على ان البيعة العامة بدون الاهتداء الى الولاية لا تنفعه في الاخرة، وفي خبر: من اصبح من هذه الامة لا امام له من الله ظاهر عادل اصبح ضالاً ثائهاً، وان مات على هذه الحالة مات ميتة كفر ونفاق، وهو ايضاً يدل على ان الاسلام واحكامها لا يكفي في النجاة بدون الاهتداء الى الامام الظاهر العادل والبيعة معه البيعة الخاصة، والاخبار الدالة على ان الحججة لا تقوم على الناس الا بامام حتى يعرف، تدل على لزوم الاهتداء الى الامام، والآيات الدالة على لزوم الكون مع الصادقين ولزوم ابتغاء الوسيلة الى الله ولزوم الاقتداء وكون الرسالة ليست الا الانذار والهداية للولاية والاخبار الدالة على ان المعرفة والعبادة والعلم لا تكون الا بالائمة (ع)،

وان الولاية هي دليل المعرفة ، وان الرسالة واحكامها حجاب الله تدل على لزوم الاهتداء الى الامام (ع) ، والاخبار الدالة على وجوب التفرع بعد وفاة الامام (ع) وان التافرين في عذر ما داموا في الطلب ، والمتظرين في عذر ما داموا في الانتظار تثبت المدعى ، والاخبار الدالة على منع التفسير بالرأى ومنع العمل بالرأى ومنع الرأى والقياس قرشدا ليه ، [وَمَا أَعْجَلَكَ] عطف على قوله تعالى : يا بني اسرائيل فانه على كونه حكاية قوله تعالى الماضي كان بتقدير القول كأنه قال : قلنا يا بني اسرائيل ، وقلنا ما اعجلك ، او عطف على كلوا سواء كان النداء الاول للماضين او للحاضرين كأنه قال : انجيناكم من عدوكم قائلين كلوا قائلين ما اعجلك [عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى] قيل : كانت المواعدة ان يوافي الميعاد هو وقومه ، وقيل : مع جماعة من وجوه قومه فتعجل هو وسبقهم الى الميقات وهم كانوا على اثره جاين الى الميقات ، وهذا موافق لظاهر قوله [قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَى أَثَرِي] او كان المواعدة ان يوافق هو وقومه وسبقهم موسى (ع) وخلف عليهم هارون (ع) فتخلف القوم من اول الامر عن الحقوق به ، او المعنى ما اعجلك الى الميقات مفارقاً عن قومك ومتجاوزاً عنهم فان بقاءك بينهم وتوجهك اليهم يحفظهم من شر الشيطان ويبقيهم على الدين ، ورفعك يدك عنهم يخل بهم ويفسدهم ، وعلى هذا كان معنى قوله تعالى : قال هم اولاء على اثرى هم باقون على سنتى وكأنه (ع) خرج من غير تعيين الله وقتاً للميعاد ولم ينتظر (ع) تعيين الله فلامه تعالى وانكر عليه تعجيله ورفع يده عن قومه في غير وقته فأجاب (ع) عن رفع يده عنهم بانهم باقون على سنته اوجاؤون على عقبه يعنى ما عليهم من بأس من رفع يده عنهم خصوصاً مع استخلاف هارون عليهم ، وقدم الجواب عن خروجه من بين القوم لان النبى شأنه الاهتمام بأمر القوم ومراقبة احوالهم ، ورفع اليد عنهم والخروج من بينهم خلاف شأن نبوته ، واللوم عليه فيه اشد من كل شيء واجاب عن عجلته بان العجلة كانت للشوق الى رضا ربه لامن غم الوقوف فى قومه ومن هوى نفسه بطلب كونها مرضية عند ربه والاول مرضى للرب مقبول ، والثانيان مبغوضان غير مقبولين فقال [وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى قَالَ] الله تعالى [فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ] أى من بعد خروجه من بينهم يعنى صار عجلتك سبباً لفتنة قومك باستحقاقهم لذلك باختيارهم الغواية لعدم كونك فيهم وعدم بقاء حافظيتك لهم وقد مضى فى سورة البقرة وسورة الاعراف حكايتهم وحكاية السامري وعجله [وَأَصْلَهُمُ السَّامِرِيُّ] يعنى اصلناهم بسبب السامري لكنه اسنده الى السامري للاشعار بصحة نسبة الاضلال الى السبب مثل صحة نسبته الى الفاعل ولانه افاد بنسبة الفتنة الى نفسه نسبة الاضلال الى نفسه [فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانٌ] وانما غضب الله لانحرافهم عن الله وتحسر عليهم لابطالهم بضاعتهم التى هى الايمان لان كل نبى اب شقيق لامته والامة اولاد اعزاء عليه وايمانهم بمنزلة الصحة الكاملة لهم ، ونقصان ايمانهم وبطلانه بمنزلة المرض والهلاكة وحال النبى فى الصحة والمرض والهلاكة لامته حال الاب الشقيق بالنسبة الى اولاده بل اشد منه بمراتب عديدة [قَالَ يَا قَوْمِ] اشفاقاً عليهم [أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبِّكُمْ وَعَدْاً حَسَنًا] بان اخبركم بوعدته وانه وعدنى اعطاء التوراة التى فيها جميع ما تحتاجون اليه [أَفُطِلَ عَلَيْكُمْ الْعَهْدُ] المراد بالعهد الوعد المذكور اى افضال مدة الوعد ؟ او المراد به عهد الملاقاة اى افضال عليكم فراق العهد ؟ فاسقط الفراق لوجود القرينة [أَمْ أَرَدْتُمْ] بل ليس الامر كذلك و اردتم [أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ] استعمال الارادة فى ما لا يراد اصلاً اشعار بان اعمالكم آثار ارادة ما لا يریده عاقل وكتابة عن عدم العقل والشعور [فَاخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي] الاخلاف فى المستقبل كالكذب فى الماضى والمعنى اخلفتم عن الطور

الذى كان موعدى وموعدهم ، على ان يكون القوم اجمعهم او وجوههم وعدوه اللّٰه في الطور كما مضى في معنى هم اولاء على اثرى ، او المعنى اخلقتهم وعدكم لى باللّٰه على الدين واتباع هارون ، او بحسن الخلافة لى بعدى حتى ارجع اليكم [قَالُوا مَا آخَلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلَكِنَا] قرئ بفتح الميم وضمها وكسرهما والثلاثة مصادر ملك بمعنى لو خلتنا وما لكيتنا واختيارنا لما اخلفنا لكن السامري يتسويله اخذ منا تملكنا واختيارنا [وَلَكِنَّا حُمَلْنَا] قرئ بضم الحاء وتشديد الميم وفتحها وتخفيف الميم [أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ] يعنى حملنا اثقالا هى بعض من حلى القبط التى استعرتها للعرس او للعيد ثم خرجنا من دون ردّها او اخذناها مما القاه البحر على الساحل بعد غرقهم ، او حملنا اثقالا وآثاما لاجل حلى القوم التى اعزناها وخلفنا فى عدم ردّها فخدعنا بسبب الخيانة عن ادياننا فأسأنا السامري ان نقذفها فى النار ليصنع لنا آلهة [فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ] اى مثل القاتنا الحلى فى النار [أَلْقَى السَّامِرِيُّ] ما معه لنظنّ انه منّا ، او كذلك القى السامري قبلنا لتبعية فاتبعناه ، والقينا ، وقيل : انه كلام من الله معطوف على كلامهم ويؤيده قوله تعالى [فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا] فانه لو كان من كلامهم لكان ينبغي ان يقولوا فأخرج لنا ، او هو من كلامهم وقوله : فأخرج لهم عجلًا جسدًا من كلام الله ، وفى ابدال جسدًا اشعار بان العجل لم يكن عجلًا حقيقة بل كان جسدًا مثل جسد العجل بلاروح [لَهُ خُورٌ] اى صوت البقر [فَقَالُوا] اى السامري ومن كان شريكه [هَذَا] العجل [إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ] عطف على هذا آلهكم ومن كلام السامري وشركائه اى نسي موسى انه آله وآلهكم وذهب يطلب الآله ، اونسبه ههنا وذهب يطلبه فى موضع آخر ، اونسى الآله انه وعد موسى (ع) ان يظهر عليه من الشجرة فى الطور وظهر ههنا من العجل ، او هو من قول الله ومعطوف على قالوا ، واخرج لهم عجلًا والمعنى نسي السامري ايمانه بموسى (ع) او دلائل نبوة موسى (ع) وآلهية الآله ، اونسى دلالة حدوث العجل على انه مصنوع غير معبود [أَفَلَا يَرَوْنَ] استفهام للتوبيخ على عبدة العجل يعنى الا يتفكرون فلا يرون [أَلَا يَرْجِعُ] اى انه لا يرجع [إِلَيْهِمْ قَوْلًا] وجواباً [وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا] قيل : ان السامري بعد ما مضى من ذهاب موسى (ع) عشرون يوماً قال : هذه الاربعون التى وعدكم موسى (ع) عشرون ليلاً وعشرون يوماً وأخطأ موسى (ع) ولم يرجع اليكم وخذعهم ، وقيل : لما تأخر عن الثلاثين خدعهم لانه كان موعده الثلاثين ، وقيل : انه بعد ما مضى من ذهابه خمسة وثلاثون خدعهم وصنع لهم العجل فى السادس والثلاثين والسابع والثامن ودعاهم الى عبادته فى التاسع وجاء موسى (ع) بعد استكمال الاربعين ، وقيل : كان السامري من اهل كرمات وكان مطاعاً فى بنى اسرائيل ، وقيل : كان من قرية يعبدون البقر فكان حب ذلك فى قلبه ، وقيل : كان من بنى اسرائيل فلما جاوز البحر ناقق فلما قالوا : اجعل لنا آلهة كما لهم آلهة اغتنمها واخرج لهم العجل ودعاهم اليه [وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ] اى من قبل عود موسى (ع) اليهم ، او من قبل دعوة السامري الى عبادته حين ظهوره ، او من قبل عبادتهم له بعد دعوة السامري [يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ] الفتن الاحراق ، والفتنة الاختبار ، والاعجاب بالشيء ، والضلال ، والاثم ، والكفر ، والفضيحة ، والعذاب ، واذابة الذهب ، والاضلال ، والجنون ، والمحنة ، والايقاع فى الاختلاف ، والايقاع فى الفتنة ، والكل مناسب ههنا لانه لا بد فى بعض المعانى من جعل الماضى بمعنى المستقبل [وَأَن رَّبَّكُمْ] الذى يستحق العباداة [الرَّحْمَنُ] الذى قوام كل شيء وجوده وبقاؤه وجود ما يحتاج اليه به

[فَاتَّبِعُونِي] كما استخلفني عليكم موسى (ع) [وَأَطِيعُوا أَمْرِي] فأتى من جانب هذا الرحمن ادعوكم وأمركم والمقصود اعتبار مفهوم المخالفة من تعليق الفعل على المفعول الخاص بقريظة المقام كأنه قال: فاتبعوني لا التسامري وأطيعوا أمري لا امر التسامري [قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ] أي ثابتين على العجل بعني على عبادته [حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى] فننظر ان هذا هو آله كما قال لنا التسامري، وليس هذا آله وقد كذب لنا التسامري، وكان هارون (ع) بعد ما نصحهم ولم يقبلوا منه قد اعتزلهم في اثني عشر ألف فلماً رجع موسى (ع) وسمع الصياح منهم اذ كانوا يزقصون حول العجل ويضربون الدفوف والمزامير واستقبله هارون (ع) القى الاالواح من شدة الغيظ وعاتب هارون واخذ برأسه ولحيته كما في الآية يجره اليه و [قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَنْ لَا تَتَّبِعَنِ] من ان تتبعني ولفظة لا مزيدة نظيرة ما منعك ان لا تسجد بعني ما منعك من اتباعي في البغض في الله والمقاتلة مع عابدي العجل بعد ان لم يقبلوا نصحتك او من اللجوق بي والمفارقة عنهم [أَفَعَصَيْتُ أَمْرِي] لكك بالخلافة والاصلاح وعدم اتباع سبيل المفسدين، ولما كان موسى (ع) اخذه البغض في الله ولم يكن الباكون قابليين للومه (ع) وعتابه (ع) توجه الى هارون (ع) وعاتبه على فعل القوم وفي الحقيقة عتابه كان عتاباً لهم فان لومه (ع) هارون (ع) على عدم مفارقتهم لوم وتعبير لهم على حالهم التي تستدعي الخروج من بينهم [قَالَ] هارون (ع) [يَا ابْنَ أُمِّ] كان اخاه لأمه وايه لكنه اضاف الى الام استعطافاً [لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي] اني خشيت أن تقول ان كنت لحقت بك او قاتلتهم [فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ] يعني لو كنت فارقتهم او قاتلتهم لفرقوا بالتحقوق بي والبقاء على عبادة العجل [وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي] بالخلافة والاصلاح، ولما سكبت عنه الغضب وكسر سوره باستعطاف هارون (ع) والاعتذار عما رآه موسى (ع) خلافاً اقبل على التسامري و [قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ] اي ما صنعك؟ وكيف صنعتك؟ فهو سؤال عن كيفية صنعه ولذلك اجابه بها و [قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ] من اجزاء الملكوت او الملك المحكوك بالملكوت [فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ] يعني اني بصرت بجبرئيل وعالمه فقبضت قبضة من عالمه الذي هو الملكوت من تراب قدم جبرئيل او من تراب قدم مكة (جبرئيل من عالم الملكوت او من عالم الملك لكنته صار بعد التأثر بقدم جبرئيل او قدم رمكته محكوماً بحكم الملكوت وكان تأثيره ان يحيى ويتحرك كل ما ذر ذلك التراب عليه [فَنَبَذْتُهَا] في العجل فتحرك وخار [وَوَكَذَلِكَ] اي مثل القبض من اثر الرسول والحال انه لا ينبغي لي ان اقبض وسوكت لي نفسي ذلك حتى قبضتها [سَوَّيْتُ لِي نَفْسِي] في صنع العجل وذر التراب عليه وزينته لي [قَالَ] اذا سوكت لك نفسك [فَاذْهَبْ] من عندي، او من ديني، او من البلد، او من بين الناس [فَيَأْتِيَنَّكَ فِي الْحَيَاةِ] الدنيا [أَنْ تَقُولَ] اذا رأيت احداً من الناس [لَا مِسَاسَ] عقوبة على فعلك وذلك لانه اذا ماسكك احد حممت انت ومن مسكك كما قيل، وقيل: كان هذا باقياً في اولاده اذا ماس واحد منهم احد من الناس حمماً، وقيل: ان موسى (ع) امر الناس بامر الله تعالى ان لا يخالطوه ولا يؤانسوه ولا يؤاكلوه تضيقاً عليه فصار التسامري يهيم في البرية مع الوحش والسباع [وَإِنَّ لَكَ] اي لعذابك [مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ] يعني لن يخلف الله ذلك الوعد لك، هذا على قراءة البناء للمفعول واما على قراءة البناء للفاعل من باب الافعال فالمعنى لن تخلف انت ذلك الموعد وتنجزه، وقرئ بالنون على حكاية قول الله تعالى، او على جعل نفسه (ع) بمثله الله تعالى لكونه رسولاً منه وكون قوله

وفعله قول الله وفعله [وَأَنْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا] أى مقيماً على عبادته [لَنُحَرِّقَنَّهُ] قرئ من باب التفعيل بمعنى احرقه بالنار، وقرئ لنحرقنه من حرقة يحرقه من باب نصر بمعنى برده وحكك بعضه ببعض وعلى الأول يدل الاحراق على انه صار حيواناً كما روى انه بعدما ذر التراب عليه تحرك واشعروا وبروخار، وعلى الثانى يدل برده على انه كان باقياً على ذهيته [ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ] لنذرينه [فِي الْيَمِّ نَسْفًا] إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ] مستأنفة جواب للسؤال عن علة الحكم والمعنى نحرقة لانه ليس آلهاً وإنما آلهكم الله أى المسمى بالله الدائر على السنة الجميع [الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ] وهو صفة بيانية وتصريح بحصر الالهة فيه ونفى الالهة من غيره [وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا] وهو كناية عن احاطة علمه بالاشياء ولما كان علمه تعالى ذامراتب ومرتبة منه عين ذاته وهى مرتبة الغيب التى لاخبر عنها ولا اثر فلا كلام لنا فيها، ومرتبة منه فعله الذى يعبر عنها بالمشية والحق المخلوق به وتلك جامع لجميع الموجودات بوجوداتها لا بحدودها وتعييناتها، فان الحدود والتعيينات اعدام لا طريق لها الى ذلك العالم ومرتبة منه الاقلام العالية وحكمها حكم المشية، ومرتبة منه النفوس الكلية، ومرتبة منه النفوس الجزئية، ومرتبة منه الوجودات الطبيعية، وكل مرتبة من المراتب العالية علم له تعالى بجميع ما دونها فان جميع ما دونها مجتمع بوجوداتها لا بحدودها فى المرتبة العالية، وكما انها علم بجميع ما دونها علم له تعالى بنفس تلك المرتبة، وكونها علماً بما دونها هو العلم السابق على المعلوم، وكونها علماً بنفسها هو العلم الذى يكون مع المعلوم، وعالم الطبع بوجوده علم له تعالى بالعلم الذى يكون مع المعلوم فكل شيء معلوم له تعالى بالعلوم السابقة ومعلوم له تعالى بوجوده الخاص به الذى هو علمه تعالى به [كَذَلِكَ] القصص الذى قصصناه عليك [نَقْصٌ] بعد ذلك [عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ] أى انباء الوقائع التى سبقت من وقائع الانبياء (ع) وغيرهم [وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا] أى سبب تذكري للامور الماضية وهو الولاية التى بها تذكري جميع مراتب الوجود وجميع ما فى كل مرتبة يعنى نقص عليك والحال اننا اعطيناك الولاية التى بها تستغنى عن القصص، او المراد بالذكر القرآن، او الصبى والتذكر الجميل، او المراد بالذكر قصص الاخبار الماضية والمقصود اننا آتيناك هذا الذكر من لدننا لا من لدن الوسائط [مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ] من موصولة او شرطية والجملة صفة ذكر احوال او مستأنفة جواب لسؤال مقدّر والضمير المعجور راجع الى الذكر بمعانيه، او الى القصص، او الى الله تعالى لان من أعرض عن كل [فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا] الوزر بالكسر الائم والثقل والحمل الثقيل [خَالِدِينَ فِيهِ] جمع الضمير وافراده فى سابقه باعتبار لفظ من ومعناه، والمراد انهم خالدون فى عذاب ذلك الوزر والنار اللازمة له [وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ حِمْلًا] يعنى ان الانسان واقع بين دارى الرحمن والشيطان ومن توجه الى الولاية خرج من القوة الى الفعليات الولوية الرحمانية المورثة لدخول الجنان، ومن أعرض عن الولاية خرج من القوة الى الفعليات الشيطانية لخروجه لامحالة من القوة الى الفعليات بالتدريج وعدم الفصل بين الفعليات الولوية والفعليات الشيطانية، والفعليات الشيطانية حمل ثقيل على الانسان سائق له الى التيران فبشس الحمل تلك الفعلية يوم القيامة حملاً [يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ] يدل من يوم القيامة ويكون المراد بالنفخ نفخ الاحياء وقرئ ينفخ بالياء مبنياً للمفعول ومبنياً للفاعل، ونفخ بالنون اسناداً للفعل الى الامر تنفخياً للفعل او للفاعل، والصور قرن له بعدد كل نفس ثقبه [وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ] وقرئ بالياء مبنياً للمفعول والمجرمون بالرفع وهو عطف على يحمل، واكتفى عن العائد باظهار المعجزمين فان المراد بهم هو من أعرض

عن الذكرو وضع الظاهر موضع المضممر نصريحاً بوصف ذم لهم واشعاراً بعلّة الحكم، او عطف على ساء لهم حملاً، او على ينفخ في الصور، ويكون قوله تعالى [يَوْمَئِذٍ] حينئذ تأكيداً فانه يكون التقدير يوم نحشر المجرمين يومئذ [زُرْقًا] اي زرق العيون فان الزرقة اسوء الوان العين، او عميةً فان الزرقة تستعمل بمعنى العمى، وقيل: عطاشاً فان العطشان يميل لون عينيه الى الزرقة [يَتَخَفَتُونَ] اي يتسارون والجملة حال مترادفة او متداخلة او صفة لزرقاً او مستأنفة اي يقولون سرّاً [بَيْنَهُمْ] لشدة الخوف وعدم قدرة نفوسهم على اجهار الصوت او لخوف اطلاع الحفظة على مكالمتهم لانهم لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن، اولشدة الخوف والدهشة يظنون ان الاجهار يصير سبباً لعذاب آخر [إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا] اي في الدنيا، او في القبور، او بين التفخيتين ينسون مدة لبثهم، او يقللون مدة لبثهم في تلك المذكورات لطول مدة عذابهم، والتعبير بالعشر للتقليل لعدم يقينهم بالعشر ولذلك يقول الامثل منهم: ان لبثتم الا يوماً [نَحْنُ أَعْلَمُ] منهم ومن الحفظة [يَمُايَقُولُونَ] بقولهم تخافتوا او اجهروا، او بالتدنى يقولونه من تعيين مدة لبثهم [أَذِيقُوا أَمْثَلَهُمْ] اي افضلهم [طَرِيقَةً] سيرة لكونه اعقلهم فان السيرة الفاضلة لا تكون الا عن العقل الكامل [إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا] لان ايام الدنيا وان كانت بالنظر الى عرض الزمان متعددة متكررة وكذلك ايام القبر والبرزخ والا ايام بين التفخيتين لكنها بالنظر الى ما فوقها في الطول ليست الا يوماً واحداً ولذلك نسبة الى الامثل، لان حدود الكثرات ترتفع وتستهلك بالنظر الى ما فوقها [وَيَسْأَلُونَكَ] عطف على قوله كذلك نقص فانه يشعر بسؤاله (ص) او سؤالهم عن انباء ما قد سبق فكانه قال: تسأل عن انباء ما قد سبق ويسألونك [عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ] هو جواب شرط مقدّر او بتقدير فعل بعد الفاء حتى لا يلزم عطف الانشاء على الخبر والتقدير اذا سألك فقل او يسألونك فأقول قل في جوابهم [يَنْسِفُهَا] يقطعها او يدكها فيجعلها كالرمال تذروها الرياح [رَبِّي نَسْفًا] عظيماً لا يبقى منها اثر، قيل: ان رجلاً من ثقيف سأل كيف تكون الجبال يوم القيامة فانه ينبغي ان يسأل عنها خصوصاً بعد ما اشتهر بينهم ان الارض يوم القيامة تكون مستوية ليس فيها تلال وواد [فَيَذَرُهَا] الضمير راجع الى الجبال باعتبار محلها من قبيل الاستخدام، او راجع الى الارض المستفادة بالالتزام [قَاعًا] القاع الارض المطمئنة السهلة قد انفرجت عنها الجبال والآكام [صَفْصَفًا] الصّفصّف المستوية من الارض [لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا] انحداراً بسبب الوهاد [وَلَا أَمْتًا] اي مرتفعاً، والعوج ما انخفض من الارض، والأمت ما ارتفع منها [يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ] الذي يدعوهم الى الجنة والجحيم بخلاف يوم الدنيا فانه لا يتبع اكثرهم فيه الداعي ومن يتبع منهم للداعي لا يكون اتباعه او وجوده او الداعي في نظره الا معوجاً [لَا عِوَجَ لَهُ] الجملة حالية او مستأنفة، وعلى تقدير الحالية فهو حال من الداعي او من فاعل يتبعون، والضمير المجرور امّا للاتباع او للداعي ولا بد من تقدير العائد اذا كان حالاً من فاعل يتبعون او من الداعي، وكان ضمير المجرور للاتباع، فان الداعي يومئذ لا يكون فيه عوج لافي نفس الامر ولا في انظارهم، واتباعهم يكون غير معوج والمدعوون ايضاً لا اعوجاج فيهم فانتهم كالاراضي يكونون مستويين برفع جبال الانانيات عنهم وارتفاع التفاق عن وجودهم، فانه كما يندك جبال الارض الطبيعية يومئذ يرتفع جبال الانانيات والتقييدات عن العالم الصغير [وَحُشِعَتِ الْأَصْوَاتُ] قد مضى تحقيق معنى الخشوع والفرق بينه وبين الخضوع والتواضع وان الكل متقارب المفهوم وان الخشوع حالة حاصلة من امتزاج المحبة وادراك الهيبة بالنسبة الى من يتخشع له لكن

المحبة واللذة في الخشية غالبية وفي الخضوع غير غالبية ، وفي التواضع العظمة والهيبة غالبية ، وقد ينسب الخضوع الى الصوت لظهوره به وقد ينسب الى البدن لذلك والجملة عطف على قوله لا عوج له او على يتبعون الداعي والتفاوت بالاسمية والفعلية ، او بالاستقبال والمضى للاشعار بان الاصوات كانت خاشعة للرحمن في الدنيا كما صارت خاشعة في ذلك اليوم لكن ما كان خشوعها ظاهراً في الدنيا وفي ذلك اليوم ظهر خشوعها ، او الجملة حال بتقدير قد [لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا] الهمس الصوت الخفي وكل خفي واخفى ما يكون من صوت القدم [يَوْمَئِذٍ لَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ] الجملة مستأنفة جواب لسؤال مقدّر او حال [إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ] اي الاشفاع من اذن او لا تنفع الشفاعة احداً الا من اذن في شفاعته او من اذن الا من اذن له الرحمن ، وقد مضى في سورة البقرة وغيرها احتياج الشفاعة الى الاذن من الله او من خلفائه المأذونين منه بلا واسطة او بالواسطة ، وان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والفتيا للناس والقضاوات والمحاكمات وامامة الجماعة والجمعة وغير ذلك مما يرجع الى العلماء كلها شفاعات ولا تصح الا ممن اذن له الرحمن ، والمتصدّي لها من غير اجازة واذن من الله ابغض الخلق الى الله ، اعادنا الله من شرور نفوسنا [وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا] الجار والمجرور اما الغروصلة رضى اي رضى لاجله قولاً من الشافع او في حقه قولاً من الشافع ، او لاجله قولاً منه في الشفاعة ، او مستقر حال من قولاً اي رضى قوله سواء كان شافعاً او مشفعاً له ، وتنكير قولاً لتغليب جانب الرجاء يعني اذا كان الانسان بحيث يرضى الله منه قولاً حقيراً ينفع الشفاعة في حقه او ينفع شفاعته في حق الغير [يَعْلَمُ] الله [مُأَيِّدِينَ أَيْدِيَهُمْ] اي ما بين ايدي المتبعين للداعي او ما بين ايدي من اذن له الرحمن [وَمَا خَلَقَهُمْ] من احوالهم الآتية والماضية ومن الدنيا والآخرة او من الآخرة والدنيا على اختلاف تفسيرهما بالدنيا والآخرة او بالآخرة والدنيا [وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ] اي بالله او بما بين ايديهم وما خلفهم [عِلْمًا وَعَنْتِ الْوُجُوهُ] خضعت اوصار اسيراً بمعنى ان صاحبي الوجوه قد ذلوا وخضعوا لكنه اذاه بالوجوه لظهور الاستسلام والانقياد بالوجوه [لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ] علّق الفعل على وصف الحيوة والقيومية المطلقة للاشعار بان الحيوة المطلقة خاصة به ، وكذا القيومية المطلقة ، وللإشارة الى علة الحكم فان الحي المطلق والحيوة المطلقة تقتضي الاحاطة بجميع اصناف الحيوة الجزئية والقيومية تقتضي الاحاطة والتسخير لجميع ما تقوم بالمقوم [وَقَدْ خَابَ] عما رجاه عباد الله من ثوابه وقربه [مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا] عظيماً هو وجود الولاية او الاشرار بها بقرينة قوله في مقابله [وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ] بالايمان الخاص والبيعة الخاصة الولوية وقبول الدعوة الباطنة فان الايمان العام وقبول الدعوة الظاهرة لا يتجاوز اثره عن الدنيا وانما الثواب على الايمان الخاص وقبول الولاية ، ولا شك ان الخيبة ليست الا لمن الثواب في الآخرة فيكون قوله تعالى [فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا] مشيراً الى الظلم والهضم في الآخرة ، والهضم الهجوم ، والهبوط ، والظلم ، والغصب ، والكسر ، وقرئ فلا يخف مجزوماً [وَكَذَلِكَ] اي مثل انزلنا اخبار القيامة والوعيد منها بالقرآن العربي [أَنْزَلْنَاهُ] اي القرآن جملة او قرآن هذه السورة [قُرْآنًا عَرَبِيًّا] بلغة العرب او مشتملاً على الآداب والعلوم لا عجمياً ولا اعرابياً لا يكون فيه آداب وعلوم والجملة عطف على جملة عنّت الوجوه [وَصَرَفْنَا] كررنا [فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ] بالفاظ مختلفة ومتوافقة وامثال متكررة متخالفة [لَعَلَّهُمْ] اي المجرمين او العرب او الناس [يَتَّقُونَ] يصيرون صاحبي تقوى او يتقون ما يوعنون او المعاصي

[أَوْ يُحَدِّثُ] القرآن العربي [لَهُمْ ذِكْرًا] أى تذكر الامور الآخرة واشتياقاً إليها .

اعلم ، ان الانسان بل جل الحيوان خروجه من القوى الى الفعليات بل بقاءه فى هذه الحياة ليس الا بالخوف والرجاء والتوبة والانابة والزكوة والصلوة والبراءة والولاية والمخلع واللبس والتصرم والتكون والادبار والاقبال والتخلية والتحلية والبغض والمحبة والدفع والجذب والتقوى والطاعة وغير ذلك من الاسماء الدالة على هذين المعنيين ، ف قوله تعالى : لعلهم يتقون ، اشارة الى البراءة وقوله تعالى او يحدث لهم ذكراً اشارة الى الولاية [فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ] عطف على قوله عننت الوجوه وتفريع عليه والمقصود انه بقيوميته مستعل على كل شيء وهو الملك المالك على الاطلاق والحق الذى لا شوب بطلان فيه لاقتضاء القيومية ذلك فلا تسأل منه شيئاً فانه بقيوميته وعلوه يعلم ويعطى كل ما ينبغى ان يسأل سئل ام لم يسأل [وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ] مخصوصاً [مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ] يعنى لا تسأل القرآن قبل ان نوحيه او يقرئه جبرئيل (ع) فانا اعلم بمصالح نزوله ووقته ، ولا تعجل بقرائه مع الملك الموحى قبل اتمام الملك قراءته ، ولا تعجل بقراءته على اصحابك قبل اتيان وقت حكمه او قبل بيان مجمله [وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا] بوقت حكم القرآن وبيانه ، او بتفصيل اجماله او مطلقاً [وَلَقَدْ عَهِدْنَا] عطف على قوله كذلك انزلناه ، والمقصود انا انزلناه قرآناً عربياً وصرّفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون لكنهم ينسون لاننا قد عهدنا الى آدم (ع) ايهم فهو عطف فيه معنى التعليل او عطف على لا تعجل باعتبار القسم المقدر فان هذه الالام هى الالام المشعرة بالقسم والمعنى لا تعجل بالقرآن ولا تنس العهد والوصية التى اوحيناك بالتوانى لاننا قد عهدنا [إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ] أى من قبل هذا الزمان ، او من قبل خلق بني آدم ، او من قبل نزوله الى الدنيا [فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً] فابتلى ببلاء عظيم فلا تنس فتبلى مثل ابتلائه والمراد بالعزم الثبات والتمكن فى الامر [وَأَوْ] اذكر [إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ] حتى تعلم تكريمنا له وابتلاءنا له بسبب النسيان حتى تكون على حذر من النسيان وعدم العزيمة [فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى] عن السجود او عن المطاوعة [فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا] يعنى فلا تكونا بحيث تؤثر وسوسته فيكما فان المراد نهيهما لانهيه [مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشَقَّى] افرد الضمير للاشعار بان شقاء المرأة وسعادتها تبعان لشقاء المرء وسعادته ، ولمحافظة رؤس آلاى ، اولان المراد بالشقاء التعب فى طلب المعاش فان وسوسته صارت سبباً لهبوطهما الى الارض واحتياجهما الى المأكل والمشرب والملبس والمسكون ، وتعب ذلك كله على الرجال لا النساء ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى [إِنَّ لَكَ أَلًا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرِى وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى] قرئ أنك بفتح الهمزة عطفاً على ان لا تجوع ، وقرئ انتك بكسر الهمزة عطفاً على ان لك ان لا تجوع ، وقوله ان لك ان لا تجوع ، استئناف بياني فى مقام التعليل [فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ] القى اليه وسوسته [قَالَ] بيان لوسوسته [يَا آدَمُ هَلْ أَذُوكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ] أى الشجرة التى صار الاكل منها سبباً للخلد فلاضافة لادنى ملابسة [وَمُذْكَ لَا يَبْلَى] عطف على شجرة الخلد او على الخلد فقبلا قوله وغراً به [فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا] قد سبق فى سورة البقرة عند قوله تعالى ولا تقربا هذه الشجرة تحقيق الشجرة المنهية وكيفية اغترارهما بقول ابليس [وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ] أى يلصقان على بدنهما من ورق اشجار الجنة [وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ] خالف امر ربه امره التكويني او امره التكليفي

الَّذِي كَانَ أُولَىٰ لَهُ [فَعَوَى] فَضَّلَ الطَّرِيقَ الَّذِي كَانَ بِالْفِطْرَةِ عَلَيْهِ .

اعلم ، ان نسبة العصيان الى آدم (ع) مع انه كان نبياً معصوماً عن الخطاء انما كانت بملاحظة انحرافه عن فطرة التوحيد التي كانت الاشياء كلها مفطورة عليها ، وهذا ليس معصية منافية للعصمة لانه كان بأمره تعالى ورضاه او كانت بملاحظة تركه دار التوحيد وتوجهه الى الكثرات وقد امره الله تعالى بالبقاء على التوحيد وعدم الالتفات الى الكثرات لكونه اولى به من الالتفات الى الكثرات وان كان الاولي بنظام العالم ويجاد بني آدم توجهه الى الكثرات ، وتسميته عصياناً لمخالفته الامر الاول الذي كان اولى بالنسبة الى حاله ، وهذا ايضا لا ينافي عصمته ، وفي خبر : ان نبيه كان في الجنة لا في الدنيا وقبل كونه حجة لابعده والمنافي لعصمته هو عصيانه في الدنيا وبعد كونه حجة ، وفي خبر : ان المنافي للعصمة هو الكبيرة او الصغيرة بعد كونه حجة للصغيرة قبل كونه حجة ، وفي خبر : ان الله نهى عن قرب شجرة بعينها ووسوس الشيطان اليه في شجرة أخرى من جنسها ، وعصيانها كان بغروره بقول الشيطان ، [ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ قَالَ اهْبِطْ مِنْهَا جَمِيعًا] يعني قبل الاجتناء فان توبته كانت في الدنيا ، وهبوطه اليها كان قبل توبته ، وقد سبق في البقرة هذه الآية هكذا : قلنا اهبطوا منها جميعاً بضميمة الشيطان والحجة والذرية اليهما ، ولما كانا هما الاصلين في الخطاب خصهما ههنا بالخطاب و اشار الى الشيطان والحجة والذرية بقوله [بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ] بخطاب الجمع [فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنْهُ هُدًى فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى] الضلال في الدنيا والشقاء في الآخرة ، او كلاهما في كليهما ، ويكون الشقاء بمنزلة النتيجة للضلال والمراد بالشقاء ضد السعادة او العناء والتعب [وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا] قد فسر الهدى في اخبار عديدة بولاية أمير المؤمنين (ع) وبعلى (ع) نفسه وهكذا فسر الذكر والمراد بالمعيشة الضنك اما الضيق في ما يحتاج اليه في الدنيا من المأكل والملبس وغيرهما وبهذا الاعتبار فسرت بالضيق في الرجعة في اخبار كثيرة وانهم يأكلون العذرة وفسر في بعض الاخبار بعذاب القبر وضنكه ، والتحقيق ان الراحة وضعها الله تعالى في الآخرة التي قلب الانسان انموذج منها ، وسعة العيش والراحة للانسان ليست الا من طريق القلب الذي هو طريق الولاية وطريق الآخرة وضيق العيش وعناؤه ليس الا من الدنيا التي هي انموذج الجحيم وطريقها ومن أعرض عن الذكر الذي هو الولاية التي هي طريق القلب وطريق الآخرة توجهه الى الدنيا التي هي طريق الجحيم وفيها العناء والضيق ، ومن توجهه الى الدنيا سد باب الراحة على نفسه وفتح باب الضيق والتعب عليها ، وكان في ضيق استشعر به ام لم يستشعر ، ومن تولى عيلاً (ع) وفتح طريق القلب فتح طريق الراحة على نفسه فان دخل في باب القلب والآخرة دخل في السعة والراحة ، وان لم يدخل في عناء لبقائه بعد في الدنيا لكنه كان في طريق الوصول الى الراحة وضيق العيش في الدنيا وضيق الصدر وضيق القبر وضيق العيش في الرجعة كلها لازم لسد طريق القلب [وَنَحْشُرُهُ] قرئ بالرفع وقرئ في الشواذ بالجزم [يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى] عن الولاية والامام والآيات ونعيم الآخرة [قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا] قيل بحشر من قبره بصيراً و اذا اتى المحشر بصيراً عمي [قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا] العظمى التي هم الانبياء والاولياء (ع) ، وآياتنا الصغرى التي هي آيات الآفاق والانس [فَنَسِيَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى] اي تركها ولم تتبعها وكذلك اليوم تترك ولا يعنى بك [وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ] في التوجه الى الدنيا زائداً على قدر الواجب والشدب [وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ] التي هم الانبياء والاولياء (ع) [وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ

أشدُّ وأبقى] من النسيان والحشر اعمى ومن ضيق المعيشة حتى انتهت تعد في مقابل عذاب الآخرة نعمة ، وقد مضى قصة آدم (ع) في سورة البقرة وفي سورة الاعراف مع اختلاف يسير في بعض الفقرات بحسب اللفظ مع ما ذكر ههنا [أ] لم ينهم [فَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ] والتقدير الم ينهمهم فالهدهد لهم على الخلاف في الهمزة والعاطف انتهت بتقدير المعطوف عليه قبل الهمزة والهمزة على تقدير التأخير من العاطف او بتقدير المعطوف عليه بعد الهمزة والهمزة في محله وفاعل لم يهد ضمير الله او الرسول (ص) وحيث يكون جملة [كَمْ أَهْلَكْنَا] في محل المفعول معلقاً عنها الفعل على جواز التعليق في غير الفعل القلبي أو على جعل لم يهد بمعنى لم يعلم ، او فاعل لم يهد ضمير مجمل يفسره مضمون جملة كم اهلكنا ، او الفاعل نفس الجملة بمضمونها ، وقرئ نهدهم بالنون اي افلم نهدهم نحن كم اهلكنا [قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ] يعني اهلك الامم الماضية ينبغي ان يكون عبرة لهم وهدايا لهم الى اليقين باهلاك انفسهم والتزود لما بعد هلاكهم [يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ] حال او مستأنف جواب للسؤال عن حالهم او عن علة الهداية [إِنَّ فِي ذَلِكَ] الاهلاك بانواع الاهلاك [لآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى] لذوى العقول الناهية او المنتهى اليها لكل موجود في العالم الصغير او في العالم الكبير وقد فسروا لولي النهى بالائمة (ع) اينما وقع [وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ] اي كلمة الوعد بتأخير العذاب للامة المرحومة او بعدم العذاب مع كون محمد (ص) قبيهم [لَكَانَ] ذلك الاهلاك بانواع الاهلاك [لِزَامًا] اي لازماً والتزام بكسر التلام اسم مصدر او مصدر لازم وصف به مبالغة [وَأَجَلٌ مُّسَمًّى] لاعمارهم وامتد بقائهم في الدنيا اولعذابهم وهو يوم القيامة او يوم بدر او احد او فتح مكة وهو عطف على كلمة والفصل للاشعار باستقلال كل منهما بنفى لزوم العذاب [فَأَصْبِرْ] اي اذا كان عذابهم بسبب وعد الامهال وانقضاء الاجل مؤخراً فاصبر [عَلَى مَا يَقُولُونَ] في دينك او في الخداع بك او في وصيتك وغضب حق ومنعه منه [وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ] قد مضى ان المراد بالتسبيح سواء علن على الله او الرب او اسم الرب ، وسواء عدى بالتلام او بنفسه او اطلق ، وسواء كان التلام بعده للتعليل او للتقوية كان المراد تنزيه اللطيفة الانسانية عن تشبث التعيينات والتعلق بالكثرات وتلك اللطيفة هي الرب في العالم الصغير وهي اسم الرب وتزنيها بتره الله عما لا ينبغي ان يعتقد في حقه ، ولما كان تنزيه الله تعالى راجعاً الى سلب النقائص التي هي حدود الوجود وهي راجعة الى سلب السلوب كان تنزيهه عبارة عن سلب السلوب ، وسلب السلوب ، ليس الا سعة الوجود ، وسعة الوجود راجعة الى سعة صفاته تعالى بحيث لا يشذ وجود ولا صفة وجود من وجوده وصفاته وكان تسبيحه عين تكميده ولذلك قلنا يذكر تسبيح الا ومعهم الحمد بلفظه او بمعناه وامره (ص) بالتسبيح بسبب الحمد او بالاشتغال بحمده او متلبساً بحمده لذلك يعني تره (ع) عن حدود الكثرات في عين ملاحظة كمالات الكثرات له تعالى والا لم يكن تسبيحك تسبيحاً له بل كان تنقيصاً له [قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ] ان كان المراد بهذا التسبيح التسبيح الذي كان في ضمن الصلوات كان المراد بالتسبيح قبل طلوع الشمس صلوة الفجر [وَقَبْلَ غُرُوبِهَا] يعني صلوة العصر [وَمِنْ أُنَاءِ اللَّيْلِ] الآناء جمع الانبياء بكسر الهمزة وفتحها وجمع الانبياء بكسر الهمزة وسكون النون في الجميع بمعنى التساعات يعني صلوة المغرب والعشاء ونوافل الليل [فَسَبِّحْ وَأَطْرُافَ النَّهَارِ] صلوة الظهر ونوافلها ، وتسمية وقتها بالاطراف لكونه طرفي نصف النهار ، او المراد مطلق صلوة الشطوع في النهار ، وان كان المراد مطلق التسبيح كان المراد استغراق الاوقات

وذكر قبل طلوع الشمس وقبل غروبها للاهتمام بهذين الوقتين [لَعَلَّكَ تَرْضَى] قرى مبنياً للفاعل ومبنياً للمفعول [وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَاهُ] من اصناف النعم الصورية ومستلذات القوى الحيوانية وهو خطاب لمحمد (ص) على ايتك اعنى واسمعى يا جارة ، ويجوز ان يكون الخطاب عاماً على بعد [أَزْوَاجًا مِنْهُمْ] هو مفعول به لمتعنا والمعنى لا تمدن عينيك الى ما متعنا اصنافاً من الناس او هو حال من ما او من ضميره والمعنى لا تمدن عينيك الى ما متعنا به حال كونه اصنافاً من النعم والمستلذات ومنهم حينئذ يكون مفعولاً به سواء جعلت من التبعية اسماً او قائماً مقام الموصوف المحذوف لقوة معنى البعض فيه [زُهِرَ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا] منصوب على التذم او بدل من محل ما متعنا ووجه الايتان به التصريح بفناء ما متعهم به وذمه وذمهم والاشعار بان المنهى النظر الى ما يتمتع به في الدنيا ، واما نعيم العقبى او قرب المولى فينبغى ان يكون مطمح الانظار [لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ] لنعدبهم او نخبرهم لان كثرة الاموال سبب لعذاب صاحبه لاهتمامه بجمعها وحفظها حتى انهم يحرمون على انفسهم الحظوظ البدنية لاجل حفظها وجمعها واستمتاعها ولخوف فنائها وسرقتها حتى انهم يحرمون طيب المنام لخوف زوالها ولان كثرة المال تورث كثرة الحقوق والتعب بآدائها فرضاً وندياً والتقيد به ذم آخر وتسلية اخرى للمؤمنين [وَرَزَقُ رَبِّكَ] الذى اعطاك او تترقبه [خَيْرٌ] اما مجرد عن التفضيل او المقصود تفضيل رزق الرب على رزق من مطمح نظره الى متاع الدنيا وعده خيراً ، او متاع الدنيا خير بشرط ان يكون مع الايمان [وَأَبْقَى] هذا ايضا على رزقهم والا فلا بقاء لمتاع الدنيا [وَأَمْرًا هَلْكَ بِالصَّلَاةِ] يعنى اجعل رزق ربك مطمح نظرك ولا تكف بنصيب نفسك منه بل اجعل اهلك متوجهين اليه وطالعين له وأمرهم بالصلاة التى هي اتم دمج ذلك الرزق حتى يطلبوه ويتوجهوا اليه ، واهله (ص) كل من انتسب اليه بالبيعة العامة او الخاصة ، ومن انتسب اليه بالبيعتين وبالنسبة الجسمانية اولى باهليته ممن لم يكن له نسبة جسمانية ، ومن انتسب بالبيعتين اولى ممن انتسب بالبيعة العامة فقط ، وعلى (ع) وفاطمة (ع) والحسن (ع) وكانوا اولى من غيرهم ولذلك كان (ص) بعد نزول هذه الآية يأتى باب على (ع) الى تسعة اشهر وقت كل صلاة ويقول : الصلاة رحمكم الله ، او المراد باهله اصحاب الكساء ولذلك كان يأتى باب على (ع) دون غيره ، وقال ابو جعفر (ع) : امره الله تعالى ان يخص اهله دون الناس ليعلم الناس ان لاهله عند الله تعالى منزلة ليست للناس فأمرهم مع الناس عامة ثم أمرهم خاصة [وَأَصْطَبِرْ عَلَيْهَا] لما كان ادامة الصلاة امرأ صعباً لا يتيسر الا لمن كان متمكناً فى مقامات الآخرة امره (ص) خاصة بالصبر عليها دون اهله ، واتى بالصيغة الدالة على المبالغة والتكلف [لَا تَسْأَلْكَ] جواب لسؤال مقدّر كأنه (ص) قال : كيف اصطبر على الصلاة وقد كلفت رفع حاجتى فى المأكول والمشروب والملبوس لنفسى ولغيرى من عيالى ؟ فقال لا تسألك [رِزْقًا] لنفسك ولغيرك [نَحْنُ] لا غيرنا [نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى] عن الاشتغال عن الصلاة بغيرها ، ولما كثرت اعمال العاقبة فى العاقبة المحموده صارت بحيث كلما اطلقت يتبادر منها العاقبة المحموده [وَقَالُوا] عطف على فتنتهم والتفاوت بالمضى والمضاربة للاشارة الى ان هذا القول وقع منهم ، او عطف باعتبار المعنى كأنه قال تعالى فتناهم به وقالوا [لَوْلَا يَأْتِينَا] محمد (ص) فى ادعاء نبوته [بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ] دالة على صدقه فى نبوته كأنهم لم يعتدوا بما رأوا منه او حملوه على السحر [أ] تركهم بلاينة [وَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ مَا فِى الصُّحُفِ الْأُولَى] يعنى انه اتى بالقرآن الذى هو مبين

جميع ما في الصحف الاولى من العقائد والاخلاق والعبادات والسياسات والحال ان محمداً (ص) امتي لا يعرف كتاباً وما اختلف الى عالم يعلمه الكتب الماضية يعني لا يريدون بقولهم هذا الدلالة على صدقه وقبول نبوته بل يريدون الزامه امرأ يعجز عن الاثيان به والاستهزاء به [وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ] اى من قبل محمد (ص) او القرآن او من قبل الاحتجاج بمحمد (ص) وكتابه [ل] ادلوا حججهم عليناو [قَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا] يدعونا اليك وينبئنا من غفلتنا ويخرجنا من جهلنا [فَتَنْصِبْ أَيْاتِكَ] اى رسلك وخلفاءك وكتبك واحكامك [مِنْ قَبْلِ أَنْ نَنْزِلَ] نهون بالعذاب فى الدنيا [وَنَخْزِي] فى الآخرة، او من قبل ان نزل فى الانظار ونخزي فى انفسنا، او من قبل ان نزل ونستحيى من اعمالنا عندك [قُلْ كُلُّ] منا ومنكم [مُتَرَبِّصٌ] لما نزل اليه ولما يظهر من العاقبة [فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ] منا ومنكم اى سيظهر عليكم من كان من اصحاب الصراط وكائناً فى الصراط اعنى المتحقق بالولاية وصاحب القلب [وَمَنْ اهْتَدَى] الى الصراط وصار مقامه مقام القاء السمع واكتفى بمفهوم المخالفة عن التصريح بمخالفة يعنى من لم يكن كذلك .

سورة الانبياء

مكية كلها وهى مائة واثنى عشرة آية

[الجزء السابع عشر]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[اَقْتَرَبَ] قرب منه ككرم وقربه كسمع واقترب بمعنى لكن فى اقترب معنى المبالغة [لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ] نسبة القرب والبعد الى الافعال ليست الا باعتبار اوقاتها، ووقت الحساب هو وقت القيامة، ولما كانت القيامة واقعة فى طول الزمان لافى عرضه وكانت مقومة له لا من ابعاضه لم يكن قريبا وبعدها بحسب الزمان بل كانت قريبة من الزمان وان كانت الزمانيات متفاوتة النسبة اليها بان بعضها يكون قريباً منها وبعضها بعيداً ولهذا التفاوت قال (ص): بعثت انا والساعة كهاتين ؛ بخلاف سائر الانبياء [وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ] عن الحساب وعن التهيؤ له [مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ] للحساب [مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ] فى باطنهم يزعج الملك الزاجر ونهى العقل الناهى والواردات النفسانية من الهموم والغفوم والمنامات المنفرة والمبشرة ، وفى الخارج بالواردات الخارجة من الابتلاءات والامتحانات والدوائر الدائرة التى قلما يخلوا الانسان منها، وبذكريات الانبياء والاولياء (ع) والعلماء رضى الله عنهم من الانذارات والتبشيرات [لَا اسْتَمْعُوهُ] بأذانهم الباطنة او الظاهرة [وَهُمْ يَلْعَبُونَ] به بان يجعلوه كالاسمار التى لاحقيقة لها

او بغيره لعدم الاعتداد به [لَاهِيَةً] مشغولة [قُلُوبُهُمْ] بغيره، اولاهية من اللّه، والفرق بينه وبين اللّعب ان اللّعب هو الفعل الذى لا يكون له غاية عقلانية ويكون له غاية خيالية، واللّهو ما لا يكون له غاية عقلانية ولا خيالية وان لم يكن خالياً عن الغاية فى نفس الامر غير مستشعر بها [وَأَسْرُوا النَّجْوَى] عطف على اقتراب والتجوى السرّ وجمع التجوى بمعنى المسارين وتعلين الاسرار بها للمبالغة فى الاخفاء اولانهم اخفوا مناجاتهم كما اخفوا ما تناجوا به، وانما اخفوا التكلّم فى رسالته لانهم كانوا فى شكّ من امره والتشاك لا يمكنه التسليم حتى لا يتكلّم ولا يمكنه الاجهار بالردّ والقبول لعدم اقباله على شيء منهما، اولانهم خافوا اطلاق المؤمنين واقتضاهم به [الَّذِينَ ظَلَمُوا] بدل من الضمير او فاعل والواو علامة الجمع، او منصوب على التذم، والاختصاص، ووجه الاثبات به التصريح بوصف ذمّ لهم والتسجيل عليهم بالظلم [هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ] فلا يكون رسولا فمما يصدر منه مما هو خارج عن المجرى الطبيعيّ ليس الا سحراً [أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ] اى تقبلونه وتقبلون عليه [وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ] انه بشر لا يجوز رسالته وان ما يأتى به سحر او انتم البصراء الحكماء لا ينبغي ان تغتروا بدعوى يكون برهان بطلانها معها [قَالَ] لهم اسرّوا القول واجهروا به فانه لا يخفى على الله لان [رَبِّى يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ] ظرف المقول اوليعلم احوال من القول او من فاعل يعلم [وَهُوَ السَّمِيعُ] لكل مسموع لاسميع سواء [الْعَلِيمُ] بكل معلوم لا عليم سواء فيسمع اقوالهم سواء اسرّوا بها واجهروا، ويعلم احوالهم وضمائرهم اخفوها ام لم يخفوها، [بَلْ قَالُوا] عطف على اسرّوا (الى آخرها) فانه فى معنى قالوا ان هذا الا بشر مثلكم، وكلامه الذى اتى به سحر، واضراب عنه الى قولهم الذى هو ابعد من القرآن [أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ] اى القرآن صور الخيالات التى رآها المخيّل الذى لا عقل له كالخيالات التى يراها النائم من غير حقيقة لها [بَلْ افْتَرَاهُ] اختلقه من عند نفسه ونسبه الى الله تعالى وهذا عطف على قالوا اضغاث احلام بتقدير قالوا واضراب فى الحكاية عن القول الا بعد الى الا بعد منه، او عطف على اضغاث احلام واضراب فى المحكى وكان من قولهم فحكى الله ذلك لنا وعلى اى تقدير فهو انتقال من الا بعد الى الا بعد من القرآن فان خيالات المخيّل لا تكون مطابقة للواقع ولكن لم تكن قرينة لقصد من القائل بخلاف الاختلاق [بَلْ هُوَ شَاعِرٌ] اى مموّه يظهر ما لا حقيقة له بصورة الحق بتمويهه وهذا ابعد فان الشعر يزيد على الاختلاق بكونه قريناً لتصرف فى اظهاره وهذا ايضا عطف على قالوا بتقدير قالوا او على المحكى [فَلْيَأْتِنَا بآيَةٍ] ان كان صادقا [كَمَا أَرْسِلَ الْآوَلُونَ] بالآيات الظاهرة مثل العصا واليد البيضاء والناقة واحياء الموتى وبراء الاكمه والابرص [مَا أَمَنْتَ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا] يعنى باقتراحهم للآيات بقرينة ذكره بعد اقتراحهم الآيات [أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ] ان اتاهم محمد (ص) بما اقترحوا [وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا] رد لانكارهم كون البشر رسولا كما ان الفقرة الاولى كانت ردّاً لا قتراحهم [نُوحِي إِلَيْهِمْ] كما نوحى اليك، قرى يوحى بالياء وبالتون [فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ] قد مضى فى سورة النحل تفصيل وتفسير لهذه الآية [وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَا يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ] بل كانوا كذّهم معرضاً للموت غير خالدين فى الدنيا، رد لقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق؟! ولا تستغرابهم طرؤ المرض والموت على الرسول المشعريه قولهم هل هذا الا بشر مثلكم [ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ] اى وعدناهم بالنصر فى قولنا انّا لننصر رسلنا وبالمن والامامة وبراء

ما في الارض في قولنا : ونريد ان نمن على الذين استضعفوا (الآية) وبالاستخلاف في الارض والتمكين في الدين وتبديل خوفهم اماناً في قولنا وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات (الآية) وبالانجاء من اعدائهم والظفر عليهم وغير ذلك [فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ] الاسراف ضد القصد والقصد استعمال الاموال والاعضاء والقوى والمدارك فيما ينبغي بقدر ما ينبغي لاناقصاً منه ولا زائداً عليه، فالاسراف بهذا المعنى اعم من التقدير والتبذير، وقد يستعمل الاسراف في مقابل التقدير والتبذير فان التبذير صرفها فيما لا ينبغي صرفها فيه، والتقدير التقصير في صرفها فيما ينبغي او على قدر ما ينبغي، والاسراف صرفها فيما ينبغي زائداً على قدر ما ينبغي؛ والمعنى الاول هو المراد ههنا لان المراد بالاسراف ههنا عدم الانقياد للانباء (ع) والتقدير في صرف المدارك والقوى في جهة الانقياد لهم وفيه ترغيب للانقياد للنبي وتهديد عن المخالفة له (ص) [لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا] بعد ما اتم التبرغيب والتخويف خاطب قريشاً او العرب [فِيهِ ذِكْرُكُمْ] اي صيتكم وشرفكم اوسبب ذكركم بين الخلق اوسبب تذكريكم للآخرة [أ] تعرضون [فَلَا تَعْقِلُونَ] ان فيه ذكركم ولا تصيرون عقلاء فتصيرون ظالمين [وَكَمْ قَصَمْنَا] الجملة حالية وكم خبرية او استفهامية والقسم الكسر وهو كناية عن الاهلاك سواء اريد من قوله تعالى [مِنْ قَرْيَةٍ] اهل القرية باستعمالها مجازاً في اهلها، او بتقدير من اهل قرية، او اريد نفس القرية ويكون كسر ها كناية عن هلاك اهلها [كَانَتْ ظَالِمَةً] صفة قرية اوجواب للسؤال عن حال القرية، او عن علتها القسم وعلى اي تقدير فهو يفيد التعليل [وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ فَلَمَّا أَحْسَبُوا أَنَّكُمْ عَظِيفُونَ] عطف على كم قصمنا من قبيل عطف التفصيل على الاجمال [إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ] اي يهربون [لَا تَرْكُضُوا] جواب لسؤال مقدر بتقدير القول كأنه قيل : فما ينبغي ان يقال لهم؟ قال تعالى يقال تويحاً وتهكماً : لا تهربوا [وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ] اترفته النعمة اطغته، واطرف فلان على البناء للفاعل اصر على البغي، واطرف فلان على البناء للمفعول ترك ونفسه يصنع ما يشاء، او تنعم لا يمنع من تنعمه، او تجبر [وَمَسَاكِينُكُمْ] وقيل : ان الملائكة بعد نزول العذاب بهم من القتل وغيره قالوا ذلك استهزاء [لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ] اي يسألکم السائلون من دنياكم كما كانوا يسألونكم قبل ذلك، او لعلكم تسألون عن نعمكم كيف فعلتم بها، او تسألون عن نعمكم مالها لا تدفع العذاب عنكم؟ او لعلكم يسألکم الانبياء (ع) الايمان بهم كما كانوا قبل ذلك يسألونكم، وعلى اي تقدير فهو للاستهزاء بهم [قَالُوا يَا وَيْلَنَا] بعد احساس العذاب قالوا ذلك، والويل الفضيحة او كلمة تفجع، او الوقوع في الهلكة وحلول الشر وهو منادى بجعله كذوى العقول، او المنادى محذوف والتقدير يا قوم انظروا ويلنا [إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ] استيناف في مقام التعليل يعني اعترفوا بعد معاينة العذاب بظلمهم لانفسهم ولانبيائهم وللخلق بمنعهم عن الانقياد للانباء (ع) او بغير ذلك ولا ينفعهم ذلك بعد معاينة العذاب [فَمَا زَالَت تِّلْكَ] الدعوى التي هي نداء الويل [دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا] كالنبت الحصيد ولذلك لم يجمع او شبههم بالزرع الواحد المشتمل على ساقات عديدة فوحده الحصيد [خَامِدِينَ] وصف لحصيد او مفعول بعد مفعول لكون مفعول جعل خبر آفي الاصل كناية عن الاستيصال، قيل : كانت الآية في اهل قرية من اليمن ارسل الله اليهم نبياً فقتلوه فسلط الله عليهم بختنصر فhez موا من ديارهم فردهم الملائكة فقتل صغارهم وكبارهم حتى لم يبق لهم اسم ورسم، وذكر في اخبار : ان هذه الآية نزلت في ظهور القائم (ع) فانه اذا خرج الى بنى امية بالشام وهربوا الى

الرّوم فيقول لهم الرّوم : لاند خلّكم حتّى تنصّروا فيعلّقون في اعناقهم الصّليان فيدخلونهم فاذا حضر بحضرتهم اصحاب القائم (ع) طلبوا الامان والصّلاح فيقول اصحاب القائم (ع) : لانفعل حتّى تدفعوا اليّنا من قبلكم منّا، فيدفعونهم اليهم فذلك قولہ تعالیٰ : وارجعوا الی ما اترفتنّ ومساكنکم لعلکم تسألون يسألونهم عن الكنوز وهو اعلم بها فيقولون : يا ويلنا انّا كنّا ظالمين فما زالت تلك دعويهم حتّى جعلناهم حصيداً خامدين [وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ] غير ناظرين الى غاية عقلانية وحكم ودقائق مثقّة فانّ اللّعب هو الفعل الذي يكون له غاية لكن غايته لم تكن الا خيالية كلعب الاطفال كما انّ اللّهُ هو الفعل الذي لم يكن له غاية خيالية ظاهرة والمقصود انّ السّماء والارض وما بينهما من كثرة الحكم والدقائق في خلقها وكثرة المصالح المترتبة عليها لا يمكن احصاء غاياتها المتقنة المحكمة فليس خلقها لعباً بل كانت لتكميل النفوس واتمام فعليّاتها حتّى تستحقّ الجزاء من الثواب والعقاب [لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهُمْ أَتَّخِذْنَا مِنْ لَدُنَّا] شرطية فرضية يعنى لو اردنا اتّخاذ اللّهُ لانتخذناه بطريق احسن من هذا بحيث لا يطلع عليه غيرنا ولم نتخذ السّماء والارض المشهودتين لكلّ احد لهوآ، وفسّر اللّهُ بالزوج ردّاً على من جعل بينه وبين الجنّة نسباً وصهرآ، وبالولد ردّاً على من اثبت له الولد، ويؤيد هذا التفسير ما يأتى كما يأتى [إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ] تأكيد للشرطية الاولى والجزء محذوف، وقيل : ان نافية [بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ] بظنّ انّ الانسب بتوافق المتعاطفين ان يقول بل قدفنا بالحقّ على الباطل لكن نقول انّ المراد بالحقّ هو الحقّ المخلوق به الذي هو المشيئة المسماة بالولاية المطلقة، والسّماء اعمّ من سماء عالم الطّبع، وسماء عالم الارواح، ونفس عالم الارواح في العالم الكبير والصّغير، وهكذا الارض وما بينهما اعمّ ممّا في الكبير والصّغير، وكما انّ المشيئة التي هي اضافة الله الاشراقية حقّ لا شوب باطل فيها كذلك جميع التّعينات والمهيّات باطلة لا شوب حقّ فيها وانّ الله تعالى بضمّون قوله تعالى : بل يدها مبسوطة ان ينفق كيف يشاء على سبيل الاستمرار يطرّد باضافته الاشراقية بطلان التّعينات والمهيّات وبطلان القوى والنقائص والاستعدادات وفيه وكما انّ الله تعالى يطرّد بخلق سماء الارواح وارضى الاشباح بطلان المهيّات بقذف الحقّ عليها ابتداءً كذلك يطرّد ذاك عنها استمراراً فانّها من انفسها في فناء لا بقاء لوجودها آئين، ومن موجدتها في بقاء بسبب تجدد اضافات الوجود عليها، وكما يطرّد بخلقها البطلان ابتداءً واستمراراً عن المهيّات يطرّد بخلقها البطلان والنقائص عن القوى والاستعدادات التي تكون في عالم الاكوان، وللإشارة الى انّ الله تعالى يطرّد البطلان عن المهيّات والاستعدادات استمراراً اتى بالمتعاطفين متخالفين، ولفظ القذف اشعار بانّ الله تعالى لقوّته لا مانع يمانعه عن ابطال الحقّ [فَيَقْدِمُغُهُ] دمه كمنع ونصر شجته حتّى بلغت الشجّة الدماغ فهلك [فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ] مضمحلّ [وَلَكُمْ أَلْوَيْلٌ مِّمَّا تَصِفُونَ] الله به او من وصفكم الله باللّعب في فعّاله من دون ترتّب غايات محكمة عليها، وبالصّاحبة والولد [وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ] يعنى انّ الله تعالى خالقهم ومالكهم وغايتهم فكيف يكونون شركاءه او صاحباته او ولده وهو حال في موضع التعليل ومؤيد كون المراد بنفى التّهونفى الولد والصّاحبة [وَمَنْ عِنْدَهُ] يعنى الملائكة المقرّبين الذين لهم مقام العندية بالنسبة اليه تعالى، وهو عطف على من في السّماوات عطف المفرد او مبتدأ خبره قوله [لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ] وعلى الاول يكون لا يستكبرون حالاً عن من في السّماوات ومعطوفه، او حالاً عن من عنده فقط والمراد بمن عنده هم المقرّبون المجرّدون عن السّماوات والارض الطّبيعتين، وتأدية ما في السّماوات والارض عن التي هي لذوى العقول من باب التّغليب، اولاته يستفاد كون غيرهم له بطريق

اولى والمعنى لا يستكبرون عن عبادته فكيف يكونون معبودين كما قال بعض اوينات له تعالى اوبنين [وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ] حسر كضرب وفرح اعياء كاستحسر، وكنصر وضرب كشف وانكشف [يُسَبِّحُونَ] ينزهون الله عن النقائص بلسان حالهم وقالهم وبفطرة وجودهم ولعدم جامعية الملائكة اقتصر على التسبيح ولم يذكر الحمد لهم [اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ] اى فى الليل والنهار يعنى دائماً فان غذاءهم التسبيح، وعالم الملائكة المقربين مشتمل على ليل ونهار لا تقين به وان كان مجرداً عن الليل والنهار المحسوسين فان الملائكة المقربين بجهانهم الوجوبية وجهانهم الامكانية وبوجوداتهم وتعيناتهم نهار وليل، ويسبحون الله بجميع جهاتهم وجميع مراتبهم [لَا يَفْشُرُونَ] لا يضعفون عن التسبيح فان التسبيح كما قبل جعل لهم كالانفاس لنا [أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهًا مِنَ الْأَرْضِ] يعنى هذه حال من فى السماء من انهم لا يدعون الالهة لانفسهم ولا ينبغي لهم لانهم عباد اذلاء تحت قدرة الله بل هؤلاء المشركون اتخذوا آلهة من الارض يصح لهم الالهة ويدعون الالهة [هُمْ يُنْشِرُونَ] يعنى يفعلون فعل الالهة، والانيان بالضمير المتقدم للإشارة الى الحصر الاضافى بالنسبة الى من فى السماء، والنشر بمعنى الحيوية والاحياء، والانشار الاحياء وقرئ ينشرون بفتح الياء وضمها [لَوْ كَانَ فِيهِمَا] اى فى السماء كما يقول من يقول بالآلهة الملائكة والكواكب، والارض كما يقول من يقول بالآلهة الاصنام والعجل وبعض الاناسى وابليس، وكما يقول الثنوية [إِلَهَةٌ إِلَّا اللَّهُ] ليست الا استثنائية لعدم صحة الاستثناء لفظاً ومعنى لعدم شمول الالهة لكونه جمعاً منكرأ فى الايجاب، وللزوم جواز صحة تعدد الالهة مع الله بحسب مفهوم مخالفة الاستثناء [لَفَسَدَتَا] لكون الالهة حينئذ نامى القدرة والالام يكونوا الالهة واقتضاء تمامية القدرة صحة تدافع كل وتمانعه عن مراد الآخر، فان قيل ان مرادهما يكون قريباً للحكمة فيكون مراد كل مراداً للآخر فلا يكون تدافع، يقال: الاستدلال بصحة التدافع لا بوقوعه، وصحة التدافع مستلزمة لصحة الفساد فيهما، وهذا هو استدلال المتكلمين وبيانهم للآية وهو كما ترى

والتحقيق فى بيان الآيات ان يقال: انها اشارة الى برهان تام يسمى برهان الصديقين وطريقهم وهو برهان الفرجة الذى اشار اليه الصادق (ع) من لزوم الفرجة واستلزام فرض آلهين ثلاثة واستلزام الثلاثة خمسة وهكذا فانه لو فرض الالهين فاما ان يكونا قديمين قويين او حادثين ضعيفين، او يكون احدهما قديماً قوياً والآخر حادثاً ضعيفاً، والاخير ان خلاف الفرض ومثبتان للتوحيد، وان كانا قديمين واجبين والوجوب من صفات الوجود، والوجود كما سبق فى اول الكتاب متأصل فى التحقق، وتحقق كل متحقق يكون بتحقيقه، وسبق ان الوجود حقيقة واحدة لا تكثر فيه بوجه من وجوه التكثر، وان تكثره لا يكون الا بضمائهم، فاذا كان القديمان واجبين بالذات كانا مشتركين فى حقيقة الوجود، وتعددهما افتراقهما لا يكون الا بضميمة ولا اقل من انضمام ضميمة الى واحد منهما حتى يصح الافتراق بالاطلاق والانضمام ولا يكون الضميمة من سنخ المهيئات والا لزم ان يكون الكل ممكناً حادثاً هذا خلاف الفرض، بيان الملازمة ان المركب تابع لاخس اجزائه والمهيئة من حيث ذاتها لا تكون الا ممكنة، والممكن لا يكون الا حادثاً فالكل الذى صارت المهيئة جزء له لا يكون الا ممكناً حادثاً ولا تكون من سنخ العدم وهو واضح فيكون من سنخ الوجود فيصير المفروض آلهين ثلاثة ولما كانت الثلاثة مشتركة فى حقيقة الوجود فلا يكون التعدد الا بضمائهم واقلها ضميمتان فيصير الثلاثة خمسة، ونقل الكلام الى الخمسة فتصير تسعة وهكذا الى ما لانهاية له وهذا البرهان بعد اتقان المقدمات من اسد البراهين واتمها لانه يؤخذ من النظر الى نفس حقيقة الوجود من غير اعتبار شي آخر معها، وكما لا يحصل المعرفة التامة بالله الا برفع الحجب والمظاهر ونفى الاسماء والصفات وكشف سبجات الجلال

من غير اشارة وذات للعارف كما ورد عنهم (ع) اعرفوا الله بالله يعني لا بمظاهره واسمايه وصفاته لا يحصل العلم التام بالله الا برفع النظر عن المعاليل والتوجه الى الله وتحقيق حقيقته واخذ البرهان عليه من نفس حقيقته حتى يقال علمت الله بالله، والحاصل انه لو كان الواجب متعدداً لزم انقلاب الواجب ممكناً وفيه بطلان العالم وفساد السماوات والارض لانها ممكنة والممكن مالم يستند الى واجب لم يوجد، او صيرورة المتعدد واحداً وهو المطلوب، او عدم انتهاء عدد الواجب الى حد وهو خلاف المدعى [فَسُبْحَانَ اللَّهِ] يعني اذا كان التعدد مورثاً لابطال السماوات والارض فتنزه الله تنزهاً [رَبُّ الْعَرْشِ] الذي هو جملة المخلوقات [عَمَّا يَصِفُونَ] اي عن الذي يصفونه به من الشريك او عن وصفهم له بالشريك [لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ] حال اوجواب لسؤال مقدّر او معترضة والمقصود انه لا يحكم عليه بالسؤال عنه في افعاله ليكون دليلاً على آلهته [وَهُمْ يُسْأَلُونَ] يعني يحكمون عليهم ليكون دليلاً على عدم آلهتهم والضمير راجع الى المعبودين او الى العابدين والمعبودين، او الى العابدين فقط للتهديد، او المعنى لا ينبغي ان يسأل عما يفعل لانه لا يفعل ما يفعل الا لحكم ومصالح عديدة متقنة لا يمكن احصاؤها وهم ينبغي ان يسألون بجهلهم بالغايات وعدم اهتدائهم الى المصالح [أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً] دون بمعنى تحت وفوق وبمعنى امام ووراء من الاضداد وبمعنى غير وبمعنى المكان القريب من الشيء والمناسب ههنا ان يجعل دون بمعنى امام او عند يعني بمعنى المكان القريب حتى يكون تأسيساً، فان قوله تعالى له من في السماوات والارض ومن عنده ابطال تجويز كون شيء في العالم الها عبد ام لم يعبد، وقوله تعالى ام اتخذوا آلهة من الارض ابطال تجويز جعل شيء بالمواضعة من عند انفسهم آلهة فان اتخاذ الالهة من الارض سواء جعل من الارض صفة لآلهة او متعلقاً باتخذوا يشعر بكون الاتخاذ بالمواضعة من عند انفسهم، لا من عند الله، وقوله تعالى ام اتخذوا من دونه آلهة يشعر بكون الاتخاذ بالمواضعة والآلهة وباذنه واجازته كما اذا قيل جعلوا اميراً لهم من ملكهم، وقيل: جعلوا اميراً لهم من عند الملك، فان الاول يدل على ان الجعل كان بالمواضعة من عند انفسهم، والثاني يدل على كون ذلك باذن الملك وتقديم من دونه ههنا على الآلهة لشرافته باضافته الى الله تعالى وهو حال من الآلهة او متعلق باتخذوا [قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ] لما كان الاتخاذ بالمواضعة من عند انفسهم يستدعي صحة الالهة في نفس الامر للمأخوذ آلهة ابطال آلهة المأخوذ من آلهة اولاً بقوله على سبيل الانكارهم ينشرون وابطال آلهة مطلق ما يتصور آلهة ثانياً بقوله لو كان فيهما (الآية) بعد ما ابطال الآلهة مطلقاً قبل ذلك بقوله: وله من في السماوات (الى آخرها) ولما كان الاتخاذ بالمواضعة الآلهة لا يستدعي صحة الآلهة في نفس الامر بل يكفي صحة كون المأخوذ آلهة باذن الله مظهر آلهة الله بخروجه من حدود نفسه وظهور ربه فيه قال قل هاتوا برهانكم على اذن الله في آلهة شيء مما اخذتموها آلهة، ولما كان الامر للتعجيز والمقصود منه نفى البرهان على المدعى قال [هَذَا ذِكْرٌ مِّنْ مَّعَى] في مقام التعليل لعدم البرهان يعني هذا القرآن ذكر من معنى موجود واحكامهم [وَذِكْرٌ مِّنْ قَبْلِي] ولم يكن في احكام من معنى ولا في احكام من قبلي ما يدل على اذنه تعالى في اتخاذ ما اخذتموه آلهة [بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ] الاول تعالى وصفاته حتى يعلموا اذنه وترخيصه في آلهة شيء اولاً يعلمون الحق الثابت فينفقون بما يتخيلون من غير علم بحقيقته كالمجنون، والتشديد بالاكثر لان الاقل منهم يعلمون بطلان الآلهة ويقولون بآلهتها لا غرض نفسانية، وقرئ الحق بالرفع خبر مبتدئ محذوف، او مبتدئ خبر محذوف [فَهُمْ مُّعْرِضُونَ] عن الحق لذلك [وَمَا أَرْسَلْنَا] جملة حالية [مِّنْ قَبْلِكَ مِّنْ

رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ] لما كان الوحي خاصاً بالرسول والعبادة عامة له ولا مته افرد ضمير اليه وخاطب الجميع في الامر بالعبادة ، ويجوز ان يكون قوله وما ارسلنا عطقاً باعتبار المعنى ويكون فيه معنى الاضراب والترقي كأنه تعالى قال حين قال هاتوا برهانكم هذا ذكر من معي وذكر من قبلي ليس لهم برهان على الانتخاذ لان برهان هذا المطلب ليس الا الوحي وليس في الوحي اذن وترخيص في اتخاذ آله سواء بل ما ارسلنا قبلك من رسول الا نوحى اليه بالتوحيد وخلع الانداد لا بالاشراك واتخاذ الانداد [وَقَالُوا] عطف باعتبار المعنى كأنه قال: قالوا اتخذنا آلهة ، او جعل الله لنا آلهة وقالوا [اتخذوا الرحمن وكذا] يعني القائلين بان الملائكة بنات الله والقائلين بان عزيراً ابن الله ، والمسيح ابن الله [سُبْحَانَهُ] تنزهه عن الصاحبة والولد [بَلْ] الملائكة والمسيح وعزير [عباد] لله [مكرمون] .

اعلم ، ان الاشياء كما سبق مكرراً حقائقها وذواتها عبارة عن فعلياتها الاخيرة ، واسماؤها واحكامها جارية على تلك الفعليات ، وان الانسان اذا باع البيعة الخاصة الولوية يحصل له فعلية هي فعليته الاخيرة ، وتلك الفعلية تنعقد بالولاية كانعقاد اللبن بالانفحة ، وبذلك الانعقاد يحصل له نسبة الى صاحب الولاية والبيعة ويعبر عن تلك النسبة بالبنوة والابوة وبحكم المنطوق الصريح من قوله تعالى: ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ، يصدق على تلك النسبة انها نسبة بين العبد وبين الله ، وبهذا الاعتبار قالت اليهود : نحن ابناؤه ، وبهذا الاعتبار وباعتبار ان النسبة الجسمانية والاضافة المعبر عنها بالابوة والبنوة كانت منتفية عن المسيح ، وباعتبار ان بدنه صار محكوماً بحكم روحه قالت النصارى: المسيح ابن الله ولم يقولوا في غيره ذلك ، وهكذا الحال في عزير ، ولما كان الاتباع تفوهاً بهذا القول من غير تحقيق وتحصيل ولم يدركوا من الولادة الا الولادة الجسمانية المستلزمة لمفاسد كثيرة في حقه تعالى رد الله تعالى عليهم واثبت العبدية لهم لا الولادة والتسخية [لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ] الباء بمعنى في اول التسيبة [وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ] كان الا وفق بالمعطوف عليه ان يقول ويعملون بامره لكنه اراد الحصر في المسند اليه وحصر عملهم في كونه بامره فغير الاسلوب [يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ] المراد بما بين ايديهم كما اسلفنا مكرراً اما الدنيا والآخرة [وَمَا خَلْفَهُمْ] يعلم بالمقايسة وهو جواب لسؤال مقدّر كأنه قيل: هل يعلم الله جهة دنياهم وجهة آخرتهم حتى يجوز له الامر فيما يحتاجون اليه في دنياهم وآخرتهم؟ - فقال: يعلم ذلك منهم [وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى] الله طينته فان الشفاعة غير مقصورة على من آمن او المعنى الا لمن ارتضى الله ان يشفع له (ص) فيكون في معنى من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه [وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ] لا من غير خشيته [مُشْفِقُونَ] الخشية كما سبق خوف مع ترجم فاتها حالة ممتازة من لذة الوصال والاستشعار بالفراق ، والفوات والاشفاق كذلك الا انه قد يلاحظ الهيبة في الخشية والاعتناء في الاشفاق والمعنى انهم لاجهة خوف فيهم سوى جهة الخشية من الله فعلى هذا يكون من التعليل ، والتقديم للحصر ، او المعنى انهم لاجل الخشية من الله مشفقون في اهلهم ، او على خلق الله ، او المعنى انهم على خشية مشفقون يعني انهم بواسطة ادراك لذة الوصال في الجملة في الخشية يحبون الخشية ويخافون فواتها فيكون لفظ من صلة للاشفاق فانه قد يتعدى على اذا لوحظ فيه جهة الترحم ، وقد يتعدى بمن اذا لوحظ فيه معنى الخوف [وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ] من الخلق او من العباد المكرمين [إِنِّي إِلَهُ مِنْ دُونِهِ] ظرف لغو متعلق يقل اي من يقل من غير اذنه انى اله بمعنى المربى في الطاعة ولذلك فسّر انى اله بانى امام ، او ظرف مستقر صفة لا اله ولقطة من للتبعيض اي اله ثابت بعضاً من غيره

[قَدْ لِكَ] اسم الإشارة البعيدة لتوحيده وتبعيده عن ساحة الحضور [نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ] كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ [لآل محمد (ص) يغصب حقهم أو الظالمين بمنع الحق عن المستحق وأعطائه لغيره فانه لا يكون الا عن الانانية التي هي نحو آلهة في مقابل الله تعالى ومغايرة له تعالى] [أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا] التقدير الم ينظر الذين كفروا ولم يروا [أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا] يعنى ان السماوات والارض الطيبعتين كانتا منضمتين مجتمعتين في وجود واحد جمعى في مقام المشيئة ، ثم في مقام العقول ، ثم في مقام النفوس ففتقناهما في مقام الطبع وفصلناهما ، او سماوات الارواح وارضى الاشباح كانتا رتقا في مقام المشيئة والعقول والنفوس ففصلناهما ، او السماوات والارض الواقعتين في العالم الصغير كانتا رتقا في النطفة والجنين ففتقناهما ، او السماوات والارض كانتا رتقا غير ممطرة وغير منبثة ففتقناهما بالمطر والنبات ، وعلى بعض التفاسير استعمال الرؤية اما بجعلها بمعنى العلم ، او بادهاء ان الرتق والفتق من الحسيات او كالحسيات ، وعدم الرؤية من عدم الالتفات [وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا] عطف على فتقنا والتقدير جعلنا من مائها كل شيء حي بالحيوة الحيوانية او بالحيوة النباتية والحيوانية وخلق الحيوان من الماء الذى هو النطفة التى هي مادة له وخلق النبات من الماء الذى هو سبب لخلقه وانباته ، او التقدير جعلنا بعد الفتق من الماء كل شيء حي [أ] يعرضون عن تلك الآيات التى هي آيات علمه وحكمته وقدرته وتصرفه تعالى في الجليل والحقير [فَلَا يُؤْمِنُونَ] ولا يدعون به [وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيًا] بعد فتقهما [أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ] قد سبق الآية بتزليلها وتأويلها [وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا] جمع الفج الطريق الواسع بين الجبلين ، او مطلقا كالفجاج بالضّم ويستفاد من تنزيل الآية السابقة وتأويلها بيان هذه [سُبُلًا] بدل من فجاجا [لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ] الى معابشهم ومصالحهم ومنافعهم ودفع مضارهم والى بلادهم الصورية ومواطنهم الحقيقية [وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا] من الاندراس والفناء الى الوقت المعلوم ، او من الوقوع على الارض ، او من استراق السمع [وَهُمْ عَنْ آيَاتِنَا مُعْرِضُونَ] فان الآيات الدالة على وجود الصانع وعلمه وحكمته واعتناؤه بخلقه وقدرته كثيرة وهم مثل اهل زماننا كانوا لا يعتبرون بها بل كانوا عندها معرضين [وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ] الذين هما من آياتها وبها ينابط اكثر الآثار السفلية ، والجملة عطف على قوله : هم عن آياتها معرضون ، او حال عن الفاعل المستتر في معرضون او عن آياتها ، كما ان قوله وهم عن آياتها معرضون حال عما سبق والمعنى جعلنا السماء سقفا محفوظا كثير الآيات والحال انهم معرضون عن آياتها غير ناظرين اليها والحال اننا خلقنا الليل والنهار اللذين هما مشهودان لهم وهما من آيات السماء ويرتب عليهما حكم ومصالح كثيرة ولا ينبغي الغفلة والاعراض عنهما [و] خلقنا [الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ] اللذين هما من اعظم آياتها ولا يتكوّن متكوّن لا بتأثيرهما ، وكل من نظر اليهما بالتأمل الذى هو من شأن الانسان يدرك انهما اعظم قدرا واكثر اثرًا واشد ظهورًا من ان يغفل عنهما او لا يدرك منهما دلالتهما على مبدء عليم حكيم قدیر [كُلُّ] من الشمس والقمر [فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ] كان الظاهر ان يقول : كل في فلک يسبح ان قدر كل منهما او يسبحان او يسبح ان قدر كلتهما بمعنى كليهما لكنه تعالى للاشعار بكثرة افراد كل من الشمس والقمر طولا كما ورد : ان وراء عين شمسكم هذه تسع وثلاثين عين شمس ، ووراء قمركم هذا تسعة وثلاثين قمرًا ، وبكثرة افرادهما عرضا كما شاع في زماننا من حكماء الافرنج ان الكواكب بعضها شمس منيرة بذاتها ، وبعضها اقمار مستنيرة من غيرها ، اتى بالعبارة هكذا ليكون المعنى كل جماعة من افراد الشمس وافراد القمر في نوع من الفلك روحاني او جسماني يسبحون فان

الافلاك كالكوكب كما تكون طبيعية تكون روحانية كما قيل:

آسمانهاست در ولايت جان كار فرماي آسمان جهان

والايتان بضمير ذوى العقول للاشارة الى انها ذوو شعور وعلم كما قيل:

خرمگس خفتساحمار قبان همه باجان ومهرومه بى جان

واستعمال التسابحة لتشبيه الفلك بالبحر والنهر وتشبيه الكواكب بالسابع [وَمَا جَعَلْنَا] التفات من الغيبة الى التكلّم كما كان ما قبله التفاتاً من التكلّم الى الغيبة وهو عطف او حال عن سابقه وانكار لما قالوا من انّا نتربّص به ريب المنون كأنه قال: وخلقنا الليل والنهار المقنيين بتعاقبهما كما هو مشهود لك وللجميع جميع النفوس والمواليد وما جعلنا [لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ] خارجاً من سنّة افناء الليل والنهار حتى تترقب او يترقبوا لك الخلود [أ] ينتظرون موتك دون موتهم [فَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ] تعليل لانكار الخلود [وَنَبْلُوكُمْ] عطف على كلّ نفس ذائقة الموت، او على ما جعلنا والاختلاف بالاسمية والفعلية او بالمضى والاستقبال للشعار بان الاختبار مستمر من الماضي الى المستقبل [بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ].

اعلم، ان الانسان ذو مراتب ولكل مرتبة منها شرّ وخير خاصان بها فان المرتبة الحيوانية خيراتها ملائمتها شهواته وغضباته، والمرتبة البشرية خيراتها ملائمتها هذه لكن مع عدم الخروج عن انقياد العقل، والمرتبة القلبية ملائمتها العلوم والافصاف الجميلة، وشرور كل منافراته؛ وهكذا، وقد يكون خير مرتبة شرّاً لمرتبة اخرى، وقد يكون خير أو قد لا يكون شرّاً ولا خيراً، ومعنى الابتلاء الاختبار والخلص ممّا لا ينبغي ان يكون مع الانسان، والاختبار بشرّ المراتب واضح والاختبار بخيرها بان ينظر هل يشكر ويتوجه في الخير الى مفيض الخير او يطفئ ويلهوه عنه، فان قفي الشكر خلاصاً للطيفة الانسانية من الشوائب والنفس من الرذائل، وفي الطغيان خلاصاً للطيفة السجّية من شوائب العليتين والنفس من شوب الخصائل [فِتْنَةً] مصدر من غير لفظ الفعل [وَالْيَنَّا تُرْجَعُونَ] وعدو وعدوه هو عطف على كلّ نفس ذائقة الموت، ومفيد للتعليل لانكار الخلود مثل سابقه، روى ان أمير المؤمنين (ع) مرض فعاده اخوانه فقالوا: كيف نجدك يا أمير المؤمنين (ع)؟ قال: بشرّ، قالوا: ما هذا كلام مثلك! قال (ع): ان الله تعالى يقول ونبلوكم بالشرّ والخير فتنة؛ فالخير الصحة والغنى، والشرّ المرض والفقر [وَأَذَارُ أَكْ الذِّينَ كَفَرُوا] بالله اوبكث او بعلی (ع) [إِنْ يَتَّخِذُوا نَكَاحًا] هو جواب لاذا ولم يأت بالفاء في الجواب مع لزوم الفاء في الجواب المنفي بان اما لتقدير الفاء او لحذف الجواب بقرينة هذه الجملة والتقدير اتخذوك هزء ان يتخذونك [الْأَهْزُوا] مهزواً به وهو مصدر بمعنى اسم المفعول [أَهْذَأَ الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ] حال بتقدير القول اي قائلين: اهذا الذي كان بيننا وكان ضعيفاً فينا هو الذي يذكركم آلِهَتكم بسوء ويعيبهم؟ والحال انهم اولى بالاستهزاء لانهم معرضون عن الله وعن خلفائه [وَهُمْ يَذْكُرُ الرَّحْمَنَ هُمْ كَافِرُونَ] تكرر المسند اليه بالضمير للتأكيد وللحصر الادعائي كأنهم لا كافروا هم، وتقديم الظرف على عامله لشرافته بالاضافة الى الرحمن وللحصر ايضاً يعني ان الاشياء جهتين؛ جهة ذكر الرحمن وجهة ذكر الشيطان وهوى النفس وانت تعيب عليهم الهتهم بجهتها الشيطانية لا بجهتها الرحمانية فانت اولى بالتصديق والتبجيل وهم كافرون من الاشياء جهة ذكرها للرحمن ناظرون الى جهة ذكرها للشيطان، فهم اولى بالاستهزاء واحق بالتوهين، او المراد بالذكر القرآن والرسالة والولاية فان الكل ذكر لله، والباء في قوله يذكركم الرحمن سببية او صلة كافرون [خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ] جملة منقطعة عن سابقها لفظاً ومعنى، او مرتبطة بمعنى جواب لسؤال

كان مذكوراً او مقدراً كأنه (ص) قال: اوامته قالوا مستبطين لمؤاخذتهم الى م تمهلهم؟ فقال: خلق الانسان من عجل وهذه عبارة دائرة في العرب والعجم اذا أرادوا المبالغة في امر يقولون: انه خلق من هذا الامر كأنه جعل ذلك الامر مادة خلقته، وفي الخبر ان آدم (ع) لما نفخ فيه الروح اراد ان يقوم قبل اتمام النفخ فقال تعالى: خلق الانسان من عجل [سَأْرِيكُمْ آيَاتِي] في مؤاخذه المستهزين [فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ] في حلول العذاب بهم، وهذه الآية بهذا التفسير تدل على ان قوله خلق الانسان من عجل مرتبط معنى بسابقها [وَيَقُولُونَ] عطف على قوله اهنا الذي يذكر آلهتكم فانه في التقدير يقولون: اهنا الذي يذكر آلهتكم كما اشرنا اليه ويقولون استهزاء بنحو آخر [مَتَى هَذَا الْوَعْدُ] الذي تعدون من وعد القيامة او وعد العذاب [إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ] في وعدكم [لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا] اني بالاسم الظاهر تصريحاً بكفرهم و اشعاراً بعلّة الحكم [حِينَ لَا يَكْفُفُونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ] حين مفعول يعلم ولو للشرط والجزاء محذوف والمعنى لو يعلمون وقت احاطة النار بهم في الجحيم او في البرزخ وعدم قدرتهم على دفعها لعلوا اي منهم ومنكم احق بالاستهزاء اولما استهزوا اولما استعجلوا الوعد، او للشرط وحين ظرف والمعنى لو يكون لهم علم في وقت احاطة النار بهم يعلمون ما حل بهم من العذاب او للتمتني وحين على الوجهين [وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ] يعني لا يقدرّون على دفع العذاب بأنفسهم ولا يعينهم معين آخر [بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً] اضراب عن عدم علمهم المستفاد من لو يعلمون او اضراب عن عدم كفتهم والضمير للنار او للعدة او للقيامة المعهودة بينهم [فَتَبْهَتُهُمْ] اي تحيرهم بحيث لا يبقى لهم شعور وتنبير لدفعها [فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا] عن انفسهم [وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ] لتنبير دفعها اولتوبة ومعذرة، اولجبران ما فات منهم بالأعمال الصالحة [وَلَقَدْ اسْتَهْزَى بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ] تسليه له (ص) عن استهزاء قومه [فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ] اي القول والعمل الذي كانوا به يستهزئون، او العذاب الذي كانوا به يستهزئون [قُلْ] ردّ آعليهم في اتخاذ الآلهة [مَنْ يَكْلُو كُمْ] اي يحفظكم [بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ] اي من عقوبته او من قبله ان اراد بكم سوء والمقصود حملهم على الاقرار بعجز الآلهة، وهذه الآية مثل سوابقها تعرض بمن اتخذ من دون علي (ع) اولياء [بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ] تذكّر ربهم المطلق اوربهم المضاف او عما يذكّرهم به ربهم من الآيات الآفاقية والانفسية والآيات العظمى التي أعظمها علي (ع)، او المراد بذكر ربهم القرآن او محمد (ص) او علي (ع) ابتداء [مُعْرِضُونَ] ولهذا لا يتذكرون ان آلهتهم عاجزون وان ليس الحافظ من سخط الله الا الله [أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ] عطف باعتبار المعنى كأنه قال: الهم آلهة تكلّوهم من عقوبة الرحمن او حال كونها من قبل الرحمن ام لهم آلهة [تَمْنَعُهُمْ] من عذابنا او من حوادث الزمان حال كونها [مِنْ دُونِنَا] من غيرنا او حال كونها من عندنا [لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ] استيناف جواب لسؤال مقدّر كأنه قيل: فما شأن آلهتهم؟ فقال: لا يستطيعون نصر انفسهم فكيف بغيرهم [وَلَا هُمْ مُنَايِضُ حَبِيبُونَ] اي يحفظون من: اصحاب فلان واصطحبه اي حفظه ومنه، والمعنى ان آلهتهم لا يستطيعون نصر انفسهم وليسوا بأنفسهم محفوظين من قبلنا، وليسوا محفوظين من عذابنا لا بأنفسهم ولا بغيرهم [بَلْ مَتَّعْنَاهُمْ هَؤُلَاءِ] يعني ليس لهم آلهة بل متعنا هؤلاء [وَأَبَاءَهُمْ] بالاموال والاولاد والاعمار والصحة والامن [حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ] فاغترروا بتمتعنا واتبعوا اهواءهم [آ] اغترروا بتمتعنا وغفلوا عن الرجوع البنا

[فَلَا يَرَوْنَ أَنَا نَأْتِي الْأَرْضَ] برسلنا [نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا] باذهاب النفوس النازلة من عالم الارواح اليها المثقلة لها التي تريدنا عن قدرها ، ولما كان النفوس السفلية الشيطانية كأنها لا تنقل من الارض بالموت فسر نقصان الارض بموت العلماء في اخبارنا ، وقيل : ان المعنى نقصها من اطرافها بظهور المسلمين على الكافرين بنقصان ديار المقاتلين وارضيتهم وازدياد ديار المسلمين وارضيتهم لكن هذا لا يناسب سوق العبارة في المقام [أَفْهَمُ الْغَالِبُونَ] على امرنا وحكمنا وقد مرت الآية في سورة الرعد [قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ] بسبب وحي الله الى بالانذار لا بسبب الهوى كما ان تخويفاتكم تكون بالهوى او انذركم بما أوحى الى لا بما تخيل من نفسى مثلكم ولكن لا ينفعكم انذارى لانكم صم [وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ] اى النداء [إِذَا مَا يُنذَرُونَ] فلا ينتفعون [وَلَكِنَّ مَسْتَهْمُ نَفْحَةٍ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ] يعنى انهم يستعجلون بالعذاب ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك ، النفحة الدفعة من نفح الطيب ونفح الريح بمعنى هبت ، ونفح العرق نزا والنفحة من العذاب القطعة منه [لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا] كالعاجز عن الدفع والاستنصار من غير توسل بالا لمة [إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ] يعنى اعترفوا بظلمهم فى اتخاذ الآلهة من دون الله والاولياء من دون ولى الامر [وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ] الميزان ما يوزن ويقاس به مقدار الشيء وحاله سواء كان ذلك ذا الكفتين او القبان او الزرع او مقياس البناء والمساح ، واحكام الشرائع والملل ، او آداب الطريق والسلوك ، او كتب الله السماوية ، او وجود خلقاء الله تعالى بأعمالهم وأقوالهم وأحوالهم وأخلاقهم ومراتب وجودهم ، ولما كان الموازين فى الآخرة كثيرة بحسب النشآت ومراتب الاشخاص جمع الموازين بالجمع الدال على الكثرة وقد سبق فى أول سورة الاعراف تحقيق وتفصيل للوزن والميزان ، والقسط بمعنى العدل ومن المصادر التى يوصف بها ، يستوى فيه الواحد والجمع والمؤنث والمذكر [لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ] اى فى يوم القيامة ، اول للناس فى يوم القيامة ، اول لحساب يوم القيامة [فَلَا تُظَلِّمُوا] بنقص ثواب او زيادة عقاب ، او ثواب فى موقع العقاب ، او بعكس ذلك [نَفْسٌ شَيْئًا] هو مفعول ثانٍ لتظلم او قائم مقام المصدر [وَأِنْ كَانَ] العمل [مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ] اى مقدار حبة من خردل ، وقرئ مثقال حبة بالرفع على جعل كان تامة [آتَيْنَاهَا] وقرئ بالمد من باب الافعال او المفاعلة [وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ] الجملة معطوفة على قوله لئن مستهم ، او على قوله ونضع الموازين ، والاول اولى لتوافق المتعاطفين فى الانشاء ، فان لام لقد آتينا موطئة للقسم ، والثانى اوفق بحسب تناسب المعنى فان وضع الموازين ليوم القيامة يناسب اتيان الفرقان لموسى لانه ايضا ميزان فكانته قال : نضع الموازين القسط ليوم القيامة وآتينا موسى فى الدنيا الميزان القسط الذى هو التوراة الفارقة بين الحق والباطل [وَضِيَاءٌ وَذِكْرًا] من قبيل عطف اوصاف عديدة لشيء واحد على ان يكون الفرقان والضياء والذكر اوصافاً للتوراة ، او من قبيل عطف المتباينات ان اريد بالفرقان التوراة اوفلق البحر ، او سائر المعجزات وبالضياء والتذكر غيرها [لِلْمُتَّقِينَ] متعلق بآتيناه ، وكون الفرقان للمتقين لكونهم منظورين من اتيناه ومنتفعين به ، اوصفة لضياء وذكر ، اول ذكر فقط [الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ] صفة بيانية للمتقين ، وبالغيب حال من ربهم او من فاعل يخشون ، والباء للظرفية ، او للمصاحبة ، او الباء للسببية ، والظرف لغو متعلق يخشون اى يخشون بسبب غيب اعمالهم من حيث الصحة والبطلان او بسبب غيب جزاء اعمالهم ، او بسبب غيب موارد وعده ووعيده عنهم [وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ] قد مضى قبيل هذا بيان الخشية والاشفاق [وَهَذَا ذِكْرُ مُبَارَكٍ] كثير البركة

والخيرات وهو ميزان اهل هذا الزمان في الدنيا [أَنْزَلْنَاهُ] قد مضى ان الاتيان بالايان في وصف كتاب موسى (ع) وبالاتزال والتزليل في وصف كتاب محمد (ص) تشریف للقرآن [أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ] بعد وضوح صدقه وحجته وبعد كونه ذاتظير في السابقين [وَلَقَدْ أَتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ] ما به رشده من الحجج والبراهين او الرشد التلاق بحاله من الاهتداء الى كماله [مِنْ قَبْلُ] اي من قبل القرآن او من قبل موسى [وَكُنَّا بِهِ] اي برشده او بابراهيم [عَالَمِينَ] [ذُقَال] ظرف لاتينا او العالمين [لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ] ما هذه التماثيل جمع التمثال بالكسر وهو الصورة والاغلب استعماله فيما لاروح له [الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ] التلام بمعنى على او للتقوية فان العكوف يتعدى بنفسه ويكون بمعنى الحبس ، وبعلى ويكون بمعنى الاقبال ، ويجوز ان يتضمن معنى العبادة فيكون التلام للتقوية ايضاً [قَالُوا] في الجواب مثل اهل كل زمان [وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ] فان الناس لغلبة المدارك الحسية عليهم لا يتجاوزون عن المحسوس ولا يتأملون في المحسوس وفي صحته وبطلانه خصوصاً فيما رأوه من اول التمييز من الآباء والامهات والكبار من القوم ويتلقونه بالقبول ويتمسكون به من غير حجة ولذلك اکتفوا في الجواب بذكر تقليد الآباء من غير ابراز حجة فان السؤال وان كان بلفظ ما الدال على طلب الحقيقة لكن المقصود كان انكار عبادتها وينبغي ان يجيبوا بما يصحح العبادة لها .

اعلم ، انه كما نقل كان بين اوصياء آدم وشيث وبين نوح رجال صالحون كان الناس يأنسون بهم فلما ارتحلوا دخل الناس حزن شديد فصنع بعض الصالحاء لأنس الناس ورفع حزنهم تماثيل اولئك الصالحاء وكانوا يزورونها ويأنسون بها ، فلما تبادى الزمان وارتحل الآباء وبقي التماثيل للاولاد والاولاد لاولاد جاء الشيطان اليهم وقال : كان آباؤكم يعبدون هذه التماثيل واغترأوا بها وعبادتها ، وقيل : كان تلك التماثيل تماثيل الكواكب كانوا يزورونها ويتوسلون بها في حوائجهم كما ان شريعة العجم المنسوبة الى مهاباد كانت على ذلك ، [قال] ابراهيم (ع) رداً لهم في عبادتهم وفي تقليدهم [لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ] قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ [يعنى تصدق ام تمزح ؟] - [قال] بعد انكار ربيويتها لحصر الربوبية في الله [بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ] اذى الدعوى بحيث يدل عقد الحمل على صحتها ، وتوضيف المحمول بالذى فطرهن يدل على صحة عقد الحمل [وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ] يعنى ليس قولى هذا عن مزاح ولعب بل عن جد ومواظاة قلب [وَتَاللَّهِ لَا كَيْدَ لَنَا صُنَاكُمْ] اي لأفعلن بها في خفية ما لا يلائمها [بَعْدَ أَنْ تُولُودُوا مُدْبِرِينَ] حال مؤكدة او مقيدة باعتبار ان التولية بمعنى الاقبال والادبار ، وهكذا التولى ، قيل : انما قال ذلك في السر من اصحاب نمرود ولم يسمع ذلك الا رجل منهم فأفشاه ، وقيل : كان موعد عيد لهم ففكر هو اخروج ابراهيم (ع) معهم ووكّلوه بيت الاصنام ، او انه تمارض كما في الآية وتخلّف عنهم فخرجوا صغيرهم وكبيرهم الى عيد لهم فدخل بيت الاصنام وأخذ القدوم وكسر الاصنام [فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا] الجذاد يتثليث الجيم اسم من الجذع بمعنى القطع والاستيصال وقرئ هنا بالضم والكسر [الْأَكْبَرُ] الهم في الخلقة او في التعظيم وعلّق الفاس في عنقه وخرج [لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ] اي الى ابراهيم او الى الكبير [يَرْجِعُونَ] فيسألون ابراهيم عن حال الاصنام وكسرهن ولينبههم على جهلهم بذلك او يسألون الكبير فينتبهون انه ليس قابلاً للسؤال فضلاً عن العبادة [قَالُوا] جواب

لسؤال مقدر كأنه قيل: فما قالوا بعد ما رجعوا الى الاصنام ووجدوها مكسرة؟ فقال: قالوا [مَنْ فَعَلَ هَذَا بِإِلَهِنَا] ان كان من استغفامية فالوقف ههنا، وان كان موصولة فقوله [إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ] خبره، وان كان شرطية فهو جزاؤه لكن بتقدير الفاء والمقصود انه ظالم على نفسه بجعلها عرضة للقتل والسياسة، او ظالم على آلهتنا [قَالُوا سَمِعْنَا] يعنى قال بعضهم فى جواب هذا القائل: سمعنا قبل ذلك [فَتَنَى يَدُكَرُهُمْ] ويعيب فيهم [يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ قَالُوا] اى قال القوم للجماعة الذين قالوا سمعنا فتى يذكركمهم [فَأُتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ] فاكشفوه بالاثيان به على اعين جميع الناس حتى يعرفوه [لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ] بما سمعتم منه اولعتهم يشهدون على اقراره بان يقر بهذا الفعل فشهدوا على اقراره اولعتهم يحضرون عذابه وعقوبته فجاءوا به وساءلوه [قَالُوا] فى حمله على الاقرار [عَ أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِإِلَهِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ] ما انا فعلته [بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا] لما كان السؤال عن الفاعل بعد كون الفعل مسلّم الوقوع كان الموافق للجواب ان يقول: بل كبيرهم فعل ليكون اثباتاً للفعل المسلّم للكبير ونفياً له عن غيره لكنه قدّم الفعل لانه اراد ان يبرز الفعل مبرز المفروض، لان هذه القضية من القضايا الفرضية المتداولة فى العرب والعجم، والانسب بالقضايا الفرضية ان يكون الفعل فرضياً ايضاً فانها فى التقدير هكذا بل فعله كبيرهم ان كان ما تقولون من انهم آلهة حقاً لان كسر الآله لا يتمشى الا من الآله ولان الكبير ينبغي ان ينفى الغير عن الآلهة ويكسره لاقتضاء كل منهم التفرد بما فيه كماله، وقيل: انها قضية مفروضة وشرطها قوله ان كانوا ينطقون، وقيل: ان المراد به التعجيز والالزام وليس باخبار حتى يكون كذباً، وقيل: ان الوقف على فعله وكبيرهم ابتداء كلام وهو بعيد لفظاً ومعنى فان التقدير حينئذ فعله من فعله ويكون جواباً بالفعل عن السؤال عن الفاعل ويكون حذفاً للفاعل او اضماراً له من غير قرينة ومرجع، وروى انه ما فعله كبيرهم وما كذب وقد علم وجهه ونسب الى الخبر ان ابراهيم كذب ثلاث كذبات قوله: انى سقيم، وقوله: بل فعله كبيرهم، وقوله فى سارة لما اراد الجبار اخذها وكانت زوجته انها اختى [فَاسْتَلَوْهُمْ] يعنى فاستلوا جميعهم [إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ] والامر للالزام والاقرار بعدم النطق حتى يقرّوا بعدم الآلهة، والاثيان بضمائر ذوى العقول كان موافقاً لاعتقادهم اوللاستهزاء [فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ] يعنى صرّوا وجوههم عن ابراهيم (ع) وتوجه بعضهم الى بعض، اورجعوا الى عقولهم من عاداتهم وادركوا بعقولهم صدق مقالته [فَقَالُوا] اى قال بعضهم خطاباً لجميعهم [إِنَّكُمْ أَنْتُمْ الظَّالِمُونَ] فى نسبة الآلهة الى ما لا يقدر على دفع الضر عن نفسه ولا على النطق، اوفى نسبة الظلم الى من كسر الاصنام، اوفى ارادة التسوء بمن كسرها، اوفى السؤال عن ابراهيم لاعتقادهم الاصنام وليس ابراهيم ظالماً كما نفوهم به بقولكم: من فعل هذا يا آلهتنا انه لمن الظالمين [ثُمَّ] انتقلوا من عقولهم الى انفسهم وعاداتها واهويتها [نُكِسُوا عَلَى رُؤُسِهِمْ] شبهتهم فى الانصراف من العقول الى عادات النفوس بمن نكس عن الاستقامة فجعل رأسه فى الاسفل ورجليه فى الاعلى واعترفوا بما هو حجة عليهم قائلين [لَقَدْ عَلِمْتُمْ] يا ابراهيم [مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ] يعنى بعد ما اعترفوا بانهم هم الظالمون حاجتو بما هو حجة عليهم [قَالَ] ابراهيم (ع) [أَلَا تَجْهَلُونَ أَلَا تَعْلَمُونَ] فتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً [هو فى محل المصدر او منصوب بنزع الخافض] [وَلَا يَضُرُّكُمْ] يعنى بعد ما علم انهم لا يقدرّون على دفع الضر عن انفسهم علم انهم لا يقدرّون على جلب النفع ودفع الضر عن الغير، وما لا ينطق ولا ينفع ولا يضر لا يستحق العبادة [أَفْ

لَكُمْ] بعدما بان قبح صنيعهم بحيث لا يمكنهم انكار قبحه اظهر الانزجار منهم ومن معبوداتهم، واقب كلمة انزجار وبه يظهر التضجر [وَلَمَّا تَعَبُدُونِ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ قَالُوا] بعد العجز عن الحجة كما هو ديدن اهل كل زمان من التوسل بالقتل والتشتم وسائر التهديدات مثل التكفير والتفسيق بعد العجز عن الحجة والعلم بالمخطئة من انفسهم [حَرِّقُوهُ] يعنى بعد ما استشار نمرود منهم قالوا : حرقوه ولذلك قال الصادق (ع) : ان فرعون ابراهيم (ع) واصحابه كانوا لغير رشفه وكان فرعون موسى واصحابه لرشفه ، فانه لما استشار اصحابه في موسى (ع) قالوا : ارجه واخاه وارسل في المدائن حاشرين [وَأَنْصُرُوا إِلَهَيْكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ] يعنى لا تنظروا الى مقاتله فانكم لا تقدرين على محاجته وانصروا آلهتكم ، قيل : فجمعوا له الحطب حتى ان الرجل منهم ليمرض فيوصى من ماله لا شراء الحطب والمرأة تغزل فتشترى به حطباً فلما ارادوا ان يلقوا ابراهيم في النار ولم يقدروا على قربها لشدها جاء ابليس ودلهم على المنجنيق وهو اول منجنيق صنعت فوضعه فيها ثم رموه في النار فلما رموه فيها [قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا] فان النار وان كانت بالنسبة اليها جامداً لا يصح خطابها وامرها لكنها بالنسبة اليه تعالى عاقلة شاعرة مأمورة [وَسَلَامًا] في الخبر ان ابراهيم بعد ما قال الله كوني برداً اضطربت اسنانه حتى قال وسلاماً [عَلَى إِبْرَاهِيمَ] لو لم يقل على ابراهيم لصارت برداً وسلاماً الى آخر الابد على كل احد ولذلك كانت تحرق غير ابراهيم وفي الخبر لما وضعوه في المنجنيق التقى معه جبرئيل في الهواء فقال : يا ابراهيم هل لك الى من حاجة ؟ فقال ابراهيم : اما اليك فلا ، واما الى رب العالمين فنعيم ، وانحط جبرئيل وجلس معه يحدثه في النار ونظر اليه نمرود فقال : من اتخذها لها فليتخذ مثل آله ابراهيم ، فقال عظيم من عظماء اصحاب نمرود انتى عزمت على النار ان لا تحرقه فخرج عمود من النار نحو الرجل فأحرقه فأمن له لوط ، نقل انه بعد ما اتى بابراهيم (ع) الى نمرود وعلم نمرود انه ابن آزر فقال لآزر : ختنني وكنمت هذا الولد عتي ، فقال : هذا عمل امه فدعا نمرود امه فقال لها : ما حملك على ان كتمتني امر هذا الغلام حتى فعل بالهتنا ما فعل ؟ فقال : ايها الملك نظراً منى لرعيتهك قال : وكيف ذلك ؟ قالت رأيتك تقتل اولاد رعيتهك فكان يذهب النسل فقلت : ان كان هذا الذي يطلبه دفعته اليه ليقته ويكفه عن قتل اولاد الناس ، وان لم يكن يبق لنا ولدنا وقد ظفرت فشانتك فكف عن اولاد الناس وصوب رأياها ، ووجه عدم احراق النار لابراهيم (ع) ما اشرنا اليه في اول سورة بنى اسرائيل وفي غيرها من غلبة الملكوت على الملك وبعد غلبة الملكوت على الملك يرتفع حكم الملك فلا يحرق النار الملكية الجسم الملكوتى [وَمِنْ تِلْكَ الْغَلْبَةِ يُقَعُ عَلَى الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ] يعنى نزلوا على الارض والسموات وسقطوا [وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ] لانهم فعلوا ما يطقون به نور الله في الارض فجعلنا غاية جهدهم حجة صدق ابراهيم ودليل خسرانهم ، ولما رأوا انه لم يحرقه النار امر نمرود ان ينقوه من بلادهم وان يمنعوه من الخروج بما شئته وماله فحاجتهم ابراهيم عند ذلك فقال : ان اخذتم بما شئتي ومالى فان حقى عليكم ان تردوا على ما ذهب من عمرى في بلادكم واختصموا الى قاضى نمرود فقضى على ابراهيم (ع) ان يسلم اليهم جميع ما اصاب في بلادهم وقضى على اصحاب نمرود ان يردوا على ابراهيم (ع) ما ذهب من عمره في بلادهم فأخبر بذلك نمرود فأمرهم ان يخلوا سبيله وسبيل ما شئته وماله وان يخرجوه ، وقال : انه ان بقى في بلادكم افسد دينكم واضربا لهنتكم [وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ] يعنى نجيناها الى الشام ، قيل : بركته العامة ان اكثر الانبياء بعثوا منه فانتشرت بركاتهم الدنيوية

والآخروية في العالم وأنه اشرف بقاع الارض من حيث النعم الصورية [وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ] بعد خروجه الى الشام وبقائه فيها مدة مديدة [وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً] عطية فان النافلة العطية والغنيمة والنفل النفع [وَكُلًّا] اي كل الاربعة او الثلاثة او الاثنين [جَعَلْنَا صَالِحِينَ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا] لا بأمر الشيطان ولا بأمر انفسهم ولا بشراكة شيء منهما [وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ] مثل الوحي الى رسلنا فانهم كانوا رسلاً [فَعَلِ الْخَيْرَاتِ] مطلقة [وَأَقَامِ الصَّلَاةَ] مخصوصة اسقط التاء عن المصدر لقيام المضاف اليه مقامه [وَأَيِّتَاءَ الزَّكَاةَ] مخصوصة لكون الصلوة والزكاة اهم الخيرات بل لان ليس الخيرات الا الصلوة والزكاة ولذلك صرح بهما بعد ذكرهما عموماً [وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ] لا لغيرنا من الشيطان والنفس والهوى ، اشارة الى مقام الاخلاص الذي هو قرة عين السالكين [وَلُوطًا] عطف على كلاً او على مفعول جعلناهم عطف المفرد ، او منصوب من باب الاشتغال ، والجملة معطوفة على جملة كلاً جعلنا صالحين [أَتَيْنَاهُ حُكْمًا] حكمة عملية [وَعِلْمًا] تنكير الحكم والعلم للاشارة الى ان ما آتاه كان يسيراً من كثير [وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ] في اسناد عمل الخبائث الى القرية مجاز عقلي او في اطلاق القرية على اهلها مجاز لغوي ، او هو مجاز في الحذف [إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا سَوِيًّا] بفتح السين اسم من المساء ، واطراف القوم اليه للاشعار بالمبالغة في مساءتهم كأنهم صاروا قوماً له ومتسبين اليه [فَاسْقِينَ] وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا] في دار رحمتنا وفي رحمتنا التي هي الولاية بان حققناه بها [لَئِنْهُ مِنَ الصَّالِحِينَ] المستعدين لذلك فلم يكن فعلنا جزافاً من غير سبب [وَنُوحًا] عطف على لوطاً ، او على مفعول نجينا ، او بتقدير سمعنا وشرعنا واذا ذكرنا ذكر [إِذْ نَادَىٰ مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ] تكرر نجينا للتأكيد ولعطف اهل له على المفعول ، ولتعيين مانجى منه فانه نجى [مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ] الذي لم يبتل احد من الانبياء به وهو غرق تمام الدنيا واهلها او شدة اذى قومه [وَنَصَرْنَاهُ] اي نجيناه بالنصرة [مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا] الآفاقية من الآيات العظام والصغار والانفسية من الواردات الالهية والزجرات العقلانية والملكية والمنامات المنذرة والمبشرة [إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا سَوِيًّا] فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ وَدَاوُدَ] عطف على نوحاً او هو بتقدير فعل محذوف مثل نوحاً [وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ] في الزرع والكرم [إِذْ نَفَسْتُمْ] بدل من اذ يحكمان او ظرف ليحكمان [فَبِهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ] جملة حالية بتقدير قد او معطوفة على يحكمان او نفشت والاتيان بالمضارع بعد اذ وفي القضايا الماضية لجعل اذ منسوخة عن المضى اول تصوير الماضي بصورة الحال المشهودة ، والمقصود من قوله وكنا احكامهم شاهدين اي عالمين او حاضرين ان احكامهم لم يكن في غيبة منا حتى لا يتميز الحق من الباطل عندنا ، او كانا عالمين حين الحكم بانتهما كانا في مشهدنا فلم يتفوها بآرائهما بل يوحى منا فلا يقول احداثهما حكماً بالا اجتهدوا خالفنا احدهما الآخر كما قيل ذلك ، والاتيان بضمير الجمع في قوله احكامهم للاشعار بان الحاكمين كانوا متعددين لان داود (ع) جمع جميع اولاده للامتحان ، ويجوز ارجاع الضمير الى المتحاكمين والى مجموع الحاكمين والمتحاكمين [فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ] يعني اوحينا الى سليمان الحكومة او الغنم من حيث حكم الاضرار بحسب اقتضاء الوقت فكان حكمه ناسخاً لما كان سابقاً فلم يكن تفهيمنا سليمان تجهيلاً لداود (ع)

ولذلك قال [وَكَلَّا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا] عن الصادق (ع) انه كان اوحى الله عز وجل الى النبيين (ع) قبل داود الى ان بعث الله داود (ع) اى غنم نفشت في الحرث فلصاحب الحرث رقاب الغنم ولا يكون النفش الا بالليل فان على صاحب الزرع ان يحفظ زرعه بالنهار وعلى صاحب الغنم حفظ الغنم بالليل فحكم داود بما حكم به الانبياء من قبله فأوحى الله عز وجل الى سليمان (ع) اى غنم نفشت في زرع فليس لصاحب الزرع الا ما خرج في بطونها وكذلك جرت السنة بعد سليمان وهو قول الله تعالى وكَلَّا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا فحكم كل واحد منهما بحكم الله عز وجل ، وفى خبر آخر عنه (ع) : اوحى الله الى داود اتخذ وصيًّا من اهلك فانه قد سبق فى علمي ان لا بعث نبيًّا الا وله وصي من اهله وكان لداود اولاد عدة ، وفيهم غلام كانت امه عند داود وكان لها محبًّا فدخل داود عليها حين اتاه الوحى فقال لها : ان الله اوحى الى يأمرنى ان اتخذ وصيًّا من اهلى ، فقالت له امرأته فليكن ابني ، قال : ذلك اريد وكان السابق فى علم الله المحتوم عنده انه سليمان فأوحى الله تبارك وتعالى الى داود ان لا تعجل دون ان يأتيك امرى فلم يلبث داود ان ورد عليه رجلا يختصمان فى الغنم والكرم واوحى الله عز وجل الى داود ان اجمع ولدك فمن قضى بهذه القضية فأصاب فهو وصيكتك من بعدك ، فجمع داود ولده فلما ان قصّ الخصمان قال سليمان يا صاحب الكرم متى دخلت غنم هذا الرجل كرمك ؟ قال : دخلته ليلا ، قال : قد قضيت عليك يا صاحب الغنم باولاد غنمك واصوافها فى عامك هذا ، ثم قال له داود فكيف لم تقض برقاب الغنم وقد قوم ذلك علماء بنى اسرائيل فكان ثمن الكرم قيمة الغنم ، فقال سليمان : ان الكرم لم يجت من اصله وانما اكل حمله وهو عائد فى قابل فأوحى الله عز وجل الى داود ان القضاء فى هذه القضية ما قضى سليمان به ، يا داود اردت امرأ واردا امرأ غيره فدخل داود على امرأته فقال : اردنا امرأ و اراد الله تعالى امرأ غيره ولم يكن الا ما اراد الله فقد رضينا بامر الله عز وجل وسلمنا ، وكذلك الاوصياء ليس لهم ان يتعدوا بهذا الامر فيجاوزوا صاحبه الى غيره ، وورد غير ذلك باختلاف فى اللفظ وفى المعنى [وَسَخَّرْنَا] التسخير قد مضى فى سورة البقرة انه جعل ارادة المسخر تابعة لارادة المسخر [مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالِ] ظرف لغو متعلق بسخرنا ومستقر حال من الجبال ، واما تعلقه بسبحن فانه بعيد للزوم تخلل الاجنبى بين المعمول المقدم والعامل ، وتعلقه بسخرنا يدل على ان داود مثل الجبال مسخر له تعالى ، وجعله حالا من الجبال يشعر بكون الجبال مسخرة لداود (ع) [يُسَبِّحُنَ] حال او مستأنفة ، قيل : يجوز ان يكون من التسبيح ومن التسابحة [وَالطَّيْرِ] عطف على الجبال او مفعول معه ، وقرئ بالرفع على انه مبتدأ محذوف الخبر ، او عطف على المرفوع المتصل على ضعف [وَكُنَّا] من قبل ذلك [فَاعِلِينَ] امثال ذلك فلا يبعد ان تفعل بـ داود ذلك وامثاله [وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ] اى ما يلبس ، والمراد به الدرع بقرينة قوله تعالى [لِيُجْصَصَكُمْ مِنْ بَاسِكُمْ] وهو يدل من لكم نحو يدل الاشتغال ، وقرئ ليحصنكم بالياء التحتانية والضمير حينئذ لداود او للباس او لله بطريق الالتفات ، وقرئ بالتاء الفوقانية والضمير للصنعة او للباس باعتبار المعنى فان معناه الدرع ، وقرئ بالتون [فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ] يعنى اذا كان الامر على هذا المنوال فاشكروا لله تلك النعمة العظيمة [وَسَخَّرْنَا] لِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً شديدة الهبوب بحيث كان غدها شهراً ورواحها شهراً مع انها كانت رخاء وتحريكها كان فى لين [تَجْرِي بِأَمْرِهِ] بامر سليمان [إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا] اى الشام ، قيل : كان سليمان يسير من الشام بكرة و اليه رواحاً [وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ]

فكان اعطاؤنا ما نعطي لمن نعطي وامساكنا ما نمسك ممن نمسك عن علم بالاعطاء والامساك والمصالح المترتبة عليهما [وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ] اظهار نعمة اخرى لسليمان وهي تسخير الشياطين والجنه له، ومن معطوف على الريح او مبتدء خبره من الشياطين كانوا يغوصون في البحار لاجراج الجواهر النفيسة لسليمان (ع) [وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ] كبناء المدن والقصور العجيبة وعمل الجفون العظيمة كالجواب واختراع الصنائع الغريبة وصنع ما يشاء من محاريب وتماثيل [وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ] حتى لا يخرجوا من امره ولا يفسدوا عليه ملكه واهل مملكته [وَأَيُّوبَ] عطف او بتقدير فعل مثل نوحاً [إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ] اي بانني مسنتي الضر وقرئ بكسر الهمزة بتقدير القول او تضمين النداء معنى القول [وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ] اكتفى باظهار حاله المقتضية للرحمة وتوصيف ربه بغاية الرحمة عن سؤال العافية وهو بالغ في مقام الطلب وأقرب الى الحياء واكمل في حفظ حرمة المسؤول منه ، قيل: كان ايوب (ع) رومياً من ولد عيص بن اسحق (ع) استنبأه الله وكثر ماله وولده فابتلاه الله بهلاك اولاده بهدم بيت عليهم وذهاب امواله وبالمرض في بدنه ثمانى عشرة سنة أو ثلاث عشر أو سبعاً وسبعة اشهر، وان أمراته كانت رحمة بنت افرايم بن يوسف ، وفي خبر كانت بنت يوسف بن يعقوب (ع) ، وقيل: كان ايوب في زمان يعقوب، وتزوج ليلاً بنت يعقوب فقالت له يوماً: لو دعوت الله فقال: كم كانت مدة الرخاء؟ فقالت: ثمانين سنة، فقال: استحيى من الله ان ادعوه وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي، هكذا قيل: وسيجيء في سورة ص تفصيل حاله، [فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ] من الالوجاع والامراض [وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ] نسب الى الخبراته تعالى احبى له من ماتوا من أهله في زمان البلاء ومن ماتوا قبل بأجلهم وكذلك رد الله عليه امواله ومواشيه بأعيانها وأعطاه مثلها معها، وقيل: انه تعالى خير ايوب (ع) فاختر احياء اهله في الآخرة ومثلهم في الدنيا فأوتى على ما اختار، وقيل: ولد له ضعف ما كان ، وقيل: احبى ولده وولد له منهم نوافل ، وقيل: كان له سبع بنات وثلاثة بنين، وقيل: سبع بنات وسبعة بنين [رَحْمَةً مِنَّا] عليه لامن استحقاق له ولامن عند المظاهر [وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ] يعنى تذكرة لهم بان الصبر على العبادة في الرخاء والشدة كما صبر ايوب (ع) في الحالين مورث للنعم الدنيوية والاخرية وموجب للفرج والسرور [وَأَسْمِعِيلَ] واذريس وذا الكفل عطف او بتقدير فعل مثل ما سبق [كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ] فان اسماعيل (ع) صبر في بليد لازرع به ولا انيس من اول الصبا ، واذريس (ع) صبر على دعاء القوم مع شدتهم في الانكار لانه كان اول من بعث اليهم، واما ذوا الكفل فقد اختلف فيه فقد نسب الى الرضا (ع) انه يوشع بن نون، وقيل: انه الياس (ع)، وقيل: انه زكريا (ع)، وقيل: كان رجلاً صالحاً ولم يكن نبياً تكفل لنبى وقته بصوم النهار وقيام الليل وان لا يفضب ويعمل بالحق فوفى بذلك ، وقيل: كان نبياً ولم يقص الله خبره ، وقيل: هو اليسع كان مع الياس وليس اليسع الذى ذكره الله في القرآن تكفل لملك جبارة ان هو تاب دخل الجنة ودفع اليه كتاباً بذلك وكان اسمه كنعان فسمى ذاك الكفل، ونسب الى الخبر انه كان من الانبياء المرسلين وكان بعد سليمان (ع) بن داود (ع)، والكفل بمعنى الضعف لضعف ثوابه بالنسبة الى اهل زمانه لشرفه وبمعنى النصيب وبمعنى الكفالة والكل مناسب [وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِّنَ الصَّابِرِينَ] وذا النون هو مثل ما سبق في العطف والتقدير، والنون بمعنى الحوت سمى به لابتلائه ببطن الحوت وهو يونس (ع) بن متى [إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا] لقومه او اربه فان غاضبى فلان بمعنى اغضبنى واغضبه ، وكان حاله مع قومه كذلك ، فانه بعث اليهم حين كوته ابن ثلاثين وكان فيه حدة فدعاهم ثلاثاً وثلاثين ولم يقبل منه سوى تنوخوا العابد وروبيل الحكيم فغضب لذلك ودعا الله على قومه حتى

وعده الله نزول العذاب على قومه بعد ما امره بالتأني والصبر فلم يقبل واصر على الدعاء فأخبر قومه بنزول العذاب بعد المشورة مع روبيل وسؤال روبيل عنه ان يراجع ربه ويسأل دفع العذاب عنهم وابائه عن المراجعة فلما صار موعد العذاب وقد اخرجوا يونس (ع) وتنوخا من بلدتهم وكانت البلدة نينوا من اعمال موصل ورأى عدم نزول العذاب عليهم غضب لذلك وغاضب قومه او غاضب ربه خصوصاً على ماورد انه وكله الله تعالى الى نفسه طرفة عين [فَقَظَنَ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ] اي لن نصيقت اولن نقضى عليه ما قضيناه عليه ، اولن نكون قادرين على اخذه كماورد انه وكل الى نفسه فظن ذلك ، ومعنى ماورد انه (ع) وكله الله الى نفسه فخطر على باله ذلك وسمى الخطرة ظناً ولاينا في الخطرة مقام النبوة فان توبة الانبياء من حيث ولايتهم ، وتوبة الاولياء من خطرات القلوب ، فتأدى اى فضيقتنا عليه في الطريق فدخل سفينة فساهم اهل السفينة فخرج السهم باسمه فألقوه في البحر فابتلعه الحوت [فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ] ظلمة الليل ، وظلمة البحر ، وظلمة بطن الحوت ، وقيل : ان الحوت ابتلعه حوت آخر [أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ] ان مخفقة من المثقلة وتفسيرية [سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ] تبرى اولاً من انانيته بعد ما رأى ان انانيته ورأيه صارت سبباً لهلاكته واثبت الالهة والرائى له تعالى ثم تزّجه عما يورث نقصاً في رأيه ووجوده ، ثم اعترف بان دعاءه على قومه وانانيته في مقابلة انانية الله كانت ظلماً منه على قومه وعلى نفسه ، ولما كان ذلك منه كناية عن سؤال النجاة قال تعالى [فَاسْتَجِبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ] يعنى من بطن الحوت او غم الخطيئة والمغاضبة [وَكَذَلِكَ] الانجاء من بطن الحوت بسبب التبرى من الانانية والاستقلال بالرائى واثبات الانانية لله وتنزيهه من معرفة البشر والاعتراف بالظلم في اثبات الانانية والمعرفة للنفس [نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ] قرئ نجي بنونين من باب الافعال ، وقرئ نجي بنون واحدة وتشديد الجيم وسكون الياء على انه مضارع من باب الافعال وادغم التون الثانية في الجيم ، او على انه من باب التفعيل وحذف التون التي كانت فاء او على انه ماض مجهول منسوب الى المصدر ، وسكونه بنية الوقف كما قيل ، روى عن النبي (ص) : ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له لان المؤمن اذا خرج من انانيته في جنب انانية الله واعترف بان رؤية الانانية في جنب انانية الله ظلم ودعا الله في هذه الحال استجيب له لا محالة لانه يكون حينئذ مصداقاً لقوله تعالى : اجيب دعوة الدّاع اذا دعان ، وفي خبر عن الصادق (ع) : عجبت لمن اغتم كيف لا يفرع الى قوله تعالى : لا اله الا انت سبحانه انتى كنت من الظالمين فانتى سمعت الله يقول بعقبها : فاستجبنا له ونجينا له من الغم وكذلك تنجي المؤمنين [وَزَكَّرْنَا] مثل ماسبق في العطف او التقدير [إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ فَأَنْتَ رَبُّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا] بلا ولد ولا عقب يرثى [وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ] استدراك لما يتوهم من انه في دعائه الولد بقوله : لا تذرني فرداً صرف النظر عن الله ومعيته معه [فَاسْتَجِبْنَا لَهُ وَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ] فانها كانت قطع حبضها لكبرها وكانت عقيمة قبل الهرم فأصلح الله رحمها وحاضت وحملت او كانت هرة فجعلها الله شابة حسنة شهية ، او كانت سيئة الخلق فصيرها الله حسنة الخلق [إِنَّهُمْ كَانُوا] استيناف في مقام التعليل والتفسير لزكريا (ع) وزوجه ويحيى (ع) اوللا نبياء (ع) المذكورين من اول القصص فان كلهم كانوا [يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ] التي كانت بينهم وبين الله وبينهم وبين الخلق في العالم الصغير والكبير [وَيَدْعُونََنَا رَغَبًا وَرَهَبًا] ذوى رغب او دعاء رغب او راغبين او للرغبة والرغبة ، والرغب محرّكة من رغب اليه اجتهد في دعائه او تضرع عليه وهذا نظير قوله تعالى : ادعوا ربكم تضرعاً وخيفة ، وهذه العبارة يجوز ان يراد بها ان بعضهم

يدعوه رغباً ، وبعضهم يدعوه رهباً ، وان يراد انهم يدعونه في وقت رغباً وفي وقت رهباً ، وانهم يدعونه جامعين للوصفين وهذا هو المراد ههنا فان الكامل يكون دائماً بين الخوف والرجاء والرهبة والرغبة .

اعلم ، ان الانسان بل مطلق الحيوان من اول استقرار نطفته ومادة وجوده في مقرها واقع بين قوة قبول الفناء والبقاء والاستئصال والاستكمال والنقصان والزيادة ، وكل موجود بفطرة وجوده راغب في بقاءه واستكمالها وازدياده هارب من فناءه واستئصاله ونقصانه ، واذ كان الموجود شاعراً بالشعور البسيط كالكثير انواع الحيوان او بالشعور التركيبى كافراده الانسان كان بحسب شعوره ايضاً حين عدم الغفلة هارباً عن منافياته ، راغباً في ملائماته ، والكامل هو الذى لم يكن غافلاً عن منافياته وملائماته ، ومن لم يكن غافلاً عن ذلك المذكور كان دائماً فى الرهب والرغب والهرب والطلب والخوف والرجاء والخيفة والتضرع والفرار والالتجاء والتوبة والانابة ، والتبرى والتولى ، وقد يصير الانسان غافلاً بحسب الشعور التركيبى عن وجوده وكمال وجوده ونقصانه وقد يكون مغترّاً وقد يكون آسأً والثلاثة مذمومة فان الممدوح هو السير والسلوك بين الخوف والرجاء والكمال هو استواء الخوف والرجاء بحيث لا يزيد احدهما على الآخر كما فى الخبر [وَكَاثُو النَّاسِ] لا لغيرنا [خاشعين] قد مضى معنى الخشوع ، والفرق بينه وبين الخضوع والتواضع فى سورة البقرة عند قوله تعالى : **وَأَتَتْهُمُ أَحْصَنَتُ فَرْجَهَا** عطف او بتقدير فعل كسوابقه وهى مريم (ع) كانت حفظت نفسها من ان ينظر الى عوراتها ومن ان يتصرف فيها بالحلل او الحرام **[فَنَفَخْنَا فِيهَا]** اى فى التى احصنت فرجها بان نفخ رسولنا الذى هو بمنزلة انفسنا فى جيب مدرعتها كما فى الخبر بعضاً **[مِنْ رُوحِنَا]** التى هى رب نوع الانسان و اضافتها الى نفسه تعالى لتشريفها او متفوحاً ناشئاً من روحنا **[وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً]** دالة على علمنا وقدرتنا وحكمتنا بان حملت من غير فعل ومن دون زوال بكارثتها وتكامل الجنين فى رحمها فى ساعة واحدة مثل كمال الجنين فى تسعة اشهر ، وتكلم ابنها وشهادته على طهارة امه وعدم تولده من السفاح فى اول تولده وشهادته على نبوته فى ذلك الزمان **[لِلْعَالَمِينَ]** لعدم حاجتها الى عقل او تدكير او تأمل ونظر او تسليم و انقياد او تطهير اولب او اعتبار **[إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ]** جواب لسؤال **مَقْدَرُ كَأَنَّهُ قِيلَ** : ما قلت لهؤلاء الانبياء او العباد بعد بعث الانبياء ؟ - فقال قلت لهم : ان هذه امتكم ، اوحال عن الافعال السابقة على سبيل التنازع وكلا الوجهين بتقدير القول اى قلنا للانبياء بعد قبول امرهم واجتماع جمع على شريعتهم : هذه امتكم ومؤتمنون بكم ، او قلنا للمخلق او لمن اتبعهم : هؤلاء الانبياء مأموموكم ، او قلنا للانبياء او للاتباع : هذه الطريقة التى هى التوحيد والتسليم طريقهتكم ، او هو جواب لسؤال **مَقْدَرُ** او حال بتقدير القول ، وخطاب للحاضرين فى زمان محمد (ص) والمعنى ان هذه الجماعة من الانبياء المذكورين ائمتكم واسوتكم ، او هذه الطريقة طريقهتكم **[أُمَّةً وَاحِدَةً]** جماعة واحدة من حيث الطريقة او طريقة واحدة غير متفرقة **[وَأَنَارُكُمْ فَاَعْبُدُونِ وَتَقَطَّعُوا]** عطف على القول **المقدّر** اى قلنا ان هذه امتكم امة واحدة وتقطعوا **[أَمْرُهُمْ]** اى امر دينهم او امر امامتهم بان جعل كل لنفسه ديناً وطريقاً او اماماً ومقتدى ، او امر اتباعهم بان جعل كل منهم اتباعهم لأهوية عبيدة **[بَيْنَهُمْ كُلُّ إِلْبِنَا رَاجِعُونَ]** جواب لسؤال **مَقْدَرُ** و وعد وعيد كأنه قيل : ما يصير حالهم ؟ - قال : كل الينا راجعون اوحال مفيدة لهذا المعنى يعنى رجوع الكل الينا فنجازيهم على حسب امرهم وطريقهم ، وصيغة تقطعوا للمبالغة فى الفعل ، وبينهم ظرف لغو متعلق بتقطعوا ، او مستقر حال من امرهم والمعنى فرقوا امر دينهم او امر امامتهم او اتباعهم بينهم **[فَمَنْ يَعْمَلْ]**

الفاء للترتيب في الاخبار [مِنْ الصَّالِحَاتِ] بعضاً من الصالحات [وَهُوَ مُؤْمِنٌ] بالايان العام والبيعة العامة النبوية او بالايان الخاص والبيعة الخاصة الولوية [فَلَا كُفْرَ أَنْ لِسَعْيِهِ] كفران السعي كناية عن ضياعه علق عدم ضياع السعي على عمل شيء من الصالحات به يظهر اثر الايمان على البدن او النفس مقيداً بقبول الدعوة الظاهرة او الدعوة الباطنة واذا اعتبر مفهوم القيد صار المعنى: من لم يعمل شيئاً من الصالحات سواء لم يعمل شيئاً من السيئات او عمل بعضها او كلها ، وسواء كان مؤمناً او كافراً ، ومن عمل شيئاً من الصالحات او جميعها ولم يكن مؤمناً ضاع سعيه وهو هكذا كما يدل عليه الاخبار ، فليس الامر كما يقوله القلندرية من انك اذا عرفت فاعمل ماشئت ، فلا تصغوا اخوتي الى اقاويل البطالين من المتصوفة والقلندرية واعملوا بلوازم ايمانكم ما قدرتم ثم تفوزوا ان شاء الله بنتائج ايمانكم واعمالكم [وَاسْأَلْهُ] اى لذلك البعض من الصالحات اولسعيه [كَاتِبُونَ] اولاجل من يعمل من الصالحات كاتبون في صحائف عمله ما يعمل [وَحَرَامٌ] قرى حرام بفتح الفاء والمد وحريم بكسر الحاء وسكون الراء ، وحرم بصيغة الفعل المبني للمفعول [عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ] قرى انهم بفتح الهمزة وكسرها وحرام خبر مقدم او مبتدأ مكتفٍ بمر فوعه عن الخبر وانهم مبتدأ مؤخر او فاعل مغنٍ عن الخبر ، او حرام خبر مبتدأ محذوف والمراد بالقرية اهلها بطريق المجاز في الحذف او المجاز في اللفظ والمعنى ممتنع على اهل قرية اهلكناها عن الحيوية الانسانية عدم رجوعهم الى جزائنا وعقوبتنا او رجوعهم الى ثوابنا على ان يكون لازائدة اوالى الانسانية اوالى الدنيا او ذلك المذكور من عدم ضياع السعي حرام على قرية اهلكناها لانهم لا يرجعون الى الانسانية اوالى دار الثواب ، او اهلكناها لانهم لا يرجعون عن غيرهم على ان يكون تعليلاً لاهلكتها وكون انهم بتقدير التلام موافق معنى لقراءة كسر همزة ان وكان الاوفق بمقابلة القرين الاول بحسب الظاهر ان يقول تعالى: ومن عمل من السيئات او من لم يعمل من الصالحات سواء كان مؤمناً ام لا او من لم يؤمن سواء عمل من الصالحات او لم يعمل فلا شكر لسعيه لكنه عدل عنه واذا به حيث افاد هذا المعنى مع شيء زائد وهو هلاكهم عن الانسانية واهلاك الله لهم وامتناع رجوعهم الى الانسانية اوالى دار الثواب [حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ] غاية لعمل الصالحات او لعدم كفران السعي او لحرمة الرجوع او لحرمة عدم الرجوع او لعدم الرجوع عن الغي والمراد بانفتاح يأجوج ومأجوج انفتاح سدّهم وقد سبق في سورة الكهف بيان يأجوج ومأجوج وتأويلهما ووجه منع صرفهما [وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ] مرتفع من الارض [يَنْسِلُونَ] اى يسرعون والضمير ليأجوج ومأجوج وللناس ، وقرى من كل جدب ينسلون وهو يؤيد ارجاع الضمير الى الناس فان الحدث بمعنى القبر .

اعلم ، ان امثال هذه من الرموز التي رمزوها الاقدمون من الانبياء والحكماء والمنظور من حكاياتها ليس الا التشبيه على الرموز اليه وليس النظر من الله تعالى ولا من خلفائه الى صورة التسمر ، والمراد بياجوج ومأجوج في العالم الصغير جنود ابليس المتولدة من الجنة التي اتى بها لابن آدم وبقبول الولاية يجعل صاحب الولاية سداً بينهم وبين بني آدم الذين تولدوا من الحوراء التي اتى بها لابنه الآخر ، واذا قرب الساعة انفتح السد وخرج يأجوج ومأجوج واستغرقوا تمام صفحة النفس واكلوا ما وجدوا فيها وهرب بنو آدم من صفحة النفس فراراً منهم فلا يبقى تلّ ووهد الا كان بأجوج ومأجوج مسرعين فيه وكان الناس مسرعين منه [وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ] بمعنى ساعة الاحتضار وظهور القائم عجل الله فرجه والقيامة الصغرى [فَإِذَا هِيَ] الاتيان بالفاء واذا المفاجأة لتأكيد لصوق الجزاء بالشرط ، والضمير للقصة او مبهم يفسره الابصار [شَاحِصَةً] مبتدأ مكتفٍ بالمرفوع عن الخبر او خبر مقدم

[أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا] لا الذين آمنوا فانتهم عن احوال ذلك اليوم آمنون فان الكفار لهول ذلك اليوم وعدم انسهم به يبقى ابصارهم مفتوحة لا تطرف ، واما المؤمن فانه لانسه بالآخرة وبما يرى في ذلك اليوم كأنه لا يرى امرأهائلا غريباً ولا يكون له امرهائل اذا كان كاملاً ، وغير الكامل قد يرى احوال ذلك اليوم لكن لامن حيث ايمانه بل من حيث كفره [يَا وَيْلَنَا] بتقدير القول اي قائلين يا ويلنا [قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا] الوعد ولم نكن نتفكر فيه ونقبله ونستعد له [بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ] بل لم نكتف بالغفلة من هذا وكنا عاملين لفسد هذا وقد خلقنا الله تعالى للعمل لهذا والانس به [إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ] مستأنف جواب لسؤال مقدر بتقدير القول كأنه قيل : ما يقال لهم ؟ فقال الله تعالى نقول : انكم وما تعبدون [مِنْ دُونِ اللَّهِ] اي حالكون ما تعبدون بعضاً من غير الله او ما تعبدون من دون اذن الله ، وفائدة التقييد اخراج المطاعين باذن الله كالانبياء و اوصيائهم [حَصَبُ جَهَنَّمَ] و الحصب الحطب ومطلق ما يرمى به في النار ، اولايكون الحطب حصباً حتى يسجربه [أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ] لام لها زائدة للتقوية والجملة تأكيد للجملة الاولى والمراد بالخطاب المخاطبون وما يعبدون بطريق التغليب [لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ إِلَهًا مَا وَرَدُوهَا] مستأنف جواب لسؤال مقدر ناش من سابقه كأنه قال : فما حال هؤلاء الآلهة ؟ فقال : لو كانوا آلهة ما وردوها ، او مستأنف منقطع عن سابقه لفظاً ومعنى ورد من الله على الحاضرين المخاطبين بعد التسجيل على الآلهة بالورود في النار ، او جواب لسؤال مقدر بتقدير القول كأنه قيل : ما يقال حين الورود ؟ فقال تعالى : يقال لهم : لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها [وَكُلٌّ] من العابدين والمعبودين [فِيهَا خَالِدُونَ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ] تنفّس شديد لشدة التعب [وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ] لشدة الهول وعدم استشعارهم بالاصوات ولصمهم ولا يسمعون ما ينفعهم ويريحهم ، والاشكال بان المعبودين سوى الله لا يكون كلهم مستحقين للنار فان الشمس والقمر وسائر النجوم والملائكة وعيسى (ع) قد عبدوا وليسوا مستحقين للنار ولا راضين بعبادة الناس لهم مدفوع بان الخطاب لعابدي الاصنام او بانهم مستنون من هذا الحكم بقوله : ان الذين سبقته فاته بمنزلة الا الذين سبقته كما اشير الى هذا الوجه في الخبر ، او بان المعبود حقيقة في تلك العبادات هو الشيطان المعنوي والجنّي الذي كان قرين العابد في عبادته كما قال تعالى خطاباً للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون ، قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم بهم مؤمنون [إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى] جواب لسؤال مقدر ولذلك اكده استحضاراً [أُولَئِكَ] تكرر انابتاء باسم الاشارة البعيدة تفخيم لشأنهم [عَنْهَا يُبْعَدُونَ] اي عن عذابها ومسبب ألمها حتى لا ينافي قوله وان منكم الاواردها ، وما قيل : ان هذه ناسخة لتلك بعيد جداً [لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا] الحسيس صوت يحترس به والجملة حال او مستأنفة جواب لسؤال مقدر او خبر بعد خبر [وَهُمْ فِيهَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ] فزع القيامة الكبرى فاته افزع من فزع القيامة الصغرى ، وقيل : هو التفخمة الاخيرة ، وقيل : هو حين يؤمر بالعبد الى النار وهما راجعان الى الاول ، وقيل : هو عذاب النار اذا اطبقت على أهلها وهو عقيب القيامة الكبرى [وَتَتَلَقَّيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ] قائلين [هَذَا يَوْمُكُمْ] اي دولتكم او يوم ثوابكم [الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ] .

اعلم ان الحسن المطلق هو الولاية المطلقة وكل ما كان متصلاً بالولاية او متبهاً اليها من فعل او قول او خلق

او حال او علم او اعتقاد او وجدان او شهود فهو حسن بحسنها، فمعنى قوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ان الذين فاقت وغلبت على فعلياتهم فعلية الولاية التي هي الحسنى وتقدمت على كل فعلياتهم، وان الذين سبقت على وجودهم الطبيعي في العوالم العالية لانقاذهم منا الحسنى التي هي الولاية بان قدرنا لهم ذلك ومنا لغو متعلق بسبقت او مستقر حال من الحسنى وعلى المعنى الاول كان من غلب على فعلياته فعلية الولاية محكوماً عليه بالبعد من النار دون من لم يغلب فعلية الولاية في وجوده وهذا هو الموافق لاعتقاد الشيعة ومذهبهم، فان من لم يغلب الولاية على فعلياته يرد في البرازخ على نار الدنيا وعلى اى تقدير كان المراد من تولي علياً (ع) وعليه اخبار كثيرة فعن النبي (ص) انه قال لعلي (ع) : يا على انت وشيعتك على الحوض تسقون من احببتهم وتمنعون من كرهتم وانتم الآمنون يوم الفرع الاكبر في ظل العرش، يفرغ الناس ولا تنزعون ويحزن الناس ولا تحزنون وفيكم نزلت هذه الآية: ان الذين سبقت منا الحسنى (الآية) وفيكم نزلت: لا يحزنهم الفرع الاكبر (الآية) وبهذا المضمون عدة اخبار وفي بعض الاخبار الحسنة ولاية علي (ع)، وفي خبر عن الصادق (ع) يبعث شيعتنا يوم القيامة على ما فيهم من ذنوب وعيوب مبيضة مسفرة وجوههم مستورة عوراتهم آمنة روعانهم، قد سهلت لهم الموارد وذهبت عنهم الشدائد، الحديث، وفي حديث طويل عن النبي (ص) مخاطباً لعلي (ع) : وفيكم نزلت هذه الآية: ان الذين سبقت منا الحسنى [يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ] ظرف للايحز نهم، اولئك هم اولئك وعدون او حال عن اليوم، او عن العائد المحذوف من او عدون او معمول لا ذكر مقدراً [كَطَيِّ السَّجِلِّ] اى الصحيفة التي يكتب فيها الحساب او الملك الذي يرفع اليه كتب الاعمال او هو اسم لكتاب للنبي (ص)، وقرئ السجل كالدلو والسجل كالعقل وهما لغتان فيه [لِلْكُتُبِ] قرئ بالافراد والجمع والتكلم للتعليل اى لاجل الكتابة، او للتقوية اى للمكتوب او للمكتوب فيه، وطى السماء عبارة عن افنائها اولفها كلف الطومار [كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ] لفظة ما كافة او مصيرية ولا فرق بينهما فى المعنى، والخلق بمعناه المصدري، او بمعنى المخلوق، وليس المقصود فرداً لاعلى التعيين من الخلق او المخلوق بل المراد جنس الخلق او جميع افرادهم واول خلق مفعول لبداًنا اولنعيد المقدر الذى يفسره المذكور، او ظرف لبداًنا اولنعيد المؤخر والمعنى كما بدأنا الخلق فى اول مراتب الخلق او نعيد الخلق فى اول مراتب الخلق والمراد اول مراتب الخلقة او اول افراد الخلق، واول مراتب الخلقة فى جملة العوالم مرتبة المشية، واول افراد الخلق هو الذى يكون فى المشية المسمى بالفرد اللاهوتي، واول الخلق فى عالم الخلق مقابل الامر هو المادة المستعدة المتميزة من بين المواد لشيء مخصوص كالنطفة المستقرّة فى الرحم وضمير نعيده راجع الى الخلق ان كان بمعنى المخلوق، او الى المخلوق المستفاد من الخلق، او لفظة ما موصولة والعائد محذوف، واول خلق حال عن العائد المحذوف، او مفعول به اوفيه لبداًنا اولنعيد المقدر والمعنى كالتى بدأناه حال كونه اول خلق، او كالتى بدأناه فى اول مراتب الخلق، او كالكيفية التى بدأنا بها اول الخلق نعيده، والمنظور تشبيه الاعادة بالابداء فى جواز تعلق الارادة والامكان، او تشبيه المعاد بالمبتدء فى كونه عارياً مما خوله الله اياه [وَعَدًا] مفعول مطلق لمحذوف [عَلَيْنَا] انجازه او ثاباً حتماً علينا [إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ] جواب لسؤال مقدر مؤكّد استحساناً [وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرْثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ] الزبور كتاب داود (ع) والكتاب السماوى ومطلق الكتاب والالواح العالية من اللوح المحفوظ ولوح المحو والاثبات، والتذكر مصدر بمعنى التذكّر وكل ما يذكّره من الاقلام العالية والالواح الروحانية والجسمانية والكتب السماوية، والانسان الكامل والولاية والنبوّة والتوراة، ومن بعد الذكر متعلق بكتبنا او ظرف

مستقر حال من الزبور، او خبر مقدم وان الارض (الى آخر الآية) مبتدأ مؤخر والجملة مفعول كتبنا لكونه بمعنى القول، وهذا بعيد جداً ووجوه اعتبار المعنى في كل من وجوه اعتبار اللفظ بحسبه، والعباد الصالحون شيعة على (ع) فانهم يملكون ارض العالم الصغير حين ظهور القائم (ع) بالموت الاضطراري او الاختياري، ويملكون ارض الفردوس كذلك، ويملكون ارض العالم الكبير بالتصرف فيها باى نحو شاؤا بعد ظهور القائم (ع) ولذلك فسر الآية باصحاب القائم عجل الله فرجه [إِنَّ فِي هَذَا] الوعد بايراث الارض اوفى هذا القرآن اوفى هذا الزبور اوفى هذا المذكور من الوعد [لِبَلَاغًا] اى كفاية اوبلوغاً الى المقصود [لِقَوْمٍ عَابِدِينَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ] عطف احوال وفيه معنى الاستدراك فانه توهم من قوله لقوم عابدين اختصاص الكتاب والتصحح والمواظب بالعابدين فاستدرك هذا التوهم وقال : ارسلك رحمة للعالمين فمن تعرض لها اخذ نصيباً منها ومن اعرض عنها حرم منها، والعايد متعرض لها وذكر في الاخبار في وجه كونه رحمة للعالمين انه (ص) بعث بالتعريض لا بالتصريح، وان قومه امهلوا ولم يتوعددهم العذاب ولم يصرح لهم بأمر كانوا يخالفونه فيعذبوا كولاية على (ع) وانه رفع المسخ والخسف من هذه الامة، والتحقيق ان وجود خلفاء الله في الارض رحمة من الله على اهل الارض وبركة ورفع لبلانهم لانهم بفنائهم من انانياتهم وبقائهم بوجود الهى اخروى صاروا عين الرحمة الالهية، وكونهم في الارض عبارة عن وجود تلك الرحمة في الارض على جملة موجودات الارض [قُلْ إِنَّمَا يُوحِي] منقطع عن سابقه لفظاً لكنه مرتبط معنى كأنه قال: اذا كنت رحمة للعالمين فقل لهم انما يوحى [إِلَى أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ] وبلغهم التوحيد الذى هو اصل جميع انواع الرحمة والحصر اضافى او اذعائى كأنه لا يعد سائر اقسام الوحي من الوحي [فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ] مخلصون العبادة من الاشراك لله تعالى، وقرئ في قراءة اهل البيت مسلمون بتشديد اللام بمعنى مسلمون الوصية لعل (ع)، وعلى هذا يجوز ان يقال في تفسير الآية: انما آلهكم بحسب مظاهره وخلفائه آله واحد من دون تعدد وشراكة لغيره فهل انتم مسلمون الولاية لهذا الا له الواحد الذى هو على (ع) [فَإِنْ تَوَلَّوْا] عن التوحيد او تولوا عن وصيتك وولاية خليفتك [فَقُلْ] لهم [أَذْنَبْتُمْ] اى اعلمتكم الحرب [عَلَى سَوَاءٍ] اى حال كونكم على استواء معاً في الاعلام حتى تأهبوا مثلنا للقتال او اعلمتكم التوحيد او الولاية حال كونكم متساوين في ذلك الاعلام، والاختلاف انما نشأ من قبلكم لامن عدم تسويى بينكم او حملتكم باعلام الولاية على سواء الطريق او على امر مستوى النسبة الى جميع الامور وهو الولاية [وَأَنْ أَدْرِي أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدُ مَا تُوعِدُونَ] اى الحرب التى توعدها او القيامة او عذاب الآخرة او ايراث الارض [إِنَّهُ يَعْلَمُ] جواب لسؤال مقدر كأنه قيل: افلا يعلم الله ذلك؟ فقال: انه يعلم [الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ] فى نفوسكم من القول، او جواب لسؤال مقدر عن علته عدم علمه (ص) فقال: لان الله لا غيره يعلم الجهر من القول والخفايا منه، وهذا من المخفيات المغيبات، والمراد بالجهر من القول هو الكلام المجهور والمكتوم ضده، او المراد بالمجهور مطلق القول الذى يظهر على اللسان، والمكتوم ما كان من قبيل حديث النفس، او المجهور مطلق ما يظهر على النفس سواء كان بطريق حديث النفس او جاري على اللسان، والمكتوم ما لم يظهر على النفس بعد، او المجهور مطلق ما يظهر على الاعضاء من الافعال والاقوال، والمكتوم ما لم يظهر على الاعضاء من الاحوال والاخلاق والعلوم، او المجهور مطلق ما ظهر على النفس من الافعال والاقوال والصفات والاحوال والعلوم، والمكتوم ما لم يظهر على النفس بعد من الكموتات التى لم يطلع الانسان

عليها [وَأِنْ أَدْرَىٰ لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ] أي لعل أمر الولاية أو علياً (ع) أو ماتوعدون، أو جهالة وقت ماتوعدون، أو تأخير العذاب امتحان لكم، أو ضلال، أو فضيحة، أو اذابة وتخليص [وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ] أي تمتع أو ما يمتنع به يعني هو جامع بين الوصفين أو فتنة لبعض ومتاع لبعض إلى وقت يقنضه مشيئة وهو مدة كونكم في حجب التعينات وقيد الحياة الدنيا [قُلْ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ] يعني اخرج من مشيتك وكل أمورك إلى ربك واسأله الإصلاح بالحق، وقرئ قال على الماضي ورب بضم الباء واحكم على وزن التفضيل واحكم على الماضي [وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ] المتساوي الرحمة بالنسبة إلى الحقيق والخطير والبر والفاجر [الْمُسْتَعَانُ] الذي يستعين به الجامد والنامي، والشاعر وغير الشاعر، والمطيع والعاصي في جميع الأمور خصوصاً [عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ] من تكذيب وعد كتابي من الأساطير، أو من الاشرار بالله، أو من انكار البعث أو من انكار الولاية والاتفاق على أن لا تتركوا هذا الأمر لعلي (ع) وقرئ يصفون بالغيبة.

سُورَةُ الْحَجِّ

مكية الآيات، وقيل: مدنية غير آيات نزلت في السفر، وقيل: غير ست آيات، وقيل: غير أربع آيات، وورد في فضلها عن النبي (ص): أن من قرأ سورة الحج أعطى من الاجر كحجة حجها، وعمره اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقي، وعن أبي عبد الله (ع): من قرأها في كل ثلاثة أيام لم يخرج من سنة حتى يخرج إلى بيت الله الحرام وإن مات في سفره دخل الجنة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُم] أي سخط ربكم وعقوبته بترك مخالفة أو امره ونواهيه [إِنَّ زُلْزَلَةً السَّاعَةِ] استئناف في مقام التعليل والمراد بالساعة ساعة ظهور القائم عجل الله فرجه عند الاحتضار بالموت الاختباري أو الاضطرابي وساعة القيامة الصغرى أو ساعة القيامة الكبرى وظهور الولاية الكلية كما اشير إلى الكل في الخبر [شَيْءٌ عَظِيمٌ] فإن حال الاحتضار وزلزله في العالم الصغير أمر لا يتحمله النفوس البشرية والمدارك الحيوانية لأنها الخراب النفوس البشرية والمدارك الحيوانية والمباني الدانية [يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ] لغاية الدهشة والوحشة [كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ] مع أن المرضة تجعل نفسها فداء لرضيعها [وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ

حَمَلَهَا] والمراد بذات الحمل كل ما كان فيه شيء آخر مكموناً لأنه يوم تخرج الارض انقلاها ومكموناتها [وَتَرَى
النَّاسَ سُكَارَى] زائلي العقول من غاية الحيرة والوحشة [وَمَا هُمْ بِسُكَارَى] حتى يكونوا ملتذّين ببلدة السكر
وكيفه [وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ] فلذلك يزول عقولهم لا كيف المسكر [وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ] جملة
حالية او مستأنفة على مجيء الواو للاستئناف او معطوفة على مقدّر كأنه قال: فمن الناس من يسلم ويخاف ويسلم من
هولها ومن الناس من لا يسلم ويجادل [فِي اللَّهِ] أي في ذاته وصفاته واحكامه ومظاهره وخلفائه، ومنها المجادلة في
احكام العباد والنظر فيها بالرأى والاستحسان من دون اذن من الله واجازة من خلفائه [بِغَيْرِ عِلْمٍ] فان العلم بالله
وصفاته واحكامه وخلفائه لا يحصل الا بالشهود والوجدان وهم قاصرون فيه او بالتقليد لصاحب الشهود والوجدان
وهم مستكفون منه [وَيَتَّبِعُ كُلُّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ] عطف فيه معنى التعليل يعنى يجادل بغير علم لأنه يتبع كل
شيطان عاتٍ طاغٍ واتباعه لا يحصل له الا الجهل والعتو فلا يحصل له علم ولا تقليد لاهل علم [كُتِبَ عَلَيْهِ]
مستأنف اوصفة بعد صفة او حال بتقدير قد [أَنَّهُ مَن تَوَلَّيْهُ فَإِنَّهُ يَضِلُّ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ] ثم خاطب
الزنادقة من منكري البعث بعد التحذير عن وحشة البعث فقال [يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ] قد مضى ان
الريب هو التزلزل في الاعتقاد الثابت والاضطراب فيه وهو مقدمة الشك وكثيراً ما يستعمل في الشك [مِنَ
الْبَعْثِ] أي بعث الاموات وحياتهم في يوم الحساب فتذكروا فيما سلف عليكم من الاحوال حتى تعلموا جواز
البعث فانكم قد علمتم النشأة الاولى فلو لا تذكرون [فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ] يعنى انظروا في مادة خلقتكم
فان جزءها الاعظم كان التراب الذي هو احسن العناصر ثم استكمل ذلك التراب في مراتب استكمالها وكل استكمال
كان موتاً لكم عن صورة وبعثاً في صورة اخرى حتى بلغت الى اقصى مراتب الكمال البشري وموتكم عن البشرية
وبعثكم بالملكية مثل موتاتكم السابقة وبعثاتكم [ثُمَّ مِنْ نُفْثَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ] قطعة دم جامدة [ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ]
قطعة لحم غير متماسكة الاجزاء كاللحم الذي يمضغ، وادخال من على المادة يدل على ان المادة ليست هي الانسان
ولا جزء منه بل الانسان اسم للفعلية الاخيرة التي هي الروح وان النفس الانسانية جسمانية الحدوث كما عليه الفلاسفة
لانها قديمة او خلقت سابقة على الابدان كما عليه جمع من المتكلمين والفقهاء، وما ورد من خلق الارواح قبل الابدان
انتها هو بحسب نشأتها المجردة لا بحسب نشأتها المتعلقة وليس التعلق وصفاً عرضياً للنفس كما قيل بل هو مرتبة
من مراتب ذواتها ونشأة من نشأت وجوداتها [مُخَلَّقَةٍ] تامة الخلقة ويدل عليه وزن التخليق الدال على المبالغة
[وَعَبْرَ مُخَلَّقَةٍ] غير تامة الخلقة، او باقية الى تمام زمان خلقته في الرحم وهو الزمان المعهود للجنين في الرحم
وغير باقية بل ساقطة او خارجة سالمة قبل تسعة اشهر [لِنُبَيِّنَ لَكُمْ] كيفيه بعثكم من هذا البعث المشهود لكم،
وحذف المفعول ليذهب ذهن السامع كل مذهب ممكن كأنه قال لنبين لكم حكمتنا وقدرتنا وعلمنا ورأفتنا وتوانينا
في الامور واماناتنا وحياتنا وبعثكم ونشركم وجزاءكم وحسابكم [وَنُقَرِّئُ] قرئ بالرفع والتصب من باب الافعال
ومن الثلاثي المجرد بالتكلم والغيبة وليكن الثلاثي المجرد المتكلم مأخوذاً من قررت الماء اذا صبته، والمرفوع
منه معطوف على خلقنا او حال بتقدير مبتدأ او مستأنف والمنصوب معطوف على نبين كأنه قال: غرضنا في التأنى
والتدريج في الخلقة بيان حكمتنا وقدرتنا على البعث وتقرير نطقكم [فِي الْأَرْحَامِ] مدة ليكون دليلاً على بقائكم

في البرازخ وقبل البعث مثل بقائكم في الارحام [مأشأء] اى مدة مشيتنا ، اونقر الذى نشأ من النطف وتزيل ما نشأ من الارحام [إلى أجلٍ مُّسمى] اقله ستة اشهر واكثره تسعة اشهر ، وفي خبر اذا حاضت المرأة في حملها زاد ايام الحمل على التسعة بقدر ايام الحيض ، وفي خبر آخر : اذا جاءت به لاكثر من سنة لم تصدق ولو ساعة واحدة ، وعن العامة اكثره اربع سنين [ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً] حال عن المفعول وافراده اما على تقدير نخرج كل واحد منكم اوبلحاظ انه اسم جنس يطلق على الواحد والاكثر ، اوباعتبار انه في الاصل مصدر مطلق على الواحد والكثير [ثُمَّ لَتَبْلُغُوا] عطف على محذوف اى لتبقوا وترضعوا وتنموا ثم لتبلغوا ، او متعلق بمحذوف اى ثم ننمىكم ونبقيكم لتبلغوا [أشدكم] كما لكم في القوة والعقل ، قد مضى ان الاشد هو وقت كمال جميع القوى البدنية والنفسانية وهو من ثمانى عشرة سنة او من اول البلوغ الى الثلاثين او اربعين وهو مفرد على لفظ الجمع ، اوجمع لاول واحد له من لفظه ، او واحد الشدة بالكسر كالنعمة والانعم ، او الشدة كالكلب والاكلب او الشدة كالذئب والاذؤب لكنه لم يسمع هذان [وَمِنْكُمْ مَنْ يَتُوفَىٰ] جملة حالية او عطف باعتبار المعنى كأنه تعالى قال : منكم من يقر بمادته في الارحام ، ومنكم من يسقط ، ومنكم من يتوفى قبل البلوغ او حين البلوغ [وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ] اى اردل اوقات العمر وهو وقت الخرافة وعدم التنفط بدقائق المقصود والمصنوع وهو يختلف بالنسبة الى الاشخاص فرب معمر لا يصير خرفاً في المائة او اكثر ، ورب رجل يصير خرفاً في الخمس والتسعين ولذلك اختلف الاخبار في بيان وقت اردل العمر [لِكَيْ لَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا] التام للغاية لان عدم العلم بعد العلم من الغايات العرضية لانه علة غائية لان العلة الغائية للبقاء هي الاستكمال بالعلم والعمل ، لازوال العلم بعد الاستكمال به ، او هو علة غائية بمعنى ان العلوم الدنيوية والادراكات البشرية الحاصلة بالمدارك الدنيوية من الموزونات في الآخرة ويبقى الله بعض عباده لان يضعف مداركه الدنيوية ويزول عنها مداركها ليكون على راحة منها في الآخرة ولذلك كان خير ابن آدم في ان يبقى بعد البلوغ الى الشيخوخة كما في الخبر لان بقاء الادراكات الدنيوية موزن لصاحبها في الآخرة ، ونعم ما قيل :

سنة خود را برو صد چاك كن دل از اين آلودگيها پاك كن

[وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً] خالية عن النبات والجملة خطاب لغير معين وعطف على الجزاء ، اوعلى الشرط والجزاء ، كأنه خاطبهم جميعاً في مقام الاستدلال على جواز البعث فقال : وترون الارض هامدة (الآية) او الخطاب لمحمد (ص) وعطف باعتبار المعنى وتعريض بالمنكرين للبعث كأنه قال : ترى النطفة وتقليباتها واماناتها واحياءاتها فكيف تنكر البعث وترى الارض هامدة ؟ [فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَنُشِطَتْ] شبه الارض في استسقاء الماء وتحريك الجيوب والعروق للنبت والنمو بمن شرب ونشط وتحرك نشاطاً [وَرَبَّتْ] انتضخت وارتفعت بالنبات [وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ] اى صنف [بهيج] حسن رائق [ذَلِكَ] المذكور من تقلبيات النطفة وطروحاتها واماناتها واحياءاتها وحياة الارض بعد موتها بانزال الماء عليها [بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ] يعنى بان للعالم مبدء قادراً عليمًا حكيمًا ذا عناية ورأفة بخلقه ولولا ذلك المبدء لما وقع هذه التقلبيات التي يعجز عن ادراك دقائقها وادراك نضد اسبابها الحكماء العقلاء [وَأَنَّهُ يُخَيِّبُ الْمَوْتَى] يعنى بسبب ان عادته تعالى احياء الموتى اى ميت كان فاذا لم يدع الارض الميتة ولا النطفة الميتة ويحييهما فكيف يدع الانسان الذى هو اشرف الكل

ولا يحية بعد موته [وإنه على كل شيء قدير] يعنى ذلك بسبب ان شيمته احياء الموتى مع انه قادر على ذلك فلا يدع البتة الانسان ميتاً [وأن الساعة آتية] يعنى ذلك بسبب ان عالم المادة برمتها متجددة ذاتاً وصفة من النقص الى الكمال وهذا معنى كون الكون فى الترقى والمتجدد من النقص الى الكمال يخرج لا محالة من حجة التى هى الحدود والممانعة من الحضور عند ربه والخارج من الحدود يقوم عند الرب وليس الساعة الا القيام عند الرب المضاف الذى هو قائم آل محمد (ص) [لا ريب فيها] لا ينبغى الرب فيها ولا يبقى الرب فيها بعد ملاحظة ترقيات النطف والحبوب والعروق او جنس الرب منفى عنها بمعنى ان من تصور الساعة لا يرتاب فيها ، ومن ارتاب فيها لم يتصور الساعة فالساعة غير مرتاب فيها ، والمرتاب فيها غير الساعة [وإن الله] شيمته انه [يبعث] لا محالة [من فى القبور] كما ترى من بعثه جميع القوى المكمونة فى النطف والاراضى فكيف يدع الانسان الذى هو اشرف الموجودات ولا يبعث الارواح والقوى المكمونة فى بدنه [ومن الناس من يجادل فى الله] جملة حالية او مستأنفة او معطوفة على مقدر مثل سابقتها ، وتكريرها للاستغراق بكل منهما من جهة غير جهة الاخرى فتكون كل لافادة معنى غير مفاد الاخرى [بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير] .

اعلم ، ان الانسان ذو مراتب وادراكه فى كل مرتبة غير الادراك الذى فى المرتبة الاخرى فانه فى مقام نفسه المحتاجة عن المعانى الغيبية لا يكون ادراكه الا بصور المعلومات المغايرة للمعلومات المحتملة للمطابقة لها ولعدم المطابقة وفى هذه المرتبة تسمى ادراكاته بالتصور والاهام والشكوك والظنون والعلوم العادية والتقليدية واليقينية ولكن فى عرف الشرع تسمى جملة تصديقاته الظنية واليقينية بالظنون لما تكرر سابقاً ان العلوم فى تلك المرتبة لما كانت مغايرة للمعلومات ومنفكة عنها وجازت أزوالها كالظنون تسمى ظنوناً ، فان كان ادراكه بجولان نفسه وترتيب مقدمات وفكر ونظر من نفسه يسمى علماً برهانياً ، وان كان بالتسليم والاخذ من الغير يسمى تقليدياً ، والتقليد ما يكون بالاستماع من المقلد او بمشاهدة كتاب منه ، والى الثلاثة اشار بقوله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ، وقدّم العلم لانه اشرف من التقليد من حيث نفسه وان كان التقليد من حيث الخروج عن الانانية والتسليم اشرف منه فان العلم الحصولى لا يخلو من شوب الانانية التى هى نحو من التفرعن وادعاء الآلهة ، وادى العبارة بالهدى والكتاب المنير للاشعار بان التقليد ان كان ممن يصح تقليده بان يكون مجازاً من الله ومعلوم صدقه يصح التوسل به والاعتماد عليه فى التكلم والجدال ، واما ان كان ممن لا يصح تقليده من امثاله واقرائه ومن آياته ومعلميه فلا يجوز الاعتماد عليه ، ويجوز ان يراد بالكتاب المنير العلم الشهودى الحضورى الذى يكون فى مرتبة القلب والروح لصاحب الشهود والعيان فان الشهود فى تلك المرتبة كالملفوظ الحاضر فى صفحة عند النفس فى الاعيان ، وعلى هذا يكون الاقسام الثلاثة بترتيب الاشرف فالاشرف [ثانى عطفه] كناية عن الاعراض والاستكبار [ليفضل عن سبيل الله] قرئ يفضل من باب الافعال ، ومن الثلاثى المعجزة ، وسبيل الله هو الولاية ، والنسبة ايضاً سبيل الله لانها سبيل الولاية [له فى الدنيا خزي] بلية فضيحة لان حال الجدل وارادة الغلبة على عباد الله والاستكبار عن العباد بلاء عظيم ولظى من جحيم وهو لانها كه فى غية لا يستشعر بالمه [ونذيقه يوم القيمة عذاب الحرىق] واختلاف المتعاطفتين بالاسمية والفعلية للاشعار بان الخزي لازم جداله غير محتاج الى جعل جاعل وانه ثابت له فى الدنيا من دون اعتبار تجدد بخلاف عذاب الآخرة فانه محتاج الى الجعل ومتجدد كلما نصجت جلودهم بدلتناهم جلوداً غيرها قائلين له

[ذَلِكَ] الخزي والعذاب [بِمَا قَدَّمْتِ يَدَاكَ] بسبب الذي قدمته يداك ، او بتقديم يديك شئنا الاعمال وليس بدون استحقاق واستعداد منك فيكون ظلماً ، ولما كان اكثر الاعمال جارية على اليدين نسب جميع الشئنا من الافعال والاقوال والاحوال والاخلاق الى اليدين [وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ] عطف على ما قدمت يداك ، ونفى الظلم كناية عن العدل يعني ذلك بسبب انه عادل والعدل يقتضي اعطاء كل مستحق حقه وانك استحققت الخزي والعذاب ، والظلام للنسبة كالتماثل للمبالغة [وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ] الحرف الطرف والجانب ، شبه العابد الشاك في امره المتزلزل في عبادته بالغازي الغير العازم على القتال الشاك المتزلزل من امر الغلبة الذي يكون دائماً على طرف من الجنود فان كان فتح وغلبة يوافق الجند والايقر وصح تفسيره بالشاك في الله وبمن اقر بالله وشكك في محمد (ص) ، وبمن تزلزل في امره وترقب الخير والشر بحسب دنياه كما قال [فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ] والمراد بالخير الخيرات البدنية وبالفتنة الشرور البدنية ، ويجوز ان يراد بالحرف الكسب يعني من الناس من يعبد الله مشتملاً على كسب منه للدنيا والخيرات البدنية في عبادته يعني يجعل عبادته وسيلة لدنياه فان اصابها اطمأن والآنقلب مكباً على وجهه [خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ] خسر بمعنى ضل وصار مغبوناً وباع بنقصان رأس المال ونقص المال مثل اخسر في الاخير ، ونصب الدنيا والآخرة على الظرفية في الجميع ، او على الظرفية في غير الاخير وعلى كونه مفعولاً به في الاخير ، او على التشبيه بالمفعول به في الجميع ، او في غير الاخير مثل حسن الوجه بنصب الوجه ، وخسرانه في دنياه بانفاذ عمره الذي هو بضاعته الثمينة بلا عوض فان العوض في الدنيا هو التلذذ بمناجاة الله وفراغ القلب عما يشوشه وطهارته عن الحقد والحسد والبخل وسائر الرذائل ، وفي الآخرة نعيمها وجناتها ورضوان من الله وهو اكبر ، وهذا العابد محروم من الكل ، على انه لا يستلذ بمستلذاته الحيوانية ايضاً في الدنيا لعدم اطمينانه واضطرابه في كل حال [ذَلِكَ] الخسران الذي هو الحرمان عن مستلذات الانسان في الدنيا والآخرة ، وعن مستلذات الحيوان [هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ يُدْعَوْنَ مِنْ دُونِ اللَّهِ] اي من دون اذن الله او من للتبعض والظرف مستقر حال من قوله [مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا نُنْفَعُهُ] لان مدعوه ومعبوده في الحقيقة هو نفسه وهو يزعم انه يعبد الله في طرف من الدين وهو نفس لا يقدر على ضرره ولا على نفعه والآية تعريض بمن اقر بمحمد (ص) ورسالته ولم يقر بقوله في علي (ع) ولا بعلي (ع) [ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ] نسبة البعد الى الضلال مجاز عقلي والحصر ههنا وفي قوله ذلك هو الخسران المبين حقيقي اودعاني [يُدْعَوْنَ مِنَ دُونِ اللَّهِ] اقرب من نفعه [يَدْعُو تَضَمِينَ] يقول ، ولمن ضره مبتدأ والتلام موطئة للقسم وقوله [لَيْسَ الْمَوْلَى] خبره ولا مه لام جواب القسم اخبرت الى الخبر كراهة الجمع بين التلامين كما قيل ، او خبر الموصول محذوف اي يقول من ضره اقرب من نفعه مولاى وليس المولى ابتداء كلام ، او بتضمين يزعم او يعلم ويكون الجملة بجزئها مفعولين له يعني بعد ما يظهر له في الآخرة امر مدعوه يقول او يعلم من ضره اقرب من نفعه بشس المولى ويكون الفعل اذا كان بمعنى يزعم او يعلم ويكون الجملة بجزئها مفعولين له يعني بعد ما يظهر له في الآخرة امر مدعوه يقول او يعلم من ضره اقرب من نفعه بشس المولى ويكون الفعل اذا كان بمعنى يزعم او يعلم معلقاً عن مفعوليه بواسطة التلام ، او يدعونا تأكيد ليدعوا السابق والتلام موطئة مثل السابق لانه لا تعلق حيث لا تعلق للجملة ببدء [وَلَيْسَ الْعَشِيرُ] المعاصر المصاحب [إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ] كان الاوفق بالمقابلة ان يقول : ومن الناس من يؤمن بالله

ويعمل الصالحات لكنه عدل الى هذه العبارة لافادة هذا المعنى وجزائهم بعبارة واحدة ولتشر يفهم بالابتداء بجزائهم وبعدم جعلهم قريناً ومقابلاً لغيرهم من الاصناف الماضية كأنتهم اشرف من ان يذكروا مقابلين لهم والمراد بالايان الايمان العام الذى هو بمعنى الاسلام الذى لا يحصل الا بالبيعة العامة النبوية وقبول الدعوة الظاهرة فيكون العمل الصالح اشارة الى البيعة الخاصة الولوية وقبول الدعوة الباطنة والايان الخاص الذى لا يحصل الا بالبيعة الخاصة، او المراد به الايمان الخاص فيكون العمل الصالح اشارة الى العمل بما اخذ عليه في بيعته فان الله يدخل الذين آمنوا بالبيعة على يد علي (ع) ودخول الايمان في قلبه وامتيازه عن غيره بحصول فعلية الولاية في وجوده [جَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ] قد مر مراراً بيان كيفية جريان الانهار من تحت الجنات [إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ] لا مانع له من مراده وقد مر هذه الآية مع تفصيل تام في بيانها عند قوله تعالى : وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ [مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ] اى من كان من الناس يظن ان لن ينصره الله فيغيظه ذلك او من يظن عليه ما يغيظه فيظن ان لن ينصره الله [فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ] اى بحبل [إِلَى السَّمَاءِ] سماء بيته ليخنق نفسه [ثُمَّ لِيَقْطَعْ] نفسه بالاختناق [فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدَهُ] فى اختناق نفسه [مَا يَغِيظُ] اى ما يغيظه او فليمدد بسبب اى حبل الى السماء الدنيا فليجتهد فى الوصول الى السماء ثم ليقطع اى ليستعمل تميزه فليظن هل يذهبن كيده وحيلته ما يغيظ ، او من كان من المؤمنين يظن ان لن ينصره الله محمداً (ص) فيغيظ لذلك فليمدد بسبب الى سماء بيته لاختناق نفسه او السماء الدنيا لحيلة نصر محمد (ص) ثم ليقطع نفسه او ليميز فليظن ، او من كان من الكافرين او المنافقين يظن ان لن ينصره الله محمداً (ص) وكان يغيظ لظن نصره فليمدد بسبب الى سماء بيته لاختناق نفسه ، او الى السماء الدنيا لدفع نصره فليظن (الى آخر الآية) [وَكَذَلِكَ] الانزال فى بيان البعث مع البرهان الواضح على بيانه وفى بيان حال المجادل فى الله بغير دليل والعابد على خوف من الذين والمؤمن الثابت على الدين [أَنْزَلْنَاهُ] اى القرآن [آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ] واضحات او موضحات لحال الناس وصفات الله وخلفائه [وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ] عطف على كذلك بتقدير التلام او عطف على الضمير المفعول اى انزلنا اليك ان الله يهدي من يريد ، وفاعل يريد ضمير للموصول او الله [إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا] اى اسلموا بالبيعة على يد محمد (ص) فان الايمان صار اسماً للاسلام فى بدو الاسلام لكون المسلم مشرفاً على الايمان [وَالَّذِينَ هَادُوا] كانوا على اليهودية [وَالصَّابِئِينَ] الخارجين عن الدين وهم الذين عبدوا الكواكب ، وقيل : انهم يزعمون انهم على دين نوح (ع) [وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا] الاصنام او غيرها بالله [إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ] اى يميز [بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ] وان كانوا فى الدنيا متشابهين غير ممتازين وان الثانية مع مدخولها خبر لان الاولى [إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ] استئناف فى مقام التعليل [أَلَمْ تَرَ] منقطع عن سابقه لفظاً ومعنى او مرتبط بسابقه جواب لسؤال مقدر فى مقام التعليل للتمييز بين الفرق المختلفة ولقدرته على كل شيء كأنه قيل : هل يقدر على التمييز بين النفوس الكثيرة المتشابهة مع كثرتها وشدة تشابهها؟ فقال : يقدر على ذلك لانك ترى كل النفوس البشرية بل كل الموجودات العلوية والسفلية مع كثرتها وتشابهها مسخرة له ساجدة له ، والخطاب لمحمد (ص) وحينئذ يكون الرؤية على معناها والاستفهام للانكار والتقرير على المنفى ، والخطاب لغير معين ويكون الاستفهام للتوبيخ يعنى لا ينبغي لك ان ترى [أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ] اى يخضع

غاية الخضوع، والخضوع في كل يحسبه، وغاية الخضوع للمختارين ان يخرجوا من ارادتهم واختياراتهم وانايتهم، ويدخلوا تحت اختيار المسجود له وانايتته، ولما كان السقوط على التراب ظهور ذلك الخروج سمي سجدة الصلوة سجوداً، ولما كان كل الموجودات بفطرة وجودها مسخرة تحت امر الحق تعالى كان الكل ساجدة له بفطرة وجودها فيسجد له [مَنْ فِي السَّمَوَاتِ] جملة تكويناً واختياراً [وَمَنْ فِي الْأَرْضِ] تماماً تكويناً وبعضهم اختياراً أيضاً [وَالشَّمْسُ] بجريها [وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ] مطلق ما ينبت من الارض او خصوص ماله ساق كما هو معناه اللغوي [وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ] عطف على من في السموات فيكون المعنى وكثير من الناس اختياراً، او مبتدأ خبره ما بعده والجملة معطوف على جملة الم تر [وَكَثِيرٌ] ابتداء كلام على ان يكون كثير من الناس من عطف المفرد، او تكرير وتأكيده للاول [حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ] خبر للاول او الثاني [وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَعَالَهُ مِنْ مُكْرِمٍ] جملة معطوفة احوالية [إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُشَاءُ] في مقام التعليل قد مضى في سورة البقرة عند قوله تعالى ولكن الله يفعل ما يريد بيان تام لهذه الآية [هَٰذَا نَحْنُ خَصَمَانِ] مستأنف جواب لسؤال مقدر كأنه قيل: ما حال من يجادل في الله والمؤمنين الذين يجادلون الكفار معهم في الله؟ فقال: هذان خصمان والخصم في الاصل مصدر يطلق على المؤنث والمذكر والمنثى والمجموع، او هو وصف كذلك وقد ينشئ ويجمع كما هنا [اخْتَصَمُوا] اي تجادلوا [فِي رَبِّهِمْ قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا] يعني الذين يجادلون في الله بغير علم [قُطِعَتْ] كناية عن الخيابة واستعمله ههنا تكماً واستهزاء [لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ] واتى بالماضي للاشعار بتحقيق وقوعه [يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ] الحميم الماء الحار والماء البارد ضد [يُصْهِرُ بِهِ] اي يشوى او يذاب به [مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ] يعني يصل اثره من ظاهرهم الى باطنهم فيشوى باطنهم وظاهرهم، وتقديم الباطن للاهتمام به في مقام التهديد [وَلَهُمْ] اي خاصة بهم [مَقَامِعٌ] جمع المقمعة كالمكنسة العمود من الحديد وجمع المقمعة كالمكحل الخشبة التي يضرب بها رأس الفيل [مِنْ حَدِيدٍ] التقييد به للتصريح بانه جمع المقمعة لا المقمعة [كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا] اي من النار او من المقامع بمعنى الخروج من عذابها [مِنْ غَمٍّ] لامن شوق فانتهم ان اشتاقوا وارادوا الخروج من شوق الى المراتب العالية خرجوا لامحالة فان قائد الشوق يقودهم ولا يدعهم في الجحيم [أَعِيدُوا فِيهَا] بتلك المقامع [وَأَقَالُ لَهُمْ] ذُقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ] اي النار الحريق المحرقة على ان يكون الحريق اسماً للمصدر او وصفاً يستوي فيه المذكر والمؤنث، او عذاب الماء الحميم الحريق [إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ] كان حق العبارة ان يقول والذين آمنوا وعملوا الصالحات قطعت لهم ثياب من النعيم اولهم جنات (الى آخرها) لكنه عدل الى هذه العبارة تشريفاً للمؤمنين بجعلهم ارفع شأناً من ان يجعلوا قريباً للكافرين، وافادة لهذا المعنى مع تشريفهم بنسبة معايشة الجزاء الى الله، واشعاراً بان جزاء الكافرين من لوازم اعمالهم وجزاء المؤمنين بمحض التفضل من الله، ولم يقتصر على الايمان كما اقتصر في جانب الكفار على الكفر لان الكفر كان في العقوبة بخلاف الاسلام فانه ان لم يقتصر بالعمل الصالح الذي هو الولاية او من جملة الولاية لم يكف في الجزاء بل كان صاحبه مثل المرجين لامر الله غير محكوم عليه بشيء الى وقت الموت بخلاف من تولى علياً فانهم محكوم عليهم بانهم يدخلهم الله [جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ] قد مضى مكرراً ان المراد

من تحت عماراتها واشجارها او قطعها والمراد بالانهار الانهار المعنوية تجري من كل مرتبة على مادونها من مراتب الجنان الى عالم الطبع [يُحَلَوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا] قرئ بالنصب وبالجر [وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ] يعنى ارشدهم الله الى الاقوال التي يطيب بها نفوسهم من الاذكار والتحيات والافكار والتخييلات وهو مثل جملة لباسهم فيها حرير عطف على تجري، او يحلون ان لم يكن جملة يحلون صفة بعد صفة، او هما مع جملة يحلون احوال مترادفة ومتداخلة، واذا كان معناه يهدون فيها الى الطيب من القول فالآتيان بالماضي لتحقق وقوعه، وان كان معناه هدوا في الدنيا فهو على معناه [وَهُدُوا إِلَى صِرَاطٍ] الله [الْحَمِيدُ] اتى بعنوان الحميد للاشارة الى ان المؤمن العامل بالصالحات لاستكمالته في اوصافه الحميدة وجنوده الكثيرة يهدى الى الله من حيث محموديته بخلاف المجذوب الغير العامل فانه يهدى اليه من حيث سبوحيته وقديسيته ولذلك قال تعالى خطاباً لنبيه (ص) قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يعنى فاستنوا بسنتي واعملوا بعملى تصيروا مثل الله متصفين بالصفات الحميدة ويحييكم الله حيث لا تصافكم بصفاته وكان المشايخ الحقّة من السلف والخلف يأمرّون السالك بحفظ النواميس الشرعية والعمل بجميع الفرائض والسنن الواردة في الشريعة فلا يصفى الى ما قالته المتصوفة من القلندرية الاباحية ان الشريعة حجاب، وان العارف لا حاجة له الى العمل، وان الواصل اذا عمل كان العمل منه قبيحاً [إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا] منقطع لفظاً ومعنى عن سابقه، اوجواب لسؤال مقدّر كأنه قيل: قد عرفنا حال الكافر المطلق والمؤمن فما حال الكافر الصادق عن سبيل الله؟ فقال: ان الذين كفروا [وَيُضِلُّونَ] اتى بالمضارع اشعاراً بان الكفر امر وحدثانى ثابت بخلاف الصدق فانه امر متجدد بالحصول، وللإشارة الى ان الكافر يصير شيمته الصدق على سبيل الاستمرار التجددى [عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ] هو سبيل القلب الذى تكوينه ولاية تكوينية وتكليفية ولاية تكليفية ولا سبيل لله سواه، وكلما عد سبيل الله اوفر سبيل الله به فهو سبيل الله لكونه سبيلاً الى سبيل القلب [وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ] الصورى او المعنوى وهو القلب [الَّذِى جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً] مفعول ثان لجعلنا احوال وقوله [الْعَاكِفُ فِيهِ] مرفوعه سواء جعل سواء وصفاً او مصدرأ فى معنى الوصف وقد مضى وجه كون الكعبة موضوعاً لانتفاع الناس فى آل عمران، وقرئ سواء بالرفع فيكون خبراً مقدماً او مبتدأ مكتفياً بمرفوعه عن الخبر [وَالْبَادِ] باسقاط الباء فى الوقف واجرائه حال الوصل على الوقف والمراد بالبادى مطلق المسافر يعنى الخارج الى البادية سواء سكن البادية ام لا، والمراد بالمسجد الحرام الحرم وما حواه او مكة او المسجد نفسه وفي اخبارنا تصريحات بان المراد مكة ودورها لا يجوز اخذ الاجر عليها ولا يجوز ان يجعل عليها ابواب وان أول من جعل على داره مصراعين معاوية وانه صاحب السلسلة التى قال الله تعالى: فى سلسلة ذرعهها سبعون ذراعاً، وكان الطارين اذا قدموا نزلوا على الحاضرين فى دورهم، وقرئ العاكف بالجر بدلاً من الناس وحذف خبر ان اتكالا على جزاء ما بأتى من قوله [وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ] اى من يرد فى المسجد او فى سبيل الله شيئاً حذف المفعول لارادة التعميم [بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ] بدل من قوله بالحداد او صلة للحداد او هما حالان متداخلان او مترادفان، او بالحداد صلة يرد و بظلم حال، وقرئ يرد بفتح الباء من ورد [نُذِقُهُ مِنْ عَذَابِ الْيَمِّ وَادَّبُونَا] واذكروا ذكر قومك اذبوأنا [لِإِبْرَاهِيمَ] اى عينا على ما ورد ان الله ارسل ريباً فكس مكان البيت فظهر اسم البيت الذى نزل لآدم (ع) من الجنة فبنى ابراهيم (ع) البيت على ذلك اولام لابراهيم زائدة [مَكَانَ الْبَيْتِ] اى بيت الكعبة ولما كان الظاهر عنوان الباطن فايوا ابراهيم (ع) مكان البيت .

او تعينه له كان عنواناً لا يوائه الى القلب وتعيين محل القلب له لينجذب اليه ويخلص التوحيد له ولذلك قال تعالى [أَنْ لَا تُشْرِكُوا] ان تفسيرية لكون بؤنا في معنى القول او مصدرية بتقدير التلام [بِي شَيْئًا وَطَهَّرْ بَيْتِي] الظاهر والباطن من الاصنام الظاهرة والباطنة ومن النجاسات الظاهرة ولوثة الرذائل الباطنة [لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ] الداعين لله في القيام وبالقيام عنده او القائمين بامور العباد الكافرين لهم [وَالرُّكَّعِ] الخاضعين لله او المنحنيين لمرمة معاشهم والمكبتين على وجوههم غير مرتفعين رؤسهم، او المفتقرين المحتاجين بحسب الدنيا او الآخرة [السُّجُودِ] المتواضعين غاية التواضع او المبتلين بمرمة معاشهم بحيث لا يمكنهم الخلاص منها في الكبير او الصغير [وَأَذِّنْ] بالغ في الاعلام [فِي النَّاسِ] لم يقل اذن الناس للاشعار بان اعلامه لم يكن للجميع بل لمن شاء الله ان يسمعه نداء ابراهيم فانه روى ان ابراهيم (ع) صعدا بابس فقال : يا ايها الناس حجوا بيت ربكم فاسمعه الله من في اصلاص الرجال وارجام النساء فيما بين المشرق والمغرب ممن سبق في علمه ان يحج وليس المراد من كان في زمانه في اصلاص الرجال وارجام النساء بل من كان يقع في اصلاص الرجال وارجام النساء الى يوم القيامة وذلك ان ابراهيم (ع) نادى بلسانه الملكوتي وتداثه الملكوتي وسمع من سمع باذنه الملكوتي وكل الناس كانوا قبل هذا العالم في العوالم العالية من العوالم الملكوتية والجبروتية من النفوس والعقول، فمن سمع في تلك العوالم بتلك الاذان اجاب، ومن لم يسمع وكان اصم من ذلك النداء في تلك العوالم لم يجب ولم يحج في هذا العالم، وعلى هذا جاز تفسير اصلاص الرجال وارجام النساء بالعوالم العالية من العقول والنفوس وان يكون وجودهم في الاصلاص والارجام كناية عن وجودهم الاجمالي في العقول والنفوس من دون تفصيل وتميز، وروى انه لما امر ابراهيم واسماعيل ببناء البيت وتم بناؤه فقد ابراهيم (ع) على ركن ثم نادى : هلم الحج فلو نادى هلموا الى الحج لم يحج الا من كان يومئذ انسياً مخلوقاً ولكن نادى هلم هلم الحج الحج فلبى الناس في اصلاص الرجال لبيك داعي الله لبيك داعي الله، فمن لبي عشر حج عشرأ، ومن لبي خمساً حج خمساً، ومن لبي اكثر فبعد ذلك، ومن لبي واحدة حج واحدة، ومن لم يلب لم يحج، وفي خبر فاسمع من في اصلاص الرجال وارجام النساء الى ان تقوم الساعة، وورد في الخبر ان الخطاب في قوله تعالى اذن في الناس لمحمد (ص) فغن الصادق (ع) ان رسول الله اقام بالمدينة عشرين لم يحج ثم انزل الله تعالى واذن في الناس بالحج (الآية) فأمر المؤذنين ان يؤذنوا بأعلى اصواتهم بان رسول الله (ص) يحج في عامه هذا، فعلم به من حضر بالمدينة واهل العوالي والاعراب واجتمعوا الحج رسول الله وانما كانوا تابعين ينظرون ما يؤمرون به فيتبعونه او يصنع شيئاً فيصنعونه [بِالْحَجِّ] اي بقصد البيت للمناسك المخصوصة [يَأْتُوا] لم يقل يأتوا البيت للاشارة الى ان المقصود من تشرع الحج زيارة القلب وصاحبه لزيارة البيت واحجاره كما ان في قوله واجعل افئدة من الناس تهوى اليهم اشارة الى ذلك، والى هذا اشار الباقر (ع) حين رأى الناس يطوفون حول الكعبة بقوله: هكذا كانوا يطوفون في الجاهلية انما امروا ان يطوفوا ثم ينفروا اليها فيعلمونا ولايتنا ومودتهم ويعرضوا علينا نصرتهم [رِجَالًا] اي مشاة قرى بكسر الراء وتخفيف الجيم وضمها وتخفيف الجيم وتشديده وكسكاري [و] معمولين بانفسهم واحمالهم [عَلَى كُلِّ ضَامِرٍ] لما كان ماحول مكة برار بعيدة خالية من الماء والعشب وكان كل فرس او جمل او استر او حمار يأتي الى مكة يضمرو ويلصق بطنه بظهره

إذاه بلفظ الضامر، ولمّا لم يكن الآتون يستوعبون بافرادهم جميع الضامرات التي في العالم وصفه بقوله [يأتين] يعني يأتين لقصد صاحبيهن مكة [من كل فج] أي طريق واسع وهو في الاصل الطريق الواسع بين الجبلين لكن اتسع واستعمل في مطلق الطريق [عميق] أي بعيد يعني من كل فج في اطراف مكة لا في العالم، وهذه التقييدات خلاف ظاهر الآية ولا بد منها لتصحیح تنزيلها، فان ظاهر الآية هكذا اذن في الناس جميعاً فان اللام في مثله ليس الا للاستغراق يأتونك باجمعهم رجالاً وركباناً على كل ضامر في العالم يأتين من كل فج عميق في العالم، والحال انه ما اتوا اولاً يأتى جميع الناس ولا كل الضامرات يأتين ولا كل الضامرات الآتيات يأتين الى مكة ولا كل الآتيات الى مكة مركوبات للحاجين ولا كل المركوبات للحاجين يأتين من كل فج عميق في العالم، لكنه لما اراد التنبيه على التأويل ادى الآية بهذه العبارة فانها باطلاقها وعمومها في جميع الفاظها صحيحة بحسب التأويل؛ لانه اذا اذن ابراهيم (ع) الذي في العالم الصغير او محمد (ص) فيه بلسان الرسالة او الولاية في الناس في العالم الصغير بحج بيت الله الحرام الذي هو القلب اسمع الله تعالى نداه لجميع القوى الانسانية الموجودة والمكمونة المجردة عن الاختلاط بالقوى الحيوانية والمختلطة بها البعده من حرم الصدر المنشرح بالاسلام المحتاجة في سيرها الى مكة القلب الى ركوب القوى الحيوانية، وهيج الله بعد الاسماع جميع القوى الانسانية التي هي افراد الانسان في العالم الصغير واتوا الى القلب وصاحبه وكان الحاضرون حول حرم الصدر وبيت القلب مشاة في مجيئهم لعدم اختلاطهم بالقوى الحيوانية وعدم احتياجهم الى ركوبها، وكان المتباعدون عن الحرم والبيت راكبين ومختلطين بالقوى الحيوانية ولذلك كان الحج ماشياً لاهل الحرم افضل ويتدرج الى الفعلية القوى المكمونة الغير الخارجة من القوة الى الفعل، وبعد الخروج من القوة الى الفعلية تأتي الى بيت الله وتطوف حول القلب مشاة وركباناً [ليشهدوا] أي ليحضروا [منافع لهم] دينية ودنيوية فان الآتي الى مكة بعمه الرحمة الالهية التي تنزل من الحق على الحاجين والمغفرة والبركات النازلة ايام الحج وبواسطتها يحصل له البركات الدنيوية وينتفع بلحوم الاضاحي، وتنكير المنافع للاشعار بان المراد المنافع الحاصلة في ايام الحج [ويذكروا اسم الله في ايام معلومات] قبل هي العشر الاول من ذي الحجة وهي الايام المعينة لمناسك الحج، وقيل: هي ايام التشريق يوم النحر وثلاثة بعده، وقيل: ان المراد بالذكر هنا التسمية على الاضحية، وقيل: المراد بالذكر الذبيح لان صحته الذبيح بالذكر فسمي به، والحق ان المراد مطلق ذكر الله سواء كان بالتلبية في الاحرام او بالتضرع والدعاء في ايام الحج، او بتذكر القيام عند الله في القيامة بواسطة مشاهدة حال الاحرام الذي هو تذكر للقيام عند الله في المحشر، او بالذكر عند الذبيح، او بالتكبيرات عقب الصلوات الخمس عشرة اولها صلوة الظهر من يوم النحر، والايام المعلومات هي ايام الحج من اول الاحرام بالحج الى آخر ايام التشريق لان من احرم بالحج علم انه لا يفرغ من مناسكه الا بعد ايام التشريق في السفر الاول او في السفر الثاني [على ما رزقهم من بهيمة الانعام] وقد مضى في اول سورة المائدة بيان لبهيمه الانعام، وتقييد الذكر بقوله على ما رزقهم من بهيمة الانعام بشعر اشعاراً ما بان المراد الذكر على الذبيح [فكلوا منها] اباحة او نذب للاكل وليس الامر للوجوب [وأطعموا البائس] المراد منه هو الواقع في الشدة لفقره ولذلك اضاف اليه [الفقير ثم ليقتضوا تفشهم] التفث التثعث والاغبرار وقضاؤه ازالته بالغسل والحق وقلم الاظفار والطيب، او المراد بالتثعث مناسك الحج والاحلال من الاحرام، او ما يلزم الانسان في الاحرام من تبعة قول او فعل، وقضاؤه تداركه بما يكفره، او المراد بالتثعث التعلقات النفسانية الباقية على الانسان في الاحرام وقضاؤه بقاء الامام (ع) فان من

لقى امامه بملكه او ملكوته ينسلخ من تعلقاته ، وفي الاخبار اشارة ما الى كل [وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ] التي نذروها في ايام الحج او قبل الحج للحج ، او قبل الحج مطلقاً ، او المراد بالنذور الكفارات التي تلزم مرتكبي المنهيات في ايام الحج او المراد مطلق الكفارات ، او المراد المناسك فانها كالنذور تلزم الانسان بعد الشروع بوجه [وَلْيَطَّوَّفُوا] اي ليبالغوا في طواف البيت او ليكثروا الطواف بالبيت بعد ما تطهروا بحسب الظاهر من الشئ اللازم للاحرام وحلقوا وازالوا الوسخ الظاهر والوسخ الباطن من الكفارات والتعلقات بلقاء الامام بملكه وبقائه بملكوته فان لقاء الامام بملكوته وهو المعرفة بالنورانية باب الوصول الى القلب الذي هو بيت الله فليطوفوا [بِالْبَيْتِ] الظاهر والباطن ولا يدخلوا الا بعد الطواف به الطواف الواجب [العتيق] القديم فانه اول بيت وضع للناس بظاهره كما في الاخبار انه نزل من الجنة لآدم (ع) ، وبباطنه فان القلب الصنوبري في ملكك البدن العنصري اول بيت وضع للناس في العالم الصغير ، والقلب الروحاني كذلك ، او العتيق من الفرق والعتيق من الكثرات وتعلقاتها ، او العتيق من تسلط الجبابة عليه في الصغير والكبير [ذَلِكَ] خبر مبتدئ محذوف او مبتدئ خبر محذوف اي الامر ذلك او ذلك كذلك او مفعول فعل محذوف اي خذ ذلك [وَمَنْ يُعْظَمْ] عطف احوال [حُرُمَاتِ اللَّهِ] جمع الحرمة او الحرم بالضم والسكون او الحرم بالضممتين الذي هو جمع الحرم ، او الحرم بكسر الحاء او الحرمات جمع الحرمة بضممتين ، او الحرمة كالهزمة ، وحرمت الله ما يحرم انتهاكه من امر ونهي ومكان وزمان وغيرها كالحرمين والاشهر الحرم والايام المتبركة والشرائع الالهية والكتب السماوية والاخبار النبوية والولوية والبيعة النبوية والولوية ، والمشاهد المشرفة والمؤمن ونفس الايمان وخلفاء الله من الانبياء واصحابهم (ع) ، وما ورد وقيل من اختصاصها ههنا بمناسك الحج او البيت الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام بقرينة ذكرها في ذيل آية الحج انما هو بيان للمنظور وتخصيص له والا فمفهومها عام وبعمومه ورد ، لكن المقصود المنظور في ذلك المقام هو هذه المذكورات [فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ] اي فالتعظيم خير له من ترك التعظيم لامن هتك الحرمة فانه شر له او الخير منسلخ عن معنى التفضيل [عِنْدَ رَبِّهِ] لان تعظيم الحرمات قلما ينفك في الدنيا عن تلف الاموال او تعب الانفس [وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْآَنَاعُ] اي الازواج الثمانية [الْأُمَائُتُ لِي عَلَيْكُمْ] اي تحريمه من الميتة وما اهل تغير الله به والمنخقة (الى آخر الآية) ومن البحيرة والسائبة (الى آخر الآية) [فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ] الرجس بكسر الراء وسكون الجيم وبالتحريك ويفتح الراء وكسر الجيم القذر والمائم وكل ما استقذر من العمل ، والعمل المؤدى الى العذاب والشكك والعقاب والغضب وبصح التفسير بكل ، ويكون معنى من في قوله تعالى [مِنَ الْأَوْتَانِ] في كل مناسبا له ، وفسر الرجس من الاوتان في الخبر بالشرنج [وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ] تكرار الامر بالاجتناب للاشعار بان كلاماً مأموراً باجتنابه على حياله ، والزور بالضم الكذب والشرك بالله ومجلس الغناء ونفس الغناء وما يعبد من دون الله وقد فسر الآية بشهادة الزور وبمطلق القول الكذب وبما كان المشركون يقولونه في تلبيتهم من قولهم لبيك لا شريك لك الا شريكاً هو لك تملكه وما ملك والغناء وسائر الاقوال الملهية ، وفي الاخبار تصريح ببعضها والحق انه لا اختصاص للوثن بالصم المصنوع بل كلما ينظر اليه ويتعلق القلب به فهو وثن للنفس بل كل هوى واقتضاء من النفس وكل رأي وانانية منها صحتها ، ولا اختصاص للقول المسبب او السبب للزور والانحراف عن الحق بالغناء وشهادة الزور بل افعال القوى النباتية والحيوانية والانسانية وآثار الاعضاء البدنية وادراك المدارك الظاهرة والباطنة والاحوال والاخلاق النفسانية

والخطرات القلبية وتصرفات الواهمة كلها اقوال القوى ، فاذا كان هذه على سبيل الاستقامة الانسانية يعنى كانت متصلة بطريق الولاية او منتبهة اليها كانت اقوال الصديق ، واذا لم تكن على ذلك كانت اقوال الزور كائنة ما كانت ؛ وعلى هذا كان المعنى فاجتنبوا الرجس الذى هو انانية النفس التى هى صنمها الحقيقى وكلما يتبعها من الاهوية الكاسدة والمعبودات الباطلة والمنظورات الفانية ، واجتنبوا كل قول او فعل او خاطر او خيال او تخيل يكون سبب الانحراف عن الحق او مسبباً عن الانحراف ، ولما كان الاجتناب قيداً وريثاً للنفس وحاصلاً لها من انانية ما ، ومورثاً لانانية اخرى اذا كان بالتفات من النفس وهوى منها والمطلوب التجرد من الانانية مطلقاً والتطهر من الهوى ولو كان هوى التقرب الى الله قال تعالى [حُنَفَاءَ] اى خالصين من الانانية والهوى ولو كان هوى الخلاص من الهوى [لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ] تأكيد لحنفاء [وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ] باى نحو من الاشراك حتى الاشراك بهوى الاجتناب من الهوى [فَكَأَنَّمَا آخَرُ مِنَ السَّمَاءِ] تشبيه للمعقول بالمحسوس لان الانسان من سماء الاطلاق وبالاشراك والتقييد يترل عن سماء الاطلاق الى ارض التقييد [فَتَخْطِفُهُ الطَّيْرُ] اى طير الاهوية والآمال [أَوْ تَهْوِي] عطف على آخر او على تخطفه وهو الاوق [بِهِ الرِّيحُ] اى ريح الشهوات والغضب والشيطانية [فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ] اى بعيد شبه المشرك فى حالته بمن سقط من السماء فان اللطيفة السبارة الانسانية بالاشراك والانانية تسقط من سماء الاطلاق الى ارض التحدّد وبعد سقوطه الى مقام التعيين والانانية اما يتصرف فيها الآمال والبخل والحسد وامثالها التى هى تولد فى الانسان من تركيب الشهوة والغضب والشيطنة ، او تتصرف فيها الشهوة ، او الغضب ، او الشيطنة التى هى كالبساط فثبته المتصرف فيه الآمال والحسد وامثالها التى هى كالمواليديمن تخطفه الطير والمتصرف فيه الشهوة وامثالها التى هى كالعناصر فى البساطة بمن تهوى به الريح فلفظة او للتنوع وللتخفيف فى التشبيه [ذَلِكَ] مضى هذه الكلمة قبيل هذا [وَمَنْ يُعْظَمْ شُعَائِرُ اللَّهِ] نظير من يعظم حرمات الله وتأكيده له وقد مضى فى سورة البقرة بيان للشعائر وهى كالحرمات مطلق ماله تعلق بالدين وله حرمة وقد فسرت مثل الحرمات ههنا بملاحظة المقام بمناسك الحج والهدى مخصوصاً والحق انه على عمومته ورد لكن النظر الى المناسك او الى الهدى بقرينة المقام [فَإِنَّهَا] اى الشعائر [مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ] من قبيل اقامة السبب مقام الجزاء فان التقدير من يعظم صار من المتقين لانها من تقوى القلوب ، وكون الشعائر من تقوى القلوب مع ان اكثرها من الكثرات الشاغلة للقلوب عن الله باعتبار ان القلب وجهين وجهاً الى الكثرات ووجهاً الى الوحدة وبهذين الوجهين يصح منه السلوك ويقع منه الجذب ، وبسلوكه المشار اليه بقوله تعالى فاتبعوني يحبيكم الله يكون التقوى منه بحفظ الكثرات واعطاء الحقوق لاهلها ، واعطاء الحقوق لاهلها ليس الا بالتزام او امره تعالى ونوايه فى الكثرات وبجذبه المشار اليه بقوله تعالى : ان كنتم تحبون الله يكون التقوى منه بطرح الكثرات وترك الالتفات الى ماسوى الله فيكون تعظيم الشعائر التى هى اوامر الله ونوايه القلبية والقلبية وانباؤه واولياؤه (ع) بقوى البهم الملكية والملكوية كلها من تقوى القلوب لا الاشتغال بالحضور فقط وطرح ماسوى الحضور [لَكُمْ فِيهَا] اى فى الشعائر يعنى البدن التى تهدى الى مكة [مَنَافِعُ] من ظهورها واوراها والبانها ونتاجها [إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى] الى ان يجعل هدياً فان المنافع تنقطع بعد ذلك كما قيل : او الى وقت النحر ، اولكم فى مناسك الحج منافع فى الدنيا بكثرة البركات وفى الآخرة بكثرة الاجور ، اولكم فى مطلق العبادات منافع دنيوية بحفظ الدماء والاموال والاعراض وصحة التوارث والتناكح ، وفى الآخرة بالايجور

وحينئذ يكون قوله الى اجل مسمى قيداً لتحصيل الانتفاع بالنفس المنافع [ثُمَّ مَحِلُّهَا] اى محل البدن او مناسك الحج [إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ] يعنى مكة وما حولها فان البيت ههنا اعم من الحرم او محل العبادات وانتهاء حلولها ونزولها الى البيت العتيق المعنى القديم الذى هو البيت المعمور [وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا] يعنى لا بدع فى الأضحية كما يقوله العجم وتنكر اذى الحيوان ولا فى مناسك الحج كما يقول من لا خبرة له : ان هذه الافعال ليست من افعال العقلاء ، ولا فى مطلق العبادات كما يقوله المتصوفة الاباحية لاننا جعلنا لكل أمة منسكاً خاصاً من القرابين والاضحيات ومن المناسك المخصوصة فى ايام مخصوصة او من العبادات والاواحر والنواهي القلبية والقلبية والرياضات البدنية والنفسية [لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةٍ الْأَنْعَامِ] قد مر بيان لبهيمه الانعام فى أوّل سورة المائدة، والتعليل به للاشعار بان المقصود من جميع العبادات وجميع الانتفاعات والالتذات هو تذكرة المعبود لا غير [فِيَالْهُكُمُ] يعنى ان كان متعبداً تكلم متخالفات فلا ينبغي لكم التخالف والتباغض بسبب ان آلهكم [إِلَهُ وَاحِدٌ] وهذا يقتضى الاتفاق لا الاختلاف [فَلَهُ أَسْلِمُوا] اى انقادوا او اجعلوا انفسكم ذوات سلامة من الآفات او القيود التى تورثكم اللجاج والعناد [وَبَشِّرْ] خطاب لمحمد (ص) او لكل من يتأتى منه الخطاب فيكون فى معنى وبشروا عطفاً على اسلموا اى اسلموا له وبشروا [الْمُخْبِتِينَ] من الخبت بمعنى المكان المتسع او من الخبيت بمعنى الحقير ولعل التوضيف بالاوصاف الآتية كان باعتبار المعنيين وفسر بالخاشعين باعتبار تحقير النفس وبالمطمئن الى الله باعتبار معنى الاتساع، وقوله تعالى [الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرَ اللَّهُ] عندهم [وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ] ناظر الى معنى الحقارة، وقوله [وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ] ناظر الى معنى الاتساع فان اتساع القلب يورث تحمل البلياء من غير جزع [وَالْمُقِمِينَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ] لما كان الصبر هو البقاء على الحال الاولى من دون حدوث شيء وتجدد، واقامة الصلوة عبارة عن دوام التوجه الى الحق الاول تعالى شأنه كان المناسب فيهما الاتيان باسم الفاعل، ولما كان المطلوب من الاتفاق تجده على سبيل الاستمرار اتى به مضارعاً دالاً على التجدد الاستمرارى [وَالْبُدْنَ] البدن بالضم والسكون والبدن بالتحريك والبدن ككتب جمع البدنة كالخشبة وهى سمينة من النوق التى تهدي الى مكة او من النوق والبقر [جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ] من جملة علامه دينه او مناسك بيته [لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ] مثل لكم فيها منافع [فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ] اى قياماً للتحرر مقبدة على سنة محمد (ص) وهى ان تعقل احدى يديها وتقوم على ثلاث اوان تربط يداها ما بين الرمغ الى الركبة [فَاِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا] سقطت على الارض كناية عن خروج الروح منها [فَكُلُّوا مِنْهَا] ولو بقدر اكلة وليس الامر للوجوب فهو امراً للاستحباب او الاباحة فان القوم فى الجاهلية كانوا يحرّمون الاكل منها، وقيل الامر للوجوب [وَأَطِيعُوا الْقَانِعَ] الذى يقنع بما اعطى وبما فى يده ولا يسأل [وَالْمُعْتِرَ] اى المعترى الذى يتعرض للمعروف ولا يسأل [كَذَلِكَ] التسخير للذبح والاكل [سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ] فى سائر منافعكم [لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ] نعمة تسخيرها اولئذ ذكرها انعامنا عليكم فتشكرونا على جميع نعمنا [لَنُيَسِّئَالَ اللَّهُ] جواب لسؤال مقدّر فانه تعالى لما قال : ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب وكان المنظور من شعائر الله ههنا الاضحيات وكان الاضحية ما يهراق دمه ويؤكل لحمه ووصفها الله تعالى بالافتقار بتقوى القلوب صار المقام مقام ان يسأل هل يصل الى الله لحومها ودماءها؟ فقال جواباً له :

لن ينال الله [لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا] وَلَكِنْ يَنْالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ] وقبل : كانوا في الجاهلية اذا ذبحوا استقبلوا الكعبة بالدماء فلطخوا حول البيت بها قربة الى الله [كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ] كرر هذه الكلمة تأكيداً ومقدمة لغاية اخرى هي قوله [لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْكُمْ] الى تسخيرها ، او الى مناسكت بيته ، او الى معالم دينه ، او الى ذبح القوى البهيمية من النفس ، او الى ولي امركم [وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ] عطف على مقدر او باعتبار المعنى كأنه قيل : فكبر الله وبشر المحسنين في اعمالهم ، او العاملين كأنهم يرون الله او المحسنين الى خلق الله ، او الذين شيمتهم الاحسان ، او المؤمنين بالايمان الخاص الحاصل بالبيعة الولوية فان اصل الاحسان هو الولاية التي هي البيعة الخاصة الولوية التي يعبر عنها بالايمان [إِنَّ اللَّهَ يُدْافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا] جواب لسؤال مقدر واقع موقع التعليل للتبشير والتزليل انه يدافع الكفار الذين يقاتلونهم والمقصود التعميم لدفعه تعالى الكفار والبلايا ومكر الماكرين واذى المودين وجنود الجهل من الجنة والشياطين عن المؤمنين ، وفي لفظ يدافع اشعار بان الكفار والبلايا والمودين وجنود الشياطين يتجهمون على المؤمنين ولكن الله يدافعهم عنهم [إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ] يعنى يغيضهم ، هذا ايضا فى مقام التعليل كأنه قال : ان الله يحب المؤمنين ويغيض الكافرين والماكرين وجنود الشياطين لكنه اتى بلفظ الخوآن الكفور اشعاراً بان من يهجم على المؤمنين فهو خوآن كفور كائناً من كان [أُذِنَ] جواب لسؤال مقدر كأنه قيل : اذا كان الله يدافع عن المؤمنين فلا ينبغي للمؤمنين ان يقاتلوا ، فقال تعالى : اذن [لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ] من المؤمنين ، قرئ اذن مبنياً للمفعول ومبنياً للفاعل وعلى كل من القراءتين قرئ يقاتلون مبنياً للمفعول ومبنياً للفاعل [بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا] ذكر في نزول الآية انه كان المشركون يؤذون المسلمين لانزال يحيى مشجوج ومضروب الى رسول الله (ص) ويشكون ذلك الى رسول الله (ص) فيقول لهم : اصبروا فاننى لم اؤمر بالقتال حتى هاجر فانزل الله عليه هذه الآية وهى اول آية نزلت فى القتال [وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ] جملة حالبة او معطوفة على الفعلية او على ان الله لا يحب كل خوآن كفور [الَّذِينَ أُخْرِجُوا] بدل او صفة للذين يقاتلون او للذين آمنوا ، او مبتدأ خبره الذين ان مكناهم او خبر مبتدأ محذوف او مبتدأ خبر محذوف ، او مفعول فعل محذوف [مِنْ دِيَارِهِمْ يَغِيرُ حَقًّا] إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبَّنَا اللَّهُ من قبيل استثناء المديحة من الذمائم المنفية للمبالغة فى المدح والمراد بمن اخرجوا فى الكبير المؤمنون حيث اخرجوا الى الحبشة اولاً ثم الى المدينة ثانياً وتجرى الآية فى الائمة كالحسين (ع) واصحابه كما فى الاخبار وفى المؤمنين بشرائط الجهاد والدفاع المقررة فى الكتب الفقهية [وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ] قرئ دفع الله من الثلاثى المجرد ودفع الله من المفاعلة والجملة حالبة او معطوفة وفيها معنى التعليل لقوله اذن للذين يقاتلون وقد سبق فى آخر سورة البقرة بيان وجوه هذه الآية عند قوله تعالى : لولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض [لَهَدَمْتُ صَوَامِعُ] معابد النصرى لربانهم قدمها على سائر المعابد فى الذكر لكونها حققة الى زمان الرسول (ص) ولشيوعتها فى ذلك الزمان ولا اختصاصها بمن لم يكن له شغل سوى العبادة [وَيَبِيعُ] معابدهم المشتركة [وَصَلَوَاتُ] معابد اليهود اصلها ثلوثا بالعبودية فعرّب وجعل صلوة وجمع على الصلوات ، وقيل : الصوامع معابد النصرى فى الجبال والبرارى ، والبيع معابدهم فى القرى ، والصلوات معابد اليهود دلكونها بصلّى فيها ، وقيل : الصوامع معابد النصرى ، والبيع معابد اليهود ، والصلوات ايضا معابد اليهود ، وقيل : المراد بالصلوات صلوات شريعة محمد (ص) من الصلوات

الخمس وغيرها [وَمَسَاجِدُ] يعنى لولا دفع الله الناس بالوجوه السابقة فى سورة البقرة لفسدت الارض وهُدِّمَ ما كان بعد فيه فى زمان كل نبي [يُذَكِّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا] وصف للمجموع اول للمساجد خاصة كأن غيرها لا يذكر فيها اسمه تعالى لاجل كون الشرائع السالفة منسوخة [وَلَا يَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ] عطف على قوله تعالى: لولا دفع الله الناس فإنه فى معنى وليد فمن الله، ونصرة العباد لله لا يكون الا بنصرة خلفائه فى العالم الكبير بطاعتهم والافتداء بهم وتعظيمهم وتعظيم شرائعهم والا بنصرة خلفائه تعالى فى العالم الصغير من الملك الزاجر والعقل الناهى والامر واللطيفة الانسانية التى هى خليفة الله فى الارض حقيقة، ونصرة الله تعالى للعباد بالتوسعة فى قلوبهم والتوفيق لطاعته وتهية اسباب الظفر على أعدائه وعلى أعدائهم الظاهرة والباطنة، ولما كان افعال العباد واوصافهم فعل الله الظاهر فى مظاهر العباد كان نصرة العباد لله هى بعينها نصرة الله للعباد وجالبة لنصرة اخرى من الله كما ان خذلان العباد للطيفة الانسانية بعينه خذلان من الله للعباد وجالب لخذلان آخر [إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ] فى مقام التعليل لنصرة يعنى انه قادر غير ضعيف عن النصر [عَزِيزٌ] غالب لا مانع له من نفاذ امره [الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ] صفة اوبدل من الَّذِينَ آمَنُوا اومن الَّذِينَ يقاتلون، اومن الَّذِينَ اخرجوا، اومن يَنْصُرُهُ، اواخر الَّذِينَ اخرجوا، اواخر مبتدئ محذوف، اومبتدئ خبر محذوف، اومفعول فعل محذوف والمراد بالتمكين فى الارض الاقدار على التصرف فيها باى نحو شاؤوا [أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ] قد مضى فى اول البقرة تحقيق تام للصلاة واقامتها وللزكاة وابتائها [وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ] قد اسلفنا فى سورة البقرة عند قوله تعالى اتأمرون الناس بالبر ببياناً وافياً للامر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولما كان معاملة العبد الكامل بينه وبين الله مقصوراً على الصلاة والزكاة كما اسلفنا هناك، ومعاملته بينه وبين العباد محصوراً على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اذا عمم الامر والنهي للقولى والفعل بالصرحة او الالتزام حتى يشمل الاحسانات والتحيات والتصحيات اتى فى مديحتهم بهاتين الصفتين ولم يتجاوز عن الصفتين [وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ] جملة حالية ومديحة اخرى، ولان الامور عوض عن المضاف اليه والمعنى اقاموا الصلاة فى حال كون امورهم المذكورة اومطلق امورهم لله ليس فيها شوب قصد للنفس غير الله، اوهى عطف احوال، ووعده للمحسن ووعده للمسيء من غير نظير الى المؤمنين او غيرهم [وَأِنْ يَكْذِبُوا] عطف على مقدر تقديره فان يصدقوك فهو المطلوب وان يكذبوك فلا تحزن فان الكذب شيمة الانسان ما لم يخرج من انانيته [فَقَدْ كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَى فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ] امهلتهم واطلت عمرهم [ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ] اى انكارى عليهم ما فعلوا وتبدلى نعمتهم بالنقمة، او كيف كان نقلى اياهم من حال يسرهم الى حال يسوءهم [فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ] خالية مشتملة [عَلَى عُرُوشِهَا] اى سقوفها وقصورها واسرتها، واساقطة خربة على عروشها يعنى خربة جدرانها على سقوفها، وابنتها الدانية على قصورها العالية، واساقطة على سرر سلاطينها [وَبِشْرِ مُعَظَلَةٍ] عطف على قرية اى كايّن من بشر معظلة اهلكتنا اهلها [وَقَصَصْنَاهَا] اهلكتنا وقد فسر البشر المعظلة بالعالم الذى لا يرجع اليه، والقصر المشيد بالعالم الذى يرجع اليه او الجاهل الذى يشبه بأهل العلم فيرجع اليه، وفسر بالامام الصامت والامام الناطق، وبالامام الغائب والامام الظاهر، وبفاطمة (ع) وولدها (ع) المعظليين عن ملكهم

وحقهم ، وبأمر المؤمنين (ع) وأولاده (ع) المنتشرة في الخلق فضائلهم ، ويعلم آل محمد (ص) الذي كان معطلاً لا يجدون له اهلاً ، وبمجدهم وسائر صفاتهم المشهورة لكل واحد ، وبولاية علي (ع) ونبوته محمد (ص) ، وبحقيقة الدين التي كانت معطلة في كل شريعة ، وبالملة التي كانت مرتفعة في زمان كل نبي بعده [أ] يتشبثون عن المشي بالرجل أو عن السير بالانظار [فَلَمْ يَسِيرُوا] بأرجلهم أو بأنظارهم [فِي الْأَرْضِ] أي أرض العالم الكبير ، أو الصغير أو أرض القرآن والأخبار ، أو أرض السير وأحوال الماضين فينظروا إلى أحوال الماضين محسنينهم ومسيئينهم فيكون ذلك النظر مورثاً لتفكيرهم وحصول العقول لهم [فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا] أَوْ أذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا] يعني فيحصل لهم مقام التحقيق أو مقام التقليد والانقياد فإن كلا منهما كمال تام للانسان [فَإِنَّهَا] الضمير للقصة أو مبهم بفسره الابصار [لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ] التي في الرؤوس بترك السير والنظر [وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ] ولا تعمي الابصار ان عميت لان لها كوة إلى الدنيا وكوة إلى الآخرة ، وإذا عميت عميت منها الكوة التي إلى الدنيا وليس المقصود ابصارها بل المقصود ابصار الكوة التي إلى الآخرة ولكن تعمي القلوب ان عميت يعني تعمي الكوة التي إلى الآخرة ان عميت القلوب ، في خبر عن السجادة (ع) : ان للعبد أربع أعين عيان يبصر بهما دينه ودنياه ، وعينان يبصر بهما أمر آخرته ؛ فإذا أراد الله بعيد خيراً فتح له العينين اللتين في قلبه فأبصر بهما الغيب وأمر آخرته ، وإذا أراد الله به غير ذلك ترك القلب بما فيه ، وعن الصادق (ع) : انما شيعتنا اصحاب الاربعه الاعين ؛ عينان في الرأس وعينان في القلب ، الا وان الخلائق كلهم كذلك الا ان الله عز وجل فتح ابصاركم واعمى ابصارهم ، وعن الباقر (ع) : انما العمى عمى القلب ثم تلا الآية [وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ] المتوعد به وذلك ان رسول الله (ص) اخبرهم ان العذاب أتهم فقالوا : فإين العذاب ؟ والجملة عطف على لم يسيرا [وَلَكِنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عَنِدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ] تقرير لثأته وإمهاله وبيان كسب تأنيته أو تهديد عن طول العذاب وطول أيامه وقد مضى في بنى اسرائيل وسيجي في سورة السجدة تحقيق لسعة الأيام الربوبية [وَكَبَائِنٌ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا] امهلت اهلها كما امهلت قومك [وَهِيَ ظَالِمَةٌ] مثل قومك [ثُمَّ أَخَذْتُهَا] في الدنيا قبل الاحتضار بأنواع المؤاخذه وحين الاحتضار بحضور ملائكة العذاب وملك الموت [وَالِى الْمَصِيرُ] فأخذ بها في الآخرة بأنواع العذاب الموعودة في الآخرة [قُلْ] بعد تسليته (ص) بان له في تكذيب قومه اسوة بالانبياء وان المكذابين مؤاخضون وان المستعجلين بالعذاب يمهلون لكن يؤخذون في الدنيا والآخرة امره (ص) ان يعلن دعوته وان ينادى قومه ولا يكثر بتكذيبهم فقال قل [يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ] ظاهر الحجّة والصدق ومظهر لصدقي وانذارى [قَالَ الَّذِينَ آمَنُوا] بالايان العام والبيعة العامة النبوية وهو عطف من الرسول (ص) او من الله على قول الرسول وهذا هو الظاهر من قوله والذين سمعوا في آياتنا [وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ] التي اخذوها متى بعد البيعة [لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ] الكريم من كل شيء ما يجمع فضائله [وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا] بالردة والابطال والمنع والجحود [مُعَاجِرِينَ] من عاجز عدوه اذا سابها في الدفع والتعجيز [أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ] وما أرسلنا من قبلك عطف على يستعجلونك بالعذاب وتسليه أخرى له (ص) [مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ] في قراءة اهل البيت (ع) ولا محدث وقد سبق تحقيق وتفصيل لمراتب الانسان والفرق بين المحدث والنبي والرسول في سورة البقرة عند قوله

وانتمهما اكبر من نعمهما ولقد بينا هناك الاخبار الواردة في الفرق بين الرسول والنبي والمحدث والامام بان الرسول يسمع الصوت ويرى في المنام ويعاين الملك في اليقظة ، وان النبي يسمع الصوت ويرى الملك في المنام ولا يعاين ، وان المحدث والامام يسمع صوت الملك ولا يرى ولا يعاين [إِلَّا إِذَا تَمَنَّى] شيئاً من مشتهيات القوى الحيوانية او الانسانية من جهة الدنيا او من جهة الآخرة [أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ] شيئاً خلاف متمناه اذا حصل او قرب حصوله والآية تسلية للرسول (ص) مما فعله منافقوا امته او يفعلونه به وبشريته وكتابه وخليفته وعترته فان امنيته (ص) ان لا يخالف امره ، ولا يعصى ربه ، ولا يغير شريعته وكتابه ، وان يتبع خليفته ، ويودع عترته ؛ فانه روى بطريق الخاصة عن امير المؤمنين (ع) في حديث فيذكر جل ذكره لنبيته (ص) ما يحدثه عدوه في كتابه من بعده بقوله : وما ارسلنا من قبلك (الآية) انه ما من نبي تمنى مفارقة ما يعاينه من نفاق قومه وعقوقهم والانتقال عنهم الى دار الاقامة الا ألقى الشيطان المعرض بعداوته عند فقدته في الكتاب الذي انزل عليه ذمّه والقدح فيه والطعن عليه فينسخ الله ذلك من قلوب المؤمنين فلا تقبله ، ولا يصغي اليه غير قلوب المنافقين والجاهلين ، ويحكم الله آياته بان يحمي اوليائه من الضلال والعدوان ومشايعة اهل الكفر والطغيان الذين لم يرض الله ان يجعلهم كالانعام حتى قال بل هم اضل ، وروى عن ابن عباس وغيره بطريق العامة ان النبي (ص) لما تلا سورة والنجم وبلغ الى قوله افرا يتم اللات والعزى ومنوة الثالثة الاخرى ألقى الشيطان في تلاوته تلك الغرائق العلى وان شفاعتهن لترجى فسر بذلك المشركون فلما انتهى الى السجدة سجد المسلمون وسجد ايضاً المشركون لما سمعوا من ذكر اهلهم ما أعجبهم ، وقيل : ان تمنى بمعنى تلاعني ما من نبي الا اذا تلا آيات كتابه ألقى الشيطان في تلاوته فانه يستعمل تمنى الكتاب بمعنى قرأه ، وهذا الخبر المروي منهم ان صح فهو مؤول بما لا يناه في مقام النبي ، والغرائق جمع مفردة الغريق بضم الغين وفتح التون او كثر نبوا وكفنديل او كسموئل او كفر دوس او كفر طاس والكل بمعنى الشاب الحسن الابيض [فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ] اي المبدلون في كتابه او شريعته بان ينسخ ما ارادوا من القوام القلوب او ما يلقى الشيطان او الكفار في تلاوته بان ينسخ اثره من القلوب او ما يلقى الشيطان في متمناه حين تمنى على (ع) وفاطمة (ع) او ما يلقى الشيطان في متمنياته من الجهة الدنيوية الحيوانية بان ينسخ تلك الجهة من نظره [ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ] بان لا تتغير ولا تبدل ولا تزول عن قلوب المؤمنين ولا عن نظر النبي (ص) [وَاللَّهُ عَلِيمٌ] يعلم صلاح عبادته في ان يخلّي الشيطان حتى يلقى ما يريد في متمنى النبي (ص) ليخبر بذلك الخالص والمغشوش فيتميز المؤمن عن المنافق [حَكِيمٌ] لا يفعل الا لغايات متقنة والا بالنظر الى استعدادات مكمونة قدم المعطوف قبل تمام المعطوف عليه لثلاث بتوهم متوهم ان هذا الجعل خال من الحكمة [لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ] يعني ليس ما يلقى الشيطان خارجاً عن اختيارنا وان كان غير مرضي لنا وانما خلطينا به وبين ما اراد القاءه لنجعل ما يلقى الشيطان [فِتْنَةً] الفتنة الاختبار والضلال والاثم والكفر والفضيحة والعذاب والاضلال واذا به الذهب والفضة والمحنة والاختلاف في الآراء ، والكل مناسب ههنا فان الكل يمكن ان يراد [لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ] الذين لم يبق لقلوبهم استعداد الصحة [وَأَنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ] الجملة حالية والمراد بالظالمين الصنفان المذكوران ، ووضع الظاهر موضع المضمرة اشارة الى وصف ذم آخر لهم والمعنى ألقى الشيطان ذلك لنجعل ما يليقه فتنة والحال انهم لا يرجي لهم الخير لكونهم في معاداة او خلاف بعيد [وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ] الذي هو نور يقذفه الله في قلب من يشاء او العلم الذي هو تميز دقائق الكثرات

واحكامها [اِنَّهُ] اى الالفاء او الملقى هو [الْحَقُّ] النازل [مِنْ رَبِّكَ] بصورة الباطل وعلى لسان الشيطان اويده او الضمير راجع الى كتاب النبى (ص) اودينه او استخلافه ويكون التعريض بالقرآن اودين محمد (ص) او استخلافه او خليفته [فَيُؤْمِنُوا بِهِ] اى يدعوا به وينقادوا له اويبيعون معه البيعة الخاصة او العامة [فَتُخْبِتُ] اى تتبع وتطمئن او تخشع وتتواضع [لَهُ قُلُوبُهُمْ] وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِي الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [مقابل اَنَّ الظالمين لفي شقاقٍ بعيدٍ يعنى ان الله لهادى الذين اسلموا الى ولاية على (ع) فان الصراط المستقيم هو الولاية تكويناً وتكليفاً، وان الله لهادى الذين آمنوا بقبول الولاية والبيعة الخاصة الولوية وقبول الدعوة الباطنة ودخول الايمان فى القلب الى صراطٍ مستقيمٍ فى كل الامور حتى فى القرآن وما يلقيه الشيطان فى ما يمتناه الرسول (ص) وما يلقيه الشيطان [وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا] بالله اوبكك اوبكتابك اوبما قلت فى خليفتك اوبالولاية فى مرة [مِنْهُ] الضمير راجع الى مرجع ضمير اِنَّهُ الحق من ربك [حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ] يعنى ساعة الموت وهى ساعة ظهور القائم (ع) وقيام القيامة الصغرى [بَغْتَةً] اى فجأة [أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ] قبل المراد يوم بدر لانه لم يكن فيه خير للكفار فكان عقيماً من الخير، ولم يكن مثله للكفار فى الشدة وخلاف الحساب فكان عقيماً من المثل، وقيل: المراد به يوم القيامة وسمى عقيماً لانه لا ليل له ولا نظير له، اولانه لا يلد خيراً للكفار ولا شراً للابرار [أَلَمْ تَكُنْ يَوْمَئِذٍ] يوم الاحتضار اويوم القيامة وهو المناسب لما بعده فلا بد ان يفسر الساعة واليوم العقيم بيوم القيامة [لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ] قَالَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ [تفصيل لحكمه تعالى] وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ [لما كان المقام مقام التشديد على الكفار ومن يلقى فى متمنى المؤمنين اى فى جانب الكفار بالفاء فى الخبر واتى باسم الاشارة فيه] وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ [بعد ما آمنوا] ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ [لاجتماع جهات الخير فيه لانه مالك لجميع الارزاق ومعطٍ لما يستحقه المرزوق، وبقدر ما يحتاج اليه، ولعلمه بحاجات المرزوق جملة، ولاعطائه بلا عوض ولا غرض من المرزوق وغيره، ولاعطائه ما يحتاج المرزوق فى ارتزاقه كما قيل :

لقمه بخشى آيد از هر كس بكس	خلق بخشى كار يزدانست و بس
خلق بخشد جسم را و روح را	خلق بخشد بهر هر عضوى جدا
كوه طور اندر تجلى خلق يافت	تا كه مى نوشيد و مى را بر نفاقت
اين گهى بخشد كه اجلالى شود	از دغا و از دغل خالى شود

ولان الرزق ليس الا فى يده ولان رزقه فوق ما يتصور المتصورون فى الحسن والالتذاذ به اى بهذه الجملة معطوفة او حالاً بعد توصيف الرزق بالحسن تفخيماً لشأن رزقه وتأكيذاً لحسنه [لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا] مفعول به او مفعول مطلق والمفعول به محذوف، وقرئ مد خلا من المجرد ومن باب الافعال [يَرْضَوْنَهُ] وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ [باحوال المقاتلين لهم و باحوالهم لكنته [حَلِيمٌ] لا يعجل بعقوبة المقاتلين ويرضى من عباده الحلم وعدم تعجيل المكافاة ممن اساء اليهم او قاتلهم، اى به ههنا عطفًا او حالاً مقدّمة لما بعده [ذَلِكَ] قد مضى قبيل هذا نظيره [وَمَنْ عَاقَبَ] اى جازى الظالم [بِمِثْلِ مَا عَاقَبَ بِهِ] اى بمثل ما ظلم به سماء عقاباً مع ان العقاب يستعمل فى الجزاء

بمشاكله قوله: من عاقب [ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ] اى على من عاقب مكافاة او على من ظلم ابتداءً فانه وان لم يذكر صريحاً لكته مذكور بالالتزام [لَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ] اى لينصرن الله المعاقب او الظالم ابتداءً [إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ] جواب لسؤال مقدّر في مقام التعليل يعنى ينصر الله المعاقب المقتصر الذى بغى عليه لانه عفوٌ لانه لا تلهى التلازمة له من اتباعه الهوى في الاقتصاص حيث كان المرضي منه العفو او ينصر الظالم بعد البغى عليه لانه عفو عن ظلمه بعد ما عوقب بمثل ظلمه [ذَلِكَ] يعنى الاذن في القصاص والنصر للمقتصر ان بغى عليه اول الظالم بعد الاقتصاص منه ان بغى عليه [بِ] سبب [أَنَّ اللَّهَ] لا غيره [يُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ] اى يدخل ليل الاقتصاص مكان نهار العفو، اوليل الظلم مكان نهار العدل، او ينقص من ليل الرذائل ويزيد في نهار الخصال [وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ] ويدخل او ينقص من نهار الخصال ويزيد في ليل الرذائل فاقتصاص المقتصر وظلم الظالم كلاهما كانا بتسخير الله وامره التكويني فان فعل بأحدهما زائداً على قدر الترخيص يعاقب بنصر من بغى عليه وقد مضى في سورة آل عمران تفصيل لليل والنهار في نظير الآية [وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ] لما يقوله الباغي والمقتصر والمقتصر منه [بَصِيرٌ] بما يفعله [ذَلِكَ] الابلاج والسمع والبصر [بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ] الكامل في الحقيقة بحيث لا يشوبه باطل [وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ] من الاهوية والآمال الداعية للاصنام والاصنام والكواكب والعناصر وخصوصاً رؤساء الضلالة [هُوَ الْبَاطِلُ] الكامل في البطلان بحيث لا يشوبه حق، والحق الذى لا يشوبه بطلان لا يعزب عن حيطة وجوده وعلمه وقدرته شيء من الاشياء فيبصر كل المبصرات ويسمع كل المسموعات ويقدر على كل المقدورات [وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ] الذى يعلو كل شيء ويحيط به فيعلمه ويقدر على التصرف فيه بأى نحو شاء [الْكَبِيرُ] الذى كل كبير حقير عنده ومطيع ومنقاد لامره [أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً] تقرير لعلوه وكبره واحاطة علمه وسمعه وبصره [فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً] لا يخفى تعميم الماء والسماء والارض واخضراره بين الصورية والمعنوية في الكبير والصغير [إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ] في ذاته فلا يدركه مدرك لطيف في صفاته لطيف في فعالة فلا يدرك دقائق صنعه والغايات المترتبة عليه والحكم المودعة فيه الا هو [خَبِيرٌ] يعلم بخبرته دقائق كل موجود ومصالح كل مصنوع [لَهُ] بدواً ورجوعاً وملكاً [مَا فِي السَّمَوَاتِ] يعنى السماوات وما فيها كما سبق مكرراً انه اذا قبل لزيد: ما في الصندوق؟ يقصد الصندوق وما فيها خصوصاً اذا كان ما في الصندوق نفيساً [وَمَا فِي الْأَرْضِ] وَإِنَّ اللَّهَ لَهُ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ [بذاته من غير حاجة له الى ما في السماوات وما في الارض في ذاته او في محموديته] [أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ] تقرير لما كبرته ومبدئته وغنائه عما في الارض وان ايجاد ما في الارض وتسخيره للانسان والخطاب لمحمد (ص) او لكل من يتأتى منه الخطاب [وَالْقُلُوبُ] قرى بالنصب عطفاً على ما في الارض او على اسم ان، وبالرفع مبتدأ [تَجْرِي] مستأنف احوال او خبر [فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ] التكويني فان طفقوا الاخشاب وخرقها للماء وتحريك الرياح او البخار لها كلها بأمره التكويني [وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ] من الافلاك والكواكب والسحاب وامطارها كلها في احيازها ومرآكزها [أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ] اى من الوقوع عليها [الْأَبْدَانِ] يعنى اذا اذن الله في وقوعها على الارض تقع عليها فلا بد من تعميم السماء والارض حتى يصح هذا بان يقال: ان الله يمسك السماء من الافلاك

وكواكبها وآثارها ، ومن النفوس والعقول والارواح وآثارها من الوقوع على أرض التراب وعلى اراضى المواد من جملة العناصر والافلاك والتطف والبدور والعروق وجملة المواليد ألا باذنه فان لم يأذن لم يتصل اثر بذى اثر ولا قوة بذى قوة ولا طبع بذى طبع ، ولا نفس وعقل بذى نفس وعقل [إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ] تعليل لتسخيره الاشياء للانسان وامساك السماء ، والفرق بين الرأفة والرحمة بان يجعل احدهما سجية الرحمة والاخرى اثرها الظاهر على الاعضاء وان كان يستعمل كل فى كل كسائر التسجيات [وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ] من الجمادية بالحياة الحيوانية ، او من الحيوانية بالحياة البشرية ، او من البشرية بالحياة الانسانية [ثُمَّ يَمِيتُكُمْ] عن الحياة الحيوانية والبشرية عند الموت ، او عن الحياة الانسانية ايضاً عند النفخة الاولى [ثُمَّ يُحْيِيكُمْ] بالحياة الانسانية او البهيمية او النسيجية او الشيطانية عند الرجعة [إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ] نعمة الاحياء الاول ، ولذلك لا يتنبه لنعمة الاحياء الثانى وهو جواب لسؤال مقدر كانه قيل : ما حال الانسان يشكر ام يكفر ؟ - او ان الانسان لجحود يعنى سجيته الجحود لانه يجحد الاعادة والمبدء مع الادلة الواضحة على الابداء والاعادة [لِكُلِّ أُمَّةٍ] كلام منقطع عن سابقه لفظاً ومعنى اوجواب لسؤال مقدر كانه قيل : هل جعل الله طريقاً الى ادراك الاحياء بعد الاماتة او الى الوصول الى خيراته بعد الاحياء الثانى ؟ - فقال : لكل أمة [جَعَلْنَا مَنَسْكَ] عبادة او شرعة من العبادات او ذبيحة يتقربون بها ، او مكان عبادة ، او محل ذبح وقربان [هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُكَ فِي الْأَمْرِ] اى امر عبادتك او امر حجتك او شريعتك او مساجدك او ذبيحتك فان كل أمة كان ذلك لهم وقد اختلفوا فى الكل بحسب اقتضاء الوقت والمكان والحال يعنى لا ينبغي لهم ان ينازعوك ولا ينبغي لك ان تضطرب بمنازعتهم وتتنابى فى دعوتهم فاثبت على ما انت عليه [وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ] اِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ [الجملة استئناف جواب لسؤال مقدر فى مقام التعليل [وَإِنْ جَادَلُوكَ] فى امر الذبيحة او فى مكانها او فى اكل الذبيحة دون الميتة بقوله : ما لكم تأكلون ما تقتلون بأيديكم ولا تأكلون ما يقتله الله ؟ او فى سائر ما فسر المنسك به [فَقُلْ] على سبيل المتاركة وعدم التعرض للمجادلة [اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ] اللَّهُ يَحْكُمُ] استئناف فى مقام التعليل كانه قيل : لم تركت الجواب والتعرض للجدال ؟ - فقال : لان الله يحكم [بَيْنَكُمْ] اى بيننا وبينكم او بينكم ايها المتخالفون [يَوْمَ الْقِيَمَةِ] فيما كنتم فيه تختلفون [اى فيما كنتم تختلفون معى او فيما كنتم تختلفون بينكم [أَلَمْ تَعْلَمْ] من جملة ما امر الرسول (ص) ان يقوله لهم ، او ابتداء كلام من الله معهم والخطاب عام او خاص بالرسول (ص) [أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ] فيعلم اختلافكم فيحكم بينكم [إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ] تأكيد لعلمه تعالى او تعليل له [إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ] جواب سؤال عن حاله تعالى او عن علة ثبته ذلك فى الكتاب [وَيَعْبُدُونَ] عطف على جملة ان جادلوك كانه قال : ويجادلونك ويعبدون [مِنْ دُونِ اللَّهِ] ظرف لغو متعلق بيعبدون ، ولفظة من ابتدائية اى يعبدون من دون اذن الله او حال من قوله [مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا] ولفظة الباء سببية ، او بمعنى مع ، او بمعنى فى ، والسلطان بمعنى الحججة والبرهان ، او بمعنى الاستقلال والسلطنة ، والقيد تقيد لا بيان يعنى يعبدون عبادة اعم من عبادة عبودية وعبادة طاعة معبوداً ومطاعاً لم ينزل معه برهاناً على جواز طاعته او عبادته من الاصنام والكواكب والعناصر والمواليد من النبات والحيوان والانسان يعنى انهم ان عبدوا ما كان معه حجة آلهية واذن آلهى فى معبوديته ومطاعيته لم يكونوا مذمومين ، نسب الى موسى بن

جعفر (ع) انه قال: لما نزلت هذه الآية لكل أمة جعلنا منسكاً جمعهم رسول الله (ص) ثم قال: يا معشر الانصار والمهاجرين ان الله تعالى يقول: لكل أمة جعلنا منسكاً هم ناسكوه والمنسك هو الامام، ولكل أمة نبيها حتى يدركه نبي الاوان لزوم الامام وطاعته هو الدين وهو المنسك، وعلى بن ابي طالب (ع) امامكم بعدى فانتى ادعوكم الى هداة فانه على هدى مستقيم فتمام القوم يتعجبون من ذلك ويقولون واذن لنا عن ولا نرضى طاعته ابداً وكان رسول الله (ص) يضيق به فأمر الله عز وجل ادع الى سبيل ربك (الى آخر الآيات) وعلى هذا فليفسر الآيات هكذا لكل أمة جعلنا اماماً هم مقتدون به وجعلنا لامتك علياً (ع) اماماً يقتدون به فلا ينازعك في امر امامته وادع الى ربك في الولاية انتك لعلى هدى مستقيم في ولاية على (ع) واستخلافه وان جادلوك في ولاية على (ع) فلا تجادل معهم وقل: الله اعلم بما تعملون بعدى فى حق على (ع) الله يحكم بينكم اى بين على (ع) واتباعه وبينكم فيما كنتم فيه من امر الولاية تختلفون، ويعبدون بعد وفاتك عبادة طاعة من دون اذن الله تعالى خليفة لم ينزل الله على خلافته حجة اولم يجعل فى وجوده سلطنة على غيره [وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ] اى خليفة ليس لهم به من جهة خلافته ومطاعته [عَلِمَ] يعنى ان المطاع لا بد وان يكون مأذوناً من الله وان يحصل للمطيع علم بكونه مأذوناً من الله فمن اطاع مطاعاً علم انه لم يكن مأذوناً من الله او مطاعاً لم يعلم انه مأذون او غير مأذون كان مشركاً وظالماً، لانه وضع طاعته التى هى اعظم الحقوق فى غير موضعها الذى هو من لم يكن مأذوناً من الله اولم يعلم مأذونيته ومنعها عن ذبحه الذى هو الامام المأذون من الله [وَمَا لِلظَّالِمِينَ] الذين وضعوا طاعتهم غير موضعها [مِنْ نَّصِيرٍ] فى امر الآخرة فان النصير هو الامام او من نصبه الامام للنصرة [وَإِذَا تَنَزَّلْنَا] فى ولاية على (ع) [بَيِّنَاتٍ] واضحات او موضحات لولايته [تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا] بولايته [الْمُنْكَرِ] المنكر من كل شيء لا يرضاه العقل او العرف [يَكَادُونَ الَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا] لشدة غيظهم [قُلْ أَفَأَنْبِئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَُمْ] الخبر الشديد المورث لغيظكم [النَّارِ] قرئ بالرفع خيراً المحذوف او مبتدأ خبر ما بعده، وقرئ بالنصب على الاختصاص وبالجر بدلاً من شر [وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبَشِّرِ الْمَصِيرِ] نسب الى الكاظم (ع) انه قال فى قول الله تعالى: واذا تنلى عليهم آياتنا (الآية) كان القوم اذا نزلت فى امير المؤمنين (ع) آية فى كتاب الله فيها فرض طاعته او فضيلة فيه اوفى اهل سخطوا ذلك وكرهوا حتى هموا به وارادوا به وارادوا برسول الله (ص) ايضاً ليلة العقبة غيظاً وحنقاً وغضباً وحسداً حتى نزلت هذه الآية يعنى الآية السابقة [يَا أَيُّهَا النَّاسُ] بعد ما اوعد الكفار بولاية على (ع) نادى الناس عموماً فقال [ضُرِبَ مَثَلٌ] لبيان حالهم وحال على (ع) [فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ] بالتعاون مثل حال منافقى الامة بحال الاصنام التى لا تقدر على احقر ما يكون [وَإِنْ يَسْلُبْهُمْ الذُّبَابُ] الذى هو مثل على (ع) فى ضعف حاله وفى كونه كراراً غير فرار كلما دُزب آب [شَيْئاً لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ] الذى يدعوا مثل هذا المدعو الذى لا يقدر على شيء حقير [وَالْمَطْلُوبُ] الذى لا يقدر على خلق احقر ولا دفعه عن نفسه [مَا قَدَرُوا اللَّهَ] حال او مستأنف جواب لسؤال مقدر والمقصود بقرينة المقابلة ما قدروا علياً (ع) [حَقَّ قَدْرُهُ] حيث عدلوا به مثال الاصنام التى

لا تقدر على شيء [إِنَّ اللَّهَ] في مظهر خليفته الذي هو على (ع) [لَقَوِيَّ] ذو قدرة على أي مقدور أراد [عَزِيْزًا] لا يمنعه مانع من مراده فكيف تشركون بهذا القوى العزيز مثل هذا الضعيف العاجز الذي لا يمنع مثل الذباب عن التسلب منه، ولو لم يكن هذا التمثيل مراداً أو كان المراد أن الأصنام التي تلتحقونها بالزعران لا تقدر على خلق مثل الذباب وإن يسلبها الذباب الزعران لا يستقدوه منه لما كان لقوله ضرب مثل فاستمعوا له مساعاً، وعلى ما ذكرنا لم يكن حاجة إلى تأويل في قوله ضرب مثل ولا بيان لقوله ضعف الطالب والمطلوب وقد اشير في الخبر إلى ما ذكرنا [إِنَّ اللَّهَ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ] يعني أن اصطفاء الرسل (ع) سواء كانوا من الملائكة أم من الناس مقصور على الله فما لكم لا تكونون أمر الخلافة التي هي رسالة من الله إلى الله وتختلقون بآرائكم خليفة [إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ] باقوال جميع العباد من الملائكة والناس فله أن يصطفى للرسالة لانه يسمع ما يقوله الرسول والمرسل اليهم [بَصِيرٌ] بدقائق مكشونات الكل فلا يخفى عليه شيء من المكشونات حتى تقع خبرية على غير الأصلح ويقع الخطأ في اختيار الخليفة بخلافكم، ويجوز على ما فسرنا الآية السابقة أن يفسر هذه الآية هكذا الله في مظهر خليفته الذي هو على (ع) يصطفى من الملائكة رسلاً ومرسلاً إلى الأنبياء والأوصياء (ع) وإلى العوالم من عالم الطبع والملكويتين لتدبير أمورهما وقضاء ما يلزم قضاؤه، ومن الناس رسلاً إلى العباد من الأنبياء والرسل ومن أوصيائهم ومشايخهم أن الله في مظهر على (ع) سميع بصير، وقد تكرر فيما مضى أن علياً (ع) بعليته هو المشية وهي تسمى بوجهها إلى الخلق بعلي (ع) وبوجهها إلى الغيب بالله [يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ] يعني يعلم في مظهره الذي هو على (ع) ما بين أيديهم أي ما بين أيدي الناس أو ما بين أيدي الملائكة والناس من الدنيا والآخرة أو من الماضي والمستقبل [وَمَا خَلْفَهُمْ] وإلى الله في مظهره [تُرْجَعُ الْأُمُورُ] وقد ورد في خطبة منه (ع) إياب الخلق إلى وحسابهم على ثم نادى علياً (ع) ورسله الذين هم المؤمنون حقيقة تلتفتاً وتشريفاً لهم وتفضيلاً لشأنهم بذكر أوصافهم الفخيمة وفضله العظيم بالنسبة إليهم فقال: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا] ركوع الصلوة أو تواضعوا للربكم [وَأَسْجُدُوا] سجدة الصلوة أو تواضعوا غاية التواضع لربكم [وَأَعْبُدُوا رَبَّكُمْ] أي اخرجوا من انانياتكم بركوعكم وسجودكم وصبروا أحراراً من عبودية أنفسكم وعبداً لربكم [وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ] قد مضى مكرراً أن الترتجى من الله واجب. اعلم أن الآية الشريفة إشارة إلى مراتب السالكين وأسفارهم فإن أسفارهم وإن كانت لا حدها ولا نهاية لكنها بحسب الأمهات محصورة في أربعة كما أسلفنا ذلك مكرراً؛ الأول السفر من الخلق إلى الحق وفي هذا السفر ينكسر الانانية التي هي من الخلق بحيث لم يبق نسبة الفعل إلى نفس السالك بل يرى الفعل من الفاعل الظاهر في وجوده وحينئذ ينتهي سفره من الخلق إلى الحق، وبعد هذا يكون السفر من الحق إلى الحق وفي هذا السفر ينكسر انانيته التي هي رؤية الوجود لذاته ورؤية ذاته ومادام ذاته تكون باقية يكون سفره من الحق إلى الحق ولم يكن عبداً لبقاء انانية ما عليه فإذا انتهى في هذا السفر بحيث لم يبق له ذات واثراً من ذاته صار عبداً لله فانياً من ذاته ويكون سفره بعد ذلك في الحق، فإن أدركه العناية الآلهية وابقاه بعد فائه بصير محسناً وفاعلاً للخيرات فأنه في السفر الأول والثاني بواسطة بقاء الانانية لم يكن فعله خيراً أعلى الإطلاق، وفي السفر الثالث لم يكن فعله منه حتى يكون فاعلاً لشيء وفي هذا السفر وهو السفر بالحق في الخلق يكون له انانية بانانية الله وفاعلية بفاعلية الله ويكون فعله خيراً أعلى الإطلاق وإلى هذه الأربعة أشارت الآية فأنه تعالى أشار بقوله: ارْكَعُوا إلى السفر من الخلق إلى الحق، وبقوله: اسْجُدُوا الذي هو خروج من الانانية حتى من

نسبة الذات الى النفس الى السفر من الحق الى الحق ، ويقول: واعبدوا ربكم الى السير بالحق في الحق ، ويقول: وافعلوا الخير الى السير بالحق في الخلق ، ولا ينافي ذلك الخطاب كمال الكامل حتى ينافي تفسير الآية بالائمه (ع) فان الكامل لكونه جامعاً لجميع المراتب يكون له على سبيل الاستمرار سير من الخلق الى الحق وسير مع الحق في الخلق ، وقد اشرنا في المقدمات وفي تفسير الفاتحة وفيما بعدها الى الاسفار وكيفية السلوك فيها [وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ] لما كان الخطاب لآل محمد (ص) مخاطبهم بهذا الخطاب والا فمثل هذا التكليف لغيرهم تكليف بما لا يطاق بل يقال لهم: جاهدوا في الله حق جهادكم لاحق جهاده فان حق الجهاد في الله على الاطلاق وحق الجهاد الثلاث بالله ان لا يبقى شيء من انانية العبد ويبقى بعد فناءه بحيث يلاحظ الحق في الخلق والخلق في الحق من دون نقصان لشيء منهما ، ولحافظ الوحدة والكثرة على ما ينبغي لا يتيسر الا لصاحب الجمع المطلق يعني صاحب الولاية الكلية والرسالة الكلية كما قيل :

جمع صورت باثنين معنى ژرف مى نيابد جز زسلطان شگرف

[هُوَ اجْتَبَيْكُمْ] استئناف في مقام التعليل [وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ] عطف على قوله هو اجتبيكم ويفيد التعليل ايضاً والدين كما سبق مكرراً عبارة عن صورة الملة التي هي الاحكام القلبية الاسلامية ، وعن احكام الايمان القلبية ، وعن طريق النفس الى القلب ، والقلب الى الروح ، والروح الى العقل ، وهكذا ، وما جعل الله لاحد في شيء من ذلك حرجاً فان التكليف بقدر الوسع ، واذا بلغ السالك الى الطريق كان له وسعة لا يتصور سعة مثلاً فانه مادام يكون سالكاً الى الطريق يكون في ضيق وخرج وقبض وقلق ، واذا بلغ الى الطريق الى الله وهو مثال شيخه وملكوته تبدل ضيقه بالسعة وقبضه بالبسط وقلقه بالاطمئنان ، وتعبه بالراحة ، رزقنا الله وجميع المؤمنين [مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ] في هذا اشارة الى ان تنزيل الآية لاهل بيت محمد (ص) كما فسروها لنا واذا اريد بالابوة الابوة الروحانية كان التفسير صرفاً من التنزيل الى التأويل وتصدق هذه النسبة على من صار منتسباً الى ابراهيم (ع) بالبوة ، وهذا الانتساب لا يكون الا اذا صدق الاتصال بالبيعة العامة ان لم نقل بلزوم البيعة الخاصة الولوية في صدق هذه النسبة [هُوَ] اي ابراهيم (ع) والله [سَمَّيْكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ] يعني من قبل هذا الزمان او من قبل القرآن او من قبل هذا العالم في العوالم العالية [وَفِي هَذَا] الزمان او القرآن او العالم ، وتسمية ابراهيم (ع) لهم مسلمين في هذا الزمان بواسطة بقاء هذا الاسم لهم منه في هذا الزمان [لِيَكُونَ] تعليل للاوامر السابقة ، اوللمدائح الثلاثة ، اولللمجموع يعني جاهدوا ليكون [الرُّسُولُ] واجتبيكم ليكون الرسول (ص) [شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ] هذا ايضاً يدل على اختصاص الآية بالائمة (ع) [فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ] قد مضى في اول البقرة بيان الصلوة واقسامها واقامتها وبيان الزكوة واطوارها وابتائها [وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ] بالاعتصام بالولاية فان الاعتصام بالله باعتبار مقام الغيب لا يتصور للانسان ما كان شاعراً بذاته فالمراد بالاعتصام بخلفائه والاعتصام بطريقه الذي هو طريق الولاية [هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى] يعني اذا كان موليكم فنعم المولى [وَنِعْمَ النَّصِيرُ] هو .

سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ

وهي مائة وثمانى عشرة آية او تسع عشرة آية

[الجزء الثامن عشر]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ] بالايمان الخاص والبيعة الولوية وقبول الدعوة الباطنة فان المؤمن بمعنى المسلم ان كان واقفاً على اسلامه غير سالك او واصل الى الايمان لم يكن له فلاح ولم يكن منفعة سوى المنافع الرجعة الى الدنيا من حفظ الدم وجواز التناكح والتوارث والمعاملة نحو معاملة المسلمين من عدم جواز غيبته وهتك عرضه وغير ذلك، والتوصيف بالاوصاف الآتية يدل على ارادة الايمان الخاص [الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ] الصلوة بمعنى الدعاء اى دعاء الله للحضور عند الداعي وبمعنى كل ما به يدعى الله من فعل او قول او هيئة او فكر او تخيل ولما كانت الصلوة المشروعة القلبية مركبة من هيات وافعال واقرار كلها ما به يدعى الله للحضور عنده سميت صلوة، وكذلك الذكر المأخوذ من صاحب الاجازة سواء كان جليلاً ام خفياً، وهكذا الفكر المصطلح للصوفية من تمثّل ملكوت الشيخ عند السالك سواء كان بتعمّل من السالك او بغير تعمّل منه، ولما كان المقصود من دعاء الله باى صورة كان دخوله فى بيت قلب الداعي او حضور الداعي عنده، وحضور السالك عند الله لا يكون الا بكسر انانيته والخروج من وجوده ولا يكون ذلك الا بالمحبة لله واستشعار الهيئته منه قال الذين هم فى صلواتهم خاشعون لان الخشوع حالة حاصلة من محبة من يخضع له واستشعار الهيئته منه ولا تكون هذه الحال الا مع كسر انانية الخاشع فلزم يخضع الداعي فى دعائه كان دعاؤه لغواً فالمصلى بالصلوة القلبية الشرعية لما كان قيامه فى الصلوة قيام من يقوم عند الملك المقتدر، وتكبيره اظهاراً واستشعاراً بعظمة الله بمعنى ان ليس فى ذكره سوى الله ولذلك سمي بتكبيره الاحرام وكان اقواله كلها دعاء وتضرعاً على الله وركوعه وسجوده تواضعاً لعظمة الله كان هذا العمل منه لغواً واستهزاء بالله ان لم يكن حاله موافقاً لفعله، ولذلك عقب قوله الذين هم فى صلواتهم خاشعون بقوله [وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ] مقدماً على قوله [وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ] مع ان الانسب بذكر الصلوة ان يكون الزكوة عقيبها، واللغو فعل او قول لا يعتد به ولا يترتب عليه فائدته المطلوب منه، ولما كان فائدة الصلوة الخروج من الانانية والعروج الى الملكوت والحضور عند المعبود وكان الاشتغال بالغير والتفات الخيال الى الكثرات منافياً لتلك الفائدة ومسقطاً لها كان الصلوة بهذه الحال لغواً؛ فعلى هذا كان قوله: الذين هم عن اللغو معرضون تأكيداً لمفهوم قوله الذين هم فى صلواتهم خاشعون، وقد سبق فى اول البقرة تفصيل تام للصلوة واقسامها والزكوة وانواعها، واللام

في قوله للزكوة فاعلمون زائدة للتقوية او هي للتعليل ، والزكوة ههنا بمعنى النماء او الطهارة او الصلاح او التمتع
 او فضول المال الذي تخرجه لتطهر باقيه ولم يقل للزكوة مؤتون ليذهب ذهن السامع الى كل المعاني والمحتملات
 [وَالَّذِينَ هُمْ لِأُفْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ] جمع الفرج بمعنى العورة وهي كل سواة من المرء والمرأة ينبغي حفظها عن
 النظر اليها والمراد حفظها عن الوطى او عن النظر اليها [إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ] لما جعل متعلق الحفظ مثل الاطلاق
 والاسترسال استثنى المجرور بعلى نحو الاستثناء المفرغ عنى الذين هم حافظون فروجهم عن الاطلاق وعدم الامساك
 الا على أزواجهم يعنى لا يحفظونها عن الاطلاق على أزواجهم ، وقيل : ان لفظة على ههنا مثل على في قوله : احفظ
 على عنان فرسى فان الحبس على الأزواج يفيد هذا المقصود [أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ] من الاماء لا العبيد وجاء بما
 للاشعار بانهم من تلك الحيثة كسائر الحيوان في معاملتهم معاملة غير ذوى العقول ، والآية مجملة فانها مطلقة عن
 بيان الحالات التي تحرم الأزواج والاماء في تلك الحالات [فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ] نفى اللوم عنهم مع ان المضاجعة
 ان كانت بأمر الله ومن الجهة التي ارتضاها الله كان صاحبها مأجوراً لان اكثر الناس لم تكن مضاجعتهم الا محض
 تشهت النفس كسائر افعالهم فلم يكن لهم اجر فيها [فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ] المذكور من الاسترسال على الأزواج
 والمماليك [فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ] اى الظالمون او المتجاوزون عن حدود الله [وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ
 وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ] الامانات كما في سورة النساء وسيأتى في سورة الاحزاب عبارة عن كل ما استودع عند انسان
 ليكون محفوظاً سالماً نامياً لصاحبه ، واذا طالبه صاحبه سلمه له ، وتصديق على الامانات الصورية التي استودعها بعض
 الناس عند بعض وعلى الامانات التي استودعها الله عند عباده وامائه تكون بناءً من الامانة الاصلية التي هي اللطيفة السيارة
 الانسانية التي عرضها الله على السماوات والارض والجبال فأبين من حملها وحملها الانسان ومن سائر ما انعم الله به
 على عباده من الاعضاء والجوارح والقوى والمدارك والعلوم والمناسك التكوينية ، ومن الامانات التي استودعها الله
 عند عباده بتوسط خلفائه ومظاهره من الاحكام القالبيه النبوية ، والقلبية الولوية ، والاذكار الجلية والخفية ، وودائع
 الوصاية التي استودعها كل امام لامام آخر والمراد بالعهد كما سبق مكرراً هو البيعة العامة والخاصة فان العهد المنظور
 اليه والمسؤل عنه هو الميثاق الذي يحصل بين الانسان وبين الله بتوسط مظاهره بالبيعة على ايديهم وسائر العهود
 والعقود مثل النذور والعهود وسائر العقود الواقعة بين العباد مقصودة تبعاً ، ومراعاة الامانة بان لا يقصر في حفظها وامانها
 ان كانت صاحبة نماء ويتحمل ما تحتاج اليه من المأكول والمشروب او المخزن واغلاق الباب والنقل من مكان
 الى مكان ان كانت مما تحتاج الى ذلك ، ومراعاة العهد بان لا يتركه ولا يترك شروطه ولا ينقضه [وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ
 صَلَاتِهِمْ قَرِئٌ مَّفْرُداً وجمعاً] [يُحَافِظُونَ] ولما كان المفرد المضاف الغير المراد به فرداً معيناً او فرداً ما مفيداً
 للعموم لم يكن بين الجمع والمفرد فرق ، والمحافظة المواظبة على الشيء بالذب عنه والحفظ له عن الضياع والمحافظة
 على الصلوات القالبيه والصدرية والقلبية بالذب عنها ودفع الشياطين الجنية والانسية عن المداخلة فيها وحفظ
 اوقاتها وحفظ حدود كل منها والدوام عليها على كل يحسبه بان لا يترك الصلوة القالبيه في اوقاتها ولا يغفل عن الصلوات
 الصدرية والقلبية الذكرية والفكرية ، وكرر ذكر الصلوة بذكرها اولاً بوصف الخشوع فيها الذي هو من احكامها
 الباطنة ، واخيراً بوصف الحفظ عليها الذي هو اعم من حفظ صورتها واحكامها الظاهرة وحفظ معنيها واحكامها
 الباطنة للاهتمام بشأنها ، وللإشارة الى انها ينبغي ان تكون مفتحة الكل ومختمة ، والاثبات بالمضارع ههنا للإشارة
 الى ان مختلات الصلوة الباطنة والظاهرة متجددة الحدوث استمراراً والمحافظة عليها من اخلال مختلاتها ينبغي

ان تكون متجددة الحدوث استمراراً بخلاف سائر الاوصاف [أولئك] العظماء المحضرون باوصافهم العظيمة [هم الوارثون] حقيقة لاغيرهم فان وراثتهم ان كانت من قبيل وراثته الاموال الصورية او الدركات الاخرية الجحيمية لم تكن معدودة من الوراثة، وان كانت من قبيل وراثته درجات الجنان لم تكن وراثته بل كانت تطفلاً ولتلك العظام فأتى باسم الاشارة البعيدة اشارة الى تفخيمهم واحضاراً لهم باوصافهم الحميدة، واتى بضمير الفصل تأكيداً للحكم واشعاراً بالحصر، وتعريف المسند ايضاً بفقد الحصر [الذين يرثون الفيردوس] لم يقل هم الوارثون للفر دوس لايهام انهم هم الوارثون لجميع مايمكن ان يورث ليكون ابلغ في مدحهم، والفر دوس يطلق على الودية التي تنبت ضروراً من التبت، والبستان الذي يكون فيه جميع ما يكون في البساتين، وعلى طبقات الجنان، وعلى الطبقة العليا منها ويؤتث ويذكر وهو عربى اورو مى اوسر يانى معرب [هم فيها خاليدون] اتى به اشارة الى تمام النعمة فان تمامها بعدم زوالها.

اعلم، ان الانسان من بدو خلقه التي هي خلقة نطقه واولى مادته وقرارها في قرار مكنين يكون بالقوة في جميع مايمكن ان يحصل للانسان وكل آن يحصل له فعلية من فعليات الانسانية التي هي فعليات الولاية، وكل فعلية تحصل له تكون مرتبة من الولاية التكوينية التي هي سارية في جميع الموجودات وبكل بعد من مرتبة المادة وقرب من الولاية يحصل له فعلية من فعليات الولاية ويخلع عنه نقص وعدم من اعدام المادة، وحصول كل فعلية له نحو وراثته من ابيه الذي هو الولاية المطلقة التي هي المشية وهذا الخلع وتلك الوراثة مستمران لمالي اوان المرافقة وزمان البلوغ وتميز الخير والشر الانسانيين، فاذا وصل الى ذلك وقع بين تصرف الملك والشیطان وبين النسبة الى الرحمن والنسبة الى الشيطان بالقوة فاذا تصرف فيه الشيطان صار نسبه اليه بالفعل وكلما حصل له فعلية من تصرف الشيطان صار تلك الفعلية ارثاً له من الشيطان، وكلما زاد تصرف الشيطان اشتد فعلية النسبة الى الشيطان واشتد بحسبها الفعليات الحاصلة له من الشيطان حتى اذا حصل له جميع الفعليات المناسبة لدركات النيران وتمكن في اتباع الشيطان فيصير وارثاً لجميع مال الشيطان وجميع مراتبه بحيث يصير الشيطان من اجزائه واظلاله، واذا تصرف فيه الرحمن صار نسبه اليه بالفعل وكلما حصل له فعلية من تصرف الرحمن صار تلك الفعلية ارثاً له من الرحمن، لكن لما كان الشيطان اقرب اليه حين البلوغ من الرحمن جعل الله وسائط بينه وبين خلقه من الانبياء والاصفياء (ع) حتى يكونوا بظاهر بشريتهم موافقين للعباد ويكون العباد مدركين لهم بمداركهم الحيوانية حتى يأنسوا بهم ويتوسلوا الى الله بالتوسل بهم ويكون الرسل (ع) وخلفاؤهم معاوين لهم في قبول تصرف الرحمن، فمن توسل بهم بالبيعة العامة او البيعة الخاصة تعرض لتصرف الرحمن وحصل النسبة بينه وبين الرحمن وبذلك النسبة يصير ابناً لمن بايع معه البيعة العامة او الخاصة وكلما حصل له من جهة تلك النسبة من الفعليات كان فعلية الولاية والرحمن وكان ارثاً له من صاحب الولاية المطلقة حتى حصل له جميع فعليات الولاية المطلقة من طبقات الجنان، والفرق بين هذا الارث والارث الدنيوي الصوري ان الارث الصوري لا يحصل للانسان مادام المورث لم يرفع يده بالموت عن المال الموروث وعن الوارث، وما لم ينقطع النسبة بينه وبين الوارث، وان الارث المعنوي لا يحصل للانسان ما لم يشتد النسبة بينه وبين الوارث وما لم يضع المورث يده على الوارث وبحسب اشتداد النسبة وقوة وضع اليد يكون زيادة الارث وكثرة المال الموروث وهذا الارث موجب لسعة المورث وكثرة ماله بخلاف الارث الصوري، ولما كان لكل انسان قوة فعلية الجحيم والجنان وكان دركات الجحيم ودرجات الجنان التي كان للانسان قوة الوصول اليها بمنزلة ماله المملوك له بالقوة، واذا وصل الى احديهما ترك الاخرى ترك الميت ماله لو ارثه، وردان منازل اهل الجنان في الجحيم

يرثها اهل الجحيم ومنازل اهل الجحيم في الجنان يرثها اهل الجنان يعني يرث كل من المتناسبين منازل الآخرة بهذا التناسب يصح اطلاق التوارث فعلى ما ذكر كان معنى الآية الذين يرثون الفردوس من صاحب الولاية المطلقة او من متناسبيهم من اهل الجحيم [وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ] عطف على قد افلح المؤمنون ووجه المناسبة بينهما ان فلاح المؤمن عبارة عن خلاصه عن نقائص المادة وشوائب العدم وخروجه عن القوة الى الفعلية واول مراتب خلقته ايضاً خلاص من العدم وعن نقائص المادة وخروج من القوى الى الفعليات فكانه عطف صحة فلاحه بهذا العطف وقال: ان فلاحه مثل خلقته المشهودة لكم بحسب آثارها فان النشأة الآخرة مثل النشأة الدنيا، ويجوز ان يكون حالاً بهذا المعنى، والسلالة ما انسل من الشيء ونكر السلالة والطين للشعار بانهما كانا نوعين خاصين من السلالة والطين، ومن الاولى ابتدائية متعلقة بخلقنا والثانية بيانية او تبعية متعلقة بمحذوف صفة لسلالة، او ابتدائية متعلقة بسلالة، او بمحذوف صفة لسلالة، او هي مع ما بعدها بدل من قوله من سلالة، والمراد بالانسان الجنس وبالسلالة النطفة قبل انفصالها من الاصلاب والترائب وقبل ان تسمى نطفة، وبالطين طين آدم او الغذاء مطلقاً او الغذاء المهضوم في المعدة او الكيد والعروق والاعضاء فان الكل بوجه تراب خليط بالماء خلطة اتم وابلغ من الطين المعروف، وقبل: المراد بالانسان آدم (ع) ابو البشر، وبالسلالة التراب المأخوذ من اديم الارض [ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً] مستقراً [فِي قَرَارٍ] القرار والقراره بفتحهما ما يستقر فيه الشيء [مَكِينٍ] من المكان بمعنى الموضع او من المكانة بمعنى المتزلة عند الملك، او من التمكن بمعنى الاقتدار، والمراد بالقرار المكين الرحم [ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ] اي صيرنا النطفة [عَلَقَةً] او خلقنا من النطفة علقه [فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً] اتي بثم في الفقرة الاولى للاشارة الى امتداد الزمان من اول استقرار النطفة في الرحم الى صيرورتها دماً منعقدّاً بخلاف صيرورة العلقه مضغة فانه لا تراخي بين العلقه والمضغة [فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا] يعني صيرنا وصورنا واولاً صورة العظام فانه ما لم يتميز العظام في بدن الجنين لا يتصور تصوير اللحوم فان اللحوم في كل موضع بنحو مخصوص وليس تتميزها وخصوصياتها لا تتميز محالها التي هي العظام وخصوصياتها [فَكَسَوْنَا الْغِطَامَ لَحْمًا] ثم انشأناه خلقاً آخر [اِثْنَيْ عَشَرَ] اتي بثم للاشعار بتراخي مرتبة الانشاء عن الخلق فان الخلق يستعمل في المكونات الماديات، والانشاء في المجردات، وقد يخص الخلق بما يحتاج الى مادة ومدة كالمواليد، والاختراع بما يحتاج الى المادة دون المدة كالسماوات والعناصر، والانشاء بالمتغيرات المجردة عن المادة والمدة، والابداع بالمجردات عن الكل وبكلا المعنيين يكون الانشاء اعلى درجة من الخلق، وللإشارة الى ان انشاء نفس الانسان ليس كصيرورة العلقه مضغة بلا فرجة بل لا يكون انشاء نفس الانسان ممتازة عن بدنه الا آخر ايام الحمل او اول ايام الوضع فيكون بين كسوة العظام لحماً وبين انشائه نفساً تراخ [فَتَبَارَكَ اللَّهُ] بمعنى تنزهه وتقدس وهذه كلمة خاصة بالله بهذا المعنى يقال في مقام التعجب من الشيء وتعظيمه وان كان اصله من البركة بمعنى التمام والزيادة في الخيرات، عقب الانشاء بهذه الكلمة للاشارة الى ان انشاء نفس الانسان امر عظيم ينبغى ان يتعجب منه ويتزده منشئه عن وصمة النقص، والتفت من التكلم الى الغيبة ولم يقل تباركنا لان هذه الكلمة صارت كالامثال في مخاطبتهم ولا تتغير [أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ] يعني ان الخالقية الحقيقية ان كانت منحصرة في الله فوسائطه لخلقه من الملائكة والقوى والصناعات كثيرة والله تعالى احسن الكل لعدم احتياجه في خلقه الى شيء من مثال سابق ومادة ومدد وآلة وقوى وجوارح واعضاء [ثُمَّ أَنْكُمُ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ] وجه الاثبات

بشم ظاهر [ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ تُبْعَثُونَ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ] جمع الطريقة بمعنى السماء لان كل سماء طريقة ومطابقة اي مطابقة للآخرى، اولان السماوات مسير للكواكب او بمعنى الاخذودة في الارض شبه الطريق والمقصود انكم شاهدتم طبقات الارض التي مررتم عليها من المراتب المذكورة وقد خلقنا فوقكم طبقات السماء ولا بد لكم من المرور عليها قبل الموت او بعد الموت فأعدوا انفسكم للمرور عليها واطلبوا لانفسكم دليلاً للمرور عليها فانكم بها اجهل منكم بطرق الارض [وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ] اي المخلوق او ايجاد الخلق [غَافِلِينَ] حتى نهمل ما يحتاج الخلق اليه ولم نخلقه لهم فاطلبوا ما تحتاجون اليه في السير على طرق السماء تجدوا [وَأَنْزَلْنَا] عطف فيه معنى التعليل [مِنَ السَّمَاءِ] اي من جهة العلو ومن السحاب [مَاءً يَبْقَدِرُ] بحيث تنتفعون به ولا يفسد اما كنكم ولا زراعاتكم به ولا نمنعكم بحيث لا يحصل ما به معاشكم ومدد حيوتكم فانه لو كان المطر متتالياً متكاثراً افسد الابنية والزروع، وهكذا القنوات والعيون والسيول والبحار لو كثرت مياهها بحيث احاطت بوجه الارض لافسدت واهلكت ولو لم يكن ماء اصلاً لم تكن حيوياً ابداً، وانزال الماء بقدر دليل عدم غفلتنا عن الخلق، ولا يذهب عليك ان انزال ماء الحيوية الحيوانية والبشرية من سماء الارواح واسكانه في ارض البدن الحيواني والانساني منظور ايضاً [فَأَسْكَنَّا فِيهَا] ليسقى به زراعاتكم وبها تمكم وتنتفعون به في سائر منافعكم [وَأَنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لِقَادِرُونَ] فأبقيناه في الارض ترحماً عليكم [فَأَنشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاقٍ كَثِيرَةٌ] الفاكهة الثمر بأنواعها رطبها ويا بسها [وَمِنْهَا] اي من الجنتات او من الفواكه [تَأْكُلُونَ] خصص الجنتات من بين ما يحصل بسبب الماء ثم خصص من الجنتات النخيل والاعناب بالذكر لا عجب العرب بالجنتات وبالنخيل والاعناب منها وعدم معرفتهم من الجنتات شيئاً تعتد به سواها [وَشَجَرَةً] قرى بالنصب عطفاً على جنتات وبالرفع خبر مبتدأ محذوف اي من المنشآت شجرة، او مبتدأ خبره تنبت بالذهن [تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ] قرى بفتح السين والمد وبكسر السين والمد والقصر، والطور الجبل او فناء الدار والمراد به الجبل الذي ناجى موسى ربه فيه، وسيناء اسم الموضع الذي به هذا الجبل، او اسم حجارة مخصوصة في ذلك الموضع، وقيل: المراد بالسيناء الجبل المشجر يعني الكثير الشجر، وقيل: المراد الجبل الحسن، وقيل: السيناء بمعنى البركة، ومعنى طور سيناء جبل البركة وهو ما بين مصر واية، وقيل: طور سيناء جبل بالشام، وفي اخبارنا اشارة الى ان طور سيناء نجف الكوفة، وانه الموضع الذي فيه مشهد امير المؤمنين (ع) فعن الباقر (ع) انه كان في وصية امير المؤمنين (ع) ان اخرجوني الى الظاهر فاذا تصوبت اقدامكم واستقبلتكم ريح فادفوني فهو اول طور سيناء، وعن الصادق (ع): الغرى قطعة من الجبل الذي كلم الله عليه موسى (ع) تكليماً، وقدس عليه عيسى (ع) تقديساً، واتخذ عليه ابراهيم (ع) خليلاً، واتخذ محمداً (ص) حبيباً، وجعله للنبيين مسكناً، فوالله، اسكن بعد ابويه الطيبين آدم ونوح (ع) اكرم من امير المؤمنين (ع)، والمراد بالشجرة التي تخرج من طور سيناء شجرة الزيتون وخصتها بالذكر لانها كثيرة النفع للعرب فانها [تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ] قرى من الثلاثي المعجود وحينئذ يكون الباء للتعدية او للمصاحبة، وقرى تنبت من الانبات بمعنى التبت او متعدياً، ويكون المفعول محذوفاً اي تنبت الثمر بالذهن [وَصِبْغٍ] اي ادام فان ثمرها ادام [لِلْأَكْلِينَ] قيل: المراد شجرة الزيتون وهو مثل رسول الله (ص) وامير المؤمنين (ع) فالطور الجبل والسيناء الشجرة [وَأَنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً] اعتباراً واستدلالاً على عنايته تعالى بكم وكمال حكمته وقدرته والجملة معطوفة على قوله:

لقد خلقنا ، اوعلى قوله : انزلنا من السماء فانهما في معنى ان يقال : ان لكم في خلقكم ، وان لكم في انزال الماء من السماء لعبارة [تُسْقِيكُمْ] قرئ بضم النون وفتحها والجملة مستأنفة اوحالية [مِمَّا فِي بُطُونِهَا] من الالبان [وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ] بسبب تسخيرها لكم من الظهور والاصواف والشعور والابر والتجمل بها [وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ] اى من لحومها وشحومها [وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ] في البر والبحر لما كان المراد تعداد النعم ينحو الاعتبار بها اضاف الى الانعام الفلك [وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ] لما ذكر صنعه في خلق الانسان وتدييره لامكان بقاءه ونبيه على بقاءه بعد موته ذكر غاية النعم واصلها واشرفها وهي ارسال الرسل للهداية الى خير السبل ليكون بقاءه اتم بقاء وعلى اشرف انحاء البقاء [فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ] قرئ غيره بالرفع والجر [أَفَلَا تَتَّقُونَ] اى اتعبدون الاصنام فلا تتقون سخطه [فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ] يعنى قال الرؤساء للاتباع [مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ] يعنى لافرق بينه وبينكم حتى يكون مستحقاً للتفضل عليكم ويستحق الرسالة دونكم [يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ] فيجعلكم اتباعاً لنفسه [وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ] ان يرسل علينا رسولا [لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً] للرسالة [مَا سَمِعْنَا بِهَذَا] اى بارسال رسول من البشر اوما يدعوننا اليه من التوحيد [فَبِأَيِّ آيَاتِنَا الْأُولَى] حتى لا نستغرب منه ولا ننكره [إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ] جنون [فَتَرَبَّصُوا بِهِ] فاحتملوا منه وانتظروا افاقته [حَتَّىٰ حِينٍ] قال الرسول [رَبِّ انصُرْنِي] عليهم [بِمَا كَذَّبُونِ] فَاَوْحَيْنَا إِلَيْهِ [بعد دعائه واجابته له وامهالنا لهم مدة متمادية حتى رجع عنه من كان داخل في دينه] [أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا] جمع العين بمعنى الباصرة او بمعنى الديدبان ، والباء بمعنى فى اى اصنعها فى حضرة اعيننا ، اول السببية والمعنى اصنعها بسبب امداد ملائكتنا ، وعلى الاول يكون الظرف لغواً متعلقاً باصنع او مستقراً حالاً من المفعول او الفاعل [وَوَحَيْنَا] بتعليمك صنعها [فَإِذَا] صنعتها و [جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ] الذى جعلت فورانه بالماء علامة لاهلاك قومك وغرقهم [فَأَسْلَفْنَا فِيهَا مَنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ] قرئ كل متوناً بالاضافة اى من كل نوع من الحيوان مشتمل على الذكر والانثى [اثْنَيْنِ] ذكر وانثى لئلا يستأصل النوع [وَأَهْلَكَ الْأَمْنُ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ] ولأثخاطيني [فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ] قد سبق الآية فى سورة هود [فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِّ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّيْنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ] لما كان المنقطع الفطرة كالعضو الفاسد الذى يؤذى صاحبه ويفسد ما يجاوره ويقطعه يسلم سائر الاعضاء ويستريح البدن وصار قومه بعد كمال شقاوتهم كالأعضاء الفاسدة ويقطعهم واستيصالهم يستريح الملائكة وخلفاء الله امره تعالى بالحمد على نعمة استيصالهم وأتلاف نوح (ع) كما كان يجادل الله فى دفع العذاب عن قومه كان يحزن على هلاكهم لانه كان يشكر على استيصالهم [وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي] من السفينة ومن مقام الحضور والاطلاق الى مقام الغيبة والكثرات [مُنْزَلاً] قرئ من الانزال ومن النزول وهو مصدر أو اسم مكان أو اسم زمان [مُبَارَكًا] بالبركة لى فى مالى واولادى واعوانى [وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ] قد ورد قراءة هذه الآية وقت النزول فى منزل [إِنَّ فِي ذَلِكَ] القصص اوفى ارسال نوح (ع) ودعوته واهلاك قومه [لآيَاتٍ] عديدة على المبدء وتوحيده وعلمه وقدرته وتوانيه بالنسبة الى العاصين من خلقه ورحمته وتدييره

[وَأِنْ كُنَّا] أى انه كنا [لَمُبْتَلِينَ] يعنى كنا قد بيماممتحنين عبادنا بالبشر والخير او كنا ممتحنين فى ارسال نوح (ع) و توانينا فى اهلاك قومه [ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ] هم قوم هود او قوم صالح [فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ] هو هود او صالح [أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ] ان تفسيرية و تفسير لارسلنا لان فيه معنى القول [مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ] مضى الآية قبيل هذا [وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِيقَاعِ الْآخِرَةِ] قولاً كمنكرى البعث او فعلاً وحالاً كما كثر أهل كل زمان [وَأَتَرَفْنَاهُمْ] أنعمنا عليهم بنعمة أبطرتهم [فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ] ذكروا الجملتين لتأكيد التشابه واستغراب التفضيل [وَلَعِنْ أَطْعَمْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ] لضياح بضاعتكم التى هى عقولكم باطاعة بشر مثلكم [أَيَعِدُكُمْ] استبعاد لهذا الوعد لعدم اقرارهم بالمعاد [أَنَّهُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّهُمْ مُخْرَجُونَ] انكم الثانى تأكيداً للاول اتى به لطول الكلام والفصل بين ان الاولى وخبرها ، وانكم الثانى مبتدأ خبره الظرف المتقدم والجمله خبر ان الاولى ، وانكم الثانى الثانى فاعل فعل محذوف جواب للشرط ، او هو مبتدأ محذوف الخبر والجمله جواب للشرط بتقدير الفاء ، او هو فاعل للظرف والظرف خبر ان الاولى ، او خبر ان الاولى محذوف وان الثانية مع خبرها تأكيداً للاولى وخبرها [هِيَئَاتِ هِيَئَاتِ] قرئ هيهات بثلاث التاء منوناً وغير منون وبسكون التاء وبإبدالها هاء ساكنة وفى هيهات اثنتان وخمسون لغة هيهات وايها ، وهيهان وايهان ، وهايها وهايها ، وآيهات وآيهان ، مثلثات الاخر منونات وغير منونات ، وهيهات ساكنة الاخر بالتاء وبالهاء وايها وايئات وهى اسم للبعد ، او اسم فعل بمعنى بعد سواء جعل مفرداً او جمعاً ليهيه وهو كلمة طرد وزجر ، واذا كان اسماً للبعد كان [لِمَا تُوْعَدُونَ] خبره ، واذا كان اسماً للفعل كان ضمير الفاعل مستتراً فيه وكان لام لما توعدون للتبيين [إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا] جواب لسؤال مقدر فى مقام التعليل [نَمُوتُ وَنُحْيَى وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ] أى مدعين اول قوله موقنين [قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ قَالَ] الله اجابة لدعائه [عَمَّا قَلِيلٍ لِيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ فَآخَذَتْنَهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً] الغناء ما احتمل التسلل من الزبد والهالك والبالي [فَبَعْدًا] بعدوا بعداً حذف الفعل واقبم المصدر مقامه والقياس فبعداً لهم لكنه وضع المظهر موضع المضمحل للاشعار بعلّة الحكم ودم آخر لهم فقال [لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ] والتلام للتبيين وهو اخبار اودعاء عليهم والمعنى ان الهلاكه ثابتة للقوم الظالمين [ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ] فاهلكوا فى موعدهم المقدر لهم فان قوله [مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ] كناية من اهلاكهم فى موعد اهلاكهم وتهديد للحاضرين [ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى] هو من الوتر ضد الشفع والتاء مبدل من الواو كناه تقوى وهو وصف او مصدر والالف للتأنيث مثل التقوى او لللاحاق وعليهما قرئ غير منون ومنوناً والمعنى ارسلا رسلنا واحداً واحداً لكن المواترة لا تستعمل الا اذا كان بين الاشياء تعاقب بتراخ فانه اذا لم يكن بينها تراخ يقال بينها مداركة ومواصلة [كُلَّمَا جَاءَ أُمَّةٌ رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَآتَيْنَا بِغُصَّةٍ بَعْضُهُمْ بَعْضًا] فى العقاب والاهلاك [وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ] يتحدث بهم ويسمر بقصصهم وهو

جمع الاحدثة او جمع الاحداث جمع الحديث ، او جمع الحديث ابتداء مع شذوذ وحمل الاحاديث عليهم اذا كانت جمع الحديث للمبالغة في استيصالهم كأنهم لم يبق منهم في الناس الا حديثهم [فَبَعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ] مضى نظيره قبيل هذا [ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا] التسع او بمعجزاتنا او بأحكامنا [وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ] ظاهر او مظهر والمراد بالسلطان عصاه او برهانه القولي أو سلطته على قهر الاعداء [إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ] أي قومه مطلقاً او خواصه [فَاسْتَكْبَرُوا] عن موسى (ع) وقبول دينه [وَكَانُوا قَوْمًا غَالِينَ] بحسب الدنيا بسبب غلبتهم على اهل ارضهم وعلوهم على من كان في مصر [فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ] يعني ليس لهما فضل بانفسهما ولا بقومهما والعاقل لا يفضل من لاجهة فضل فيه بل لنا عليهما الفضل باستعباد قومهما لان القبطي كانوا يستعبدون السبطي في الاعمال اولان السبطي كانوا يعبدون فرعون مثل القبطي [فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا] بعد التكذيب بلا فرجة [مِنَ الْمُهْلَكِينَ] عن الحياة الانسانية دون الحيوانية او صاروا من المهلكين بالاغراق لكن بعد حين ، والاثيان بالفاء لان الفاء في كل شيء بحسبه والاهلاك المتعقب للرسالة بلا فرجة ان تتم الرسالة واحتجاجاتها [وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ] كتاب النبوة واحكامها او التوراة [لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ] أي لعل قومه اولعل فرعون وقومه وهذا يوافق تفسير الكتاب بالنبوة واحكامها [وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً] فان مريم (ع) كانت من اول بلوغها آية لله لانها كانت متعبدة غير ملتفتة الى الدنيا وملاذها ، يأتيها رزقها من الله يأتيها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف وحملت من غير ميسس بشر ، وكان مدة حملها اقصر مدة ساعة او اكثر يسير ، فانها لم يظهر على احد انها كانت حاملة وحملت من غير زوال بكارتها وكون عيسى (ع) آية لا حاجة فيه الى التفصيل [وَأَوْثَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ] مكان مرتفع ، وقرى الربوة بضم الراء وفتحها ، وقرى ربوة بضم الراء وكسرها ، والربوة والربوة بتثنية الراء فيهما المرتفع من الارض [ذَاتِ قُرْأٍ] للماء بانبساطها واستوائها اولئاس بسبب ان من كان فيها ومن دخلها يستقرون فيها الحسن مكانها ووفور النعم فيها [وَمَعِينٍ] أي ذات ماء جار من معن الماء اذا جرى ، او من الماعون بمعنى المعروف ، او اسم مفعول من العين بمعنى المدرك بالعيون لظهورها وارتفاعها والمراد بها بيت المقدس او دمشق او ملة فلسطين او مصر ، وعن ابي جعفر (ع) وابي عبد الله (ع) انها حيرة الكوفة وسوادها والقرار مسجد الكوفة والمعين الفرات [يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ] حال بتقدير القول اوجواب لسؤال مقدر بتقدير القول كأنه قيل : ما قال الله الرسل سواء كان الخطاب لمجموعهم دفعة في عالم الجمع وهو عالم الارواح ، او كان الخطاب لكل واحد واحد في زمانه لكنه تعالى جمعهم في الحكاية ، وقيل : انه خطاب لمحمد (ص) من دون تقدير القول والاثيان بالجمع لجريه على طريقة العرف في مخاطبة الواحد مخاطبة الجمع ، وقد مضى مكرراً ان الاكل لا اختصاص له بما يعرفه العرف اكلاً بل ادراك كل مدرك وفعل كل عضو وتحريك كل محرك وتحرك كل متحرك اكل له ولما كان مراتب الانسان كثيرة كان طيبات كل مرتبة من جهتها الخلقية ما كانت ملائمة ملذة لها ومن جهتها الحقيقية ما كانت مباحة مكسوبة بأمر الله مرضية لله سواء كانت موافقة لسائر المراتب او لم تكن [وَأَعْمَلُوا صَالِحًا] ليس المراد به فرداً ما لا على التعيين فان الانبياء ان لم يكونوا مأمورين بجميع الصالحات كانوا مأمورين باكثرها ، ولم يكتف تعالى من سائر عباد به فرد ما من الصالحات فكيف بالانبياء فالمراد اعملوا صالحاً عظيماً فان التنوين والتذكير في امثاله بعد ما علم انه ليس المراد به فرداً ما اما ان يكون للتحقير او للتعظيم ، والتحقير ايضاً مناف لامر الانبياء (ع) فالمراد هو التعظيم

والصالح العظيم الذى لا صالح الا بصلاحه هو الولاية فعلى هذا ينبغي ان يفسر الآية هكذا : يا ايها الرسل كلوا من الطيبات التى هي ارزاق الاعضاء والقوى والمدارك من الاعمال القلبية الشرعية والنفسانية النبوية واعملوا صالحاً عظيماً هو الولاية والتوجهات والاستعدادات والالهامات والمشاهدات المتعلقة بها [إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ] من الاعمال القلبية والقلبية [عَلَيْكُمْ] ويجوز ان يكون الخطاب للرسل ويكون المقصود بالحكم امهم من قبيل ايتك اعنى واسمى يا جارة ، او يكون الامم مقصودين معهم [وَأَنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ] اى دينكم اوجماعتكم الآمون لكم المؤمنون بكم وسوق العبارة يقتضى ان يقال : هذه اممكم لكنه تعالى لما جمع فى حكاية الخطاب اوجمعهم فى اصل الخطاب فى العوالم العالية جمع الامم ايضاً فى لفظ الامّة فانه يطلق على الواحد والكثير ، وقرئ ان مفتوحة الهمزة مشددة ومخففة بالعطف على ما تعملون او بتقدير التلام لتعليل قوله فاتقون ، وقرئ ان مكسورة الهمزة بالعطف على انى بما تعملون عليهم [أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ] والمقصود من الآية اننا رسلنا الرسل وبعد ما بلغوا واجاب لهم امهم ووقعوا بيننا وبين عبادنا وصاروا ذوى اضافتين اضافة الينا واطافة الى عبادنا قلنا لهم : يا ايها الرسل انتم ائمة لعبادنا فاعملوا الاعمال القلبية المرضية للنفوس ولناحتى يتأسى بكم اممكم ولا يترجروا منكم ولا ينفروا عنكم وعن دينكم ، واعملوا الاعمال القلبية التى بها توجهكم الينا واستفاضتكم منا حتى يتم تربيتكم لعبادنا بحسب الظاهر والباطن ، لانى بما تعملون من الاعمال القلبية والقلبية عليهم ، ولان هذه اممكم فليكن المنظور من اعمالكم صلاح حالهم وانا ربكم الذى افوض عليكم ما به قوامكم وما به صلاحكم وصلاح اممكم فاتقون فى عدم مراقبة حال الامم وعدم التوجه الى لاخذ ما به صلاح الامم [فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ] يعنى كان امة كل رسول فى زمانه امة واحدة بواسطة مراقبة الرسول (ع) واجتماعهم على ملته ففرقوا امر دينهم بعد ذهاب رسولهم باستبداد بعضهم بالرأى وعدم انقيادهم لوصى رسولهم واختيار كل مذهباً ومسلماً كما وقع ذلك فى امة محمد (ص) او فرقوا بفرق مختلفة لاجل امر دينهم [زُبُرًا] جمع الزبور يعنى الفرقة ، وقرئ زبراً بفتح الباء جمع الزبرة بمعنى القطعة مثل الغرفة والغرف يعنى فرقوا امر دينهم قطعاً مختلفة ، او فرقوا حال كونهم فرقا مختلفة ، او هو جمع الزبور بمعنى الكتاب يعنى جعلوا دينهم كتباً يتوسلون بها وينصرفون عن صاحب دينهم وقالوا : كفانا كتابنا كما جعل امة محمد (ص) امر دينهم مستنداً الى الكتاب السماوى الذى جمعه والى كتبهم التى دونوها لتصحيح دينهم وعلى التقادير صح جعل زبراً مفعولاً ثانياً وحالاً [كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ قَرِحُونَ] استئناف جواب لسؤال مقدّر فى مقام التعليل يعنى تفرقوا لان كل حزب منهم كانوا بما عندهم من العلوم والمسائل والآراء معجبون فارادوا رواج ما عندهم واستنكفوا عن صاحب دينهم [فَلَذَرَهُمْ] يعنى اذا كان حال الامم على ما ذكر وحال امتك تصير الى ما ذكر فذر الامم ومناقى امتك [فَبِغَمْرَتِهِمْ] فلا تعرض لهم بالردة والقبول [حَتَّىٰ حِينٍ] اى حين العذاب على يدك او بدخيلتك او حين الموت وظهور على (ع) [أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّاءٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ] فيستكفون لذلك عن وصيتك [بَلْ لَا يَشْعُرُونَ] انه استدراج لهم ومكر ولذا يحسبون ويستكفون [إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ] جواب لسؤال مقدّر كأنه قيل : لم لا ينبغي هذا الحسبان ؟ - فقال : لاننا نسارع فى الخيرات لهؤلاء لا ولتلك وقد مضى بيان هذه الكلمة فى سورة الانبياء عند قوله تعالى : وهم من خشيته مشفقون [وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ] يعنى بجملة آياته خصوصاً آياته العظمى من الانبياء والاولياء (ع) يذعنون ، او الذين

يؤمنون بآيات ربهم بالبيعة العامة او الخاصة او الذين يؤمنون بالبيعة العامة او الخاصة بسبب آيات ربهم بان صارت الآيات الآفاقية والانفسية سبباً لان يتوجهوا الى الانبياء (ع) فأسلموا على ايديهم بالبيعة العامة ، او الى الاولياء فآمنوا على ايديهم بالبيعة الخاصة والذين هم بعد الاسلام والايمان [بِرَبِّهِمْ] المضاف وهو ربهم في الولاية [لَا يُشْرِكُونَ] بان بايعوا على ايدي غيرهم او توجهوا الى غيرهم او اطاعوا غيرهم واتبعوا اهواءهم [وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا] يعطون ما اعطوا من الصدقات او من جملة الاعمال الآلهية وقرى يأتون ما آتوا من الثلاثي المجردي يعني يأتون بما اتوا اي يفعلون ما فعلوا [وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ] خائفة من تقصيرهم في الاعمال لانهم يعملون انهم لا يستطيعون ان يجاهدوا في الله حق جهاده ولا يجاهدون فيه حق جهادهم وفسر في اخبارنا هكذا وهو خائف راج ، ونقل ان المؤمن جمع احساناً وشفقة والمنافق جمع اساءة وامتناناً [أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ] يعني قلوبهم وجلة بسبب انهم كانوا في الرجوع والسلوك الى الله او الى ربهم المضاف ، او قلوبهم وجلة من انهم يرجعون بعد الى الله او الى ربهم المضاف مع تقصير ، او قلوبهم وجلة من فوت الرجوع الى ربهم ومن انه لا يمكنهم الرجوع الى الحضور عند الرب المضاف بالفكر المصطلح للصوفية الذي هو تمثّل صورة الشيخ عند السالك ، او قلوبهم وجلة لانهم كانوا في السلوك الى ربهم المضاف وكلما قربوا منه استشعروا بعظمته اكثر من السابق وكلما استشعروا بعظمته اشتدت الخشية والهيبة منه عليهم وفي خبر عن امير المؤمنين ثم قال: ما الذي آتوا ، آتوا والله الطاعة مع المحبة والولاية وهم في ذلك خائفون ليس خوفهم خوف شكك ولكنهم خافوا ان يكونوا مقصّرين في محبتنا واطاعتنا [أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ] في مقابل انهم يحسبون انهم نمدهم به من مال وبنين تسارع لهم في الخيرات وانما نسب الفعل ههنا اليهم للشاعر بان عملهم وادبهم المذكورة وان لم تكن سبباً فاعلياً للخيرات ومساعدتها لكنها سبب قابلي لها وانهم ان وصلوا الى خير كان ذلك بعملهم بخلاف المسارعة هناك لانها كانت عبارة عن الامداد بالمال والبنين وليس ذلك الا من الله وليس مسارعة في الخيرات بل استدراجاً ومسارعة من الله في العقوبة انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون [وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ] اي لاجلها متصفون بالسبق ، او سابقون الناس في القرب عند الله او سابقون الناس الى الطاعة او الثواب او الجنة او هم آخذون لها قبل الآخرة او قبل الناس وعلى هذا يكون التلام زائدة للتقوية [وَلَا نَكْلَفُ] عطف فيه رفع توهم فانه قد يتوهم متوهم انه لا يمكن الجمع بين تلك الاوصاف بحقائقها ، او يتوهم ان الفرحين بما عندهم لا يقدرّون على الاقدام على الاوصاف فرفع ذلك بقوله لانكلف [نَفْسًا لِّأَوْسَعَهَا] الوسع مثلثة الواو الجدة والطاقة يعني لانكلف نفساً الا بقدر طاقتها وما يسعه طاقتها بان يكون دون طاقتها [وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ] رفع توهم آخر فانه قد يتوهم ان الامداد بالاموال والبنين ابطرهم فلا ينبغي ان يمدّهم الله فقال: ان امدادنا واستدراجنا كان بسوء فعلهم ولدينا كتاب هو كتاب اعمالهم الذي يكتبه الحفظة او كتاب هو الكتاب السابق على وجودهم من اللوح العالي ينطق بالحق ، نسبة النطق الى الكتاب مجاز اولان الكتب العالية كلها حيوة وعلم وشعور ونطق [وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ] بزيادة العقاب او بالعقوبة من دون استحقاق [بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ] في غفلة غامرة [مِنْ هَٰذَا] الكتاب اومما ذكر من اوصاف الاخبار السابقين او من اتصاف الاخبار بتلك الاوصاف او من القرآن كما في تفسير القمي [وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَٰلِكَ] التفرق

فى الدين والفرح بما لديهم والاعجاب بأرائهم او من دون ذلك الجهل والغمرة [هُم لَهَا عَامِلُونَ] مما يكون عبادة للهوى سواء كان بصورة العبادات او بصورة المعاصى [حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ] متنعّميهم [بِالْعَذَابِ] غاية لعملهم اولكون قلوبهم فى غمرة، وخص المترفين لانهم كانوا منشاء لكفرهم وكفر غيرهم، ولان المترفين لا يتنبهون ولا يتضرعون بمؤاخذه غيرهم، والمراد بالعذاب عذاب الموت والآخرة، او عذاب الدنيا، وفسر بقتلهم يوم بدر وبالاخذ بالجوع حين دعا عليهم رسول الله (ص) فقال: اللهم اشدد وطأتك على مفسر^(١) واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف (ع) فابتلاهم بالقحط حتى اكلوا الجيف والكلاب [إِذَا هُمْ بِجَارُونَ] جار كمنع رفع صوته بالدعاء وتضرع واستغاث [لَا تَجَارُوا الْيَوْمَ] بتقدير القول جواب لسؤال مقدّر [إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنْصَرُونَ] اى لاتنصرون من قبلنا ولا تنصرون من عذابنا [قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُنَلِّى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ آعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ] اى ترجعون والنكص لا يكون الا فى الرجوع عن الخير وقد مضى ان الناس كلهم مفسرون على الخير وذاهبون على فطرة الخير ويشبه الرجوع عن الدين والخير ما لم يقطع فطرته بمن يرجع عن المقصد رجوع القهقري على عقبيه لانه يبقاء فطرته كان وجهه الى مقصده وان كان يتزل عما كان فيه من الخيرات الحاصلة له بفطرته او بكسبه [مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ] اى بالبيت او ببلد مكة، وشهرة افتخارهم واستكبارهم بالبلد الحرام والبيت الحرام اغنت عن ذكره سابقاً، او بالقرآن فان تلاوة الآيات تدل عليه، او بمحمد (ص) فان كونه جارياً على سنتهم فى محافلهم قرينة له، ولفظ الباء على الاولين للتسبيبة، او صلة مستكبرين بتضمين مثل معنى التكذيب، ويجوز ان يكون متعلقاً بتهجرون، والباء للظرفية على ان يكون الضمير للبيت او الحرم، او للتسبيبة او للاتصاف على ان يكون الضمير للقرآن او لمحمد (ص) [سَامِرًا] اسم لجماعة السامريين اى المتحدثين بالليل بما لا فائدة فيه او اسم لمحل السمر [تَهْجُرُونَ] اى تقطعون عن محمد (ص) او تهزأون او تستهزئون او تفجشون قريئ يفتح التاء وضم الجيم وبضم التاء وكسر الجيم [أَفَلَمْ يَذَّبَرُوا الْقَوْلَ] اى الم يكثر ثوابك وبإدعائك الرسالة فلم يذبروا القرآن ولم يذبروا قولك حتى يعلموا انه ليس من هوى نفسانى وامراض قلبية واغراض دنيوية [أَمْ جَاءَهُمْ مَالٌ بَاطِلٌ أَبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ] من الكتاب والشرعة والرسول حتى كانوا لم يعرفوا ولم يسمعوا بمثله ولذلك ينكرونه [أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ] بالنسب والحسب والصدق والامانة من اول نشوء [فَهُمْ لَهُ] لا للشرعة والكتاب [مُنْكَرُونَ] لعدم معرفتهم بحاله [أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ] جنون ولذلك ينكرونه [بَلْ] ليس شيء من ذلك فان الشرعة والرسالة والكتاب كانت سيرة آلهية جارية من لدن آدم وكان رسولهم معروفاً لهم بالحسب والنسب والصدق والامانة بحيث لقبوه محمداً الامين وكان فيهم ما لم يدع الرسالة اعقلهم ولكن [جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ] الذى لم يكن سنخاً لهم لانهم كانوا باطلين وسنخاً للباطل [وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ] لعدم سنخيتهم له وعدم موافقته لاهوائهم [وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ] الحق المطلق هو الله، والحق المضاف مشيئة وهى فعله تعالى ثم الولاية ثم النبوة ثم الرسالة ثم كل ما كان الحقيقة فيه غالباً والبطالان مغلوباً [لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ] لان اهواءهم لاتتجاوز عما فيه مشيئة نفوسهم من غير ملاحظة غاية لذلك المشيئة ومن غير ملاحظة حقوق من فى عالمهم الصغير ومن فى العالم

(١) مفسر كزول ابو قبيلة ولقب بمفسر الحمراء لانه ورث من ابيه الذهب، اولانهم كانوا رفعوا فى الحرب راية حمراء.

الكبير ولو لم يراع الحقوق لفسدت السماوات والارض ومن فيهن في العالم الصغير وفسد من في العالم الكبير وفسد
سماوات العالم الكبير وارضه لفساد غابتهما التي هي صلاح من فيهما [بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ] يعني ان انكار الحق
الذي جاء به محمد (ص) امر عظيم وهؤلاء لخروجهم عن الفطرة الانسانية انكروا انكاراً اعظم منه وهو انكارهم
ذكرهم وشرفهم او عظمهم ونصحهم وقد آتينا نحن ذلك لهم فهو اضراب من الادنى الى الاعلى، والمراد بالذكر
الرسول او القرآن او الشريعة او السلطنة [فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ] الذي اتيناهم نحن به [مُعْرِضُونَ أَمْ تَسْأَلُهُمْ]
يعني بل ليس المانع شيئاً من ذلك ولكن تسألهم [خَرَجًا] فيثقل ذلك المخرج عليهم فينكرون رسالتك لذلك فلا تسألهم
ذلك ان كنت تسألهم [فَخَرَجَ رِبِّكَ خَيْرٌ] لك من كل خراج فان خرجك كل ما سواه [وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ]
قد سبق بيان كونه خير الرازقين في سورة الحج [وَأَنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ] جملة حالية يعني
ليس انكارهم لانك تدعوهم الى صراطٍ معوج فلم يقبله عقولهم كأنه قال ام تدعوهم الى صراطٍ معوج [وَأَنَّ
الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ] وضع الظاهر موضع المضمحل لتعليل الحكم ، وللإشارة الى ذم آخر لهم وهو في معنى
لكن الذين لا يدعون بالآخرة [عَنِ الصِّرَاطِ لَنَّا كِبُؤُونَ] اي عادلون ولذلك ينكرون وقد فسر الصراط المستقيم
في الآية بولاية علي (ع) وعدولهم عن الصراط بعد ولهم عن علي (ع) او عن الامام ، وعن امير المؤمنين (ع) ان الله
تبارك وتعالى لو شاء لعرف العباد نفسه ولكن جعلنا ابوابه وصراطه وسيله والوجه الذي يؤتى منه ، فمن عدل عن ولايتنا
او فضل علينا غيرنا فانهم عن الصراط لنا كبون [وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُّوا] لداموا على
الخصومة [فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ] في طغيانهم متعلق بلجوا او يعمهون اي يترددون فان العمه بمعنى التردد
في الضلال والتحير في الطريق، روى انهم قُحطوا حتى اكلوا العليهر^(١) فجاء ابوسفيان الى رسول الله (ص) فقال:
أشدك الله والرحم الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين قُتلت الاباء بالسيف والابناء بالجوع فتزلت [وَلَقَدْ
أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ] يعني القتل يوم بدر او الجوع والقتل والخوف [فَمَا اسْتَكَانُوا لِربِّهِمْ] استكان استغفل
من الكون بمعنى التذل ، او افعل من التسكون اشيع فتحة الكاف وله النظير في لغتهم مثل المنتزح في المنتزح يعني
انهم ما استكانوا حين الابتلاء [وَمَا يَتَضَرَّعُونَ] والحال ان المقصود من ارسال الرسل وانزال العذاب تضرع
العباد واستكانتهم لربهم فكيف يتضرعون حين رفع العذاب عنهم وقد فسر الاستكانة بالدعاء وبالخضوع والتضرع
بالدعاء وبرفع اليدين بالدعاء [حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ] يعني ان شيمتهم العتو في كل
حال حتى اذا انفتح عليهم باب من جهنم او باب عذاب آخر مثل عذاب فتح مكة او باب الى العذاب حين الموت
او حين الرجعة كما في الخبر [إِذَا هُمْ فِيهِ] اي في الباب او في العذاب [مُجْبِلُسُونَ] متحيرون آثسون عن الخير
او مبتلون بالشر [وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ] النفات من التكلّم الى الغيبة بالنسبة
الى المتكلم، ومن الغيبة الى الخطاب بالنسبة الى المخاطبين وصرف للخطاب من محمد (ص) اليهم والجملة حال
او معطوفة والمقصود انه تعالى لم يمنهم ما به يتدبروا القول فلم يكن منه تعالى اهمال لما يحتاجون اليه في تدبير
القول لكنهم لكفر انهم بانعم الله كفروا بمثل هذه النعم التي هي اصل جميع النعم ولم يستعملوها لما خلقت لاجله من

(١) العلهر كزيرج طعام يتخذ من الدم والوبر كانوا في المجاعة يتخذونه .

النظر والعبرة وتمييز الحق عن الباطل والمبطل من المحق ولذلك قال [قَلِيلًا مَّا] أى شكرًا قليلًا [تَشْكُرُونَ] فلا تستعملون النعم في وجهها، ولمّا كان المقصود أنّه لا مانع من قبله في قبولهم الرسالة أتى بهذه الثلاث التي هي المحتاج إليها في التدبير والتميز دون سائر المدارك والقوى [وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ] أى خلقكم فيها [وَالَّذِي يُحْيِيكُمْ تُمْشُونَ] أى يحييكم ومعاذك فلا ينبغي ترك النظر في نعمه وترك التدبير في أمره ونهيه [وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ] أى تعاقبهما وازيادة كل منهما ونقصانه واختلاف كل مع الآخر بالزيادة والنقصان أو في الكيفية أو في الاظلام والاضاءة والمراد بالليل والنهار صورتهم المشهودة فإن تعيش الانسان واسباب تعيشه منوط بهما، أو اعمّ منهما كأنه قال: وهو الذى يجعل سائر المتضادات بين العباد كما أنه يحيي ويميت ويوجد هذين المتضادين بين عباده، واللام في مثله يجوز ان يكون هي اللام الداخلة على المبدأ أو الغاية أو المملوك [أَفَلَا تَعْقِلُونَ] ذلك فتعلموا ان من بيده ذلك كله حقيق بان يتضرع عليه ويسأل منه وينقاد له [بَلْ قَالُوا] أى انهم لا يتفكرون حتى يعلموا ان الله هو المبدئ المعيد بل قلّدوا آباءهم الجهلة واسلافهم الضالين فقالوا [مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ قَالُوا أَيُّدَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ] أى استغربوا البعث الذى ينبغي ان يقرّوا به [لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ] ولو كان حقًا لظهر اثره في تلك المدة المديدة [إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ] الاساطير الاحاديث التى لانظام لها جميع الاساطير والاساطير بكسر الهمزة فيها والاساطير بضمها وقد يلحق التاء بالثلاثة بمعنى الحديث الذى لانظام له، وأما الاساطير جمع الاساطير بمعنى الخط والكتابة فغير مناسب [قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ] أى انهم يقولون ان الخالق هو الله فذكرهم الاقرار ثم نبههم على ان الابداء اصعب من الاعادة [سَيَقُولُونَ لِلّٰهِ] أى انهم يظهرون في جوابك اقرارهم بانه المبدء فنبههم بعد ذلك و [قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ] ان الاعادة اسهل من الابداء [قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ] أى من خالقهما ومدبرهما مع عظمهما وكثرة ما فيهما من الملائكة والكواكب [سَيَقُولُونَ لِلّٰهِ] وقرئ: سيقولون الله، وهو اوفق بالسؤال [قُلْ] لهم بعد الاقرار بان الله خالقهما ومدبرهما [أَفَلَا تَتَّقُونَ] سخطه في مخالفته ومخالفة رسوله (ص) في انكار الاعادة او مطلقًا [قُلْ مَنْ يَبْدِئُ مَلَكُوتَ كُلِّ شَيْءٍ] أى من بيده تدبير كل شيء والتصرف فيه والتسلط عليه فان الملكوت هو باطن الاشياء المسلط عليها والمتصرف فيها باى تصرف شاء [وَهُوَ يُحْيِي] أى يغيث [وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ] أى لا احد يغيث مغضوبه [إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ] سَيَقُولُونَ لِلّٰهِ] وقرئ بدون اللام [قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ] أى كيف يخيل اليكم الحق باطلا مع وضوحه وكيف تعملون عن صحة الاعادة مع ظهور الأدلة وكيف تخذعون [بَلْ] ليس انكارهم وقولهم ذلك عن خفاء دليل المدعى ولا عن ظهور دليل الانكار لكن [أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ] الذى هو الولاية في مظهر الرسول (ص) الذى ليس في وجوده الا الحق والبعث والحشر، والاقرار بالرسول ليس الا من آثار الحق [وَأَنَّهُمْ لَكََاذِبُونَ] مطلقًا ليس في وجودهم جهة صدق حتى يصحّ تقييد كذبهم بغيرها ومن لم يكن في وجوده جهة حق وصدق لا يصدق الحق الذى اتيناهم به [مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ] جواب سؤال مقدر كأنه قيل: قد علم حال منكرى البعث فما حال من جعل لله ولداً ومن

جعل معه إلهة أخرى أصحح هذا منهم أم لا؟ - فقال: ما اتخذ الله من ولدٍ لأن الولد ما يكون مماثلاً للوالد في الذات ولو أوزمها فلو كان لله ولد لكان مثله إلهاً ولو كان مثله إلهاً آخر لزمه ما لزم كون الإلهة معه ولذلك لم يأت ببرهان بطلانه واكتفى ببرهان تعدد الآلهة [وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذْ أَذْهَبَ] إذ أظرف لمحذوف والتقدير لو كان معه إله إذاً لذهب [كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ] يعني لو كان الإله اثنين لا يخلو إما أن يكونا قادرين قويتين أو عاجزين ضعيفين، أو يكون أحدهما قادراً قوياً والآخر عاجزاً ضعيفاً، فإن كان أحدهما قوياً والآخر عاجزاً يكون الإله واحداً، وإن كانا ضعيفين لم يكن شيء منهما إلهاً للضعف الظاهر فيهما، وإن كانا قويتين قديرين لزم أن يكون كل منهما قادراً عاجزاً غالباً مغلوباً؛ وهو محال، وذلك لأن اقتضاء الآلهة القدرة التامة واقتضاء القدرة التامة أن يكون كل ماسواه مقدوراً له فلو فرض الإله اثنين لزم أن يكون كل واحد منهما قادراً لفرض الآلهة فيه مقدوراً لغيره لفرض الآلهة غيره، فهذه الحجة من الله تعالى برهان تام لو انضم إليه بعض المقدمات المذكورة المعلومة من عنوان الإلهة ويكون معنى قوله لعلا بعضهم على بعض لعلا كل بعض منهم على كل بعض يجعل إضافة البعض للاستغراق [سُبْحَانَ اللَّهِ] بمنزلة النتيجة للتسابق [عَمَّا يَصِفُونَ] من الولد والشريك [عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ].

اعلم، أن العلم كما مضى في أول الكتاب وفي سورة البقرة قد يكون بحضور ذات المعلوم عند العالم ويسمى علماً حضورياً وهذا علم حقيقة ولا يكون هذا العلم إلا باحاطة العالم على المعلوم وصيرورة المعلوم من شؤون العالم واطلاله، وقد يكون بحصول صورة من المعلوم عند العالم تكون تلك الصورة هي المعلومة حقيقة والمعلوم يكون معلوماً بالعرض لا بالذات، وإن كان مقصوداً بالذات، وهذا العلم يسمى بالظن لأن فكاًك معلومه عنه وجواز عدم مطابقته له، وعلّم الباري تعالى شأنه بالاشياء من القسم الأول لأن صفحة الأعيان بالنسبة إليه تعالى كصفحة الأذهان بالنسبة إلى البناء، ونسبة جميع الموجودات إليه تعالى كنسبة الصور الذهنية للبناء، فكما أن الصور الذهنية محاطة لنا ومنوطة بارادتنا والتفاننا إذا ردنا بقاءها كانت باقية وإذا ردنا فناءها صارت فانية، كذا الموجودات المعلومات له تعالى بالنسبة إليه والمراد بالغيب والشهادة عالم الغيب الغائب عن المدارك الحيوانية وعالم الشهادة المدرك بها، ولما كانت الموجودات بحكم العقل محصورة فيهما فقله عالم الغيب والشهادة بمنزلة عالم جميع الموجودات، ولما كان علمه بجملته الموجودات بنحو الاحاطة والتسلط على الإبقاء والإفناء كان قوله عالم الغيب والشهادة بمنزلة محيط بجملته الموجودات قاهر على الكل ولذلك أتى بقوله فتعالى عما يشركون بنحو التفريع وأتى ههنا بقاء التفريع دواء، قوله سبحانه الله عما يصفون مع أن كلا منهما تفريع ونتيجة لسابقه، لأن في قوله سبحانه الله معنى التعجب فأنه قد لا يستعمل خالياً من التعجب والمناسب لإنشاء التعجب القطع عن السابق بخلاف تعالى عما يشركون فأنه خال عن التعجب وإخبار بنتيجة السابق [قُلْ رَبِّ أُمَّاثٍ إِنَّنِي] ان ترني [مَا يُوعَدُونَ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ] وضع الظاهر موضع المضمر لدم آخر والجملة تهديد لهم بترقب نزول العذاب عليهم [وَأَنَا عَلَى أَنْ تُرِيكَ مَا نَعِدُهُمْ لِقَادِرُونَ إِدْفَعْ] جواب لسؤال مقدّر كأنه قال: فما افعل بهم؟ - قال: ادفع [بِ] الخصلة [الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ] أو بالحسنة التي هي أحسن أو بالدفع التي هي أحسن [السَّيِّئَةِ] أي سيئة نفسك وسيئة غيرك والخطاب لمحمد (ص) لكن أمته مقصودة بالخطاب وهذا تأديب حسن له ولأمته.

بيان

في الدفع بالاحسن
الى المسمى

اعلم ، ان رفع اساءة المسمى يتعقل بالاساءة اليه بما يتعقل الاساءة اليه من قتله وقطع اطرافه وشقها وضربه زائداً على قدر اساءته او مساوياً او ناقصاً منه ، والعفو عنه والصّحح اى تطهير القلب من الحقد عليه والاحسان اليه ، والخصلة الحسنى على الاطلاق هي الاحسان الى المسمى فانه يترتب عليه المحبة والوداد ويتعقبه ما فى قوله تعالى فاذا الذى ينك

وبينه عداوة كأنه ولى حميم ، ولما لم يكن الافعال حسنها وقبحها الا باضافتها الى مبادئها وغاياتها ، وان كانت متعدية اعتبرت اضافتها الى من وقعت عليه بل قد يعتبر فيهما الاضافة الى المكان والزمان والآلة والحاضرين وغيرها لم يكن المراد الدفع بالاحسن مطلقاً بل الدفع بالاحسن بالاضافة الى الفاعل والمنفعل والمكان والزمان وغير ذلك لان صاحب النفس التى لم ترض من الجاني الا بقتله او باضعاف جنائنه لم يكن الدفع منه بالاحسن الا بالاقتصاص ، ومن يقدر على كظم الغيظ كان الدفع بالاحسن منه بكظم الغيظ ، ومن يقدر على الصّحح كان الصّحح منه احسن ، ومن يقدر على الاحسان الى المسمى كان الاحسان منه احسن ، والاحسان الى الجاني الذى يزيد الاحسان فى طغيانه لم يكن حسناً بل كان قبيحاً وهكذا ترك التعرض لمن يزيد عدم التعرض فى اعتدائه ، وهكذا الحال بالنسبة الى الزمان والمكان والآلات والسامعين والشاهدين فعلى هذا كان معنى الآية انظر الى المسمى وحالاته وزمان رفع اساءته ومكانه فادفع بالتي هي احسن بالنظر الى جميع ما يضاف الدفع اليه السيئة سواء كانت تلك السيئة من جنودك وقواك او من انسان سواك ، او من حيوان سوى الانسان فاقتل من ينبغي ان يقتل واقطع من ينبغي ان يقطع اطرافه ، واقتصص ممن ينبغي ان يقتصص منه واضرب من ينبغي ان يضرب ، وادب لساناً من ينبغي ان يؤدب لساناً ، واحسن الى من ينبغي ان يحسن اليه ، وقوله تعالى : فاذا الذى ينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم اراد بالاحسان فيه فعلاً يلائم ويوافق مرتبة المسمى من غير نظر الى حال الفاعل ولا الى حال المسمى كما يجوز ان يكون المراد بالاحسان ههنا ايضاً ذلك بقرينة قوله تعالى [نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ] فان معناه ولا تتعرض لهم بالزجر والمكافاة لاننا نحن اعلم بما يصفون ، ٢٤٠ و لفظة ما مصدرية او موصولة [وَقُلْ] اذا ازعجك الشيطان للاساءة الى المسمى [رَبِّ اعُوْذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ

الشَّيَاطِينِ] الهمز الغمز والضغط والطرْد والدفع والضرب والعض والكسر ، وهمزات الشياطين زعجاتهم وضغطاتهم [وَأَعُوْذُ بِكَ رَبَّ أَنْ يَحْضُرُونِ] فان حضورهم ليس الا لمناسبة ما بيني وبينهم ويتولد من حضورهم مناسبة اخرى فاعذني من حضورهم يعنى من مناسبتى لهم ويتولد مناسبة اخرى منهم [حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ] غاية ليصفون اولئك الذين اولقوله قالوا مثل ما قال الاولون [قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ] انى بارجعون جمعاً امثالاً لتثريك الملائكة معه تعالى اولتعظيم الرب [لَعَلِّيْ أَعْمَلُ صَالِحًا] فرداً من الاعمال الصالحة او صالحاً عظيماً هو ولاية على بن ابي طالب (ع) لانه يظهر حيثئذ ان الرب المضاف كان علياً (ع) ، وان لا يقبل عمل الا بولايته وان لا صالح الا له ، وان كل صالح صالح بها [فِيمَا تَرَكْتُ] اى فى الدنيا التى تركتها اوفى الاعمال التى تركتها ، اوفى الولاية التى تركتها وقد فسّر فى الاخبار المتروكة بالتركة المتروكة [كَلَّا] جواب وردع لسؤال مقدّر كأنه قيل : هل يجب الله سؤالهم ؟ فقال : كلاً وارتدع عن هذا السؤال او كأنه قيل : هل يعمل صالحاً ان رجع الى الدنيا ؟ قال : كلاً [إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا] وليس اجابة لها وليس يعمل صالحاً ان رجع [وَمِنْ وَرَائِهِمْ] امامهم او خلفهم فان الكفار حين الرجوع الى الآخرة يكونون مقبلين على الدنيا ومدبرين عن الآخرة لتعلق قلوبهم بالدنيا ووراء بثلاث الآخرة مبنية ، والوراء معرفة باللام بمعنى قدام وخلف [بَرَزَخُ إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ] للحساب اول الجنة والنار والمراد يوم القيامة

ويوم انتهاء البرزخ وانتقال اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار.

بيان

لترقى الارواح
في البرزخ

والبرزخ هو الحاجز بين الشيتين ويسمى ما بين عالم الطبع وعالم المثال برزخاً لكونه بين الدنيا والآخرة فان الدنيا دار ابتلاء وامتحان والآخرة دار راحة وقرار، والبرزخ بينهما هو الذي يدخله الانسان بعد الموت ولا يستقر فيه بل يجوزه سريعاً او بطيئاً بتعب او براحة، وهو الذي يسمى بهور قوليا وبعده جابلسا كما ان قبله جابلقا وهو المدينة التي لها الف باب ويدخله كل يوم ما لا يحصى من خلق الله ويخرج منه كل يوم مثل ذلك وقد سبق الاشارة اليه في سورة البقرة عند قوله تعالى: فسجدوا الا ابليس وفي غيرها، وقد اختلف الاقوال في ان الانسان بعد الموت ترقياً وتنزلاً فقليل: ان الترقى والتنزل والخروج من القوة الى الفعل لا يكون الا في الدنيا لان حامل القوة وهو المادة لا يكون الا في الدنيا وبعد الموت والانفصال من المادة لا يكون قوة حتى يكون خروج من القوة الى الفعلية العلوية او السفلية فلا يكون الترقى والتنزل، والمأثور من الانبياء (ع) واتباعهم ان عالم البرزخ عالم فيه يتخلص النفوس عن شوائبها الغريبة فان كانت النفوس سجيئة تخلصت من شوائب العليين حتى اذا بلغت الى الاعراف لم يكن عليها من العليين شيء، واذا كانت عليئية تخلصت من شوائب السجين، فاذا بلغت النفوس الى الاعراف خالصة من الشوائب الغريبة دخلت كل منها مقرها من الجحيم والجنان وهذا في الحقيقة طرح للغرائب وظهور لما هو ذاتي وليس خروجا من القوة الى الفعلية بل ظهور للفعلية الحاصلة فلما فاة بين ما ورد في الشرائع الالهية وبين ما قاله الحكماء من طريق الموازين العقلية وليس الوقوف في البرازخ لكل احد بل الخارج الى الفعلية السفلية من غير بقاء اثر من الفعلية العلوية عليه، والخارج الى الفعلية العلوية من غير بقاء شوب من الفعلية السفلية عليه اذا مانا دخلا مقرهما من غير وقوف، وما ورد ان بعض الناس يمر على الصراط كالبرق الخاطف، اشارة اليهما، وغير هذين الصنفين له وقوف في البرازخ قليلاً او كثيراً معذباً او غير معذب حتى يخلص من الشوائب الغير الذاتية ويدخل مقره، ولا شك في ان المسلم قد يكون له برزخ، واما المؤمن الذي بايع البيعة الخاصة وقبل الولاية ودخل الايمان في قلبه ودخل هو في امر الائمة فاكثر الاخبار تدل على ان ليس له برزخ ويكون برزخه وخلاصه من الشوائب قبل الموت، وعند الموت لا يكون عليه شوب حتى يحتاج الى الوقوف في البرازخ، وفي بعض الاخبار دلالة على ان المؤمن ايضاً قد يوقف في البرازخ وشهو داهل الشهود يدل على ذلك لكن هذا الوقوف لقليل من المؤمنين الضعيف الايمان، واكثرهم لا وقوف لهم في البرازخ، والتحقيق ان المؤمن اذا خرج من حدود نفسه او لم يخرج لكن كان في وجوده قوة مهيبة له على الخروج لا يوقف في البرازخ، واذا لم يخرج من حدود نفسه ولم يكن له قوة مهيبة على الخروج وكان راضياً ببيت نفسه مطمئناً بارض طبعه يوقف لا محالة في البرازخ بحسب تفاوت غرائبه وتفاوت تشبثها وقلشها وهدل بعض المؤمنين تكرار الموت ونزع الروح في البرزخ، فاتقوا اخواني وقوفات البرزخ وموتاتها، ولتنظر نفس ما قدمت لغد، فما ورد من ان المؤمن لا يخرج من الدنيا الا بعد طهارته من الذنوب، انما هو لمن كان خارجاً من حدود نفسه او من كان فيه قوة مهيبة، وما اشعر بوقوفه في البرزخ كان لمن لم يخرج ولم يكن فيه قوة مهيبة [فَإِذَا تُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ]

شرح

في نفخ الصور

وورد في الاخبار انه قرن من نور ينفخ فيه اسرافيل وله رأس وطرفان فينفخ فيه اسرافيل فيخرج الصوت من الطرف الذي يلي الارض فيموت اهل الارض، ويخرج الصوت من الطرف الذي يلي السماوات فيموت اهل السماوات ثم يمكث الارض والسماوات خالية من اهلها وسكانها ما شاء الله بعد ما مات الله جبرائيل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل ثم ينفخ الله في الصور او يبعث الله اسرافيل فيأمره فينفخ في الصور مرة اخرى وله ثقب بعد دار واح الخلائق فيخرج الصوت من احد طرفه الذي يلي السماوات فلا يبقى في السماوات

احد الاحياء وقام كما كان ويعود حملة العرش ويحضر الجنة والنار وتحشر الخلائق للحساب ، وقيل : ان الصور ههنا وفي غير هذا الموضع مما ذكر من امثال الآية جمع الصورة ويؤيد هذا قراءته بضم الصاد وفتح الواو وبكسر الصاد وفتح الواو فانهما ليسا لاجمع الصورة بمعنى الشكل والهيئة ، ونسب الى السجادة (ع) انه سئل عن النفختين كم بينهما؟ قال : ماشاء الله ، قيل : فأخبرني يا بن رسول الله (ص) كيف ينفخ فيه ؟ فقال : اما النفخة الاولى فان الله عز وجل يأمر اسرافيل فيهبط الى الدنيا ومعه الصور وللصور رأس واحد وطرفان وبين رأس كل طرف منهما الى الآخر مثل ما بين السماء الى الارض ، فاذا رأت الملائكة اسرافيل قد هبط الى الدنيا ومعه الصور قالوا : قد اذن الله تعالى في موت اهل الارض وفي موت اهل السماء ، قال : فيهبط اسرافيل بحظيرة بيت المقدس وهو مستقبل الكعبة فاذا رآه اهل الارض قالوا : قد اذن الله تعالى في موت اهل الارض فينفخ نفخة فيخرج الصوت من الطرف الذي يلي الارض فلا يبقى في الارض ذور روح الا صق ومات ، ويخرج الصوت من الطرف الذي يلي السماوات فلا يبقى في السماوات ذور روح الا صق ومات الا اسرافيل ، قال (ع) : فيقول الله لاسرافيل : يا اسرافيل مت ، فيموت اسرافيل ، فيمكثون في ذلك ماشاء الله ، ثم يأمر السماوات فتثور ، ويأمر الجبال فتسير ، وهو قوله تعالى يوم تمور السماء موراً ، وتسير الجبال سيراً يعني ييسط ويدل الارض غير الارض يعني بأرض لم تكسب عليها الذنوب بارزة ليس عليها جبال ولانبات كما دحاها اول مرة ويعيد عرشه على الماء كما كان اول مرة مستقلاً بعظمته وقدرته قال (ع) : فعند ذلك ينادي الجبار تبارك وتعالى بصوت من قبله جهور يسمع اقطار السماوات والارضين : لمن الملك اليوم ؟ فلا يجيبه مجيب فعند ذلك يقول الجبار عز وجل مجيباً لنفسه : لله الواحد القهار ، وانا قهرت الخلائق كلتهم وامتهم انى انا الله لا اله الا انا وحدي ، لا شريك لي ولا وزير ، وانا خلقت خلقي بيدي ، وانا امتهم بمشيئتي ، وانا احبيهم بقدرتي ، قال (ع) : فينفخ الجبار نفخة اخرى في الصور فيخرج من احد الطرفين الذي يلي السماوات فلا يبقى في السماوات احداً لحيى وقام كما كان ، ويعود حملة العرش ويحضر الجنة والنار ويحشر الخلائق للحساب ، وقد ورد غير ذلك من الاخبار مفصلاً من اراد فليرجع الى المفصلات . ولما كانت النسب الجسمانية من التناسب والمصاهرة وهكذا ولواء العنق لا تحصل الا بتوسط المادة الجسمانية والاعتبارات الجرمانية سواء حصل التناسب بين النفسين بتلك النسبة الجسمانية اولم يحصل ، وبالنفخة الاولى يخلص النفوس من المادة الجرمانية سواء ضارت متعلقة بابدان مثالية او كانت مجردة عن ذلك ، وبالنفخة الثانية لانعود المواد بل الاجسام مجردة عن موادها كان كل نسبة وخلقة جسمانية منقطعة في النفختين الا النسب الروحانية التي تحصل للانسان باحدى البيعتين او بالسخرية والتوادم بين المتناسبين فلا يبقى انساب جسمانية بينهم [يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ] اما في النفخة الاولى فظاهر واما في النفخة الثانية ففي موقف الحساب لا في جميع المواقف فان في بعض المواقف يقبل بعضهم على بعض يتساءلون [فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ] قد مضى تحقيق الوزن والميزان وبيان الموازين في اوّل سورة الاعراف في نظير الآية [فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ] لانهم ضيعوا بضاعتهم التي هي فطرتهم الانسانية ومدة عمرهم من غير اكتساب كمال نفوسهم فأفندوا بضاعتهم من غير عوض [فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ] لعدم بقاء الفطرة التي تكون غير ملائمة للجحيم ومخرجة منها [تَلْفَحُ وَجُوهُهُمُ النَّارُ] لفتح النار بحرّها احرقته ، والجملة خبران بعد خبر او الذين خسروا انفسهم صفة وفي جهنم خالدون خبره ، او في جهنم خالدون حال و تلفح وجوههم خبر ، او الجملة حالان مترادفتان او متداخلتان او مستأنفتان [وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ] كالح كمنع

كلوحاً وكلاحاً بضمهما تقلص شفتاه في عبوسٍ سواء كان في تبسم أو غيره وهذه الجملة حالية أو معطوفة [أَلَمْ تَكُنْ
 آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ] جملة مستأنفة بتقدير القول وجواب لسؤال مقدر كأنه قيل: ما يقال لهم حينئذٍ؟ فقال: يقال:
 لتأنيبهم: ألم تكن آياتي تلى عليكم [فَكُنْتُمْ بِهَا تُكْذِبُونَ قَالُوا] هذا أيضاً جواب لسؤال مقدر كأنه قيل:
 فما يقولون؟ فقال: يقولون لكنه عدل إلى الماضي لتحقق وقوعه [رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا] فلم ندعنا نتبع
 آياتك وقادتنا إلى تكذيب الآيات وسوء العاقبة [وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ] بحسب الفطرة [رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنَّا
 عُذْنَا] إلى ما كنا فيه [فَإِنَّا ظَالِمُونَ] كأنهم اعتذروا عن تكذيب الآيات في الكرة الأولى بكونهم مقهورين للشقوة
 وعدم رادع لهم من اتباع الشهوة لامن انفسهم ولامن الخارج لانهم كانوا ضالين عن الطريق فما امكن لهم التوسل
 بآثار الطريق لعدم ظهورها عليهم وما بلغ اسماعهم دلالة صاحب الطريق لضلالهم عنه وتمنوا الرجوع إلى الدنيا
 لما علموا الطريق وعقباتها، وقالوا: ان رجعنا لانكذب لما علمنا الطريق وآثارها وعقباتها فلا نخرج ولا نضل
 عن الطريق، واذا لم نضل عن الطريق لم نضل عن صاحبها، واذا لم نضل عن صاحبها لانكذب وان نكذب كنا
 حينئذ ظالمين بوضعنا التكذيب الذي لا ينبغي لنا موضع التصديق الذي كان من شأننا، وأما التكذيب السابق فكانه
 كان مقتضى ضلالنا ولم يكن ظلاماً [قَالَ اخْسَوْا فِيهَا] اخسأ كلمة تقال لرجل الكلب [وَلَا تَكْلُمُونَ] هاتان
 الكلمتان اظهرا لغاية التسخط عليهم وردع لهم عن ساحة حضوره ومحل خطابه [إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي
 يَقُولُونَ] حالاً وقالوا [رَبَّنَا أُمَتَّافَا غَفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ] يعني ان جماعة من عبادي
 وهم الذين تولوا علينا (ع) بالبيعة الخاصة توسلوا بي وتضرعوا علي والتجأوا إلى [فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًا]
 قرئ بضم السين وكسر ها [حَتَّىٰ أَنْسَوْكُمْ] يعني صاروا بسبب اشتغالكم باستهزائهم اسباباً لنسيانكم [ذِكْرِي]
 واسباباً لضلالكم لانكم كنتم ضالين بفطرتكم [وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضَحَكُونَ] وهؤلاء كانوا اوليائي وكان الاستهزاء
 بهم استهزاء بي فجزيتكم ذلك الجزاء واكرمتمهم غاية الاكرام [إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا] على استهزائكم
 وايدائكم [أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ] قرئ بفتح الهمزة مفعولاً لجزيتهم، وبكسر الهمزة مستأنفاً في مقام التعليل يعني
 جزيتهم احسن الجزاء بان جعلتهم مخصوصين بالفوز والنجاة، اوفائين بمراداتهم، اوفائين بكلمات الانسان
 ولذا نداء مطلقاً [قَالَ] اي قال الله او الملك الموكل بهم وقرئ قل: على ان يكون امراً للملك الموكل بهم [كَمْ
 لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ] اي حين الحياة الدنيا وفي ارض القبور بعد الموت [عَدَدَ سِنِينَ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضُ
 يَوْمٍ] فانهم لدعشتهم ووحشتهم استقلوا مدة لبثهم في الدنيا وفي القبور [فَاسْأَلِ الْعَادِينَ] اي الملائكة الموكلين
 بحفظ الاعوام والشهور والايام علينا يستشهدون الملائكة على صدق مقالهم او كانتهم يلتفتون انهم مخالطون متحيرون
 في تعيين الايام والشهور ويقولون: لا علم لنا بما نقول فاسأل الملائكة [قَالَ] الله او الملك وقرئ: قل مثل سابقه
 [إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا لَّاقِلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ] لما خالطتم او لفظة لوللتمنى [أَفَحَسِبْتُمْ] اي اما تأملت
 او اهلتم فحسبت [أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا] عبث كفرح لعب وكضرب خلط [وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ] وهذه
 الجملة مستأنفة جواب لسؤال مقدر بتقدير القول اي نقول: افحسبت انما خلقناكم من غير استكمال لكم ومن غير استبقاء
 فكذبتم واتبعتم أهواءكم وأعرضتم عن رسلنا وخلفائنا [فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ] الذي لا يشوبه باطل عن العبث

والفعل الذى لم يكن له غاية [لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ] فلا حاجة له الى من يعصده فيخلق خلقاً يعصده ثم يهلكهم من غير غاية [رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ] ومن كان رباً للعرش وهو جملة الموجودات لم يكن له حاجة الى المخلوق بل يخلقهم ليجود عليهم [وَمَنْ يَدْعُ] جملة حالية او معطوفة على لا اله الا هو [مَعَ اللَّهِ] الذى لا اله الا هو [إِلَهًا آخَرَ] من الاصنام والكواكب والظلمة واهريمن او من يدع مع على (ع) اماماً آخر [لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ] لان من يدعوا آلهاً له على آلهته برهان كمن يدعوا الانبياء والاولياء (ع) لظهور برهان صدقهم فى ادعائهم فهو موحد لا مشرك ومثاب لا معاقب ولكن الذى يدعوا آلهاً او اماماً لا برهان له على صدقه [فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ] كناية عن شدة العقاب وسوء الحساب [إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ] جواب لسؤال عن العلة كآئنه قال : فآئنه كافر ولا يفلح الكافرون [وَقُلْ] خطاب لمحمد (ص) او عام وعطف على مقدر كآئنه قال : تذكر او ذكر ما ذكرنا وتوسل بنا واسئلنا وقل [رَبِّ اغْفِرْ] مساوينا التى يلزمنا من الاشتغال بكثرات وجودنا والكثرات الخارجة من وجودنا من اتباع أهويتنا والنظر الى غيرك فى فعالنا [وَأَرْحَمَ] بعد التفضل بالمغفرة [وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ] جملة حالية وذكر له تعالى باتصافه بكمال مسؤله استرحاماً منه .

سُورَةُ النُّورِ

وهى مدنية كلها بخلاف وهى اربع وستون آية ، روى ان رسول الله (ص) قال :
لا تنزلوهن الغرف ولا تعلموهن الكتابة وعلموهن المغزل وسورة النور ، وعن
الصادق (ع) : حصنوا اموالكم وفروجكم بتلاوة سورة النور ، وحصنوا بهنساءكم
فان من أدمن قراءتها فى كل ليلة اوفى كل يوم لم يزن احد من بيته ابداً حتى يموت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[سُورَةُ] قد مضى فى أول الفاتحة بيان السورة وقرئ ههنا مرفوعاً مبتدئاً او خبراً لمحذوف او مبتدئاً و
[أَنْزَلْنَاهَا] خبره ومسوغ الابتداء به كون التنوين للتفخيم اول التنوين ، وقرئ بالنصب مفعولاً لمحذوف من
غير مادة الفعل المذكور ، او لمحذوف يفسره قوله انزلناها [وَفَرَضْنَاهَا] أى وقتناها وعيبتها او اوجبنا على الناس
ما فيها او فصلناها وميزناها وميزنا ما فيها من الاحكام او اعطيناها [وَأَنْزَلْنَاهَا فِي آيَاتٍ] تدوينية [بَيِّنَاتٍ] أى
بيّنات المعانى او ميّزات للمقاصد او احكام تكليفية فى صورة الكلمات والحروف ظاهرات المصالح [لَعَلَّكُمْ

تَذَكَّرُونَ] حكمها ومصلحتها فتعملون بها، ثم شرع في بيان الآيات فقال [الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي] أي منهما حكمهما أو الزَّانِيَةُ مبتدأ وقوله [فَاجْلِدُوا] خبره، ودخول الفاء بتقديم آما أو توهما لكون المقام للتفصيل أو لتضمن المبتدأ معنى الشرط لأنه بمعنى التي زنت، وقرئ بنصبهما بتقديم فعل ناصب لهما من مادة الفعل المتأخر أي اجلدوا أو من مادة أخرى أي اذكروا واحضروا الزَّانِيَةَ، وتقديم الزَّانِيَةَ مع أن الرجل أولى بالتقديم لأن الزَّانِيَةَ اقبح ولأن شأنها بفطرتها أن تنزع الرجال من نفسها فإذا مكنت الرجل منها كانت أولى بالعقاب ولذلك كان حدّها مساوياً لحدّه وقال تعالى فاجلدوا [كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ] مع أن شأنها في الحدود أن يخفف عليها بالنسبة إلى الرجال [وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا] متعلق بلا تأخذكم والباء للסיببة أو لآلة أو متعلق بقوله [رَأْفَةً] وتقديمه على المصدر لكونه ظرفاً [فِي دِينِ اللَّهِ] ظرف لغو متعلق باجلدوا أو بلا تأخذكم أو برأفة شبه دين الله بمكان مخصوص أو ظرف مستقر حال من فاعل اجلدوا أو من مفعوله وجعله حالاً من مفعوله يفيد أنهما لا يجلدان إذا لم يكونا في دين الله، أو حال من مفعول لا تأخذكم أو صفة لرأفة وفائدة التقييد به التنبيه على الخلوص من شوب الهوى [إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ] قيد للجلد أو لعدم أخذ الرأفة والشرط للتخييع [وَلَيْشَهِدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ] أي جماعة أقلها الثلاثة وقيل: أقلها الواحد، وقيل: أقلها ههنا أربعة لأن أقل ما ثبت به الزَّانِيَةُ شهادة الأربعة، وقيل: منوط عددهم برأي الإمام والمقصود من احضار طائفة في عذابهما تنكيلهما بالتفصيح علاوة على تنكيلهما بالعذاب ليكون تعذيباً شديداً لهما وعبرة لغيرهما، وهذه الآية في بيان حد الزَّانِيَيْنِ مجعلة، فإن الزَّانِيَيْنِ آما يكون كلاهما واحداً من أهل الذمّة أو يكونان مسلمين محصنين أو غير محصنين، بكرين أو غير بكرين، حرين أو عبيدين، ولكلٍ حكمٌ وهذا حكم الحرّين المسلمين الغير المحصنين الغير البكرين، روى أن عمر أتى بخمسة نفر أخذوا في الزَّانِيَةِ فامر أن يقام على كل واحد منهم الحد، وكان أمير المؤمنين (ع) حاضراً فقال: يا عمر ليس هذا حكمهم، قال: فأقم أنت الحد عليهم فقدم واحد منهم فضرب عنقه، وقدم الآخر فرجمه، وقدم الثالث فضربه الحد، وقدم الرابع فضربه نصف الحد، وقدم الخامس فعزّره؛ فتحير عمر وتعجب الناس من فعله، فقال له عمر: يا أبا الحسن خمسة في قضية واحدة أقمت عليهم خمسة حدود وليس شيء منها يشبه الآخر؟! فقال أمير المؤمنين (ع): آما الأول فكان ذمياً فخرج عن ذمته ولم يكن له حدّ ألا السيف، وآما الثاني فرجل محصن حدّه الرجم، وآما الثالث فغير محصن حدّه الجلد، وآما الرابع فعبد ضربناه نصف الحد، وآما الخامس فمجنون مغلوب على عقله، ونقل ستة نفر وقال: وأطلق السادس ثم قال: وآما الخامس فكان منه ذلك الفعل بالشبهة فعزّرناه وأدبناه، وآما السادس فمجنون مغلوب على عقله سقط منه التكليف، وتفصيل الزَّانِيَيْنِ وحكمهما يطلب من الكتب الفقهية [الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ] قدم الزَّانِي ههنا لأن المقام لبيان حكمهما والرجل مقدّم على المرأة وأولى بالحكم منها، قيل: هورّد على من يستحل التمتع بالزَّواني والتزويج بهن وهن المشهورات المعروفات في الدنيا لا يقدر الرجل على تحصينهن، وفي الخبر عن الصادق (ع): هن نساء مشهورات بالزَّنا ورجال مشهورون بالزَّنا شهروا به وعرفوا به والناس اليوم بتلك المترلة فمن أقيم عليه حدّ الزَّنا أو شهر بالزَّنا لم ينبغ لاحد أن يناكحه حتى يعرف منه التوبة، وفي خبر آخر أنما ذلك في الجهر ولو أن انساناً زنى ثم تاب تزوّج حيث شاء، وفي خبر: لم يسم الله الزَّانِي مؤمناً ولا الزَّانِيَةُ مؤمنة وذلك لأنه تعالى جعلهما في قبالة المؤمنين وقرنين للمشرك والمشركة، فعلى ما ذكر في الاخبار كانت الآية نهياً في صورة الاخبار وهو أكد من الاثبات بصورة النهي وهو كتابة عن نهى المؤمن

والمؤمنة عن نكاح الزانية والزاني والمشرقة والمشرقة فان الاخبار عن الزاني والزانية بانحصار نكاحهما فيهم يدل على ان عنوان الزنا يقتضي حصر نكاحهما فيهم فكل عفيف وعفيفة رضى بنكاحهما منهم كان بمنزلة الزاني والزانية، والعفيف والعفيفة لا يرضيان بجعلهما بمنزلة الزاني والزانية فلا ينكحان من الزاني والزانية والمشرقة والمشرقة ولذا صرح بهذا المكنى وقال [وَحُرْمٌ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ] يعنى المؤمنين والمؤمنات لكنه اكتفى بالمؤمنين تغليبا، وقيل: ان المعنى ان الذى زنى لا يجمع فى حال الزنا الا التى كانت شريكة له فى الزنا او كانت مشركة وهى اسوء من الزانية يعنى المرأة شريكة له فى الزنا او كانت اسوء حالا من الزنا، وقيل: هذا الحكم كان ثابتا لكل زان وزانية وكان نكاح غير الموصوف بالزنا حراما عليهما سواء كانا مشهورين به ام لا، ثم نسخ هذا الحكم بقوله تعالى: وانكحوا الايامى منكم (الآية) او المعنى على الاخبار والمقصود ان الزاني لا يرغب ولا يعقد الا على الزانية لعدم التسخية بينه وبين الصالحات فيكون الاخبار عن الكل باعتبار الغالب [وَالَّذِينَ يَرْمُونَ] لمّا يتن حكم الزاني والزانية وحدهما وغلظ عليهما اراد ان يبين ان نسبة الفاحشة الى العباد امر عظيم مستحق قائلها للعذاب مثل عذاب الزاني والزانية غاية الامر ان عذابه دون مرتبة عذابهما بدرجة وان يبين ان اثبات الفاحشة للعباد ليس مثل اثبات سائر الحقوق يكفى فيها بيستين حتى لا يجزأ الناس على نسبة الزنا الى العباد فقال: والذين يرمون [الْمُحْصَنَاتِ] الثلاثى احصن فوجهن بالعفاف والاسلام والحرية والبلوغ والعقل فان المراد بالاحصان ههنا هذه [ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِرَبْعَةٍ شُهَدَاءَ فَاجْلَدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً] هذه الآية مجملة كالكثير الآيات فان ظاهرها اختصاص الرامين بالرجال والمرمى بالنساء والحال انه لا فرق فى الرامى والمرمى بين الرجل والمرأة، والعبد والحر، والمحصن وغير المحصن، والبكر وغير البكر، ولا يبين ان يكون الرمى فى حضور المرمى او فى غيابه بالاخلاف فى اكثر المذكورات، ولا يبين كون الرمى بالصراحة او بالكناية الغير المحتملة غيرها ولكن ينبغى ان يكون الرامى عارفا بمعنى الكلمة فلو قال: انت تزنى او ابوك زنى بك او يا ابن الفاعلة او انت المفعول وانت تعمل عمل قوم لوط، اولست من ابيك، او امى ما زنت فى مقام لا يحتمل سوى التعريض، او انالست من الزنا تعريضا بالغير فى مقام لا يحتمل غير التعريض، او قال فى مقام السب ما صريحه الرمى مع قصد الرمى مثلا امرأتك الفاعلة او مثل النسبة الى الذبائة مع قصد الرمى كان رميا ولو لم يقصد بلفظة الرمى، اولم يكن صريحة الرمى مثل ان يقول: ولدت من الحرام فانه مشترك بين الرمى والتوليد من الغذاء الحرام والانعقاد حال الحيض لم يكن رميا، نعم لو قال امثال ذلك فى حضور المسلم كانت هتكا لحرمة وكان قائلها مستحقا للتعزير، ولما جعل تعالى حكم زنا المحصنين وحكم اللواط والسحق القتل اعتبر فى اثباتها اربع رجال من دون اعتبار النساء عوضهم منفردات او منضمات ليكون اثباتها صعبا وجعل على من نسب هذه الى احد من دون الاثبات اربعة رجال حدا حتى لا يجترأ احد على نسبة هذه الى الناس ولوراهم عليها لا يجترأ على ابرازها لتلافتضح المسلمون من غير جرم او ليتوب المجرم ولا يفتضح ولا يزهق روحه بجرم يمكن ان يتوب عنه ويعبد الله بعده، ولتلافتري العامة على الخاصة، ولتلا يجترؤا على الاظهار اذا راوهم على المتعة فان الله قد علم انهم سينكرونها يأخذون عليها فجعل الشاهد للزنا اربعة رجال فقط لتلا يجترأ من رأى احدهم على التمتع بالمتعة على الاظهار فانه قلما يتفق اطلاق اربعة رجال على الوطى ولو كان حلالا، روى عن الصادق (ع) انه سئل لم جعل فى الزنا اربعة شهود وفى القتل شاهدان؟ فقال: ان الله احل لكم المتعة وعلم انها ستنكر عليكم فجعل الاربعة الشهود احتياطاً لكم لولا ذلك لانى عليكم، وقلما تجتمع اربعة شهادة بامر واحد، وفى رواية قال (ع): الزنا فيه حدان ولا يجوز ان يشهد

كلّ اثنين على واحد لان الرجل والمرأة جميعاً عليهما الحدّ ، والقتل انما يقام الحدّ على القاتل ويدفع عن المقتول [وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ] عطف فيه معنى التعليل ، نسب الى الباقر (ع) انه نزل بالمدينة والذين يرمون المحصنات قال فبرأ الله المفترى ما كان مقيماً على الفرية من ان يسمى بالايمان قال الله عز وجل افعن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستون ، وجعله الله منافقاً فقال الله : ان المنافقين هم الفاسقون ، وجعله الله من اولياء ابليس قال : الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربّه ، وجعله ملعوناً فقال : ان الذين يرمون المحصنات الفافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والاخرة [إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ] روى ان الصادق (ع) سئل : كيف تعرف توبته ؟ - فقال : يكذب نفسه على رؤس الخلائق حين يضرب ويستغفر ربّه ، فاذا فعل ذلك فقد ظهرت توبته ، وفي خبر عن الصادق (ع) القاذف يجلد ثمانين جلدة ولا تقبل له شهادة ابداً الا بعد التوبة ، او يكذب نفسه وان شهد ثلاثة وابي واحدي جلد الثلاثة ولا تقبل شهادتهم حتى يقول اربعة رأينا مثل الميل في المكحلة ، ومن شهد على نفسه انه زنى لم يقبل شهادته حتى يعيد اربع مرات كل مرة بازاء شاهد ، وعلى هذا يكون قوله : الا الذين تابوا استثناء من قوله : لا تقبلوا لهم شهادة ابداً ، او من قوله : اولئك هم الفاسقون ، ويجوز ان يكون المراد بالتوبة التوبة الخاصة الجارية على ايدي خلفاء الله فانه اذا حصل هذه التوبة جبت جميع ما سلف ، وعلى هذا يجوز ان يكون الاستثناء من قوله فاجلدوهم ثمانين جلدة ، والمراد بالاصلاح بعد التوبة والرمي اصلاح نفوسهم بالاعمال الصالحة او استرضاء المرمى وتكذيب نفسه عند من رمى عنده وهتك حرمة المرمى في حضوره ، او تسليم نفسه لاجراء الحد من دون ان يجد في قلبه خرجاً مما قضى عليه [وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ] لما ذكر حكم كذب الاجنبية اراد ان يبين حكم رمي الازواج حتى لا يتهّم ان رمى الازواج كرمي الاجنبية [وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ] في الاتيان بهذا الاستثناء اشعار بان الرمي قد يكون عن ظن وتخمين وحس ، وقد يكون عن شهود وعيان ، وهذا الحكم لمن شهد لا لمن حدس [فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ] مكان اربع شهود ، قرئ اربع شهادات بالنصب مفعولاً مطلقاً وحيث ان يكون شهادة احدهم مبتدأ محذوف الخبر اى واجبة او عليهم او خبراً محذوف المبتدأ اى الواجب او المعتبر او حكم الله شهادة احدهم ، وقرئ بالرفع وحيث ان يكون شهادة احدهم مبتدأ واربع شهادات خبره ، او يكون شهادة احدهم على الوجوه السابقة واربع شهادات بدلا منه والمراد من احدهم واحد لا على التعيين حتى يفيد العموم البدلي اى شهادة كل واحد منهم اربع شهادات [يَا لِلّٰهِ] متعلق بشهادات او بشهادة احدهم او متنازع فيه [إِنَّهُ لَمِنَ الصّٰدِقِينَ] اى فيما رماها والجملة مفعول لشهادة احدهم او لشهادات والعامل متعلق عنها اوى خبر عن الشهادة ووجه جواز حملها على الشهادة لكون الشهادة في معنى القول او مستأنفة جواب لسؤال مقدّر كأنه قيل : ما يقول او ما يشهد ؟ - فقال : يقول : انه لمن الصادقين [وَالْخَامِسَةُ] اى الشهادة الخامسة [أَنْ لَّعْنَةُ اللّٰهِ] قرئ بتخفيف نون ان ورفع لعنة الله وتشديد نون ان ونصب لعنة الله [عَلَيْهِ] ان كان من الكاذبين وهذا لعان الرجل وحكمه سقوط حد القذف عنه ولزوم الفرقه بينه وبينها [وَيَذَرُوهَا الْعَذَابُ] اى عذاب الرجم [أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللّٰهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَٰذِبِينَ] فيما رماها به [وَالْخَامِسَةَ] قرئ برفع الخامسة مبتدأ وينصبها عطفاً على اربع شهادات بالنصب [أَنْ غَضَبَ اللّٰهُ] قرئ بتخفيف التثنية وغضب

فعلاً ماضياً وبالتخفيف وغضب الله مصدراً مرفوعاً ، وقرئ بتشديد النون وغضب الله مصدراً منصوباً [عَلَيْهَا] إِنَّ
كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ] فيما رواها به ، عن الصادق (ع) في جواب من سأله عن هذه الآية أنه القاذف الذي يقذف
امرأته فإذا قذفها ثم أقر أنه كذب عليها جلد الحدة وردت إليه امرأته وإن أبى ألا أن يمضي فليشهد عليها أربع شهادات
بأنه أنه لمن الصادقين ، والخامسة يلعن فيها نفسه إن كان من الكاذبين ، وإن أرادت أن تدرأ عن نفسها العذاب والعذاب
هو الرجم شهدت أربع شهادات بالله أنه لمن الكاذبين ، والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين ، فإن لم تفعل
رجمت وإن فعلت درأت عن نفسها الحدة ثم لا تحل له إلى يوم القيامة ، قيل : رأيت أن فرّق بينهما ولها ولد فأت؟
قال : ترثه أمه وإن ماتت أمه ورثه أخواله ، ومن قال : أنه ولد زنا جلد الحدة ، قيل : يرد إليه الولد إذا أقر به ؟ قال :
لا ولا كرامة ولا يرث الابن ويرثه الابن ، وفي خبر : أن الآية نزلت في رجل من المسلمين جاء إلى رسول الله (ص) وأدعى
أنه رأى رجلاً مع امرأته ، وفي خبر أن عويم بن ساعدة العجلاني رأى ذلك وجاء إلى رسول الله (ص) وتلاعنا ، وفي
خبر أن هلال بن أمية قذف زوجته بشريك بن السمحاء ، وعن الصادق (ع) إذا قذف الرجل امرأته فأنه لا يلا عنها
حتى يقول رأيت بين رجلها رجلاً يزني بها ، وعن الباقر (ع) يجلس الإمام مستدير القبلة فيقيمهما بين يديه مستقبلاً
القبلة بخداه ويبدأ بالرجل ثم المرأة وإذا شهد مرتين أو ثلاث مرات ونكل جلد الحدة ، ولا يفرق بينه وبين امرأته ،
واشير في الخبر إلى أنه لما جعل الله للزوج مدخلاً لم يجعله لغيره جعل الله شهادته أربع شهادات بالله مكان أربع شهود
بخلاف غيره من أب وولد وأخ وغيره ، ولو قال غيره ذلك قيل له : وما أدخلك المدخل الذي ترى هذا فيه وحدك
انت منهم [وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ] قد مضى مكرراً أن المراد بالفضل الرسالة وأحكامها والرسول ،
وبالرحمة الولاية وآثارها وعلى (ع) [وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ] ولفضحكم أو عاجلكم بالعقوبة حذف الجواب
تفخيماً للعقوبة كأنها لا يمكن أن تجري على اللسان وليذهب ذهن السامع كل مذهب ممكن ، ولأنه تعالى جرى
على طريقة مخاطبات العرف فإن الغضوب إذا اشتد غضبه غاية الاشتداد لا يفي شدة غضبه باطالة الكلام وانمام الخطاب
فيحذف منه بعضه وإن كان أصل الغضب يقتضي اطالة الكلام وتغليظه [إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالْإِفْكِ] افك كضرب
وعلم افكاً بالكسر والفتح والتحريك كذب كافتك بالتشديد وافكه عنه كضرب صرفه وقلبه أو قلب رأيه [عُصْبَةٌ]
أي جماعة [مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ] التفسير للافك أو الاتيان بالافك المستفاد من جاؤا بالافك [بَلْ هُوَ
خَيْرٌ لَكُمْ] لأن افكهم لا يورث ضرراً عليكم بل ينفعكم لأنه يكون كفارة لذنوبكم وتخفيفاً لاثقالكم [لِكُلِّ
أَمْرٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ] فإن من هؤلاء العصبة من يقول افتراء مع علم بأنه افتراء ، ومنهم من يقوله
ظناً وتخميناً ، ومنهم من يقول تقليداً ، ومنهم من يستمع ، ومنهم من يسمع ، ولكل منهم قدر ما اكتسب من الإثم
[وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ] معظم الإثم كعبد الله بن أبي سلول فإنه كان رأس اصحاب الافك كانوا يجتمعون عنده
وكان يحدث الناس بحديث الافك ويشيع ذلك بين الناس ويقول باتت امرأة نبيكم مع رجل حتى أصبحت ثم
جاء يقودها والله ما نجت منه ومانجا منها ، وقيل : المراد مسطح بن اثاثه ، وقيل : حسان بن ثابت ، أو المعنى الذي
تولّى كبريائه وتأنف عن انقياد الرسول (ص) وتوقيره [مِنْهُمْ] أي من هؤلاء العصبة [لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ] قد نقل
في تفاسير الخاصة والعامة أن الآيات نزلت في عائشة ، وسبب نزولها أن الرسول (ص) خرج بها في غزوة بني المصطلق
وكان الرسول (ص) إذا أراد أن يخرج باحداهن في غزوة أقرع بينهما وبعد ما رجع من تلك الغزوة ودنى من المدينة
قامت عائشة حين اذنوا بالرحيل ومشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضت شأنها أقبلت إلى الرجل فلمست صدرها

فلم تجد عقدها فرجعت في التماسها عقدها فحبسها ابتغاؤه واقبل الرهط الذين يحملون هودجها فحملوا هودجها ظناً منهم: أنها فيه ووجدت عقدها، ورجعت فلم يجد في المعسكر داعياً ولا مجيئاً فبقيت في المنزل الذي كانت فيه ظناً منها أن القوم سيفقدونها، وكان صفوان بن المعطل السلمي جاء من وراء الجيش فأصبح عند منزلها فعرها فأناخ راحلته فركبتها فقادها حتى اتيا الجيش، فقال المنافقون ما قالوا في حقها، فأنزل الله تلك الآيات لئلا يثربها، ونقل عن الخاصة أنها نزلت في مارية القبطية ومارتها به عائشة، وروى عن الباقر (ع) أنه قال لما هلك ابراهيم بن رسول الله (ص) حزن عليه رسول الله (ص) حزناً شديداً فقالت له عائشة ما الذي يحزنك عليه فما هو إلا ابن جريح فبعث رسول الله (ص) علياً (ع) وأمره بقتله فذهب علي (ع) ومعه السيف وكان جريح القبطي في حائط فضرب علي (ع) باب البستان فأقبل اليه جريح ليفتح له الباب فلما رأى علياً (ع) عرف في وجهه الغضب فأدبر راجعاً ولم يفتح باب البستان فوثب علي (ع) على الحائط ونزل الى البستان واتبعه وولى جريح مدبراً، فلما خشى أن يرهقه صعد في نخلة وصعد علي (ع) في أثره فلما دنى منه رمى بنفسه من فوق النخلة، فبدت عورته فاذا ليس له مال للرجال ولا له ماله للنساء، فانصرف علي (ع) الى النبي (ص) فقال له يا رسول الله اذا بعثتني في الامراكون فيه كالسمار المحمي في الوبر امضي على ذلك ام اثبت؟ قال: لا بل تثبت، قال: والذي بعثك بالحق ماله مال للرجال وماله ماله للنساء فقال: الحمد لله الذي صرف عنا السوء اهل البيت، وروى حكاية رمى المارية بنحو آخر [لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا] عدل عن الخطاب الى الغيبة اشعاراً بأن الايمان يقتضي ظن الخير بالمؤمن فان الايمان الذي بمعنى الاسلام يقتضي التسليم وعدم الاستبداد بالرأى وعدم التفوق بما يقتضيه الهوى وظن التسليم والانقياد بالمؤمنين ومع ظن التسليم بالمؤمن لا يبقى ظن اتباع الهوى والفاحشة به، وقدم الظرف لان المقصود التوبيخ على عدم ظن الخير حين سماع الافك والتحضيض على ظن الخير حينئذ، ولا فني غير زمان الافك يكون ظن الخير مسلماً مفروغاً عنه، والمراد من المؤمنين والمؤمنات صفوان وعائشة ومارية وجريح، او المراد جملة المؤمنين والمراد من انفسهم من ذكر لكانته اذ اهم بقوله بانفسهم للاشعار بان المؤمنين ينبغي ان يكون كل بمنزلة نفس الآخر [وَقَالُوا] عطف على ظن المؤمنون [هَذَا أَفْكٌ مُّبِينٌ لَوْلَا جَاؤُا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشَّهَدَاءِ فَلَوْلِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمْ الْكَاذِبُونَ] وهذا من جملة مقول القول او ابتداء كلام من الله وشارة الى ان المدعى اذا لم يكن عليه البيينة المعتبرة فيه مكذب عند الله ويترتب عليه حكم الكذب [وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ] كرر هذه الكلمة لان الاول في رمي الزوج وهذا في قضية خاصة هي رمي مارية او عائشة [لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَفْضَيْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ] ذكر الجواب ههنا جرياً على اقتضاء الغضب التطويل والتغليظ وتصريحاً بعظم العذاب وبأن سبب هذا الغضب وتغليظ العذاب هو الخوض في هذا الافك [إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ] يعني لا بقلوبكم يعني تدبرونه بينكم من غير تحقيق له كأن الستكم تأخذوه وتقبل ما يليقه غيركم من غير اطلاع ذواتكم وقلوبكم يقال تلقى القول بمعنى قبله، وقرئ: تتلقونه بالتأئين على الاصل وتلقونه بالتخفيف من لقيه بمعنى كذب، وتألقونه من التلق بمعنى كذب، وتلقونه من المضارعة من هذه المادة وتلقونه من القاه، وتلقونه من ولق بمعنى كذب، وتألقونه من التلق بمعنى كذب، وتلقونه من ثقف اذا طلب ووجد، وتلقونه من وقف بمعنى تبع [وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ] من غير اطلاع قلوبكم واعتقادها [مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا] سهلاً لا اثم فيه ولا تبعه له [وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ] .

اعلم، ان الأزمان متشابهة واهل كل زمان حالهم تشابه حال اهل الزمان السالف والآتي فان اهل الازمنة السالفة على ما وصل اليها من سيرهم كانوا مثل اهل هذا الزمان ، كانوا يتحلون الدين لاغراض نفسانية لا لغايات انسانية وكانوا يفتابون ويتهمون من كان داخل في الدين مثلهم وكانوا يتجسسون عوراتهم ويعيبون عليهم ويلمزون بعضهم بعضاً باللقاب ويسرون بظهور سوءات اخوانهم ، ويساقون بظهور محاسنهم ، وكل ذلك كان منافياً للدين بل مناقضاً للغايات المقصودة من التدبين [وَلَوْ لَا اِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ] ما يصح [لَنَا اَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ] لولا قلتم سبحانك تعجباً من الجرة على مثل هذا القول او تنزيهاً لله من ان يكون حرم نبيه (ص) فاجرة لان في فجورها كراهة الناس له وكرهتهم ينافي دعوته [هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ] في نفسه فان نسبة الفجور اعظم بهتان ، وبالنسبة الى المبهوت عليه فانها حرم الرسول (ص) [يَعْظُمُكُمْ اللَّهُ] ينصحكم ويطلب الخير لكم [اَنْ تَعُودُوا] لتلا تعودوا ، او كراهة ان تعودوا ، اوفى ان تعودوا ، او يمنعكم بالوعظ من ان تعودوا [لِيَمِثِلْهُ اَبَدًا] ما دمت في الدنيا [اِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ] شرط للتسهيل لان الايمان يقتضى عدم التفوق بمثله في حق من كان في دينه [وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ] اى علامات الاحكام وآثارها او الآيات التدوينية الدالة على الاحكام التكليفية القالبيّة والقلبيّة [وَاللَّهُ عَلِيمٌ] يعلم ما يبغي وما لا يبغي لكم وما يترتب على افعالكم [حَكِيمٌ] لا يشرع لكم حكماً ولا يمنعكم من امر الا لحكمة مقتضية ذلك [اِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ اَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ] الفاحشة الزنا او ما يشند قبحه ، او كل ما نهى الله عز وجل عنه [فِي الَّذِينَ اٰمَنُوا] متعلق بتشيع والمعنى الذين يحبون ان تكثر الزنا او سائر الفواحش في الذين آمنوا ، او الذين يحبون ان يكثر ذكر الفاحشة في الذين آمنوا ، او ظرف مستقر حال من الفاحشة ، والمعنى ان الذين يحبون ان تظهر الفاحشة الثابتة في المؤمنين ويكثر ذكرها [لَهُمْ عَذَابٌ اَلِيمٌ] في الدنيا [بالحد المقرر له في الشريعة او بالعذاب عند الاحتضار او بالخوف من الافتضاح او باستباحاش المؤمنين منهم] [وَالْآخِرَةُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ] ان لهم عذاباً في الدنيا والآخرة ولذا يمنعكم عن العود [وَاَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ] ولذا تحبّون ولا تخافون والجملة معطوفة على جملة ان الذين يحبون ، او على اسم ان وخبرها وكلتاها في مقام التعليل لقوله يعظكم الله او جملة الله يعلم حالية مفيدة للتعليل ، وعن الصادق (ع) انه قال : من قال في المؤمن ما رآته عيناه وسمعتة أذناه فهو من الذين قال الله عز وجل : ان الذين يحبون (الآية) وعن الكاظم (ع) انه قيل له : الرجل من اخواني بلغني عنه الشيء الذي اكرهه فأسأله عنه فينكر ذلك وقد أخبرني عنه قوم ثقة؟ فقال : كذب سمعك وبصرك عن اخيكت وان شهد عندك خمسون قسامة وقال لك قولاً فصدقه وكذبهم ولا تدعين عليه شيئاً تشينه به وتهدم به مروته فتكون من الذين قال الله تعالى : ان الذين يحبون (الآية) وعن رسول الله (ص) من اذاع فاحشة كان كميثديها [وَلَوْ لَا فَضَّلُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَاَنَّ اللَّهَ رَوْفٌ رَحِيمٌ] تكرر هذه الكلمة اشارة الى نهاية قبح هذا القول وشدة الغضب لاجله ونهاية قبح حب شياع الفاحشة في المؤمنين ، وحذف الجواب ههنا للاشعار بشدة القبح وشدة الغضب على حب شياع الفاحشة [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا] ناداهم اظهاراً للطف بهم وترغيباً لهم في استماع خطابه [لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ] في اشاعة الفاحشة ورمي البريء وغير البريء وقد مضى في سورة البقرة عند قوله لا تتبعوا خطوات الشيطان تحقيق الخطوات [وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ] يضل وبشقى [فَاِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ] البالغة في القبح [وَالْمُنْكَرِ]

مالا يعرفه العقل والعرف حسناً وهو مالا يكون بالغاً في القبح [وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا] زكى يزكو زكاه نما كما زكى وزكى الرجل صلح وتنعم وصفا من الكدورات [وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ] باستعداد من قبله بسبب قوله أو فعله [وَاللَّهُ سَمِيعٌ] لأقواله المقالية والحالية [عَلَيْهِمْ] بأفعاله وأحواله ونياته واستعداداته المكمونة الغير الظاهرة عليه وعلى غيره [وَلَا يَأْتَلِي] إلا الوا كالضرب والوا كالعود والياء كالضى وائتلى قصر وأبطأ وتكبر وآلى وائتلى حلف، وقيل فى نزول الآية: أنه آلى جماعة من الصحابة على أن لا يتصدقوا على رجل تكلم بشيء من الإفك ولا يواسوهم، وقيل: نزلت الآية فى أبى بكر ومسطح بن اثانة وكان ابن خالة أبى بكر وكان من المهاجرين ومن البدرين وكان فقيراً ويتحمل نفقته أبو بكر وكان من رؤساء أصحاب الإفك فلما خاض فى الإفك قطع عنه وحلف أن لا ينفعه بنفع فلما نزل: [وَلَا يَأْتَلِي] [أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ] عاد إلى مواسلته والمراد بالفضل هو السعة التى تفضل عما يحتاج إليه الإنسان فى انفاقه، والسعة أعم منه ومما كان بقدر حاجة الانفاق بنحو السعة، أو أحدهما مخصوص بالمال والآخر بسعة القلب من حيث العلم والأخلاق [أَنْ يُؤْتُوا] كراهة أن يؤتوا أو على أن لا يؤتوا، أو فى أن يؤتوا؛ وهذا على أن يكون لا يأتلى بمعنى لا يحلف وإن كان بمعنى لا يقصر فهو بتقدير فى أى لا يقصر أولوا الفضل منكم فى أن يؤتوا [أُولَى الْقُرْبَى] أى أولى قرباهم أو أولى قريى الرسول (ص). [وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا] قرئ أن تؤتوا وهذا بالغبية والخطاب وقد مضى مكرراً أن العفو عبارة عن ترك الانتقام سواء كان قريباً لحقد القلب على المسيء أو لم يكن، والصفح عبارة عن تطهير القلب عن الحقد عليه لكنهما كالفقراء والمساكين إذا افترقا اجتماعاً وإذا اجتمعا افترقا، والآية إشارة إلى كيفية حسن العمل مع المسيء خصوصاً على ما نقل من سبب نزولها فكانت قال: وليعفوا عن المسيء وليصفحوا ولا يأتلى أولوا الفضل فى الإحسان إليه إذا كان أهلاً للإحسان [أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ] ترغيب فى المراتب المذكورة بأحسن وجه يعنى أن الله يغفر للمسيء ومن أراد أن يغفر الله له فليشاكل الله فى العفو عن المسيء فإن المشاكل لله يغفر الله له لا محالة [وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ] يغفر لمن يغفر عن المسيء ويرحم من يحسن إلى المسيء [إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصِنَاتِ الْغَافِلَاتِ] مما قد فن به [الْمُؤْمِنَاتِ لَعْنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ] كرهه لأن الأول لبيان العقوبة الصورية والحدود الدنيوية وهذا لبيان العقوبة الآخروية والحدود الباطنية وللتنبية على عظم الذنب [يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ] قرئ بالناء والياء [أَلَسِنْتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ يَوْمَ تَشْهَدُ يَوْمَ تَشْهَدُ اللَّهُ دِينَهُمْ] أى جزاءهم [الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ] روى أنه ليست تشهد الجوارح على مؤمن إنما تشهد على من حقت عليه كلمة العذاب [الْخَبِيثَاتِ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتِ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ] المراد بالخبيثات والطيبات الأقوال الخبيثة والطيبة بقرينة ذكرها عقيب الإفك، أو الأعمال الخبيثة والطيبة سواء كانت من سنخ الأفعال والأقوال، أو العلوم والأخلاق والأحوال، أو المراد بها النساء الخبيثات والطيبات بقرينة ذكرها عقيب إفك عائشة أو مارية، أو المراد مطلقاً ما تسمى بالخبيثات والطيبات سواء كانت من سنخ الأقوال والأوصاف، أو من سنخ الذوات من المطاعم والمشروبات والملبوسات والمنظورات والمسكونات والمنكوحات، وعلى تعميم الخبيثات ينبغى تعميم الخبيثين للرجال والنساء بطريق التقلب،

وعن الحسن المجتبى (ع) أنه قال بعدما حاج معاوية واصحابه وقام من مجلسه: الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات هم والله يا معاوية انت وأصحابك هؤلاء وشيعتك، والطيبات للطيبين الى آخر الآية هم على بن ابي طالب واصحابه وشيعته [أولئك] يعنى صفوان وعائشة وجرير ومارية وامثالهما والطيبون والطيبات [مبرؤن مما يقولون] فيهم من الافك او مما يقوله الخبيثون يعنى من ان يقولوا مثل قولهم [لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ] لطيبوتهم وطيبوبة هذين [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا] مسكونة [غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا] استأنس ذهب توحشه، واستأنسه استأذنه، واستأنس استعلم واستأنس طلب الانس اى الانسان، وقيل لرسول الله (ص): يا رسول الله ما الاستيناس؟ قال: يتكلم الرجل بالتسبيحة والتحميدة والتكبيره ويتنحى على اهل البيت، وهذا يناسب الاستيناس مقابل الاستبحاش والاستعلام، وقيل: اطلع رجل فى حجرة من حجر رسول الله، فقال رسول الله (ص) ومعه مدري يحكك به رأسه لو أعلم انك تنظر لطمعت به فى عينيك انما الاستيناس من النظر [وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا] بيان للاستيناس على بعض معانيه وحكم آخر على بعض آخر [ذَلِكُمْ] الاستيناس او الدخول بالاستيناس [خَيْرٌ لَّكُمْ] وقلنا لكم ذلك اوانزلنا عليكم هذا الحكم [لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ] مصالحه [فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا] لانه قد يودى جد فى بيوت غيركم ما لا يجوز لكم الاطلاع عليه وما يكره صاحب البيت اطلاع الغير عليه [حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا] ولا تلجؤا ولا تكررؤا فانه قد يكون صاحب البيت بحال لا يجوز للغير الاطلاع عليه [هُوَ أَزْكَى لَكُمْ] انى لكم او اصفى او انفع لكم [وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ] فان ترجعوا عن طيب نفوسكم يعلمه الله ويجازكم به [لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ] جواب لسؤال مقدر [أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مُسْكُونَةٍ] من غير استيناس وتسليم [فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ] اى تمتع واستمتع، فى الخبر انها الحمائم والخانات والارحية وامثالها، وقيل: المراد الخبرة بدخل الانسان فيها لقضاء حاجة، وقيل: المراد بيوت التجار والصناع التى يفتح ابوابها المعاملة الناس، وقيل: انها منازل المسافرين، والحق انه اذا اريد بالمتاع التمتع كان المراد بالبيوت مطلق البيوت التى يكون اذن عام من الشارع او من مالكيها فى الدخول فيها، وان كان المراد بالمتاع الاجناس التى يمتنع بها كان المراد مطلق البيوت التى يكون فيها امتنعكم سواء كانت البيوت مملوكة لكم غير مسكونة لكم ولغيركم، او مملوكة لغيركم غير مسكونة لكم ولغيركم [وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ] من الافعال والاحوال والاخلاق والنيات والاستعدادات التى لم تشعروا بها بعد فيعلم دخولكم فى بيوت غيركم ونياتكم فى دخولكم فلا تدخلوا من غير استيناس حتى يتهمكم غيركم بالفاحشة او قصدها ولا يقع انظاركم على ما لا يجوز النظر اليه من حريم صاحبي البيوت فيريكم ولا تقدرؤا على منع نفوسكم من الفاحشة، وهذا تحذير مما يجعل الانسان معرضاً للتهمة ومما يريه فانه لما شدد على الزانى والزانية وغلظ على من رمى غيره بالفاحشة، حذر المؤمنين عن مواقع الريبة ومواقع التهمة حتى لا يقعوا فى الريبة والفاحشة ويستحقوا عقوبة الفاحشة ولا يوقع الناس فى سوء الظن ورمى الفاحشة فيستحقوا عقوبة المفترين، كما انه حذرهم بالآية الآتية عما يريهم او يرب غيرهم من النظر الى فروج غيرهم او من ان ينظر الى فروجهم وحذر النساء من ذلك ومن ابداء زينتهن لمن لا يجوز له النظر بالريبة فقال: [قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ] قد مضى مكرراً انه تعالى ما يأتى بالمقول فى امثاله للاشعار بان قوله (ص) لقوة نفسه يؤثر فيهم بحيث يصير سبباً لما يذكر بعده من غير اعتبار المقول فى جزم الجواب، وغض طرفه غضاضاً بالكسر وغضاً وغضاضاً وغضاضة بفتحهن تحفظه وتحمل المكروه، وغض من بصره نقص منه ووضع من قدره، وقيل: من هنا زائدة والمعنى يحفظوا

ابصارهم وانظارهم من النظر الى ما لا يحل لهم النظر اليه ، او من النظر الى ما لا ينبغي لهم النظر اليه سواء كان عدم استحقاق النظر من باب الحرمة او من باب الكراهة او من النظر الى ما سوى الله وآياته كما يجيء [وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ] من ان ينظر اليها من لا يحل له النظر اليها كما في الخبر ، او من مطلق النظر اليها سواء كان الناظر من انفسهم او غيرهم حلالاً كان النظر او غير حلال على ان يكون النظر الى الفروج مكرهاً ممن يحل له النظر اليها كنظر صاحب الفروج ونظر الأزواج الى عوراتهم ويكون الامر المقدر اعم من الوجوب والاستحباب ، او يحفظوا فروجهم من الوطى الغير الحلال او يحفظوا فروجهم من الوطى الغير الحلال ومن النظر الغير الحلال ، او يحفظوا فروجهم من النظر والوطى مطلقاً على ان يكون الحكم للبايعين البيعة الخاصة الولوية ويكون الوطى والنظر الى الفروج وكون الفروج منظوراً اليها ممنوعاً في حقهم ، فان السالك الى الله حكمه حكم المحرم ما لم يتم سلوكه ولم يحل من احرامه للحج الحقيقي فلم يحل لرجالهم التمتع بالنساء وبسائر ملاذ النفس ولا لنسائهم التمتع بالرجال وبسائر ملاذ النفس بل لا يجوز لهم الالتفات الى ما سوى الله وما سوى مقصدهم [ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ] اطهر لهم واصلح او انسى لانه ابعد من الريبة والاشتغال بملأهى النفس [إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ] من النظر وترك النظر فيجازيهم بحسبه [وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ] هذا ايضا مجمل محتمل لوجوه ومراد بكل وجوه فانه يجوز ان يفسر ابداء الزينة بابداء نفس الزينة لمن لا يجوز له النظر الى جسدهن من غير المحارم ، وان يفسر بابداء مواضع الزينة لان الزينة مما يجوز للاجانب النظر اليها ، وان يفسر بمطلق ابداء الزينة او مطلق ابداء مواضع الزينة من غير النظر الى ناظر ونظرة محرم او غير محرم بان يكون نفس ابداء الزينة بحيث لو نظر ناظر لرآها حراماً نظر ناظر ام لم ينظر ، وهذا على ان يجعل النهي للبايعات البيعة الخاصة الولوية ويكون حكم السالكات عدم الالتفات الى ما سوى الله ما لم يحلن من سلوكهن واحرامهن فيكون التفاتهن الى الزينة وابدائها حراماً عليهن [إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا] من الثياب الظاهرة وزينة المواضع المستثناة ونفس تلك المواضع التي ليست بعورة في النساء كالخاتم والسوار والكحل والخدين والكفين والقدمين .

اعلم ، ان نهى النساء عن ابداء زينتهن ونهى الرجال عن النظر الى زينتهن انما هو لكون الزينة وابدائها والنظر اليها مقدمة للفساد ومورثاً للريبة وموجباً للافتتان وقد ورد عن النبي (ص) خطاباً لعلی (ع) : يا علی أول نظرة لك والثانية عليك لا لك يعني ان افتنت بالنظرة وعدت الى الثانية كانت وبالها عليك ، وفي رواية لكم أول نظرة الى المرأة فلا تتسحبوها بنظرة اخرى واحذر والفتنة فعلى هذا لو خيف من الريبة والافتتان بالنظر الى الوجه والكفين والقدمين وزينتهن لم يجز للمرأة ابدائها وللمرء النظر اليها ، ولو لم يخف من الريبة جاز ابداء الزينة الظاهرة والمواضع المستثناة وجاز للاجنبي النظر اليها ولو لم يخف من الريبة جاز النظر الى غير الزينة الظاهرة من الزينة الباطنة وغير المواضع المستثناة مثل الرأس والشعر والساق والذراع اذا لم تكن من المسلمات اللواتي لهن الحرمة والرفعة كالاماء واهل البد والتلاتي لا يمكنهن التحققظ عن الاجانب ولا يمكن لمعاشرتهن الاحتراز عن النظر اليهن ، واختلاف الاخبار ناظر الى اختلاف الاحوال والاشخاص في الريبة وعدمها والحرمة وعدمها وامكان التحققظ وعدمه [وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ] جمع الخمار بالكسر كالخمر بالسكون ، والخمار المقنعة التي هي غطاء رأس المرأة المتستدل على جنيها ، كانت النساء يلقين مقانعهن على ظهورهن وتبدو صدورهن فقال تعالى : وليلقين خمرهن [عَلَى جُيُوبِهِنَّ] حتى لا تبدو صدورهن فان الصدور اشد شيء في الافتتان بها [وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ] تكرار

هذه الكلمة لتفصيل الاجمال السابق [الْبُعُولَتِهِنَّ] فان الزينة لم تكن الالهم بل النساء مأمورات بالزينة وابدائها للازواج ليتحرك ميلهم اليهن [أَوْ أَبَائِهِنَّ] فانه لا يتصور الرية والفتنة منهم [أَوْ أَبَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءَهُنَّ أَوْ أَبْنَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ] نسب الى الباقر (ع) انه قال : الزينة الظاهرة الثياب والكحل والخاتم وخضاب الكف والتسوار، والزينة ثلاث : زينة للناس وزينة للمحرم وزينة للزوج، فاما زينة الناس فقد ذكرناها ، واما زينة المحرم فموضع القلادة فما فوقها ، والدملج وما دونه ، والمخلخال وما اسفل منه ، واما زينة الزوج فالجسد كله ، وعن النبي (ص) انه قال : للزوج ما تحت الدرع ، وللابن والاخ ما فوق الدرع ، ولغير ذي محرم اربعة اثواب ، درع وخمار وجلباب وازار [أَوْ نِسَائِهِنَّ] يعنى النساء المؤمنات فان الاضافة الى ضمير المؤمنات تفيد تخصيصاً للنساء وبعد اعتبار حيثة الايمان فى الاضافة يعلم ان المراد بهن "المخصصات بالمؤمنات بوصف الايمان لا بالقرابة لعدم اعتبار حيثة الايمان فى القرابة ولا بالملوكية لهن لعدم اعتبار تلك الحيثة فى الملوكية ولذا ذكر المملوكة بعد ذلك، روى عن الصادق (ع) انه لا ينبغي للمرأة ان تنكشف بين اليهودية والنصرانية فانهن يصفن ذلك لازواجهن [أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ] من الاماء الغير المسلمة او من العبيد والاماء فانه لا بأس ان يرى المملوك شعر مولاته وساقها اذا كان مأموماً كما فى الخبر، وفى خبر : لا يحل للمرأة ان ينظر عبدها الى شيء من جسدها الا الى شعرها غير متعمد لذلك [أَوْ التَّابِعِينَ] الذين من شأنهم ان يكونوا تابعين كالخادم والخادمة، والسقاء والسقاءة، والاجير والاجيرة، والشيخ والشيخة، والابله والبهاء، والمولى وعليها، والمجنون والمجنونة [غَيْرِ أُولَى الزَّيْنَةِ] اى غير ذوى الحاجة الى النساء يعنى ان لم يكن لهم شهوة النساء والا فلا يجوز لهم النظر ولا لهن ابداء الزينة لهم [مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطُّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ] اى لم يطلعوا على عوراتهن من حيث انها عورات بان لم يكن فيهم شهوة النساء حتى يتميز العورة منهم عندهم من غيرها ، والطفل جنس فى معنى الجمع ولذا كك وصف بالجمع [وَلَا يَضُرُّنَّ] لما كان المتبادر من ابداء الزينة ابداءها على الابصار دون ابدائها على الآذان قال : ولا يضرين [بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ] بسماع صوت الزينة من المخلخال وغيره [مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ] فان صوت المخلخال واللباس مما يهيج ميل الرجال [وَتَوْبُوا] لما نهى النساء من ابداء ما يريب الرجال من لباسهن وزينتهن وابدانهن امر الرجال بالانصراف عما يريهم والتوجه الى ربهم ، ولما امر الرجال بغض الابصار وحفظ الفروج وامر النساء كذلك امر النساء والرجال بالانصراف مما يهيج الشهوات وبالتوجه الى الله بطريق التغليب فقال : توبوا [إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا] لفظ الجميع وان كان بمعنى المجتمع لكنه يستعمل لمحض تأكيد العموم من دون اعتبار الاجتماع فى زمان الحكم [آيَةُ الْمُؤْمِنُونَ] رسم فى المصاحف كتابة آيتها هذه بدون الالف الاخيرة وقرئ آية المؤمنون بفتح الهاء وضممتا تشبيهاً للهاء بعد اسقاط الالف بحرف آخر الكلمة واجراء لحركة ضم المنادى عليها [لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ] ولما امر المؤمنين والمؤمنات بغض البصر وحفظ الفروج وكان ذلك شاقاً على ذوى العزوبة قال تعالى [وَأَنكِحُوا الْأَيَامَى] مقلوب ايام جمع الايم مشدداً لالباء من لازوج له من الرجال والنساء فالمعنى انكحوا من لازوجة له من الرجال ومن لازوج لها من النساء [مِنْكُمْ] حال كونهم منكم من حيث الايمان فان الخطاب للمؤمنين بعنوان الايمان ومفهوم مخالفته لانكحوا الايامى من غيركم من حيث الايمان

سواء كانوا منكم من حيث النسب اولم يكونوا [وَالصَّالِحِينَ] اى المؤمنين فان المراد بالصلاح ههنا الاسلام او المتعقبين فانه ايضا صلاح النفس [مِنْ عِبَادِكُمْ وَآمَائِكُمْ] فانهم ان كانوا متزوجين ومزوجات كانوا اسلم من الرية واصلح للخدمة [اِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ] الضمير راجع الى الايامى فقط او اليهم والى الصالحين على القول بتملك العبيد والاماء ، او على ان يكون المراد بهم العبيد والاماء الذين اعتقهم مواليهم ويكون الله تعالى امر المسلمين بتزويجهم وعدم التأفف منهم لكونهم عبيدا واماء ، او المعنى ان يكونوا محتاجين الى الازواج بغلبة الشبق والعزوبة ، او المراد ان يكونوا فقراء الى الله تعالى محتاجين اليه فى الخلاص من الكثرات والالتذاذ بالتوحيد [يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ] عن الكثرات [مِنْ فَضْلِهِ] بحيث لا يكون الكثرات حجابا لهم ويكونون مشاهدين لله فى الكثرات فان رفع حجاب الكثرة وان كان بالعزلة اسهل ومشاهدة جمال التوحيد فى الوحدة اكمل لكن المعتزل كلما اشتغل بالكثرات للضرورة الداعية اليها لانه خلق محتاجا اليها كانت الكثرات حجابا بل يكون سترها اقوى واشد ولذلك ترى المرتاضين المعتزلين قلما يتحملون واردات المعاشرة مع الخلق ولا يمكنهم المعاملة مع الخلق والاقامة فيهم [وَاللَّهُ وَاسِعٌ] لا يعجز من التوسعة عليهم ولا يخاف من عولهم [عَلَيْهِمْ] بالتسبيبات الخفية فيعلم ان النكاح سبب للغناء وان لم تعلموا انتم ذلك ، او عليهم باستعداد كل صلاحه فان لم يغن بعضا بالنكاح كان يعلم منه باستعداده وبان صلاحه فى فقره فلا يقول قائل : نرى بعض من تزوج لا يصير غنيا ، او عليهم بكم فيعلم ان النكاح يزيد فى فقركم وحاجتكم فيزيله عنكم بعد ما نكحتم بأمره ، ولما بين حكم اولياء الايامى وشركائهم فى الايمان بين حكم الايامى انفسهم مع اشعار ما بان الواجب على المؤمنين رفع المانع من نكاح الايامى اذا كان المانع من قبلهم مثل التأفف وملاحظة الكفاءة فى الحساب والنسب وملاحظة الفقر وعدم القدرة على الانفاق او على التمسك لانه لا يهتد الى اسباب مثل الصداق والنفقة والكسوة فقال [وَلَيْسَتَعْفِفِ] الايامى من الرجال والنساء [الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا] بعدم وجدان الازواج لرجالهم ونسائهم او عدم وجدان ما يحتاجون اليه فى نكاحهم من الصداق والنفقة والكسوة والمسكن او يمنع الاولياء من النكاح وعدم القدرة على مخالفتهم [حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ] من فقر الدنيا فيجدوا ما يتيسر لهم النكاح او من الفقر الى وجدان الازواج فيجدوا لانفسهم ازواجا او من الفقر الى رفع منع الاولياء او يغنيهم الله من النكاح بان انسى طبائعهم توليد النطفة وأطفى حرارة النطفة الموجودة فلا تودى بدغدغتها ولا بامتلاء الاوعية بها او بان جعل قلوبهم بسبب الاستعفاف معلقة بالمأ الأعلى ونفوسهم تابعة لها فلا يشتغلون بالطبيعة ولو ازمها وملاذها فيغنيهم [مِنْ فَضْلِهِ] عن النكاح ، او المعنى وليستعفف بالتزويج الايامى من الرجال والنساء الذين لا يجدون نكاحا ووطيا بان لم يكن لهم ازواج ولم يتزوجوا مخافة الفقر حتى يغنيهم الله بالنكاح الذى يخافون الفقر بسببه ، وعلى هذا يكون الآية الاولى امرا للمؤمنين واولياء الاعزاب بتزويج الايامى ، والآية الثانية امرا للاعزاب انفسهم بالتزويج كما نسب الى الصادق (ع) فى هذه الآية انه قال : يتزوجون حتى يغنيهم الله من فضله ، وعنه (ع) : من ترك التزويج مخافة العيلة فقد اساء الظن بربه لقوله سبحانه : ان يكونوا فقراء يغنيهم الله من فضله ، ونسب الى النبى (ص) انه قال : من احب فطرتى فليستن بسنتى ، ومن سننى النكاح ، وقال (ص) : يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء ، والوجه كناية عن قطع الشهوة فانه بمعنى رضى الاثنين الذى يذهب بشهوة الجماع ، ونسب اليه (ص) انه قال : من ادرك له ولد وعنده ما يزوجه فلم يزوجه فأحدث فالائم بينهما ، ونسب

اليه (ص) ايضاً انه قال: اربع لعنهم الله من فوق عرشه وامنت عليه ملائكته الذي يحصر نفسه فلا يتزوج ولا يتسرى
لثلايول له ، والرجل يتشبه بالنساء وقد خلقه الله ذكراً ، والمرأة تتشبه بالرجال وقد خلقها الله انثى ، ومضلل الناس
يقول للمسكين: هلم اعطك فاذا جاء يقول ليس معي شيء ، ويقول للمكفوف: اتق الدابة وليس بين يديه شيء ،
والرجل يسأل عن دار القوم فيضله [وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِتَابَ] مصدر كاتبه من الكتابة فانه يجعل بين السيد
والعبد والامة كتاباً مشتملاً على نجوم مال الكتابة واجله وشروط المكاتبه ، واسم بمعنى الصحيفة المكتوب فيها ،
او بمعنى القدر ، او بمعنى الفرض ، او هو مصدر من المجرى داوالمزيد فيه من الكتاب بواحد من المعنيين الاخيرين فانتها
يقدر ان مال الكتابة ، او المولى يفرض على نفسه عتق عبده باداء مال الكتابة [مِمَّا مَلَكَتْ] اى من العبيد والاماء
الذين ملكتهم [أَيَّمَانُكُمْ] وانما اتى بلفظ ما دون من الاشعار بانهم من حيث المملوكية فى حكم غير ذوى العقول
[فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا] اى مالا او حرفة او قدرة على كسب المال او امانة حتى لا يكتسبوا بالحرام
مثل السرقة والسؤال والزنا او صلاحاً حتى لا يفروا من مال الكتابة [وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي أُتِيكُمْ] اى حطوا
من مال الكتابة اوردوا عليهم مما اخذتموه من نجوم مال الكتابة شيئاً ايها الموالى ، او اعطوهم من الزكوة اعانة على
اداء مال الكتابة ايها الموالى او ايها المؤمنون [وَلَا تُكْرِهُوا] ايها الموالى [فَتَيَاتِكُمْ] اى امائكم الشابات
[عَلَى الْبِغَاءِ] اى الزنا [إِنْ أَرَدْتُمْ تَحَصُّنًا] بيان للاكراه على البغاء فانه لا يتحقق الا بارادتهن التحصن على
ان مفهوم الشرط لو كان قيداً لم يكن حجة [لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا] بكسبهن واجرة البغاء [وَمَنْ
يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ] لهم اذا تابوا او غفور لهن ما يلزمهن من السوءة اللازمة لهذا
الفعل ولو كان بالاكراه او من السوءة اللازمة لهن بعد الاكراه اذا رغب في الفعل بمقتضى طبيعتهم [رَحِيمٌ] يرحمهم
او يرحمهن فضلاً عن المغفرة ، وقرئ فان الله من بعد اكراههن لهن غفور رحيم [وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ
مُبِينَاتٍ] موضحات او واضحات قرئ بكسر الياء وفتحها ، بيان وابان وبين وتبين واستبان كلها لازم ومتعد والمعنى
انزلنا اليكم آيات واضحات الاحكام او المقاصد والحكم والمصالح ، او البراهين ، مثل القضايا التى قياساتها معها ،
او الصدق والمراد بها معنى اعم من الآيات التدوينية والتكوينية الآفاقية والانفسية من الانبياء والاولياء والعقول
ووارداتها [وَمَثَلًا] اى حجة او حديثاً او شيئاً [مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ] ويجوز ان يراد بالآيات الآيات
التدوينية وبالمثل على (ع) او بالآيات محمد (ص) والعقول فان محمداً (ص) من حيث النبوة نازل من الله وبالمثل
على (ع) فانه من حيث الولاية نازل من الله ، ومحمد (ص) من حيث النبوة آية بل آيات من الله ، وعلى (ع) من
حيث الولاية شبيهة للماضين جميعاً [وَمَوْعِظَةً] اى تذكيراً ونصحاً وترغيباً وتخويفاً ، ويجوز ان يكون الآيات والمثل
والموعظة اوصافاً لذات واحدة ويكون المراد علياً (ع) فانه باوصافه واخلاقه وعلومه ومكاشفاته وقدرته وتصرفاته
آيات عديدة دالة على صفات الحق الاول تعالى مبينة لذاته وصفاته كما انه مثل لجميع الانبياء والاولياء (ع) الماضين
وهو بذاته وسائر صفاته موعظة [لِلْمُتَّقِينَ] متعلق بموعظة او بانزلنا او التلام للتبيين والظرف مستقر خبر لمبتدئ
محذوف احوال وانما قال للمتقين لان غيرهم لا ينتفعون بذلك .

[اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ] اعلم ان الله كما سبق مكرراً اسم للذات الواجب الوجود

آية النور

باعتبار مقام ظهوره الذى هو مقام المشية وهى اضافته الاشرافية الى الاشياء وهى فعله وفيضه

ونوره المنبسط على جميع الاشياء وبها يخرج الاشياء من اللبس المحض الى الابس، ومن العدم الى الوجود، ومن الظلمة الى النور، ومن الخفاء الى الظهور، وان الذات الاحدية بدون هذا العنوان غيب محض لا اسم له ولا رسم ولا خبر عنه ولذلك سمى في الاخبار بالعمى، وقد فسّر الله تعالى في الآيات بسائر مظاهره من الانبياء والاولياء (ع) فانه فسّر الكفر والشرك بالله تعالى في الاخبار بالكفر والشرك بخلفائه، وان النور اسم للضياء سواء كان ضياء الشمس والقمر او سائر الكواكب، وسواء كان ضياء النار والسراج والجواهر او غيرها، او هو اسم لشعاع الضياء، او هو اعم وقد ناز نوراً واناو واستنار ونور وتوزّكلها بمعنى اضاء اللازم، وجاء اناو ونور متعدّين ايضاً، والنور اسم لمحمّد (ص) او نبوته او رسالته او ولايته او اسم لعليّ (ع) او خلافته او ولايته، وقد يطلق على الذي يبين الاشياء مطلقاً ضياءً وشعاعاً كان، او دليلاً وبرهاناً، او علامة وآثراً، وبهذا المعنى يطلق على الكتب السماوية والخلفاء الالهية، وقد يطلق على الهدى ومابه الهدى وبهذا المعنى ايضاً يكون الكتب السماوية والرسالات والنبوات والولايات والاقرال والافعال والاحوال والاخلاق الحسنة كلّها انواراً وانه لا اختصاص للاسماء بمصاديقها العرفية بل الاعتبار في صدقها هي المعاني المطلقة الحاصلة في جميع العوالم وجميع المراتب من دون اعتبار خصوصية من خصوصيات المصاديق والعوالم فيها، فان النور اسم للظواهر بذاته من دون وساطة امرٍ آخر المظهر لغيره، والنور العرضي الذي لا يبقى آئين وليس ظاهراً الا على الابصار ولا يكون ظهوره على الابصار الا بعد اجتماعه في سطح كثيف غليظ لا ينفذ فيه ولا يظهر الا السطوح والالوان والاشكال ولا يظهر الا على الابصار دون سائر المدارك احد مصاديقه من دون اعتبار تلك الخصوصيات في صدقه، بل نقول: معنى الظاهر بذاته المظهر لغيره ليس حقيقة الا لحقيقة الوجود الذي هو واجب لذاته وموجب لغيره، واما سائر الانوار العرضية والحقيقية التي هي وجودات الاشياء واناو الرسالة والنبوة والولاية والهداية فهي وان كانت بوجه ظاهرة بذواتها بمعنى انه لا حاجة لها الى نورٍ آخر تظهر هي به لكنها محتاجة الى علّة تخرجها وتظهرها والى مانع عليه من سطوح المهيئات والصنوبر والقلوب والارواح ومن سطوح الاجسام الماديّات فهي ليست في الحقيقة ظاهرة بذواتها، وان السماوات لا اختصاص لها بالافلاك الطبيعية والكواكب العلوية بل كلّما كان فيه جهة علوية فاعلية بالنسبة الى مادونه فهو سماء بالنسبة اليه فالعقول الكلية الطولية والعرضية والنقوس الكلية والجزئية والافلاك الطبيعية كلّها سماوات، والارض اسم لعاله تسفل وقبول ولا اختصاص لاسم الارض بالارض الغبراء بل عالم الطبع بشرائره وعالم المثال السفلى والعلوى كلّها ارض، وقد مضى في اول سورة الانعام وجه جمع السماوات وافراد الارض وان السماء والارض اسمان للوجود منهما الممتاز بتعيين السماوي والارضى، او اسمان لنفس مهيّاتهما من دون اعتبار الوجود معها فعلى هذا صبح ان يقال في بيان الآية: ان الله ذو نور السماوات والارض موافقاً لما نسب الى امير المؤمنين (ع) انه قرء: الله نور السماوات والارض على صيغة الماضي من التفعيل سواء اريد من النور النور المحسوس العرضي او الوجود، او الهدى وصبّح ان يقال: ان الله مبين السماوات والارض ومخرجهما من خفاء العدم الى الوجود، وصبّح ان يقال: ان الله وجود السماوات والارض سواء اريد منه وجود دونهما على ان يراد من السماوات والارض الموجودان منهما واعتبر قيد الحيثية في اضافة النور اليهما او اريد منه نفس وجودهما، فان الله باعتبار مقام ظهوره الذي هو المشية قوام وجودات الاشياء وفاعلها ووجهها بوجه ونفس وجودات الاشياء بوجه كما ان الفصول فاعل وجودات الاجناس وقوامها بوجه اخذها بشرط لا، ونفس وجوداتها بوجه اخذها لا بشرط، فان فعل الحق الذي هو المشية هو صورة الاشياء وقوامها وفاعلها، وصبّح ان يقال ان الله بحسب مظهره الذي هو العقل الكلي او الروح الكلي الذي هو رب النوع الانساني نور السماوات والارض بالوجوه المذكورة او بحسب مظهره الذي هو النفس الكلية او بحسب مظهره الذي هو عالم المثال نور السماوات والارض او بحسب

مظاهره الذين هم انبياءه واوليائه (ع) هدى اهل السماوات والارض او مبينون لاهل السماوات والارض او بحسب مظهره التي هي لطائف الولاية، والنبوة والرسالة نور السماوات والارض في العالم الكبير او في العالم الصغير بالوجوه السابقة او بحسب مظهره التي هي الارواح والعقول والقلوب والنفوس البشرية والنفوس الحيوانية نور السماوات والارض في العالم الصغير بالوجوه السابقة، او بحسب مظهره الذي هو ضياء الشمس نور السماوات والارض الطيبين بالمعنى المدرك لكل واحد، او بحسب مظهره الذي هو مثال اولياته الظاهر في صدور السالكين نور السماوات والارض في العالم الصغير ان لم يكن ذلك المثال قوياً على اثاره خارج عالم السالك، او في العالم الصغير والكبير ان صار المثال قوياً على اثاره الخارج ايضاً، والى هذا الوجه اشار العارف الرباني قدس سره بقوله :

کرد شهتشاه عشق در حرم دل ظهور قد ز میان بر فراشت رایت الله نور

او بحسب مظهره الذي هو قوة الواهمة والمنتخلة والخيال، او بحسب مظهره الذي هو المدرك الباطنة او هو المدرك الظاهرة [مثل نوره] اي صفته او حديثه [كمشكوة] اي كصفة مشكوة او حديث مشكوة وقد مضى سابقاً ان التشبيهات التمثيلية لا يلزم فيها ذكر جميع اجزاء المشبه ولا ذكر جميع اجزاء المشبه به ولا الترتيب بين اجزائهما ولا ذكر جزء مخصوص عقيب اداة التشبيه ولا الاتيان بلفظ المثل في جانب المشبه ولا في جانب المشبه به ولا الاتيان باداة التشبيه، واذ صاف النور الى ضمير الله مع ان المناسب ان يقول مثله لانه جعله نفس النور للاشارة الى ان الذات بحسب مقام الغيب ومقام الذات الاحدية لاخير عنه ولا حكم عليه وانما الخبر والحكم عليه بحسب مقام ظهوره بمراتب ظهوره كما اشرنا اليه والمشكوة الكوة الغير النافذة [فيها] اي في المشكوة التي لا يتفذ النور منها [مصباح] اي سراج [المصباح في زجاجة] في تكرار المصباح ظاهراً معرقاً تفخيم وتعجيب من شأنه كما ان تنكيره او لا يفيد التفخيم [الزجاجة كأنها كوكب دري] قرئ بضم الدال وكسرها مشدد الياء ومهموز الآخر منسوباً الى الدر او فعولاً مشدد العين مضموم الفاء او فعلاً مشدد العين مضموم الفاء او مكسوراً من الدر بمعنى الدفع وعلى اي تقدير فهو بمعنى شديد التلألؤ [يوقد] قرئ بالياء التحتاني وبالياء الفوقاني مبنياً للمفعول من اوقد، وقرئ توقد ماضياً مبنياً للفاعل من التوقد [من شجرة مباركة زيتونة] فان في الزيتون كثرة نفع للعرب من حيث انها طعام وشراب وفاكهة وادام ودهن، وتوقد الكواكب او الزجاجة او المصباح من تلك الشجرة باعتبار توقد فنبلة المصباح بدهن ثمرتها [الشرقية] لا تكون في مشرق الحائط حتى لا يقع عليها الشمس مدة من اول النهار [ولا غربية] لا تكون في مغرب الحائط حتى لا يقع عليها الشمس مدة من آخر النهار فيكون زيتونها اصفى وثمرها اشهى لكونها بارزة للشمس طول النهار، او المعنى انها ليست من شجر الدنيا فان شجر الدنيا لا تكون الا شرقية او غربية او شرقية وغربية جميعاً بالاضافة الى الجهات المتخالفة، او المعنى انها لا تكون منسوبة الى شروق الشمس بحيث لا يقع عليها ظل فيحترق ثمرها ولا منسوبة الى غرب الشمس بحيث لا يكون الشمس غاربة عنها دائماً فلا ينضج ثمرها، او المعنى انها ليست من الشجر الواقع في جهة الشرق او جهة الغرب من المعمورة فان هاتين الجهتين لشدة حرارة الشمس فهما يحترق ثمر شجرهما بل تكون واقعة في وسط المعمورة فيكون ثمرها اتم نضجاً غير محترق من حر الشمس وغير نى من برد الهواء [يكاد زيتونها يضيء] لفرط صفائه ولطافته [ولو لم تمسه نار].

تطبيق اجزاء المثل
بالممثل له على
الاحتمالات الاربعة
عشر فيه على عدد
آل محمد (ص)

اعلم ، ان تطبيق هذا المثل على الممثل له اذا علمت ان الممثل له هو المشية او العقل الاول او مطلق العقول او رب النوع الانساني او مطلق ارباب الانواع او النفوس الكلية او الجزئية او عالم المثل او روح الانسان او عقله او قلبه او نفسه او النفس الحيوانية او مثال خلق الله الظاهر على صدر السالك المسمى بالسكينة والفكر عندهم سهل عليك تطبيق اجزاء المثل على الممثل له ، فانه اذا اريد بالنور المشية كان المشكوة عالم الطبع والزجاجة عالم الارواح مطلقاً والمصباح نفس المشية من وجهها الى العالم الذي يسمى بالكبرى والفيض المقدس وكانت الشجرة هي المشية ايضاً بوجهها الى الله الذي يسمى بالعرش والفيض الاقدس ، وكانت الشجرة هي المادة الاولى او مطلق المادة ، وكانت المشكوة عالم المثل او عالم النفوس وباقي اجزاء المثل كما سبق ، واذا اريد العقول او النفوس او عالم المثل بالنور الممثل له كانت المشكوة عالم الطبع او عالم المثل والزجاجة عالم النفوس والمثل او عالم النفوس فقط ، والشجرة مطلق عالم المشية او جهتها الالهية او جهتها الكلية او المادة الاولى او المادة المطلقة ، واذا اريد النفوس من النور كانت المشكوة عالم الطبع او عالم البرزخ والزجاجة عالم المثل والشجرة هي المشية بما ذكر فيها من الوجوه ، او العقول او المادة ، واذا اريد عالم المثل كانت المشكوة عالم الطبع والزجاجة عالم البرزخ ، والشجرة يجوز ان تكون كل ما سبق عليه وان تكون هي المادة ، واذا اريد بالنور الممثل له الولاية او النبوة او الرسالة او الاسلام او الايمان او الروح او العقل او القلب او النفس البشرية او مثال الشيخ كان تطبيق سائر الاجزاء ظاهراً ، واذا اريد النبي (ص) او الولي (ع) او الرسول (ص) او المؤمن كان المشكوة ابدانهم الطبيعية او صدورهم المنشرفة بالاسلام ، وبالرسالة وخلافتها او قلوبهم المنقوشة فيها احكام النبوة وآثار الولاية والزجاجة نفوسهم او قلوبهم او عقولهم والمصباح بحسبها ، والشجرة هي المشية او العقول الكلية وارباب الانواع او النفوس الكلية ، او جهة الياحى وافاضة العلوم الدنيوية او لايتهم او نبوتهم ، ويجوز ان يراد بالنور الممثل له الروح التفساني او الروح الحيواني او النفس النباتية ويكون الزجاجة الروح الحيواني او النفس النباتية او الطبع الجمادي والمشكوة النفس النباتية او البخار المتكون في القلب وفي الشرايين او الطبع الجمادي او القلب الصنوبري او هو مع الشرايين او جملة البدن ، وفي الاخبار اشير الى بعض الوجوه الى بعض وجوه آخر فعن الصادق (ع) هو مثل ضربه الله تعالى لنا ، وعنه (ع) الله نور السماوات والارض قال : كذلك الله عز وجل مثل نوره قال : محمد (ص) كمشكوة قال : صدر محمد (ص) فيها مصباح ، قال : فيه نور العلم يعني النبوة ، المصباح في زجاجة قال : علم رسول الله (ص) صدر الى قلب علي (ع) الزجاجة كأنها قال : كأنه كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية قال : ذلك امير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) لا يهودي ولا نصراني يكاد زيتها يضيء ولولم تمسه نار قال : يكاد العلم يخرج من قم العالم من آل محمد (ص) من قبل ان ينطق به ، نور علي نور ، قال : الامام في اثر الامام ، وقدور د عنهم (ع) مع اختلاف في بيان الوجوه نظير هذا الخبر كثير ، وعن الباقر (ع) انه تعالى يقول : انا هادي السماوات والارض مثل العلم الذي اعطيته وهو النور الذي يهتدي به مثل المشكوة فيها المصباح فالمشكوة قلب محمد (ص) والمصباح نوره الذي فيه العلم ، وقوله : المصباح في زجاجة يقول : اني اريد ان اقبضك فاجعل الذي عندك عند الوصي ، كما يجعل المصباح في الزجاجة كأنها كوكب دري فاعلمهم فضل الوصي يوقد من شجرة مباركة فأصل الشجرة المباركة ابراهيم (ع) وهو قول الله عز وجل : رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت انه حميد مجيد وهو قول الله تعالى :

أن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذريةً بعضها من بعض والله سميعٌ عليمٌ لاشرقية ولاغربية يقول لستم يهود فتصلتوا قبل المغرب ولاالنصارى فتصلتوا قبل المشرق وانتم على ملة ابراهيم (ع) وقد قال الله عز وجل: ما كان ابراهيم يهودياً ولانصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين وقوله: يكاد زيتها يضيء يقول: مثل اولادكم الذين يولدون منكم مثل الزيت الذى يعصر من الزيتون يكادون ان يتكلموا بالنبوة ولو لم ينزل عليهم ملكك ، وعن الصادق (ع) عن ابيه فى هذه الآية: الله نور السماوات والارض ، قال بدأ بنور نفسه مثل هداه فى قلب المؤمنين كمشكوة فيها مصباح ، المشكوة جوف المؤمن والقنديل قلبه ، والمصباح النور الذى جعله الله فيه ، توعد من شجرة مباركة قال: الشجرة المؤمن زيتونة لاشرقية ولاغربية، قال: على سواء الجبل لاغربية اى لشرق لها ولاشرقية اى لاغرب لها ، اذا طلعت الشمس طلعت عليها ، واذا غربت غربت عليها، يكاد النور الذى جعله الله فى قلب المؤمن يضيء وان لم يتكلم نور على نور فريضة على فريضة وسنة على سنة يهذى الله لنوره من يشاء ، قال: يهذى الله لفرأضه وسنته من يشاء ، ويضرب الله الامثال للناس قال: فهذا مثل ضرب به الله للمؤمن ، قال: فالمؤمن ينقلب فى خمسة من النور مدخله نور ، ومخرجه نور ، وعلمه نور ، وكلامه نور ، ومصيره يوم القيامة الى الجنة نور قال الراوى: قلت لجعفر (ع) انهم يقولون مثل نور الرب قال سبحانه الله ليس الله مثل اما قال: فلا تضربوا الله الامثال ؟ ويجوز ان يراد بالمصباح ولاية محمد (ص) مخصوصاً فليكن الزجاجة نبوته والمشكوة رسالته ، والشجرة لطيفته السيارة الانسانية او مادته الكاملة وجثته العنصرية اللتين كانتا فى حاق الوسط غير ما لثنتين الى التوحيد ولا الى التكثير كعيسى وموسى (ع) فان احدهما مال الى التوحيد والآخر الى التكثير ، ويجوز ان يراد بالمصباح نبوة محمد (ص) فليكن الزجاجة رسالته والمشكوة صدره ، والشجرة لطيفته السيارة ، او ولايته الكاملة او مادته ، وقيل: ان المشكوة ابراهيم (ع) والزجاجة اسماعيل (ع) والمصباح محمد (ص) من شجرة مباركة يعنى ابراهيم (ع) لان اكثر الانبياء من صلبه لاشرقية ولاغربية لانصرانية ولايهودية يكاد زيتها يضيء اى يكاد محاسن محمد (ص) تظهر قبل ان يوحى اليه ، وقيل: المصباح القرآن ، والزجاجة قلب المؤمن ، والمشكوة لسانه وفمه ، والشجرة شجرة الوحي يكاد حجج القرآن تتضح وان لم تقرأ [نور على نور] خبر بعد خبر لمثل نوره يعنى صفة نوره الذى هو المشيئة صفة نور على نور فى شدة الاضاءة لتضاعف اضاءته بصفاء زيتيه وصفاء زجاجته ، وجمع المشكوة لنوره على ان المشيئة التى هى وجود مطلق مقومة لجميع الوجودات المقيدة فهى وجود مطلق وارد على جميع الوجودات المقيدة وهكذا سائر الوجوه المذكورة فى النور ، او خبر لمبتدئ محذوف اى نور الرب نور على نور بجميع الوجوه المذكورة فى النور او خبر بعد خبر لله اى الله بحسب مظاهره نور على نور ، او مبتدئ خبر محذوف اى فى المشكوة نور على نور ، او خبر بعد خبر للمصباح ، او خبر بعد خبر للزجاجة ، او خبر بعد خبر لكان ، اوصفة لمصباح ، او لكوكب ، او خبر مبتدئ محذوف اى الكوكب البدرى نور على نور او مبتدئ وعلى نور خبره وسوغه الوصف المقدر اى نور عظيم على نور او مبتدئ وخبره [يهدى الله لنوره] وعائده تكرار المبتدأ اى نور على نور يهذى الله اليه [من يشاء] .

وبيان اعراب الآية بنحو الاجمال ان يقال: الله مبتدئ ونور السماوات خبره كما هو الظاهر

وجوه اعراب
آية النور

او بدن منه اوصفته ومثل نوره كمشكوة جملة وخبر بعد خبر لله او خبر له او حال او مستأنفة

جواب لسؤال مقدر او معترضة وفيها مصباح صفة لمشكوة او مستأنفة او معترضة والمصباح

فى زجاجة صفة مصباح اوصفة مشكوة او حال من مشكوة والعائده على الاول تكرار الموصوف وعلى الاخير ين يكون

مقدراً أي المصباح فيها في زجاجة، أو مستأنفة أو معترضة وفي زجاجة خبر المصباح أو حال منه والزجاجة كأنها كوكب
 صفة زجاجة أو صفة مصباح أو صفة مشكوة، أو حال منهما والعائد مثل عائد جملة المصباح في زجاجة أو مستأنفة
 أو معترضة وكأنها كوكب دري خبر الزجاجة أو حال منها، ويوقد من شجرة مباركة صفة كوكب أو حال منه
 أو خبر بعد خبر لكان، أو خبر للزجاجة أو خبر بعد خبر لها، أو حال من الزجاجة، أو من ضمير كأنها، أو صفة زجاجة أو حال
 منه أو خبر للمصباح أو خبر بعد خبر له، أو حال منه أو من المستتر في قوله في زجاجة أو خبر بعد خبر لله أو خبر له ابتداءً أو حال
 منه أو من نور السماوات أو مستأنفة أو معترضة وتوفيق التانيث والتذكير لما يحمل عليه ويوصف به موكول إلى تفتن
 الناظر الخبير، وينكاد زيتها يضيء صفة للشجرة أو حال منها أو مستأنفة أو معترضة، ونور على نور قد مضى وجوه
 أعرابه [وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ] يعني يصل إلى طريق المقصود أو يذهب إليه بمن يشاء ويضرب الأمثال
 للتشبيه على طريق المقصود لجميع الناس لينتهى من بهتدي ويضل من يضل ويحيى من حي عن بيته ويهلك من هلك
 عن بيته [وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ] عطف على الله نور السماوات أو على جملة مثل نوره كمشكوة أو على جملة
 يهدي الله لنوره من يشاء، أو على جملة يضرب الله الأمثال [فِي بُيُوتٍ] متعلق بعليم وإشارة إلى أن مظاهره كما
 أنهم مظاهره تعالى مظاهر لجميع أسمائه وصفاته، وحجة على أن مظاهره أنوار السماوات والأرض مثل مقام ظهوره
 لأن المظاهر إذا كانوا مظاهر لعلمه الذي هو من صفاته الحقيقية التي هي أشرف الصفات كانوا مظاهر لضافاته التي
 هي أضعف الصفات والمعنى أنه كما يعلم بكل الأشياء في مقام ذاته ومقام ظهوره عليم بكلها في مظهره، ويجوز
 أن يجعل في بيوت متعلقاً بمحذوف يفسره يستبح المذكور بطريق باب الاشتغال، ويجوز تعلقه بالجملة السابقة
 والمراد بتلك البيوت خلفاء الله من الأنبياء والأولياء (ع) وصدورهم وقلوبهم وولايتهم ونبوتهم وذوات الأنبياء
 والأولياء (ع)، ويجوز أن يراد بالبيوت التي [أَذْنُ اللَّهِ أَنْ تَرْفَعَ] المساجد الصورية فإن المساجد الصورية يجوز
 أن ترفع على سائر البيوت ولا يجوز أن ترفع البيوت عليها والمساجد الحقيقية أذن الله أن ترفع على كل الموجودات
 أذنًا تكوينيًا وارتفاعًا تكوينيًا وأذنًا تكليفياً وارتفاعًا تكليفياً [وَيُذَكِّرُ فِيهَا أَسْمَاءُ يُسَبِّحُ] قرئ مبنياً للمفعول
 ومبنياً للفاعل بالياء التحتاني وبالتاء فوقاني، وإذا كان مبنياً للمفعول والياء التحتاني كان مرفوعه واحداً من
 الظروف الثلاثة الآتية، وإذا كان بالتاء فوقاني كان مرفوعه السبحة المستفادة من الفعل، وإذا كان مبنياً للفاعل
 كان مرفوعه رجال، وتأنيث الفعل باعتبار صورة الجمع المكسرة وجملة يسبح [لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ]
 حالية أو مستأنفة، والغدو مصدر استعمل بمعنى أوقات الصبح ولذلك حسن مقابله مفرداً مع الآصال جمعاً والمراد
 بالتسبيح تنزيه اللطيفة الإنسانية عما يعاوقه عن السلوك إلى الرب سواء عدى بنفسه إلى الله أو إلى اسم الله أو باللام
 سواء كان اللام للتقوية أو للغاية، فإن تلك اللطيفة مظهر الله واسم له وتنزيهاً ليس إلا الله [رِجَالٌ] فاعل يسبح
 المذكور أن قرئ مبنياً للفاعل وفاعل محذوف أن قرئ مبنياً للمفعول، وفي أخبارنا أن رجال خبر مبتدئ محذوف
 كناية عن البيوت أي هم أي البيوت رجال، ويجوز أن يكون رجال مبتدأ خبره يخافون [لَأُتْلِيَهُمْ تِجَارَةً
 وَلَا بَيْعًا] التجارة مطلق المعاملة أو هي البيع والشراء والبيع من الاضداد يستعمل في الشراء والبيع كالشراء، فعلى
 هذا كان ذكر البيع بعد التجارة من قبيل ذكر الخاص بعد العام أو من قبيل ذكر المرادف بعد المرادف للتأكيد أن كان
 البيع أعم من البيع والشراء بطريق عموم الاشتراك، أو المراد بالتجارة مطلق المكاسب سواء كان بطريق المعاملة

او غيرها وبالباع التجارة المعهودة [عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ] قد مضى في سورة البقرة عند قوله فاذا كروني اذكركم تحقيق التذكر واقسامه، والتذكر سواء كان لسانياً جلياً او جنائياً خفياً او صديقاً حقيقياً ويعبر عنه بالسكينة والفكر والحضور وهو مثال الشيخ المتمثل عند السالك لقوة اشتغاله بالذكر المأخوذ منه او كان تذكراً لأمره ونهيه عند كل فعل لا ينافي الاشتغال بالمكاسب، بل اذا كان حال السالك ملاحظة أمره تعالى ونهيه عند فعله وكان كسبه بلحاظ أمره تعالى وعدم قعوده عن الكسب بلحاظ نهيه تعالى كان كسبه ذكراً بل كان من اشرف اقسام التذكر كما مضى في سورة البقرة، فان التذكر اللساني والجنائي عبارة عما يجري على اللسان وعلى الجنان ويذكر الانسان بسببه صفات الرحمن وهذا الكسب بذلك اللحاظ يذكر الانسان بسببه صفتي لطفه وقهره و اضافتي أمره ونهيه، فالرجال لا يتركون الكسب لذكر الله بل يجعلون الكسب ذكراً لله [وَأَقَامِ الصَّلَاةَ] قد مضى في أول البقرة تحقيق وتفصيل للصلاة واقسامها واقامتها [وَأَيِّتَاءِ الزُّكُوةِ] قد مضى هناك بيان الزكوة وابتائها مفصلاً روى عن الصادق (ع) انهم كانوا اصحاب تجارة فاذا حضرت الصلاة تركوا التجارة وانطلقوا الى الصلاة وهم اعظم اجر آمنين لا يتجرون، وفي خبر: هم التجار الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله اذا دخل مواقيت الصلاة اذوا الى الله حقه فيها، وسئل الصادق (ع) عن تاجر فقيل: صالح ولكنه قد ترك التجارة، فقال (ع): عمل الشيطان، ثلاثاً؛ اما علم ان رسول الله (ص) اشترى غيراً انت من الشام فاستفضل فيها ما قضى دينه وقسم في قرابته يقول الله عز وجل: رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله (الآية) يقول القصاص: ان القوم لم يكونوا يتجرون، كذبوا ولكنهم لم يكونوا يدعون الصلاة في ميقاتها وهو افضل ممن حضر الصلاة ولم يتجر [يَخَافُونَ] حال اوصفة بعد صفة الرجال او خبر بعد خبر اي هم رجال يخافون او خبر لرجال او جواب لسؤال مقدّر في مقام التعليل [يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ] في الاحوال من الحزن والتسرور والقبض والبسط والخوف والرجاء وغير ذلك من الاحوال المتضادة وذلك لكثرة ما ترى من اسباب ذلك فان ذلك اليوم يوم يعرض فيه الجنة ونعيمها والجحيم وانواع عذابها على الخلق [وَأَتَقَلَّبُ] [الْأَبْصَارُ] من الانفتاح والانغماز والتشخص والخشوع، والدوران والسكون، او تتقلب القلوب من احسن احوالها الى اشرفها، او من حالاتها الخسية الى اخسها، او الابصار من ابصارها الى العمى او من ضعف الابصار الى حدته، او تتحرك القلوب الى الحناجر والابصار يمنة ويسرة لكثرة المدهشات، او تتقلب القلوب من الشك الى اليقين والابصار مما رآه غيماً فتراه رسداً [لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا] اللام إشارة الى العاقبة او الى العلة الغائية وعلّة لقوله تعالى: يهدي الله لنوره من يشاء اولي ضرب الله الامثال اول اذن الله اولترفع اوليذكر فيها اسمه، اوليسبح اولقوله لا تلهيهم اولذكر الله واقام الصلاة اوليخافون اولتقلب في القلوب، او لكل على سبيل التنازع، والجزاء باحسن ما عملوا اما بان لا يجزي غيره سواء كان حسناً او قبيحاً، او بان يجزي جميع الاعمال حسناتها وأحسنها وقبيحها بجزاء احسنها، وهذا هو المراد، وقد مضى في سورة التوبة في نظير الآية بيان لوجه جزاء جملة الاعمال بجزاء احسنها [وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ] من غير نظير الى عمله واستحقاقه [وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ] عطف احوال في معنى التعليل او عطف فيه معنى الاضراب والترقي فان الظاهر من الزيادة على قدر جزاء العمل ان تكون بقدر وحساب فأضرب عنه وقال بل يرزقهم بغير حساب واتما قال الله يرزق من يشاء بغير حساب لافادة هذا المعنى والتعليل عليه فكأنه قال: بل الله يرزقهم بغير حساب لانهم يشاؤونهم الله والله يرزق من يشاء بغير حساب [وَالَّذِينَ كَفَرُوا] عطف على

يهدي الله ومعادل له والمناسب للمعادلة ان يقول: ويضل الله عن نوره من يشاء لكنه للاشارة الى ان الهداية من الغايات الذاتية والاضلال من الغايات العرضية كأنه ليس الآمن فعل العبد عدل عنه وقال والذين كفروا بالتور يعني يعلى (ع) وولايته، أو عطف على جملة يسبح له فيها ومعادل له والمعنى لا يسبح له فيها رجال [أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ] لكنه عدل الى هذا للاشعار بان كون اعمالهم كسراب معدل بكفرهم ، وللإشارة الى ان عدم التسبيح مسبب عن كفرهم ايضاً ، أو عطف على جملة رجال على ان تكون خيراً لمحذوف، أو عطف على جملة يخافون على ان تكون مستأنفة [بِقِيَعَةٍ] القيع والقيعه والقيعان بكسر من جمع القاع وهي ارض سهلة مطمئنة قد انفرجت عنها الجبال [يَحْسِبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّيَهُ حِسَابَهُ] وهذا من التشبيهات التمثيلية مثل عمل الكافر الذي يشبه الطاعات التي تصدر عن قبل الولاية وصار ذالِبٌ بتلقيح الولاية والبيعة الخاصة للولاية بسراب يلمع لمعان الماء الجاري في بقاء بعيدة في نضارة صورة عمله وخلوها عن معنى الطاعات وفنائها من غير بقاء اثر منها على النفس وشبه الكافر العامل لهذا العمل او الناظر الى هذا العامل وعمله الذي يطلب الحق وكان الحق مستوراً عنه ويفتن بصورة هذا العمل بظمان يفتتن بصورة السراب ، وشبه توجه العامل او الناظر الى صورة هذا العمل واقتنانه به بافتتان الظمان واسراعه الى السراب ، وشبه فناء العمل من غير اثر منه حين الحاجة اليه بفناء السراب حين الاتيان اليه بعد شدة الحاجة باشتداد الظمان بسبب سرعة الحركة وتغيُّر شرب الماء ، وشبه وجدانه الله في القيامة ومحاسبته الله اياه ومطالبته باماناته التي اودعها عنده بوجدان ذلك الظمان المسرع الى السراب مع خيبته من مرجوه محاسباً قوياً مطاعاً كان له على ذلك الظمان ديون ويطلبه بتلك الديون فوقه حسابه [وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ] تهديد للكافر والناظر الى صورة عمله فان سرعة الحساب كناية عن عدم فوات الجليل والحقير عنه [أَوْ كَظُلُمَاتٍ] يعني ان الذين كفروا بالولاية اما يكونون على صورة الاسلام ويكون عملهم صورة عمل المؤمن ولا يكونون على صورة الاسلام ولا يكون عملهم موافقاً لعمل المؤمن ، بل يكون بخلاف الشريعة وخلاف عمل المؤمن فيكون بصورته مظلماً كما انه لا يكون له لب مثل عمل الكافر السابق الذي كان على صورة الاسلام ولم يكن له ايمان، فشبه اعمالهم المظلمة بظلمات الليل ونفوسهم المظلمة ببحر عميق او بعيد الساحل ، واضطرابات نفوسهم بسبب كثرة الآمال والشهوات وكثرة خوفهم بحسبان كل صيحة عليهم بالامواج المتتابعة والمتركمة ، وشبه الاهوية الساترة للحق عن نظره بالسحاب الساترة للشمس الواقعة فوق البحرفاتها نصير سبباً لشدة الظلمة وكثرة الامواج خصوصاً اذا كان معها قطرات من المطر فقال اعمالهم كظلمات [فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ] اى يغشى البحر او العامل [مَوْجٌ] من البحر [مِنْ فَوْقِهِ] اى من فوق الموج او البحر او العامل [مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ] هذا الضمير كالضمير السابق [سَحَابٌ] قرئ بالاضافة ومنونا [ظُلُمَاتٍ] قرئ بالرفع مبتدأ ومسوغه وصفه المستفاد من التنوين ، او خبر مبتدأ محذوف، وقرئ بالجرو وهو على قراءة تنوين سحاب يكون بدلاً من ظلمات [بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ] وهي ظلمة البحر وظلمة الليل وظلمة الامواج وظلمة السحاب [إِذَا أَخْرَجَ] العامل او اذا اخرج مخرج [يَدُهُ لَمْ يَكْذِبْ رِيحًا] يعني لا يريها ولا يقرب رؤيتها او يريها بعد جهد ومشقة بعد ان لم يكذب يريها فانه قد يستعمل في هذا المعنى [وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا] يعني من لم يهده الله لنوره، وهذا يدل على ان قوله: والذين كفروا (الى آخره) معادل لقوله يهدي الله لنوره من يشاء ولم يقل: من لم يهتد الى نوره؛ للاشعار بان الاهتداء الى النور مسبب من فعل الله بخلاف الكفر فانه مسبب من استعداد العبد والمراد بالنور الذي يجعله الله للعباد الولاية التي هي كالبدن في ارض القلب وكالأنفحة للين الوجود وكاللب

لجوز الاعمال ولوزها وفستقها، وبها يصير العباد اولى الالباب، والاعمال ذوات الالباب، وبدونها يكون وجود العباد واعمالهم كالجوز الخالى من اللب وهذه هي التي لاتدع العباد ان يخرجوا عن طاعة مشايخهم، وهي التي اذا قويت وصفت النفوس ظهرت بصورة مشايخهم في قلوبهم وقوله تعالى: نورهم يسمى بين ايديهم وبأيمانهم اشارة الى هذا الظهور فانه في القيامة تصفو النفوس من حجب المادة وتظهر ولايتهم بصورة امامهم، وبظهور هذا النور يكون جميع الخيرات ويدفع جميع الشرور، وتلك الولاية كسفينة نوح يكون المتوسل بها آمناً من امواج الفتن وظلمات الزمن، والى هذه الولاية اشار من قال:

بهر اين فرمود بيفر كه من همجو كشتى ام بطوفان ز من
ما و اصحابيم چون كشتى نوح هر كه دست اندر زند يابد فتوح
والى ذلك الظهور اشار بقوله:

چون خدا مر جسم را تبديل كرد رفتنش بى فرسخ و بى ميل كرد
چونكه باشيخى تو دور از زشتى روز و شب سيارى و در كشتى
مين مبر الآ كه باهره هاى شيخ تا بينى عون لشكر هاى شيخ

[فَمَالَهُ مِنْ نُورٍ] لانه من ذاته ان يكون ليس في ذاته وصفاته، ومن الله ان يكون اسماً في ذلك كله فكأنه تعالى قال: لم يكن له نور لانه ماله من نور من ذاته، وللإشارة الى بعض وجوه التأويل ورد عن الصادق (ع) شرح في تأويل الآية حتى قال: اذا خرج بده المؤمن في ظلمة فتنتهم لم يكدير بها ومن لم يجعل الله له نوراً اماماً من ولد فاطمة (ع) فما له من نور امام يوم القيامة [أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ] جواب لسؤال مقدر نشأ من قوله يسبح له فيها فان تقبيد التسبيح بكونه في تلك البيوت وكونه من رجال مخصوصين يوهم انه لا يسبح له في غيرها فصار المقام مقام ان يسأل عن تسبيح غير الرجال المذكورين والتسبيح في غير تلك البيوت فقال تعالى: الم تر خطاباً لمحمد (ص) اول من يثأر منه الروية فان الرائي اذا نظر بادنى تأمل رأى ان جميع الذرات في جميع الاحوال وجميع الافعال يكونون في تسبيح الرب والتسبيح للرب، فان الكل يكونون في الاستكمال الفطري على الدوام وهذا الاستكمال تنزيه للطيفة التي هي اسم الرب ومرآته عن سمة نقصان وحجب القوى واخراج لها من القوى الى الفعليات، وهذا التسبيح اتم من التسبيح اللساني الاختياري الذي يكون اكثر الاوقات مشوباً بالاغراض النفسانية وتدنيهاً لتلك اللطيفة وتركاً للتسبيح في الحقيقة وضداً له، وقد سبق مكرراً ان المراد بتسبيح الرب سواء عدى بنفسه الى الرب اوالى اسم الرب أو عدى بالباء او باللام الزائدة للتقوية او باللام التعليلية تنزيه تلك اللطيفة عن شوب القوة والاستعداد فان تلك اللطيفة نازلة الرب واسمه وتنزيهاً ليس الا للرب وتنزيهاً يكون تنزيه الرب فانه تعالى شأنه يسبحه ويسبح لاجله جميع من في السماوات [و] جميع من في [الأرض] والمراد جميع الموجودات فيهما بطريق التغليب ويكون ذكر الطير بعدهما لكونها مما ليست في الارض ولا في السماء في الغلب بل بينهما، او المراد بهما ذوو العقول خاصة وذكر الطير من بين سائر الحيوان لكونها اشرف من اكثر اصنافه واكثر تعلقاً [وَالطَّيْرُ صَافَاتٍ] اي حال كونها ذوات صفيح الاجنحة في الجو، وهذا التقيد يشعر بان ذكرها لكونها في الجو [كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَوَتَهُ] الصلوة الدعاء والرحمة والعبادة المخصوصة الموضوعة في كل ملة ولكل أمة والكل مناسب فان الله يعلم دعاء كل والرحمة الثلاثة به وعبادته الخاصة به، وكل من في الارض والسماء والطير قد علم كيفية دعائه لله وطريق الرحمة الخاصة به والعبادة المخصوصة به، فان طريق رحمة كل وكيفية دعائه لله هو سيرة على طريقه الخاصة به وعدم الانحراف منها

وهو عبادته الخاصة به فعلى هذا جاز ان يكون ضمير علم راجعاً الى الله والى كل [وَتَسْبِيحُهُ] كيفية تنزيهه لله بخروجه من قواه الى فعلياته غاية الامر ان غير ذوى العقول يعلم بالشعور البسيط دون الشعور التركيبى كما فى قوله تعالى : وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا يفقهون تسبيحهم بمعنى بالشعور التركيبى [وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ بِمَا يَفْعَلُونَ] فيجازيهم بحسب افعالهم ولا يفوته شيء من افعالهم حتى لا يجزيه [وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ] يعنى انه تعالى خالقه ومالكه فكيف لا يعلم افعال خلقه فيه [وَالِىَ اللَّهُ الْمَصِيرُ] يعنى غاية ملكك السماوات والارض هو الله اورجوع افعال كل من فى السماوات والارض اليه بمعنى ان الفاعل فى الكل هو الله وان الوسائط بمنزلة الآلات كالقلم واليد والقوة المحركة والقوة الشوقية والارادة للنفس فاذا نظر الناظر الى افعال العباد وانها صادرة منهم لكن نظر الى انهم مسخرون لنفوسهم ونفوسهم مسخرة لارادتها ، وارادتها نازلة اليهم من غيرهم علم ان الافعال كلها راجعة بحسب الصدور الى مسخرة ارادات العباد وليس الا الله [أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ سَحَابًا] الجملة مستأنفة فى مقام التعليل لقوله لله ملك السماوات اول قوله الى الله المصير ، اول المجموع والخطاب لمحمد (ص) لانه هو الرأى لمثل ذلك لا المحجوب عن مشاهدة فعل الحق فى افعال العباد والطبائع ، اول كل من يتأتى منه تلك الرؤية ، اول كل راء فان كل راء ينبغى له ذلك ، والاستفهام على الاول والثانى للتقرير ، وعلى الثالث للتوبيخ ، والازجاء السوق [ثُمَّ يُؤَلَّفُ بَيْنَهُ] اى بين قطعه المتفرقة [ثُمَّ يَجْعَلُهُ] بعد جمع قطعه [رُكَّامًا] متراكماً [فَتَرَى الْوَدْقَ] اى المطر [يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنْزَلُ مِنَ السَّمَاءِ] اى من السحاب فان كل ما عاين مطبقاً فهو سماء [مِنْ جِبَالٍ فِيهَا] بدل من قوله من السماء والمعنى يتزل من السحاب من القطع المعظمة المرتفعة فى السحاب [مِنْ بَرَدٍ] بعضاً من برد والوجوه الاخرى اعراب الآية ومعناها ضعيفة جداً [فَيُصِيبُ بِهِ] اى بضرر البرد [مَنْ يَشَاءُ] من عباده فيهلك حره وماله ويخرب دوره [وَيُصْرِفُهُ عَمَّنْ يَشَاءُ يَكَادُ سُنْبُرُ قَه] اى سنا برق السحاب والبرد [يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ] لشدة لمعانه [يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ] جواب لسؤال مقدّر كأنه قيل : ما حال الليالى والايام تكون ذوات غيم وبلا غيم؟ وذوات مطر وبرد وبلا مطر وبرد؟ فقال تعالى : يقلب الله الليل والنهار بان يجعل بعضهما حاراً رطباً فيحصل فيه بخار فيتولد منه سحاب ومطر ويرد ويجعل بعضهما حاراً جذاً او بارداً جذاً او يابساً فلا يحصل فيه سحاب او بان يجعل الليل النهار والليل اوبان يجعل الليل طويلاً وقصيراً وكذا النهار [إِنَّ فِي ذَلِكَ] التقلب [لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ] الذين يبصرون الاشياء من حيث حكمها ومصالحها ونقضها وترتيبها وغاياتها المترتبة عليها ، فان هؤلاء يعتبرون باختلاف الليل والنهار بالزيادة والنقصية والبرودة والحرارة والنور والظلمة ، يستدلون بذلك الاختلاف والانتضاد فى الاختلاف والحكم المودعة فيه والغايات المترتبة عليه من تربية جملة المواليد على ان خالقهما عليم حكيم قادر قوى وان ليس هذا الانتضاد فى الاختلاف الا من مبدء حكيم وليس من الدهر كما يقوله الدهريون ، ولا من الطبع كما يقوله الطبيعيون ، ولا بمحض الاتفاق كما يقوله القائلون بالبحث والاتفاق [وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ] جملة حالية او معطوفة على قوله : الم تر ان الله يسبح (الآية) بلحاظ المعنى فانه فى معنى : الله يسبح له من فى السماوات ، والاستفهام والتقى لا يفيد الا تأكيد هذا المعنى ، اوعلى قوله : لله ملك السماوات والارض ، اوعلى قوله : والى الله المصير ، اوعلى : الم تر ان الله يزجى ، بلحاظ المعنى ، اوعلى يقلب الله الليل ، والمراد بالماء الذى خلق الله منه الدواب هو النطفة ولذلك نكر الماء اشارة الى نوع

خاص منه اوجنس الماء فانه جزء مادته وبه بقاؤه وحياته [فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ] كالحيتات والحيتان والديدان [وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ] كالاناسى والطيور وبعض حشرات الارض [وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ] كذوات الاربع من الانعام والسباع وغيرها، ولم يقل: ومنهم من يمشى على اكثر، لان اكثر ما يمشى على اكثر كان اعتماده على اربع، وما كان اعتماده فى المشى على اكثر يكون نادراً، نسب الى ابي جعفر (ع) انه قال: ومنهم من يمشى على اكثر [يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ] وهذا بمنزلة منهم من يمشى على اكثر وجواب لسؤال مقدر كانه قيل: هل كان فى الحيوان ما يمشى على اكثر؟ فقال: يخلق الله ما يشاء [إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ] فيقدر على خلق ما يمشى على اكثر من الاربع فهو فى مقام التعليل لقوله تعالى: يخلق الله ما يشاء والانيان بمن التى هى لذوى العقول فى غير ذوى العقول لتغليب ذوى العقول والاقتران به [لَقَدْ أَنْزَلْنَا] من مقام المشية ومقام الاقلام والالواح [آيَاتٍ] تدوينية فى صورة الآيات القرآنية التى تلوناها عليكم وآيات تكوينية فى صور طبيعية من مثل تسبيح من فى السماوات وازجاء السحاب وانزال الامطار وتقلب الايام وخلق الدواب كلها من الماء وجعلها مختلفات فى المشى وغيره [مُبَيِّنَاتٍ] واضحات او موضحات [وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ] بسبب تلك الآيات فلا غرو فى عدم اهتداء بعض مع وضوح الآيات الهاديات فان الهداية بيد الله لا غير، والصراط المستقيم هو الولاية وطريق القلب [وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ] عطف على الله يهدى سواء جعل معطوفاً على قد انزلنا او حالاً او يقولون حال بتقدير المبتدأ [وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا] يتوكل فى فريق منهم من بعد ذلك [يعنى ان ايمانهم محض قول لمنافاة فعلهم له ولذلك قال [وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ] وهذا وجه آخر للدلالة على عدم ايمانهم [إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ] وجه آخر للدلالة على عدم ايمانهم وانهم انما توجهوا اليه لجلب النفع فى دنياهم [أَفَى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ] فبنصر فوا عنه مع يقينهم به بسبب ذلك المرض [أَمْ ارْتَابُوا] فى نبوته [أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ] لا الله ورسوله (ص) حتى يتوهموا انه يحيف عليهم [إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ] جواب لسؤال مقدر عن حال المؤمنين الذين لم يكن ايمانهم محض القول [إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا] هذا الدعاء، او سمعنا حكمه سواء كان لنا او علينا [وَأَطَعْنَا] وأولئك هم الْمُقْلِحُونَ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ] قرئ يتقه بكسر القاف والهاء بدون الاشباع على الاصل، وقرئ يتقه بسكون القاف وكسر الهاء بلا اشباع تشبيهاً له بالكنتف فى التخفيف، وقرئ بكسر القاف وكسر الهاء مع الاشباع، وقرئ بكسر القاف وسكون الهاء تشبيهاً للضمير بهاء التسكت [فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ وَأَقْسَمُوا] اى القائلون آمناً بالله او الذين تولوا [بِاللَّهِ جِهَدَ آيْمَانِهِمْ] مفعول مطلق نوعى لا قسموا اى اقساموا بمبالغة ايمانهم كما هو عادة الكذاب يكثر الايمان ويؤكدها ويغلظها، اوجهد ايمانهم مفعول مطلق لمحذوف هو حال اى يجهدون جهد ايمانهم [لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ] بالخروج فى الغزوات [لَيَخْرُجُنَّ قُلٌ] لهم [لَا تُقْسِمُوا] اى لا حاجة الى القسم لان طاعتك [طاعة معروفة] يرتضيها العقل والعرف، ونفعها عائد اليهم لا اليك حتى يحتاجوا الى الاظهار والقسم عليها [إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ قُلْ] لهم [أَطِيعُوا اللَّهَ] بالفعل لا بالقول فقط [وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا]

اي تتولوا لاتضرّوه شيئاً [فَإِنَّمَا عَلَيْهِ] اي على الرسول (ص) [مَأْخُذٌ] من تبليغ رسالته وقد بلغ لاهدايتكم الى الطاعة حتى يكون وبال توليتكم عليه [وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ] من متابعتة فضرر التولي عائد عليكم [وَأَنْ تَطِيعُوا تَهْتَدُوا] الى الايمان الذي هو بضاعتكم لآخر تكم وهو ولاية على (ع) [وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ] اي التبليغ [الْمُبِينُ] الظاهر بحيث لا يخفى على احد او المظهر للمقصود [وَعَدَ اللَّهُ] جواب لسؤال مقدّر كأنه قيل: ما لمطيع الرسول؟ او ما لمن اهتدى الى الايمان الحقيقي؟ فقال: وعد الله ووعدته لاخلف فيه [الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ] بالبيعة العامة النبوية او بالبيعة الخاصة الولوية [وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ] التلزمات للايمان حتى يستقر ايمانهم [لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ] يجعلهم خلفاء الماضين او خلفاء نفسه [فِي الْأَرْضِ] اي ارض العالم الصغير وارض العالم الكبير بان يخرج الجبابرة المسلطين عليها عنها ويجعلهم متقادين للاسلام طوعاً او كرهاً [كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ] في الصغير او الكبير.

اعلم ، ان الفاظ القرآن لسعة لا تحمل على معنى واحد ولا على وجه واحد بل كان المنظور منها جميع معانيها بجميع وجوهها لسعة المتكلم والمخاطب بها، فالايان اذا اريد به الاسلام الحاصل بالبيعة العامة النبوية يجوز ان يراد بالعمل الصالح الاعمال اللازمة للاسلام ، وان يراد بالاستخلاف التسلط الصوري والغلبة في الدنيا كما وردت له لما قدم رسول الله (ص) واصحابه المدينة وآواهم الانصار رمتهم^(١) العرب عن قوم واحدة وكانوا لا يبيتون الا مع السلاح ولا يصبحون الا فيه ، فقالوا : ترون اننا نعيش حتى نبيت آمنين مطمئنين لانخاف الا الله؟ فنزلت هذه الآية وصدقت بعد الغلبة على المدينة ونواحيها وانقياد العرب لهم او بعد فتح مكة كما قيل : انها نزلت في فتح مكة ، وفي رواية عن رسول الله (ص) : زويت لي الارض فاريت مشارقتها ومغاربها وسبيل ملك امتي ما زوى لي منها ، وفي خبر عن المقداد عن رسول الله (ص) انه لا يبقى على الارض بيت مدر ولا وبر الا ادخله الله تعالى كلمة الاسلام بعز عزير او ذل دليل اما ان يعزهم الله فيجعلهم من اهلها واما ان يذلهم فيدينون لها وعلى هذا فمعنى قوله [وَلَيَمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ] ليسلطنهم على مخالفتهم حتى يمكنهم اظهار كلمة الاسلام ولو ازمها ، ويجوز ان يراد بالعمل الصالح البيعة الولوية الايمانية وبالاختلاف الاختلاف في العلم والتصرف بالنسبة الى العالم الصغير او الى العالم الكبير ، ويجوز ان يراد بالاستخلاف استخلاف لطيفتهم الولوية التي تظهر بصورة ولي الامر في ملكهم الصغير ، واذا قويت وتمكنت صارت خليفة الله في العلم والعمل في الصغير والكبير ، ويجوز ان يراد بالاستخلاف الاختلاف في النبوة والرسالة بعد استخلاف اللطيفة الولوية ، واذا اريد بالايمان الايمان الحاصل بالبيعة الولوية يجوز ان يراد بالاستخلاف الاختلاف في الملك او الاختلاف في العلم والعمل ، او الاختلاف بظهور صورة ولي الامر ، او الاختلاف في النبوة والرسالة ، واذا اريد بالايمان الايمان الشهودي الذي لا يكون الا بشهود ملكوت ولي الامر جاز ان يراد بالعمل الصالح البقاء على الحضور عنده ، وبالاختلاف الاختلاف في النبوة والرسالة ، والى هذه المعاني وتلك الوجوه اشير في الاخبار فانه فسّر الذين آمنوا تارة بالمسلمين وتارة بالمؤمنين القابلين للولاية بالبيعة الخاصة الولوية ، وتارة بالكاملين في الايمان من الائمة اطهار (ع) ، والاختلاف تارة بالاستخلاف في الملك وتارة بالاستخلاف في العلم والدين والعبادة ، وتارة بالاستخلاف في ظهور القائم (ع) من اراد الاخبار فليرجع

(١) اي اتفقوا على ايدائهم .

الى المفصلات [وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ] من الاعداء الظاهرة في الكبير ومن الاعداء الباطنة في الصغير
[أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي] بشيء من انواع الشرك الصوري او الباطني [شَيْئًا] من الاصنام والاهوية
والشركاء في الولاية [وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ] الخارجون عن حكم الله ودينه فان لم يبلغ
الى هذا المقام وبقي استعداد للدخول فيه كان كأنه غير خارج من طريق الانسانية وان لم يكن داخلًا فيها بالدخول
التكليفي او السلوكي بعد بخلاف من وصل الى هذا المقام وخرج بعد منه فانه خرج من القوة الى الفعل وبالخروج
من هذا المقام يبطل الفعلية ولا يكون فيه قوة واستعداد فيكون هو الفاسق حقيقة، واذا اريد بالذين آمنوا المؤمنون
التابعون للائمة (ع) من الشيعة كان انجاز الوعد في حال الحيوية الدنيا اوفى حال الاحتضار [وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ]
لما كان قوله تعالى: وعد الله الذين آمنوا تعريضاً بالحاضرين وامرهم بالايان والعمل الصالح فكان في معنى آمنوا
واعملوا الصالحات، وكان عملوا الصالحات مجملًا واراد ان يفصل الاعمال الصالحة عطف عليه قوله: اقيموا الصلوة،
او قدر آمنوا ولم يصرح به لاستفادته بعينه من قوله وعد الله الذين آمنوا بخلاف اقيموا الصلوة فانه لم يستفد من
قوله عملوا الصالحات فكانه قال فآمنوا واقبلوا الصلوة [وَأَتُوا الزَّكَاةَ] قدم مضى في اول البقرة بيان وتفصيل
لاقامة الصلوة وابتاء الزكوة [وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ] في سائر ما أمركم به او أطيعوه في اقامة الصلوة وابتاء الزكوة
بمعنى اجعلوا الداعي على صلواتكم وزكواتكم محض أمره (ص) دون غيره من المراية والصيت وامضاء العادة والمماثلة
لامثالكم او حفظ المال او تحصيله او حفظ العيال والعرض والجاه وغير ذلك مما يجعله صاحبوا النفوس غايات
لافعالهم وعباداتهم [لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ لَا يَحْسَبَنَّ] قرئ بالخطاب والغيبة، ويجوز ان يكون الخطاب لمحمد (ص)
وان يكون عامًا وعلى قراءة الغيبة فالفاعل مستتر اي لا يحسن حاسب او الفاعل [الَّذِينَ كَفَرُوا] والمفعول الاول
محذوف اي لا يحسبهم الذين كفروا [مُعْجِزِينَ] الله عن ادراكهم [فِي الْأَرْضِ وَمَاؤِيَهُمُ النَّارُ وَلَيْسَ
الْمُصِيرُ] وهذا كلام منقطع عن سابقه لفظاً ومعنى [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا] كلام منقطع لتعليم ادب من الآداب
[لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ] اي ملكتهم [أَيْمَانُكُمْ] في خبر: هي خاصة في الرجال دون النساء، قيل: فالتساء
يستأذن في هذه الثلاث ساعات؟ قال: لا ولكن يدخلن ويخرجن، وفي رواية اخرى: هم المملوكون من الرجال
والنساء والصبيان الذين لم يبلغوا [وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ] يعني في كل يوم وليلة
[مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ] يعني في الاوقات التي يكون الانسان في الاغلب عاريًا من الثياب الساترة للعورات
ومن ثياب التجمل ودخول الموالي وغير البالغين المميزين في تلك الاوقات يوجب رؤية العورات والمساوي
ويذهب بهيبة الشخص من الانظار [وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهيرةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ] لم يقل
في جوف الليل لانه ليس وقت طواف ودخول اولان الامر بالاذن في طرفي النهار يكون لاستغراق الليل، اولان وجوب
الاذن في الطرفين يوجب وجوبه في وسطه بالطريق الاولى [ثَلَاثَ عَوْرَاتٍ لَكُمْ] العورة الخلل في الثغرو غيره
وكل مكن للستر والسوء والساعة التي هي قمن من ظهور العورة فيها وهي المراد ههنا [لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ
جُنَاحٌ بَعْدَ هُنَّ] في ترك الاستبذان والدخول من غير اذن ان شاؤا [طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ] استئناف جواب لسؤال
مقدر في مقام التعليل بتقدير مبتدئ محذوف اي هؤلاء لاجل حاجتكم اليهم في خدمتهم وفي تربيتهم كثير الطواف

عليكم، ويكون الاستيذان عسراً عليكم وعليهم [بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ] بدل من الضمير واشعار بأنهم كالأجزاء والأجزاء منكم فلا حاجة لهم ولا لكم إلى الاستيذان في غير وقت ظهور العورات، أو بعضكم فاعل فعل محذوف أو مبتدأ خبر محذوف [كَذَلِكَ] التبيين من تبيين الأحكام مع الإشارة إلى عللها وحكمها [يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ] الأخرى والأحكام القلبية والقلبية مع حكمها وعللها [وَاللَّهُ عَلِيمٌ] يعلم مصالح ما يجعله شريعة لكم [حَكِيمٌ] ينظر إلى دقائق الحكم ويشرع ما يترتب عليه دقائق الحكم [وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ] لأم من المماليك فان حكم أطفالهم وقت البلوغ حكم أنفسهم في الاستيذان في الأوقات الثلاثة [الْحُلُمُ فَلْيَسْتَأْذِنُوا] في جميع الأوقات فانه المستفاد من اطلاق الاستيذان ومن مقابلته مع غير البالغين الذين كان حكمهم الاستيذان في الأوقات الثلاثة [كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ] أي الذين كانوا بالغين ومستأذنين من قبلهم [كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ] التكرار لمحض التأكيد والمبالغة في أمر الاستيذان [وَالْقَوَاعِدُ] الثلاثي تعدن من طلب النكاح ليأسهن من رغبة الرجال اليهن وعدم ميل الرجال اليهن لكبرهن [مِنْ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا] لعدم طمعهن فيه وعدم طمع الرجال فيهن [فَلْيَسَسْ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ] الجملة خبر الموصول ودخول الفاء في الخبر أما لكون اللام موصولاً، أو لوصف القواعد الثلاثي، أو لتوهم أمّا أول تقديره، ولما أمر بالاستيذان وقت ظهور العورة وطرح الثياب استفيد منه لزوم لبس الثياب وستر العورات خصوصاً للنساء اللاتي يكون جميع بدنهن عورة قال أمّا العجائز فليس عليهن جناح [أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ] يعني بعض ثيابهن وهو الجلباب والخمار كما قرئ ان يضعن من ثيابهن فان اظهار غير الكتفين والقدمين والوجه من البدن على غير المحارم كما كان حراماً لغير العجائز كان حراماً لهن ايضاً [غَيْرِ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ] أي بشيء من الزينة ومواضعها فان اظهار الزينة ومواضعها سواء كان من العجائز أو غيرهن ممّا يريب الرجال، نعم ورد استثناء الشعور منهن فانه ان لم يكن الرجال يتزجرون من رؤيتها لم يكونوا يرغبون فيها [وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ] بالستر وترك وضع الثياب [خَيْرٌ لَّهُنَّ] من الوضع [وَاللَّهُ سَمِيعٌ] فلا يظن للرجال ما يريهم [عَلَيْهِمْ] بنيتنهن فلا يضعن ثيابهن لقصد اتيان الرجال [لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ] استئناف منقطع عن سابقه لفظاً ومعنى ولذلك لم يأت بأداة الوصل وبيان لادب آخر من آداب المعاشرة وذلك كما روى ونقل ان المرضى كانوا يكرهون معاشره الاصحاء ومؤاكلتهم لتأفف الاصحاء عن معاشرتهم ولا احتمال انزجارهم من مؤاكلتهم ومعاشرتهم وكان الاصحاء يكرهون مؤاكلتهم لعدم قدرتهم على الاكل مثلهم، وكان الغازون اذا خرجوا إلى الغزاء خلقوا الزمنى على بيوتهم وكره الزمنى الاكل منها وكان اذا خرج سرية كانوا يدفعون مفاتيح بيوتهم إلى الغازين ليأخذوا ويأكلوا ما يحتاجون اليه فيكرهون الاكل منها دون الاجتماع مع صاحبها، وكانوا اذا ارادوا ان يطعموا المرضى ولم يكن في بيوتهم ما يطعمهم به ذهبوا بهم إلى بيوت قريباتهم فكره المرضى الاكل منها وكان المرضى يتحرجون بعدم الاستطاعة للجهد وعدم القدرة على الطاعة وعدم زيارة الرسول (ص) والمؤمنين مثل الاصحاء فرفع تعالى الحرج من ذلك كله بقوله ليس على الأعمى حرج [وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ] وحذف المتعلقة ليذهب ذهن السامع كل مذهب ممكن، وقدمضى في أول الكتاب ان الوجوه المحتملة كلها مقصودة من الفاظ القرآن فكانته قال: ليس على هؤلاء حرج في المؤاكله مع الاصحاء والمعاشره معهم، ولا في الاكل من بيوت من خلقهم عليها ولا في الاكل والاخذ من البيوت التي اعطاهم صاحبوها مفاتيحها، ولا في الاكل من بيوت اقرباء الداعين ولا في التخلف

عن الجهاد ولا في عدم الطاعة والزبارة مثل الاصحاء، وكرر لفظ حرج للإشارة الى عدم الفرق بين الثلاثة في ظن التحرج وعدمه [وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ] حرج [أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ] متعلق بالمجموع او مختص بالخير والمعنى ليس على انفسكم حرج في ان تأكلوا منفردا او مع المملولين من بيوت انفسكم ولما كان الولد وبنته للوالد جعل بيته داخلا في بيوتكم ولم يذكر منفردا كما ورد في حق ولد: انت ومالك لا بيك، وورد: ان اطيب ما يأكل المرء من كسبه، وان ولده من كسبه [أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْكُمْ مَفَاتِحُهُ] بكونكم وكلاء للمالك في ضيعته او مخزنه اوداره، او اعطى المالك المفتاح عارية، او المراد بيت المملوك فان المفاتيح جمع المفتاح بمعنى المخزن والسيد مالك للمولى ومملوكه [أَوْ صَدِيقِكُمْ] فان الصداقة تقتضى التسور بأكل الصديق من بيته ولا اقل من الاذن ولكن كل ذلك مالم يعلم عدم الاذن من صاحبيها، ومالم يؤذ الى السرف والافساد [لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا] مجتمعين مع صاحبي البيوت او مع المملولين او مع انسان آخر او مع ضيف [أَوْ أَشْتَاتًا] متفرقين منفردين فانهم كما قيل كرهوا الأكل من البيوت المذكورة بدون صاحبيها وبعض البطون كان الرجل منهم لا يأكل وحده ويتحرج بالأكل وحده وكانوا لا يأكلون في بيوت الفقراء فان الغنى كان يدخل بيت الفقير من ذوى قرابته او صداقته فيدعوه الى طعامه فيتحرج عن الأكل وكانوا اذا نزل بهم ضيف يتحرجون الأكل الا معه [فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا] ادب آخر واتى بالفاء لانه متعقب للاذن في دخول البيوت [فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ] يعنى ليسلم بعضكم على بعض فان المعاشرين كلاً منهم بمنزلة نفس الآخر، وسلموا على اهل البيوت حتى يردوا السلام عليكم فيكون سلامكم على اهل البيوت سلاماً على انفسكم، وسلموا على انفسكم اذا لم تجدوا فيها احداً بان تقولوا: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين او بان تقولوا: السلام علينا من عند ربنا [تَحِيَّةٌ] مفعول مطلق من غير لفظ الفعل [مِنْ عِنْدِ اللَّهِ] مشروعة من عند الله او نازلة من عند الله فان لسان المسلم حين يسلم بأمر الله يكون مسخراً لأمر الله، والجارى على اللسان المسخر لله جارٍ من الله [مُبَارَكَةٌ] لانها دعوة مؤمن بأمر الله ودعوة المؤمن للمؤمن بركة عليهما، واذا كانت بأمر الله وكان الداعي ناظراً الى امره ضوعفت بركتها [طَيِّبَةٌ] لما فيها من صيرورة نفس المسلم والمسلم عليه طيبتين [كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ] واحكام المعاشرة او الآيات التدوينية في بيان احكام المعاشرة [لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ] حكمها ومصالحتها ولعلكم تصيرون عقلاء ولعلكم تعقلون الآداب اللازمة في المعاشرة وتفهمونها فتعملوا بها [إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ] منقطع عن سابقه لفظاً ومعنى او هو جواب لسؤال مقدّر كأنه قيل: اذا لم يمثل المؤمنون تلك الاوامر هل كانوا مؤمنين؟ فقال: انما المؤمنون [الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ] فلا يتخلقون عما امروا به [وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ] للمؤمنين كالجمعة والعيد والقتال والمشاورة [لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ] للذهاب [إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأُذِنَ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ] يعنى ان الامر مفروض اليك [وَأَسْتَغْفِرُ لَهُمْ اللَّهُ] اى للمستأذنين فان الالتفات الى غيرك وغير الله اذا كانوا عندك معصية عظيمة لهم [إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ] يغفر ما يلحقهم من التوجه والنظر الى غيرك حين لا ينبغي ان ينظروا الا اليك [رَحِيمٌ] يرحمهم بواسطة التوجه اليك والاستيذان

منك ، نقل ان الآية نزلت في حنظلة بن ابي عبيد بن ابي عبيد وذلك انه تزوج في الليلة التي كانت في صبيحتها حرب احد فاستأذن رسول الله (ص) ان يقيم عندها فأنزل الله عز وجل هذه الآية فأقام عندها ، ثم أصبح وهو جنب فحضر القتال واستشهد فقال رسول الله (ص) : رأيت الملائكة تغسل حنظلة بماء المزن في صفائح من فضة بين السماء والارض فكان سمي غسيل الملائكة [لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ] اي دعاءكم ونداءكم للرسول (ص) [بَيْنَكُمْ كَدُّ عَاءٍ بَعْضِكُمْ بَعْضًا] بان تذكر واسمه او كنيته او تنادوه بصوت رفيع بل اخفضوا من اصواتكم عنده ولا تذكروه باسمه وكنيته بل اذكروه بالفاظ التعظيم مثل يا رسول الله (ص) ، ويانبي الله (ص) ، وامثال ذلك ، ولا تقولوا : يا محمد (ص) ، ويا ابا القاسم (ص) كما في الخبر ، نسب الى الصادق (ع) انه قال : قالت فاطمة (ع) : لما نزلت هذه الآية هبت رسول الله (ص) ان اقول له : يا ابي ، فكنت اقول : يا رسول الله (ص) فأعرض عني مرة او اثنتين او ثلاثا ثم اقبل على فقال : يا فاطمة (ع) انها لم تنزل فيك ولا في اهلك ولا في نسلك ، انت مني وانا منك ، انما نزلت في اهل الجفاء ، والغلظة من قریش من اصحاب البرزخ والكبر ، قولي : يا ابي فانها احب للقلب وارضى للرب ، والمعنى لا تجعلوا دعاء الرسول (ص) لكم او عليكم بالخير او الشر كدعاء بعضكم بعضا للغير او على الغير في جواز عدم الاجابة او كدعاء بعضكم الله لبعض او على بعض ، او المعنى لا تجعلوا دعاء الرسول (ص) لكم الى امر كجهاد وغيره كدعاء بعضكم بعضا [قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ] لفظة قد للتحقيق [الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ] انسل وتسلل انطلق في استخفاف يعني يعلم الله الذين يتسللون من الجهاد في استخفاف وهو ان يهرب لا يطلع عليه احد او ينطلقون من المسجد كذلك فانه نقل ان المنافقين كانوا ينقل عليهم خطبة النبي (ص) يوم الجمعة فيلوذون ببعض اصحابه فيخرجون من المسجد استتارا من غير استئذان ، وقيل : كانوا يتسللون من الجهاد [لَوْ اِذَا] مفعول له او مفعول مطلق يحذف مضاف اي تسلل لو اذ احوال والتو ذبا لشيء الاستتار والاحتصان به كاللواذ مثله واللياذ والملاوذة [فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ] اي عن امر الله او عن امر الرسول (ص) [أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ] بليّة او امتحان يظهر ما في قلوبهم من النفاق في الدنيا [أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ] في الآخرة او كلاهما في الدنيا او في الآخرة او في كليهما [أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ] بعد ما حذرهم بالعذاب على مخالفة امره حقق ذلك بأنه قادر عليه ولا مانع له منه لكون الكل مملوكين له من غير مانع [قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ] من الافعال والاحوال والاخلاق والنيّات والخطرات والمكمونات التي لا استشعار لكم بها ، وهذا تعميم لعلمه تعالى بعد تخصيصه بالذين يتسللون وتأکید لتحذيرهم بأنه عالم بجميع ما كنتم عليه [وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ] عطف على محذوف اي يعلم الآن ويوم يرجعون او عطف على ما كنتم عليه او ظرف لفعل محذوف بقرينة قوله [فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا] او ظرف لينبئهم ، وتخلل الفاء امّا بتوهم امّا ، او بتقديرها ، اولفظة الفاء زائدة فلا تمنع من عمل ما بعدها في ما قبلها ، وعلى اي تقدير يكون الكلام التفاتاً من الخطاب الى الغيبة

[وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ]

تعميم آخر لعلمه تعالى .

سُورَةُ الْفُرْقَانِ

وهي سبع وسبعون آية، مكيّة كلّها، وقيل: مكيّة الثلاث آيات منها نزلت بالمدينة من قوله: والذين لا يدعون مع الله الهاً آخر (الى قوله) غفوراً رحيماً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ] هو اسم للقرآن باعتبار نزوله الى مقام الفرق وعالم الفصل، وباعتبار صدوره عن مقام قلب النبي (ص) الذي يعبر عنه بالبيت المعمور فان المصدر الذي هو قلب النبي (ص) يكون حينئذ من عالم الفرق، وباعتبار فرقه بين الحق والباطل والمحق والمبطل، وباعتبار تفرقه في النزول طول ثلاث وعشرين سنة، وباعتبار محكماته التي هي ميّزات المعنى، وقد مضى في سورة البقرة عند قوله: هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، وفي أول آل عمران بيان اجمالاً للفرقان والقرآن، وقد سبق ان اختيار التنزيل على الانزال في القرآن باعتبار انه منزّل من مقام الاطلاق الى مقام التقييد ومحتاج الى تعميل شديد من قبل من ينزل عليه بخلاف سائر الكتب السماوية فانها منزلة من مقام التقييد ولا حاجة فيها الى زيادة تعميل من قبل من ينزل عليه، وتعليق تبارك على الموصول للاشعار باعتبار حيثيّة الصلة في الحكم كانه قال: كثر خيرات الذي نزل الفرقان من حيث انه نزل الفرقان وهو يدل على كثرة خيرات الفرقان وهو كذلك لان المتوسّل به يكثر خيراته الذنوبية وخيراته الاخرية كما في الآيات والاخبار وكما يشهد به التجربة والوجدان [عَلَى عَبْدِهِ] يعني محمداً (ص) [لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ] جمع العالم وهو ما سوى الله او ما في جوف الفلك او ما اشتمل على كثرات متحدات بالوحدة الطبيعية كأفراد النبات والحيوان والانسان او ما اشتمل على افراد كل واحد من تلك الافراد مشتمل على كثرات متحدات بالوحدة الطبيعية كانوا من النباتات والحيوان ونوع الانسان، او هو اسم جمع لان شرط الجمع بالواو والنون ان يكون مفردة علمياً لمذكر عاقل او وصفاً له، ولان العالمين مختصّ بذوى العقول والعالم اعم من ذوى العقول كما قيل، وعلى اى تقدير كان المقصود من العالمين المكلّفين من الانس والجن لان انذاره (ص) خاصّ بهم [نَذِيرًا] وللأشعار بان الانذار مختصّ بشأن الرسالة المشعّرة تنزيل الكتاب فان الكتاب لا يكون الا للرسول (ص) اقتصر عليه ولم يذكر التبشير الذي هو من شؤون الولاية [الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ] قد تكرر فيما سلف ان اللام في مثله يدخل على المبدء والغاية والمالك، ولما كان المقصود ذم من اتخذ من دون الله الهاً ومن انكر الرسول (ص) وكتابه وصف نفسه او لا بكثرة الخيرات ثم بانزال الكتاب على محمد (ص) ليكون كالبرهان على ذم من أنكرهما ثم وصف نفسه بخالقية ملك السماوات والارض ليكون ردّاً على من زعم ان للشيطان ملكاً وهو منعزل عن الله ومقابل ومعاذ له [وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا] وهذا رد على من زعم ان عيسى (ع) او عزيراً ابن الله، وعلى من قال: نحن ابناء الله [وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ] وهو ردّ

على من زعم ان الاصنام والكواكب او اهرimen شريك له في الملك [وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ] رد على من قال بقدوم الكواكب او الظلمة او اهرimen [فَقَدَرَهُ] اي قدر ذاته واحواله وارزاقه وامد بقاءه ووقته ومكانه واجله [تَقْدِيرًا] وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ [اي من دون هذا الذي ذكر بالاوصاف المذكورة] [الِهَةً] لا يوصفون بشيء من الاوصاف المذكورة بل يوصفون بأضدادها فانهم [لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا] فضلا عن ان يكونوا مالكين للسموات والارض [وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا] يعني لا يملكون المنسوبات الاختيارية ولا المنسوبات الغير الاختيارية [وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا] بالله انكاراً لرسالة رسوله (ص) وكتابه [إِنْ هَذَا إِلَّا فِكْ أَفْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ] يعني لما عجزوا عن معارضته ورأوا حسن نظمه أنكروه وقالوا: كان هذا بمعاونة معاونين له [فَقَدْ جَاءُوا] اي منكروا الرسالة ومنكروا الله والرسالة جميعاً [ظُلُمًا] حيث أنكروا ما حقه الاقرار وعبدوا ما حقه الجحود والانكار [وَزُورًا] اي رأياً وقولاً منحرفاً عن الصواب [وَقَالُوا] هذا القرآن او هذه الاخبار التي يخبر محمد (ص) بها [أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ] اي مكتوبات الاقدمين وصلت اليه او الاحاديث المتفرقة التي لانظام لها كانت من الاولين ووصلت اليه وقد مضى ان الاساطير جمع الأسفار جمع السطر، اوجمع الاسطار او الاسطير بكسر الهمزة فيهما، اوجمع الاسطور بضم الهمزة وتستعمل الثلاثة بالتاء والمجموع بمعنى الاحاديث التي لانظام لها [اَكْتَتَبَهَا] مستأنف او خبر لاساطير الاولين، واكتب بمعنى كتب واستكتب او استملا، وقرئ اكتبها مبنياً للمفعول على ان يكون اصله اكتب له الاساطير ثم حذف التلام واتصل الضمير واستتر [فَهِيَ تُمَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا] يعني تكرر تلك الاساطير عليه حتى يحفظه لانه كان امياً او تملى عليه لتكتب له [قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ] من سموات الاجسام والارواح وكذا ارضهما، ومن يعلم السر الذي لا يطلع عليه احد من السموات والارض في العالم الكبير يعلم السر والجهر من سموات الارواح وارض الاشباح منكم فاحذروا من ان تقولوا او تفعلوا في الملاء او الخلا او تخیلوا او تنووا ما يليق بالله او بمحمد (ص) اوبكم [إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا] جواب لسؤال مقدر كأنه قيل: فلم لا يؤخذ العاصي والعاني؟ - فقال: انه كان غفوراً يستر على المساوي ولا يؤخذ ما بقي في العاصي استعداد التوبة [رَحِيمًا] يرحمهم فضلاً عن ان لا يؤخذهم [وَقَالُوا] مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ [زعموا ان الرسالة تنا في البشرية ولو ازمها ولذلك قالوا: ما لهذا الرسول ليكون حجة على انكارهم [وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ] لرفع الحاجات ظناً منهم ان الرسول (ص) لا ينبغي ان يكون محتاجاً وهذا خطأ منهم فان الرسول لو لم يكن بشراً او كان بشراً ولكن لم يكن متصفاً بلوازم بشريته لما صح رسالته فان الرسول (ص) هو الذي يحفظ حقوق الكثرات ولو لم يكن فيه دقائق الكثرات ممتازة لما صح منه حفظ حقوقها [لَوْلَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا] وهذا ايضاً خطأ منهم فان الملك لو كان يصح ان يراه البشر من غير منخيتهم معه لكان هور سولاً بل الملك ان ظهر على البشر هلك اوجن او غشى عليه فلا يصح نزول الملك اليه بحيث يشاهدوه [أَوْ يُلقَى إِلَيْهِ كَنُزٌ] وهذا ايضاً خطأ فان مشية الله لم تقتض اجراء الاشياء الا بالاسباب [أَوْ تُكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا] لما حصروا الخيرات في الخيرات الحسية قالوا امثال ذلك [وَقَالَ الظَّالِمُونَ] وضع الظاهر موضع المضمر اشعاراً بظلمهم وبيان هذه الاقوال منهم ليست الا ظلاماً [إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا]

سحر كمنع خدع وتباعد وكسح تكبير، والمسحور المفسد من المكان لكثرة المطر او قلة الكلا [أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا
لَكَ الْأَمْثَالَ] يعنى فى حقك او مخاطباً لك فانتهم شبهوا رسالته من الله بالرسالة من ملك الروم تارة ومن ملك
الفرس اخرى ، وان رسول الروم او الفرس له خدع وحشمة وخيام واموال وربنا تعالى شأنه خالفهما فليكن رسوله
اشرف من رسولهما [فَضَّلُوا] حيث انصرفوا عن طريق الآخرة وتوجهوا الى الدنيا وشبهوا رسول الله (ص) فى الامور
الاخروية برسول الملوك فى امور الدنيا [فَلَا يَسْتَطِيعُونَ] الى الآخرة او الى الحق الواقع والمعنى فضّلوا عن طريق
المحاجة فلا يستطيعون [سَبِيلًا] بالغلبة فى المحاجة، وقصة عبد الله بن ابي امية المخزومي ومحاجته مع الرسول (ص)
وتمثيله له ملك الروم والفرس مذكور فى المفصلات [تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ] لكنه
لم يشأ ذلك لمنافاته للرسالة من الله وترغيب الناس عن الدنيا [جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ] قد مضى فى
آخر آل عمران فى ذيل قوله تعالى فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم بيان كيفية جريان الانهار من تحت الجنات
[وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا] والجملة على قراءة ورفع يجعل معطوفة على قوله تبارك الذى يعنى يجعل لك فى الآخرة
قصوراً، وعلى قراءة الجزم معطوفة على الجزاء، ويصح عطفه على الجزاء على قراءة الرفع ايضاً [بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ]
اضراب من الادنى الى الاعلى يعنى كذبوك فى رسالتك بل كذبوا بالقيامة والآخرة التى هى متفق عليها من الكل
[وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَاعَةً سَعِيرًا] إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا [التغيظ شدة الحر
او هو من الغيظ بمعنى الغضب او شدة اوسورته وتغيظ السعير لكون عالم الآخرة بشرارته حياً عالماً شاعراً محباً لله
مبغضاً لله [وَزَفِيرًا] زفير النار صوت توقدها [وَإِذَا الْقُلُوبُ مِنْهَا مَكانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا]
الثبور الهلاك او الويل [لَا تَدْعُوا] جواب سؤال مقدير بتقدير القول كأنه قيل: ما يقال لهم؟ فقال: يقال لهم: لا تدعوا
[الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا قُلْ] لهم [أَذَلِكْ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ
كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً] جواب لسؤال مقدير ورفع لتوهم الامتنان بهذا الاحسان [وَمَصِيرًا] الهم فيها ما يشاؤون
خالددين [ولمّا كان تمام الاحسان الى الاضياف حضور ما يشاؤه كل واحد وعدم زوال النعمة أى بهما [كَانَ
عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ] عطف على هنا لك سواء كان للزمان او المكان، او عطف على قل
بتقدير اذكر، او ظرف ليقول والفاء زائدة او بتقدير امّا او توهمها [وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ] من افراد البشر ومن
سائر المواليد ومن الكواكب والاصنام او ما يعبدون عبادة طاعة من دون ولى امرهم [فَيَقُولُ] خطاباً للمعبودين
[أَنْتُمْ أَضَلُّنَّكُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ] بأنفسهم [ضَلُّوا السَّبِيلَ قَالُوا] التعبير بالماضى لتحقيق وقوعه
اول وقوعه بالنسبة الى محمد (ص) فانه كان يشاهد كل ما لم يشاهده غيره من امر الآخرة [سُبْحَانَكَ] عن كون
امثالنا انداداً لك وشركاء فى العبودية [مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا] يعنى للعابدين ولنا والمراد المعبدون فقط [أَنْ
نَتَّخِذَ] قرئ بالنون مبنياً للفاعل ومبنياً للمفعول [مِنْ دُونِكَ] من دون اذنك او هو حال من اولياء ولفظ من
للتبويض [مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ] من المشتهيات الدنيوية فاشتغلوا بها عن الآخرة [وَأَبَاءَهُمْ] يعنى
لم يكونوا فى ضيق فى وقت كونهم مستقلين بأمرهم ولا فى وقت كونهم عيالاً لغيرهم فلم يكن لهم اضطراب حتى

يتذكروا الآخرة وتكون في ذكركم [حَتَّىٰ تَسْأَلَ الدَّكَرَ] الذكركيطلق على الكتب السماوية والشرائع الالهية، وعلى الرسالة والولاية، وعلى الانبياء ووصيائهم (ع)، وعلى الولاية التكوينية التي هي فطرة الله التي فطر الناس عليها، وعلى الجهة التي بها يتذكر الله من الاشياء [وَكَانُوا] في الذكراوباصل فطرته اوصاروا [قَوْمًا بُورًا] هالكين مصدر ووصف به ولذلك يطلق على الواحد والاثني والجماعة والمذكر والمؤنث بلفظ واحد، او مشترك بين جمع باثرو وصف باربعين هلك ومصدره يعني انهم كانوا هالكين من الحيوة الانسانية وغافلين عن اللطيفة الالهية التي بها يكون تذكر الانسان لله ولا مورا الآخرة فلم يتذكروا من التوجه الينا امرأا لهيأا اخرويا بل كان توجههم في العبادة لنا الى الجهة النفسانية منا الموافقة لجهانهم النفسانية واهويتهم الكاسدة وشياطينهم المغوية فكانوا في عبادتنا يعبدون الجن واهويتهم [فَقَدْ كَذَّبُواكُمْ] عطف على قالوا بتقدير القول اي فيقال للعابدين: فقد كذبكم المعبودون وصرف للخطاب من المعبودين الى العابدين [يَمَاتُ قَوْلُونَ] الباء بمعنى في او للتبسيطة او للتعدية نظير كذب بالآيات بمعنى كذب الآيات، ويكون حينئذ بدلا من المفعول والمعنى كذبكم المعبودون في قولكم انهم آلهة او في قولكم انكم عبدتموهم، او في قولكم ربنا هؤلاء اضلونا وقرى بالغيبة والمعنى كذبكم المعبودون بقولهم: سبحانهك (الى آخرها) [فَمَا تَسْتَطِيعُونَ] ايها المشركون [صَرَفًا] للعداب عن انفسكم [وَلَا نَصْرًا] لانفسكم وقرى بالغيبة فيكون المعنى لا يستطيع المعبودون صرفا ولا نصرا لكم ثم تصرف الخطاب الى المكلفين الحاضرين فقال: [وَمَنْ يَظْلِمُ مِنْكُمْ] بالاشراك بالله اوبى ظلم كان لكن بشرط ان لا يتوب [نَذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا] والشرط مطلق والوعيد غير مقيد لكن الخلف في الوعيد غير قبيح بل حسن ممدوح ثم تصرف الخطاب الى محمد (ص) فقال رداً على من أنكراكل الرسول (ص) ومثبه في الاسواق [وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا أَنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً] اختباراً وفساداً فان الله جعل الانبياء والاولياء (ع) فتنة وامتحاناً للمؤمنين، واختباراً وفساداً للمنافقين، وجعل المؤمنين ارتياضاً وامتحاناً بافعالهم الغير المرضية للانبياء والاولياء (ع) وبأفعالهم الاخرية واتصالهم بالرسالة والولاية اختباراً وفساداً للمنافقين، وجعل المنافقين والكافرين امتحاناً للانبياء والاولياء (ع) بايذائهم القولية والفعلية وللمؤمنين كذلك، وعلى هذا كان اضافة بعض الى الضمير لتعريف الجنس المفيد لفرد ما لا على التعيين [أَتَصْبِرُونَ] استفهام في معنى الامر اي اصبروا [وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا] جملة حالية في معنى التعليل سواء قلنا بلزوم قد في الماضي الذي وقع حالاً او لم نقل.

[الجزء التاسع عشر]

[وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا] اي لقاء حسابنا وثوابنا وعقابنا او لقاء مظاهرتنا، وعدم رجاء اللقاء اما بعدم الاعتقاده او بعدم الالتفات والتوجه اليه وعدم الطلب له كحال اكثر المعتقدين للآخرة [لَوْلَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْمَلَائِكَةَ] لرسالة الرب فان الملك اولى بالرسالة من الله من البشر او لتصديق محمد (ص) في رسالته، او المعنى ان كان ينزل الملك على محمد (ص) فلو لا انزل علينا الملائكة فانا ان لم تكن اولى بنزول الملك منه فلسنا بادون منه [أَوْ تَرَىٰ رَبَّنَا] فيخبرنا بنفسه بشكايها او يخبرنا ان محمداً (ص) رسول مني، وان كان لنا رب يرسل رسولا ييناقلهم لا يظهر علينا حتى نريه؟ [لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ] عند انفسهم [وَعَتَوْا] تجاوزوا الحد في الاستكبار [عُتُوا] كبراً ايوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين يعني انهم استدعوا نزول الملائكة وهم مجرمون متدنسون بدنس المادة والملائكة مجردون عن المادة مطهرون عن دنسها ولا يظهر المجرد على المادي

ألا هلك واذا هلك المادى الغير المطهر من ادناسها لم يكن له بشرى بل كان له العذاب ، ووضع المجرمين موضع المصمر ليكون كالعلة للحكم [وَيَقُولُونَ] اى الملائكة [حَبْرًا مَحْجُورًا] حراماً محرماً يعنى البشرى او الجنة او رؤية الرب او التعود فانه لامعاذ لكم او يقول المجرمون ذلك [وَقَدْ مَنَّاْ عَلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ] اى عمل كان مما يحسبونه ذخراً لآخرتهم من الصدق والامانة والوفاء والديانة والانفاقات والصلوات والاعمال التى كانت على صورة مله آلهية وعبر بالماضى لايهام انه واقع او اخبار عن وقوعه ، او اخبار بان المخاطب حاله ومقامه حال من قامت قيامته ويرى ما سبق بالنسبة الى الناقصين واقعاً [فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً] الهباء عبارة عن الغبار الذى يرى فى شعاع الشمس [مَشْتُورًا] صفة هباء او خبر بعد خبر [أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ] يوم القيامة او يوم يرون الملائكة [خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا] اى افضل منزلاً [وَأَحْسَنُ مَقِيلًا] مستراحاً من هؤلاء فى الدنيا وليس التفضيل مراداً [وَيَوْمَ تَشْقَى السَّمَاءُ] عطف على يومئذ او على يوم يرون الملائكة او متعلق بالحق ، او بقوله للرحمن والجملة معطوفة على سابقتها [بِالْغَمَامِ] حال كون السماء متلبساً بالغمام او تشقى بتراكم الغمام وقوته كأن الغمام صار آلة التشقى او تشقى بخروج الغمام الذى قال الله تعالى: هل ينظرون الا ان يأتهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة [وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا] فان فى وقت الاحتضار تشقى سماء الارواح ويظهر الغمام الحاصل فى الروح من كدورات النفس بالشهوات والغضبات وينزل الملائكة رحمة او نعمة [أَلْمَلِكُ] هو بتثليث الميم مصدر ملكه واسم للمملوك وهو مبتدء وقوله [يَوْمَئِذٍ] خبره سواء كان بمعناه المصدرى او بمعنى المملوك لكن اذا كان بمعنى المملوك كان التقدير عظمة الملك لتلازم الاخبار بطرف الزمان عن الذات وحينئذ يكون قوله [الْحَقُّ] خبراً بعد خبر [لِلرَّحْمَنِ] كذلك او متعلق بالحق او حال عن المستتر فيه او يومئذ متعلق بالملك او بالحق او بقوله للرحمن والحق خبره ، وللرحمن مثل السابق او الحق صفته وللرحمن خبره والمراد بقوله يومئذ يوم الاحتضار والموت او يوم القيامة [وَكَانَ] ذلك اليوم [يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ] عطف على المستتر فى كان او على يومئذ او على يوم تشقى السماء ، او متعلق بيقول الآتى والجملة معطوفة على سابقتها وعص الظالم [عَلَى يَدَيْهِ] كناية عن غاية ندمه وتحسره فان الغضوب او المتحسر اذا بلغ الغاية فى الغضب او التحسر يعص على انامله ويده [يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا] طريقاً الى النجاة او طريقاً واحداً ولم يفرق بين الطرق او طريقاً عظيماً هو طريق الولاية وهذا هو المناسب لقوله [يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا] ان كان المنظور التعريض بالامة فالمراد بقوله فلاناً منافقوا لامة وان كان المنظور مطلق الظالم فالمراد بقوله فلاناً مطلق الرؤساء فى الضلالة [لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ] عن الشريعة او الولاية او القرآن او النبى او الولى او على (ع) او العقل او الفطرة [بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي] التذكر بلسان الرسول (ص) او مطلقاً [وَكَانَ الشَّيْطَانُ] ابتداء كلام من الله او من قول الظالم [لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا] لانه يدعو الانسان الى امر ثم يتركه ولا ينصره وقت حاجته فى الدنيا او فى الآخرة [وَقَالَ الرَّسُولُ] عطف على يقول ياليتنى او على يعص الظالم او على تشقى السماء وعلى التقادير فالمعنى على الاستقبال اى يقول الرسول (ص) فى ذلك او عطف على قال الذين لا يرجون ويصيه يعنى قال الذين لا يرجون استهزاءً بالرسول (ص) :

لولا انزل علينا الملائكة ، وقال الرسول (ص) تشكيماً منهم [يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ] يعني جملة القرآن أو قرآن ولاية على (ع) [مَهْجُوراً] متروكاً ، وفي خطبة عن امير المؤمنين (ع) فاننا الذكر الذي عنه ضل ، والتسبيل الذي عنه مال ، والايمان الذي به كفر ، والقرآن الذي اياه هجر ، والذين الذي به كذب [وَكَذَلِكَ] اي مثل جعل الاعداء لك مشتتاً على حكم ومصالح عديدة من سوق اتباعك الى دار الآخرة كما قيل :

ابن جفاى خلق بر تو در جهان	گر بدانى گنج زر آبد نهان
خلق را با تو چنين بد خو کند	تا ترا ناچار رخ آنسو کند
آن يکى واعظ چو بر منبر پدى	قاطعان راه را داعى شدى
مى نکردى او دعا بر اصفيا	مى نکردى او خبيثان را دعا
سرورا گفتند کايں معهود نيست	دعوت اهل ضلالت جود نيست
گفت نيکوئى از اينها ديده ام	من دعاشان زين سبب بگزیده ام
چون سبب ساز صلاح من شدند	پس دعاشان بر من است اى هوشمند

ومن نشر فضلك فى العالم وايصال صيتك الى اسماع بني آدم فان فضل الفاضل ينشره حسد الحاسدين ومن توجيه الناس وترغيبهم الى رؤيتك وصحبك فان النفوس مفطورة على التوجه الى كل جديد ، ومن تمييز المؤمن عن الكافر والخالص عن المنافق ، ومن ظهور المعجزات عنك بسبب العداوة ومن تمكينك فى دينك وتمكين اتباعك وتقوية قلوبكم وغير ذلك من المصالح [جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا] المراد بالعدو اما الجنس المطلق على الواحد والكثير ، او المراد به معنى الجمع فانه كان لكل نبي اعداء عديدة ولفظ العدو يطلق على الواحد والجمع [مِنَ الْمُجْرِمِينَ] لا المؤمنين [وَكَفَىٰ يَرْبُكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا] نسليه (ص) ولا مته من شدة الخوف من كثرة الاعداء [وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً] يعنى تارة يقولون : لولا انزل علينا الملائكة سخرية بك ، وتارة يقولون : ان كان ما يقول حقاً فلم لا ينزل القرآن عليه مجموماً ؟ ولا سبب ينزل عليه آية بعد آية ؟ فان الله الذي يدعى هو الرسالة منه قادر على انزال الكتاب جملة وليس يحتاج الى تأمل وترويض ومضى زمان لجمعه وتأليفه ، ووضع المظهر موضع المضمحل احضارهم بصفتهم الفظيعة [كَذَلِكَ] الانزال بالتفريق انزلناه [لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ] فانه كلما نزل عليك آية من القرآن ازداد انسك بالرحمن ، وكلما ازداد انسك ازداد ثبات قلبك على الدين [وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا] عطف على انزلناه المقدّر ، والترتيل القراءة بتؤدة ^(١) والمراد قرأناه عليك مفصلاً متفرقاً فى ثلاث وعشرين سنة [وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ] اي بحال شبيهة بحالك فى ادعاء الرسالة مثل قولهم : هذا ملك الروم وملك الفرس اذا ارسلوا رسولا كان له خدم وحشم وضياع وعقار وخيام وفساطيط ، وحالهم فى الرسالة شبيهة بحالك فى ادعاء الرسالة من الله الذي هو خالق الارض والسماء ، بل حالك فى هذا الادعاء اجل وارفع من حالهم واذ ليس لك مثل مالهم فلم تكن رسولا او بحال شبيهة بحالك فى البشرية مانعة من الرسالة مثل قولهم : انتك تأكل وتمشى فى الاسواق مثلنا وهذه الحالة تدل على الاحتياج ، والاحتياج بنا فى الرسالة من الغنى المطلق ، او بحال شبيهة بحالك بل اشرف من حالك ولم ينزل الى صاحبها ملكك ولم يصر رسولا فلست انت برسول مثل قولهم : لولا انزل الينا الملائكة فانه فى معنى قولهم ؛ نحن اشرف حالاً منه من حيث تربية الآباء وتعليم المعلمين واكتساب الفضائل الانسانية فاننا قد تدرّسنا فى مدارس العلم واتعبنا أنفسنا فى تحصيل العلوم والحكمة واكتسبنا الحظ والكتابة ، ومن حيث الجدة والحسب ولم نصرر سلاً فكيف صار هو رسولا من بيننا مع انه لم يرأباً ولم يحصل علماً

(١) التؤدة بضم التاء وفتح الهمزة وسكونها .

وما كان ذامال ولم يقرأ ولم يكتب ، او بحال شبيهة بحالك في الرسالة وعدم موافقة حالك لها مثل قولهم لولا انزل عليه القرآن جملة واحدة فانه في معنى قولهم : حاله في الرسالة شبيهة بحال الرسل الماضية فلو كان رسولا مثلهم لاتي بكتابه جملة واحدة مثل اتيانهم بكتبهم واذلم بات به دفعة مثلهم فليس برسول [إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ] بالجواب الحق الثابت الدافع لابطال امثلتهم المبطل لها المبقي لرسالتك من غير معارض ومبطل [وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا] اي بياناً من بيانهم لابطال رسالتك [الَّذِينَ يُحْشَرُونَ] بدل اوصفة من الذين كفروا واطهار لدم آخر وفضيحة اخرى او مبتدأ خبره الجملة الآتية او خبر لمحذوف اي هم الذين يحشرون [عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ] يعني ماشين على وجوههم كما يمشي المستقيم القائمة على قدميه او مقبلين على وجوههم [إِلَىٰ جَهَنَّمَ] .

اعلم ، ان الانسان كما خلق ببدنه مستقيم القائمة رأسه في اعلى بدنه ورجلاه على الارض يمشي الى حاجاته البدنية برجليه خلقه بروحه كذلك رأسه المعنوي في اعلى وجوده ورجلاه المعنويتان في اسفل وما بقى على فطرته الانسانية كان حاله الباطنية على هذا المنوال ، واذا ارتد عن فطرته صار رأسه ووجهه الباطنيتان منكوسين من اعلى وجوده الى اواسطه ويتدرج في الانحطاط والتوجه الى ان وصل رأسه الى مقام رجله وانقلب رجله الى مقام رأسه ، ولما كان صورته الاخرى وبدنه المملوكتي تابعة لنفسه بحيث لا يكون نفسه بحال الا ويصير بدنه بتلك الحال كان بدنه الاخرى منكوساً بحيث يكون مشيه على وجهه ورجلاه من اعلاه ، روى ان رجلاً قال : يا نبي الله (ص) كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة ؟ قال : ان الذي أمشاه على رجليه قادر على ان يمشيه على وجهه يوم القيامة ، وهذا معنى التناسخ المملوكتي وقد يتقوى ذلك بحيث يسرى اثره الى بدنه الملكي فيصير ممسوخاً [أَوَلَيْكَ شَرُّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا] قال كفار مكة لمحمد (ص) واصحابه : هم شر خلق الله فتر لآية يعني ان زعموا ان محمداً (ص) واصحابه شر خلق الله فهم حين يسحبون الى النار كانوا شرّاً منهم وفي هذه الدنيا كانوا شرّاً منهم واصل سبيلاً منهم [وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ] لما ذكر حال محمد (ص) في رسالته وحال الكفار في الانكار ذكر الرسل الماضية وانكار المنكرين وتدميرهم ليكون تسلية وتقوية للرسول (ص) والمؤمنين وتهديداً للمنكرين [وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيْرًا فَقَبْلُنَا أَذْهَبًا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَرْنَاَهُمْ تَدْمِيرًا] لما كان المقصود تسلية الرسول (ص) والمؤمنين وتهديد المنكرين والمعاندين من ذكر رسالة موسى (ع) وهارون اقتصر على ذكر ارسالهما وانكار قومهما وتدميرهم من تفصيل كيفية ارسالهما وتدميرهم وكان حق العبارة ان يقول ثم دمرناهم لكن اتى بالفاء لايهام ان التدمير كان عقيب الرسالة بلامهلة ليكون ابلغ في التقوية والتهديد والتقدير فذهبوا وبلغا رسالتهم وداريا القوم مدة مديدة وبالغ القوم في الانكار حتى انتهوا في انكارهم الى ابطال فطرتهم فدمرناهم [وَقَوْمُ نُوحٍ] عطف على مفعول دمرناهم وقوله تعالى [لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ] استئناف كلام جواب لسؤال مقدّر او مفعول لا ذكر محذوفاً ومعطوف على قوله لقد آتينا موسى الكتاب فانه في معنى اذكر موسى (ع) وقومه وما بعده مستأنف او مفعول لمحذوف يفسره ما بعده وليس من باب شريطة التفسير لعدم جواز تسلط ما بعده لما على ما قبلها ، ونسب تكذيب جميع الرسل (ع) اليهم امّا لأنهم كانوا انكروا الرسالة اولاً لانهم انكروا نوحاً (ع) ومن سبق عليه اولاً انكار واحد من الرسل مستلزم لانكار جميع الرسل (ع) [أَعْرَفْنَاهُمْ] جميعاً [وَجَعَلْنَاَهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً] دالة على قدرتنا وسخطنا على من خالف رسلنا بحيث لا يخفى على احد [وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ] يعني لهم لكنّه وضع الظاهر موضع المضمر للتصريح

بأنهم في تكذيب الرسل (ع) ظالمون ، او المقصود تهديد مطلق الظالمين [عَذَابًا أَلِيمًا] في الآخرة كما ان التدمير والاغراق كانا في الدنيا [وَعَادًا] عطف على مفعول دمرناهم او على مفعول جعلناهم او على للظالمين بطريق الحذف والايصال ، او بالعطف على محله او مفعول لا ذكر محذوفاً او لا هلكنا محذوفاً [وَتُؤْمَدُونَ أَصْحَابَ الرَّسِّ] .

حكاية
اصحاب الرّسّ
 الرّسّ البشر المطوية بالحجارة واسم لبشر كانت لبقية من ثمود والحفر والاختفاء ودفن الشيء تحت الشيء ، واصحاب الرّسّ على ما روى عن مولانا امير المؤمنين (ع) كانوا يعبدون شجر الصنوبر ، وكان لهم اثنتا عشرة قرية على نهر يقال له الرّسّ وسمّوا قراهم بأسماء الشهور القمرية وكان في كل شهر عيد لهم في قرية من قراهم ، وأخذوا أسماء الشهور من اسماء تلك القرى أخذوا لكل شهر اسم القرية التي كان في ذلك الشهر عيد تلك القرية ، وكان في كل قرية شجرة يعبدونها ويجمعون عندها في موسم العيد ، وكان الشيطان يحرك تلك الشجرة بعد الاجتماع عندها وعبادتها يتكلّم معهم ويصبح من ساقها قد رضيت عنكم عبادي فطيبوا نفساً ، واذ كان عيد قريتهم الكبيرة اجتمعوا عند الشجرة العظيمة التي فيها اكثر ممّا اجتمعوا في سائر القرى وذبحوا القرابين اكثر ممّا ذبحوا في سائر القرى وكان الشيطان يتكلّم من جوف تلك الشجرة كلاماً جهورياً ويمنّيهم اكثر من السابق ، فلمّا تمادوا في ذلك ارسل الله تعالى اليهم نبيّاً من ولديهم هو دابن يعقوب فمكث يدعوهم الى التوحيد زماناً طويلاً فلمّا رأى تماديهم في الطغيان دعا الله ان ايسر اشجارهم فيست فلماً رأوا اشجارهم قد است صاروا فرقتين ، فرقة قالوا سحر هذا آلهتكم ، وفرقة قالوا غضب آلهتكم حين رأت هذا الرجل يصرف وجهه الناس عنها ولم تغضبوا لها ، واجمعوا على ان يدفنه في نهر الرّسّ تحت الشجرة الكبيرة ودفنوه حيّاً تحت نهر الرّسّ ، فسماهم الله اصحاب الرّسّ لكونهم اصحاب القرى الواقعة على نهر الرّسّ اولدقنهم نبيّهم حيّاً ، فغضب الله فأرسل عليهم ريحاً شديدة الحرارة وصارت الارض من تحتهم حجر كبريت تنوقد واطلقتهم سحابة سوداء فألفت عليهم كالقبة جمرّاً يلتهب فذابت ابدانهم كما يذوب الرصاص في النار ، وقيل : الرّسّ نهر بناحية آذر بايجان ، روى انه دخل على الصادق (ع) نسوة فسألته امرأة منهن عن السحق فقال : حدّها حدّ الزّاني فقال المرأة : ما ذكر الله عز وجل ذلك في القرآن؟ فقال : بلى ، فقالت : واين هو؟ قال (ع) : هن اصحاب الرّسّ ، وفي خبر : دخلت امرأة مع مولاة لها على ابي عبد الله (ع) فقالت ما تقول في اللواتي مع اللواتي؟ قال (ع) : هن في النار الى ان قالت : ليس هذا في كتاب الله؟ قال : نعم ، قالت : اين هو؟ قال (ع) : قوله : وعاداً وثمود واصحاب الرّسّ فهن الرّسّيات ، وفي خبر : ان سحق النساء كانت في اصحاب الرّسّ ، وقيل : ان الرّسّ اسم بثر رسوا فيها نبيّهم اى القوا فيها ، وقيل : اصحاب الرّسّ كانوا اصحاب مواشٍ ولهم بثر يقدون عليها وكانوا يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم شعبياً فكذبوه فانهار البشر وانخسفت بهم الارض فهلكوا ، وقيل : الرّسّ قرية باليمامة قتلوا نبيّهم فأهلكهم الله ، وقيل : الرّسّ بثر بانطكية قتل اهلها حبيّاً التجار فنسبوا اليها [وَقُرُونًا] جمع القرن والقرن له معانٍ عديدة لكنّ المناسب ههنا ان يكون بمعنى الامة الهالكة التي لم يبق منهم احد ، او اهل زمان واحد او الامة بعد الامة [بَيِّنْ ذَلِكَ] المذكور من قوم نوح وعاد وثمود واصحاب الرّسّ وقوم موسى [كَثِيرًا وَكُلًّا ضَرَبْنَاهُ الْأُمُثَالَ] يعنى كلاماً من الامم الهالكة اجريناله حكايات عديدة من الماضين مهددة من سخطنا ومرغبة في رحمتنا كما ضربنا الامثال العديدة بهذا المنوال [وَكُلًّا تَبَرْنَا] التبر الكسر والاهلاك كالنتبير [تَنْبِيرًا] او لَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرَتْ مَطَرًا سَوًّا] وهى قرى قوم لوطٍ اُسطرت بالحجارة [أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا] حتى يعتبروا بها ولا يختاروا في التنبيه والتهديد الى غيرها [بَلْ] رأوها ولكن

[كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا] لعدم اعتقادهم بالحشر أو ليا سهم من رحمة الله فيكون المعنى لا يرجون نشوراً للثواب [وَأَذَارًا أُولَئِكَ أَنْ يَتَّخِذُوا نَكَالًا لَّهُمْ] الهزؤ بالضم والسكون والهزؤ بالضميتين مصدرا هزء به ومنه كمنع وسمع بمعنى سخر منه قائلين تهكمًا بك وتحقيراً لك [أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا] وهذا الكلام منهم لغاية التحقير والاستهزاء لا تبيانهم بالاستفهام التعجبي الدال على منافاة حاله لرسالة الله لحقارته ، وباسم الإشارة القريبة الدال على تحقيره ، ويبعث الله إياه رسولا على سبيل التسليم من حيث انهم جعلوا البعث صلة للموصول دالة على تحققه وتسليمه مع انكارهم له وهذا مبتدأ والذي خبره اوصفته وخبره قوله [إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا] ان مخففة من الثقيلة او نافية على قول يعنى انه لكثرة ما يدعوا ويصر على الذعاء الى آلهة ، وكثرة ما يحاج بما يزعمه برهانا ، وكثرة ما يظهره مما يزعمه معجزة يكاد يصرف وجوهنا [عَنِ الْإِهْتِنَاءِ] الى آلهة [لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا] جواب لولا محذوف بقرينة السابق اى لكاد يضلنا فهو بمنزلة القيد لقوله ان كاد ليضلنا [وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ] حال الاحتضار اوفى البرازخ اوفى القيامة [مَنْ أَضَلُّ] منك ومنهم [سَبِيلًا] لما دل قولهم ان كاد ليضلنا عن آلهتنا على انه ضال ويريد اضلالهم قال تعالى: سوف يعلمون من اضل سبيلا [أَرَأَيْتَ] خطاب لمحمد (ص) والرؤية من رؤية البصر او رؤية القلب او الخطاب عام [مَنْ اتَّخَذَ] من موصولة ومفعول لرأيت او استفهامية ومفعول معلق عنه العامل [إِلَهُهُ هُوَ] قدم المفعول الثاني للاهتمام به والهوى مقصوراً المحبة والعشق في الخير والشر والمهوى كذلك لكن اذا اضيف الى الانسان او الى نفسه يتبادر منه الهوى في الشر بالنسبة الى الانسانية ، والآله هو الذى يعبد الانسان يعنى بطيعه في اوامره ونواهيه ويجعل غاية حركاته وسكناته التى يسميها عبادة رضاه ، ولما كان الانسان ما لم يصير بالنسبة الى الله والشيطان كالمدارك بالنسبة الى النفس ذا وجهين وجه الى نفسه ووجه الى عقله ووجهه النفسانى يأمره بهويئات النفس التى فيها هلاكه وضلاله ، ووجهه العقلانى يأمره بمرضيئات العقل التى هي مرضيئات الله ومأموراته ، وبعبارة اخرى مالم يخرج الانسان من حكم نفسه ولم يتمكن فى اتباع الرحمن او الشيطان كان عليه حاكمان حاكم آلهى عقلانى وحاكم شيطانى نفسانى هذا يزجره وذاك يغويه ، فاذا اتبع الشيطان فى اغوائه والنفس فى هواها واراداتها ومهويئاتها تدرج فى المحكومة للشيطان والنفس بحيث تمكن فى ذلك ولم يبق فيه مدخل ومخرج للعقل والملك والرحمن ، ولا يقبل حكم الله بتوسط الملك والعقل ، ولا يحب مرضيئات العقل ولا يطلبها بل يطيع الشيطان فى امره بطلب المهويئات والمهويئات فى جذبها الذى هو امرها التكويني والارادات فى تسخيرها له الذى هو امرها فيكون الشيطان معبوداً له اولاً كما قال تعالى حكاية اقوال الملائكة بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم بهم مؤمنون لكن من حيث لا يشعرون بل يحسبون ان الله يعبدون ثم المهويئات ثانياً ثم الاهوية والارادات ثالثاً ونعم ما قيل:

اي هواهاى تو خدا انگيز زين خداهاى تو خدا يزار

[أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا] حتى تحزن على اتباعهم الهوى وعدم استماعهم منك وتضيق صدرأ به ، والوكيل فعيل بمعنى المفعول من وكل الى امر سلمه اليه وتركه ، وتعديته على يتضمن مثل معنى الرقيب [أَمْ تَحْسَبُ أَنْ أَكْثَرُهُمْ يَسْمَعُونَ] فى مقام التقليد [أَوْ يَعْقِلُونَ] فى مقام التحقيق فان السماع اول مقام العلم الذى هو مقام التقليد ، والتعقل آخر مقامه الذى هو مقام التحقيق والتحقيق اليهما اشار تعالى بقوله تعالى: ان فى ذلك لذكرى لمن

كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد [إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ] في عدم التدبر وعدم تذكر المقصود من التخاطب وفي كونهم محكومين بحكم شهوتهم وغضبهم من دون رادع يردعهم من أنفسهم [بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا] لأن الانعام مفطورة على اتباع الشهوات والغضبات وليست ضالّة عن طريقها المفطورة عليها ، وإنما ضلالها يكون بالنسبة الى الانسان وطريقه والانسان مفطور على السلوك الى الله والخروج من جملة الحدود والتعينات والتخوق بعالم الاطلاق ، فاذا انصرف عن هذا السير والالتحاق ووقف على بعض مراتب البهائم او السباع او الشياطين كان ضالاً عن طريقه الخاصة به واضل من كل ضال ، لان ضلال كل ضال سوى الانسان والجان يكون بالنسبة الى طريق الانسانية التي لا يترقب منه السير عليها بخلاف ضلال الانسان فانه يكون بالنسبة الى طريقه التي يترقب منه السير عليها [أَلَمْ تَرَ] الخطاب لمحمد (ص) فانه اهل لتلك الرؤية وينبغي ان يعاتب على تركها ويؤكد ثبوتها له اوعام فان غيره ينبغي ان يرى ويوبخ على تركها [إِلَىٰ رَبِّكَ] المضاف وهو ربّه في الولاية ، ومدّ الظلّ منه عبارة عن صورته المثالية التي اذا تمكّن القابل للولاية في الاتصال بها يرى سعة احاطتها ونصرت فيها فيما سواها من غير توقف الى مضى زمان او قطع مكان والنقل من مقام اوريثك المطلق ، ومدّ الظلّ منه عبارة عن سعة مفعولاته وكثرة مقدوراته وانتهاء ذلك الظل الى الملكوت السفلى وعالم الجنة والشياطين ، او المراد بالظلّ هو الذي خرج من انانيته وحيى بحياة الله وبقي ببقاء الله وهم الانبياء والاولياء (ع) فانهم بالنسبة الى الله كالظل بالنسبة الى الشاخص من حيث انه لا انانية له من نفسه ولا استقلال ولا بقاء كما قيل :

سايه يزدان بود بنده خدا سرده اين عالم و زنده خدا
كيف مدّ الظل نقش اولياست كاودليل نور خورشيد خداست
دامن او گير زوتر بيگمان تا رهي از آفت آخر زمان
اندرين وادي مروى اين دليل لا احب الاقلىن گوچون خليل

[كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ] قبل على ظاهر التثنية : الم تر الى فعل ربك ، وقيل معناه : الم تعلم ، وقيل : ان هذا على القلب والتقدير الم تر الى الظل كيف مدّه ربك ، وقيل : المراد بالظلّ ما بين الطلوعين فانه ظل ممدود غير مقطوع ، وقيل : المراد بالظلّ ما بين غروب الشمس الى طلوعها [وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا] غير ممدود وغير متحرك الى المدّ اوجعله ساكناً من السكنى بمعنى الاقامة فانه لو شاء الله لم يظهر الشمس حتى يكون الظل دائماً ، او لم يتبدّل اوضاعها حتى يكون الظل بحال واحدة ، او لم يرجع الفانى الى البقاء او لم يذهب بالراجع الى البقاء الى حضرة فيكون نبى واحد وولى واحد في جملة ادوار العالم او لم يذهب بالمكونات ولم يخرجها من القوى الى الفعليّات او لم يتزل الوجود من عالم الارواح الى عالم الاكوان [ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسُ عَلَيْهِ دَلِيلًا] يعنى لو شاء لجعل الشمس على الظل دليلاً لكنه لم يشأ فجعل الظل دليلاً على الشمس فانه بجملة معانيه ويطونه يدل على الشمس ، او المعنى ثم لو شاء لجعل الشمس عليه دليلاً لكنه شاء وجعل الشمس دليلاً على الظل لمن رقى عن رؤية افعال الله الى مشاهدة ذاته في مظاهر جماله ، او المعنى الم تركيف مدّ الظل ثم كيف جعل الشمس عليه دليلاً لمن صار كذلك وعلى هذين المعنيين فالاثنيان بشم للاشعار بان دلالة الشمس على الظل مع انها مدلوله للظل في اول الامر لا تكون بعد مشاهدة فعل الله في جملة الافعال لا يتراخ كما ان الالتفات من الغيبة الى التكلّم للاشارة الى ان دلالة الشمس على مصنوعاته لا تكون الا بعد حصول مقام الحضور [ثُمَّ قَبَضْنَاهُ] بعد المدّ [إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا] لفظ الينا كالتصريح بان المقصود من الظل هو الانبياء والاولياء (ع) ، وجملة الموجودات وقبض ظل الشمس بعد المد محسوس ، وقبض

الانبياء والاولياء (ع) وقبض جملة الخلق ايضاً محسوس فان المكونات كلها من اول خلقها التي هي مد الظل تكون في الخروج من القوى الى الفعليات وفي طرح النقائص والاعدام وهذا الخروج والطرح هو قبض الرب ايها اليه ، واليسير اشارة الى التدريج في القبض [وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا] عطف على الم تركب مد الظل باعتبار المعنى ، فانه في معنى هو الذي مد الظل والمراد باللباس الثوب فان ظلمة الليل الساترة للاشخاص عن الانظار شبيهة باللباس الساتر للابدان من الانظار ، او الاختلاط فان الليل سبب لاختلاط القوى واثارها ، والاجتماع مقابل النشر في النهار فان الليل وقت لاجتماع الاشخاص في البيوت واجتماع القوى والارواح في الباطن [وَالنَّوْمُ سُباتًا] اي سبب قطع من الدنيا ومشاغفها او سبب راحة او نوم [وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا] اي سبب نشور ، ولما كان المقام للامتنان بتعداد النعم وتكرار النعم والبسط فيها كان مطلوباً كرر حمل ههنا ولما كان النوم من نعم الليل كانه لم يكن نعمة على حيالها لم يكرر جعل هناك [وَهُوَ الَّذِي ارْسَلَ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ] فان الرياح الصورية وقت الشتاء والربيع تحرك السحاب وتسير سبباً لامطار المطر ، واطلاق الرحمة على المطر شائع في العرب والعجم ، ورياح الغيوم والاخاويف والاسقام والقبضات والبلايا وسائر ما لا يلايم الانسان تبشيراً بضد ذلك فان مع العسر يسرين وقد سبق في سورة الاعراف اختلاف القراءة في بشراً وغير ذلك [وَأَنْزَلْنَا] لما كان الامتحانات الآلهية موجبة لترقي السالكين عن مقام الغيبة الى مقام الحضور ويكون الامتحان في الغياب قال ارسل الرياح [مَاءً طَهُورًا] اي طاهراً في نفسه مطهراً لغيره من الاخباث والاحداث فان الطهور للمبالغة في الطاهر ، والبالغ في الطهارة هو الذي يكون لشدة طهارته مورثاً لطهارة مجاوره ، وتوصيف الجنس بهذا الوصف يدل على ان الماء ما لم يخرج من حدة اطلاق هذا الاسم ولم يصير مضافاً ومغلوباً لو وصف غيره لم يسلب عنه هذا الوصف قليلاً كان ام كثيراً وارداً على المتنجنس ام وارداً عليه المتنجنس او ملاقياً له غسالة ام غيرها ، كما ان في بعض الفقهاء رضوان الله عليهم ، لكن الاحتياط طريق الرشاد خصوصاً في البلاد التي يكون الماء بها كثيراً حيث لا ينجر الى تعسر وتبذير واسراف [لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا] موت البلاد بسكون عروق اراضيها وجوبها عن الهيجان والحركة والنمو وحيوتها بهيجان تلك ونبتها ونموها [وَنُسْقِيَهُ] اي انماء الطهور [مِمَّا خَلَقْنَا] بعضاً مما خلقنا [أَنْعَمًا] مفعول نسقيه ، ومما خلقنا حال مقدم او مما خلقنا مفعوله على كون من التبعية اسماء او قائماً مقام الاسم وانعاماً يدل احوال منه [وَأَناسيًا] جمع الانسى بمعنى الانسان او جمع الانسان باسمقاط النون والايان بالياء عوضاً عنها او بابدائها باء [كَثِيرًا] قد يوحد الكثير للجميع وقد يطابق وتكرر الانعام وخصتها بالذكر من بين سائر الحيوان لان كثيراً من الانعام تسقى من الانهار ، وكثيراً من الحيوان غنية من الماء ، وبعضها يطلب الماء في المسافات البعيدة ، وتكرر الاناسي لذلك ، وقدم احياء الارض وسقى الانعام على سقى الانسان لان احياء الارض وسقى الانعام ليس الا للانسان وعمدة منافعه واسباب تعيشه منوطة بهما فكان الاهتمام بهما في مقام تعداد النعم اكثر من سقى الماء الانسان [وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ] اي امر ولاية على (ع) فانه المعهود على الاطلاق والمنظور من كل قول وخطاب ، او صرّفنا تعداد النعم في القرآن وسائر الكتب وعلى السنة خلفائنا وصرّفنا المطر في البلدان والبراري والبحار وفي الاوقات وفي الاوصاف بجعله ابلاً وطلاً ورضاً وثلجاً ويرداً ومتتابعاً وغير متتابع [بَيْنَهُمْ لِيَذْكُرُوا] بذلك ويقرّوا بالمبدء والمعاد [فَابْيَأْ كَثْرَ النَّاسِ] الذين نسوا الآخرة ولم يكن لهم هم الا حيوتهم الدنيوية [إِلَّا كُفُورًا] بالولاية او بالنعم المعدودة من حيث انعامنا

او بنعمة المطر وانعامنا به، عن ابي جعفر (ع) انه قال: فابى اكثر الناس من امتك بولاية على (ع) الا كفوراً [وَلَوْ
شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا] لكن لم نشأ لعدم اقتضاء الحكمة ذلك فان توحيد الرسول (ص) نفخيم لثأته
وتوحيد لجهة توجه الخلق وفي هذا التوحيد اصلاحهم وتكميلهم [فَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ] بالله اوبك اوبالولاية
في ارادتهم واهويتهم [وَجَاهِدْهُمْ بِهِ] بالقرآن او ترك طاعتهم اوبعلى (ع) [جِهَادًا كَبِيرًا وَهُوَ الَّذِي مَرَجَّ
ارسل وخلق] [الْبَحْرَيْنِ] البحر العذب والبحر الاجاج [هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ] العذب من الطعام والشراب كل
مستساغ، والفرات البالغ في العذوبة [وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ] المالح ضد العذب، والاجاج البالغ في الملوحة [وَجَعَلَ
بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا] حاجزاً من قدرته بحسب التتريل ومن عالم سوى العالمين ومن شيء سوى البحرين بحسب التناويل
[وَحِجْرًا] الحجر بالثلاث المنع ويستعمل في المانع والحرام [مَحْجُورًا] تأكيد للحجر مثل ظل ظليل، قيل: ذلك
مثل دجلة تدخل البحر وتشقه ولا يغير احدهما طعم الآخر، وقيل: ذلك مثل الانهار العظيمة جعل الله بينها وبين البحار
العظيمة برزخاً من الارض مانعاً من اختلاطها، او المراد بالبحرين بحر الفاعلية التي هي عين ذات الفاعل وبحر القابلية
التي هي عين ذات القابل، وبالبرزخ الصور المنطبقة التي هي بوجه من جهة القابل، وبوجه من جهة الفاعل، وهي برزخ
مانع من اختلاط الفاعلية بالقابلية وتدنسها بها، وهلاك القابلية بالفاعلية، او البحران عالم الارواح المجردة الصرفة
وعالم الاجسام المادية، والبرزخ عالم البرزخ وعالم المثال المانع من فناء الاجسام بالارواح واختلاط الارواح
بالاجسام، او البحران عالم الاجسام المادية وعالم المثال وما فوقه والبرزخ عالم البرزخ المعبر عنه بهور قولنا، او البحران
الملكوتان السفلى والعلوى والبرزخ عالم الاجسام المانع من ظهور احدهما على الآخر فانه لو ظهر احدهما على الآخر
لفنى الملكوت السفلى وهلك، او البحران عالم الاجسام وعالم المثال والبرزخ عالم النفوس الحيوانية وكل هذه
كما هي جارية في العالم الكبير تجري في العالم الصغير [وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ] اى ماء البحرين فان المناسب
لذكره في ذيل البحرين ان يكون التلام للعهد يعنى عوضاً عن المضاف اليه، او من النطفة فان الانسان مخلوق من النطفة
التي هي امشاج من الطينتين السجينية والعلينية اللتين هما من البحرين [بَشَرًا] البشر الانسان ذكر اكان او انثى
واحداً او غيره وقد يثنى ويجمع لكن اطلاق البشر على الانسان باعتبار جسمانيته المحياة بروحانيته [فَجَعَلَهُ] بعد
ما خلقه [نَسَبًا] اى منسوباً او منسوباً اليه او ذا نسب والنسب القرابة مطلقة او من جانب الأب [وَصِهْرًا] اى جعله
قرابة بالنسب وقرابة بالمصاهرة فان الصهر مطلق القرابة او الانتساب بالمصاهرة وهو المراد كما ان المراد بالنسب
الانتساب بالتوالد، وورد ان المراد بالبشر آدم (ع) وحواء (ع) خلقهما من الماء بان جعل جزء مادتهما الماء او خلقهما
من امتزاج الماء العذب الفرات والماء المالح الاجاج، وخلق حواء من ضلعه الايسر فصارا ذوى نسب وزوج حواء
آدم فصارا ذوى صهر، وفي اخبار عديدة مضمون ان المراد بالبشر محمد (ص) وعلى (ع) وان الله خلق ماء
تحت العرش قبل ان يخلق آدم واسكنه في لؤلؤ خضراء في غامض علمه الى ان خلق آدم فلما خلق آدم نقل ذلك
الماء من اللؤلؤ فأجراه في صلب آدم الى ان جعله الله في صلب عبد المطلب ثم شقه نصفين ومحمد (ص) وعلى (ع)
من ذينك النصفين فصارا ذوى نسبين، وتزوج على (ع) فاطمة (ع) فصارا صهرين، وان الآية في محمد (ص)
وعلى (ع) وفاطمة (ع) والحسن (ع) والحسين (ع) وهم البشر وجعلهم الله ذوى نسب وصهر [وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا]
على خلق البشر من الماء وجعله نسباً وصهرًا [وَيَعْبُدُونَ] اى المشركون والكافرون والمحجوبون في حجب الاجسام

او الغافلون او المنكرون للولاية وهو المنظور [مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ] من الاشجار والاحجار والكواكب والاصنام والجن والشياطين والاهوية والمهويات ورؤساء الضلالة [وَلَا يَضُرُّهُمْ] وَكَانَ الْكَافِرُ عطف في معنى الاضراب كأنه قال: بل كانوا لكنهم وضع الظاهر موضع المضمر ليكون تصريحاً بدمتهم بالكفر وتعليلاً للحكم، والمراد بالكافر احد الاصناف المذكورة فان كلاً كان [عَلَى رَبِّهِ ظَهيراً] اي مظاهراً على ربه لان رب الكافر لا يظهر الا بالفطرة الانسانية التي هي الولاية التكوينية او اللطيفة العقلانية وتلك الفطرة مظهر للرب في الولاية وللرب المطلق والكافر باي معنى كان ساتر لتلك اللطيفة والساتر لتلك اللطيفة نابذ لها خلف ظهره ومُظاهر للشيطان على تضعيفه تلك الفطرة في جملة افعاله سواء كانت بصورة العبادات ام لا، لان الساتر لتلك اللطيفة يكون توجهه في فعله الى غيره وكل فعل منه خروج من القوة الى الفعلية والخروج من القوة الى الفعلية اذالم يكن بالتوجه الى تلك اللطيفة صار صاحبه بتلك الفعلية بعيداً من تلك اللطيفة حتى تنقطع عنه وصار مرتداً فطرياً غير مرجو منه الخير وغير مقبول الثوبة، واشير في الاخبار الى ان المراد بالكافر مخالف الولاية وبربه على (ع)، وقيل: المراد بالكافر ابوجهل وبربه محمد (ص)، ولا ينافي ذلك التعميم كما عرفت وجهه [وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا] تسلياً له (ص) ورفع للحرج عنه كأنه ضاق صدره من كفرهم وكونهم مظاهرين عليه وتحرج على ان لا يقدر على تغييرهم عن كفرهم [قُلْ] يا محمد (ص) تسلياً لقلبك ومشاركة معهم واتماماً للحجة عليهم [مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ] اي على الارسال او على التبشير والانذار [مِنْ أَجْرِ] اي شيئاً من الاجر حقيراً حتى تتهموني بان ادعائي لذلك ليس من الله [إِلَّا لَأْمَنُ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ] في الولاية اوربه المطلق [سَبِيلاً] اي سبيل كان :

اعلم، ان شأن الرسالة ليس الا الانذار من التوقف في مسجع النفس والتخويف من مخاوف الوقوف على المشتبهات النفسية التي توجب دخول النار مع الكفار كما قال: انما انت منذر بطريق الحصر وان المقصود من قبول الرسالة والبيعة الاسلامية ليس الا الاهتداء الى الايمان الذي هو طريق الى الله، وقد علمت انه لا يحصل الا بقبول الولاية والبيعة الايمانية فالاسلام في الحقيقة مقدمة للايمان ودلالة على الطريق الى الله فلم يكن مقصود الرسول (ص) من تبليغه الا ايمان المؤمن لا اسلام المسلم الا من باب المقدمة ولانه يصير المؤمن بشأن ايمانه من اطلال الرسول (ص) من حيث ولايته واجزائه صبح ان يقول الرسول لا اطلب منكم على متاعب رسالتي الا ذات من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلاً، اي من شاء ان يصير مؤمناً وقابلاً للولاية واترك الكفار الذين هم اموات ولا تنظر اليهم والى ما فعلوا من عبادة غير الله ومن ايدائك فانتهم لاحراك لهم الا بالله وكل امورك الى الله [وَتَوَكَّلْ] واعتمد [عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ] اي على الحي بالذات فان من يموت يكون حيوته عرضية يعني لا تترافع من غير الله بل كن فانياً من نسبة الافعال الى غيره وانظر الى علمه تعالى وقدرته وارادته بالذات فان الحيوة يستلزمها واذا كانت ذاتية كانت تلك ايضاً ذاتية واعلم، انها في غير الله بتوسطه حتى تعتمد عليه وتكل امورك اليه ولا تنظر الى فعل واردة وقدره من غيره فان مقام التوكل لا يحصل للسالك الا بالغناء من فعله والنظر الى سريان قدرته وارادته وفعله في الجميع [وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ] اي نزهه عن جميع ما لا يليق به بسبب حمده الذي هو سعة وجوده فان تسبيحه لا يكون الا تحميده كما مضى في اول الفاتحة ان تسبيحه عبارة عن سلب النقائص والحدود عنه، وسلب المحلود ليس الا سلب السلب الرجوع الى سعة الوجود، والمراد بالتسبيح منه (ص) ليس الا التسبيح الفعلي الذي هو خروجه عن جميع الحدود وفناؤه عن افعاله وصفاته وذاته يعني لا تنظر الى حدودك وحدود غيرك وذنوبهم فان الله يقلبهم في الحدود والذنوب ويجازيهم على

ما يستحقونه [وَكَفَىٰ بِهِ يَذُنُوبَ عِبَادِهِ خَبِيرًا] لا حاجة له الى نظرك اليهم [الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ] بدل اوصفه للذي لا يموت او خبر مبتدأ محذوف ، او مفعول فعل محذوف ، او مبتدأ خبره الرحمن
او قوله فاسئل [وَمَا يَبِينُهُمَا] من الملائكة والموايد [فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ] قد مضى
الآية بتمام اجزائها في سورة الاعراف وذكرنا هناك كيفية خلق السماوات والارض في ستة ايام وسر تعقيب خلقهما
باستوائه على العرش باداة التراخي ، ولما كان استواؤه تعالى على العرش الذي هو جملة المخلوقات بمعنى استواء
نسبته الى الجليل والحقير بصفته الرحمانية جعل المستداليه عنوان وصف الرحمن [فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا] سألته كذا
وعن كذا وبكذا بمعنى فيجوز ان يكون الباء صلة اسئل وخبيراً مفعوله الاول ، او خبراً حالاً ومفعوله الاول محذوفاً
اي اسئل عن حاله حال كونه خبيراً ، او اسئل ذاته حال كونه خبيراً ، ويجوز ان يكون الباء سببية وخبيراً مفعوله الاول
ويكون الكلام على التجريد مثل رأيت يزيد اسداً [وَأَذَاقِلَ لَهُمْ] عطف على يعبدون وذم آخر لهم [اسْجُدُوا
لِلرَّحْمَنِ] لما كان المخاطبون لا يدركون من عناوين الله الا عنوان رحمته الرحمانية علق الحكم على الرحمن دون
سائر الاسماء [قَالُوا] استهزاء او اظهاراً للجهل به وسؤالاً عنه او انكاراً لسجده [وَمَا الرَّحْمَنُ] والاثبات بما دون
من ايضاً لذلك [أَنْسَجِدُ لِمَا تُأْمُرُنَا] بالسجدة له ؛ الاستفهام للانكار كما أنهم انكروا الايمان بأمره لا التسجدة
للرحمن ولذلك لم يقولوا : انسجد للرحمن [وَزَادَهُمْ] امرك او ذكر الرحمن او ذكر سجدة الرحمن [تُفُورًا]
منكث او من أمرك او من الرحمن او من سجده [تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا] جملة انشائية منقطعة
عن سابقها والسما عا من هذه السماء المشهودة وعوالم الارواح وسماواتها ، والبرج بمعنى التكن والحصن والبروج
الاثنا عشر المشهورة الموهومة في الفلك الاطلس المعينة بالاشكال الموهومة من كواكب الفلك الثامن ، ويجوز
ان يراد بالبروج الكواكب السياره او الكواكب الكبار المضيئة سيارة كانت ام ثابتة او مطلق الكواكب فان كلاً
منها حصن او مثل حصن او هي اركان السماء ، وان يراد اللطائف النبوية والولوية المحصورة كليتها في اثني
عشرة المنتهى جزئياتها الى حد المحدودة بحسب الامتهات الى مائة واربعة وعشرين الفاً ، او مائة وعشرين الفاً ،
او مائة الف ، وان يراد الانبياء والاولياء (ع) فانهم بتعلقهم بابدانهم الارضية اركان الارض ويتجرد هم الذاتي عن
ارض الطبع اركان السماء ، وان يراد الجهات الفاعلية المحيية والمميتة والمفيض للارزاق والمفيض للعلوم المعبر
عنها باسرافيل وعزرائيل وميكائيل وجبرائيل ، ولما كان جميع الخيرات المنتشرة في العوالم منوطة بالبروج باى
معنى كانت مدح نفسه في هذا الجعل بكثرة البركات [وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا] وقرئ سرجاً وعلى قراءة الافراد كان
المراد به الشمس وعلى قراءة الجمع كان المراد جملة الكواكب المضيئة بانفسها [وَقَمَرًا مُنِيرًا] والمناسب لقراءة
الافراد ان يكون البروج هي الكواكب المضيئة بذواتها ، والمراد بحسب التأويل من السراج لطيفة الولاية فانها
المضيئة بذاتها ومن القمر لطيفة النبوة والرسالة فانها كاسبة للنور من الولاية [وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ] لم يقل
وتبارك الذي جعل الليل ولا الذي جعل الليل حتى يكون تبارك مقدراً لما ذكرنا من ان جملة خيرات العوالم منوطة
بالبروج بخلاف تعاقب الليل والنهار فانتهما وان كانا موجبين لخيرات العالم لكنهما آلتان لبروز خيرات البروج في
العالم فكانت قال : وهو الذي جعل الليل [وَالنَّهَارَ خُلُفَةً] لبروز بركات البروج يعنى جعل كلاً منهما بدلاً من الآخر
حتى ان من فاته امر في احدهما قضاه في الآخر ، او جعل كلاً منهما عقيب الآخر او مخالفاً للآخر في كيفية الضوء والظلمة
والبرد والحر [لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذْكُرَ] او أَرَادَ شُكُورًا يعنى انهما نعمتان عظيمتان للانسان لان جميع مصالح معاشه

بل جميع مصالح معاده ومعاشه منوطة بتعاقبهما اذا عظم الليل والنهار لجميع معانيهما التنزيلية والتأويلية، لكنهما نعمتان عظيمتان لمن اراد الآخرة مبتدئاً كان ومقلداً وهو الذى اراد ان يذكّر او محققاً ومنتهياً وهو الذى اراد الشكور فان الشكور عبارة عن رؤية الانعام فى النعمة والمنعم فى الانعام ويلزمها صرف النعمة لما خلقت له وليس الا فى مقام التحقيق والخروج عن التقليد وهذا بمنزلة قوله تعالى: لمن كان له قلب اشارة الى مقام التحقيق او القى السمع وهو شهيد اشارة الى مقام التقليد [وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ] جملة مع ما بعدها معطوفة على قوله هو الذى مرج البحرين او هو الذى خلق من الماء بشراً او على قوله يعبدون او قوله كان الكافر على ربه ظهيراً او على قوله الذى خلق السماوات والارض وما بينهما الرحمن او على تبارك الذى جعل فى السماء بروجا او على هو الذى جعل الليل والنهار خلفه [الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا] صفة لعباد الرحمن وخبره قوله اولئك يجزون الفرقه او خبر له اراد تعالى ان يبين علامم مقام العبدية حتى لا يغتر السالكون الى الله بما يلوح من التجليات الغيبية ولا يظنوا انهم وصلوا، ومن الانانية واسر النفس خرجوا، ومقام العبدية والحضور حصلوا، فان مقام العبدية لا يحصل للسالك الا اذا خرج من انانيته ولم يرفع لاهوته الى الله تعالى، وادنى مراتب هذا المقام بحسب الظهور فى المظاهر ان ينزل السكينة الالهية على السالك ويشاهدها لانه يشهد بالمباين والمباين ولا ينحوشه هو المحل للحال المنبئ عن الحلول ولا ينحوشه هو المتحد للمتحد المنبئ عن الاتحاد، فان شيئاً منها ليس من مقام العبدية بل مقام العبدية ان يصير السكينة مالكة ومحيطه بحيث لا يبقى للعبد فعل وصفه وذات وارادة وشعور، لكن مقام الحلول والاتحاد لنموذج عن مقام العبدية ومخبر عنه وفى هذا المقام يكون العبد مثل من وقع على رأسه طير عزيز بل اعز من ذاته لا يريد ان يطير عنه بل يرى فناء ذاته فى طيرانه فانه يبالغ ويجتهد فى ان لا يطير عن رأسه فيجتهد فى خفض صوته ومكون أعضائه فلا يحرك يده ولا رجله ولا سائر أعضائه اذا اضطر الى تحريكها الا بتأن ورفق، وان اراد غيره ان يرفع صوته او يتحرك أعضاؤه يلتمس عنده ويسأله ان لا يرفع ولا يحرك أعضائه عنده فلا يمشى صاحبوا السكينة الا كما يمشى صاحب الطير [وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ] يعنى بجهلهم لا يعارضونهم بمثل جهلهم فان الجاهل لا يخاطب من حيث الجهل الا بما ليس فيه رضى الله و [قَالُوا] لينا بهم [سَلَامًا] لئلا يظهر منهم ما ينابى حضورهم وما يكرهه الحاضر عليهم [وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا] يعنى ان لذة خضوعهم وتذللهم ومناجاتهم تغلب على لذة النوم والراحة فلا ينامون الا قدر ما لابد منه ويتذللون لربهم بالتسجود والقيام ويناجونه [وَالَّذِينَ] يرون الدنيا ومشاكلها مانعة من حضورهم وعذاباً لانفسهم ويرون ان الدنيا الشاغلة ليست الا من جانب جهنم فيستعيذون بربهم و [يَقُولُونَ رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا] الغرام الولوع والشر الدائم والهلاك والعذاب [إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا] وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا] يعنى ان عباد الرحمن علامتهم التوجه الى الكثرات والعدالة بينها بان ينظروا الى ما لهم من الاموال الدنيوية العرضية والقوى والحشمة والاعضاء والمدارك وينفقوا ما حقته ان ينفق منها ويمسكوا ما حقته ان يمسك، ويعطوا من حقته ان يعطى، ويمنعوا من حقته ان يمنع، فان التقيد بعدم الاسراف والاقتار يفيد هذا المعنى لان الاعطاء لغير المستحق اسراف وان كان من فضول المال ومنع المستحق اقتار وان كان من اصل المال، ومن هذه العلامة يستفاد وجه اضافة العباد الى الرحمن دون سائر الاسماء فانه تعالى برحمته الرحمانية يعطى كلاً بقدر استعداده [وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا]

عدلاً أو معتدلاً أو وسطاً [وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ] لا قالوا ولا حالاً فان من نزل عليه السكينة بحيث
تصير مالكة له لم يبق له جهة دعاء غير الله [وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ] في العالم الصغير ولا في العالم الكبير
بخلاف من لم يصير عبداً للرحمن سواء صار عبداً للشيطان أو لغير الرحمن من اسمائه تعالى فإنه يقتل النفس المحترمة
من القوى الانسانية والقوى الحيوانية في طريق الانسانية بغير الحق سواء قتل نفساً في الخارج أو لم يقتل [إِلَّا بِالْحَقِّ]
اي بأمر الحق أو بسبب امر حق من قصاص وحذ أو بالحق المطلق بان يكون يده يد الحق.

اعلم، انه ما لم يصير يد القتال يد الحق أو مسخرة لامر الحق وما لم يصير لسان الامر بالقتل لسان الحق أو مسخراً
لامره لا يجوز القتل ولا الامر بالقتل سواء كان ذلك في قصاص وحذ أم غير ذلك، ولذلك لا يجوز القتل واجراء الحدود
إلا من حاكم الله أو من يأمره ذلك الحاكم بحيث يكون الأمور مسخرة لامر الحاكم ومتحرراً بأمره، وأما من
لم يكن كذلك فلا يجوز له القتل ولا الامر بالقتل كما قيل:

أنك جان بدهد اگر بكشد روست نائب است و دست او دست خداست

وعلى هذا كان المعنى لا يقتلون النفس التي حرم الله قتلها إلا بالله أي بيد الله [وَلَا يَزْنُونَ] لا يتبعون الشهوات.
اعلم، ان ذنوب الانسان منحصرة في مقتضيات الشيطنة والقوة الغضبية والشهوية وقد اشار تعالى الى امهات
مقتضيات الثلاث فان دعاء غير الله من مقتضيات الشيطنة بل نقول مقتضيات الشيطنة منحصرة في دعاء غير الله لان
كل اعجاب بالنفس وكل مراياة ومجادلة وغيرها من مقتضيات الشيطنة دعاء لغير الله، وقتل النفس من مقتضيات
الغضب، والزنا من مقتضيات الشهوة، وعلى تعميم قتل النفس وتعميم الزنا جملة مقتضياتها منحصرة فيهما [وَمَنْ
يَفْعَلْ ذَلِكَ] المذكور من مقتضيات الثلاث [يَلْقُ أَثَامًا] عقوبة، او الاثم كما في الخبر وادق جهنم او هو من
اثمه الله في كذا كمنع ونصر عده عليه اثماً [يُضَاعَفُ لَهُ الْعَذَابُ] بدل من قوله يلقى اثمًا أو مستأنف جواب لسؤال
مقدر [يَوْمَ الْقِيَمَةِ] ومعنى مضاعفة العذاب انه يضاعف عذابه في القيامة بالنسبة الى عذابه وحده في الدنيا ويضاعف
في القيامة بالنسبة الى عذابه في البرزخ فانه في البرزخ يعذب بعذاب من نفسه بظهور صورة العصيان عليه واذا وصل
الى القيامة يعذب بعذاب من نفسه وبعبارة اخرى يعذب في البرزخ بتجسم عمله وفي القيامة
به وبجزائه وليس المراد انه يضاعف له العذاب بالنسبة الى استحقاقه حتى ينافي عدله [وَيَعْلَلُ فِيهِ] اي في العذاب
او في الاثم [مُتَهَاكِمًا] التقيد به للاشعار بان بعضاً يعذب لاعلى وجه الاهانة او هو تأكيد وبيان [إِلَّا مَنْ تَابَ] بالتوبة
العامّة النبويّة على يد نبي (ص) او خليفة نبي (ص) [وَأَمِنْ] اي قبل احكام الاسلام بالبيعة العامة [وَعَمِلَ عَمَلًا
صَالِحًا] بالتوبة الخاصة الولوية وقبول الدعوة الباطنة والبيعة الخاصة الولوية فانه لاصلاح لعمل الا بالولاية
الحاصلة بالبيعة الولوية وقبول الدعوة الباطنة، او التوبة كناية عن الاسلام المشتمل على التوبة والبيعة العامة، وآمن
كناية عن البيعة الخاصة التي بها يحصل الايمان الخاص، والعمل الصالح عبارة عن العمل بما اخذ عليه في ميثاقه الذي
هو المراد بالوفاء بعهد الله، والحاصل انه لا بد من اخذ الايمان الخاص والبيعة الولوية في المستثنى حتى يصبح ترتب
تبديل السيئات حسنات عليه، لان ذلك ليس الا لمن تولى علياً (ع) كما مضى مكرراً تصريحاً وتلويحاً [فَأُولَئِكَ
يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ] قدمضي منام مكرراً ان كل فعل من الانسان يوجب فعلية لنفسه وكل فعلية اذا لم تكن
مسخرة للعقل كانت مسخرة للشيطان والنفس، وكل فعلية مسخرة للشيطان كانت سيئة النفس، واذا تاب الانسان
ودخل تحت حكم العقل بواسطة ولي الامر يصير جميع فعلياته مسخرة تحت العقل وكل فعلية مسخرة تحت العقل

تكون حسنة النفس وهذا هو معنى تبديل السببات حسنات، كما أن محو السيئات وتكفيرها وغفرانها عبارة عن إزالة حدودها بلا تعمّل أو بتعمّل وستر حدودها فالتائب على يد علي (ع) أن كان لنفسه فعلية مسخرة للشيطان تبدل تلك الفعلية بمعنى أن تجعل تلك الفعلية مسخرة للرحمن، وإن كان لنفسه نقائص وحدود تزال تلك الحدود إن كانت يجوز زوالها بتفاوت الزوال بالتعمّل وعدمه والافتقار وتستر [وَكُنَّ اللَّهُ غُفُورًا] يعني يغفر له ما لم يبدل ولم يزل من الحدود اللازمة لوجوده [رَحِيمًا] بتفضل عليه برحمته بعد التبديل والغفران [وَمَنْ تَابَ] على يد محمد (ص) أو يد علي (ع) بالتوبة العامة أو بالتوبة الخاصة [وَعَمِلَ صَالِحًا] بالوفاء بعهده الذي اخذ عليه في توبته وبيعته [فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا] كما قال أن الذين يبايعونك أنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم بطريق الحصر وستر ذلك أن الخلفاء حين التوبة والبيعة ينسلخون عن غواشي الطغيان وانايتاتهم وبصيرون آلات لله من غير مداخلة انايتاتهم في تلك البيعة فالقابل للتوبة والاخلد للميثاق حين البيعة هو الله تعالى بتوسط مظاهره الذين هم كالآلات لله [وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ] الزور الكذب والشرك بالله تعالى واعباد اليهود والنصارى ومجلس الغناء وما يبعد من دون الله والكل مناسب ههنا، والتحقيق أن الزور كل عمل أو عامل كان منحرفاً عن الطريق وعن ولاية علي (ع)، ومن صار عبداً للرحمن لا يحب بل يفيض الزور فلا يشهده [وَأَذَامُرُوا بِاللُّغْوَ مَرُوءًا] بمقتضى عبوديتهم [كِرَامًا] لا يرغبون فيه ولا يهتكون حرمة صاحبه [وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ] التذويبة والتكويبة الموجودة في الآفاق أو الانفس وخصوصاً الآيات العظمى سواء ذكرهم بشر مثلهم أو نبي أو امام أو ملك أو الله تعالى في البقعة أو النوم [لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا] لم يسقطوا عليها [صُمًّا وَعُمُيَانًا] كالكثير الناس الذين لا يتذكرون من الآيات إلا جهاتها الدنيوية الموافقة لاهويتهم وآمالهم وكانوا صمّاً وعمياناً من جهاتها الاخرية [وَالَّذِينَ يَقُولُونَ] بمقتضى حفظهم لحقوق الكثرات ومن جملتها ارحامهم وذووانسابهم مستدعين من الله بمقتضى جهتهم الالهية [رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ] يعني اجعل لنا قرّة عين ناشئة من ازواجنا واجعل بعض ازواجنا وذريّتنا قرّة عين لنا واجعل لنا اولاداً متولدة من ازواجنا ومتولدة من ذريّتنا تكون قرّة عين لنا، وقرّة العين بمعنى برده كناية عن السرور او عن قرارها عن الاضطراب [وَأَجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا] ولما كان كل مرتبة اماماً لسابقتها وكان من صار عبداً للرحمن مرتبته بعد مرتبة التقوى فانه مالم يتم التقوى بالفناء التام لا يصير السالك عبداً للرحمن كما في قوله يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفداً استدعوا على وفق مقامهم ان يكونوا اماماً للمتقين امّا بالتمكين في هذا المقام أو بالبقاء وعدم زواله، وفي اخبار عديدة ان الآية في امير المؤمنين (ع) او في الائمة (ع) وفي رواية عن الصادق (ع): قدسألوا الله عظيماً ان يجعلهم للمتقين ائمة فقبل له كيف هذا يا بن رسول الله (ص)؟ قال: انما انزل الله واجل لناس من المتقين اماماً، وهذا ممّا أسلفنا في أول الكتاب من سعة وجوه القرآن بقدر سعة مراتب الخلق، وإن القرآن لا مانع من ان يكون نزوله بقراءات مختلفة بحسب اختلاف الناس [أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ] يعني الغرفة المعهودة أو البناء العالي والجنة العالية [بِمَا صَبَرُوا] أي بصبرهم أو بالبلايا أو الطاعات التي صبروا عليها [وَيُلْقَوْنَ] من امثالهم من المؤمنين أو من الملائكة أو من الله [فِيهَا تَحِيَّةٌ وَسَلَامٌ] من ذكر الخاص بعد العام [خَالِدِينَ فِيهَا] أي في الغرفة فان تمام النعمة بعدم زوالها [حَسُنْتَ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا قُلْ] يا محمد (ص) لهؤلاء الكفار بعد اتمام اوصاف عباد الرحمن وجزائهم ترغيباً لهم في مثلها [مَا يَعْبُودُوا] ما يعتد [بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا]

دُعَاؤُكُمْ] لله بالاستكتم القلبية والحالية فان الكل ما لم يبطلوا الفطرة يدعون الله حالاً وقالوا او ما يفعل بعذابكم لولا دعاؤكم مع الله آلهة اخرى ، او ما يعتد بكم لولا دعاؤه لكم الى الدين فان سنته جرت بان يدعوا لكل الى الدين ، او ما يفعل بكم لولا دعاءه لكم الى الدين ، او ما يعتد لولا عبادتكم له [فَقَدْ كَذَّبْتُمْ] الفاء سببية اي كذبتم الرسول (ص) او الله [فَسَوْفَ يَكُونُ] تكذيبكم [لِزَامًا] لكم اي جزاء تكذيبكم يكون لازماً لكم في الدنيا كما في بدر ، او في الآخرة فانه يكون عذابها لازماً غير زائل .

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ

مكية كلها غير قوله : والشعراء يتبعهم الغاؤون (الى آخر السورة)
وهي مائتان وسبع وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[طسم] قرئ باظهار نون السين وهو الاصل وقرئ باخفائها بخلاف الاصل لان سكونها عرضية لا اصلية [تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ] قدمضي في اول البقرة وفي غيرها بيان واف لفوانح السور [لَعَلَّكَ] يا محمد (ص) [بِاخِيعْ نَفْسَكَ] بخع نفسه قتلها غمماً [أَلَا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ] بالله او برسالتهك او بولاية علي (ع) ولا ينبغي ان تغتم لذلك فانه ليس خارجاً عن ارادتنا ومشيئتنا لانا [إِنْ نَشَأْ] ايمانهم [نُنَزِّلُ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً] من آياتنا الغيبية حتى تسخرهم تلك الآية ونجبرهم على الايمان المذكور [فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ] اي صاروا خاضعين لله اولك لاجل الآية او خاضعين للآية نفسها ، وجمع الخاضعين جمع العقلاء اما لكون الاعناق كناية عن انفسهم او لاعتطاء حكم المضاف اليه للمضاف لصحة سقوطه ، وهذا تسلية له (ص) بان اباثهم عن الاسلام بمشيئة و ارادة من الله فمالك تتحسر على ما كان بارادته [وَمَا يَأْتِيهِمْ] جملة حالية مبدوءة بمضارع منفي بما بتقدير مبتدء على القول بعدم جواز الوافيهما ، او من غير تقدير على القول بجواز الاثيان بالوافيهما [مِنْ ذِكْرِ مَنْ رَحِمْنَا] مُحَدَّثٍ [مقتضٍ بواسطة كونه جديداً للقبال عليه] [أَلَا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ] الفاء سببية ما بعدها لما قبلها ، او سببية ما قبلها لما بعدها ، او لمحض التعقيب يعني ان تكذيبهم للآيات صار سبباً للاعراض عنها ، او اعراضهم عن الذكر وعدم تدبرهم فيه صار سبباً لتكذيبها ، او المعنى كانوا عنه معرضين وبعد الاعراض السابق كذبوا بك او بالله او بالقرآن في رسالتك او خلافة وصيتك [فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ] ما موصولة والضمير عائده والمراد منه القول والفعل الذي كانوا بسببه يستهزئون والشئ الذي كانوا منه يستهزئون ، او ما مصدرية والضمير لما استهزؤا منه من الرسول (ص) او القرآن او الله او علي (ع) وولايته وفي اخبار عديدة ان المراد بالآية في هذه الآية الصيحة التي

يسمعها الفتاة في خدرها للاعلام بخروج القائم (ع) اوركد الشمس وخروج صدره ووجهه في عين الشمس آية لخروج القائم (ع) وفي بعض الاخبار ان هذه الآية نزلت في القائم (ع) [أَوَلَمْ يَرَوْا] اي هؤلاء المنكرون للرسالة او الولاية [إِلَى الْأَرْضِ] ارض العالم الكبير او العالم الصغير [كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ] من المعدن والنبات والحيوان والانسان [كَرِيمٍ] صفة بيانية فان كلامها من جهة يكون كريماً على من احتاج اليه، او تقييد للزوج وكون الانسان والحيوان وبعض النباتات زوجاً واضح، او المراد بالزوج ما اقترن بغيره [إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً] دالة على عدم اهمالنا الانسان الذي هو ارض وسما بدون اخراج الفعليات التي تكون فيه بالقوة لانهاياتنا الاسباب الطبيعية لاجراج المواليد التي تكون في الارض بالقوة وتلك الاسباب كالقواكب العلوية والافلاك المتحركة وحركاتها الدورية وانضباط حركاتها التي بها ينوط توليد كل ما بالقوة في الاوص وتسهيّل الارض لذلك وحر الصيف وبرد الشتاء واختلاف الليالي والايام وتهيج السحاب وامطار المطر في وقتٍ وبقدرٍ ينتفع به فلا نهمل الانسان بدون تهية اسباب انبات ما فيه بالقوة، ومن جملة اسبابه ارسال الرسل وانزال الكتب ونصب الاوصياء والخلفاء لهم [وَلَكِنْ مَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ] اي مدعين بان الانبات منّا او ما كان اكثرهم يؤمنون بالله او برسالتك او بولاية علي (ع) او ما كانوا مؤمنين في علم الله في النذر [وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ] الغالب فلا تكثرث بايمانهم وعدمه [الرَّحِيمُ] برحمته يمهّلهم لعلمهم يتوبون [وَإِذْ نَادَىٰ] معطوف على محذوف متعلق بالعزيز او الرحيم اي هو العزيز الرحيم اليوم واذ نادى [رَبِّكَ مُوسَىٰ] او متعلق بقال رب اني اخاف او متعلق بمحذوف محذوف على محذوف او معطوف على سابقه باعتبار المعنى فان السابق في معنى اذكر ذلك فكانته قال فاذكر ذلك ذكرنا اذ نادى ربك موسى (ع) [أَنْتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ] وصفهم بالظلم ليكون كالعلة للامر [قَوْمٌ فَرَعُونَ] بدل منه لتعيينهم [الْآيَتُونَ] جملة حالية بتقدير القول يعني حال كونهم يقال لهم الايتقون او مستأنفة من الله لانشاء ذمهم، وقرى بالخطاب فيكون بتقدير القول والمعنى انت القوم الظالمين حال كونك قائلاً لهم الايتقون [قَالَ] موسى (ع) [لَرَبِّ أَنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُون وَيَضْحِكُ صَدْرِي] عن معاشرتهم وتحمل متاعب المعاشرة مع من لا يكون سنخاً لي [وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ] للرسالة، ظاهر هذا الكلام ان يكون هذا منه استعفاء من الرسالة كانه قال: الرسالة منك تستلزم سعة الصدر لان الرسول منك لا بد له من المعاشرة مع الاداني والاعالي ومشاهدة ما لا يرضاه العقل منهم ولا بد له من التكلّم والمجادلة مع فصحاءهم ومناطقهم ولو كان بلسانه لكان لا يغلب بل يغلب وهو منافٍ لرسالتك، ولا بد ان يكون الرسول منك رغب فيه وفي معاشرته كل واحد وانا قتلت منهم رجلاً فيطالبوني بدمه ولا يرغبون فيّ، وهارون سالم من ذلك كله فان له سعة صدر ولساناً طليقاً وليس بينه وبينهم دم فأرسل اليه لرسالتك، او المعنى ارسل الى هارون ليكون معاوناً لي حتى يكون موافقاً لسائر الآيات وعلى المعنى الاول كان موسى (ع) استعفى او لا من الرسالة وابتى الله الارسالته وبعد ما ابى الله الارسالته استدعى معاونه هارون [وَلَهُمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ] بعد ما استعفى وعين هارون للرسالة ذكر وجهها آخر لاستعفائه [قَالَ كَلَّا] ردع له عن استعفائه وكانه كان بعد قوله كلام سؤال موسى (ع) معاونه هارون واجابته تعالى لسؤاله كانه قال فاجعل لي وزيراً من اهلي هارون اخي اشدد به ازري واشركه في امري كي نسبعك كثيراً ونذكرك كثيراً فقال تعالى: اجبت مسؤولك [فَاذْهَبْ بِآيَاتِنَا] التسع او باحكامنا وشرائعنا ولانخافا [إِنَّمَا عَمَّكُمْ مُسْتَمِعُونَ فَأَتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ] لم يثن الرسول لاستواء

المذكّر والمؤنث والواحد والاكثر في فعول بمعنى الفاعل وفعليل بمعنى المفعول ، او للاشارة الى انه رسالة واحدة والرسول واحد منهما والاخر معين له [أَنْ أَرْسِلَ] ان تفسيرية او مصدرية بتقدير الباء [مَعْنًا بَنِي إِسْرَائِيلَ] يعني اطلق من الحبس من كان محبوساً بامر من الاستبعاد من تستبعدونه [قَالَ] مستأنف جواب لسؤال مقدّر كأنه قيل : فما فعلوا بعد ذلك؟ فقال : ذهب موسى (ع) الى مصر واجتمع مع هارون وجاء معاً الى فرعون فقال له : انا رسول رب العالمين ارسلنا اليك ان تخلي عن بني اسرائيل وترسلهم معنا الى الشام قال فرعون في جوابهما خطاباً لموسى (ع) الذي كان في حضنه مدة مديدة [أَلَمْ تُرَبِّكُ فِينَا وَلِيدًا] حملاً له على الاقرار حتى يخجل عن تلك الدعوى ويرتدع عن ذلك الادعاء [وَلَكَيْشْتَ فِينَا مِنْ عُمَرِكَ سِنِينَ] ولم تكن تختلف الى عالم اوحكيم وما كنت تراض بالمجاهدات والعبادات والرياضات فكيف صرت رسولاً من الله الذي لا يراه احد ؟ ! ولا يعلم به عالم ! ؟ وكنت مادمت فينا سفاكاً و قتلت نفساً محرمة فان قوله [وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ] كناية عن ذلك [وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ] بنعمتي يعني كنت في ذلك القتل بسبب القتل وانت في هذا اليوم بسبب عدم حفظ حرمتي وحقّ خدمتي من الكافرين بنعمتي فكيف تكون رسولاً ممّن ادّعت الرسالة وادّعت انه خالق السماوات والارضين وامّار أي ان قتل النفس ممّا لا يمكنه انكاره اقر به و [قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا] ولكن لم اكن بكافر كما نسبت الي لا نتي كنت موحداً لله و عارفاً لنعمه وشاكراً له وقتلته باستحقاقه [وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ] اي ضللت طريقي التي كنت اريد السلوك عليها فوقع علي او كنت ضالاً طريق التوحيد طالبا له ، او كنت ضالاً عن طريق حسن التدبير مع الاعداء وهو المداراة معهم [فَقَرَرْتُ مِنْكُمْ] بسبب ضلالي عن طريق المداراة و قتلي القبطي [لَمَّا خِفْتُكُمْ] على نفسي اما وصل الى ان الملائكة يأثمرون بي [فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا] من غير كسب لي ومعاناة في طلبه [وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ] بمحض فضله من غير عمل لي فيه ، ولما ذكر فرعون بعد ادعاء موسى (ع) الرسالة من الله ثلاثة اشياء مانعة من رسالته بترتيب الازعاف فالاقوى اجاب موسى (ع) من الثلاثة بترتيب الاقوى فالأضعف ؛ فانه ذكر اولاً كونه مربّي لهم والمربّي لا يجوز ان يكون حاكماً على المربّي ، وثانياً لبثه فيهم مدة مديدة من عمره من غير كسب للكمالات الانسانية المقتضية للرسالة المستلزمة لجميع الكمالات الكسبية باعتقادهم ، وثالثاً قتل النفس المحترمة المنافي للرسالة من الله من حيث الظاهر والباطن فان الرسول من الله ينبغي ان يكون بحيث يرغب فيه كل احد والسفاك لا يرغب فيه اكثر الناس ، وينبغي ان يكون مطهراً من جميع ما يكون شيئاً على الانسان حتى يستحقّ القرب من الله والرسالة منه بحسب الباطن ، فاجاب اولاً بالاعتراض بالفعل ونفى الكفر المنافي للرسالة في تلك الفعل واثبات الضلالة التي لا تنافي طلب الكمالات الانسانية وحصول الرسالة بل تكون من مقدمات طلب الكمالات فانه ما لم يعلم الانسان ضلاله لم يطلب هداة ، وثانياً عن ثاني ايراداته بان الرسالة موهبة من الله وليست بكسب الانسان حتى ينافيها لبث فيكم من غير كسبي للعلوم العقلية والشرعية ، واجاب ثالثاً عن اول ايراداته بان تربيتك لم تكن احساناً الى بل كانت اساءة لي لانك ماريتني بتجشّم من نفسك بل باستعباد قومي في خدمتي ، او باستعباد قومي في تحصيل الخدم والحشم والدولة ، او باستعباد قومي وقتل اولادهم حتى خافوا منك وخافت امّي فألقنتني في النبل فوقع في يدك ، او باستعباد قومي حتى استعبدت امّي لخدمتي ، واجاب بالاقرار بكون التربية نعمة ثم استدرك توهم كونها احساناً بكونها اساءة فقال او [تِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ] فجعل الجملة استفهامية بحذف همزة الاستفهام او خبرية بدون تقدير الاستفهام وتلك اشارة الى التربية او الى عبادة بني اسرائيل او الى تعييدتهم ونعمة خبر تلك وان عبّدت بدلاً من تلك او خبراً

بعد خبر او خبراً ابتداء او خبراً لمبتدأ محذوف، او مبتدأ لخبر محذوف، ويكون الجملة حينئذ مستأنفة جواباً لسؤالٍ مقدّر كأنه قيل: ما هذه النعمة التي انكرتها؟- او اى شيء يمن بها عليك حتى انكرته عليه؟- فقال: هي ان عبدت بنى اسرائيل او ان عبدت بنى اسرائيل تمنه على سواء كانت في معنى الاستدراك وفي معنى لكن هي ان عبدت بنى اسرائيل او لم تكن [قَالَ فِرْعَوْنُ] بعد ما سمع جوابه عن ايراداته للمجادلة معه بالسؤال عن اجزاء ادعائه حتى يعجزه عن بيان قوله وادعائه [وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ] التي ادعت الرسالة منه، سأل به ما هو عن حذوه وحقيقته ولما لم يكن لله تعالى مهية مركبة حتى يكون له جنس وفصل عدل موسى (ع) عن جواب ما هو الى الجواب بالاغراض التي هو جواب لاي شيء هو [قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا] بدّل الاجمال الذي في العالمين بالتفصيل [إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ] من اهل الايقان شرط للتبهييج والتعيير يعنى انتم اهل النفوس الظنّانة والشاكة ولستم اهل العقول الموقنة [قَالَ] فرعون بعد ما رأى عدم مطابقة الجواب للسؤال تزييفاً لرأى موسى (ع) وتسفيهاً لعقله [لِمَنْ حَوْلَهُ] [أَلَا تَسْتَمِعُونَ] قوله حيث لا يعلم طريقة المحاجة ويدعى دعوى عظيمة ويزيد التفوق والرياسة على اهل العالم، ولما رأى موسى (ع) استهزاه به وبجوابه واحتمل ان ينكر مخلوقية السماوات والارض ومربوبيتهما ويقول انهما قد يمان غنيان عدل عنه و [قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ] ولما رأى فرعون اصراره على جواب ما هو بالاغراض الاضافية التي هي اضعف الاغراض [قَالَ] خطاباً لقومه مستهزئاً بموسى (ع) [إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ] لانه لا يتنبه بالتنبيه ولا يردع عن غيه بالردع ويصر على جهله [قَالَ] مصرّاً على ما اجاب به معرضاً بعدم تنبيههم بالتنبيه [رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا] [إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ] صرح بسفاهتهم بعد ما صرح فرعون بجنونه ومقصوده ان الله الذي تسأل عنه بما هو لاجلّه حتى يجاب بما يطابق السؤال بل لا يمكن تعريفه الا باضافاته التي هي مدركة لنا، واصراركم على مطالبة جواب ما هو لعدم تعقلكم من الله ما يليق بجناحه، ولما رأى فرعون اصراره على جوابه الغير المطابق وعدم ارتداعه بالكناية والتصريح [قَالَ] تهديداً له [لَئِنْ اتَّخَذْتَ إِلَهاً غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ] قبل هذذه بأسوء العقوبة لانه كان له هوة عميقة لا يسجن فيها احد الا يموت فيها، ولما رأى موسى (ع) تهديده [قَالَ] اولو جئت بك بشئ مبين [دال على صدقي في دعواي وتوسل بامارات صدق دعواه] [قَالَ] فرعون [فَأْتِ بِهِ] [إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ] فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّٰظِرِينَ] ولما كان السحر شائعاً في زمانه وكان يظهر من السحرة امثال هذه كثيراً [قَالَ] لِمَلِكٍ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا السَّاحِرُ عَلِيمٌ [ولما لم يكن السحر شيئاً عيباً في زمانه لم يكف به وقال] يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ [حتى يترجوا منه ولا يرغبوا فيه وبعد ما اظهر ما يترجون منه قال] فَمَاذَا أَمُرُونَ [شاوهم في امره استمالة لقلوبهم] [قَالُوا أَرْجِهْ] قد مضى في سورة الاعراف وجوه القراءة في أرجه [وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ يَأْتُواكَ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلَيْهِمْ فَجُوعَ السَّحَرَةِ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْغَالِبِينَ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنْ لَنَا أَجْرٌ إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ

فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ قَالَ أَمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ أَدْنِ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السَّحَرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَا قُطْعَنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَا صَلْبَيْنَكُمُ أَجْمَعِينَ قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَاتِنَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ [قد سبق الآيات بالفاظها أو بمعانيها في سورة الاعراف وغيرها فلا نعيد بيانها] [وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى] بعد أن مكث فيهم مدة مديدة أن اطلب عبادي من فرعون وأخبرهم من مصر [وَأَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي] إلى البحر [إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ] يتبعكم فرعون وقومه [فَأَرْسَلْنَا فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ] لم يثيرون غيظنا [وَأَنَّا لَجَمِيعٌ حَاضِرُونَ] أي أننا لجماعة من عادتنا الجزم والحذر في الأمور ومراعاة العاقبة أو المعنى أننا لجماعة من عادتنا الحذر من الأعداء والتهيتؤ لهم بالقوة والسلاح بما أمكن ، وقرئ حادرون بالذال المهملة بمعنى الأقوياء أو المرعون في طلب الأعداء أو حادون في النظر [فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ] أنيقة [وَعُيُونٍ] غزيرة [وَكُنُوزٍ] عظيمة فإن التنكير ههنا للتفخيم والتعجيب [وَمَقَامٍ كَرِيمٍ] ومنازل بهيئة [كَذَلِكَ] متعلق بأخبر جناتهم للتعجيب يعني أخبر جناتهم من ضياعهم وعقارهم وجميع أموالهم مثل هذا الإخراج العجيب الذي خرجوا بالترغبة منهم راجعين العود إليها ولاجل زيادة التعجيب عطف عليه قوله [وَأَوْرَثْنَاهَا بِنِي إِسْرَائِيلَ] قبل تمام قصتهم ويجوز أن يكون كذلك خبر مبتدئ محذوف جواباً لسؤال مقدر أو متعلق فعل محذوف كذلك كأنه قيل : هل أمرهم كان كذلك؟ على سبيل التعجيب أو هل وقع منهم الخروج هكذا؟ فقال : أمرهم كذلك ، أو وقع الخروج كذلك ، أو كأنه قيل : هل بقوا بعد الخروج أو هل كوا؟ فقال : هلكوا كذلك [فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ] أي تبعوهم ومشوا على عقبهم حين شروق الشمس أو أدركوهم يعني بأبصارهم لا بأبدانهم وقت ارتفاع الشمس [فَلَمَّا تَرَاءَ الْجَمْعَانِ] أي قريبا بحيث يرى كل منهما الآخر [قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى] فرعاً من فرعون [إِنَّا لَمُدْرِكُونَ] بالابدان كما أدركونا بالانظار وقالوا : أننا لمدركون تأكيداً في قريتهم [قَالَ] موسى (ع) ردعاً لقومه عن اضطرابهم [كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي] بالنصرة والحفظ فلا تبالوا بقرب فرعون وجنوده [سَيَهْدِينِ] إلى طريق الخلاص منهم وينجيني من بأسهم ولما وصلوا إلى البحر وقفوا متحيرين [فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ] وهو نهر النيل فضرب البحر [فَانْفَلَقَ] فانشق البحر اثني عشر طريقاً بين كل طريق وطريق ماء كالجبل مشبك بحيث يرى كل فريق صاحبيه [فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ] أي كل قطعة من البحر يفرق بهابيين طريقين وطريقين [كَالطُّورِ الْعَظِيمِ] كالجبل العظيم ، والفرق بالكسر اسم لما انفرق كما أن الفرق بالفتح مصدر [وَأَزَلْنَا ثُمَّ الْآخَرِينَ] أي قربنا في هذا المكان مكان البحر فرعون وقومه وأدخلنا البحر موسى وقومه [وَأَنجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ] بأن أخبرناهم من البحر سالمين [أَجْمَعِينَ] ثم أغرقنا الآخرين [بأن أطبقنا البحر عليهم] [إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً] دالة لقومك على المبدء وعلمه وقدرته [وَأَنَّ] لكن [مَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ] أو المعنى أن في ذلك لآية كانت لقوم موسى وما كان أكثرهم مؤمنين بموسى (ع) وآله فلا تحزن أنت على عدم إيمان قومك بالله أو بك فانتهم

ما شاهدوا مثل ما شاهدوا وما ابتلوا مثل ما ابتلوا [وإن ربك لهو العزيز الرحيم] وأتل عليهم] أي على قومك
المشركين [نسباً إبراهيم] حتى يعلموا قبح الاشرار ويعلموا ان إبراهيم (ع) ما كان مشركاً ولا ينسبوه الى الاشرار
ولا ينسبوا اشرارهم اليه ولا يدعوا مع اشرارهم ولاية البيت بانسابهم الى ابراهيم (ع) [إذ قال لآبيه وقومه ما
تعبدون قالوا نعبد أصناماً فننظّل لها] أي لعبادتها [عافيين قال] ابراهيم (ع) [هل يسمعونكم]
أي قولكم [إذ تدعون] أي تدعونهم أو تدعون شيئاً منهم أو من غيرهم أو تنادون مطلقاً [أو ينفعونكم] بعبادتها
[أو يضرون] بترك عبادتها وفي هذا الاحتجاج دليل على ان من اخذ ديناً لا بد وان يكون اخذه من حجة وبرهان
أو شهود وعيان ولا يجوز الاخذ من تقليد كالعميان ، ولما لم يكن لهم حجة وبرهان التجأوا الى التوسل بالتقليد و
[قالوا] ليس ذلك الذي قلت [بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون قال] ابراهيم (ع) [أفرايتهم ما كنتم
تعبدون أنتم وأبائكم الأقدمون] الذين توسلتم بتقليدهم [فإنهم] أي بضمير العقلاء بلحاظ كونهم
معبودين أو بضم الآباء اليهم وتغليبهم على غير العقلاء [عدو لي] يستوى في العدو الذكر والانثى والواحد والاكثر
[الآرب العالمين الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين] أما بتهية اسباب المطعوم
والمشروب أو بالهام طريق تحصيلهما أو بتسهيل الابتلاع والشرب [وإذا أمرضت فهو يشفي] بتسبب الاسباب
الطبيعية أو بدون الاسباب [والذي يميئني] بعد انقضاء اجلي [ثم يحيين] بنفخة الاحياء والذي يميئني
استمراراً ثم بعد كل موت يحيين وقد سبق في أول البقرة عند قوله تعالى وكنتم امواتاً فأحياكم تحقيق تام لتكرار
الامانة والاحياء للانسان [والذي أطعم] عدل عن أرجو للاشعار بانه غير ناظر فيه الى سبب وعمل وتهيئة حصول
للمغفرة من قبله فان المتبادر من الرجاء ان يكون الطمع مسبوقاً باسباب وصول المطعوم ومن الطمع ان يكون الرجاء غير
مسبوق بحصول سبب ووصوله [أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين] يوم الجزاء ، ولما كان الرجاء الى الكثرات بعد
الفناء في الله شأنه ان يكون متوسطاً بين الافراط والتفريط في النظر الى الله وفي النظر الى الكثرات بحيث لا يغلب
رؤية الكثرة على رؤية الوحدة ولا رؤية الوحدة على رؤية الكثرة ، وكان خطاه في الخروج عن التوسط والميل الى
احد هما صريح من الانبياء (ع) نسبة الخطاء الى انفسهم والتضرع على الله وسؤال المغفرة منه والاستعاذة من عذابه واظهار
الخوف منه فلا حاجة في الآية الى تجشّم توجيهه وتأويل لتصحيح نسبة ابراهيم (ع) الخطاء الى نفسه ، ولما كان المحبة
حين ذكر اوصاف المحبوب وتصوّر شمائله يشتدّ لوعته ويزداد حرقته وتصوّره له بحيث يكاد يتمثل أو يتمثل المحبوب
عنده التف (ع) من الغيبة الى الحضور فناداه وخاطبه واستدعى منه فقال [رب هب لي حكماً] الحكم القضاء
النفاذ والحكومة بين الناس والامارة عليهم والدقة في العلم والعمل وفي كل واحد منهما الكل مناسب ههنا والمقصود
الرسالة الكاملة او الحكم الباطني الذي هو من آثار الولاية [وألحقني بالصالحين] بمن كانوا صالحين صلاحاً
مطلقاً فان الكافر ما لم يبطل استعدادة لقبول الاسلام صالح بحسب فطرته واستعدادة للاسلام ، والمسلم صالح بحسب
استعدادة لقبول الايمان ، والمؤمن صالح للخروج على درجات الايمان الى الفناء في الله ، والقاني صالح للرجوع والبقاء
بالله ، والباقي صالح للنبوة ، والنبي صالح للرسالة ، والرسول صالح لان يكون من اولي العزم ، وصاحب العزم صالح للخلة
والامامة بالمعنى الذي ليس فوقه درجة ، والامام صالح للخاتمية والجامعية بين الكثرة والوحدة كما ينبغي فقال (ع)
ألحقني دون ادخلني واتى بالصالحين من غير تقييد للاشارة الى التمكن في الصلاح المطلق وهو صلاح الصالح الذي

صار بالفعل من جميع الجهات ولم يبق فيه قوة واستعداد فلا حاجة الى تأويل في هذا الدعاء [وَأَجْعَلْ لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ] لسان الصديق يستعمل في القول الحسن والثناء الجميل والانسان المعبّر عن الشخص في غيابه وحضوره وقد فسر ههنا بكليهما ففي خبر: لسان الصديق للمرء يجعله الله في الناس خبيراً له من المال يعني ذكر خبر وقول حسن وثناء جميل خير من المال يأكله ويورثه؛ وقد فسر بمحمد (ص) وعلي (ع) والائمة من نسلهما [وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ] وَأَغْفِرْ لِأَبِي] حتى تهديه الى الطريق القويم [إِنَّهُ كَانَ مِنَ الصَّالِينَ] عن الطريق وكان دعاؤه (ع) هذا احتمال الهداية له وللوعد الذي وعده فلماً تبين له ان فطرته منقطعة وانه علو الله بالذات والفطرة تبرأ منه [وَلَا تُخْزِنِي] من الخزي بمعنى الهوان او من الخزاية بمعنى الحياء [يَوْمَ يَبْعَثُونَ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ] فان النسب الاعتبارية التي كانت للانسان تصير منقطعة في ذلك اليوم لانقطاع الجسم واعتباره [إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ] استثناء مفرغ أي لا ينفع مال ولا بنون احداً الا من اتى الله بقلب سليم فان التسليم القلب ماله واولاده كما ينفعانه في الدنيا ينفعانه في الآخرة فانهما فتنة من الله لعباده فمن امتحنه الله تعالى بهذه الفتنة والامتحان وخرج منها سليم القلب صار ممسكاً امتحن الله قلبه للايمان ودخل في زمرة المؤمنين الممتحنين قلوبهم للايمان ولحق بالسابقين؛ ونعم ما قيل :

نعم مال صالح كفت آن رسول	مال راكز بهر دين باشي حمول
في قماش وقره وفرزند و زن	چيست دنيا از خدا غافل شدن
آب در بيرون كشتي پشتي است	آب در كشتي هلاك كشتي است

ولذلك منع تعالى من الاتفاق في غير المحل فقال **وَلَا تَوْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا** وقد قيل:

منفق وسمسك محل بين به بود	چون محل باشد مؤثر ميشود
اي بسا اسلاك كز اتفاق به	سال حق را جز باسحق مده

ويجوز ان يكون الاستثناء متصلاً من المال والبنون بتقدير مضاف أي لا ينفع مال ولا بنون الا مال من اتى الله بقلب سليم وبنيه، او متصلاً من البنين بدون التقدير، ويجوز ان يكون منقطعاً، وسلامة القلب بان يكون القلب سالماً من الآفات الحادثة من الرذائل خالياً من الرذائل، وفي خبر: هو القلب الذي سلم من حب الدنيا، وفي خبر: القلب السليم الذي يلقي ربه وليس فيه سواه، قال: وكل قلب فيه شرك اوشكك فهو ساقط وانما أرادوا بالزهد في الدنيا لتفرغ قلوبهم للآخرة، وفي خبر: صاحب النية الصادقة صاحب القلب السليم لان سلامة القلب من هواجس المذكورات تخلص النية لله في الامور كلها ثم تلا هذه الآية [وَأَزَلِفَتْ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ] حال بتقدير قد اعطف على جملة يبعثون، والانيان بالماضي للاشعار بتحقيق وقوعه [وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ] وفي اختلاف الفاعلين اشارة الى تشريف المتقين لانه يقرب الجنة منهم لانهم يساقون اليها، والى توهين الغاوين بان الجحيم تبرز لهم وهم يساقون اليها لانهما ترلف لهم [وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُعْبُدُونَ] لفظة مازائدة او موصولة [مِنْ دُونِ اللَّهِ] قائم مقام المفعول على الاول وحال على الثاني عن العائد المحذوف او ظرف لغو متعلق بتعبدون والمعنى اينما كنتم تعبدون من دون اذن الله [هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ] بدفع العذاب عنكم او انجائكم من معذبيكم [أَوْ يَنْتَصِرُونَ] او ينتقمون من معذبيكم او يدفعون العذاب من انفسهم بانفسهم او بغيرهم على ان يكون مطاوع نصر [فَكُبْكِبُوا فِيهَا] أي اسقط الآلهة على رؤسهم او على وجوههم في الجحيم [هُمْ وَالْغَاوُونَ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ] من بني آدم

وبنى الجان فيكون من قبيل ذكر العام بعد الخاص او من بنى الجان فيكون من قبيل عطف المبين [أَجْمَعُونَ قَالُوا] اى العابدون [وَهُمْ] اى العابدون او هم والآلهة واتباع الشياطين [فِيهَا يَخْتَصِمُونَ تَاللّٰهِ اِنْ كُنَّا] انه كنا [لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ اِذْ نُسَوِّبُكُمْ رَبَّ الْعَالَمِينَ] اى الرب المضاف الذى هو على (ع) على ان يكون المراد من اشرك بالولاية [وَمَا اضَلَّنَا اِلَّا الْمُجْرِمُونَ] اى الاسلاف الذين اقتدينا بهم ، او امثالنا الذين اغترونا بهم ، او الآلهة الذين خدعونا ، او الشياطين [فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ وَلَا صٰدِقِىنَ حَمِيمٍ] لان كل نسبة وكل تخلة تصير منقطعة الا النسبة والمخلة فى الله ، ولا يشفع الشفعاء الا باذن الله ، ولان نسبة ولا تخلة ولا جهة آلهية لهم حتى يكون شفيع لهم او صديق او حميم ، روى عن ابي عبد الله (ع) انه قال : والله لنشفعن لشيعتنا ، والله لنشفعن لشيعتنا ، والله لنشفعن لشيعتنا حتى يقول الناس فمالنا من شافعين ولا صديق حميم (الى قوله) فنكون من المؤمنين [فَلَوْ اَنَّا كَرَّةً] لولتتمنى اول للشرط [فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اِنْ فِىْ ذٰلِكَ] فيما قصصناه من قصة ابراهيم (ع) واحتجاجاته ، او فى قول المشركين بالله او بالولاية [لَا ئَتِ] لمن تأمل فيها او لمن انسلخ عن حجاب المادّة واستكشف فى الدّنيا حال المشركين فى القيامة ولا يكون الا لمن قامت قيامته متمكناً فى القيامة او متلوّاً [وَمَا كَانَ اَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ] قد مضى قيل هذا هذه الكلمة [وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ] قد مضى هذه ايضا [كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ] جواب لسؤال مقدّر كأنه قيل بعد حكاية ابراهيم (ع) وقومه : ما فعل قوم نوح المعروف قصتهم ؟ فقال : كذبت قوم نوح المرسلين ، ونسبة تكذيب جميع المرسلين اليهم قد مضى وجهها فى سورة الفرقان [اِذْ قَالَ لَهُمْ اٰخُوهُمْ نُوحٌ اَلَا تَتَّقُونَ] الا للعرض او للتخفيف [اِنِّىْ لَكُمْ رَسُوْلٌ] من الله [آمِينَ] معروف فيكم بالامانة فاقبلوا قولى ولا تنسبوني الى الكذب والخيانة [فَاتَّقُوا اللّٰهَ] اى اذا عرفتمونى بالامانة فاتقوا الله فى مخالفتى [وَأَطِيعُوا] فيما اقول لكم ولا تكذبونى ، قد مضى مكرراً ان الانسان فطرى التعلّق وانه ان لم يتعلّق بخليفة الله تعلق بغيره من مظاهر الشيطان واهوية النفس وآمالها وان الدّين هو التعلّق بخليفة الله بالبيعة والافتداء والطاعة وان من تعلق بخليفة الله كان ناجياً لامحالة ، وغيره كائناً من كان كان داخلياً فى المرجح لا مر الله ولذلك كان قول الانبياء (ع) اول تبليغهم امر الامة بالطاعة لانفسهم [وَمَا اَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ] اى على التبليغ [مِنْ اَجْرٍ] حتى تنهمونى لذلك وتكذبونى فان الامر لو لم يكن آلهياً كان نفسانياً والامر النفسانى لا يخلو عن مقتضيات النفس ومشتهايات الدّنيا [اِنْ اَجْرِىْ اِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ فَاتَّقُوا اللّٰهَ وَأَطِيعُوا] كرر الامر بالتقوى والطاعة للاهتمام به فانه لا غاية للرسالة بل لا غاية للانسان الا ذلك ، ولترتبة اول على معرفة الامانة وهى على عدم طلب اجرة منهم [قَالُوا اَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْاَرْضَ ذُلُونًا] وقرئ اتباعك الارض ذلون كأنهم لم يكذبوا امانته واستغناءه وعدم طمعه فى اموالهم لكنهم جعلوا مانع قبول رسالته اتباع الارض الدال على رذالة المتبوع الدال على عدم شأنية الرسالة ولذلك كانوا ينسبون الانبياء (ع) الى الجنون والخبث وميسس الشياطين وامثال ذلك [قَالَ وَمَا عَلِمِىْ بِمَا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَ] ولم تسموهم اراذل وليس حسن عملهم ولا قبحة يبدى واطلاعى انما كان على ان اخذ البيعة منهم لربى [اِنْ حِسَابُهُمْ] فى عملهم [اِلَّا عَلَى رَبِّىْ] وليس حسابهم على حتى اكون مراقباً لهم فى عملهم [لَوْ تَشْعُرُونَ] ذلك ما انكرتم على اتباعهم ، اولو للتمنى [وَمَا اَنَا بِطَارِدٍ الْمُؤْمِنِينَ] كأنهم عرضوا بقولهم واتبعك الارض ذلون بان يطردهم عن نفسه حتى يؤمنوا [اِنْ اَنَّا اِلَّا

نَذِيرٌ مُبِينٌ] وليس شأني طرد احدٍ او مراقبة عمل انما الطرد والمراقبة على شأن الولاية [قَالُوا] بعد ما رأوا انه يحمى اتباعه ولا يطردهم من اتباعه [لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ] هددوه بالقتل بأسوء انواعه لعماء عجزوا عن المحاجة معه كما هو ديدن كل غالب عاجز عن المحاجة [قَالَ] بعد ما داراهم مدة الف سنة الا خمسين عاماً او اقل من ذلك يسير سائلاً من الله شاكياً عليه [رَبِّ اِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ فَافْتَحْ] فافض او فاحكم [بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتَحَاوَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ] يعنى منهم او من العذاب المسؤل لهم [فَأَنجَيْنَاهُ] الاتيان بالفاء عقيب الدعاء للاشعار بان العذاب كان عقيب الدعاء بلامهلة ليكون ابلغ في مقام التهديد والا كان بين دعائه ووعد الاجابة له وبين اغراقهم مدة مديدة [وَمَنْ مَعَهُ فِي الْقُلُوبِ الْمَشْحُونِ] بالناس وسائر الدواب [ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ] اتى بتم ههنا وكان حقه الاتيان بالفاء للتفاوت بين الاخبارين [اِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودُ أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ الرِّيع بالكسر والفتح المرتفع من الارض او كل فريج او كل طريق او الطريق المنفرج في الجبل والجبل المرتفع وبرج الحمام الذى يبنى لان تأوى اليه [آيَةٌ] علامة [تَعْبَثُونَ] بذلك والمراد به القصور المرتفعة، او القلاع المبنية على الجبال والمرتفعة من الاراضى، او العلام المبنية للمارة من غير حاجتهم اليه، او الابنية التى تبنى على الطريق للاشراف على المارة والسخرية بهم، او كانوا يبنون ابنية للاجتماع واللعب فيها [وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ] جمع المصنعة او المصنع بمعنى الحياض تصنع للماء، او المضائف التى يدعى اليها للضيافة، او القرى التى تصنع للزراعة والانتفاع، او المباني من القصور والحصون [لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ] يعنى راجين للخلود ولذلك تحكمون ببنائها [وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ] لا مؤذيين يعنى انكم جمعتهم بين الافراط فى القوة الشهوية والافراط فى القوة الغضبية [فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا] مضى وجه تكرار هذه [وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ] اى تعلمونه او تعلمون انه ليس الا بامداد الله، كرر اتقوا مقدمة للتنبيه على بعض النعم الذى يعرفون انه من الله حتى يقبلوا ويطلبوا منه الزيادة ويخافوا زواله ولا يخالفوه [أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ] عذ عليهم من انواع نعمه ما يعده العرب أشرف النعم وأحسنها [إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ] كأنه قال أمرتكم بالتقوى لانتى اخاف عليكم زوال تلك النعم بمخالفتكم واخلاف اعظم منه وهو عذاب يوم عظيم [قَالُوا] فى جوابه اظهاراً لعدم الاعتداده [سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعُظَّتْ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ] لم يقل ام لم تعظ ليكون ابلغ فى عدم الاعتداد بوعظه [إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ] فرى خلق بالفتح والتسكون بمعنى الافتراء او الفطرة والطبع، وقرى بالضممتين بمعنى السجية والطبع والمعنى ما هذا الذى تدعيه الا كذب الاولين الذين ادعوا النبوة مثلك، او ما هذا الذى نحن عليه من سجية الحيوة والتعيش اياماً ثم الموت الا فطرة الاولين يعنى ان الزمان كان من القديم على الاحياء والاماتة، او ما هذا الذى انت تدعيه الا عادة الاولين من الانبياء (ع) او من المدعين للنبوة، او ما هذا الذى نحن عليه من الدين لا إعادة الاولين ونحن بهم مقتدون [وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ] لانه لا بعث ولا حساب ولا عقاب، اولانا نكون على

الحق الذي نستحق به الثواب لا العقاب [فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ] وجه الاثبات بالفاء عقيب التكذيب قد مر في السابق [إِنَّ فِي ذَلِكَ] المذكور من قصة هود وقومه او من اهلاك قوم هود الذي نظافره الاخبار [لَا يَتَّقُونَ] أكثرهم مؤمنين وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَاتْتَقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ أَتُشْرِكُونَ فِيمَا هُهُنَا أَمِينٌ] بعدما اقام على صدق دعواه بيته مما يعرفونه ونفى الطمع الذي هو مورت للاتهام عن نفسه هذهم بالموت والخروج من المنازل والدنيا [فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ] اى التضييع او الرطب اللين او التضييد او سريع التفتت وقبل هو الذي ليس فيه نوى [وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ] حاذقين في النحت او بطرين [فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ] المتجاوزين للحد في المشتبهات او في الغضبات [الَّذِينَ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ] قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بَآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَادِمِينَ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ] قد مضى حكاية نوح وهود وصالح (ع) في سورة الاعراف وفي سورة هود [كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ] اخوة المعاشرة لا اخوة القبيلة او الذين [لُوطٌ أَلَاتْتَقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ] لستم واقفين على هذا القدر من الظلم لانكم [قَوْمٌ عَادُونَ] في جملة امورك، والعادون من عدى بمعنى ظلم او سرق او صرف او وثب او جاوز او من العدو ضد الصديق، او من عدى كعلم بمعنى أبغض.

اعلم، ان التكليف الاختيارية النبوية او الولوية مطابقة للتكاليف التكوينية الالهية، والله تعالى كلف جنس الحيوان في اكثر انواعه بالاجتماع بان ركب الشهوة فيها وجعل فيها ذكراً وانثى وجعل نفوسهما بحيث لا يصبر كل عن الآخر باقتضاء شهوة الوقاع التي جعلها فيه، ولم يكن المقصود من خلق الشهوة الا بقاء النوع فانه لو لم يكن شهوة لم يكن وقاع بين سائر انواع الحيوان، واما الانسان وان كان يمكن الوقاع بمحض التكليف الاختيارى النبوى لكن قلما يقع ذلك فان اكثر النفوس لا تعتد بالاوامر التكوينية ولو لم يكن الاوامر التكوينية لم يكونوا يوافقون بمحض الامر التكويني وفي ذلك فناء النوع او توقيله، ولقصدا التناسل جعل تعالى آلة قضاء الشهوة في الذكر والانثى بحيث يستقر مادة الانسان التي هي النطفة في مقر مخصوص وجعل الذكر والانثى بحيث كانا عاشقين للولد ومرتبين له كالجاء منهما، وغير الانسان من الحيوان لم يملك له الشيطنة لا يرغب في ثقب ليس له ان يطأ فيه فلا يخالف الامر التكويني وليس له امر تكليفي، واما الانسان فيندبر بالقوة المتخيلة ووسوسة الشيطان ويتصرف في امر قضاء الشهوة وقد يخالف بتدبيره وشيطنته الامر التكويني والامر التكليفي، وما لم يخذله الله يعاقبه في الدنيا ويؤاخذ به على مخالفة

الامر التكويني وجعل له عقوبة وحداً على مخالفة الامر التكليفي ، ولما كان في الخروج عن الامر التكليفي في هذا المورد افساد كلي في الارض بقطع النسل وجعل المرء على طبيعة المرأة وجعل النفس خارجاً من الحياء وأخس من نفس الحيوان في القوة الحيوانية جعل الله عقوبة من أتى الذكر ان اشد من جميع العقوبات [قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ] عما تنهى عنه [لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ] من قريتنا [قَالَ] لهم [إِنِّي لَعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ] لأنفسكم فانكم صنائع ربّي ولا اقدر ان اقلبكم ولكن عملكم لكونه مخالفاً لامره التكويني والتكليفي كان مغضوباً لي تخرجوني من قريبتكم اولم تخرجوني ثم انصرف عنهم والتجأ الى الله فقال [رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ إِلَّا عَجُوزًا] من اهله وهي امرأة لوط [فِي الْغَابِرِينَ] في الباقيين الماكثين في القرى على ما قبل انتهالم تخرج مع لوط ، اوفي الغابرين في العذاب على ما قبل انتهأ خرجت واصابها في الطريق حجر فأهلكها [ثُمَّ دَمَرْنَا] اي أهلكنا [الْآخَرِينَ] بالخسف او بابتلاك القرى وانقلابها ثم أمطرنا على من كان غائباً من القرى الحجارة من السماء او امطر عليهم الحجارة ثم انقلب قراهم بهم [وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا] عجبياً وهو امطار الحجر [فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ] ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ [الأيكة الشجر الملتف الكثير او الجماعة من كل شجر حتى من النخل والواحدة الايكة او الاجمة الكثير الشجر والمراد بأصحاب الايكة اهل مدين او جماعة كانوا بقرية قرب مدين ولم يكونوا من قبيلة شعيب (ع) بعث شعيب عليهم كما بعث على اهل مدين ، ولانهم لم يكونوا من قبيلته قال تعالى [إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ] ولم يقل اخوهم شعيب [أَلَا تَتَّقُونَ] إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا مَا آسَأَلَكُمْ عَلَيْهِ مِنْ آجِرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ] اي من جملة من شيمته التطفيف في الكيل والميزان [وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ] وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ] اي لا تنقصوا من الناس [أَشْيَاءَهُمْ] اولانظلموا الناس في اشيائهم وعلى الاول يكون بياناً لمفهوم مخالفة او فوا وزنوا ، وعلى الثاني يكون اعم لان ظلم الناس في الاشياء اعم من ان ينقصوا فيما يعطونهم او يزيدوا فيما يأخذون منهم [وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ] تعميم بعد تخصيص [وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِيلَ الْأَوَّلِينَ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ] بمعنى المسحورين المصابين بالسحر حتى فسد عقولهم ولا يدرون ما يقولون ، والتضعيف للمبالغة او من المجوفين الذين لهم سحراى رية ويحتاجون الى الاكل والشرب والترف والهواء ومن المتباعدين من الانسانية [وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَنْظُنُّكَ] اي انه نظنك [لَمِنَ الْكَاذِبِينَ] فَنَاسِقِطُ عَلَيْنَا كِسْفًا] جمع الكسفة كالكسف بالكسر والفتح [مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ قَالَ] بعد ما لم ينفع فيه المحاجة [رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ] فان رآكم مستحقين للعذاب واسقاط السماء عليكم فعل بكم ، وان رآكم مستحقين للتوبة ومستعدين لرحمته وفقكم [فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ] اي يوم السحابة التي اظلمت فاته كما نقل اصابعهم حرق شديد سبعة ايام وحبس عنهم الريح ثم غشيتهم سحابة فلما غشيتهم خرجوا اليها طلباً للبرد من شدة الحر فامطرت عليهم نارا فأحرقتهم وكان من أعظم الايام والوقائع ولذلك قال تعالى [إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ

عَظِيمٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ] ولما ذكر قصص الانبياء الماضين وهلاك اقوامهم لتكذيبهم ليكون تسلية للرسول (ص) وتهديداً لقومه المكذبين ذكر القرآن او قرآن ولاية علي (ع) وامارات صدقه ليكون اقرب الى القبول والانداز وقال [وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ] عطف على السابق باعتبار المعنى كأنه قال: وان شعباً لمن المرسلين وانك لمن المرسلين وان القرآن او قرآن ولاية علي (ع) لتنزيل رب العالمين [نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ] يعنى جبريل فانه من جملة الارواح وامين على امر الله [عَلَى قَلْبِكَ] اى صدرك او قلبك الحقيقي المقابل للصدر والنفس فان الولاية فى القلب كما ان الرسالة واحكامها وكتبها فى الصدر [لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ] اى من الرسل الذين شأنهم الانذار لامن المبشرين فقط فان البشارة المنفكة عن الانذار شأن الولاية المنفكة عن الرسالة، انى بالغاية قبل تمام المغيبى للاشعار بان الانذار انما هو بنفس القرآن او الولاية لا بكونه بلسان عربى، هذا على تقدير كون قوله تعالى [بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ] متعلقاً بقوله نزل واما اذا كان متعلقاً بكونه من المنذرين فكان من اجزاء الغاية لا المغيبى، والمراد باللسان العربى هو لغة العرب مجازاً فان استعمال اللسان فى القول كثير والمراد بالمبين الفصيح الظاهر الكلمات والحروف، او الظاهر المعانى والواضح المقاصد، او المبين للمقاصد، او المبين للالسن فانه كما فى الخبريين الالسن ولا تبيته الالسن فان لغة العرب لسعتها وسعة التصرف فى هيات كلماتها تبيين جميع اللغات بمحض التصرف فى هيات كلماتها وليست تلك السعة فى سائر اللغات فلا يبين سائر اللغات بدون التقييدات لكلماتها لغة العرب فان الضرب بتصريفاته فى هيات يبدل على عدة معان متخالفة لا يمكن تبيينها بسائر اللغات الا بضم قيودات عديدة فان الضرب بقيد معناه المصدرى وهىة ضرب يفيد المعنى المصدرى مع زمانه ونسبته وفاعله وذكورة فاعله ووحدته وهكذا سائر متصرفاته وليس سائر اللغات كذلك فهو يبين الالسن بهيات كلماته ولا تبيته الالسن الا بضمائم وقيودات لكلماتها [وَإِنَّهُ] اى القرآن باوصافه او بمعانيه او قرآن ولاية علي (ع) [لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ] اى كتبهم [أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ] اى القرآن باوصافه او بمعانيه واحكامه او قرآن ولاية علي (ع) [عُلَّمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ] فان انبياء بنى اسرائيل اثبتوا فى كتبهم واخبروا اممهم بمجيء محمد (ص) وكتابه ووصاية وصية الذى هو ابن عمته وصهره وخليفته فان العلماء كانوا يخبرون بأنه مكتوب فى كتبهم ويشترون بمجيئه، وكانت اليهود يستفتحون بمحمد (ص) واوصيائه (ع) على اعدائهم، وقد ورد فى اخبار عديدة ان الآيات فى ولاية علي (ع)، وفى خبر: ان ولاية علي (ع) مكتوبة فى جميع صحف الانبياء ولم يبعث الله رسولا الا بنبوته محمد (ص) وولاية وصية علي بن ابي طالب (ع) [وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ] اى القرآن او قرآن ولاية علي (ع) [عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ] الذين لا يفصحون عن الكلمات او الذين هم غير العرب او سائر افراد الحيوان العجم [فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ] لعدم افصاحه عن الكلمات والمقاصد لانهم بعد انزلنا القرآن عليك مع افصاحك عن كلماته ومقاصده ما آمنوا فلما نزلناه على ذى لكمة بلسانه كان عدم الايمان كالسجىة لهم، وللإشارة الى هذا المعنى قال ما كانوا به مؤمنين بتخلل كان لعدم افصاحه، اوله وللعناد مع علي (ع)، او المعنى لو انزلناه على عجمي ما كانوا ليؤمنوا للحمية التى كانت لهم مع العجم، اوله وللعناد مع علي (ع)، او المعنى لو انزلناه على حيوان غير ناطق فقط به اعجازاً منا ما كانوا ليؤمنوا به مع أنه يكون دليل صدقه حينئذ معه لشدة بعدهم ونفرتهم من الحق، اولها ولشدة عنادهم مع علي (ع)، روى عن الصادق (ع) لو نزلنا القرآن على العجم ما آمنتم به العرب وقد نزل على العرب فآمنت به العجم فهذه فى فضيلة العجم [كَذَلِكَ] اى مثل سلوك الكفر فى قلوب هؤلاء [سَلَكْنَاهُ] اى الكفر [فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ]

او مثل نزول القرآن على قلبك بلسان عربي مبين سلكتاه في قلوب المجرمين ومع ذلك لا يؤمنون به ، او مثل سلوك القرآن في قلوب هؤلاء الكفار حال كونهم متنفذين منه غير مؤمنين به سلكتا قرآن الولاية في قلوب المجرمين حال كونهم متنفذين منه [لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ] ولا ينفع نفساً إيمانها حينئذ ، واشير في اخبار عديدة الى ان المراد بالمجرمين بنو امية وانهم لا يؤمنون بعلي (ع) حتى يروا العذاب الاليم [فَيَأْتِيَهُمْ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ] [بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ] بمجيئه لعدم تقدم اماره له [فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ] يعني انهم قبل مجيئه يستهزؤن به ويستعجلون به استهزاء فاذا جاءهم يسألون النظرة [أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ] تهويل وتهديد لهم [أَفَرَأَيْتَ] يا محمد (ص) والخطاب عام [إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ] عديدة مديدة [ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ] من العذاب [مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ] شيئاً من عذاب الله [مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ] في الدنيا وقد صرح في اخبار عديدة ان قوله افرأيت (الى الآخر) نزلت في بنى امية وان رسول الله (ص) رآهم في منامه يصعدون منبره بعده يضلون الناس عن الصراط القهقري فأصبح كثيراً ونزل عليه جبرئيل وسأل عن حزنه فقال (ص) : رأيت في منامي كذا فخرج ثم نزل وجاء بهذه الآية تسلية للرسول (ص) وجاء بسورة انا انزلناه تسلية له (ص) بان ليلة القدر التي أعطيت خير من الف شهر يكون فيها ملك بنى امية [وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ] عطف فيه استدراك توهم ان العذاب الجائي بغتة كان ظلماً [ذِكْرِي] مفعول له واسم للتذكير [وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ] معذبين من غير استحقاق ومن غير تذكير لهم بالعذاب [وَمَا تَنْزَلَتْ بِهِ] اي بالقرآن او قرآن ولاية علي (ع) [الشياطين] كما زعم المشركون ان القرآن النازل على محمد (ص) من قبيل ما يلقيه الشيطان على الكهنة [وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ] وما يستطیعون [ان يتزلوه] يعني ليس شأن القرآن الذي هو كلام الله والآتي به هو الملك والمتلقف محمد (ص) الذي هو اعلى من الملك ان يلقنه الشياطين ولا الشياطين يقدرون ان يأخذوه ويتزلوه لان الشياطين عالمهم ظلماني اسفل العوالم والقرآن ومحمد (ص) والملائكة عالمهم نوراني اعلى العوالم فاذا وصل القرآن الى الشياطين فروا بل هلكوا كما قيل :

ديو بگریزد از آقوم که قرآن خوانند

[إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ] اي سمع القرآن وكلام الملك [لَمَعَزُ وَلُؤْنٌ] فان قول الملك وخطاب القرآن شهاب رادع للشيطان [فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ] يعني اذا كان القرآن من الله من غير شراكة لغيره ، او اذا كان ولاية علي (ع) من الله فلا تدع مع الله او مع علي (ع) [إِلَٰهًا] اي معبوداً او ذا ولاية [أُخْرًا] وهذا علي : اياك اعني واسمعي يا جارة [فَتَكُونُ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ] مثل بنى امية الذين عدلوا عن علي (ع) الى غيره فحتم لهم عذاب اليم [وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ] خصص العشيرة الاقربين مع انه مأثور بانذار الخلائق اجمعين ، اما لانهم اقرب الى القبول من غيرهم فاذا اندروا قبلوا لمناسبة القرابة بينهم وبينه ولاطلاعهم على خفايا احواله وانه لا مداهنة فيه ولا يطلب الدنيا دون غيرهم ، اولانهم ان آمنوا سهل عليه (ص) دعوة الغير وسهل على الغير قبول دعوته لاستظهاره بهم واعانتهم له وشاهدة الغير لايمان المطلعين على خفايا احواله ، وان لم يؤمنوا تنفّر عنه الاباعد مستدلّين بأنه ان كان حقاً كان اتّباعهم له اولى من اتّباعنا ، اولانه ان انذر عشيرته يعلم انه آلهي وانه بدأ بعشيرته فلا يدع غير عشيرته ، اولانه يمكنه جمعهم وانذارهم دون غيرهم ، وقد نقل من طريق العامة والخاصة ان محمداً (ص) بعد نزول هذه الآية قال لعلي (ع) : يا علي اصنع لهم غذاء فصنع غذاء قليلاً فجمعهم رسول الله (ص) في الشعب فأكلوا كلهم من ذلك الغذاء القليل وشبعوا فبدرهم

ابولهب فقال: هذا ما سحركم به الرجل فسكت (ص) يومئذ ولم يتكلم بشيء ثم دعاهم من الغد على مثل ذلك الطعام ثم انذرهم فقال: يا بني عبد المطلب انتي انا النذير اليكم من الله عز وجل والبشير فاسلموا واطيعوني تهتدوا ثم قال (ص): من يواخيني ويوازرني ويكون وليي ووصيي بعدى وخليفتي في اهلي ويقضى ديني؟ فسكت القوم فأعادها ثلاثاً؛ كل ذلك يسكت القوم ويقول على (ع): انا، فقال (ص) في المرة الثالثة: انت، فقام القوم وهم يقولون لابي طالب: اطع ابنك فقد أمر عليك، وفي رواية العامة: ايكم يقوم وييا يعني؟ واعاد لهم الكلام ثلاث مرات وسكت القوم ثم قال: ليقوم قائمكم اوليكون في غيركم ثم لتندمن فقام على (ع) فبايعه واجابه، ثم قال: ادن مني فدانامنه ففتح فاه ومج في فيه من ريقه وتفل بين كتفيه وثديه، فقال ابولهب: فبش ما جوت به ابن عمك ان اجابك فمالت فاه ووجهه بزافاً، فقال (ص): ملائه حكمة وعلماً، وعن طريق العامة والخاصة: وانذر عشيرتك الاقربين ورهطك منهم المخلصين عن الرضا: وانذر عشيرتك الاقربين ورهطك المخلصين قال هكذا في قراءة ابي بن كعب وهي ثابتة في مصحف عبد الله بن مسعود قال هذه منزلة رفيعة وفضل عظيم وشرف عال حين عنى الله عز وجل بذلك الآل فذكره لرسول الله (ص)، ويجوز ان يكون المراد بالعشيرة الاقربين الذين كانوا بحسب مرتبتهم الروحانية عشيرته واقرب منه، ويكون المعنى انذر بحسب مقامك العالي عشيرتك الاقربين وتنزل عن مقامك العالي الى مقام التابعين [وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ] خفض الجناح استعارة للتذلل والتواضع من جهة المحبة من خفض جناح الطيور لازواجهما يعني تنزل وتواضع عن مقامك العالي [لِمَنْ أَتَبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ] فانهم لا يقدر ان على سماع كلامك بحسب مقامك العالي وانذرهم بلسان ومقام يناسب مقام المؤمنين التابعين [فَإِنْ عَصَوْكَ] اي عشيرتك او اتباعك المؤمنين فانهم بحسب حدود مقامهم وتعييناتهم النازلة يعصونك [فَقُلْ أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ] ولا تقل انتي بريء منكم فانهم ان كانوا اتباعك كانت براءتك منهم براءة من اللطيفة الالهية، كما مضى مكرراً ان الاسماء والاحكام اسماء وجارية على الفعلية الاخيرة من الاشياء فخطاب اتباعك والبراءة منهم يكون خطاباً وبراءة من الفعلية الاخيرة التي هي فعلية الرسالة او فعلية الولاية، وفعلية الرسالة والولاية ليست الالهية، وان لم يكونوا اتباعك ولم يكونوا مرتدين عن الفطرة بابطال الفطرة الانسانية كان فعليتهم الاخيرة فعلية الانسانية، وان كانت محتجبة تحت غيرها من الفعليات الاخر وكانت البراءة منهم براءة من الانسانية التي هي ايضاً لطيفة آلهية، نعم ان قطع الفطرة صح ان يقال: انتي بريء منك كما حكى الله تعالى عن ابراهيم (ع) بقوله: فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه يعني تنزل عن مقامك العالي وشاركهم في مقامهم النازل فان خالفوك في التقيد بحدود مقامهم فأظهر نزاهة ذاتك عن تلك الحدود وقل لهم انتي بحسب مقامي العالي منزلة عن حدود تلك المقامات وتعييناتها وان شاركتم في بعض لوازمها لتلا تستوحشوا مني حتى لا يتوهموا انك تكون مثلهم [وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ] الذي لا يقع في ملكه الا ما يشاؤه يعني اخرج من رؤية الافعال من الفاعلين وانظر في جملة الافعال الى الفاعل الحق حتى تشاهد ان العامل هو الله فتكل امرك وامرهم اليه ولا تحزن على عصيانهم [الرَّحِيمِ] الذي لا يشاء لعباده الا ما هو صلاحهم ولا يشاء لاعدائه الا ما هو صلاح عباده المؤمنين او صلاح نظام العالم فلا تحزن على ما فيه صلاح عامله او صلاح المؤمنين او صلاح نظام الكل [الَّذِي يَرِيكَ حِينَ تَقُومُ] للصلاة وحده كما في الخبر او تقوم في الليل للصلاة او تقوم في الناس، او تقوم بقيام جميع مراتبك للحضور عند ربك او تقوم بالمعراج عن مقام الكثرات والخروج من بينهم [وَتَقَلَّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ] وقت الصلاة بالجماعة او تقلبك من قيامك وانحنائك في المنحنيين المنكوسين في الكثرات المبتلين بها، او تقلبك في الخاضعين

المتواضعين لله ، او تقلبك في الاصلاب والارحام المطهرة الثلاثي كانت للساجدين لله فانه لم يكن الا من نكاح صحيح من لدن آدم (ع) وكانت آباؤه موحددين [إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ] لاسمع سواه [الْعَلِيمُ] لاعليم سواه فان سمع كل سامع وعلم كل عليم سمعه وعلمه النازلان ، وفي خبر : قال رسول الله (ص) : لا ترفعوا قبلي ولا تضعوا قبلي فانتى اريكم من خلفي كما اريكم من امامي ؛ ثم تلا هذه الآية يعني اذا كنتم في الصلوة فلا ترفعوا رؤوسكم من السجدة ولا تضعوها للسجدة قبلي ، والاستشهاد بالآية يدل على ان الامر بالتوكل كان من الله وان المأمور بالتوكل هو نفسه باعتبار مقام نفسه وان المتوكل عليه هو نفسه ايضاً بحسب مقام روحه الذي هو مقام الولاية وهو الموصوف بالعزيز والرحمة وبالرؤية في جميع الاحوال [هَلْ أَنْبَيْتُكُمْ] لما ذكر ان القرآن ما تنزل به الشياطين اشتاق نفوس السامعين لبيان من تنزل عليه الشياطين وما تنزلون به فقال تعالى هل انبئكم [عَلَى مَنْ نَزَّلُ الشَّيَاطِينُ] من موصولة والظرف متعلق بانبيئكم او استفهامية والظرف متعلق بتنزل [تَنْزِلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ] من افك كضرب وعلم افكاً بالفتح والكسر والتحريك كذب ، او من افكه عنه كضرب صرفه وقلبه او قلب ربه ، او من افك فلا تجعله يكذب [أَتَيْتُكُمْ] يعني ان الشياطين لما كانوا بحسب وجودهم وذواتهم كاذبين منحرفين عن الصراط المستقيم ومنكوسين مقلوبين لا يثبتون الا على الكذاب المنكوس الذي بفطرته يصرف قوى وجوده ومن في خارج وجوده عن الحق والاستقامة للزوم التنحية بين النازل والمنزل عليه والائيم الذي يفعل الافعال التي لم تكن على الصراط المستقيم الانساني [يُلْقُونَ] اي الشياطين [السَّمْعُ] يعني يصعدون الى السماء لاستراق السمع من الملائكة ويستمعون منهم ثم ينتزلون الى اسناخهم من الانس ويخبرونهم [وَ] لكن [أَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ] فان مسموعاتهم وان كانت حقة لكنها اذا وصلت اليهم ودخلت اصماخهم تنصرف عن وجهتها الحقيقية وتصير باطلة فان وجودهم كالمرآة المعوجة التي لا يرى فيها الصور الا على خلاف ماهي عليه ، او يلقي الشياطين المسموع الى اسناخهم الانسية او يلقي الافاكون السمع للشياطين وينقادونهم لاستماع اكاذبيهم ، وضميراً اكثرهم راجع الى الشياطين او الى الافاكين فان الكل يكونون بحال اذا وصل الصدق اليهم صار كذاباً وانما قال اكثرهم لان القليل من الشياطين والقليل من الافاكين فطرتهم باقية على الاستقامة ولا يصير الحق في وجودهم باطلاً ويبقى الصدق على صدقه في وجودهم [وَالشُّعْرَاءُ] جمع الشعائر والشاعر من شعره كنصر وكرم شعراً بالكسر وشعراً بالفتح علم به وفطن له وعقله ، ولما كان الشاعر الآتي بالكلام الموزون سريع التفتن بالالفاظ المتناسبة المتناسقة والمعاني الدقيقة غلب في العرف اسم الشعر على كلامه الموزون واسم الشاعر عليه ، ولما كان الاغلب ان الشعراء يظهرون الباطل والاكاذيب بصورة الحق بتمويهات وتزيينات نقل عن الشعر والشاعر اسم الشعر والشاعر الى كلام باطل مموه ظاهر بصورة الحق والى قائله ، ومنه القياسات الشعرية للقياسات الوهمية الباطلة المموه الظاهرة بصورة القياس الحق الصادق ، ولما كان القرآن ذا وجوه بحسب طبقات الناس ويراد منه كل وجوه بحسب طبقات الناس والمراد بالحمل على احسن الوجوه كما مضى في المقدمات الحمل على احسن الوجوه الاضافي صح تفسير قوله تعالى : والشعراء [يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ] بالذين يأتون بالكلام المنظوم كما نقل ان المراد شعراء العرب كانوا يأتون بالكذب والباطل وكانوا يهجون النبي (ص) وكان جمع من الغاوين يجتمعون اليهم ويستمعون كلامهم وذكروا اسماءهم وعددهم ، وصح تفسيره بالقصاص الذين كانوا في الاسواق والمحافل ينقلون الحكايات والاسمار التي لا اصل لها ولا حقيقة ، وصح تفسيره بالوعاظ الذين يعظون ولا يتعظون ، وبالفقهاء والقضاة الذين يفتون ويقضون بين الناس من غير اذن واجازة من الله او من خلفائه كفقهاء

العامة وقضائهم فانهم ايضاً يقولون ولا يفعلون ما يقولون، وعن الصادق (ع) هم القصاص، وعنه (ع) هم قوم تعلموا وتفقهوا بغير علم فضلوا واضلوا، وعنه (ع) نزلت في الذين غيروا دين الله وخالفوا امر الله، هل رأيت شاعراً فقط يتبعه احد؟ انما عني بذلك الذين وضعوا ديناً بآرائهم فتبعهم على ذلك الناس، وعن الباقر (ع) هل رأيت شاعراً يتبعه احد؟ انما هم قوم تفقهوا لغير الله فضلوا واضلوا [أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ] أي الشعراء [فَإِذَا كُفُّوا] من اودية النفس والخيال [يَهَيِّمُونَ] يتحيرون، شبه تخيلاتهم التي لا ثبات لهم عليها ولا يرون حقاً منها ولا يعتقدون صدقها بالاودية التي هي المفارج بين الجبال او التلال التي لا يرى ماحولها لارتفاع الجبال والتلال المحيطة بها ولم يكن فيها طريق ولا يدري السالك فيها اين مخلصها سواء كان المراد بالشعراء القائلين للشعر او القصاص والوعاظ او الفقهاء والقضاة [وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ] فان الكل حالهم ذلك فان الشعراء يخرقون في جميع ما يقولون كما قيل: «كازا كذب اوست احسن او» والقصاص والوعاظ شأنهم وشغلهم تزيين الكلام وتجديد النشاط للاستماع بحكايات جديدة واسمار غير مسموعة كذباً كان او غير كذب عاملين كانوا او غير عاملين، وفقهاء العامة شغلهم الافتاء من غير عمل [إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا] بالبيعة العامة او الخاصة [وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ] على الشروط والكيفية المأخوذة فان الشاعر منهم لا يقول ما لم يكن فيه رضى الله والناس والواعظ ايضاً كذلك يفعل ما يقول او لا ثم يقول ثانياً، والفقهاء منهم لا يتكلم بدون الاذن والاجازة، وبعد الاجازة يصير باطله صحيحاً وكذبه صدقاً وظنه يقيناً [وَذَكَّرُوا اللَّهَ كَثِيرًا] في شعرهم وقصصهم ومواعظهم ومساثلهم الفقهية [وَأَنْتَصَرُوا] انتقموا ممن يفعل بهم [مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا] وسيعلم الذين ظلموا في مقام واما الذين ظلموا من الشعراء بان يقولوا ولا يفعلوا ويكون ظاهرهم بخلاف باطنهم فسيعلمون [أَيُّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ] تهديد لهم بسوء العاقبة.

سُورَةُ التَّيْنِ

مكية كلها، خمس وتسعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[طَسَّ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ] قرئ بالجر عطفاً على القرآن، وبالرفع عطفاً على آيات القرآن، وتنكيره للتفخيم [هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ] الذين يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ] قد مضى الآيات بتمام اجزائها في أول البقرة بما لا مزيد عليه [إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ] جواب سؤال مقدر كأنه قيل بعد ما قال: هدى وبشرى للمؤمنين فما حال غير المؤمنين؟ قال: أن الذين لا يؤمنون [بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ] التي يعملونها الدنيا هم وبهوى انفسهم حتى لا ينصرفوا عنها، اوزيتنا اعمالهم

التي امرناهم بها وكانت لاثمة بانسانيتهم لعلهم ينتهون عن غيبتهم ويرغبون في اعمال الخير واعتقاد المبدء واليوم الآخر [فَهُمْ يَعْصُونَ] اي يترددون ولا يطمشون على اعمالهم النفسانية ولا ينسلخون عنها بالكليّة [أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ] في الدنيا فان التحير والتردد في الامر عذاب عاجل على انهم يحسبون كل صيحة عليهم ولا يطمشون على امر [وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ] لانهم بعدم اعتقادهم لليوم الآخر لا يعملون له ويعملون لمشتياتهم الفانية فيفنون بضاعتهم التي جعلها الله لهم بضاعة للآخرة يأخذون عوضها عذاباً في الآخرة [وَأَنْتَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ] عطف على ان الذين لا يؤمنون والجامع اشتراكهما في كونهما جواباً للسؤال المقدّر كأنه قال : ما حال غير المؤمنين؟ وما حالي في شهودي للآخرة الذي هو فوق الايمان بها بالغيب؟ - فقال : حال غير المؤمنين كذا وحالك انتك تلقى القرآن اي المقام الجامع بين الوحدة والكثرة [مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ] في عمله اوفى عمله وعلمه ويكون قوله [عَلِيمٍ] تأكيداً وقد مضى مكرراً ان الحكمة عبارة عن اللطف في العمل واتقانه بحيث يكون ذاغايات عديدة مترتبة متقنة، واللطف في العلم بحيث يكون ادراك الشيء مستلزم لا ادراك مبادئه وغاياته الجلية والدقيقة الخفية ، وقد تستعمل الحكمة في كل منفرداً عن الآخر [إِذْ قَالَ مُوسَى] ظرف لعليم او حكيم، ويكون تقييد علمه تعالى او حكمته مع اطلاقهما في حقه تعالى للاشعار بان ما وقع لموسى (ع) وما وقع منه لم يكن الا بعلمه وحكمته وكان مشتملاً على دقائق الغايات ودقائق الاعتبارات فيكون في الحقيقة تقييداً لما وقع له ومنه (ع) وبعلمه تعالى وحكمته ، او متعلق بقوله لتلقى القرآن والمعنى حالك انتك تمكنت في الحضور عند ربك وترفعت عن جميع المقامات والشهودات اذ كان موسى (ع) مشاهداً لبعض آياته ومضطرباً في مشاهداته نظير: كنت نبياً و آدم بين الماء والطين [لِأَهْلِهِ إِنِّي أَنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بَخْرٌ وَأَنْتُمْ بِبَشَاهِبِ قَبَسٍ] قرئ بشهاب قبس بطرين التوصيف وبطريق الاضافة والشهاب الشعلة من النار واختلاف الكلمات في الحكايات المكررة اما للاشارة الى انها منقولة بحسب المعنى والمنقول بحسب المعنى يؤدي بالفاظ مختلفة مترادفة او متوافقة في اداء المقصود ، او للاشارة الى ان السؤالات واجوبتها كانت كثيرة وكلما ذكر حكاية منها يذكر بعضها [لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ فَلَمَّا جَاءَهُ نُودِي أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ] لما قال من في النار ومن حول النار ونوهم منه انه محاط قال تعالى: سبحان الله من ان يكون محاطاً لانه رب العالمين ورب العالمين لا يكون محاطاً لشيء من مربوباته [يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ] يعني ان المتكلم معك هو الله فتنبه واستعد لما يلقى اليك فالحاء ضمير المتكلم وانا خبره والله بدله ، ويجوز ان يكون الهاء ضمير الشأن وانا الله جملة مفسرة له ، نقل انه بعد ماسمع هذه الكلمة سأل البرهان عليها فقال تعالى [وَأَتَى] معطوف على محذوف جواب للسؤال المقدّر او المذكور والتقدير ايمن ذلك وأتى [عَصَاكَ] ويجوز ان يكون عطفاً على بورك حتى يكون مثل بورك تفسيراً لنودي ، وان يكون عطفاً على انه انا الله فانه في معنى قال يا موسى انه انا الله وأتى عصاك فالحاء فصارت حية حية متحركة فنظر فرأها حية متحركة [فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ] تتحرك [كَأَنَّهُ جَانٌ] حية غير عظيمة فان الجان حية غير عظيمة غير موزية كحلاء العينين، قيل: انه في ذلك المقام صارت حية غير عظيمة غير موزية لانها كانت اول ما راها فلم يجعلها الله حية عظيمة مثل ما صارت عند ملاقة فرعون لتلايستوحش كثيراً ومع ذلك تخاف منها و [وَلَمَّا مَدَّ يَدَهُ] حال مؤكدة [وَلَمَّا يَعْقِبْ] لم يرجع على عقبه او لم ينظر الى عقبه [يَا مُوسَى] جواب سؤال مقدّر بتقدير القول اي قلنا يا موسى

[لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسِلُونَ] يعني ان الخوف ليس الا من بقايا الانانية تبقى على العبد والمرسلون اذا بلغوا الى مقام الحضور وكانوا عند الرب لم يكن عليهم شيء من انانيتهم فلم يكن لهم ما عليه يخافون من الانانية وما يلزمها من نسبة الاموال والافعال والصفات اليها [إِلَّا مَنْ ظَلَمَ] استثناء منقطع يعني لكن من ظلم [ثُمَّ بَدَّلَ حَسُنًا بَعْدَ سُوِّهِ] بتدارك ظلمه فيما له تدارك وبالاستغفار والتوبة فيما ليس له تدارك فانه يخاف ولكن اغفر له وارحمه [فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ] او استثناء متصل ويكون المراد بالظلم بقايا اثر النفس عليهم حتى لا ينافي عصمة الانبياء (ع) يعني الا من كان باقياً عليه من انانيته شيء فانه ظلم بوجهه على انسانيته، ويؤيد هذا المعنى قراءة الا من اظلم من باب الافعال ثم بدل هذا الظلم حسناً حتى لا يمنع ظلمه من رسالته، وقبيله حسناً بان لا يستبد بتلك الانانية وملتجئ الى وتبصر ع على ويستوحش من انانيته ويستغفرني فاني لا اؤاخذه بتلك الانانية واغفرها له وارحمه باعطاء منصب الرسالة لاني غفور رحيم [وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ] جيب القميص معروف والمقصود ان يدخل يده تحت قميصه وثيابه ويضعه على قلبه ليطمئن من الرهب ويتأثر يده من ضوء قلبه كما قال واضمم اليك جناحك من الرهب [تَخْرُجُ بَيَّضَاءُ مِنْ غَيْرِ سُوِّ] اي من غير علة البرص [فِي تِسْعِ آيَاتٍ] قد اختلف الاخبار في تعيين التسع وفي خبر عن النبي (ص): هي ان لا تشركوا به شيئاً، ولا تسرفوا، ولا تنزفوا، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق، ولا تمسوا بيريء الى سلطان ليقتل، ولا تسخروا، ولا تأكلوا الربوا، ولا تنفذوا المحصنة، ولا تولوا للفرار يوم الزحف، وعليكم خاصة يا يهود ان لا تعتدوا في السبت، وكان يهودي سأل عن الآيات فلم تسمع منه قبل يده وقال: اشهد انك نبي، وفي اخبار كثيرة فسر الآيات التسع بما كان يظهر منه من المعجزات مثل الجراد والقمل والضفادع وغير ذلك مع اختلاف في تعيينها فان الظاهر على يده وبواسطته كان اكثر من التسع، والظرف حال من فاعل تخرج او ظرف لغو متعلق بفعل من افعال الخصوص حالاً من فاعل ادخل مثل ذاهباً او مرسلات في تسع آيات، ويحتمل ان يكون اليد من جملة التسع او زائدة على التسع [إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ] فذهب في الآيات الى فرعون وقومه [فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً] من ابصره اذا نظر اليه ورآه فيكون نسبه الى الآيات مجازاً عقلياً، او من ابصره اذا جعله بصيراً، وقرئ مبصرة بفتح الميم والصاد بمعنى محل التبصر، او مصدرأ بمعنى ذوات ابصار [قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ وَجَحَدُوا بِهَا] اي جحدوا موسى بسبب الآيات مكان الاقرار بها لكمال عنادهم مع الحق وفسوقهم او جحدوا الآيات من حيث انها آيات آلهية وقالوا انها سحر [وَأَسْتَيْقِنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلُمًا وَعُلُوًّا] اي استكباراً [فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ] وقد سبق في سورة الاعراف تفصيل الآيات وكيفيتها ابتلائهم بها وعاقبة امرهم [وَلَقَدْ أَتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا] عظيمًا فان ما آتاهما الله وان كان بالنسبة الى علم الله وعلم محمد (ص) وآله (ع) حقيراً لكنه في نفسه عظيم كثير، او شيئاً يسيراً من علم آل محمد (ص) وبهذا القدر اليسير تجاوب داود (ع) الجبال والطيور وعلم سليمان (ع) منطق الطيور وسائر الحيوان وسخر الجن والطيور والحيوان والرياح [وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ] يعني انهما اظهرا شكراً لنعمة العلم والمقصود تفضيلهم على كثير من العباد من زمن آدم (ع) او على كثير من عباد زمانهم بادخال الملائكة فيهم او قالوا ذلك لاحتمالهم او علمهم بكون بعض العباد الحامدين افضل منهم اولهضم انفسهم ولتعلم الغير طريقة الشكر وان الشاكر على النعم لا ينبغي ان يغتر بالنعم ويعجب بنفسه بل ينبغي ان يرى في كل الاحوال لغيره فضلاً على نفسه حتى لا يتلى بالغرور والاعجاب بالنفس، وفيه

دلالة على فضل العلم بالنسبة الى سائر النعم حيث ذكر تعالى شكرهما عقيب ايتاء العلم معلقاً على التفضيل على العباد بسبب العلم مع انهما اوتيا ملكاً عظيماً وسلطنةً وسبعة [وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ] ما ينبغي ان يرثه منه من الرسالة والعلم والملك والسلطنة ، ولذلك حذف المفعول الثاني ، قبل للجواد (ع) : انهم يقولون في حادثة سنكتك فقال : ان الله اوحى الى داود (ع) ان يستخلف سليمان وهو صبي يرعى الغنم فانكر ذلك عباد بنى اسرائيل وعلماءهم ، فأوحى الى داود (ع) ان خذ عصا المتكلمين وعصا سليمان (ع) واجعلهما في بيت واختم عليهما بخواتيم القوم فاذا كان من الغد فنم كانت عصاه قد اورقت واثمرت فهو الخليفة فأخبرهم داود (ع) فقالوا : قلرضينا وسلمنا [وَقَالَ] اظهراً لنعم الله شكرًا لها [يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِّمْنَا] اني يعلم مبنياً للمفعول للتبري من الانانية وان العلم الذي اعطاه الله تعالى كان من محض فضل الله لا من نفسه [مَنْطِقُ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا] اني ههنا باوتينا لما ذكر [مِنْ كُلِّ شَيْءٍ] انما قال من كل شيء لانه لا يمكن للممكن ولو بلغ ما بلغ ان يؤتى كل شيء الا ان يخصص الشيء بالممكنات وحينئذ لا يكون لغير الخاتم ان يقول واوتينا كل شيء ، وفي خبر : ليس فيه من واتماهى واوتينا كل شيء ، وبعد ما ذكر ان الله ليس من نفسه فختمه وعظمه تعظيماً لانعام الله ونعمه فقال [إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ] عن الصادق (ع) اعطى سليمان بن داود (ع) مع علمه معرفة المنطق بكل لسان ومعرفة اللغات ومنطق الطير والبهائم والسباع وكان اذا شاهد الحروب تكلم بالفارسية ، واذا قعد لعماله وجنوده واهل مملكته تكلم بالرومية ، واذا خلا بنسائه تكلم بالسرانية والنبطية ، واذا قام في محرابه لمناجاة ربه تكلم بالعربية ، واذا جلس للوفود والخصماء تكلم بالعبرانية ، وعنه عن ابيه (ع) : اعطى سليمان بن داود (ع) ملك مشارق الارض ومغاربها فملك سبع مائة سنة وستة اشهر ملك اهل الدنيا كلهم من الجن والانس والشیاطين والدواب والطير والسباع واعطى علم كل شيء ومنطق كل شيء وفي زمانه صنعت الصنائع العجيبة التي سمع بها الناس وذلك قوله علمنا (الآية) وقد كثر في اخبارنا ان الائمة (ع) اعطوا جميع ما اعطى سليمان (ع) ولهم الفضل عليه [وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ] قدم الجن لان معظم الامور التي تتمشى من الجنود مثل سرعة السير والاخبار بالوقائع الواقعة في النواحي وصنع الصنائع العجيبة التي يحتاج اليها السلاطين كان منهم [وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ] خصتها من بين سائر الحيوان للاحتياج اليها في التظليل [فَهُمْ يُوزَعُونَ] يحسبون حتى يلتحق اولهم باخرهم اذا كان من وزع كوضع بمعنى كف ، او يعززون اذا كان من اوزعه بمعنى اغراه ، او يدبر امورهم ويعلمون من وزع اذا دبر امور الجيش ، او يجعلون جماعات من الازواع بمعنى الجماعات ، او يقسمون من الازواع كالتوزيع بمعنى التقسيم [حَتَّى إِذَا أَتَوْا] اى فساروا حتى اذا اتوا [عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ] قيل هو واد بالطائف كثير النمل ، وقيل : هو واد بالشام كثير النمل ، وفي تفسير القمي قعد على كرسية وحملته الريح فمرت به على واد النمل وهو واد بنبت فيه الذهب والفضة وقد وكل به النمل وهو قول الصادق (ع) ان الله وادياً بنبت الذهب والفضة وقد حماه الله باضعف خلقه وهو النمل لورامته البخاتي ما قدرت عليه ، ونسب الى الرواية ان نمل سليمان كانت كأمثال الذئاب والكلاب [قَالَتْ نَمْلَةٌ] هي رئيسها واميرها كما قيل [يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ] بدل من ادخلوا بدل الاشتمال او مستأنف جواب لسؤال مقدرو هونهى وليس بنفى مجزوم فى جواب الامر كما قيل لان نون التأكيد لا يدخل فى النفى والفعل الموجب فى غير الضرورة [سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ] هذا تبرئة من النملة للنبي (ع) من الظلم [فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا] لتعجبه من قدرة الله واسماعه قول النمل خصوصاً من المسافة البعيدة ، او من نعمة الله عليه بان اقدره

فأش تسبيح جمادات آيدت وسوسه تأويلها بر بايدت
چون ندارد جان توقديدها بهر بينش كرده تأويلها

[أَلَا يَسْجُدُوا] قرئ: بتخفيف التلام من الاعلى انه كان يا قوم اسجدوا فحذف المنادى وحينئذ يكون من كلام الهدهد بتقدير القول جواباً لسؤال مقدّر كأنه قيل: ما قلت لهم؟ فقال: قلت لهم: يا قوم اسجدوا او من كلام سليمان (ع) خطاباً لقومه بعدما ذكر الهدهد اهل ساو وسجدتهم للشمس او من الله خطاباً لقوم سليمان (ع)، وقرئ بتشديد التلام وحينئذ يجوز ان يكون ان تفسيرية ولا يسجدوا نهياً وتفسيراً لقوله تعالى: صدّهم فان الصدّ القول في معنى القول كأنه قيل: صدّهم بقول اي لا يسجدوا، وان يكون ان ناصبة بدلاً من اعمالهم او بتقدير التلام او الباء متعلقاً بيسجدون اوزين او صدّهم ولا يهتدون، اولفظة لازائدة وهو بتقدير الي متعلّق بيهتدون، او يدون التقدير بدل من التسييل والمعنى فصدهم عن التسييل عن السجدة [لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْأَ] الخبأ: الفتح والتسكون مصدر في معنى ما يخفى او مشترك بين المصدر والوصف بمعنى المفعول كالخبيبي [فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ].

اعلم، ان السماوات تطلق على الكرات العلوية المحيطة بالارض المشهودة بحركات كواكبها، وعلى نفس الكواكب وعلى المجردات عن المادة من عالم المثال الى عالم المشية، والارض تطلق على الارض المحسوسة الواقعة في حيز المركز، وعلى جملة الماديات من البسائط والمواليد علوية كانت ام سفلية، وعلى مراتب المواد من الهولي الاولى الى البشرية التي تعد سبعا ويعبر عنها بالاراضي التسبع وعلى معنى يشمل المثاليات العلوية والسفلية وجملة الاستعدادات القريبة والبعيدة التي كانت للمواد، والمواليد في الحقيقة وجو دات ضعيفة للمستعد لها فهي المستعد لها المستورة في المواد والمواليد لعدم بروزها بعد وجودها ووجوداتها القوية وجميع الفعليات الفاضلة من العلويات والجهات الفاعلة على الماديات والجهات القابلة موجودة بنحو الاجمال والبساطة في الجهات الفاعلة لكنها مختلفة بنحو التفصيل والتشيز ومن حيث وجوداتها الخاصة في الجهات الفاعلة فلا اختصاص للمخبوءات بالحبوب والعروق المختفية تحت الارض ولا بالكواكب المخفية في السماء وقد اشير بالفارسية الى ما اشرنا بقوله:

ايكه خاك شوره را تونان كنى وايكه نان مرده را توجان كنى
عقل وحس را روزى و ايمان دهى ايكه خاك تيره را توجان دهى
ميكنى جزو زمين را آسمان ميغزائى در زمين از اختران

[وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ] من الافعال والاحوال والاقوال والنبات والعزومات والخيالات والخطرات

والمكمونات التي لا شعور لكم بها [وَمَا تُعْلِنُونَ] كذلك، وقرئ: الفعلان بالغيبة يعنى الا يسجدوا لله الذي يستحق العباداة لكمال دقته ولطفه في العمل بحيث يخرج جميع مكمونات الارواح والاجساد فيخرج جميع مكمونات وجودكم ويجازيكم عليها ولكمال دقته ولطفه في العلم بحيث يعلم جميع ما تخفونه علمتموها او لم تعلموها وجميع ما تعلمونه فيجازيكم عليها [اللَّهُ] خبر الذي او بدل منه او مبتدئه خبره [الْأَلَهُ الْأَهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ] الى ههنا آخر حكاية قول الهدهد او آخرها يهتدون او الا يسجدوا على تخفيف التلام ابتداء كلام من الله او من سليمان (ع) او الا يسجدوا لله آخر الحكاية والذي يخرج الخبأ ابتداء كلام كذلك، والله لا اله الا هو ابتداء كلام من الله، او من سليمان (ع) [قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ] في هذا الاخبار [أَمْ كُنْتُمْ مِنَ الْكَاذِبِينَ] لم يقل ام كذبت لانه قلما ينفك المخبر عن زيادة ونقصه في حكايته وليس مقصوده (ع) النظر في انه ادخل في اخباره كذباً بل مقصوده ان ينظر انه كذب وهو متعمد في كذبه او صدق في اصل اخباره دخل فيه كذب ما او لم يدخل [إِذْ هَبُّ بِكِتَابِي هَذَا] قد سبق مكرراً ان امثال هذه

مستأنف وجواب لسؤال مقدّر [فَأَلْقِيْهِ] قرى بسكون الهاء تشبيهاً لهما الضمير بالواو والياء الضميرين، وتشبيهاً لها بهاء السكت أو اجراء اللوقف مجرى الوصل [إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ] باخفاء حالك عنهم حتى تتمكن من استماع قولهم [فَأَنْظُرْ مَا ذَايَرُ جَعُونَ] يتكلمون بعضهم لبعض، وقيل: الكلمتان على التقديم والتأخير والاصل فانظر ماذا يرجعون ثم تولى عنهم للذهاب اليها وايصال خبرهم، قيل: قال الهدد أنها في حصن منيع قال سليمان (ع): ألقى كتابي على قبتها، فجاء الهدد فألقى الكتاب في حجرها فارتاعت من ذلك وجمعت جنودها، وقيل: اتاها الهدد وهي مستلقية على قفاها فألقى الكتاب على نحرها، وقيل: كانت له كوة مستقبلة للشمس تقع الشمس عند ما تطلع فيها فإذا نظرت إليها سجدت؛ فجاء الهدد إلى الكوة فسدّها بجناحية فارفعت الشمس ولم تعلم فقامت تنظر فرمى الكتاب إليها، فلما قرأت الكتاب جمعت الاشراف وهم يؤمنون ثلاثمائة واثنا عشر قبيلة^(١) [قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ] سمّاه كريماً لخدمته، ولجودة مضمونه، ولتصدّره بسم الله، ولغرابته من حيث أنه ألقى إليه مع أنه لم يكن لاحد في حصنه مدخل ومخرج، ولجلالة مرسله [إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَىَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ] أي منقادين أو مقدّرين للاسلام الذي هو دين آللهي [قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ] قالت ذلك لأنهم كانوا وزراءها واصحاب شورها وبمترلة اعضاء دولتها [قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةٍ] نقدر على القتال مع السلاطين من حيث قوة الابدان ومن حيث العدد وتهيئة الاسباب [وَأُولُوا بَأْسٌ شَدِيدٌ] يعني بأسنا في القتال شديد لا تشجعان وتدرّبنا للقتال ولنا الحذاقة والمهارة في امر القتال [وَأَمْرٌ] أي امر الصلح والقتال [إِلَيْكَ] ونحن مطيعون لك [فَأَنْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ] قالت [بَطْرِيقِ الشُّورَى] إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً [يعني أنهم ان غلبونا افسدوا بلادنا واذلوا اعزتنا] وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ تأكيداً للتفصيل السابق ومعتضة من الله لتصديقها وكأنه تأثر قلبها من الكتاب ولأن للصلح واراد ان يستميل قومها للصلح بطريق الشور لا بطريق الامر [وَأَنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمِ رَجْعِ الْمُرْسَلُونَ] لأنها كانت تعلم عادة الملوك وانهم يرضون بالهدايا، فقالت: نرسل اليه بهديّة فان قبلها فهو سلطان يريد الملك ويجوز المقاتلة معه، وان ردها واصر على طلب ما اظهر من الدين فهو رسول آللهي وليس لنا ان نقاتل معه؛ واختلف في هديتها ف قيل: كانت وصفاً ووصائف البستهم لباساً واحداً حتى لا يعرف ذكر من انثى، وقيل: البست الغلمان لباس الجوارى والجوارى لباس الغلمان، وقيل: كانت صفائح من ذهب في اوعبة من الذهب، وقيل: كانت خمس مائة غلام جعلتهم في لباس الجوارى وحليهن، وخمس مائة جارية جعلتهن في لباس الغلمان وحليهن، وحملت الجوارى على خمس مائة مركبة والغلمان على خمس مائة برزون، وعلى كل فرس لجام من ذهب مرصع بالجواهر، وبعثت اليه خمس مائة لبنة من ذهب وخمس مائة من فضة، وتاجاً مكللاً بالدرّ والياقوت، وعمدت الى حقة فجعلت فيها درّة يتيمة غير مثقوبة وخرزة جزعية مثقوبة معوجة الثقب ودعت رجلاً من اشراف قومها اسمه المنذر بن عمرو وضمت اليه رجلاً من قومها اصحاب رأى وعقل وكتبت اليه كتاباً بنسخة الهدية وقالت فيها: ان كنت نبياً فميز بين الوصفاء والوصائف، وأخبر بما في الحقة قبل ان تفتحها، وانقب الدرّة ثقباً مستويّاً، وادخل الخرزة خيطاً من غير علاج انس ولا جنّ فانطلق الرسول بالهدايا، واقبل الهدد مسرعاً الى سليمان (ع) فأخبره الخبر فأمر سليمان (ع) الجنّ

(١) القليل يفتح القاف مخفّف قيل كسيد النافذ القول.

ان يضربوا لبنات الذهب ولبنات الفضة ففعلوا ثم امرهم ان يسطروا من موضعه الذى هو فيه الى بضع فراسخ ميداناً واحداً بلبنات الذهب والفضة ، وان يجعلوا حول الميدان حائطاً شرفها من الذهب والفضة ، ففعلوا ، ثم قال للجن : على باولادكم فاجتمع خلق كثير فأقامهم على يمين الميدان ويساره ، ثم قعد فى مجلسه على سريره ووضع له اربعة آلاف كرسي عن يمينه ومثلها عن يساره وامر الشياطين ان يصطفوا صفواً فراسخ ، وامر الانس فاصطفوا فراسخ ، وامر الوحوش والطيور والبهائم والوحوش والطيور والبهائم فاصطفوا فراسخ عن يمينه ويساره ، فلما دنا القوم من الميدان ونظروا الى ملك سليمان تقاصرت اليهم انفسهم ورموا بما معهم من الهدايا ووقفوا بين يدي سليمان (ع) ونظر اليهم نظراً حسناً ، وكانت بلقيس اوصتهم ان ينظروا اليكم نظر غضب فانه سلطان وان ينظروا نظراً لطيف فهو نبى ، وقال سليمان (ع) : ما وراءكم ؟ فاجابه رئيس القوم بما جاؤا به واعطاه كتاب الملكة ، فنظر فيه وطلب الحق ، واخبرهم بما فيه ، وثقب الدرّة بالارضة ، وسلك الخيط فى الخرز بدودة بيضاء ، وميز بين الجوارى والعلمان ، ورد هداياها اليها كما قال تعالى [فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانُ قَالَ أَتُمَدُّوْنَ بِمَالٍ فَمَا أَتَانِ اللَّهَ] وقد رأيتم شطراً منه [خَيْرٌ مِّمَّا أَتَيْكُمْ] بل انتم بهديتكم تفرحون] يعنى انكم بهديتكم لبعضكم لبعض تفرحون اذا كان من الاعراض الدنيوية لا انا لان فرحي بهديت القلب السليم والايمان الصحيح [ارْجِعْ إِلَيْهِمْ] ولم يذكر رجوع الهدايا لعدم الاعتماد بها [فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا] وقد رأيتم شيئاً منها [وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا] اى من سبا ومن عند بلقيس [أَذِلَّةٌ وَهُمْ صَاغِرُونَ] تأكيد للاذلة فلما رجعوا اليها وقصوا القصة علمت انه رسول من الله وعزمت على الخروج الى سليمان (ع) فلما علم بعزمها ورأى ان قلبها متعلق بعرشها [قَالَ] لاشراف جنوده [يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ] وقيل : ان هذا القول كان منه بعد ما وصل بلقيس الى مكان قريب منه فانه كان مهيباً لا يبتدئ بالكلام عنده حتى يكون هو الذى يسأل عنه فخرج يوماً فجلس على سريره فرأى غباراً قريباً منه فقال : ما هذا ؟ فقالوا بلقيس يا رسول الله وقد نزلت منا بهذا المكان وكان ما بينه وبين الكوفة على قدر فرسخ فقال : ايكم يأتيني بعرشها عند ذلك [قَالَ عِفْرِيْتُ مِنَ الْجِنِّ] العفريت بكسر العين الشافذ فى الامر المبالغ فيه مع ذكاء وفطنة [أَنَا أَتَيْكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ] اى من مجلسك الذى تقضى فيه وكان يجلس فيه ، من غدوة الى نصف النهار [وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ] فلا يقوتنى شيء من اجزائه بل آتيك به بجميع اجزائه من غير ان افصل اجزائه [آمين] لا اخون فى شيء منه فقال سليمان (ع) : اريد اسرع من ذلك [قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ] يسير [مِنَ الْكِتَابِ] القرآن الذى يتنزل فيصير فرقاناً بصورة الكتب السماوية او بصورة الشرائع الالهية والرجل كان آصف بن برخيا وزير سليمان (ع) وابن اخته ، وقيل : كان رجلاً اسمه بلخيا ، وقيل : كان اسمه اسطوم ، وقيل : كان هو الخضر (ع) ، وقيل : كان الذى عنده علم من الكتاب جبرائيل ، وقيل : كان سليمان (ع) نفسه [أَنَا أَتَيْكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ] قد حققنا فى مطاوى ما اسلفنا خصوصاً فى اول سورة بنى اسرائيل ان الانسان ذو جزئين ؛ جزء ملكى وجزء ملكوتى فاذا غلب الجزء الملكى كما فى اغلب الناس استهلك الجزء الملكوتى وحكمه فلم يظهر منه اثر وحكمه ، واذا غلب الجزء الملكوتى صار الجزء الملكى مستهلكاً من غير بقاء اثر وحكمه منه ، ولما كان الملكوت حكمها عدم التقيد بالزمان والمكان بل الاحاطة بهما والتجرد منهما كان جميع الزمانيات والازمنة عندها كالألآن وجميع المكانيات والامكنة كالنقطة وكان من غلب عليه الملكوت يقدر على تعرف حال الآتين والماضين ، وعلى سير المشرق والمغرب فى آن واحد ، وكان كل ما اتصل به من الاجسام الثقيلة يصير بحكمه من عدم التقيد بزمان ومكان كما ان عباء محمد (ص) ونعليه خرجت من حكم الملك بسبب اتصالها به وسارت بسيره فى الملكوت والجبروت

بل فوق الامكان، اذا علمت ذلك، فاعلم ان آصف (ع) علم الاسم الاعظم الذي هو لطيفته الملكوتية ودعا الله تعالى بتلك اللطيفة يعني انه تشآن بشأن تلك اللطيفة وفعل فعله بشأن تلك اللطيفة فصار ملكه مغلوباً لاحكامه، فلم يكن المسافة بينه وبين عرش بلقيس مانعة من اتصال يده الملكوتية به ولا الجبال والتلال حائلة بين نظره وبه وبين العرش، وبعد اتصال يده بالعرش صار العرش بحكم الملكوت وارتفع عن الزمان والمكان فلم يبق له حاجة في حركته الى مدة ومضي زمان ولم يكن الجبال والتلال مانعة من حركته فوصل يده الى العرش واتى به في آن واحد وهذا معنى قوله: قبل ان يرتد اليك طرفك يعني في اقصر من طرفة العين لا ما قالوه وفسروه به [فَلَمَّا رَأَاهُ] يعني مد يده واتى به في اقل من طرفة العين فلما رآه سليمان (ع) [مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ] اظهاراً لانعام الله ورؤية للمتعلم في الانعام [هَذَا] اي اتيان وزيري به قبل طرفة العين [مِنْ فَضْلِ رَبِّي] على [لِيَبْدُوَنِي بِأَشْكُرُكُمْ أَكْفَرُ] هذه النعمة او مطلق نعمه [وَمِنْ شُكْرٍ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ] عنه وعن شكره [كَرِيمٌ] لا يمنع من كفر انعامه ويزيد من شكر افضاله، واختلف في وجه الاتيان بعرشها؛ فقيل: انه اعجبته صفته فاراد ان يراه واحب ان يملكه قبل ان تسلم فيحرم عليه اخذ مالها، وهذا شبيه باقوال العامة، او اراد ان يختبر بذلك عقلها وفطنتها، او اراد ان يظهر معجزة عليها حين ورودها لانها خلفته في دارها واوثقته ووكلت به ثقاه، وقيل: كانت بلقيس محبة لها، فاراد ان لا يكون قلبها متعلقاً بغيره وقت الورود [قَالَ] سليمان (ع) [نَكْرُوا لَهَا عَرْشَهَا] بتغيير هيئتها وصورتها وكان منظوره استخبارها كما قال [نَنْظُرَ أَتَهْتَدِي] الى معرفته [أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ] او المعنى ننظرا تستدل بحضور العرش على صدقي ونبوتي وقدره الله ام لا تهتدي [فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ] لها [أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ] لم تثبت ولم تنكره لما رأت من مماثلته له في جميع اجزائه واوزاعه وهيئته، ولما رأت من بعض تغييرات فيه بحسب الوانه واشكاله، وهذا من كمال العقل والحزم حيث لم تبادر بتصديق وتكذيب وثبتت في امره، وقيل: عرفته لكن لما قالوا: اهكذا عرشك بطريق التشبيه اجابت بقولها: كانه هو بطريق التشبيه لتطابق الجواب للسؤال، وقيل: كانت حكيمة فلو قالت: هو هو؛ خشيت التكذيب، ولو قالت: ليس به، خشيت ان تكذب، فقالت كلمة لا تكذب فيها، فقيل لها: هو عرشك، فما اغنى عنك اغلاق الابواب ولا قوة الحراس واهتمامهم بالحراسة وما اعجز نابعد المسافة ولا عظمة العرش وثقله، فقالت [وَأُوتِينَا الْعِلْمَ] برسالة سليمان (ع) وان امرها لى غير بشرى [مِنْ قَبْلِهَا] اي من قبل تلك الآية الظاهرة لنا من العرش واتيانه، او من قبل هذه الساعة، ويجوز ان يكون هذا من كلام سليمان (ع) او الذي قال: اهكذا عرشك، او قوم سليمان والمعنى واوتينا العلم بقدره الله على امثال هذه قبل هذه الآية او قبل بلقيس، واوتينا العلم بمجيء بلقيس واسلامها قبل مجيئها فاتيها بعرشها [وَكُنَّا مُسْلِمِينَ وَصَدَّاهُمْ] كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ اي صد بلقيس سليمان او العرش حين رآته حاضراً عندها عن كونها تعبد من دون الله او عن التي تعبدها من دون الله وهي الشمس او صدها عن الايمان كونها تعبد من دون الله، او التي تعبدها من دون الله [إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ] في موضع التعليل وبعد ما انقضى السؤال والجواب عن العرش [قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ] الصرح هو الموضع المنبسط من غير سقف، وقيل: انه قصر من زجاج، وقيل: كل بناء من زجاج او صخر او غير ذلك موثق فهو صرح، قيل: لما اقبلت بلقيس امر سليمان (ع) الشياطين ببناء الصرح من قوارير واجرى تحته الماء وجمع في الماء الحيتان والضفادع ودواب البحر ثم وضع له فيه سرير فجلس عليه [فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً] قيل قالت: ما وجد ابن داود (ع) عذاباً يقتلني به الا الفرق وانفتحت ان تجبن فلا تدخل [وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا] فلما رآها سليمان (ع) وكان عليهما شعور كرهتها سليمان فاستشار الجن في ذلك فعملوا

الحمامات وطبخوا النورة وكان أول ما صنعت النورة [قَالَ] لها سليمان (ع): ليس ههنا ماء [إِنَّهُ صَرَخَ مُمَرَّدٌ] مملس [مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ] بعد ما علمت انها اساءت الظن بنبي الله (ع) [رَبِّ اِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي] بالظن السوء بنبيك [وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ] وللإشارة الى ضعفها وعدم استقلالها باسلامها قال: اسلمت مع سليمان (ع) واختلف في امرها، فقبل: انه تزوجها سليمان واقرها على ملكها، وقيل: انه زوجها من ملك يقال له تتبع وردّها الى ارضها، وامر اميراً من امراء الجن باليمن ان يطيعه ويعمل له، فصنع له المصانع باليمن [وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ] مؤمنون وجاحدون [يَخْتَصِمُونَ قَالَ] صالح (ع) لهم بعد ما قاولا فأتينا بعدنا ان كنت من الصادقين [يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ] بالعباد [قَبْلَ الْحَسَنَةِ] اي قبل سؤال الرحمة [لَوْ لَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ] لولا تطلبون مغفرته وعفوه عما فعلتم [لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ] منه [قَالُوا اطَّيَّرْنَا] تشامنا [بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ] يعني انتك منذ اعيت ما ذعيت واتييت بدبي جديد ابتلينا بالقحط والجذب والامراض وليس الا بشؤم دينك الجديد، وقد مضى في سورة الاعراف وجه اطلاق التطير على التشام [قَالَ] لهم صالح (ع) [طَائِرُكُمْ] اي سبب خيركم وشركم اوسبب شركم [عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ] تختبرون بالخير والشر لعلكم تذكرون ان هذه بشؤم اعمالكم فلتجتؤن الى الله وتصدقون رسوله (ع)، او المعنى انتم قوم تعدون بتلك البلايا بشؤم اعمالكم [وَكُنْ فِي الْمَدِينَةِ] مدينة صالح (ع) [تِسْعَةَ رَهْطٍ] الرهط ويحركه قوم الرجل وقبيلته وتكون من ثلاثة اوسبعة الى عشرة او مادون العشرة ولا واحد له من لفظه وكان هذه الارهط من اشراف قوم صالح (ع) وهم الذين سعا في عقر الناقة [يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ] ارض مدينتهم ونواحيها وارض عالمهم الصغير [وَلَا يُصْلِحُونَ] حتى يجعل اصلاحهم جبراً لا فسادهم [قَالُوا اتَّقُوا اللَّهَ يَا لَكُمْ] امر ومقول للقول او ماض وبدل من قالوا وحوال من فاعله والمعنى تحالفا بالله لثلاث يتخلف بعض [الْمُنِيبِينَ] اي نندخلن عليه في الليل لقتله [وَأَهْلُهُ] ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ] اي ولي دمه قرى الفعلان بالنون وفتح الآخر والتاء وضم الآخر [مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ] هلاكهم او وقت هلاكهم او مكان هلاكهم يعني ما علمناه فكيف بتوليئنا وانما قالوا مهلك اهلك ولم يقولوا مهلكه اشعاراً بان مهلكه اصعب من مهلك اهلك ومن لم يشهد مهلك اهلك لم يشهد مهلكه بالطريق الاولى، او وروا بذلك وكان مقصودهم ما شهدنا مهلك اهلك فقط بل مهلكه ومهلك اهلك ولذا قالوا [وَأَنَّا لَصَادِقُونَ وَمَكْرُؤًا مَكْرُؤًا] مَكْرُؤًا] تسمية فعل الله بالمكر امّا من باب صنعة المشاكلة او للتشبيه بمكر العباد والا فالماكر لعجزه عن اعلان الاساءة يخفى الاساءة ويظهر ارادة الاحسان ليقدر على انفاذ اساءته والحق تعالى شأنه ليس عاجزاً عن انفاذ مراده حتى يخفيه لعجزه [وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ] باساءتنا المختفية [فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ] قرئ بكسر الهمزة على الاستيناف بجعله جواباً لسؤال مقدر، وقرئ بفتح الهمزة على ان يكون بتقدير التلام او الباء اوفى، او على ان يكون بدلاً من اسم كان او خبراً لكان وكيف يكون حينئذ حالاً او على ان يكون انادمرناهم خبر مبتدئ محذوف [وَقَوْمُهُمْ أَجْمَعِينَ] قبل كان لصالح (ع) بالحجر التي هي بلاد ثمود مسجد في شعب يصلي فيه وقد وعدهم نزول العذاب بعد ثلاثة ايام فقال التسعة الارهاط يزعم انه يفرغ منها بعد ثلاثة فاننا نفرغ منه ومن اهلك قبل الثلاثة فذهبوا الى الشعب ليقتلوه فوق عليهم صخرة فطبقت عليهم فهلكوا ثم وهلك الباقون في اماكنهم بالصيحة [فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ] من خوى الدار مكسور العين ومفتوحها اذا خلت، او من خوت مفتوح العين فقط اذا تهدمت، وقيل: ان هذه

اليوت بوادى القرى بين المدينة والشام [بِمَا ظَلَمُوا] بظلمهم وفى هذه الآية دلالة على ان الظلم يخرب البيوت [إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ] خرابها ، او يعلمون قصصهم اولهم علم وعقل [وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا] به او بالله [وَوَكَانُوا يُتَّقُونَ] يعنى صار سجيتهم التقوى لان تخلل كان يفيد هذا المعنى، قيل: كانوا اربعة آلاف خرج بهم صالح (ع) الى حضرموت وسميت حضرموت لان صالحا (ع) لما دخلها مات [وَلُوطًا] عطف على مجموع الى ثمود صالحا [إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ] التى هى اتيان الذكور [وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ] بصرء، او تعلمون قبحه، او ترون بعضكم من بعض [أَيُنْكِهُمُ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ] بدل تفصيلي من قوله تأتون الفاحشة [بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُجْهَلُونَ] تفعلون افعال الجهال او تجهلون قبح هذه الافعال وسوء عاقبتها، او تجهلون القيامة والدار الآخرة، او انتم صاحبوا الجهل [فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْأَسُ يَتَطَهَّرُونَ] لما لم يكن لهم جواب بالحجة هدوه بالقتل والاخراج، ولما لم يكن لوط (ع) من اهل قريتهم قالوا أخرجه وعللوه بطهارتهم عن مثل افعالهم.

[الجزء العشرون]

[فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا] اى كونها [مِنْ الْغَابِرِينَ] وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا] عجيباً وهو مطر الحجر [فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ] بعد ما ذكر قصص الانبياء (ع) وما خصهم به من الآيات الدالة على صدقهم وقدرة الله وحكمته ومن الانتصار لهم من اعدائهم امر الرسول (ص) بالحمد شكرًا لنعمه التى انعم بها على رسله لان انعام الرسل كان مقدمة لارساله وانعاما عليه [وَسَلَامٌ] عطف على الحمد لله يعنى وقل سلام [عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى] لانك علمت تخصيص الله ايساهم (ع) من بين العباد فحيثهم بتحية خواص الله، او مستأنف من الله تحية لرسله (ع) [إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ أَمَّا يُشِيرُ كُونَ] اى اقوام الرسل (ع) من الاصنام والكواكب والعجل والملائكة والشياطين والاهوية [أَمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ] ام منقطعة منضممة للاستفهام، ومن موصولة بدل من الله، ولما كان المقصود الزامهم على ان الله خير مما يشركون وانهم فى اختيار غير الله عليه سفهاء وكان ما بعد ام فى تلك الفقرات الآية اوضح فى هذا المعنى وبلغ اضرب عن قوله الله خير ام ما يشركون وقال بل من خلق السموات والارض خيرا ما يشركون ، ويجوز ان يكون من استفهامية وام منقطعة غير منضممة للاستفهام ويكون الكلام مستأنفا [وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ] رياضاً وبساتين [ذَاتَ بُهْجَةٍ] ذات منظر صحيح يتهيج به، والتفت الى التشكلم للاشعار بان آيات العجوب واللُّبُّوب والعروق التى هى جماد وانماؤها واخراج الاوراق والغصون والاثمار عليها خارج عن عهدة الاسباب الطبيعية من دون حضور الله واسبابه الغيبية ، وللإشارة الى ان الناظر الى الاسباب ينبغي ان يكون نظره اليها بحيث ينتقل منها الى مسبب الاسباب فاذا نظر الى سبب او سببين ينبغي ان ينتقل الى المسبب وتمثل وحضر عنده المسبب [مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا] وان كنتم فى غاية الاهتمام وفى غاية التدبير والتربية فانه لو لم يختلف عليها الايام والتبالي ولم يكن حر النهار وبرد الليالى ما نبت وما نمت ، وتخلل كان فى امثال هذا لنفى الصحة والامكان اى ما صح وما امكن لكم [إِنَّ إِلَهَهُ مَعَ اللَّهِ] مما يعدونه آلهاء [بَلْ] ليس آله مع الله ف [هُمْ قَوْمٌ

يَعْدِلُونَ] بالله غيره او يعدلون عن الحق [أَمْ مَنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا] يمكن لكم التبعث عليها ويمكن لكم تحصيل معاشكم منها [وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا] هي عمدة اسباب معاشكم [وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيًا] بسببها يمكن جريان الأنهار وتوليد المياه وبها سكن الأرض؛ هذا بحسب التنازل وبحسب التأويل لا يكون لكم خير ولا شر ولا قليل ولا كثير إلا بها ولولاها لفنى الكل ولم يبق ذرة من التذرات [وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا] مانعاً من اختلاط الماء العذب بماء الملح الاجاج وبحسب التأويل جعل بين عالم الشرور وعالم النور حاجزاً مانعاً من اختلاط عالم الزور وفساده لكم ولعالمكم وقد مر في سورة الفرقان بيان البحرين وحاجزها [إِنَّ إِلَهَهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ] ليس لهم علم وملحقون بالبهائم او أكثرهم لا يعلمون الله وصفاته [أَمْ مَنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ].

معنى المضطر

اعلم، ان الانسان من اول استقرار مادته في مقرها الذي هو الرحم جمادى بالفعل، ونبات بالقوة القريبة، وحيوان بالقوة البعيدة، وانسان طبعي ملكي بالقوة التي هي ابعد، وانسان ملكوتي وجبروتي بالتى هي ابعد، ولكنه في تلك الحال يقتضى بفطرته القرار في الرحم والاغتذاء بدمها وساثر طوباتها ويتشبث بها ويجذب من رطوباتها، ثم يصير نباتاً بالفعل، ثم حيواناً مثل حيوانية الخراطين حتى يتولد فيصير حيواناً بالفعل وانساناً ملكياً بالقوة حتى اذا بلغ الى مقام التميز والمراهقة فيصير انساناً ضعيفاً بالفعل وكذلك شيطنته تكون ضعيفة وقوته الشهوية والغضبية تكون قوية بحيث تغلب الانسانية والشيطانية، وبشهوته يطلب المشتهى ويجذبه، وبغضبه يدفع من يمانعه عنه وبغضبه عليه، وبشيطانيته الضعيفة يحتال في تحصيله حيلة ضعيفة، وبانسانيته الضعيفة يخجل من ظهور بعض افعاله خجلة ضعيفة، فاذا بلغ الى مقام البلوغ والرشد واستعد لتعلق التكليف به صار انسانيته وشيطانيته قويتين كما ان شهوته وغضبه يصيران قويتين، وبشهوته القوية يشتد طلبه لمشتهايته، وبغضبه القوي يشتد دفعه وغضبه على من يمانعه، وبشيطنته القوية يشتد حيلته في طلبه، وبانسانيته يشتد انزجاره وخجلته عما ينافي انسانيته، فان ساعده التوفيق ودعاه الداعي الالهى دعوة ظاهرة او دعوة باطنة وقبل الدعوة وباع البيعة العامة او البيعة الخاصة وصار مسلماً او مؤمناً وعمل بما اخذ عليه في بيعته صار انسانيته في الاشتداد وسلك الى الله وادبر عن العالم واسبابه، حتى انه يقطع النظر عن الاسباب ويتوجه بشرائه الى مسبب الاسباب، وهذا اضطرار تكليفي فان الاضطرار هو قطع النظر عن الوسائل والاسباب والتوجه الى مسبب الاسباب والتوسل به واليه اشار الصادق (ع) بقوله: فالاضطرار عين الدين، وقد مضى تفصيل للدعاء وطريقه في سورة البقرة عند قوله تعالى: اذا سألك عبادى عنى فانى قريب، واذا لم يتمسكك بذيل نبي (ع) او وصي نبي (ع) ولم يبايع بيعة اسلامية او بيعة ايمانية كان قواه البهيمية والسبعية والشيطانية في الاشتداد وقوته الانسانية في الضعف في اغلب الناس وفي اغلب الاوقات حتى يختفى الانسانية تحت القوى الثلاث ويكون الحكم لتلك القوى والآثار منها فقط لكن هذا الانسان قد يتنلى حتى يعجز الشيطنة عن الاحتيال ويأمن الشهوية عن المشتهى والآمال ويحسر الغضبية عن الدفع والبسط فان المدركة تدرك المشتهى والشيطنة باستعمال المتخيلة و اظهار الواهمة والخيال الصور والمعاني عليها تنصرف وتحتال للوصول اليه وتحرك العمالة لطلبه، واذا وجدت مانعاً ودافعاً لها عن الوصول حركت الغضبية لدفعه فان تياساً عن الوصول سكنت المتخيلة عن الحركة والتصرف، والواهمة والخيال عن اظهار المعاني والصور، والعمالة عن الطلب، والشهوة والغضب عن الاشتهاى والدفع، وحينئذ يظهر الانسانية من غير حاجب ومعاوق ولما كان فطرتها تتصرف والاتجاه الى الله والسؤال منه تضرعت بفطرتها والتجأت وسألت، وهذا هو الاضطرار التكويني الفطري وكلا الاضطرارين لما كان مظهر الانسانية الانسان وكان اللطيفة السيارة الانسانية لطيفة آلهية كان لسانها لسان الله وسؤالها سؤال الله وسؤال الله من نفسه لا يرد بل يجاب، والى هذا الاضطرار

وكون لسان الداعي حين الاضطرار لسان الله اشار المولى قدس سره بقوله :

هم دعا از من روان کردی چو آب	هم ثباتش بخش و گردان مستجاب
هم تو بودی اول آرنده دعا	هم تو باش آخر اجابت را رجا
چون خدا از خود سؤال و کد کند	بس سؤال خویش را کی رد کند
هم دعا از تو اجابت هم ز تو	ایمنی از تو مهابت هم ز تو

وهذا المضطر ان كان اضطراره تكليفاً غلب لا محالة على القوى الثلاث وملكهم في الصغير واذا ملك في العالم الصغير ينتهي ملكيته الى المالكية في العالم الكبير وليست هذه المالكية وتلك الاجابة الا من الله تعالى وان كان اضطراره تكوينياً وبقي على اضطراره انتهى اضطراره الى الاضطرار التكليفي، والاضطرار التكليفي يصير سبباً للمالكية والاستخلاف في العالمين [وَيَكْشِفُ السُّوءَ] اجابة لدعائه، والسوء اعم من الواردات الغير الملائمة لانسانية الانسان وحيوانيته ومن تبعات الذنوب ومن النقائص اللازمة له من الانانية والحدود [وَيَجْعَلُكُمْ] التفت من الغيبة الى الخطاب للاشعار بان المضطر اذا صار اهلاً للخلافة يصير له حالة الحضور والتخاطب وبدون حصول حالة الحضور له لم يكن له شأنية الخلافة [خُلَفَاءَ الْأَرْضِ] خلفاء ارض العالم الصغير والكبير كما ذكر، واما التفسير بخلافة الماضين بايراث ارضهم واموالهم فلا يناسب ذكره بعد اجابة المضطرين وكشف السوء عنهم خصوصاً على ماورد عنهم ان الواو في القرآن للتترتيب، عن الصادق (ع) ان الآية نزلت في القائم من آل محمد (ص) هو الله المضطر اذا صلى في المقام ركعتين ودعا الله عز وجل فأجابه ويكشف السوء ويجعله خليفة في الارض [عَالَهُ مَعَ اللَّهِ قَلْبًا مَأْمًا] اي تذكر قليلاً اوشيناً قليلاً اي قليل من آلاء الله [تَذَكَّرُونَ أَمْ مَنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ] باعطاء القوى والمشاعر وانضباط الكواكب في حركاتها [وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ] كرر من لان ارسال الرياح جنس سوى جنس الهداية [بُشْرًا بَيْنَ يَدَي رَحْمَتِهِ عَالَهُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ أَمْ مَنْ يَبْدُو الْخَلْقَ ثُمَّ يُعْبِدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ] بتسبيب الاسباب السماوية من اشعة الكواكب وتخالف الليل والنهار وتحريك السحاب وانزال الامطار، او المراد سماء عالم الارواح ورزق الانسان من العلوم والاحوال والاخلاق والمكاشفات [وَالْأَرْضِ عَالَهُ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ] يعني ان هذه الافعال لا يجوز ان تنسب الى معبوداتكم وهذه هي افعال الله فلا يجوز ان يكون شيء من معبوداتكم شريكاً له تعالى في ذلك، واذا لم يكن شريكاً له تعالى في ذلك لم يكن شريكاً له في العبادة، فان استحقاق العبادة ليس الا بهذه [قُلْ] بامحمد (ص) [لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ].

معنى الغيب

اعلم، ان السماء تطلق على ما له علو وارتفاع وتأثير في مادونه، والارض تطلق على ما له دنو وانفعال، وهذان المعنيان لا اختصاص لهما بالسماء والارض الطبيعتين بل جملة عالم الارواح بهذا المعنى سموات وجملة عالم الاجسام الملكية والملكوتية العلوية والسفلية اراض، والغيب ما كان غائباً عن نظر من كان ذلك الغيب غيباً له سواء كان مشهوداً حاضراً لغيره اولم يكن، والمراد بمن في السموات والارض من كان متحداً بحدوده ما غير خارج من حجب تعينتهما، فان الانسان الملكي هو الذي يكون محتجباً تحت حدود الملك ويكون ادراكه مقصورة على المحسوسات فان المدرك في ادراكه لا بد وان يكون سنخاً للمدرك بل متحداً معه فالمدرك اذا كان ملكياً كان مدركه ايضاً ملكياً وهذا المدرك يكون جميع ما في السموات من السموات الطبيعية وسموات الارواح غيباً بالنسبة اليه والانسان الملكوتي لا يتجاوز ادراكه الملكوت ولا يكون مدركه مجرداً واصرفاً ويكون

المعجرات عن التقدير غيباً بالنسبة اليه والانسان الجبروتى المتحد بحدود العقول لا يتجاوز ادراكه الى عالم المشية وعالم المشية غيب بالنسبة اليه فصيح ان يقال: لا يعلم جميع المتحددين بحدود سماوات الارواح وارضى الاشباح الغيب الذى هو عالم الاسماء والصفات الا الله ويكون الاستثناء منقطعاً ان خصص لفظة من الموصولة بالممكنات، او متصلاً ان لم تخصص والاشكال بان الائمة كانوا يعلمون علم ما كان وما هو كائن وما يكون الى يوم القيامة وان علياً (ع) علم الائمة (ع) واصحابه كانوا يعلمون علم المنايا والبلايا والانساب غير وارد، فانهم غير من فى السماوات

والارض لعدم تحددهم بحدودهما لخر وجههم الى مقام الاطلاق الذى هو المشية وفى ذلك المقام لا فرق بينهم وبين حبيهم فلمهم فى ذلك المقام علم الله، واما سائر مقاماتهم المقيدة بحدود السماوات والارض فانهم فى تلك المقامات يعلمون بتعليم الله اى بتعليم مقامهم المطلق الذى لا فرق بينهم وبينه بمعنى انهم فى ذلك فانون من انانياتهم وباقون بوجود الله لا بوجودهم فهم يعلمون بعلم الله الغيب عن السماوات والارض ويعلمون بتعليم الله سائر مقاماتهم المحدودة بحدودات المقامات النازلة، روى ان امير المؤمنين (ع) اخبر يوم ما ببعض الامور التى لم يأت بعد فقيل له: اعطيت يا امير المؤمنين علم الغيب؟ فضحك وقال: ليس هو بعلم غيب انما هو تعلم من ذى علم، وانما علم الغيب علم الساعة وما عده الله سبحانه بقوله: ان الله عنده (الآية) فيعلم سبحانه ما فى الارحام من ذكر او انثى، وقبيح او جميل، وسخى او بخيل، وشقى او سعيد، ومن يكون للنار خطباً او فى الجنان للنبيين مرافقاً فهذا علم الغيب الذى لا يعلمه الا الله، وما سوى ذلك فلم علم الله نبيه (ص) فعلمته ودعالي ان يعيه صدرى وتضم عليه جوارحى، وبعد ماسبق لاحاجة لك الى بيان اجزاء الحديث [وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ] اى فى اى مقام من مقامات البعث [يُبْعَثُونَ] فان المحدود بحد من حدود السماوات والارض لا يعلم وقت قيامه من مرقد حده ولا مقام قيامه منه والمطلق من ذلك الحد يعلم وقت بعثه ومقامه بعلم الله لا بعلم نفسه [بَلْ أَدْرَاكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ] اى يفنى علمهم فى الآخرة او يتكامل ويتلاحق علمهم فى الآخرة او يفنى علمهم فى حق الآخرة بمعنى انهم لا يعلمون شيئاً من الآخرة او تلاحق اسباب علمهم فى حق الآخرة من الآيات والعلامات الدالة على وجود الآخرة، قرئ بل ادرك مغير تفاعل وبل ادرك من باب الافعال، وبل ادرك من الافعال وبل ادرك بفتح التلام وسكون الدال الخفيفة من باب الافعال بنقل حركة الهمزة الى التلام وحذفها وبل ادرك وبل اتدرك وبل ادرك وبل ادرك وام ادرك وام تدرك [بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا] اى من الآخرة [بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ] فان الشاك فى شيء يتصور ذلك الشيء ثم يشكك فى ثبوته او يثبت او ينفى وهؤلاء كانوا عمياناً من امر الآخرة لا يدركونها لا بالتصور ولا بالتصديق، وترتب الاضرابات ووجه ترتبها بحسب معانى الادراك موكل الى ذوق الناظر [وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا] بالآخرة والبعث [إِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ] جواب اذا محذوف وقوله اننا لمخرجون تأكيد للاول والتقدير اذا كنا تراباً نخرج اننا لمخرجون [لَقَدْ وَعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ] و وعد آباؤنا من قبلنا ومن قبل وعدنا ولم يظهر منه شيء [إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ] الاحاديث التى لانظام لها والاسمار التى لاحقيقة لها جمع الاسطر، او جمع الاسطر او الاسطير بكسر الهمزة فيهما او الاسطور بضم الهمزة بدون التاء او مع التاء فى الكل كما مضى سابقاً [قُلْ] لهم [سِيرُوا فِي الْأَرْضِ] اى ارض الطبع فى العالم الكبير او الصغير او التسر واخبار الماضين وارض القرآن واخبار الانبياء والاولياء (ع) [فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ] الذين اجرموا بانكار الآخرة ثم انكار الرسل (ع) وعدم طاعتهم فى امر الآخرة [وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ] يعنى انك لغاية رحمتك تريد ان يكون جميع العباد مطيعين مرحومين واذالم يطيعوا ويستحقوا

العذاب تحزن عليهم ولا ينبغي ان تحزن عليهم لان عدم ايمانهم وطاعتهم مسبوق بمشيتنا [وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ] فان الله ناظر اليك واليهم والى مكرهم ولا ينفذ مكرهم الا بمشيتنا واذ اشتنا نفاذه كان لحكم ومصالح راجعة اليك [وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ] وعد العذاب او وعد القيامة او الرجعة [إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ] استبطوا العذاب او الساعة استهزاء بقرينة ردف لكم بعض الذى تستعجلون او سألوا عن وقتها استهزاء [قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفٌ لَكُمْ] قرب منكم او تبعكم [بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ] من العذاب ، قيل : هذا البعض عبارة عن القتل والاسريوم بدر او العذاب عند الموت او الذى فى البرازخ [وَأَنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ] فلذلك يمهلهم لعلمهم يتوبون وينعم عليهم بأنواع النعم الظاهرة والباطنة لعلمهم يشكرون [وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ] لا يشعرون بالنعم لأنهم كالانعام [لَا يَشْكُرُونَ] وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ] مما يخفونه من غيرهم من النيات والعزائم والارادات والاخلاق والاحوال والخيالات والخطرات ، او يعلم ما تكن صدورهم من انفسهم من الكمونات التى لا شعور لهم بها [وَمَا يُعْلِنُونَ] من الاقوال والافعال او ما يعلنون على غيرهم وعلى انفسهم حتى يكون الخيالات والخطرات فيما يعلنون [وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ] مصدر او اسم مصدر بمعنى ما غاب او اسم خالص بمعناه او وصف بمعنى خصلة او ذرة غائبة [فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ] الظاهر بنفسه او ظاهر مافيه او مظهر مافيه ، وهذا من قبيل التعميم بمعنى يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون بل جميع الذرات الغائبة عن جميع الخلق فى السماوات والارض [إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَنْقُصُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ] كلام منقطع عن سابقه لفظاً ومعنى اوجاب لسؤال مقدر عن علّة الحكم ولذلك لم يأت باداة الوصل [أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ] من الجنة واصافها ، والجحيم والآلها ، والخلود وعدمه ، والتشبيه والتتزيه ، وسائر الاوصاف الربوبية والنسبية الموعود الذى بشره موسى (ع) وسائر الانبياء (ع) واحكام التوراة التى يخفون اكثرها واختلّفوا فيها [وَأَنَّهُ لَهُدًى] ذو هدى او هادٍ او سبب هداية ، او حملة على القرآن للمبالغة [وَرَحْمَةٌ] سبب رحمة [لِلْمُؤْمِنِينَ] فان غيرهم لا يستفعلون به او يكون ضلالة ونقمة عليهم [إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي] جواب سؤال مقدر كأنه قيل : ما يفعل الله بهم فى اختلافهم ؟ فقال : يقضى [بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ] الذى يكون لانفاهم لا بحكمهم الذى اخترعوه من عند انفسهم [وَهُوَ الْعَزِيزُ] الذى لا يمنع من نفاذ حكمه [الْعَلِيمُ] الذى يعلم دقائق استحقاقهم [فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ] معنى فانظر الى قضائه النافذ فيهم وتصريفه التام لهم على ما يشاء واسترح من تعب النظر الى افعالهم وتوكل على الله فى امورك وجملة افعالهم واقوالهم [إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ] فلا تشك فيما انت فيه فيزول توكلك ، وهذا نسبية له (ص) ولا مته ومنع لهم عن الارتباب [إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى] جواب سؤال مقدر كأنه قال : افلا اقول شيئاً ؟ فقال : لا تقل لهم شيئاً لانهم موتى وانك لا تسمع الموتى [وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ] معنى انت لا تقدر على اسماعهم لانهم موتى عن الانسانية وهم لا يقدرّون على سماع نداء الانسان لانهم صم عن نداء الانسان ، وقرئ لا تسمع بالخطاب والقسم بالنصب [إِذَا أُولُوا مُدْبِرِينَ] فلا يفهمون الاشارة ايضاً ومدبرين حال تأكيدي او غير تأكيدي [وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ] لعجزهم عن رؤية الطريق كلما اريتهم الطريق [إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا] اى من يشرف على الايمان او من يصدق ويدعن باياتنا

التكويينية الحاصلة في الآفاق وفي الانفس خصوصاً الانبياء والاولياء (ع) او التدوينية او يؤمن بالبيعة العامة او الخاصة [فَهُمْ مُسْلِمُونَ] بالبيعة العامة او متقادون للاستماع [وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ] اي قول ظهور القائم عجل الله فرجه في العالم الصغير والعالم الكبير وفسر بتزول العذاب بهم عند اقتراب الساعة [أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ] وهذه من علامات ظهور القائم (ع) ويكون عند طلوع الشمس من مغربها وفسر الدابة بأمر المؤمنين (ع) وانه يخرجهم الله في احسن صورة ومعه ميسم يسلم به اعداءه، وعنه (ع) : واتي لصاحب العصا والميسم والدابة التي تكلم الناس، وعنه (ع) في حديث : معها اي الدابة خاتم سليمان (ع) وعصا موسى (ع) تضع الخاتم على وجه كل مؤمن فينطبع فيه : هذا مؤمن حقاً، وتضع العصا على وجه كل كافر فيكتب : هذا كافر حقاً [وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا] يعني يوم الرجعة ويوم ظهور القائم (ع) في الصغير وفي الكبير، ويجوز ان يراد يوم القيامة وهو عطف على اذا او مقدر باذكر [مِمَّنْ يَكْذِبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ] يحبس اولهم على آخرهم حتى يتلاحقوا [حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُا قَالَا كَذَبْتُمْ بِآيَاتِنَا وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمْ آذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ] وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ] اي العذاب الموعود [بِمَا ظَلَمُوا] الآيات اي آل محمد (ص) [فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ] باعتبار عدم امكان النطق لشدة العذاب او لعدم الاذن لهم في النطق، في خبر عن الصادق (ع) : الآيات امير المؤمنين (ع) والائمة (ع)، فقال الرجل : ان العامة تزعم ان قوله عز وجل : ويوم نحشر من كل امة فوجاً عنى يوم القيامة فقال : فيحشر الله عز وجل يوم القيامة من كل امة فوجاً ويدع الباقيين ؟ لا ؛ ولكنه في الرجعة، واما آية القيامة فهي وحشرناهم فلم تغادر منهم احداً [أَلَمْ يَرَوْا] جواب سؤال مقدر كأنه قيل : هل يكون ذلك ؟ فقال : انه سيكون فانه لم يدعكم في الدنيا مهملين مع انها مقدمة للآخرة وهيا لكم جميع ما تحتاجون اليه في تعبشكم فلا يدعكم في الآخرة مهملين الم يروا [أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنَّ فِيهِ] بالنوم وسكون القوى عن هيجانها، والروح عن انتشارها، والنفس عن خيالها [وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا] مجاز عقلي او بمعنى سبب ابصار او بمعنى الجاعل بصيراً [إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ] عديدة دالة على علمه تعالى وقدرته وحكمته ورأفته بعباده وتريبته لهم بأحسن ما يكون وعدم اهماله لهم في الدنيا التي هي مقدمة لدار آخرتهم وقنطرة للعبور الى منازلهم فلا يهملهم في الآخرة من غير حساب وثواب وعقاب او من غير بقاء وحيوة [لِيقُومَ يَوْمَئِذٍ] بالله او بالآخرة [وَيَوْمَ يُنْفَخُ] عطف على يوم نحشر [فِي الصُّورِ] هو كما مضى جمع الصورة سواء كان مخفف الصور بضم الصاد وفتح الواو او كان بنفسه جمعاً، او هو قرن من حديد ينفخ فيه النفخة الاولى لامانة الاشياء، والنفخة الثانية لحياتها وبعثها، ويحتمل ان يراد النفخة الاولى ويكون قوله [فَقَفَّزَعَ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ] فزع الموت، وقيل : ينفخ ثلاث نفخات : نفخة الفزع، ونفخة الامانة، ونفخة الاحياء، ويجوز ان يراد نفخة الاحياء فيكون المراد بالفزع فزع الحيو بعد الموت [إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ] ان لا يفزعوا ولا يموتوا، وهم الملائكة الذين هم باقون ببقاء الله لا ببقاء انفسهم، موجودون بوجود الله لا بوجود انفسهم، وكذلك الانبياء (ع) الذين كانوا على تلك الحال، وقيل : هم جبرائيل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل (ع)، وقيل : روى في خبر : ان المراد بهم الشهداء فانهم لا يفزعون في ذلك اليوم والمراد بالآمنين من جاء بالحسنة فانه تعالى قال : وهم من فزع يومئذ آمنون كما يجيء [وَكُلٌّ] من الفرعين [أَتَوْهُ دَاخِرِينَ] وان كان المراد بالفزع فزع الموت كان المراد به ان كلهم بعد احيائهم بأنونه صاغرين [وَوَرَى الْجِبَالِ] الخطاب لمحمد (ص) او عام، وان كان الخطاب لمحمد (ص) كان المراد انك

تري الجبال ببصرك البشري أو كان الكلام على آياتك اعنى واسمعى يا جارة [تَحْسِبُهَا جَامِدَةً] اى واقفة ساكنة فى امكنتهما فان الجمود قد يستعمل فى الوقوف عن الحركة كما يستعمل مقابل السيلان [وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ] اى تسير نحو سير السحاب فى سرعة الحركة وقطع المسافة، وهذا يجوز ان يكون اشارة الى تجدد الامثال بنحو الاتصال ويكون الانعدام والانوجد بنحو الاتصال غير محسوس بالانظار كما ان الدائرة المحسوسة الحاصلة من الحركة التوسطية التى تكون للشعلة الجواله غير موجودة فى نفس الامر ولكن بواسطة اتصال الانعادات والانوجدات ترى بالابصار دائره؛ وعليه العرفاء الكاملون وبذلك الآية يستشهدون، ويجوز ان يكون اشارة الى حركة الارض دون الشمس؛ وعليه الطبيعيون من الافرنج وعليه بناء هبثهم الجديدة، وان يكون اشارة الى انحلال الابدان واغذائها ببدل ما يتحلل منها، وان يكون اشارة الى تبدل انانية النفس بانانية الله وانانية العقل او تبدل انانية العقل بانانية الشيطان، وان يكون اشارة الى سير النفوس الكاملة فان سيرهم يكون كل آن الى عرش ربهم، واليه اشار المولى قدس سره:

سير زاهد هر مهى تا پيشگاه سير عارف هر دمی تا تخت شاه

وان يكون اشارة الى القيامة ووقت ان يكون الجبال كالعهن المنفوش فانها حينئذ تكون فى الحركة السريعة لا يدرك بالابصار حركتها لبعداطرافها وعدم احاطة النظر باطرافها لكن قوله تعالى [صُنِعَ اللَّهُ] فى مقام مدحه يدل على المعانى السابقة [الَّذِي اتَّقَنَ كُلَّ شَيْءٍ] بحيث لا يدرك ما فيه من الاوصاف ويدرك على خلاف ماله من الاوصاف [إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ] تعليل لقوله: ترى الجبال تحسبها جامدة؛ باعتبار لازم الحكم الذى هو العلم برؤيتها وحسابها كذلك او هو بمنزلة النتيجة لقوله: اتقن كل شيء فانه اذا اتقن كل شيء اتقن كل نفس وتعلقها ببدنها وتصرفها فى حركاتها وسكناتها فهو خير بما تفعلون من الخير والشر وهو وعد ووعدك عقيب بقوله [مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا] الى العشرة الى ما شاء الله، اوله خير ناش من تلك الحسنة [وَهُمْ مِنْ فِرْعَ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ] والمراد بالحسنة الجنس او الحسنة المعهودة التى هى ولاية على (ع) الحاصلة للانسان بالبيعة الخاصة الولوية وبالتوبة والتلقين فانه اذا لم يبايع الانسان مع ولى امره لم يحصل له لب كما اذا لم يؤبر النخلة لم يحصل لها ثمر، واذا حصل له لب بالولاية ولم يسر فعليته الحاصلة بالولاية بأغشية الأهوية والآمال يكون آمناً من جميع ما يفرغ غيره يوم القيامه وهذا هو المراد بقريته قريته الذى هو قوله تعالى [وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ] فانه اذا ارى بد بالسبيته الجنس لزم ان يكب صاحبها فى النار وليس كذلك واذا ارى بد بالسبيته محبة اعداء اهل البيت ولا يتهم صح ان يقال [فَكُتِبَتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ] مقولاً لهم [هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ] وقد فسر الحسنة والسبيته فى اخبار عديدة بولاية اهل البيت (ع) وبغضهم قل لهم [إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ] يعنى مكة فانها شريفة عندكم وربتها يستحق العبادة [الَّذِي حَرَّمَهَا] جعلها حراماً متكها [وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ] تعميم بعد تخصيص [وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ] المتقادين [وَأَنْ أَتْلُو الْقُرْآنَ] عليكم وادعوكم بتلاوته ولا ابالى بردكم وقبولكم [فَمَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِ لِنَفْسِهِ] لالى [وَمَنْ ضَلَّ فَفَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ] لامن الهادين حتى احزن على ضلالكم [وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ] على ما انعم على وعلى ما امرت ولم يكلفنى مالم اطقه من دعوة القوم وهدايتهم، او على جعله الولاية آية العظمى [سِيرَ بِكُمْ آيَاتِهِ] عند مشاهدتها حال الاحتضار او فى القيامة وخصوصاً الآيات العظمى [فَتَعَرَّفُونَهَا] من حيث كونها آيات

[وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ] تهديد لهم وازدادة الرب الى محمد (ص) بالخطاب، وجمع تعملون اشارة الى لطيفة هي عدم لياقتهم لاضافة الرب اليهم.

سُورَةُ الْقَصَصِ

مكية ثمان وثمانون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[طَسَمَ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ] اي الظاهر والمظهر الذي هو عبارة عن القلم الاعلى او عن اللوح المحفوظ او القرآن التدويني [نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ] اي لا تنفعهم فان غيرهم لا يستفهمون به [إِنْ فِرْعَوْنَ] جواب سؤالٍ مقدّر كأنه قيل: ما ذلك النبا [عَلَا فِي الْأَرْضِ] اي ارض مصر [وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا] بان جعل القبلي مكرماً بانواع الكرامة والتسبيط مهاناً بانواع الاهانة وجعل التسبيط فرقة متفرقة في الاستعباد والاعمال الشاقة فانهم كانوا اهل مصر واهل مصر واهل مصر واهل مصر [يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ] يدل على المعنى الاول [يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ] يدل من يستضعف [وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ] يعني يستبقى البنات او يتجسس حياء النساء لطلب الحمل او لطلب العيب [إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ] في الارض يمنع اهلها من طلب كمالهم والوصول الى رسول او امام، او بالقتل والاستعباد من غير استحقاق [وَنُرِيدُ] كان المناسب ان يقول واردنا لکنه عدل الى المضارع للاشارة الى استمرار هذه الارادة ماضياً ومستقبلاً، والى جهة التأويل فان فرعون عالم الصغير عال في ارضه ويريد الله ان يمن على موسى هذا العالم وقومه، والى تسلية الرسول (ص) فانه بعد ما اطلع على ما سيقع باهل بيته حزن عليه فقال تعالى نريد على سبيل الاستمرار [أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ] فلا تحزن فان استضعف اهل بيتك سبب لمننتنا عليهم [وَنَجْعَلُ لَهُمْ أَيْمَةً] يقتدى بهم [وَنَجْعَلُ لَهُمُ الْوَارِثِينَ] للارض يظهر القائم عجل الله فرجه ولا رضى عالمهم الصغير بخلاصها من يد فرعون وقومه [وَنُمَكِّنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ] في العالم الكبير في جملة الارض او في ارض مصر وفي ارض وجودهم [وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا] اي فرعون موسى (ع) وفرعون اهل البيت او فرعون العالم الصغير [مِنْهُمْ] من المستضعفين [مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ] منهم من ذهاب ملكهم على يد رجل من بني اسرائيل، قيل: عاش فرعون اربع مائة سنة وكان قصير آدمياً وهو اول من خضب بالسواد، وعاش موسى (ع) مائة وعشرين سنة [وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ] بعد ما ولدت موسى (ع) [أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتُ عَلَيْهِ مِنَ الْقَتْلِ وَاطَّلَاعِ الْحُرُسِ فَاَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي] عليه من الغرق والضيق والقتل [وَلَا تَحْزَنِي] على فراقه [إِنَّا نَرَاكَ مِنْ دُونِ الْيَمِّ]

[إِلَيْكَ] سألما لتعرف عينك ويكون انسا لك [وَجَاءَ عَلَيْهِ مِنَ الْمُرْسَلِينَ] قيل: حملت أم موسى (ع) ولم يظهر حملها ولم تكن عليها موكلة من فرعون فولدته ولم يعلم به احد وارضعته ثلاثة اشهر لا يبكى ولا يتحرك، فلما خافت عليه عملت له تابوتا مطبقا ثم ألقتة في البحر باذن الله فانها كانت اوحى اليها من الله في ذلك بتوسط ملك اوفى رؤيا وبالهام قلب، وقيل: كان فرعون وكل بها امرأة لتعرف حملها وكانت لم تظهر حملها عليها وولدت موسى (ع) فلما رآته الموكلة رأت بين عينيه نورا فأحبته حبا شديدا وقالت: احفظي ولذلك فانتى احبه حبا شديدا اظن انه الذي يكون هلاك القبطى بيده فلما خرجت القابلة من عندها ابصرها العيون فجاءوا ليدخلوا على أم موسى (ع) فقالت اخته: يا امنا هذه الحرس بالباب فلقتة في خرقه فوضعتة في تنور مسجور فدخلوا وتجسسوا ولم يجدوا منه اثرا وانطلقت أم موسى (ع) اليه وقد جعل الله النار عليه بردا وسلاما، فلما رأت الحاح فرعون في الطلب وضعته بوحى من الله في التابوت وألقتة في اليم [فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ] وكان لفرعون قصور على شط النبل فلما ألقتة في النبل وضرب به الماء نظر فرعون من قصره ومعه آسية امرأته الى سواد في النبل ترفعه الامواج والرياح تضربه حتى جاءت به الى باب قصر فرعون فأمر فرعون بأخذه فأخذورفع اليه، فلما فتحه وجد فيه صبيا فقال: هذا اسرايلى فألقى الله في قلب فرعون لموسى (ع) محبة شديدة وكذلك في قلب آسية واراد فرعون ان يقتله فقالت آسية: لا تقتلوه كما سيجيء [لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا] التلام للعاقبة اوللغاية لكنني اتى بها ليكون تهكما بهم [إِنَّ فِرْعَوْنَ] تعليل للسابق [وَهُمَا مَنْ وَجُنُودُهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ] اى عاصين لربهم [وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ] قيل: قال فرعون قرّة عين لك لالى [لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا] قالت ذلك لأنها لم يكن لها ولد ولا لفرعون [وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ] انه موسى (ع) الذى خراب ملكهم بيده [وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا] خاليا من العقل لغلبة الدهشة والخيال من كل شيء الا من ذكر موسى (ع) او من الحزن لاتكاله على وعدا الله او فارغا من تذكر الوحي الذى اوحته الله تعالى اليه بتسليانها الوحي، وقرى فرعا بالفاء والزاء المعجمة والعين المهملة، وقرعا بالفاء والراء المهملة والغين المعجمة، والكل مناسب ههنا [إِنْ كَادَتْ] انها كادت [لَتُبْدَى] غمها [بِهِ] اولتبدي بخبره على ان يكون الباء للتعدية دون الهمزة، وقيل: انها كادت تبدى امرها عند ما دعاها فرعون للرضاع سرورا به [لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا] حتى لا ينزعج ولا يضطرب فى فراغه لفراق موسى (ع) [لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ] المصدقين بالوحي وصدق الوعدا ومن المؤمنين بالله [وَقَالَتْ لِاخْتِهِ] بعد ما ألقتة في البحر ومضى عليه ثلاثة ايام كما فى الخبر [فَصَبَّيْهِ] تجسسى اثره حتى ترى ما حاله وما فعل به فذهبت الى قصر فرعون [فَبَصُرَتْ بِهِ] ابصرته [عَنْ جُنُبٍ] عن بعيد [وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ] انها اخته اولا يشعرون بنظرها اليه [وَحَرَّ مَنَا عَلَيْهِ الْمَرَا ضِعَ مِنْ قَبْلُ] اى قبل مجيء اخته بثلاثة ايام كما مضى وكان فرعون اغتم لذلك غما شديدا [فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ] فقالوا نعم؛ فجاءت بامتها فلما اخذته بحجرها والقمتة ثديها التقمه وشرب ففرح فرعون واهله واكرموا امه فقال فرعون لها: ربى لنا فاننا نفعل بك ونفعل [فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ] ولتتعلم ان وعد الله حق [برده اليها] ولكن اكثرهم [اى اكثر الخلق] او اكثر قوم فرعون [لَا يَعْلَمُونَ] ان وعد الله حق وليس لهم علم [وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ] قد مضى فى سورة الانعام بيان الاشدة [وَأَسْتَوَى] قيل: المراد ببلوغ الاشدة بلوغ ثلاث وثلاثين سنة، وبلاستواء بلوغ الاربعين، والمراد ببلوغ الاشدة تمام القوى والاعضاء كما ينبغي واو له زمان بلوغ ثمان عشرة سنة [أَتَيْنَاهُ حُكْمًا]

دقة في العمل بحيث يعجز عن مثل عمله امثاله [وَعَلِمًا] عظيمًا فان التنوين للتخفيف [وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ] وَدَخَلَ الْمَدْيَنَةَ [يعني بعد ما استوى وذلك ان بنى اسرائيل كانوا في الشدة والبلاء وكانوا يستريحون الى اخبارهم بمجيء موسى (ع) وهلاك فرعون فخرجوا ذات ليلة مقمرة الى شيخ لهم عنده علم فقالوا: كئنا نستريح الى الاحاديث فحتى متى نحن في هذا البلاء؟ قال: والله انكم لانزلون فيه حتى يجي الله بسلام عن ولد لاوى بن يعقوب اسمه موسى (ع) بن عمران، غلام طوال جعد، فيبناهم كذلك اذ قبل موسى (ع) يسير على بغلة حتى وقف عليهم فرفع الشيخ رأسه فعرفه بالصفة فقال له: ما اسمك؟ قال: موسى (ع)، قال: ابن من؟ قال: ابن عمران، فوثب اليه الشيخ فأخذ بيده فقبلها وثاروا الى رجله فقبلوه فاعرفهم وعرفوه واتخذ شيعه فمكث بعد ذلك ماشاء الله وقد ظن قوم فرعون به ودخل المدينة اى مصر او مدينة اخرى من ارض مصر [عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا] قيل: حين القيلولة، او بين المغرب والعشاء، او كان يوم عيد لهم وقد اشتغلوا بلعبهم وانما دخل على حين الغفلة لان موسى (ع) بعد كبره يركب فى موكب فرعون وجاء ذات يوم ليركب قيل له: ان فرعون ركب فركب فى اثره فلما كان وقت القائلة دخل المدينة ليقيم، وقيل: ان بنى اسرائيل كانوا يجتمعون الى موسى (ع) ويستمعون كلامه فاشتهر ذلك منه واخافوه وكان لا يدخل مصر الا حين غفلة اهلها، وقيل: ان فرعون بعد ما اشتهر ذلك منه امر باخراجه من البلد [فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ] اى يختصمان [هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَعَاثَ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى] بجمع كفه او بعصاه كما قيل [فَقَضَى عَلَيْهِ] فقتله [قَالَ] موسى (ع) [هَذَا] الاقتال او تعجيل قتله او هذا الكافر [مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ] لبنى آدم [مُضِلٌّ مُبِينٌ] لكن قوله تعالى [قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ] يدل على ان مقصوده ان هذا القتل الصادر منى من عمل الشيطان، وهذا لا ينافي ما عليه الشيعة من عصمة الانبياء فان الانبياء (ع) معصومون من المعاصي لا من ترك الاولى، وبعبارة اخرى انتههم معصومون من الذنوب التى هى ذنوب بالنسبة الى غيرهم لا من الذنوب التى هى ذنوب بالنسبة اليهم فان حسنات الابرار سيئات المقرئين، وتوبه الانبياء (ع) من اللاتفات الى غير الله فلا غرو ان يكون موسى (ع) عدوه فعله يعنى تعجيله فى قتل من استحق القتل من دون ملاحظة المفساد التى ترتب عليه ذنباً له واستغفر منه ونسب الظلم الى نفسه مع انه كان مستحقاً للقتل، وبعد ما فرغ من استغفاره لترك الاولى نظر الى قوته و [قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ] من القوة التى اقدر بها على القتل بوكيز [فَلَنْ أَكُونُ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ] كما صارت ظهيراً فى هذه الكرة [فَأَصْبَحَ] موسى (ع) فى اليوم الثانى [فِي الْمَدْيَنَةِ خَائِفًا] من فرعون وقومه لشياع خبر اجتماع السبطى عليه و شياع قتله القبلى [يَتَرَقَّبُ] الاخبار من فرعون وقومه فى حقه [فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِحُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ] قاتلت بالامس رجلاً وتقاتل اليوم الآخر [فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ] قيل: لما قال موسى (ع) انتك لغوى مبين هم ان يؤذيه وقال: لا وذيتك فلما اراد ان يبطش بالقبلى ظن السبطى انه اراد ان يبطشه فقال الاسرائيلى: اتريد ان تقتلنى (الى آخره) وقيل: قال القبلى ذلك [إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَأْتِرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ] وجاء رجل من أقصى المدينة [آخِرُهَا] يسعى يسرع فى السير وذلك ان خبر قتل القبلى وصل الى فرعون فتشاوروا فأمر فرعون بقتل موسى (ع) وبعث فى طلبه وكان الرجل ابن عم فرعون او ابن عم موسى (ع) وهو مؤمن آل فرعون كان مؤمناً وكان لا يمانه ستمائة سنة

وكان خازناً لفرعون وكان اسمه حزقيل، وقيل: شمعون وقيل: سمعان [قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَتَجَرَّوْنَ بِكَ] يتشاورون في اخذك وقتلك [لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ] من ارض مصر [إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ] في ديني ودنياي، ومدين لم يكن في سلطان فرعون وسمى باسم مدين بن ابراهيم، قيل: كان بينه وبين مدين مسيرة ثلاثة ايام، وقيل: مسيرة ثمانية ايام ولم يكن موسى (ع) يعرف الطريق ولذلك قال: عسى ربِّي ان يهديني سواء السبيل ولعله كان طالباً لشعيب (ع) واراد مدين لملاقاة شعيب، وقيل: انه لم يقصد موضعاً بعينه لكنه وقع على طريق مدين، وقيل: دله ملكك على طريق مدين [وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ] وهو بئر كانت لهم [وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ] لمواشيهم من البئر [وَوَجَدَهُمْ مِنْ كُوثِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ] تمنعان غنهما عن الماء [قَالَ مَا خَطْبُكُمَا] ما شأنكما تذودان اغنامكما عن الورد [قَالَتَا لَأَنْسُقِيَ] اغنامنا عند مزاحمة الناس [حَتَّى يُصْدِرَ الرُّعَاءُ] قرئ من باب الافعال ومن الثلاثي المجزؤ تنتظر فضول الماء فنسقي به ولا نقدر نحن على التسقي من البئر [وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ] لا يقدر على ان يتولى التسقي بنفسه [فَسَقِيَ] اغنامهما [لَهُمَا] قيل: رفع حجراً كان على بئر كان لا يقدر على رفع ذلك الحجر عنها الا عشرة رجال وسألهم ان يعطوه دلواً فناولوه دلواً وقالوا له: انزح ان امكنك وكان لا يترحمها الا عشرة فترحمها وحده وسقى لهما بدلو واحد وكان لم يأكل منذ ثلاثة ايام [ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ] وهو جائع [فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ] هو الجوع الذي به يطلب الانسان الغذاء وبالغذاء يكون بقاؤه وتعيشه ولولا الجوع لا يطلب الغذاء فلا يتيسر له التعيش والعبادة ويكون مريضاً محتاجاً الى المعالجة [فَقِيرٌ] اى محتاج الى الغذاء، قيل: سأل نبي الله (ع) فلق خبز يقيم به صلبه، وعن علي (ع): ما سأل الا خبزاً يأكله لانه كان يأكل بقله الارض لقد كانت خضرة البقل ترى من شفيف صفاق بطنه لهنز اله وتشذب لحمه فأجابه الله حيث سأل شعيب (ع) عن بنتيه بعد عودهما سبب سرعة عودهما فقصة له القصة فقال لاحديهما: ادعيه فذهبت اليه كما قال تعالى [فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ] بحيث لا يمكنه الكلام ولا المشي على ما ينبغي بين يدي الرجال [قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا] فلما قالت اجر ما سقيت لنا كره ذلك موسى (ع) واراد ان لا يتبعها ولكن لم يجد بداً من متابعتها لجوعه وخوفه فخرج معها وكانت الريح تضرب ثوبها فتبين لموسى (ع) عجزها، فجعل يعرض عنها مرة ويغض مرة فتأداها يامه الله كوني خلفي واربي الطريق بحصاة فانما من قوم لا ينظرون من ادبار النساء فلما دخل على شعيب (ع) اذا هو بالعشاء مهياً، فقال له شعيب: اجلس يا شاب فتعش فقال له موسى (ع): اعوذ بالله، قال شعيب (ع): ولم ذاك السكوت بجائع؟ قال: بلى ولكن اخاف ان يكون هذا عوضاً لما سقيت لهما وانا من اهل بيت لا نبيع شيئاً من عمل الآخرة بمال الارض ذهباً فقال له شعيب (ع): لا والله يا شاب ولكنها عادتى وعادة آباءى نقرى الضيف ونطعم الطعام، فجعل يأكل ثم قص قصته كما قال تعالى [فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ] شعيب [لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ] لان ارضنا ليست فى مملكته [قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ] لرعى الغنم [إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ] هذا [الْقَوِيُّ الْأَمِينُ] انى باسم الظاهر مقام الضمير للدلالة على وصفه اللذين هما سبب استيجاره قال شعيب (ع) اما قوته فقد عرفته برفع الحجر الذي لا يرفعه الا عشرة وباستقاء الدلو التي لا يستقيها الا عشرة فمن اين عرفت امانته؟ قالت:

اننى كنت قد آتاه فقال: كوني في خلفي ودليني على الطريق بالحصاة فاننا من قوم لا ينظرون في اعجاز النساء، فمن هذا عرفت امانته، فلما قالت ذلك زاده ذلك رغبة فيه و[قال اننى اريد ان اُنكِحك احدى ابنتي هاتين على ان تأجرني ثمانى حجاج فيان اتممت عشرًا فمن عندك وما اريد ان اشق عليك ستجدني ان شاء الله من الصالحين قال ذلك بيني وبينك ايما الاجلين قضيت فلا عدوان على والله على ما نقول وكيل] يعنى لاجل الستين جزء الصداق بل اجعلهما تفضلاً منك، قيل: لم يجعل ذلك مهرًا بل انكحها على مهر وجعل ذلك شرطاً، وقيل: بل جعل ذلك مهرًا، وما في اخبارنا يدل على انه جعل ذلك مهرًا؛ فعن الصادق (ع) ان علياً قال: لا يحل النكاح اليوم في الاسلام باجارة بان يقول: اعمل عندك كذا وكذا سنة على ان تزوجني اختك وابنتك قال: هو حرام لانه ثمن رقبته وهي احق بمهره، وبهذا المعنى اخبار أخر كثيرة، وورد في اخبارنا ان المنكوحه كانت صغراهما وهي التي قالت ان ابى يدعوك وقالت: يا ابي استاجرته وان موسى (ع) قضى اوفى الاجلين [فلما قضى موسى الاجل] في حديث قال موسى (ع) لشعيب (ع) بعد ما رعى له عشرين سنين: لا بد لي ان ارجع الى وطني وامى واهل بيتي فما لي عندك؟ فقال شعيب (ع): ما وضعت اغنامي في هذه السنة من غنم بلق فهو لك فعمد موسى (ع) عند ما اراد ان يرسل الفحل على الغنم الى عصاه فقشر منها بعضها وترك بعضها وغرزها في وسط مريض الغنم والقى عليها كساء ابلق ثم ارسل الفحل على الغنم فلم تضع الغنم في تلك السنة الا بلقاً فلما حال عليه الحول حمل موسى (ع) امرأته وزوجه شعيب (ع) من عنده وساق غنمه فلما اراد الخروج قال لشعيب (ع): ابني عصاً تكون معي وكانت عصى الانبياء (ع) عنده قدور ثمانية مجموعة في بيت فقال له شعيب (ع): ادخل هذا البيت وخذ عصاً من بين العصي فدخل فوثبت اليه عصا نوح و ابراهيم (ع) وصارت في كفه فأخرجها ونظر اليها شعيب (ع) فقال: ردّها وخذ غيرها، فردّها لياخذ غيرها فوثبت اليه تلك بعينها، فردّها حتى فعل ذلك ثلاث مرات، فلما رأى شعيب (ع) ذلك قال له: اذهب فقد خصصك الله عز وجل بها فساق غنمه فخرج يريد مصر فلما صار في مفازة ومعه اهله اصابهم برد شديد وريح وظلمة وجنهم الليل، فنظر موسى (ع) الى ناري قد ظهرت كما قال الله تعالى فلما قضى موسى الاجل (الآية) [وسار بأهله] وجنهم الليل وتفرقت ماشيته و اصابهم برد شديد وريح وابتليت زوجته بالطلق كما قيل [أنس من جانب الطور ناراً].

اعلم، ان الله اذا اراد بعبد خيراً ابتلاه أولاً بشدائد سدت جهات حيله وقطعت طرق رجاء خياله من غير الله حتى اضطر الى التوجه الى الله وسأله بلسان حاله اوقاله فيجيبه تعالى على حسب استعدادده واستحقاقه، لانه يجب المضطر اذا دعا بحاله اوقاله، كما اراد مقام الرسالة لموسى (ع) فابتلاه بظلمة الليل والسحاب والثلج والبرد وتفرقت الماشية ووضع حمل الاهل وعدم ظهور النار من زناده حتى انقطع جهات حيل خياله وطرق رجائه فاضطر الى التوجه الى جهة غيبه، فان موسى (ع) لما اضطر الى التوجه الى جهة غيبه ظهر له من جانب طور النفس الذي هو البقعة المباركة والجانب الايمن من النفس نور بصورة النار الظاهرة من الشجرة وقد ظهرت تلك النار وتلك الشجرة في جبل كان يسمى بالطور اوسى بعد ذلك بالطور، وقد مضى الاختلاف في محل ذلك الجبل فلما أنس من جانب الطور ناراً توجه الى اطمئن من استبحاشه ولما اطمئن من استبحاشه [قال لأهله امكثوا انى أنست ناراً] تسليه لها وتسكيناً لفرعها ووحشتها [لعلى اتيكم منها بخبر] اى بخبر الطريق او خبر النار وصاحبها او خبر من أنس به او خبر المعمورة [أو جذوة من النار] في الجذوة ثلاث لغات؛ بتثنية الجيم وقرئ بها وهي القطعة المشتعلة من النار والجمرة او الجذمة التي هي قطعة خشب متوقدة بالنار بعضها يكون ناراً وبعضها خشباً غير مشتعل [لعلكم تصطلون فلما اتىها

تُودِي مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ [أي اليمن موسى (ع) أو اليمن النفس أو هو وصف من اليمن بمعنى البركة] فِي
 الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ [كثيرة الخير لأنها كانت من الشام وبركة أراضي الشام ظاهرة، وكذا بركات طور النفس عن
 الصادق (ع) شاطئ الوادي الايمن الذي ذكره الله تعالى في القرآن هو الفرات، والبقعة المباركة هي كربلاء [مِنْ الشَّجَرَةِ]
 قِيلَ: كَانَتْ نَابِتَةً عَلَى الشَّاطِئِ [أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ] ذَكَرَ فِي الْحَدِيثِ: أَنَّهُ أَقْبَلَ نَحْوَ النَّارِ يَقْتَبِسُ
 مِنْهَا فَإِذَا شَجَرَةٌ وَنَارٌ تَلْتَهُبُ عَلَيْهَا، فَلَمَّا ذَهَبَ نَحْوَ النَّارِ يَقْتَبِسُ مِنْهَا هَوْتَ إِلَيْهِ فَفَزِعَ وَعَدَا وَرَجَعَتِ النَّارُ إِلَى الشَّجَرَةِ؛ فَالْتَفَتَ
 إِلَيْهَا وَقَدَرَجَعَتِ إِلَى الشَّجَرَةِ، فَرَجَعَ الثَّانِيَةً لِيَقْتَبِسَ فَأَهْوَتْ نَحْوَهُ فَعَدَا وَتَرَكَهَا، ثُمَّ التَفَتَ وَقَدَرَجَعَتِ إِلَى الشَّجَرَةِ فَرَجَعَ
 إِلَيْهَا الثَّلَاثَةَ فَأَهْوَتْ إِلَيْهَا فَعَدَا وَلَمْ يَعْقُبْ أَيُّ لَمْ يَرْجِعْ فَنَادَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِنَّ يَا مُوسَى (ع) إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ قَالَ مُوسَى:
 فَمَا الدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ؟ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَا فِي يَمِينِكَ يَا مُوسَى؟ قَالَ: هِيَ عَصَايَ، قَالَ: أَلْقِهَا يَا مُوسَى فَالْقِيَهَا فَإِذَا هِيَ
 حَيَّةٌ تَسْعَى، فَفَزِعَ مِنْهَا مُوسَى وَعَدَا؛ فَنَادَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: خُذْهَا وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ، وَقَدْ مَضَى وَجْهَ تَكَرُّرِ هَذِهِ
 الْقِصَّةِ أَكْثَرَ مِنْ سَائِرِ الْقِصَصِ، وَوَجْهَ اخْتِلَافِ الْأَلْفَاظِ الْمَكْرُورَاتِ لَكُونَ الْحِكَايَاتِ تَرْجُمَاتٍ لِلْمَحْكِيِّ، وَالتَّرْجُمَةُ تُؤَدِّي
 بِالْفَظِّ مُخْتَلِفَةً أَوَّلُ كَثْرَةِ السُّؤَالِ وَالْجَوَابِ وَالْأَقْوَالِ فِي الْمَحْكِيِّ وَقَدْ نَقَلَ فِي كَلِمَاتِهِ ذِكْرَ الْقِصَّةِ بَعْضُ مِنَ الْمَحْكِيِّ [وَأَنْ
 أَلْقِ] عَطَفَ عَلَى أَنْ يَا مُوسَى [عَصَاكَ] فَالْقِيَهَا فَصَارَتْ حَيَّةً حَيَّةً مُتَحَرِّكَةً [فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ] هِيَ
 الْحَيَّةُ الَّتِي تَكُونُ كَحَلَاءِ الْعَيْنِينَ لَا تُؤَدِّي [وَلَيْ مُدِيرًا] وَلَمْ يَكُنْ خَوْفُهُ (ع) مِنَ النَّارِ وَعَدْوُهُ مِنْهَا وَلَا خَوْفُهُ مِنَ الْحَيَّةِ
 نَقْصًا، بَلِ الْخَوْفُ مِنْهُ فِي مِثْلِ تِلْكَ الْحَالِ الَّتِي انْسَلَخَ فِيهَا مِنْ كُلِّ الْكُثْرَاتِ وَرَجَعَ إِلَى مَقَامِ الْوَحْدَةِ يَدُلُّ عَلَى كَمَالِهِ وَقُوَّةِ
 نَفْسِهِ فِي مَقَامِ بَشَرِيَّتِهِ لِعَدَمِ زَوَالِ كُثْرَاتِهِ وَعَدَمِ فَنَائِهِ عَنْ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ فِي مِثْلِ تِلْكَ الْحَالِ الَّتِي يَفْنَى كُلُّ مَنْ حَصَلَتْ لَهُ عَنْ
 جَمِيعِ كُثْرَاتِهِ وَعَنْ جَمِيعِ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ وَلَا يَحْفَظُ حَقَّ شَيْءٍ مِنْ كُثْرَاتِهِ، وَحَقُّ الْبَشَرِيَّةِ الْخَوْفُ وَالْفَرَارُ مِنَ النَّارِ الْمَحْرُوقَةِ مِنَ الْحَيَّةِ
 الْمَوْذِيَّةِ وَحَفَظَ حَقُوقَ الْكُثْرَاتِ فِي مِثْلِ تِلْكَ الْحَالِ مِنْ أَمْنٍ الدَّلَائِلُ عَلَى الْكَمَالِ، وَهَكَذَا الْحَالُ فِي طَلَبِ الدَّلِيلِ بَعْدَ سَمَاعِ
 أَنْتَى أَنَا اللَّهُ مِنَ الشَّجَرَةِ [وَلَمْ يَعْقُبْ] لَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى عَقْبِهِ أَوَّلًا يَرْجِعُ عَلَى عَقْبِهِ بِخِلَافِ حَالِ فَرَارِهِ مِنَ النَّارِ [يَا مُوسَى]
 قِيلَ أَوْ تُوْدِي يَا مُوسَى [أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ] مِنَ الْمَخَافِ [أَسْأَلُكَ يَدَكَ فِي حَبِيبِكَ تَخْرُجُ
 بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوٍّ] بِعَنَى مِنْ غَيْرِ عِلَّةِ الْبَرَصِ فَادْخُلَهَا فِي حَبِيبِهِ وَاخْرِجْهَا مِنْهُ فَاصْأَتْ لَهُ الدُّنْيَا [وَأَضْمَمُ إِلَيْكَ
 جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ] مِنْ أَجْلِ الرَّهْبِ حَتَّى يَسْكُنَ خَوْفُكَ فَانْ وَضَعَ الْيَدَ وَالْعَضِدَ عَلَى الْقَلْبِ يَعِينُ عَلَى سَكُونِهِ عَنْ
 اضْطِرَابِهِ [فَدَانُكَ] فَرَى بِتَخْفِيفِ التَّوْنِ وَتَشْدِيدِهَا [بُرْهَانَانِ] أَيِ أَحْيَاءِ الْعَصَا وَابْيَاضِ الْيَدِ نَاشِئَانِ [مِنْ رَبِّكَ]
 مُتَنَهِيَانِ [إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ] لَمَّا اسْتَفَادَ مُوسَى (ع) أَنْ انْتَهَاءَ الْبُرْهَانَيْنِ إِلَى فِرْعَوْنَ
 وَمَلَائِهِ لَيْسَ إِلَّا عَلَى يَدِهِ [قَالَ] فِي الْجَوَابِ اسْتِعْفَاءً أَوْ طَلِبًا لِلْمُظَاهَرَةِ بِهَارُونَ عَلَى مَاضِي عِنْدَقُولِهِ فَأَرْسَلَ إِلَى هَارُونَ
 مِنْ سُورَةِ الشُّعَرَاءِ أَنْ الظَّاهِرَانِ مُوسَى (ع) اسْتَعْفَى أَوَّلًا وَبَعْدَ رَدِّهِ عَنْ اسْتِعْفَائِهِ طَلَبَ الْمُظَاهَرَةَ بِأَخِيهِ [رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ
 مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ] وَأَخِي هَارُونَ هُوَ أَصَحُّ مِنِّْي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا [الرَّدَّ الْعَوْنَ
 وَالْمَادَّةَ وَالْعَدْلَ الثَّقِيلَ، وَقَرَى رَدًّا بِتَخْفِيفِ الْهَمْزَةِ يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ] وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فِي رَدِّهِمْ
 وَرَدِّعُهُمْ وَإِنْ أَتَيْتُ بِحُجَّةٍ فِي جَوَابِهِمْ بِلِسَانٍ غَيْرِ طَلِقٍ لَا يَقْبَلُوا مِنِّْي لِقَتْلِي مِنْهُمْ نَفْسًا وَغَيْظُهُمْ عَلَى [قَالَ] أَجَابَةً لِمَسْئَلِهِ
 [سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا] أَجَابَةً مِنْ مَسْئَلِهِ وَتَفَضُّلَ عَلَيْهِ بِالزِّيَادَةِ عَلَى مَسْئَلِهِ أَعْنَى وَعَدَ

النصر لهما وعدم وصول الضرر منهم اليهما [فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا] بضرر [بِأَيَاتِنَا] البأسية والظرف متعلق بلا يصلون او بالغالبون [أَنْتُمْ أَوْ مَنْ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ] فاطمان موسى (ع) بوعدته تعالى وذهب الى فرعون [فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ] الباء للتعدية او للمصاحبة والمراد بالآيات العصا واليد البيضاء وجمعهما لان في كل كان دلالات على صدقه في رسالته وتوحيد الله، والمراد هاتان مع الحجج الدالة على صدقه [قَالُوا] جهلاً وعناداً [مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ] قد مضى بيان السحر وتحقيقه في سورة البقرة عند قوله يعلمون الناس السحر [مُفْتَرًى] على الله [وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا] الذي ادعاه من توحيد الاله [فِي آيَاتِنَا الْأُولَى] وقرئ بغير واو [مُوسَى] بعدما انكروه وانكروا رسالته ولم يقبلوا معجزاته وحججه مستشهداً بالله وعلمه [رَبِّي] أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار [يعنى العاقبة المحموده كان العاقبة الغير المحموده ليست بعاقبة عرض بنفسه كأنه قال ربى اعلم بانى جنت بالهدى وان لى العاقبة المحموده فلا ابا الى بردكم وانكاركم [لَنَنْتَفِلِحُ الظَّالِمُونَ] حق العبارة ان يقول وبعن لا يجيء بالهدى ولا يكون له عاقبة الدار لكنه عدل اليه تعريضاً بهم واثباتاً لظلمهم ونفياً للهدى وحسن العاقبة عنهم بالبرهان كأنه قال : انه لا يفلح الظالمون بالهدى وحسن العاقبة وانتم ظالمون بانكار الله الذى هو خالق الخلق وعبادة غيره وانكار رسالتي [وَقَالَ فِرْعَوْنُ] بعد ما عجز عن الحجة وخاف عن المعارضة لاجل الحجة مقبلاً على قومه تخليطاً عليهم وتسكيناً لنفسه عن الخوف [يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي] هذا الكلام منه يدل على عجزه عن الحجة وغاية خوفه من موسى (ع) وعصاه حيث لم يدع الالهة لنفسه صريحاً ونفى علمه بالاله الذى ادعى موسى واطهر شركته الذى هو الاقرار بالعجز عن الحجة وهى كلمته الاولى التى اخذها الله تعالى عليه وكلمته الآخرة قوله : انار بكم الاعلى وكان بين الاولى والآخرة سنة كما نسب الى الخبر ولما ظهر عجزه عن الحجة وخوفه من موسى (ع) اراد التتمويه على قومه بان الاله الذى ادعاه موسى (ع) ان كان حقاً كان مثلى فى جهة ومكان وكان يمكن لى الوصول اليه فقال [فَأَوْقِدْ لِي آيَاهُمَا عَلَى الطَّيْنِ] لتحجير الطين، قيل : انه كان اول من عمل الآجر [فَأَجْعَلْ لِي صَرْحاً] قصرأعالياً الى عنان السماء [لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى] ولولم يكن مقصوده التتمويه ما تكلم بمثل هذا الكلام فانه كان حكيماً عالماً بانه لا يمكن بناء قصر يمكن الوصول منه الى السماء [وَأِنِّي لَا ظَنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ] فى الحديث فبنى هامان له فى الهواء صرحاً حتى بلغ مكاناً فى الهواء لا يتمكن الانسان ان يقوم عليه من الرياح القاتمة فى الهواء فقال لفرعون : لا تقدر ان تزيد على هذا فبعث الله عز وجل رياحاً فرمت به فاتخذ فرعون وهامان عند ذلك التآبوت على التفصيل الذى ذكر فى الاخبار [وَأَسْتَكْبَرُوا وَجُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ] مطلقاً او بعد رجوعه من الهواء زائداً على استكباره سابقاً، والاستكبار بغير الحق ما لم يكن بغير باء الله او بأمر الله مثل التكبر مع المتكبر [وَوَظَنُوا أَنَّهُمُ الْيَسَارَى لَيُرْجَعُونَ] بالبعث [فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ فَنَبَذْنَاهُ فِي الْيَمِّ] كما مر تفصيله وفيه تحقير لهم وتغنيهم لشأن الآخذ لان الله تعالى جعلهم مع كثيرهم مثل شيء يؤخذ بالكف وينبذ وجعل اخذ الآخذ فى السعة والعظمة بالنسبة الى كثرة جنوده مثل اخذ ما يؤخذ بكف [فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ] تعريض بالامة وظالمهم [وَجَعَلْنَا هُمُ أَيْمَةً] قدوة لجمع كثير والمعنى جعلنا جميعهم ائمة متبوعين لا هالى ممالكهم او جعلنا متبوعهم ائمة [يَدْعُونَ إِلَى التَّارِ] عن الصادق (ع) ان الائمة فى كتاب الله امامان قال الله تبارك وتعالى : وجعلناهم ائمة يهدون بأمرنا لا بأمر

الناس يقدمون امر الله قبل امرهم وحكم الله قبل حكمهم قال : [وَجَعَلْنَا هُمْ آيَةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ] يقدمون امرهم قبل امر الله وحكمهم قبل حكم الله يأخذون باهوائهم خلاف ما في كتاب الله عز وجل ، والمقصود من نقل هذا الخبر تنبيه نفسى وجملة الغافلين وتذكير اخوانى وجملة الطالبين بان تقديم امر الله على امر الناس يعنى على امر نفس العامل فانه من جملة امر الناس لا اختصاص له بائمة الهدى فقط ، بل كل فرد من افراد الناس امام لاهل مملكته وكل فعل يصدر منه اما المنظور فيه امر الله وحكمه قبل النظر الى امر نفسه وحكمها او المنظور فيه امر نفسه وحكم نفسه قبل النظر الى امر الله وحكمه ، فان كان الاول كان اماماً يهدى بامر الله لاهل مملكته قبل امر نفسه ، وان كان الثانى كان اماماً يدعو لاهل مملكته الى النار ، مثلاً اذا كان لك شريك فى قصعة تريد وكنت جائعاً ولم يكن الشريك كافياً لك ولشريكك او كان فى القصعة شيء لذيد ولم يكن اللذيد كافياً لكما وكان ارادتك ان لا تأكل ازيد من شريكك بل تريد ان تأكل مساوياً له او اقل بان تؤثره على نفسك ولم يكن مقصودك المراتاة او التمدح او غير ذلك من اغراض النفس كنت من القسم الاول ، وان لم تكن كذلك كنت من القسم الثانى ، فاوصيكم اخوانى ونفسى بعدم الغفلة عن ذكر الله عند فعلكم فانكم ان تكونوا منذ كثرين الله عند الفعل امكن لكم تذكر امر الله وتقديمه على امر انفسكم والا غلبتكم انفسكم وقد مت امرها على امر الله ولذلك قيل : اعلى مراتب الذكر تذكر امر الله ونهيه عند كل فعل وترك [وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ لَا يُنصَرُونَ] لان النصرت حينئذ محصور فى الله وهؤلاء لا اتصال لهم بالله بتوسط خلفائه لانكارهم الله وخلفائه [وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً] اللعنة الطرد من الرحمة وقول : اللهم العنهم ، وقوله تعالى فى هذه الحياة الدنيا ان كان حالاً من المفعول كان المعنى اتبعناهم طرداً من الرحمة اولعن التلاعنين حال كونهم فى هذه الحياة الدنيا وهذه اوفق بمقابلة ما يأتى وان كان متعلقاً باتبعناهم او باللعنة او حالاً من اللعنة كان المعنى اتبعناهم لعنة من غير تعرض بكونهم فى الدنيا اوفى الآخرة [وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ] كناية عن عدم شمول رحمته تعالى لهم ونزول نقمته بهم يوم القيامة [وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ] النبوة والرسالة واحكامهما او التوراة [مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى] مثل قوم نوح وهود وصالح وابراهيم وشعيب (ع) او المراد بالقرون قوم فرعون فاتهم كانوا اماماً عديدة اهلكوا بالغرق [بِصَائِرَ] جمع البصيرة بمعنى الحجة فانها ما به يبصر القلب ، وبصائر حال او بدل من الكتاب [لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ] نسب الى النبى (ص) انه قال : ما اهلك الله قوماً ولا قرناً ولا امة ولا اهل قرية بعذاب من السماء منذ انزل التوراة على وجه الارض غير اهل القرية التى مسخا اقرده الم تر ان الله تعالى قال : ولقد آتينا موسى الكتاب (الآية) [وَمَا كُنْتُ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ] اى بجانب الجبل الذى هو الطور او الوادى الذى فيه الطور الغربى منك (ع) فان الجبل على قول انه كان فى الشام كان غربياً بالنسبة الى مكة والمدينة والنسبة الى مصر ومدين ، والمعنى وما كنت بجانب الطرف الغربى من الطور [إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ] انهينا اليه امر النبوة حين استبشناه بعد الرجوع الى مصر او امر التوراة والواحا حين اعطيناه فى الطور او امر نور الولاية حين ائدك الجبل وخر موسى (ع) صعباً واهلك قوم السبعين فان الكل من الاخبار المغيبات التى لا تعلم الا بطريق الوحى او اخبار من شاهدها [وَمَا كُنْتُ مِنَ الشَّاهِدِينَ] لها حتى تعلمها بالشهود [وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا] اى لكننا اوحيناها اليك فتعلمها كما هو وليس من شهودك ولا من السماع ممن يشهدا ولا من اخبار من يخبرها صحيحاً لاننا انشأنا [قُرُونًا] اماماً كثيرة متتابعة [فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ] فلم يبق ممن شهدا احد ولم يبق ممن اطلع عليها من طريق الاخبار الصحيحة احد حتى يخبرك بها ، ولم يبق الاخبار على صحتها بل تغيرت وانحرفت فلم يكن علمك بها صحيحاً الا من طريق الوحى فالمستدرك فى الحقيقة هو وحى تلك الاخبار فحذف وادخل اداة الاستدراك على علّة اثبات

الوحي [وَمَا كُنْتَ ثَابِتًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ] قربة شبيب (ع) [تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا] الجملة صفة ثابوا أومستأنفة وعلى الاستيناف فالضمير المجرور لاهل مدين واهل مكة والمعنى انتك لم تكن في اهل مدين حتى يكون اخبارك عنهم عن شهود وليس يخبرك احدا بخبارهم الصحيحة لتطاول الازمنة واندراس الاخبار وتحريفها فليس اخبارك عنهم الا بالوحي الذى ليس الا للرسول [وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ] لك فإخبارك يكون بوحي منّا والمستدرك ههنا ايضا هو الوحي لكنه ادخل اداة الاستدراك على الارسال لانه المقصود من الابهاء اليه [وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا] موسى (ع) بندا انتى اننا الله او بالنداء الذى سمعه اصحابه السبعون او نادينا امتك وهم فى اصلاب الرجال وارجام النساء كما باتى [وَلَكِن] اخبارك ربك بذلك [رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ] بذلك الخير وليكون دليلا على رسالتك فتندر بعد ثبوت رسالتك [قَوْمًا مَا آتَيْهِمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ] لوقوعهم فى زمان الفترة واندراس آثار الانبياء (ع) السالفة [لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ] بسببهم ومعادهم وثوابهم وعقابهم عن النبى (ع) لما بعث الله عز وجل موسى بن عمران واصطفاه نجيا وقل له البحر ونجى بنى اسرائيل واعطاه التوراة والالواح رأى مكانه من ربه عز وجل فقال : رب لقد اكرمتنى بكرامة لم تكرم بها احدا من قبلى فقال الله جل جلاله : يا موسى اما علمت ان محمدا (ص) افضل عندي من جميع ملائكتى وجميع خلقى ، قال موسى (ع) : يا رب فان كان محمدا (ص) اكرم عندك من جميع خلقك فهل فى آل الانبياء اكرم من الى ؟ قال الله جل جلاله : يا موسى (ع) اما علمت ان فضل آل محمدا (ص) على جميع آل النبيين كفضل محمدا (ص) على جميع المرسلين ، فقال موسى (ع) : يا رب فان كان آل محمدا (ص) كذلك فهل فى امم الانبياء افضل عندك من امتى ؟ ظلمت عليهم الغمام ، وانزلت عليهم المن والسلوى ، وفلقت لهم البحر ؟ فقال الله جل جلاله : يا موسى اما علمت ان فضل امة محمدا (ص) على جميع الامم كفضله على جميع خلقى قال موسى (ع) : يا رب ليتنى كنت اراهم فأوحى الله عز وجل اليه : يا موسى لن تراهم وليس اوان ظهورهم ولكن سوف تراهم فى الجنان جنات عدن والفردوس بحضرة محمدا (ص) فى نعيمها يتقلبون وفى خيراتها يتجشون ، افتحبت ان اسمعك كلامهم ؟ قال : نعم آلهى ، قال الله جل جلاله : قم بين يدي واشدد مثرك قيام العبد الذليل بين يدي الملك الجليل ، ففعل ذلك موسى (ع) فنادى ربنا عز وجل : يا امة محمدا (ص) ؟ فأجابوا كلهم وهم فى اصلاب آبائهم وارجام امهاتهم : لبيك لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة والملك لك ، لا شريك لك ، قال : فجعل الله عز وجل تلك الاجابة شعارا للحاج ، ثم نادى ربنا عز وجل : يا امة محمدا (ص) ان قضائى عليكم ان رحمتى سبقت غضبى ، وغفوى قبل عقابى ، فقد استجبت لكم قبل ان تدعونى ، واعطيتكم من قبل ان تسألونى ، من لقينى بشهادة ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا (ص) عبده ورسوله صادق فى اقواله محق فى افعاله ، وان على بن ابي طالب (ع) اخوه ووصيه من بعده ووليّه ويلتزم طاعته كما يلتزم طاعة محمدا (ص) وان اولياءه المصطفين الطاهرين المطهرين الثابنين بعجائب آيات الله ودلائل حجج الله من بعدهما اولياؤه ادخله جنتى وان كانت ذنوبه مثل زبد البحر ، قال : فلما بعث الله محمدا (ص) قال : يا محمدا وما كنت بجانب الطور اذ نادى امتك بهذه الكرامة ثم قال عز وجل لمحمدا (ص) : قل : الحمد لله رب العالمين على ما اختصنى به من هذه الفضيلة ، وقال لامته : قولوا : الحمد لله رب العالمين على ما اختصنا به من هذه الفضائل [وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ] اى لولا كراهة ان تصيبهم مصيبة [بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ] بجهالتهم [فَيَقُولُوا] بعد ذلك اعتراضا علينا واعتذارا عن جهالتهم [رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا] فنعلم ان لك آيات [فَتَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ] فلم نصبنا تلك المصيبة بجهالتنا ما ارسلناك اليهم لعدم استعدادهم واستحقاقهم لرسول مثلك [فَلَمَّا

جاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا] اى الرسول اور رسالته او كتابه او معجزاته تاتتوا عنه واستكبروا عن قبول رسالته و [قَالُوا] ردًا لرسالته: [لَوْ لَا أُوتِيَ مِثْلُ مَا أُوتِيَ مُوسَى] من المعجزات الظاهرة من اليد والعصا و فلق البحر او من الكتاب جملة [أ] قبلوا من موسى (ع) [وَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلِ] يعنى ليس سؤالهم من محمد (ص) مثل ما اوتى موسى (ع) عن صدق نية و طلب دليل بل كان ذلك منهم محض تعنت واستكبار عن القبول فان اسلافهم لم يقبلوا من موسى (ع) وهؤلاء استأخهم فلو انى بمثل ما اوتى موسى (ع) لم يقبلوا ، او المعنى الم يكفر هؤلاء الموجودون من كفار قريش بما اوتى موسى (ع) [قَالُوا] اى الاسلاف [سَاحِرَانِ] يعنى موسى وهارون (ع) ، وقرئ سحران على المبالغة ، اوقال الموجودون محمد (ص) وموسى ساحران او كتابهما سحران [تَظَاهَرَا] تعاونا او تطابقا [وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ] منهما او بكل من الانبياء [كَافِرُونَ قُلْ] لهؤلاء الذين هم استأخ اسلافهم اولهؤلاء الموجودين : من كفار قريش [فَاتَّبَعُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا] من كتابى وكتاب موسى [أَتَبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ] فى ان موسى وهارون (ع) او محمد (ص) وموسى (ع) ساحران او كتابى وكتاب سحران [فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ] هذا من قبيل اياك اعنى واسمعى باجارة والافهوعالم بدون ذلك [إِنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ] وليس لهم صدق نية فى سؤالهم ولا برهان لهم فى انكارهم [وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ] يعنى لا اضل منه فان العبارة وان كان اعم من هذا المعنى لكنه لا يستعمل الا فيه فان كان لا اضل منه فلا حاجة معه [بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ] الباء للتبعية او للمصاحبة والظرف بيان لاتباع الهوى وانه لا يكون الا بغير هدى ، او تقييد بمعنى ان اتباع الهوى قد يكون مسببا من الهدى وامر الله وامر خلفائه (ع) ومصاحبا له ، وقد يكون مسببا عن غير امر الله وامر خلفائه ومصاحبا لغير امر الله فان كل الافعال الموافقة لمقتضيات النفوس يكون صاحبوها بوجه متبعين لأهوية انفسهم فان كانوا فى هذا الاتباع ناظرين الى امر الله وامر خلفائه كانوا متبعين لأهوية انفسهم بهدى من الله والا كانوا متبعين لأهويتهم بغير هدى قال الحذر الحذر اخوانى من الغفلة عن الامر الا الهى عند فعالكم حتى لا تكونوا مصاديق قوله تعالى : ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ، عن الكاظم (ع) فى هذه الآية يعنى من اتخذ دينه رايه بغير امام من ائمة الهدى ، وعن الصادق (ع) مثله [إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ] لتعليل لكون المتبع للهوى اضل الناس ، ولا اتباع الهوى بغير هدى من الله [وَلَقَدْ وَصَّلْنَا] جملة حالية واستدراك لما توههم من قوله ان الله لا يهدي القوم الظالمين انه تعالى اهلهم ولم يأت لهم باسباب الهداية يعنى اننا لانهديهم لعدم قابليتهم وقبولهم والافنح لنهم لمهم ووصلنا [لَهُمُ الْقَوْلُ] فى الاحكام والمواعظ والنصائح والعبر والمواعيد بل وصلنا لهم الاقوال الحقيقية الذين هم خلفاؤنا فى الارض وقد فسرفى الاخبار بامام بعد امام [لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ] مالههم وما عليهم فلا يتبعون الهوى بغير هدى من الله [الَّذِينَ أَتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ] اى من قبل محمد (ص) او من قبل القرآن [هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ] لاشك ان جميع اهل الكتاب ما آمنوا به ولا شك ان اكثر من آمن به لم يكونوا بالاوصاف الآتية فالمراد بهم الكاملون من مؤمنينهم فانهم الذين آتاهم الله الكتاب حقيقة كان غيرهم كان الكتاب فيهم عازية او المراد بهم الكاملون من امة محمد (ص) فانهم آتاهم الله كتاب النبوة واحكامها ومعرفة المعروف والمنكر من قبل قبول رسالة محمد (ص) تكويناً ، او المراد بهم الاثمة (ع) كما فى الاخبار فانهم الكاملون فى ان آتاهم الله الكتاب تكويناً من اول صباوتهم [وَلِذَا يُتْلَى] الكتاب اى احكام النبوة او اذا يلى القرآن [عَلَيْهِمْ قَالُوا أَمْثَلُ بِهِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا] لمانعرفه تكويناً من وجودنا

[إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ] أي من قبل قبول رسالة محمد (ص) أو من قبل القرآن ونزوله أو من قبل المثلوث وتلاوته [مُسْلِمِينَ] أولئك يُوْتَوْنَ أَجْرُهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا] الصبر حبس النفس على ما لم تصبر عليه من البلاء والمعصية والطاعة والمؤمن إذا آمن كان له اجر وإذا حبس نفسه على كتمه وعدم اذاعته في وقت يكون الاذاعة شيناً عليه وعلى صاحبه وعلى اخوته، او يكون الاذاعة سبباً للصيت والمراية كان له اجر اخر [وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ] يعني بحسنات اقوالهم وافعالهم واخلاقهم وعقائدهم سيئاتها او بالحسنة بالنسبة الى المسيء سيئة المسيء او بالتقية سيئة الكفار بالنسبة اليهم او الى صاحبهم واخوانهم او بالتقية الاذاعة وبالمداورة التبرز بالمعارضة مع الخلق، او بالحلم جهل الجاهل او بالحسنة من افعالهم البلايا التي قدّر عليهم او على غيرهم فانهم في الخلق امان لهم من البلايا، وفي الاخبار اشارة الى كل ذلك [وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ] قد مر في اول البقرة تفصيل تام لهذه الكلمة [وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ] اللغو كل ما لم يكن له غاية عقلانية دنيوية واخروية والعامل لا يركن الى ما لا غاية له عقلانية [وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ] يعني لا نعرضون لهم بالرد ولا انكار [سَلَامٌ عَلَيْكُمْ] سلام مودع متناكب [لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ] وصحبتهم لانهم كانوا اضداداً للجاهلين فهم بحالهم وقالهم يقولون: لا نبتغي مجالسة الجاهلين [إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ] هدايته او من كان محبوباً لك فكيف بغيره والجملة جواب سؤال ناش من سابقه كأنه (ص) قال: هل يكون هداية هؤلاء بسعي وانا اهديهم؟ او قال (ص): هل ابالغ في هداية ارحامي واحبابي؟ او جواب لسؤاله (ص) وجهده في هداية ارحامه خصوصاً على ما نقل من العامة انه نزل في ابي طالب (ع) ومبالغة محمد (ص) في ايمانه وعدم قبوله [وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ] هدايته او من كان محبوباً له [وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ] أي المستحقين للهداية وانت لا تعلمهم، اولست اعلم منه بهم او هو اعلم بمن اتصف بالهدى حقيقة وبمن قبل رسالتك عارية.

اعلم، انه نقل بطريق العامة ان الآية نزلت في ابي طالب (ع) وذكرنا اخباراً عديدة في حقه مشهرة بدمته وعدم اسلامه وذكر بعض الخاصة ايضاً بعضاً من اخبارهم التي لا يليق بشأنه فان جلالة شأنه (ع) اجل وامنع من ان ينفخها عقول الرجال فكيف بأصحاب البحث والجدال وارباب الظن والخيال لانه كما استفيد من الاخبار انور نوراً وافخم قدراً بعد الانوار الاربعة عشر من جميع الانبياء والاولياء (ع) وانه كان مستودعاً لودائع الوصاية من جميع الانبياء والاولياء (ع) التي ينبغي ان تسلم الى محمد (ص) الذي كان خاتم كل الانبياء (ع) وحامل ودائعه ينبغي ان يكون سنخاً له، وفي مرتبة الشرافة مناسباً له، وانه كان مربياً لمحمد (ص) من اول صباه بل كان مرضعاً له من ثدي نفسه مدة وانه اخبر كثيراً قبل ولادته وبعدها بولادته ونبوته وشفارته وانه كان من اوصياء عيسى (ع) وان كل الاوصياء ينبغي ان يكونوا راجعين اليه واخذين منه. روى في الكتب المعتمدة عن الكاظم (ع) انه سئل: اكان رسول الله (ص) محجوجاً بابي طالب (ع)؟ فقال: لا، ولكنه كان مستودعاً للوصايا فدفعها اليه، قيل: فدفع اليه الوصايا على انه محجوج به؟ فقال: لو كان محجوجاً به مادفع اليه الوصية، قيل: فما كان حال ابي طالب (ع)؟ قال: اقر بالنبى (ص) وبما جاء به ودفع اليه الوصايا ومات من يومه، ولولم يكن في حقه (ع) سوى هذا الخبر لكفى في الدلالة على جلالة شأنه وفخامة قدره لدلالته على انه كان مستودعاً للوصايا التي ينبغي ان تدفع الى محمد (ص)، وانه كان اذاها اليه ومات من يومه، وروى ان امير المؤمنين (ع) كان ذات يوم جالساً بالرحبة والناس مجتمعون اليه فقام اليه رجل فقال: يا امير المؤمنين (ع) انتك بالمكان الذي انزل لك الله به وابوك يعذب بالنار... فقال له: مه، ففسى الله فاك والذي بعث محمد (ص) بالحق نبياً لوشفع ابي في كل مذنب على وجه الارض لشفعه الله تعالى فيهم، لا يبي يعذب بالنار وابنه

في اسلام

ابي طالب (ع)

قسيم النار؟ ثم قال: والذي بعث محمداً (ص) بالحق ان نور ابي طالب (ع) يوم القيامة ليطفى انوار الخلق الا خمسة انوار: نور محمد (ص) ونوري ونور فاطمة (ع) ونور الحسن ونور الحسين (ع) ومن ولده من الاثمة (ع) لان نوره من نورنا الذي خلقه الله عز وجل من قبل خلق آدم (ع) بألفى عام [وَقَالُوا] عطف على قوله: قالوا انا بكل كافرون يعنى قال قريش او عشيرتك او ابوطالب (ع) على قول العامة [إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ] اى رسالتك [نُتَخَطَّفُ مِنْ أَرْضِنَا] روى عن امير المؤمنين (ع) انها نزلت فى قريش حين دعاهم رسول الله (ص) الى الاسلام والى الهجرة، وعن النبى (ص) انه قال: والذي نفسى بيده لا دعون الى هذا الامر الا بيض والاسود ومن على رؤس الجبال ومن فى لجج البحار، ولا دعون اليه فارس والروم فجبرت قريش واستكبرت وقالت لابي طالب: اما تسمع الى ابن اخيك ما يقول والله لو سمعت بهذا فارس والروم لا اختطفتنا من ارضنا ولقلعت الكعبة حجراً حجراً، فأنزل الله تعالى هذه الآية [أَوَلَمْ نُمْكِّنْ لَهُمْ] اى الم نرزقهم فى حال كفرهم من كل ما يرزق مع ان مكانهم واد غير ذى زرع ولم نجعل لهم [حَرَمًا آمِنًا] ذا امن او آمناً ساكنوه مكاناً ومحملاً لسكناهم فكيف يكون حالهم اذا كانوا موحدين مستحقين لكرامتنا [يُجِيبُ] اى يجمع [إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ] لم يقل كل نبات لقصد تعميم الثمرات لكل خير ومال فانه لا اختصاص لجمع الاشياء اليه بالفواكه بل يجيب اليه كل ما يحصل من النباتات والاشجار والانعام والصنائع وانفس الانعام بل يجيب اليه ثمرات القلوب وخيرات الآخرة ولذلك قال تعالى [رَزَقًا مِنْ لَدُنَّا] يعنى ان الثمرات الدنيوية وان كانت رزقاً من الارض لكن ثمرات الآخرة والقلوب من ارزاقنا اللدنية، وكذلك بركات ثمرات الارض وما كان منها رزقاً للارواح [وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ] ان ذلك لهم من فضلنا وحكمتنا وقدرتنا وينسبون ذلك الى انفسهم واكثرهم لا علم لهم [وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ] عطف على قوله اولم نمكن وجمع بين الوعد والوعيد والترغيب والترهيب [بَطَرَتْ مَعِيشَتُهَا] بطراهلها السعة معيشتها [فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ يَمْسُكْنِ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا] من سوء افعالهم فاتقوا يا اهل مكة مثل افعالهم [وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ] لمسكنهم واموالهم واجسادهم وارواحهم [وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى] اى ما كان فى سجيته ان يهلك القرى من دون تنبيه لهم وتذكير فلا يهلكها [حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ] قريتها العظيمة التى كان رجوع الكل اليها [رُسُولًا] وهذا على الغلب والافقد بعث الله بعض الرسل (ع) من الراسين وكانوا لا يخرجون منها ويكون رجوع القرى العظيمة اليها، وعلى الاشارة الى التأويل فان الرسل (ع) اينما كانوا واينما بعثوا كانوا اصل القرى الانسانية ومرجعها ومعظمها وكان الرسول الذى هو اللطيفة الانسانية التى اتصفت بصفات الروحانيين يبعث اولاً فى تلك القرية العظيمة التى هى مملكة وجود الرسول (ع) ثم يبعث منها الى سائر القرى الانسانية [يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا] التدوينية والآفاقية واحكامنا التى هى لوازم الرسالة [وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ] بتكذيب الرسل (ع) وسائر انواع الظلم والكفر واصل الكل انكار الرسل (ع) [وَمَا أَوْتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا] هذا جمع بين التزهيد والتشويق كما ان الاول كان جمعاً بين الانذار والتبشير [وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ] مما اوتيتم يعنى ان كان ما اوتيتم خيراً باعتقادكم فما عند الله خير منه، اولفظ الخير مجرد عن معنى التفضيل والا فلانسبة بين ما عند الله وما عندكم [وَأَبْقَى] مما عندكم على اعتقادكم [أَفَلَا تَعْقِلُونَ] ذلك او لا يكون لكم عقل فتتركون ما عند الله وتأخذون ما عندكم [أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْداً حَسَناً] تأكيد للتزهيد والتشويق [فَهُوَ لَا قِيَّةَ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا] الذى لا بقاء له ويكون لذته مشوباً بالالم وراحته بالتعب وغناه

بالحاجة ويكون عاقبته الحسرة والتندامة [ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مِنَ الْمُخْضَرِينَ] للحساب او العقاب [وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ] عطف على يوم القيامة او بتقدير اذ كر او ذكرا او متعلق بقوله قال الذين حق عليهم القول [فَيَقُولُ] للمشركين [أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ] انهم شركائي من الاصنام والكواكب والاهوية والوسائل وشركاء الولاية في كل عصر وزمان [قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ] من مدعى الربوبية ومن مدعى الولاية والرسالة ومن جعلهم المشركون شركاء الله وشركاء الولاية لكن المنظور شركاء الولاية [رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا] اشارة الى المشركين والاتباع [أَغْوَيْنَاهُمْ] بصرفهم عنك اوعن ولي امرهم [كَمَا غَوَيْنَا] بانفسنا [تَبَرَأْنَا إِلَيْكَ] منهم فانهم كانوا اعداء لنا وكننا نظنهم احباباً [مَا كَانُوا إِلَّا نَارًا يَحْبُودُونَ] بل كان معبودهم ومطاعهم اهويتهم [وَقِيلَ] للاتباع [ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ] في الولاية والطاعة اوفى الربوبية [فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ] لعجزهم عن الجواب واشتغالهم بانفسهم [وَرَأَوْا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهِتَدُونَ] استيناف بصورة التمتنى واطهاراته ينبغي ان يتحسر عليهم ، او حال بتقدير القول اى مقولاً فيهم لو انهم كانوا يهتدون الى الولاية لما كانوا في العذاب [وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ] عطف على سابقه [فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ] في دعائهم ايتاكم الى الله والى قبول رسالتهم والمراد بالمرسلين اعم من الرسل وخلفائهم [فَقَعِمْتَ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ] من المعامى والاعماء الاراضى التى لا اثر لها ولا علامة فى الاذهان ولا عمارة فيها ، شبه الاخبار بالاراضى وانما حانها عن قلوبهم بعدم العلامة وعدم العمارة فيها ، او هو مقلوب عموماً عن الاخبار للاشعار الى انقلاب احوالهم كآتهم لا يميزون بين ان يقال عموماً عن الاخبار او عمت عليهم ، ولا يهام ان عماهم لشدة سرى الى الاخبار [يَوْمَئِذٍ لَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ] لان التساؤل لا يكون الا بعد بروز آثار الاخبار فى الاذهان [فَأَمَّا مَنْ تَابَ] عن شركه بالربوبية اوعن شركه بالولاية وتاب على يد ولي امره [وَأَمِنْ] بقبول ولايته فى ضمن بيعته فان الفلاح محصور على من قبل ولاية على (ع) بالتوبة على يده او يد خلفائه والبيعة معه [وَعَمِلَ صَالِحًا قَلْعًا عَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ] الاتيان باداة الترحى على عادة الكبار وقد مضى مكرراً ان الترحى من الله واجب ، او المعنى عسى من تاب ان يكون من المفلحين فان الثابت ليس من قبله الا رجاء الفلاح [وَرَبُّكَ] لا غيره فان التقديم للحصر [يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ] لان غيره عاجز عن حفظ نفسه بعد ما خلقه الله فكيف يخلق غيره وحفظه [وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ] اى الاختيار او المختار فان الخيرة اسم مصدر تستعمل فى المختار ايضاً لان غيره جاهل بما هو خير له لا يميز خيره عن شره عنده ولا يعلم ما ل حاله ومختاره فلا يمكنه اختيار ما هو خير له والآيات تعريض بالامة واشراكهم بعلى في الولاية واختيارهم بآرائهم اماماً لانفسهم وان كان نزوله فى غيرهم ، واعراب قوله وربك يخلق (الآية) ان الواو حالية والجملة حال من الجمل السابقة ويختار اماماً عطف على يشاء وحينئذ يكون لفظة ما نافية او موصولة بدلاً من ما يشاء ، او عطف على يخلق وما نافية او موصولة [سُبْحَانَ اللَّهِ] انشاء تسبيح او اخبار تنزيه او كلمة تعجب وتعجب وعلى اى تقدير المقصود ان الله فى مظهره الذى هو على (ع) منزّه [وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ] فى الولاية والمخالفة وما فى عما يشركون مصدرية او موصولة وفى الاخبار اشارات الى هذا التعريض والتأويل من اراد الاطلاع فليرجع الى المفصلات من كتب التفاسير والاخبار [وَرَبُّكَ] لا غيره [يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا

يُعْلِنُونَ] قد تكرر فيما مضى ان مكنونات الصدور تصدق على الارادات والعزمات والخيالات والخطرات ولكن المكنونات حقيقة هي القوى المكمونة في النفوس التي لم يطلع عليها صاحبها ولم يعلم بها الا الله والامن كان من الله ، واما ما كان من قبيل الخطرات والخيالات فهو معلن لصاحبه وللملائكة الموكلة به وهذه الجملة عطف في معنى التعليل فان اختيار الخيرة لا يتأتى الا ممن يعلم القوى المكمونة التي لا ظهور لها لا لصاحبها ولا لغيره [وَهُوَ اللَّهُ] عطف وكالنتيجة لسابقه فان الذي كان محصوراً فيه خلق ما يشاء واختيار الخيرة لكل مخلوق وعلم الجليات والخفيات كان محصوراً فيه الآلهة ، واستحقاق العبادة وجميع اضافات المبدئية وجميع الصفات المحمودة لكل محمود في الدنيا والآخرة لكونه مبدء لها وكون فاعل الشيء ما ولي به من قابله فكانت قال فهو الله [لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى] في الدار الاولى والدار الآخرة اوفى النظرة الاولى التي لا نظرفيها الا الى المخلوق لان الخالق هو الذي يكون ظاهراً في المخلوق بصورته فما ينسب الى المخلوق في النظرة الاولى فهو منسوب الى الخالق وفي النظرة الآخرة التي ينفى فيها كل تعين ومهيبة ويبقى فيها الخالق بخالقيته [وَلَهُ الْحُكْمُ] فيها [وَالِيَهُ تُرْجَعُونَ] بعد العود اوفى نظر البصير لان الكل في نظره يرجع بوجوده وافعاله واوصافه الى الله بمعنى ان البصير يرى وجود الكل وجوداً لله ظاهراً بصورته وكذا افعاله واوصافه [قُلْ أَرَأَيْتُمْ] قد مضى في سورة الانعام بيان لهذه الكلمة عند قوله تعالى: قل ارايتكم ان اتاكم عذاب الله [إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَداً] دائماً طويلاً [إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ] لما كان المقصود من النهار الضياء الذي به يبصرون ويتعشون اتي موضع النهار بالضياء [أَفَلَا تَسْمَعُونَ] ولما كان الضياء بنفسه مطلوباً ونافعاً ويكون طلب المكاسب والمعاش بسبب الانتفاع به لم يأت بوصف للضياء مثل قوله [قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ] لما كان العنوان في القرن الاول الليل وكان المناسب لعنوان الليل السماع دون الابصار اتي هناك بقوله افلا تسمعون توبيخاً او تقريراً لسماعهم بخلاف القرن الثاني فان العنوان فيه النهار والمناسب له الابصار وايضاً لما كان السماع اشارة الى مقام التقليد والابصار الى مقام التحقيق كما قال تعالى: ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب اى بصيرة قلبية بها يبصر الاشياء كما هي، اولقى السمع يعنى في مقام التقليد والمتابعة كان المناسب لليل السماع المشار به الى مقام التقليد وللنهار الذي هو محل الابصار وسبب الشهود الذي هو التحقيق الابصار الذي هو سبب التحقيق [وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ] عطف على ارايتهم ونتيجة لسابقه [لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ] لف ونشر مرتب [وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ] اى لعلكم تتنبهون نعمه العديدة المندرجة في اختلاف الليل والنهار وان في اختلافهما حيوة كل ذى حيوة وبقاء ونماء كل ذى نماء وكماله، وانه لولا اختلافهما لما وجد من المواليد شيء فتشكروا تلك النعم المندرجة في اختلافهما، وتشكروا نفس تلك النعمة التي هي الليل والنهار [وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ] لما كان المقصود من هذه الآية التعريض بالامة واشراكهم بالولاية وكان اصل الدين والتوحيد توحيد الولاية واصل الالحاد والكفر والاشراك الكفر والاشراك بالولاية كررها بالفاظها وبغير الفاظها [وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً] ولما كان المقصود التعريض بالامة فسروا هذه الآية بفرق امة محمد (ص) وبامامهم الذي هو من آل محمد (ص) وهو شهيد عليهم [فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ] على اشراككم [فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ] في مظاهره الذين هم شهداؤه عليهم [وَضَلَّ عَنْهُمْ] ما كانوا يفترون من انتمهم الباطلة والاثبات بالافعال المذكورة

ماضيات للإشارة الى تحقق وقوعها [إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى] استئناف جواب لسؤال ناش من سابقه من حيث تعرضه كأنه قيل: الا ينفعهم إيمانهم بمحمد (ص) بعد انكارهم لعلي (ع)؟ فقال تعالى: بغيرهم على علي (ع) ذهب بإيمانهم وبما عملوا في إيمانهم لان قارون كان من قوم موسى (ع) [فَبَغَى عَلَيْهِمْ] ولم ينفعه كونه من قوم موسى (ع) وخسف به الارض ببغيه [وَأَتَيْنَاهُمُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ] جمع المفتاح بالكسر بمعنى المفتاح او جمع المفتاح كمخزن بمعنى الخزانة والكثر [لَتَنْوُوا بِالْعُصْبَةِ] ناء بالحمل نهض به مثقلاً وناء به الحمل انقله والعصبة بالضم من الرجال والخيول والطير ما بين العشرة الى الاربعين ، وقيل: ما بين العشرة الى خمسة عشر ، وقيل: اربعون رجلاً ، وقيل: ما بين ثلاثة الى العشرة ، وقيل: الجماعة المطلقة عن تعيين العدد [أُولَى الْقُوَّةِ] وهذا ايضاً تعريض بالامة ومترفها ومن يفرح بما آتاه الله ويتأنف عن خلفائه (ع) يظن ان النعمة له باستحقاقه من دون ظن الاستدراج بها [إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ] متعلق بقوله بغى عليهم اوبآتيناه [لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ] بانفاقها على مستحقها وفي سائر مصارف البر [وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ] الاخرى [مِنْ الدُّنْيَا] اى مما آتاك الله فى الدنيا اومن امتعة الدنيا من الاموال والقوى والمدارك والصحة والفراغ والشباب وغير ذلك بان تأخذ من جميع ذلك ما ينبغي ان يؤخذ للآخرة او المعنى لانس نصيبك الذى انت محتاج اليه فى دنياك بان تنفق كل ما آتاك الله من الدنيا فيكون على المعنى الاول تأكيد لقوله: وابتغ (الآية) وعلى الثانى يكون تأسيساً وامراً بالتوسط بين التذبير والتفتير [وَأَحْسِنْ] الى العباد او فى اعمالك او احسن النعمة بالشكر لها وصرفها فيما خلقت لها اوصر حسناً [كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ] بتوفير نعمه [وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ] عن الصادق (ع): فساد الظاهر من فساد الباطن ، ومن اصلح سريره اصلح الله علانيته ، ومن خان الله فى السر هتك الله ستره فى العلانية ، واعظم الفساد ان يرضى العبد بالغفلة عن الله تعالى ، وهذا الفساد يتولد من طول الامل والحرص والكبر كما اخبر الله تعالى فى قصة قارون فى قوله : ولا تبغ الفساد فى الارض ان الله لا يحب المفسدين وكانت هذه الخصال من صنع قارون واعتقاده ، واصلها من حب الدنيا وجمعها ومتابعة النفس وهواها ، واقامة شهواتها وحب المحمدة وموافقة الشيطان واتباع خطواته ، وكل ذلك مجتمع تحت الغفلة عن الله ونسيان منته ، والمقصود من نقل هذا الخبر تنبيه نفسى وجميع اخوانى ، فاننا قلتما تنفكك عن الغفلة التى هى اصل كل فساد ومنيع كل شر ، وفقنا الله وجميع المؤمنين لذكره وعدم الغفلة عنه [قَالَ] استنكافاً عن قبول قولهم واعجاباً بنفسه [إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي] يعنى اورده الله على علم وكما لى عندى فلم لا افرح به وابذله على من لم يكن له هذا الكمال ؟! او المعنى اوتيته حال كونى مشتملاً على عندى خاص بى وهو العلم بوجوه المكاسب وتحصيل الارباح ، او حال كونى مشتملاً على علم خاص بى هو علم الكيمياء كما قيل ، وقيل: ان موسى (ع) علم قارون شيئاً من الكيمياء وعلم ابنه شيئاً وعلم يوشع (ع) شيئاً فخذعهما قارون وتعلم منهما ما علمهما موسى (ع) من ذلك [أَوَلَمْ يَعْلَمْ] تعريض بالامة وبطهرهم واعتمادهم على الحياة الدنيا ومتاعها يعنى الم يعلم ان حيوته ووجوده ليس باختياره فكيف باعراضه الدنيوية التى لانسبة بينه وبينها الا محض الاعتبار الذى اعتبره العرف والشرع ، والم يعلم [أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا] للمال والاولاد والقوى والخدم والحشم [وَلَكِنْ] لا يسأل عن ذنوبهم المجرمون [يعنى ان الله اذا اراد ان يذنب العبد بسبب سوء استحقاقه اعماه عما يبصر قبح ذنبه وسوء عاقبته فاوقعه فى الذنب فلا يسأل عن سبب ذنبه لان الله اوقعه عليه بسبب سوء استعداد الذى لا يعلم هو به ، او المعنى لا يسأل المجرمون عن ذنوبهم حتى

يعتذروا عنها ويجيبوا مثل قوله تعالى: فيومثد لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان او المعنى لا يسأل المجرمون الماضون عن ذنوب هؤلاء الحاضرين كما قيل، ولما كان الاعراض الدنيوية لارباب النفوس واهويتها موروثة للاستكبار والاعجاب بالنفس وتحقير العباد صار قارون المبتلا باهوية النفس معجبا بنفسه متكبرا على غيره [فمخرج على قومه في زينته] قيل: انه خرج على بغلة شهباء عليه الارجوان وعليها سرج من ذهب ومعه اربعة آلاف على زينة [قال الذين يريدون الحيوة الدنيا يا ليت لنا مثل ما اوتى قارون] كما هو عادة اهل الدنيا في كل زمان [انه لئذ وحظ عظيم] كان ما هو فيه في نظرهم من اعظم النعم لغفلتهم عن انه مستعقب للزوال والعقاب وحرمان ما اعده الله لعباده في الآخرة [وقال الذين اوتوا العلم] بالدنيا واعراضها وآفاتنا والآخرة وعقابها وثوابها ودرجاتها [ويلكم ثواب الله] في الدنيا بحصول الالتذاذ بمناجاته والفراغ من الاشتغال بمتاعب الدنيا وحرصها وآمالها وفي الآخرة بما اعده لعباده [خير] مما ترونه على قارون من زينة الدنيا فانه معرض للزوال وصاحبه محل للآفات والبلايا والمكاره والغموم [لئن امن] بالتوبة والبيعة على ايدي خلفائه (ع) ايمانا عاما او ايمانا خاصا بالبيعة الخاصة الولوية [وعمل صالحا ولا يلقىها] اي هذه الموعظة او هذه الكلمة [الا الصابرون] عن الدنيا وآمالها فان المبتلى بالدنيا وآمالها يكون اصم من النصائح والمواعظ الاخرية [فحسبنا] بشوم عمله وسوء اعجابه بنفسه [به ويداره الارض] روى ان موسى (ع) باهكته باخيه هارون (ع) وبنه فحسب به وبأهله وماله ومن وازره من قومه، وقيل: دعا قارون امرأة من بنى اسرائيل بغيا فقال لها: انتى اعطيك الفين على ان تجيى غدا اذا اجتمعت بنو اسرائيل عندى فتقول: قد راودنى موسى (ع) فأعطاها اخر يطين عليهما خاتمه فلما جاء بيتها دنت وقالت: ما بقى لى الا ان افترى على نبي الله (ع) ؟ فلما اصبحت اقبلت ومعها الخريطتان حتى قامت بين بنى اسرائيل وقالت: ما قالها قارون وقالت: معاذ الله ان افترى على نبي الله (ع) وهذه دراهمه عليها خاتمه ، فغضب موسى (ع) فدعا الله عليه فحسب به وبداره الارض ، وقيل: كان قارون ممن يحبه موسى (ع) ، وكان يقرء التوراة مع القوم في الشيء ، وكان احسن صوتا منهم ، فلما طال التيه على القوم ودخلوا في التوبة والبكاء امتنع قارون من الدخول معهم في التوبة فدخل عليه موسى (ع) فقال له : يا قارون قومك في التوبة وانت قاعد ههنا ؟ ادخل معهم ولا يتزل بك العذاب فاستهان به فخرج موسى (ع) من عنده مفتما ، فجلس في فناء قصره فأمر قارون ان يصب عليه رماد قد خلط بالماء فصبت عليه فغضب موسى (ع) غضبا شديدا وكان في كتفه شعرات كان اذا غضب خرجت من ثيابه وقطر منها الدم فقال موسى (ع) : يارب ان لم تغضب لى فلست لك بنى فأوحى الله عز وجل اليه : قد امرت الارض ان تطيعك فمرها بما شئت ، وقد كان قارون قد امر ان يغلط باب القصر فأقبل موسى (ع) فأومى الى الابواب فانفجرت ودخل عليه فلما نظر اليه قارون علم انه قد اوتى بالعذاب فقال : يا موسى اسألك بالرحم الذى بينى وبينك فقال له موسى (ع) : يا ابن لاوى لاتر دنى من كلامك ، يا ارض خذيه فدخل القصر بما فيه فى الارض ودخل قارون فى الارض الى ركبته ، فبكى وحلقه بالرحم ، فقال له موسى : يا ابن لاوى لاتر دنى من كلامك ، يا ارض خذيه فاتبليه بقصره وخزائنه ، وهذا ما قال موسى (ع) لقارون يوم اهلكه الله عز وجل فعيره الله عز وجل بما قاله لقارون فعلم موسى (ع) ان الله تبارك وتعالى قد عيره بذلك فقال : يارب ان قارون دعانى بغيرك ولو دعانى بك لاجبته فقال الله عز وجل : يا ابن لاوى لاتر دنى من كلامك ، فقال موسى (ع) : يارب لو علمت ان ذلك لك رضى لاجبته فقال الله : يا موسى وعزتى وجلالى وجودى ومجدى وعلو مكانى لو ان قارون كمادعاك دعانى لاجبته ولكنك لمادعاك وكلته اليك ، وعن الباقر (ع) ان يونس (ع) لما آذاه قومه الى ان قال : فألقى نفسه فى اليم فالتقمه الحوت فطاف به البحار السبعة حتى صار الى

البحر المسجور وبه يعذب قارون فسمع قارون دوتاً^(١) فسأل الملك عن ذلك فأخبره أنه يونس إن الله حبسه في بطن الحوت فقال له قارون: أتأذن لي أن أكلّمه؟ فأذن له فسأله عن موسى (ع): فأخبره أنه مات فبكى ثم سأله عن هارون (ع) فأخبره أنه قدم مات فبكى وجزع جزعاً شديداً، وسأله عن أخته كلثم وكانت مسمّاة له فأخبره أنها ماتت فبكى وجزع جزعاً شديداً، قال فأوحى الله إلى الملك الموكل به أن: ارفع عنه العذاب بقية أيام الدنيا لرفقته على قرابته [فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ] بنفسه فاحذروا يا أمة محمد (ص) من البغي على من نصبه الله اماماً للعباد واحذروا من الاستكبار والاختيال بما آتاكم الله من الاموال والجاه واحذروا من الاختيال بالزينة والثياب الفاخرة، وفي خبر: ونهى أن يختال الرجل في مشيته، ومن ليس ثوباً فاخترال فيه خسف الله به من شفير جهنم وكان قرين قارون لأنه أول من اختال فخسف الله به وبداره الأرض [وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ] بعد خسفه [وَيَكَانَ اللَّهُ] وي كلمة تعجب مثل ويك ويستعمل أيضاً بمعنى الويل وتدخل على كان مخففة ومشددة فهنا يحتمل أن يكون ويكان مركبة من وي وكان وان يكون مركبة من ويك وان بمعنى التعجب وان يكون من وي وكاف الخطاب وان، وان يكون من ويك مخفف ويلك وان، وإذا كان ان مفصلاً فليقدر مثل اعلم قبلها حتى يكون عاملها [يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ] وليس بسط الرزق وتقديره بمشيئة العباد كما قال قارون وللهوان اوكرامة من الله [لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا] بعدم اعطائنا مثل ما اعطى قارون كما كنا نتمناه [لَخَسَفَ بَنَاهُ وَيَكَانَهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ] مثل قارون [تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ] جواب لسؤال ناش من السابق كأنه قيل: فمن ينجو من العذاب ومن يدخل الجنّات؟ فقال: تلك الدار الآخرة [نَجْعَلُهَا] مقراً [لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلوّاً فِي الْأَرْضِ] لأن المستعلى في الأرض منازع على، والمنازع لي لا يدخل داري [وَلَا فُسَاداً] لأن المفسد مودّ لعبادي وخلقى [وَالْعَاقِبَةُ] الحسنى [لِلْمُتَّقِينَ] من ذلك اول من كان شيعته التقوى عن جميع ما ينهى ان يتقى منه [مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا] جواب سؤال آخر كأنه قيل: فما حال من جاء بالحسنة ولم يكن من المتقين؟ ومن جاء بالسيئة ولم يكن من المرئيين للعلو والفساد؟ [وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ] أي نفس ما كانوا يعملون على تجسيم الاعمال اوجزاء ما كانوا يعملون [إِنَّ الَّذِي قَرِصَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ] أي عيّن عليك او فرض اوسن عليك العمل بما فيه من اعماله واخلاقه [لَرَأَدُكَ إِلَىٰ مَعَادٍ] أي الى مكة فان المعاد هو المحل الذي كنت فيه ثم خرجت منه وارتدت العود اليه .

اعلم، ان القرآن اسم لمقام الجمع ولما كان كتاب محمد (ص) مصدّره مقام الجمع الذي هو مقام المشية التي هو مقام الجمع المطلق والبرزخ بين الوجوب والامكان ومجمع بحرى الوجوب والامكان سمّاه الله تعالى بالقرآن، وفرض القرآن على محمد (ص) عبارة عن ايصاله الى ذلك المقام الذي لم يصل اليه احد من الانبياء (ع)، ولما كان محمد (ص) مبدء نزوله هذا المقام بضد على هذا المقام أنه معاد محمد (ص)، ولما كان محمد (ص) محيطاً بالكل وله مقام في الدنيا ومقام في نفوس العباد فاذا خرج من الدنيا صبح ان يقال اذا عاد اليها: انها معاده، وكذا نفوس العباد فصبح التفسير بان الذي فرض عليك العمل بالقرآن لرادك الى مكة، وصح التفسير بان الذي عيّن واثبت عليك مقام الجمع لرادك الى ذلك المقام او الى الدنيا او الى نفوس العباد حين احتضارهم وحين حسابهم كما اشير اليها في الاخبار والاوال، وعن السجّاد (ع) انه قال: يرجع اليكم نبيكم (ص) وامير المؤمنين (ع) [قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى] ما يهدي

به الى الجنة ونعيمها اوالى الله وقر به من الاعمال الحسنة او من جاء بوصف الاهتداء الى الدين وهذا جواب لادعاء كان مذكوراً فانهم كثيراً كانوا ينسبون محمداً (ص) الى الضلال اوجواب لسؤال ناش من قوله : من جاء بالحسنة فله خير منها (الآية) كأنه قيل : من الذى يجيء بالحسنة ؟ ومن الذى يجيء بالتسيسة ؟ - [وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ] وخالف بين الفقرتين لايهام ان الضلال واقف في جهنم نفسه ، والمهتدى مهاجر من دار شركه الى ربه [وَمَا كُنْتَ] عطف باعتبار المعنى فان المقصود من قوله : قل ربى اعلم (الآية) تسليته كأنه قال : انت على الهدى وما كنت [تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ] يعنى النبوة والقرآن [الْأَرْحَمَهُ مِنْ رَبِّكَ] استثناء مفرغ في موضع التعليل او منصوب بنزع الخافض اى الا برحمة من ربك او استثناء منقطع والمعنى لكن اعطيت الكتاب رحمة من ربك [فَلَا تَكُونَنَّ ظَهيراً لِلْكَافِرِينَ] فان الكتاب نعمة والنبوة نعمة عظيمة فلا تنصرفهما في اعداء المعطى ، وهذه وما بعدها خطاب له (ص) على ايتالك اعنى واسمعى يا جارة [وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ] التكوينية من احكام الرسالة وغرائب الآخرة بان لا تعمل بها وتنسبها وعن آياته التدوينية بان لا تعمل بها وتركها [بَعْدَ إِذْ أَنْزَلْتُ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ] بالقول بتذكير الآيات وبالأفعال والاخلاق والاحوال بالعمل بالآيات ، او المعنى ولا يصدتك عن آيات الله النازلة فى على (ع) وادع الى على [وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ] بولاية على (ع) [وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ] من الاصنام والكواكب والاهوية ، ولا تدع مع على (ع) فى ولايته ولياً آخر وهذه تأكيد لقوله : ولا تكونن من المشركين [لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ] تعليل للتهيين السابقين [كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ] تعليل لقوله تعالى : لا اله الا هو [إِلَّا وَجْهَهُ] اى الا وجه الله او وجه ذلك الشئ وان كان رجوع الضمير الى الله جاز ان يكون المراد وجه الله الذى به يتوجه الى الاشياء وان يكون وجه الشئ الذى به يتوجه الى الله يعنى كل شئ هالك الا وجه ذلك الشئ الذى به يتوجه الى الله فيكون الاضافة لادنى ملاسة . اعلم ، ان الوجه اسم لما يتوجه به ولا اختصاص له بوجه بدن الانسان وان فى كل شئ لطيفة غيبية آلهية هي مقومة لذلك الشئ ، ومبقية ومشخصة له ، وهي فاعليته تعالى وقضائه وعلمه ، وتلك اللطيفة هي تحفظه وترتيبه وتبلغه الى كماله الخاص به ان لم يعقه عائق ، والى تلك اللطيفة اشار من قال بالفارسية :

يكى ميل است باهر ذره رقاص كشاند ذره را تا مقصد خاص
دواند گلخنى را تا بگلخن رساند گلشنى را تا بگلشن
والىها اشار الآخر بقوله :

گر ز چاهى عكس ماهى وانمود سر بچه در كرد و آنرا مى ستود
در حقيقت مادح ماه است او گرچه جهل او بعكش كرد و
مدح او مد راستنى آن عكس را كفر شد آن چون غلط شد ما جرا

وهذه اللطيفة هي التي بها يتوجه الاشياء الى غاياتها وكمالها الخاصة بها ، وبها يتوجه الانسان الى الآخرة والى الله تعالى والى خلفائه (ع) ، وبها يتوجه الله الى الاشياء والى الانسان فتلك اللطيفة بوجه وجه الاشياء وبوجه وجه الله ، ولما كانت تلك اللطيفة هي المسماة بالولاية التكوينية المعبر عنها بالجل من الله وهي ما بها توجه الاشياء تكوينا ، ولانسان توجه آخر تكليفي وذلك التوجه التكليفي لا يكون الا بالولاية التكليفية المعبر عنها بالجل من الناس لانها لا تحصل الا بتوسط المظاهر البشرية بالبيعة الخاصة الولوية وبها يدخل الايمان فى القلب ويحصل نسبة الابوة والبنوة بين المظاهر وبابيعهم صح تفسير الوجه فى الآية بالدين اى الولاية التكليفية او الحاصل بالولاية التكليفية

وبالانبياء والاولياء (ع) وبكل مطيع لله ورسوله (ص)، وقد فسّر وجه الله في اخبار كثيرة بالانبياء والائمة (ع) وبدين الله وبمن اطاع الله ورسوله (ص)، اذا عرفت هذا فاعلم ان الحدود والتعيينات اعتباريات محضة لا وجود لها حقيقة وانما الوجود والبقاء لتلك اللطيفة، ولذلك قيل: الاعيان الثابتة ماشمت رائحة الوجود ابداً وانما هي باقية على ما هي عليه من انها ليست موجودة من ذواتها وانما الوجود لتلك اللطيفة بالذات ولها بالعرض فهي اى الاشياء المتكثرة الممتازة التي هي عين تلك الحدود هالكة اى غير موجودة من الابد الى الازل وتلك اللطيفة موجودة من الابد الى الازل فالباقي من كل شيء هو تلك اللطيفة، والهالك كل ما سواها من الحدود والاعتبارات [لَهُ الْحُكْمُ] لا لغيره لان غيره هالك [وَالِيَهُ تَرْجَعُونَ] لا الى غيره والضمير ان المجروران صح رجوعهما الى الوجه والى الله لان تلك اللطيفة هي الحاكمة فى الاشياء وعلى الاشياء والبها يرجع وجود كل شيء بعد ملاحظة فناء جميع حدوده.

سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ

مكية كلها، وقيل: مدنية كلها، وقيل: مكية الا عشر آيات من اولها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[الْم] قد مضى فى اول البقرة تفصيل تام لجملة فوائع السور [أَحْسِبَ النَّاسَ] استفهام انكارى توبيخى [أَنْ يُتْرَكُوا] قائم مقام المفعولين لحسب [أَنْ يَقُولُوا] لان يقولوا، او بان يقولوا، او فى ان يقولوا، او هو بدل من ان يتركوا بدل الاشتمال [أَمَّنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ] لا يبتلون ولا يمتحنون حتى يظهر لطيفة ايمانهم ويخلص حقيقة ولا يتهم وهذا لا يكون فلا ينبغي هذا الحسبان بل ينبغي لمن آمن بقبول الرسالة او الولاية ان يوطن نفسه على الامتحان كالمرضى الذى يسلم بدنه الى الحجاجم والفصّاد للشرط وجرح الفصد، وهذا الامتحان قد يكون بالتكليف البدنية والمالية، وقد يكون بالمصائب فى النفس والاموال، وقد يكون باذى الخلق شتماً وضرباً واجلاء وقتلاً [وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ] ممن ادعى الايمان العام بالبيعة العامة النبوية والايمان الخاص بالبيعة الخاصة الولوية والجملة حالية واللام القسم [فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ] الفاء مسببة اى فتناهم بسبب انه ينبغي ان يعلم الله [الَّذِينَ صَدَقُوا] والعلم ههنا بمعنى العرفان ومتعد الى مفعول واحد، او المفعول الثانى محذوف، والتقدير ليعلمن الله الذين صدقوا صادقين او متميزين من غيرهم [وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَافِرِينَ] وقرئ: وليعلمن المنافقين وقرئ: فى كليهما بضم الياء وكسر التلام من اعلم بمعنى جعله ذا علامة، او من العلم بمعنى العرفان، او من العلم المتعدى الى المفعولين [أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا] الآية الاولى تسلية للمؤمنين وهذه تخويف للمسيئين [سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ مِنْ كُنْ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ] اى يرغب ويطلب او يخاف ويهرب فان الرجاء قد يستعمل بمعنى الخوف فيكون تهديداً و ترغيباً [فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَاتٍ] فليثبت الراغب على رغبته، وليزعج الخائف عما يخوفه [وَهُوَ السَّمِيعُ] لا اقوالكم القالية والحالية [الْعَلِيمُ] بجميع اعمالكم ونياتكم فليحذر المسيء وليرغب المحسن وهذه الجملة جواب لسؤال

مقدر كانه قبل : هل يقع لقاء الله [وَمَنْ جَاهَدْ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ] جملة حالية او معطوفة لاستدراك توهم نشأ من ترغيبه تعالى في العمل وتخويله من المعصية فانه يتوهم منه ان الله ينتفع بالطاعة ويستضر بالمعصية [إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ] لا ينتفع بطاعتهم ولا يستضر بمعصيتهم [وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ] عطف على من جاهد (الآية) نحو عطف التفصيل على الاجمال ورفع لتوهم نشأ من قوله : فأنما يجاهد لنفسه كأن متوهمًا توهم ان المجاهد ينتفع بمجاهدته من دون الثفات من الله وفعل منه بالنسبة اليه ولم يذكر المقابل لقوله : ومن جاهد فأنما يجاهد لنفسه فان الموافق للمقابلة والمقصود ان يقال : ومن تقاعد فأنما يتقاعد على نفسه ولم يذكر المقابل ههنا ايضاً فان المنظور بحسب اقتضاء المقام ان يقول : والذين كفروا وعملوا السيئات لنجز ينهم جهنم لعدم الاعتناء بهم وذكرهم ولان حكمهم يعلم بالمقايسة والمقابلة ولا كنفائه عن ذكرهم في مقابل المؤمنين بقوله : ومن الناس من يقول (الآية) ويقول : وقال الذين كفروا (الآية) كانه اجل شأن المؤمنين من ان يذكر المنافقين والكفار في مقابلهم ومقارنين لهم [لَنُكَفِّرَنَّ] اي لتزيل [عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ] كلها [وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ] قد مضى تحقيق هذه الآية في اواخر سورة التوبة وفي غيرها [وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا] قد مضى في سورة البقرة وفي سورة النساء بيان للوالدين وتعميم لهما وبيان للاحسان اليهما، ولما كان الاهتمام بتعظيم الوالدين ولا سيما الروحانيين بعد تعظيم الله وتوحيده اكثر من سائر الطاعات بل لا يصدق الطاعة على عمل لم يكن فيه تعظيم الوالدين الروحانيين بعد تعظيم الله كرر الله تعالى التوصية باحسان الوالدين وقرنه بتوحيده ونهى الاشراك به في كثير من مواضع الكتاب، ولما ذكر حال الذين آمنوا وعملوا الصالحات ولم يكن يحصل الايمان الا بالبيعة العامة النبوية او البيعة الخاصة الولوية وبكل منهما يحصل الابوة والبنوة الروحانية ولم يكن في الاعمال الصالحة عمل اصلح من الاحسان الى الوالدين الروحانيين عطف عليه التوصية باحسان الوالدين ، ولما كان الوالدان الجسمانيان بعد الوالدين الروحانيين اعظم حقاً من كل ذي حق لم يكن في الاعمال الصالحة اصلح من الاحسان اليهما بعد الاحسان الى الوالدين الروحانيين [وَلَا جَاهِدَاكَ] اي الوالدان الروحانيان على ما ورد في الخبر فيكون الضمير راجعاً الى الوالدين الروحانيين السفليين بطريق الاستخدام وهما الشيطان والنفس واطلالهما ، او الوالدان الجسمانيان [لِتَشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا] ونذكر بعض الاخبار في سورة لقمان في ذيل هذه الآية ان شاء الله تعالى [إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ] في موضع تعنيل للسابق [وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ] كرهه اهتماماً بشأنهم [وَمِنَ النَّاسِ] في موضع والذين قالوا آمنوا ولم تؤمن قلوبهم [مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ] يعنى اذا اودى حال كونه في طاعة الله، او اذا وذى في حق الله وفي الايمان به بان آذاه انسان او اصابه ضرر في بدنه وماله جعل فتنة الناس مثل عذاب الله وانصرف عن طاعة الله والايمان به وهذا هو عين التفات [وَلَمَّا جَاءَ نَصْرُ رَبِّكَ] بالفتح والغنمة [لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ] كما هو ديدن طالبي الدنيا كلما وجدوا اضراً بدنياهم انصرفوا واذا ظنوا انتفاعاً في دنياهم اقبلوا [أ] ليس الله يعلم نياتهم ولا يعد بهم عليها [وَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ] ليظهر علمه بهم او ليميزهم، كرر هذا ايضاً اهتماماً بالترغيب والترهيب [وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا] هذا في موضع والذين كفروا [لِلَّذِينَ آمَنُوا

اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ] قيل: كان الكفار يقولون للمؤمنين: كونوا معنا فإن الذي نخافون انتم منه ليس بشيء، فإن كان حقاً نتحمل نحن ذنوبكم فيعذب بهم الله عز وجل مرتين مرة بذنوبهم ومرة بذنوب غيرهم [وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ] اثنال ذنوبهم [وَأَنقُلَا مَعَ أَثْقَالِهِمْ] من غير ان ينقص من اثنال المفترين شيء [وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ] اى ليؤخذن فان السؤال كثيراً ما يستعمل فى المؤاخذه والعقوبة [عَمَّا كَانُوا] عن كونهم او عن الذى كانوا او عن شيء كانوا [يَفْتَرُونَ] من الشركاء فى الوجوب اوفى العبادة اوفى الطاعة اوفى الولاية اومن الاقوال والافعال التى يفترونها على الله [وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ] لما ذكر حال المؤمنين والمنافقين والكافرين بنحو كل ما اراد ان يبين حالهم بامثلة جزئية وبدأ بنوح (ع) والمؤمنين به والكافرين به لانه اول نبي كان حكاية رسالته وانكار قومه وهلاكهم معروفة عندهم [فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا] عن الباقر (ع) انه كان يدعوهم سرّاً وعلانية فلما ابوا وعتوا قال: رب انى مغلوب فانتصر [فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ] اى الذين آمنوا معه، او دخلوا فى الفلك معه [وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ] اى جعلنا السفينة من حيث صنعها من غير بحروماء ومن حيث انجائها وانجاء اهلها آية للعالمين بحيث بقى آثارها فى الافواه وال اخبار وانتشرت فى العالم [وَأَبْرَاهِيمَ] عطف على نوحاً او بتقدير اذكر او ذكرهم [إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ] من تقليد الآباء واخذ الدين بالرسم والعادة وعبادة الاصنام من غير حجة، وغير ما خال من معنى التفضيل او الاتيان بصيغة التفضيل لا اعتقادهم بان ذلك خير [إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَو ثَانًا وَتَخْلُقُونَ] من عند انفسكم من دون برهان [إِنكُم] اى كذباً فى ادعاء انها الهة او معبودات او شفعاء وهذا ابتداء كلام من الله او هو من قول ابراهيم (ع) [إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَحْمِلُونَ لَكُمْ رِزْقًا] فاذا كانوا لا يملكون لكم رزقاً [فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ] لانه هو الذى يملك رزق كل مرزوق، وهذا ايضا يحتمل كونه من قول ابراهيم (ع) ومن قول الله تعالى [وَاعْبُدُوهُ] لاستحقاقه بمالكية الرزق [وَاشْكُرُوا لَهُ] لانه المالك للنعم كلها ومعطيها [إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ] لتلليل لسابقه [وَإِنْ تَكْذِبُوا] يجوز فيه الوجهان ايضا، ويجوز ان يكون هذا ابتداء كلام وخطاب من الله تعالى لامته محمد (ص) ومعتضة بين حكايات قول ابراهيم (ع) يعنى ان تكذبوا فلا غرو فيه فان هذا ديدن اسناخكم من القديم [فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ] اى تبليغ رسالته [الْمُحْسِنُ] وليس عليه حفظكم من التكذيب وسائر المعاصى [أَوَلَمْ يَرَوْا] قرئ بالغبية على تقدير القول او على كونه ابتداء كلام من الله معترض بين الحكاية، وقرئ بالخطاب على انه من الحكاية وموافق لسابقه او على انه ابتداء كلام من الله معترض [كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ] يعنى كيف يبدأ الله الخلق من العناصر او من عالم الارواح ثم يعيده الى العناصر او ثم يعيده اليه ورويتهم لذلك برؤية انهم لم يكونوا فى اول خلقهم على شيء من صفات الاخرى وبين ويتدرجون فى صفات الكمال ويستكملون بصفات الروحانيين، او المعنى على التوبيخ يعنى ينبغي لهم ان يستكملوا نفوسهم حتى يشاهدوا الله اياهم [إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ قُلْ] خطاب لابراهيم او ابتداء كلام لخطاب لمحمد (ص) [سِيرُوا فِي الْأَرْضِ] ارض الطبع،

اوارض القرآن والاخبار ، اوارض سير الامم الماضية ، اوارض وجودكم حتى تشاهدوا حال المكذبين والمصدقين ، او تعلموا حالهم من مشاهدة آثارهم ، او تشاهدوا ابداء الخلق واعادته [فَاَنْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ] يعنى حتى تعلموا ان الله ينشئ النشأة الآخرة فان شهود الابداء يؤدى الى العلم بالنشأة الآخرة كما قال : لقد علمتم النشأة الاولى فاولا تذكرون [اِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ] فما لهم ينكرون الاعادة مع انها مشهودة لهم [يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ] حالية او مستأنفة جواب لسؤال مقدير [وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَالِيَهُ تَقَلُّبُونَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ] الله عن ادراككم وعذابكم [فِي الْأَرْضِ] حال كونهم فى الارض او هو ظرف لمعجزين [وَلَا فِي السَّمَاءِ] لو كنتم فى السماء او هو كناية عن الآخرة [وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ] لا فى الدنيا ولا فى الآخرة فما لكم تعبدون غيره وتتوسلون بغيره وقدمضى مكرراً بيان الولي والنصير وان النبي بنوته وخليفته بخلافة النبوة نصير ، والولي بولايته وخليفته بخلافة الولاية ولي يتولى اصلاح العبد وترتيبه [وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ] من حيث انها آيات من الآيات التكوينية فى الآفاق والانفس واعظمها الآيات العظمى من الانبياء والاولياء (ع) والآيات التدوينية من الكتب السماوية واحكام النبوة والرسالة ، وهذا ابتداء كلام من الله ان لم يكن سابقه من الله [أُولَئِكَ يَجْزُوا مِنْ رَحْمَتِي] هذا مقابل لقوله : الذين آمنوا وعملوا الصالحات (الآية) لكن مقابله له فى اللفظ وعطفه عليه بعيد بحسب اللفظ ، وقوله : اولئك يسوا من رحمتي دعاء عليهم او اخبار بانه ينبغي ان يسوا ، او اخبار بانهم ياتسون بالفعل من رحمته [وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ] فما كان جواب قومهم [قوم ابراهيم (ع)] [إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ] كما سبق قصته فاجمعوا ان يحرقوه فجمعوا الحطب اكثر ما يكون ثم اوقدوا النار ثم اسقطوه فيها [فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ] على ما سبق تفصيله [اِنَّ فِي ذَلِكَ] الانجاء [لآيَاتٍ] دالات على مبده عليم حكيم قادر محيط [لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ] باحدى البيعتين او لقوم يدعون بالله وملائكته وكتبه ورسله (ع) واليوم الآخر [وَقَالَ] ابراهيم (ع) [اِنْ مَّا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا] قرئ مودة بينكم بالنصب والاضافة وبالرفع والاضافة بالنصب منونة وبنصب بينكم يعنى ان اتخذا الاوثان آلهة ليس عن اعتقاد ديني وطلب شفعي اخروي وخوف عقاب آلهي بل محض المودة الدنيوية وان بحسبكم اقرانكم ورؤساكم مثل اكثر المتهذين فى دين الاسلام يتجشمون مرارة الزهد وتعب منع النفس عن لذائذها محض المراياة والصيت وان يقولوا فى حقته [ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمُ] بعض العابدين [بِبَعْضٍ] آخر منهم ، او بعض العابدين والمعبودين ببعض آخر منهم ، او يكفر العابدون بالمعبودين [وَيَدْعُ بَعْضُكُمُ] او يكفر كل بعض من العابدين والمعبودين بكل بعض ويلعن كل بعض فان العابدين لما كان عبادتهم للاصنام مودة بينهم فى الحياة الدنيا ولم يكن فى عبادتهم جهة آلهية بل كان عبادتهم لها سطرة للجهة الآلهية ويظهر يوم القيامة ان توادهم وعبادتهم كانت مانعة لهم عن موادهم الاخروية ومؤدية لهم الى العذاب الاليم كانت تورث بغض كل للآخر ولعن كل للآخر والمعبودون ينكرون عبادتهم لهم وينسبونهم الى الاهوية والجنة ويلعنونهم لانهم يلعنهم اللاعنون [وَمَا يُكُفُّ السَّارَ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ] الاقتصار ههنا على الناصر لان فى النار ليس الا النصرة ان كانوا ينصرون واما الولاية فانها بعد الخروج من النار [فَأَمَنْ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ] من وطني مع ابراهيم (ع) الى الشام ومن موطن نفسي بايماني على يد ابراهيم (ع) [إِلَى]

رَبِّي] في الولاية وهو مقام القلب والعقل [إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَوَهَبْنَاهُ] بعد هجرته الى الشام ومكثه بها مدة طويلة [إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ] بعد اسحاق (ع) [وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ] اي الرسالة واجنس الكتاب السماوى [وَأَتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا] بان صار عزيزاً في الدنيا واعطيناه اموالاً كثيرة من اموال الدنيا وجعلنا له لسان صدق في الدنيا بانه ليس احداً الا وهو يمدحه [وَأَنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ] الذين لم يبق عليهم شوب فساد [وَأَرْسَلْنَا] لوطاً [إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ أَنِّي كُنْتُ لَكُمْ رَسُولًا لِّمَن تَخِفُونَ السَّبِيلَ] بتعرضكم للمارة لاجل الفاحشة فيمتنعون عن السفر على بلادكم او تقطعون سبيل الولد او تقطعون السبيل بنهب اموال المارة، وقيل: كانوا يرمون ابن السبيل بالخزف فايتمهم اصابه كان اولى به وبأخذون ماله وينكحونه ويغرمونه ثلاثة دراهم وكان لهم قاض يقضى بذلك [وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ] عن الرضا (ع): كانوا يتضارطون في مجالسهم من غير حشمة ولا حياء، وقيل: المراد به جملة القبائح فانه كان مجالسهم تشتمل على انواع القبائح مثل الشتم والصقع والقمار وضرب المخراق وحذف الاحجار على من مرتبه وضرب المزامير وكشف العورات واللواط، وقيل: انهم كانوا يأتون الرجال في مجالسهم [فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّبِعْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ] تهكماً به [إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ] قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى [بِالْوَلَدِ بَعْدَ الْيَأْسِ مِنْهُ] [قَالُوا] لابراهيم (ع) بعد التفصيل الذى وقع بينهم كما سبق [إِنَّمَا هَلِكُوا أَهْلُ هَذِهِ الْقَرْيَةِ] قرية لوط [إِنْ أَهْلُهَا كَانُوا ظَالِمِينَ] قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا [بعد ما جادلهم في عدم اهلاكهم وبعد ما قال لهم ان كان فيها واحد من المؤمنين اهلكتموهم؟] وقالوا له: لا، قال: ان فيها لوطاً [قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا الشُّجَيْنَةُ وَأَهْلُهَا] الْأَمْرَأَتُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ زَادَ أَنْ ههنا لتأكيد لصوق الجزاء بالشرط بخلاف حكاية الرسل مع ابراهيم (ع) فان التأكيد لم يكن هناك مطلوباً ولم يكن اخبارهم باهلاك قوم لوط إلا بعد مدة من ورودهم عليه [رُسُلُنَا لُوطًا سَئِيئِينَ] ورد عليه المساءة بسبب مجيئهم لما كان يعلم من حال قومه وتفضيحهم للمارة [وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا] كناية عن ضيق الخلق وعدم الطاقة فان طویل الديدس من الاعمال ما لا يسهه قصيرها [وَقَالُوا] بعد ما رأوا مساءته [لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ] مما تخاف وتحزن عليه [إِنَّمَا مَنجُوكَ] من هذه القرية او من العذاب الذى جثنا له [وَأَهْلَكَ إِلَّا أَمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ] الاتيان بالماضى لتحقق وقوعه [إِنَّمَا مَنَزَلُنَا عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ] عذاباً منها [بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهُمْ آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ] هي منزل لوط بقى عبرة للسيارة او اثر تغليب القرى وخرابها [وَالِى مَدِينٍ أَخَاهُمْ] فى المعاشرة والقبيلة [شُعَيْبًا] قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ [الزلزلة الشديدة فيها الصيحة] فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَائِعِينَ وَعَادًا وَتَمُودَ] اي اذكركم، او ذكرهما، او ارسلنا اليهما فع حذف حرف الجر ونصبا [وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَائِكِنِهِمْ] بعض مساكنهم عند المرور عليها او تبين لكم من مساكنهم ما فعلنا لهم [وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ] الذى ينبغى ان يسلكه الانسان وهو سبيل الآخرة وسبيل

الولاية [وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ] قادرين على الابصار وذوى بصرا وذوى فطانية وبصيرة باطنية [وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ] اى ذكرهم او اذكر او ارسلنا اليهم [وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ] فائتين او معجزين [فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا] الحاصب الريح لانتى تجمد التراب او المراد من الحاصب من يسقط الحصباء فان كان المراد به الريح كان المراد قوم هود فانه تعالى اهلكهم بريح صرصر عاتية وان كان المراد به المعنى الثانى كان المقصود قوم لوط [وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ] كاهل مدين وقوم صالح [وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ] كفارون [وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا] كقوم نوح وفرعون وقومه [وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ] مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ [مَتعلق باتخذوا وحوال من قوله تعالى: [أَوْلِيَاءَ] اى اتخذوا والىءا حالكون والىءا بعضاً من غير الله [كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ] ولما كانت الولاية تطلق على ولاية المعاشرة وهى المحابة بين الخلق والمؤالفة وتطلق على قبول السلطنة والحكومة الحاصل بالبيعة العامة او الخاصة وكل منهما يعتمد الصاحب فيه على الصاحب الذى تولاه ويجعله ظهراً لنفسه وحصناً لوقت حاجته، كانت قد تمثل بالبيت وقد تمثل بالجبل وقد تمثل بالحصن، وقد يقال لها الظاهر والوليعة والمعتمد والاسن وغير ذلك واذا كانت الولاية بالبيعة الا لهية حصل من الوالى فى المولى عليه صورة ملكوتية هى ما بها الاتصال بين الوالى والمولى عليه وهى حافظته من كل آفة وهى حصنه المانع من تصرف الشيطان نحو تصرف يخرج من تلك الولاية وبذلك الاعتبار تسمى بالجبل والبيت والحصن وغير ذلك، واذا لم تكن آلهية او لم تكن حاصلة بالبيعة كان اعتماد المولى عليه على الوالى واتصاله به وتحفظه من الآفات بولايته من محض تخيل المولى عليه لا من امر حاصل من الوالى فيه وما كان محض تخيل المولى عليه لم يكن له اثر فيه فى نفس الامر وكان كالعنكبوت التى تتخذ من ريقها بيتاً ليحفظها عن الحر والبرد ومن سائر الآفات الواردة عليه من سائر الحشرات ومن الرياح وغيرها والحال انه لا يحفظها من شيء من ذلك [لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ] ان تلك الولاية ليست الا محض التخيل من غير امر حاصل منها فى نفس الامر لا تمتنعوا منها، او لفظة لو للتمنى، او المعنى لو كانوا من اهل العلم لعلوموا ان كل ما يدعونه ليس غير الله وانما هو بحسب مداركهم الجزئية يترأى غير الله [إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ] ما نافية وما تدعون منقطع عن سابقه او متصل به ويعلم معلق عن العمل فيه وهذا اوفق بالمعنى الاخير لقوله لو كانوا يعلمون يعنى ان كلما تدعونه وتخيّلون انه غير الله ليس غير الله بل الظاهر فيه هو الله والباطن فيه ايضاً هو الله لكنكم لتقيّدكم وتحدّدكم بالمدارك الجزئية التى لا تدرك الا الكثرات المتغايرات المتحدّدات لا تدركون منها الواحد الاحد المقوم لها وتدعونها من حيث انها متغايرات كل من الآخر والكل مع الله والله يعلم ذلك ويعلم ان المقوم للكل والظاهر فيه والباطن فيه هو الله، وان كل ما يدعونه كانوا فى تلك الدعوة داعين لله لا غيره، ولما كان العبادة بنية العابد والنسبة لانتكون الا بالعلم بالمنوى وهؤلاء لا يعلمون ذلك حتى ينووا عبادة الله فى تلك العبادة كانوا مؤاخذين فى تلك الدعوة والعبادة لا مأجورين وقد مضى فى سورة البقرة عند قوله تعالى ولكن الله يفعل ما يريد ما يبيّن هذا المطلب ويحقّقه وقد قيل بالفارسية بياناً لهذا المطلب :

اگر مؤمن بدانستی که بت چیست یقین کردی که دین در بت پرستیست
اگر کافر ز بت آگاه بودی چرا در دین خود گمراه بودی

اولفظة ما موصولة والمعنى ظاهر، او مصدرية ومن شىء بيان للمصدر والشيء عبارة عن الدعاء اليسير او ما

ستفهامية مفعول تدعون [وَهُوَ الْعَزِيزُ] الغالب الذي لا يغلبه شيء حتى يكون معبوداً من دونه [الْحَكِيمُ] الذي صنع صنع المخلوقات بنحو لا تكون خالية منه ومع ذلك لا يدركه الا قليل من عبادِه فيها للطفه في صنعه وهذا المعنى يناسب كون ما نافية [وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ] اي مثل العنكبوت ونظائره، او مثل العنكبوت وامثال الامم الماضية وانبيائهم (ع) [نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ] لتنبههم وتذكيرهم [وَمَا يَعْقِلُهَا] اي ما يدركها من جهة المقصود منها والنظر الى غاياتها [إِلَّا الْعَالِمُونَ] الذين فتح الله عليهم باب العلم بولاية علي (ع) الحاصلة لهم بالبيعة الخاصة الولوية، واما غيرهم فلا يدركون من الامثال والاسمار والحكايات الا ظواهرها التي هي مبعدة لهم عن المقصود ومدركة بالخيال دون العقل، عن النبي (ص) انه تلا هذه الآية فقال: العالم الذي عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه [خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ] قد مضى مكرراً هذه الآية [إِنَّ فِي ذَلِكَ] اي في خلق السماوات والارض بحيث يتم بخلقهما امر المواليد واستمرار الفيض من الواهب الفيض لولاها لما استتم امر المواليد ولما استمر الفيض ولما وجد غاية الابداد وهو الانسان اوفى خلق السماوات والارض متلبسات بالغايات الحققة او بالتنصيدات الحققة التي لا شوب باطل فيها [لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ] عظيمة والمراد بها الجنس اي آيات عديدة [لِلْمُؤْمِنِينَ] بالبيعة العامة والخاصة اول للمذعنين بالله والآخر [أَتْلُ] جواب لسؤال مقدر كما ان قوله تعالى خلق الله السماوات (الآية) كان جواباً لسؤال مقدر كأنه قيل: هل لتعقل الامثال آية ومنبه؟ - فقال جواباً: خلق الله السماوات والارض بالحق وفي خلقهما آيات عديدة منبهة على تعقل الامثال كما ان فيها آيات عديدة دالة على مبدء عليم حكيم قدير يريد رحيم رؤوف وكأنه قيل بعد ذلك: هل لنا منبه على تذكر الآيات المودعة في خلق السماوات والارض؟ - فقال تعالى: اتل خطاباً لمحمد (ص) على: اياك اعني واسمعي يا جارة او خطاباً عاماً [مَا أَوْحَى إِلَيْكَ] بتوسط جبرئيل او ما وحي اليك بسبب محمد (ص) [مِنْ الْكِتَابِ وَاقِمِ الصَّلَاةَ] حتى تستعد لتذكر الآيات وتمتع من الملهي التي تحجبك عن تذكر الآيات [إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ] قد مضى في أول البقرة وفي سورة النساء عند قوله لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى تفصيل لمعاني الصلوة ومراتبها واقامتها، ولما كانت الصلوة القلبية بالمواضعة الالهية مانعة من الاشتغال بغيرها ولو كان مباحاً كانت ناهية عن الفحشاء والمنكر القلبي بالمواضعة، والصلوة القلبية المأخوذة من صاحب اجازة الالهية تكون مانعة عن الفحشاء والمنكر في مرتبة القلب، وكذلك الصلوة الصدرية التي هي السكينة القلبية المسماة بالفكر والحضور عندهم وهي ملكوت ولي الامر وأول مقام معرفة علي (ع) بالنورانية تنهى حالاً أو باللسان عن جملة الفحشاء والمنكر، وصلوة المصلّي الذي هو مستغرق في شهود جمال الوحدة ناهية له عن الالتفات الى غير الله وهذا الالتفات هو منكروه في ذلك المقام، والصلوة التي هي عبارة عن الرسول (ص) او الامام (ع) تنهى عن الفحشاء والمنكر اللذين هما مقابلان لهما من اصناف البشر وقد فسر الصلوة بكلّ وفسر الفحشاء والمنكر باعداء الرسول (ص) والامام (ع)، ونقل: انها ما لم تنه الصلوة عن الفحشاء والمنكر لم تزد من الله عز وجل الا بعداً، وروى ان فتى من الانصار كان يصلي الصلوات مع رسول الله (ص) ويرتكب الفواحش، فوصف ذلك لرسول الله (ص) فقال: ان صلواته تنهاه يوماً، فلم يلبث ان تاب، وعلى هذا كان معنى الآية ان الصلوة تنهى في المستقبل صاحبها عن الفحشاء والمنكر [وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ] ان اريد بالصلوة الصلوة القلبية كان المراد بذكر الله ذكر الله للعبد، او التذكر القلبي، او التذكر الذي هو الفكر، او ذكر او امره ونواهيهِ عند كل فعال الذي يحمل العبد على الامثال والانتها، وان كان المراد الصلوة القلبية كان المراد بذكر الله ذكر الله للعبد او واحدهم ذكر بعد التذكر القلبي وهكذا الحال في سائر مراتب الصلوة، وان كان المراد بالصلوة الرسول (ص)

او الامام (ع) كان المراد بذكر الله ذكر الله للعبد او مقام نورانيتهما فانه ذكر الله حقيقة [وَاللّٰهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ]

[الجزء الحادى والعشرون]

فيعلم صلوتكم وذكركم لله ويجازيكم على حسبهما على انتهما بنبهانهنكم على تذكر الآيات والجملة الحالية [وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي] بالمجادلة التي [هِيَ أَحْسَنُ] من المجادلات او بالطريقة التي هي احسن، او بالكلمة التي هي احسن والجدل والجدال بمعنى القتل فان المجادل يريد ان يقتل المجادل له الى مذهبه وذلك يتصور بالسيف والضرب والجس والمكالمة بالشتم والخشونة وابطال الحق وثبات الباطل ولكنه خص في العرف بصرف الخصم عن مذهبه بالمباحة والمكالمة العلمية، والمراد باهل الكتاب كل من آمن بنبي وكل من انتحل ملة الهية فيشمل اهل ملة الاسلام ومنتحليها كما يشمل الزردشتيين والمهاباديين، والمراد المعروفون بهذا الاسم وهم اليهود والنصارى لكن يشمل الحكم اهل الاسلام بطريق التعريض او بطريق القياس الاولوى، ولما كان اهل الملة الا الهية ومنتحلوها بواسطة نسبتهم الى نبي او انتحالهم النسبة اليه ذوى حرمة في الجملة خصتهم بالتذكر من بين اقسام الكفار اشعاراً بان المشركين لاحرمة لهم ولا مداراة معهم، والمجادلة الحسنة ان لا يظهر باطلاً ولا يبطل باطلاً ولا يقول ما يغيب المجادل ولا يعتنه ولا يجره، ولا يقول ما لا يتحمله، وينصف في حق اظهره خصمه ولا يرده ولا يتكلم بما يخجله، ولا يكون همه الغلبة عليه بل يكون همه اصلاحه ولو كان ذلك بان يجعل نفسه مغلوبة ان رأى صلاحه ولينه في ذلك [إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ] في المجادلة او ظلموكم بالمقاتلة او ظلموا انفسهم بالتجاذب وعدم الاستماع الى حقكم وهذا ترخيص في المجادلة بغير الاحسن مع الظالمين منهم مثل قوله: لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم لكن لا ينبغي الخروج من حق او الدخول في باطل [وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ] بالاقرار بحقيقة كتابهم ودينهم حتى تكسر سورة لجاحهم [وَالْهَنَاءُ إِلَهُكُمْ وَاحِدٌ] باظهار الاتحاد معهم في المبدء والمعبود حتى يدل ذلك على انكم متحدون معهم غير مغايرين لهم غير غيبهم ذلك في مخالطتكم وموادتهم لكم [وَنَحْنُ لَهُ] اى لا الهكم الذى هو الهنا [مُسْلِمُونَ] لا غيره حتى تعادوا بذلك وقد سبق في سورة النحل عند قوله: وجادلهم بالتي هي احسن شرط من بيان الآية [وَكَذَلِكَ] اى مثل انزال الكتاب اليهم، او مثل انزال الامر بالمجادلة بالتي هي احسن، او مثل انزال الامر بان تقولوا آمنا بالذى انزل اليكم (الى آخر الآية) [أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ] اى كتاب النبوة والقرآن [فَالَّذِينَ آمَنُوا هُمُ الْكِتَابُ] اى القرآن وهم آل محمد (ص) او الذين آتيناهم احكام النبوة بقبول الرسالة بالبيعة العامة او بقبول الولاية بالبيعة الخاصة، او الذين آتيناهم الكتاب اى الانتعاش والاستعداد لامور الآخرة تكويناً [يُؤْمِنُونَ بِهِ] اى يذعنون او يؤمنون بالبيعة العامة او الخاصة بالقرآن او بمحمد (ص) او بكتاب النبوة او بعلي (ع) فانه المنظور من كل منظور [وَمِنْ هَؤُلَاءِ] يعنى من اهل الكتاب وهم اليهود والنصارى ومن هؤلاء المشركين ومن هؤلاء الذين آتيناهم القرآن وآمنوا به بالبيعة [مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ] اى يؤمن باحدى البيعتين او يذعن قلباً بمحمد (ص) او بالقرآن او باحكام النبوة او بعلي (ع) [وَمَا يَجْعَلْ أَيَاتِنَا] التى اعظمها على (ع) [إِلَّا الْكَافِرُونَ] وهذا تعريض بمنافق الامّة الذين جحدوا علياً (ع) [وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُوا] جملة الحالية او معطوفة ورد لمن زعم او قال انه اخذه من غيره او انقطه

من كتب السابقين [مِنْ قَبْلِهِ] اى من قبل القرآن [مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُهُ] اى القرآن والكتاب المطلق [بِيَمِينِكَ] إِذَا لَرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ] يعنى لكان ارتياهم فى موقعه والافهم كانوا مرتابين ومن اعظم آيات صدقه فى دعواه انه (ص) كان يتيماً فقيراً راعياً لم يختلف الى معلم ولم يختلط مع عالم ولم يتعلم الخط ولم يكن فى كتاب وقد جاء بكتاب وشريعة قد حاز فى ذلك دقائق فهم الحكماء، وعجز عن استقصاء العلوم المتدرجة فيهما العلماء، واستحصر عن بلوغ لطائفهما العرفاء، واعترف ببراعة كتابه فى البلاغة البلغاء، وعن مولانا ومقتدانا على بن موسى الرضا (ع) : ومن آياته انه كان يتيماً فقيراً راعياً اجيراً لم يتعلم كتاباً ولم يختلف الى معلم ثم جاء القرآن الذى فيه قصص الانبياء (ع) واخبارهم حرفاً بحرف، واخبار من مضى ومن بقى الى يوم القيامة [بَلْ هُوَ] اى كتاب النبوة او كتاب الولاية والقرآن صورتها وهو اضراب عن قوله تعالى : فالذين آتيناهم الكتاب (الآية) فانه لا بدل على ازيد من الايمان التقليدى وهذا يدل على الايمان التحقيقى بالكتاب بل على التحقق بالكتاب على طريقة اتحاد العاقل والمعقول يعنى هو بنفسه [أَيَاتٌ] دالات على المبدء وصفاته وعلى الرسالة واحكامها وصدق الآتى : او المراد ان صاحب الرسالة وصاحب الولاية بولايتهم ونورانيتهم آيات [بَيِّنَاتٌ] واضحات او موضحات [فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ] لم يقل فى صدور الذين كسبوا العلم اشعاراً بان العلم نور يقذفه الله فى قلب من يشاء وليس يحصل بكسب، نعم الكسب يعد الرجل لقذف هذا العلم، واتى بالفعل مبنياً للمفعول للاشارة الى ان الفاعل لا يحتمل ان يكون غير الله تعالى والمراد بمن اوتوا العلم هم الاوصياء (ع) كما فى اخبار كثيرة عنهم (ع) [وَمَا يَجْعَلُ يَا آتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ] كرر هذا للاهتمام بالتعريض بالامة واشعاراً بان الجاحد كما انه كافر ظالم ايضاً [وَقَالُوا] عطف بلحاظ المعنى كأنه قال جحد الظالمون الآيات وقالوا [لَوْ لَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ] لهم بالتترل عن مقامك الولوى وبإظهار العجز بحسب مقامك البشرى [إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ] وليس شيء منها عندي حتى آتى بمقتضى حكم [وَأِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ] ظاهر او مظهر لا نذازى وصحته وقد مضى ان الرسول (ص) لا بد وان يكون ذا شأنين؛ شأن الانذار برسالته وشأن التبشير بولايته لكنه لما كان شأن الرسالة فيه غالباً كان قد يتكلم بشأن الرسالة ويحصر شأنه فيه كما انه حصر جملة شأنه ههنا فى الانذار الذى هو شأن الرسالة لا الولاية [أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ] انك كنت يتيماً غير مختلف الى احد ولم تتعلم من احد ولم يكفهم فى الدلالة على صدقك حتى بقر حوا آية اخرى [إِنَّا] لا غيرنا [أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ] احكام الرسالة او صورة القرآن مع انك كنت امياً وكتابك كان مشتملاً على دقائق الحكم بحيث يعجز عن ادراكها العقلاء والحكماء حال كونهم [يَتْلَى عَلَيْهِمْ] وليس مخفياً عليهم [إِنَّ فِي ذَلِكَ] الانزال اوفى ذلك الكتاب اوفى ذلك المذكور من استمرار تلاوة الكتاب [لِرَحْمَةٍ] من حيث دلالة على صدق رسالتك [وَذِكْرٍ] لحقيقتك اى دلالة حقيقتك [لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ] باحدى البيعتين او لقوم يذعنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، واللام لتبيين مفعول الرحمة والتذكير يعنى غير المؤمنين لكونهم غير متوجهين الى الآخرة وغير مهتمين بالله ويمن يدعوا الى الله لا يتأملون فيه ولا يتفكرون فى دلالته فيستمعونه استماع الاسمار فلا ينتفعون به ولا يتذكرون، روى ان انساناً من المسلمين اتوا رسول الله (ص) بكتف كتب فيها بعض ما يقوله اليهود فقال : كفى بها ضلالة قوم ان يرغبوا عما جاء به نبيهم الى ما جاء به غير نبيهم فترأت الآية [قُلْ] لهم بعد ما لا ينفع فيهم هذه الآيات اظهاراً لاعراضك عنهم والتجاءك الى ربك حتى يكسر سورة لجاحهم فان الاصرار على الذعوق مع اللجوج يزيد فى لجاجته [كَفَى بِاللَّهِ بَيِّنَاتٍ وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا] فان كنت كاذباً يعلم كذبي

ويعذب بنى عليه، وإن كنتم أنتم كاذبين يعلمه ويعذبكم عليه [يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ] فاحذروا من العناد معه ومع رسوله [وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ] جملة حالية او معطوفة وبمتزلة النتيجة [وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ] بمثل ما قالوا عند توعيدك بالعذاب فائتنا بما تعدنا او بقولهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء [وَلَوْ لَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ] يعنى عدم اتيان العذاب ليس لما قالوا من انه ليس ما قلت حقاً ولا لكرامتهم علينا بل لان لكل امر وقتاً لا يتجاوزه [وَلَيَسْأَلُنَّهُمْ] فى الدنيا وفى حال بقائهم مثل اتيان العذاب ببدر وغيرها ومثل البلىا فى الاموال والانفس او فى حال احتضارهم على ايدي الملائكة او فى الآخرة فى البرازخ او فى القيامة [بِغَتَّةٍ] من غير تقدم اماره له او من غير استشعار منهم باماراته لانهم اكرمهم فى الملامى [وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ] بمجيئه حين اتيانه، او لا يشعرون فى الحال بانتهى بعدوا لا لئلا يسألوه [يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ] كرر هذا القول للاشعار بان الاول كان بحسب عذاب الدنيا والثانى بحسب عذاب الآخرة، اولان الاول كان مقدمة للتهديد باتيان العذاب والثانى للتهديد باحاطته بهم فى الحال ولكنهم لا يشعرون به، او المنظور من التكرير المبالغة فى تسفيهم بالتجربى على ما يتبعى التحرز عنه ولو كان محتملاً غير متيقن [وَلِإِنْ جَهَنَّمَ لَمْ يَحِيطْ بِالْكَافِرِينَ] وضع المظهر موضع المضمرا شعاراً بعله الحكم و اظهاراً لكفرهم بنفاقهم يعنى انهم كافرون وكل كافر واقع فى وسط جهنم ومعذب بانواع عذابها وان كان لا يشعر به فهم فى استعجالهم فى العذاب واقعون فى العذاب.

اعلم، ان النفس الانسانية بمقتضياتها الحيوانية انموذج الجحيم ولهياتها وانواع عذابها فان كان الانسان الواقع فى مقام النفس وهو الذى يكون فى الغيب من الله ومن الآخرة منقطعاً عن الولاية ومستوراً منه الوجهة الولوية كان واقعاً فى جهنم وواقعاً عليها ومحاطاً بها، وان لم يكن منقطعاً عن الولاية بان كان مؤمناً بها كانت عليه برأ وسلاماً ولم يحس بها او احس بها وبآلامها لكن تكون تطهيراً له عن شوائبه الغريبة، وكون النفس الانسانية انموذج الجحيم ووجوب عبور الانسان عليها وعنهما احد وجوه قوله تعالى: ان منكم الا واردةا وهى الجسر الممدود على متن جهنم وقد مضى فى سورة التوبة بيان اجمالاً الى تفى نظير هذه الآية لاحاطة جهنم بالكافرين [يَوْمَ يَعْشِيهِمُ الْعَذَابُ] مفعول للمكافرين او ظرف لمحيطة او ظرف لفعل محذوف وهو اذكر اود كثرهم [مِنْ فَوْقِهِمْ] وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ قَرِئٌ بِالْغَيْبِ وَبِالتَّكَلُّمِ [ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ يَا عِبَادِى الَّذِينَ آمَنُوا] بالبيعة على يد محمد (ص) البيعة العامة او على يد على (ع) البيعة الخاصة [إِنْ أَرْضِي وَأَسِيعَةً] فاذا لم يتيسر لكم عبادتى فى ارض فاخرجوا منها الى ارض يمكن لكم توحيد عبادتى [فَيَايَا] دون غيرى [فَاعْبُدُونِ] عن الصادق (ع): اذا عصى الله فى ارض انت بها فاخرج منها الى غيرها [كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ] فى مقام التعليل [ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ] وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ] قد مضى بيان الصبر والتوكل مشروحاً وكذلك بيان جريان الانهار من تحت الجنات [وَكَايْنٍ مِنْ دَابَّةٍ] لاتحصى نوعاً وفرداً [لَا تَحْمِلُ] الخطاب عام او خاص بمحمد (ص) او بمن يزعم ان لامدخلية فى الامور لشيء سوى الاسباب الطبيعية كالتبعية اعتقاداً او حالاً كما كثر الناس [رَزَقَهَا اللَّهُ بِرِزْقٍ هَآؤِلًا وَإِيَّاكُمْ] فان الانسان فى بادى النظر يظن ان الرزق منوط بالاسباب الطبيعية لكن دقيق النظر يحكم

بان لامدخلية لشيء من الاسباب الطبيعية فى ارتزاق الانسان وليس الارتزاق الا بالاسباب الالهية وان الاسباب الطبيعية حجب على الاسباب الالهية ونعم ما قيل:

اي گرفتار سبب بيرون مير	ايك غزل آن مسبب ظن مير
هرجه خواهد آن مسبب آورد	قدرت مطلق سببها بر درد
ابن سببها بر نظرها پرده هاست	كه نه هر ديدار صنعتش را سزااست
ديده بايد سبب سوراخ كن	تا حجب را بر كند از بيخ وين
تا مسبب بيند اندر لاسكان	هرزه بيند جهود اسباب دكان

[وَهُوَ السَّمِيعُ] لا فوالكم القالية والحالية والاستعدادية التى لاشعور لكم بها [الْعَلِيمُ] بمقدار الاستعداد وقدرة الاستحقاق وعمدة اسباب الرزق هى السماوات والارض والشمس والقمر [وَلَكِنَّ سَاءَ لَنُفُوسٍ] اى المتقين بالاسباب الغافلين عن مسبب الاسباب [مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ] التلانى بها توليد المواليد وارتزاق المرتزقين [لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَنَافَى يُؤْفَكُونَ] منه الى الاسباب ولا يكتفون به من الاسباب [اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ] اى لمن يسط اولغيره ممن يشاء فان من فيمن يشاء مطلق يجوز ارجاع الضمير اليه من غير اعتبار التقيد بسط الرزق والجملة حالية او مستأنفة وتعليل لانكار الصرف عنه فى طلب الرزق، وتعليل لجملة الله يرزقها واياكم [إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ] فيعلم ما يصلح عباده من بسط الرزق وقبضه [وَلَكِنَّ سَاءَ لَنُفُوسٍ مَنْ نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا] لما كان الاسباب القريبة للرزق بعد السماوات والارض والشمس والقمر هو امطار الامطار واحياء الارض بانبات النباتات اتى به بعد التسؤال عن السماوات والارض ونسخير الشمس والقمر [لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ] بعد اقرارهم بذلك [الْحَمْدُ لِلَّهِ] شكرًا لانعامه عليك بتبصيرك ذلك، او قل لهم بعد ذلك: جميع الصفات التى بحمد عليها الله فان جميع الخيرات المنتشرة المحسوسة التى لا يتجاوز مداركهم عنها محصورة فى خلق السماوات والارض والشمس والقمر وامطار الامطار وانبات النباتات فهو لاء لا يجحدون الله وتسببه لاسباب الرزق [بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ] فيتوسلون بالاسباب وينصرفون عن مسببها لعدم تعقلهم لانكارهم [وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ] الجملة حالية او معطوفة باعتبار المعنى كأنه قال: انه هيا اسباب الحياة الدنيا الدانية التى حيوه جميع احيائها مشوبة بالممات، ووجودها مشوب بالاعدام، وجدها لهو او لعب ولم يتركها بدون تهية اسباب الوجود والبقاء والتعيش باعتراف المقر والمنكر فكيف بالحياة الآخرة التى حيوه جميع اجزائها عين ذواتهم، ووجودها خالص من شوب النقص ولذا انها مبرأة من شوب الالم فان الحياة الدنيا حيوه بالعرض [وَأَنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ] بجميع اجزائها [لَهِىَ الْحَيَاةُ] محصورة فيها الحيوه او المعنى انهم مهتمون بامر الحيوه الدنيا التى يرون انها كلعب الاطفال غير باقية وغير مترتب عليها فائدة وان الدار الآخرة لهى الحيوان [لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ] لا تمتنعوا من الاهتمام بامر الحيوه الدنيا ولكانوا مهتمين بامر الحيوه الآخرة او لفظ لو للتمنى وقد مضى الفرق بين اللهو واللعب وان الاول ما لا يكون له غاية لاعقلانية ولا خيالية، والثانى ما لا يكون له غاية عقلانية ويكون له غاية خيالية وان كان الاول ايضا لا يخلو عن غاية خفية [فَإِذَا زَكَّيْتُمْ فِي الْقُلُوبِ] عطف باعتبار المعنى كأنه قال اذا كانوا فى البرمطمثين كانوا غافلين عن الله والآخرة مهتمين بامر الحيوه الدنيا فاذا زكبو فى القلوب وخافوا على الحيوه الدنيا [دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ] اى الطريق اليه لا الملة او الاسلام او الايمان فان الآية عامة لذوى الملل الالهية

وغيرهم [فَلَمَّا نَجَّيْنَاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ] بالله أو بالآخرة أو بالدين أو بصيرون مشركين [لِيَكْفُرُوا] هذا من قبيل فالتعطلة آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً أي صار غاية اشراكهم الكفران [بِمَا آتَيْنَاهُمْ] من نعمة الانجاء أو مطلق النعم [وَلِيَسْتَمْتَعُوا] في حيوتهم الدائرة فإن كان متذكراً لأنعم الله وانعامه لا يتيسر له التمتع بمستلذات الحيوانية [فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ] عقوبة الاشراك ووبال التمتع في الحياة الحيوانية أو سوف يعلمون ان ذلك كان خطاءً ووبالاً [أ] يكفر اهل مكة بنعمه ويشركون به [وَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا مِّنَّا] أي لهم فان الحرم قديماً وحديثاً كان بالمواضع آمناً اهلهم من الصدمات الواردة على سائر البلاد وسائر العرب وكان آمناً بمشية الله من تعرض المتعرضين له مثل تعرض ملك اليمن لخراجه [وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ] بالقتل والاسر [أ] اهواءهم يتبعون [فَبِالْبَاطِلِ] الذي هو اهواءهم اولاً ، والشياطين ثانياً ، والاصنام والكواكب أو شركاء الولاية ثالثاً [يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ] التي هي جعل الحرم آمناً لهم أو جملة نعم الله والولاية التي هي اصل كل النعم [يَكْفُرُونَ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا] مفعول به لا فتري اذا كان على التجريد ، أو مفعول مطلق من غير لفظ الفعل وهذه العبارة تستعمل في اظلمية المفترى وان كانت بمفهومها اللغوي اعم منه ، والافتراء على الله اعم ممن ان يجعل مالم ياذن به شريكاً له أو يفتي أو يقضي بين الناس أو يؤم الناس به أو يترأس من غير اذن وإجازة من الله وخلفائه ، فان الاجازة من الله أو خلفائه تجعل وجود المجاز كالانفحة التي تورث في كل لبن وصل إليها كيفية بها تتعقد ونصير جبناً وبدون الاجازة لا يؤثر ملاقة العالم ولا قوله ولا البيعة معه بل يكون العالم اضر على ضعفاء العقول من جيش يزيد لعنه الله على اصحاب الحسين (ع) لان ملاقة العالم حينئذ والبيعة معه يبطل استعداد الملاقى في الاغلب ، ومن هذا يعلم حال من يقول : لا حاجة لي الى الاجازة بل الناس محتاجون الى اجازتي [أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ] أي الامر الثابت أو الولاية فانها الحق حقيقة وسائر الاشياء حقيقتها لا تكون الا بها [لَمَّا جَاءَهُ] من نبي وقته (ع) بنصيه وتعيينه لولي الامر [أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَشْوَئٌ لِلْكَافِرِينَ] جواب لسؤال مقدر كأنه قيل : ما حال المفترى والمكذب و اين يكون مقامه ؟ فقال : حاله انه كافر فانه ما لم يستر الحق ووجهه لا يمكنه الافتراء والتكذيب ، وكل كافر مشواه جهنم ، لكنه اداه بهذه العبارة تأكيداً له واشعاراً بان كفر مثله لا حاجة له الى البيان [وَالَّذِينَ جَاهَدُوا] عطف على قوله : ومن اظلم فانه في معنى لا اظلم ممن ترك المجاهدة فينا واستبد برأيه وتوسل بانانيته وقوى انانيته بالافتراء علينا والتكذيب للحق ، والذين جاهدوا بالقتال الظاهر أو بالقتال الباطن ، أو اتعبوا انفسهم أو بالغوا في الجهد والتعب [فِينَا] أي في طلبنا أو في محبتنا أو في طريقنا التي هداهم خلفاؤنا اليها وفي تعظيمنا وفي التوسل بنا بالتوسل الى خلفائنا [لَنَهْدِيَنَّهُمْ] أي لنسلكتهم ولنوصلتهم اولئريتهم [سُبُلَنَا] المعوجة والمستقيمة جميعاً [وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ] وضع الظاهر موضع المضمر للإشارة الى قياس اقترائي يعني من هديناه سبلنا جميعاً صار محسناً أو من جاهدنا كان محسناً ، وكل من كان محسناً كان الله معه لان الله مع المحسنين ، والمراد بالمجاهدين من كان في الطريق وفي السفر الاول والثاني ، والمراد بالمحسن من سار في الخلق بالحق ومن سار في السفر الرابع فانه المحسن على الاطلاق كما مضى في سورة المائدة عند قوله تعالى ثم اتقوا واحسنوا والمعنى الذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ، والذين وصلوا بنا ثم عادوا الى الخلق كان الله الذي هو غيب عن المجاهدين حاضراً معهم ، ووجه الالتفاتات في تلك الآيات موكول الى ذوق الناظر ، والله موفق للرشاد .

سُورَةُ الرَّؤْمِ

مَكِّيَّةٌ كُلُّهَا ، وَقِيلَ : سَوَى قَوْلِهِ : فَسَبِّحْ حَانَ اللَّهِ حِينَ تَمْسُونَ (الآية) وَهِيَ سِتُّونَ آيَةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[أَلَمْ غَلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ] أَيْ ادْنَى أَرْضِهِمْ مِنْ أَرْضِ فَارِسٍ وَأَرْضِ الْعَرَبِ [وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ] قَرِىُّ الْفَعْلَانِ مَبْنِيَيْنِ لِلْمَفْعُولِ ، وَقَرِىُّ الْأَوَّلِ مَبْنِيٌّ لِلْمَفْعُولِ وَالثَّانِي مَبْنِيٌّ لِلْفَاعِلِ وَهِيَ الْقِرَاءَةُ الْمَشْهُورَةُ ، وَقَرِىُّ بِالْعَكْسِ ، قِيلَ : إِنَّ الْفَرَسَ غَزَتِ الرُّومَ فَوَافَوْهُمْ بِأَذْرَعَاتٍ وَقِيلَ : بِالْجَزِيرَةِ فَغَلَبُوا عَلَيْهِمْ وَبَلَغَ الْخَبِيرُ مَكَّةَ فَفَرَحَ الْمُشْرِكُونَ وَشَمَتُوا بِالْمُسْلِمِينَ وَقَالُوا : أَنْتُمْ وَالنَّصَارَى أَهْلُ كِتَابٍ وَنَحْنُ وَفَارِسٌ أُمِّيَّةُونَ ، وَقَدْ ظَهَرَ إِخْوَانُنَا عَلَى إِخْوَانِكُمْ وَلِيُظْهِرُونَ عَلَيْكُمْ ، فَتَزَلَّتْ ، وَفِي خَبَرٍ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ص) بَعْدَ مَا هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَظَهَرَ رِسَالَتَهُ كَتَبَ كِتَابًا إِلَى مَلِكِ الرُّومِ وَكِتَابًا إِلَى مَلِكِ فَارِسٍ فَعَظَّمْ مَلِكُ الرُّومِ كِتَابَ الرَّسُولِ (ص) وَعَظَّمْ رَسُولُهُ ، وَهَانَ مَلِكُ فَارِسٍ كِتَابُهُ (ص) وَهَانَ بِرَسُولِهِ ، وَكَانَ بَيْنَ الرُّومِ وَالْفَرَسِ مَقَاتِلَةٌ فَغَلِبَتِ الْفَرَسُ الرُّومَ فَسَاءَ ذَلِكَ لِلْمُسْلِمِينَ لِمَا كَانُوا أَحْبَبُوا مَلِكُ الرُّومِ وَابْغَضُوا مَلِكُ الْفَرَسِ ، فَتَزَلَّتِ الْآيَةُ : أَلَمْ غَلِبَتِ الرُّومُ يَعْنِي غَلِبَتْهَا فَارِسٌ فِي ادْنَى الْأَرْضِ وَهِيَ الشَّامَاتُ وَمَا حَوْلَهَا وَهُمْ يَعْنِي فَارِسٌ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمُ الرُّومُ سَيَغْلِبُونَ يَعْنِي يَغْلِبُهُمُ الْمُسْلِمُونَ [فِي بَضْعِ سِنِينَ] وَهِيَ مَا بَيْنَ الثَّلَاثِ إِلَى الْعَشْرِ فَلَمَّا غَزَا الْمُسْلِمُونَ فَارِسَ وَافْتَتَحُوهَا فَفَرَحَ الْمُسْلِمُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قِيلَ : أَلَيْسَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ فِي بَضْعِ سِنِينَ وَقَدْ مَضَى مِنَ نَزُولِ الْآيَةِ سِنِينَ عَدِيدَةٌ حَتَّى افْتَتَحَ الْمُسْلِمُونَ فِي أَمَارَةِ عَمْرِ فَارِسٍ ؟ فَقَالَ الْإِمَامُ : أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ أَنَّ لِهَذَا تَأْوِيلًا وَتَفْسِيرًا وَالْقُرْآنُ نَاسِخٌ وَمَنْسُوخٌ أَمَا تَسْمَعُ لِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ [لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ] يَعْنِي إِلَيْهِ الْمَشِيَّةُ فِي الْقَوْلِ أَنْ يُؤَخَّرَ مَا قَدْ مَاقَدَّمُ وَيَقْدَّمَ مَا أَخَّرَ فِي الْقَوْلِ إِلَى يَوْمٍ تَحْتَمُّ الْقَضَاءُ بِتَرْوِيلِ النَّصْرِ فِيهِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ، وَبِنَاءِ مَا ذَكَرَ عَلَى قِرَاءَةِ الْفَعْلَيْنِ مَبْنِيَيْنِ لِلْمَفْعُولِ ، وَرَوَى عَنْ أَهْلِ الْبَيْتِ (ع) أَنَّ قَوْمًا يَنْسُبُونَ إِلَى قَرِيشٍ وَلَيْسُوا مِنْ قَرِيشٍ بِحَقِيقَةِ النَّسَبِ ، وَهَذَا مِمَّا لَا يَعْرِفُهُ إِلَّا مَعْدَنُ النَّبَوَّةِ وَوَرِثَةُ عِلْمِ الرِّسَالَةِ وَذَلِكَ مِثْلُ بَنِي أُمَيَّةَ ذَكَرُوا أَنَّهُمْ لَيْسُوا مِنْ قَرِيشٍ وَإِنْ أَصْلُهُمْ مِنَ الرُّومِ وَفِيهِمْ تَأْوِيلُ هَذِهِ الْآيَةِ أَلَمْ غَلِبَتِ الرُّومُ مَعْنَاهُ أَنَّهُمْ غَلَبُوا عَلَى الْمَلِكِ وَسَيَغْلِبُهُمْ عَلَى ذَلِكَ بَنُو الْعَبَّاسِ ، وَبِنَاءِ هَذَا عَلَى قِرَاءَةِ غَلِبَتِ مَبْنِيًّا لِلْفَاعِلِ وَسَيَغْلِبُونَ مَبْنِيًّا لِلْمَفْعُولِ .

اعْلَمْ ، أَنَّ الْقُرْآنَ كَمَا سَبَقَ فِي الْفَصْلِ الْحَادِي عَشَرَ وَالثَّانِي عَشَرَ فِي أَوَّلِ الْكِتَابِ ذُو وَجْهِ بِحَسَبِ مَعَانِيهِ وَذُو وَجْهِ بِحَسَبِ الْفَاقِظَةِ وَقِرَائَتِهِ ، وَأَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُرَادًا بِجَمِيعِ وَجْهِهِ وَمُتَزَلًّا بِجَمِيعِ قِرَائَاتِهِ وَأَنَّهُ كَثِيرٌ مَا يَخْتَلِفُ الْمَعْنَى وَالرَّوْجُ اخْتِلَافًا تَامًّا مُؤَدِّيًا إِلَى إِرَادَةِ الضَّدَّتَيْنِ مِنَ اللَّفْظِ بِحَسَبِ حَقَائِقِهِ وَمَجَازَاتِهِ وَتَعْرِيفَاتِهِ وَكُنَايَاتِهِ فَعَلَى هَذَا صَحَّتِ التَّفْسِيرَاتُ الْمُخْتَلِفَةُ الَّتِي وَرَدَتْ عَنْهُمْ (ع) بِإِعْتِبَارَاتِ الْقِرَائَاتِ الثَّلَاثِ وَصَحَّ تَفْسِيرُ الرُّومِ بِنَبِيِّ أُمَيَّةَ بِنَاءً عَلَى تَشْبِيهِهِمْ بِأَهْلِ الرُّومِ فِي الْكُثْرَةِ ، وَفِي الْإِهْتِمَامِ بِالدُّنْيَا وَإِعْتِبَارَاتِهَا ، وَفِي اخْتِذَاكَ الْمَذْهَبِ مُحَضَّرِ الرِّسْمِ وَالْمَلَّةِ ، وَفِي اخْتِلَافِ الْمَذَاهِبِ وَكَثَرَتِهَا ، وَصَحَّ تَفْسِيرُهُ بِأَهْلِ الْمَوَدَّةِ وَالسَّلَامَةِ ، وَصَحَّ تَفْسِيرُهُ بِمَلِكِ النَّفْسِ وَاهْوِيَّتِهَا الْمُتَضَادَّةَ الْمُتَخَالِفَةَ ، وَعَلَى هَذَا

التفسير والتفسير الأول ورد: ان فرح المؤمنين بنصر الله يكون عند قيام القائم عجل الله فرجه، وفي خبر: فرح المؤمنون في قبورهم بقيام القائم (ع) ومعنى قوله تعالى الله الامر من قبل انه لا يخرج الامر من قدرته من قبل غلبتهم ومن بعد غلبتهم، او من قبل ان يقضى ومن بعد ان يقضى، فانه يتصرف فيه متى لم يمضه باى نحو شاء فيكون اشارة الى جواز البدء [وَيَوْمَئِذٍ] يوم غلبة الروم، او مغلوبية فارس بالمسلمين او مغلوبية بنى امية او مغلوبية جنود الجاهل واهوية النفس بظهور القائم (ع) [يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ] فلا اختصاص بنصره بالمؤمن بل ينصر المؤمن تارة والكافر اخرى لكن المنظور من نصرهما صلاح المؤمن واصلح [وَهُوَ الْعَزِيزُ] الغالب الذى لا يدفع عن مراده [الرَّحِيمُ] الذى لا يفعل ما يفعل الابرحمته، وصيرورة الرحمة في بعض القوابل غضباً وعذاباً انما هو من قبل القابل [وَعَدَ اللَّهُ] اى وعد الله نصرهم وفرح المؤمنين وعداً [لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ] عدم خلف وعده، او نصره للمؤمنين، او نصره لمن يشاء، او كيفية وعده، او كيفية نصره؛ ولذلك لا يرون من النصر الا الغلبة في الظاهر دون الغلبة في الباطن ولذلك قال [يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا] او المعنى اكثر الناس لا علم لهم فان العلم هو الادراك الاخرى الذى يكون في الاشتداد الى جهة الآخرة وصاحب هذا الادراك قليل واكثر الناس ادراكهم مقصور على ما يعينهم في حياتهم الدنيوية دون الحياة الاخرية او لم يكن ادراكهم للامور الاخرية في الاشتداد الى جهة الآخرة بل كان مصروفاً عن جهة الآخرة الى جهة الدنيا ولذلك قال تعالى: يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا، ولفظة من بيانية او ابتدائية او تبعية اى يعلمون امراً ظاهراً يدركه المدارك الظاهرة الحيوانية وهى عبارة عن الحياة الدنيا ولوازم بقائها وامراً ظاهراً هى الآثار الناشئة من الحياة الدنيا من مقتضياتها وملائمتها ومنافراتها، وامراً هو بعض من الحياة الدنيا وقد عُدَّ في الاخبار مثل علم النجوم من جملة ذلك، ونعم ما قيل:

سرخ جانفش سوش شد سوراخ جو	چون شنيد از گريگان او عرجو
زان سبب جانفش وطن ديد و قرار	اندر اين سوراخ دنيا سوش وار
هم در اين سوراخ بنائى گرفت	در خور سوراخ دانائى گرفت
پيشه هائى كه مر او را در مريد	اندر اين سوراخ كار آيد گريد
زانكه دل بركند از بيرون شدن	بسته شد راه رهيدن از بدن

[وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ] التى هى باطن الحياة الدنيا وجهة غيبها وبعض منها [هُمْ غَافِلُونَ] الانيان بضمير الفصل لتأكيد الحكم وللإشعار بالحصر، واستعمال الغفلة دون الجهل وامثاله للإشعار بان الآخرة معلومة لكل احد بل مشهودة لهم في النوم حين الرؤيا خصوصاً عند الرؤيا الصادقة بل في اليقظة بالآثار الدالة على وجودها من الثقليات والدوائر التى تكون في العالم الكبير وفي العالم الصغير، وعدم النظر والتوجه اليها ليس الا محض الغفلة عنها للجهل بها، وقد مضى في الفصل الاول والثاني والثالث في أول الكتاب وعند قوله تعالى: لقد علموا لمن اشتراد ماله في الآخرة من خلاق، من سورة البقرة تحقيق وتفصيل للعلم والفرق بينه وبين الجهل المشابه للعلم؛ من اراد فليرجع اليها [أ] لم يرجعوا الى مداركهم الباطنة [وَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ] فى حق أنفسهم حتى يجدوا ان فيها سماء وارضاً يعنى روحاً وجسداً وان حيوة الجسد التى هى الحياة الدنيا ليست الا بالحياة الروحية التى هى الحياة الاخرية حتى يعلموا الآخرة ولا يكونوا غافلين عنها، او المعنى اولم يتفكروا عند انفسهم حتى يعلموا [مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ] اى سماوات الارواح [وَالْأَرْضِ] اى ارض الاشباح [وَمَا بَيْنَهُمَا] الا بالحق الذى هو حقيقة الحياة الدنيا والآخرة

حتى يعلموا ان فى الدائرات التى منها الحياة الدنيا حقاً باقياً ثابتاً فلم يغفلوا عنه وطلبوا الوصول اليه وهو جهة الآخرة والجملة معلق عنها لم يتفكروا فانه فى معنى لم يعلموا [وَأَجَلٌ مُّسَمًّى] فانهم وان لم يكونوا يحصل لهم بالتفكير علم بدثور سموات الطبع وارضه فى العالم الكبير لكن يحصل العلم بدثورهما فى العالم الصغير وان لهما اجلاً معيناً بحسب الاسباب الطبيعية من العمر الطبيعى واجلاً معلقاً بحسب القواطع والموانع من الوصول الى اجله الطبيعى [وَأَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ] ولذلك يعملون الاعمال السيئة واذا تفكروا ان اعمال هؤلاء الكثير نشأت من كفرهم بقاء ربهم اجتنبوا مثل اعمالهم والجملة عطف على جملة ما خلق الله السماوات او معلق عنها لم يتفكروا مثل المعطوف عليها [أ] لم يخرجوا من اوطانهم الصورية ومن بيوت نفوسهم [وَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ] الطبيعية وفى ارض وجودهم وارض القرآن والسير الحسنة والغير الحسنة [فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ] والضمائر الثلاثة للكثير من الناس او لمرجع الضمير الفاعل لقوله اولم يتفكروا [كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً] بحسب البدن والمال والاعوان [وَأَثَارُوا الْأَرْضَ] بتقليب وجهها لاستنباط المياه واستخراج المعادن وللزراعة وغرس الاشجار وغير ذلك من التصرفات والمقصود انهم أثاروا الارض اكثر مما أثاروها بقرينة قوله تعالى: [وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا] وابادهم الله تعالى ولم ينفعهم قوتهم واثارتهم وعمارتهم فلا ينبغي لكم ان تغتروا بقوةكم واثارتكم وتعميركم [وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ] اى احكام الرسالة او المعجزات فاغترتوا بقوةهم وكذبوا الرسل مثلكم فخذلهم الله واهلكهم [فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ] بتعريضها لسخط الله [ثُمَّ كَانَ] عطف على اولم يتفكروا باعتبار المعنى فانه فى معنى لم يتفكروا او على اولم يسيرا باعتبار المعنى كانه قبل: لم يسيرا ثم كان عاقبتهم، او عطف على كانوا انفسهم يظلمون يعنى كانوا انفسهم يظلمون ثم كان [عَاقِبَةُ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوءِ] هذا من قبيل وضع الظاهر موضع المضمرة للاشعار بسببية الاساءة للتسوية التى هى اكبر التى هى تكذيب آيات الله والاستهزاء بها ، او المقصود تخصيص هذا الوصف بالمسيئين منهم التسوية لا المسيئين السيئة ، وليس من قبيل وضع الظاهر موضع المضمرة بل المقصود بيان حكم من اساء التسوية من غير تعرض للمذكورين والتسوية تأنيث الاسوء ، او مصدر ، ولنظة ثم للتعقيب فى الوجود او للتعقيب فى الاخبار [أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ] واعظمها الانبياء والاولياء (ع) [وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ] والاستهزاء بالآيات اعظم جرماً من التكذيب واعراب الآية ان التسوية خبر كان واسمها على اختلاف القراءة برفع عاقبة الذين ونصبها وان كذبوا بدل منه او بتقدير التلام او التسوية مفعول مطلق او مفعول به لا ساوا وان كذبوا خبر كان واسمها [اللَّهُ يَبْدُو الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ] هذه جملة منقطعة ومقدمة لقوله: يوم تقوم الساعة (الى آخرها) والمراد بالاعادة الاعادة الى البرازخ [ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ] يعنى بعد المكث فى البرازخ ترجعون اليه لا الى غيره [وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ] عند الرجوع اليه [يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ] من الخلق اى يشنون او ينجسرون لغاية الدهشة [وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَاءِهِمْ] فى الوجوب ، اوفى الآلهة ، اوفى العباد ، اوفى الطاعة ، اوفى الولاية ، اوفى الوجود والشهود [شُفَعَاءُ] يشفعون لهم عند الله كما قال بعض المشركين: هؤلاء شفعاؤنا عند الله [وَكَانُوا بِشُرْكَائِهِمْ كَافِرِينَ] الباء صلة كافرين او سببية [وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومَثَلُونَ] تاكيد ليوم تقوم الساعة [يَتَفَرَّقُونَ] يعنى يتفرقون فرقتين فرقة الى الجنة وفرقة الى النار ، او المعنى انهم كانوا مجتمعين فى الدنيا

على الاكل والشرب وكيفيتهما والوقاع والشكل والتنوع وهكذا في البرازخ وفي القيامة وحين ظهور كل بصورته المملوكة التي يحشر عليها يتفرقون انواعاً مختلفة واشكالاً متخالفة فبعضهم يحشرون على صور المخازير بل على صور يحسن عندها القردة والمخازير، وبعضهم على صور الكلاب وسائر السباع، وبعضهم على صور الحشرات، وبعضهم على احسن الصور، ويتفرقون الى مقاماتهم في الجنة والنار [فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا] تفصيل لتفرقهم اجمالاً [وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ] فهم في روضةٍ يُحْبَرُونَ [من احببه اذا سره او انعم عليه] وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ [قالا] كَالطَّيِّعِينَ وَالَّذِينَ يُنْكِرُونَ [منكري المعاد او حالاً] كَأَكْثَرِ النَّاسِ [فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ] في العذاب ظرف لغوي متعلق بمحضرين او مستقر حال عن فاعله [فَسُبْحَانَ اللَّهِ] جواب لشرطٍ مقدرٍ وسبحان مصدر في معنى التسبيح او بمعناه التلازم ومقدر بفعل الامر اي اذا كان الامر هكذا فسبحوا الله او فليسبح الله سبحانه [حين تُمْسُونَ] تدخلون في المساء [وَحِينَ تَصْبِحُونَ] اي تدخلون في الصباح وهما وقتا اختلاط النور والظلمة [وَلَهُ الْحَمْدُ] جملة حالبة او خبر في معنى الانشاء وعطف على سبحانه الله [فِي السَّمَاوَاتِ] سماوات الطبع وسماوات الارواح [وَالْأَرْضِ] ارض الطبع وارض عالمي المثال [وَعَشِيًّا] وقت العصر وهو وقت دخول فضيلة صلوة العصر الى آخر النهار [وَحِينَ تَظْهَرُونَ] تدخلون في الظهر وهو ساعة الزوال او المراد وقت ارتفاع الشمس الى انقضاء وقت فضيلة صلوة الظهر، خص التسبيح بالمساء والصباح لان هذين وقت اختلاط النور والظلمة وانموذج اختلاط ظلمة الطبع ونور الروح وظلمة المقام الداني ونور المقام العالي، وينبغي للانسان حينئذ تنزيه لطيفته الانسانية التي هي انموذج الله واسمه تعالى عن الظلام بخلاف اوقات النهار فانها اوقات استواء النور من دون اختلاط الظلام، ولا حاجة للانسان الى تنزيه اللطيفة حينئذ، ولم يذكر السماوات لان السماوات مقام تنزيه الله والواقع في تلك المقام لا حاجة له الى تنزيه ولم يذكر الارض اتباعاً لعدم ذكر السماوات والافالواقع في الارض محتاج الى تنزيه اللطيفة الانسانية، ويجوز ان يكون قوله عشيّاً وحين تظهرون عطفاً على حين تمسون، ويكون اشارة الى استغراق التسبيح لجميع الاوقات واستغراق الحمد لجميع الامكنة والمقامات، وعليه قيل: ان ذكر الاوقات اشارة الى الصلوات الخمس [يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ] استئناف جواب لسؤال مقدر ناش من السابق [وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ] قد مضى الآية في سورة يونس مع تفسيرها [وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا] يعني يحيي ارض الطبع في العالم الكبير بانبات نباتها بتهييج العروق المكمونة والحبوب المستورة فيها، وانباتها بأنواع النبات والاشجار وقت الربيع، وارض العالم الصغير باحياء قواها الارضية الدائرة بالحياة الانسانية، الباقية بعد موتها في الشتاء، وحين الصبا وبعده الى زمان البيعة باحدى البيعتين [وَكَذَلِكَ] اي مثل اخراج الحي من الميت واخراج الميت من الحي واخراج النبات من الارض بارسال الامطار عليها [تُخْرِجُونَ] في النفخة الثانية او تكون في الخروج من اول انعقاد نطفكم واولى موادكم فانه تعالى لا يزال من اول انعقاد النطفة في الرحم يخرج آناً فآناً المكمونات التي تكون بالقوة في النطفة الى الظهور والفعلية، او مثل احياء الارض باخراج نباتها وقواها المكمونة فيها تخرجون، وقرئ تخرجون مبنياً للمفعول ومبنياً للفاعل من الثلاثي المجرد، ورد عن الكاظم (ع) بياناً لوجه من وجوه الآية في قوله: يحيي الارض بعد موتها ليس يحييها بالفطر ولكن يبعث الله رجالاً فيحيون العدل فتحيي الارض لاحياء العدل ولاقامة الحد فيه انفع في الارض من القطر اربعين صباحاً [وَمِنْ آيَاتِهِ] عطف على جملة يخرج الحي فانه في معنى قوله من آياته ان يخرج الحي من الميت [أَنْ خَلَقَكُمْ]

مِنْ تُرَابٍ [باعتبار خلق آدم (ع) ابيكم منه او باعتبار خلق مادّتكم ممّا يحصل من التراب ويغلب عليه التراب] ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ [تتحركون وتدبّون وليس للارض حركة ولا قدرة على الحركة .

اعلم ، انّ فى خلق الانسان الذى له علم و ارادة وقدرة واختيار واستعداد للتصرف فى الملكوتين وتسخير اهلها واستعداد للترقى عن هذا العالم والحركة الى السماء او الى عوالم الارواح من العناصر التى لا شعور لها ولا قدرة ولا اختيار مع كون الغالب فى مادّته الماء والارض اللتين هما انزلها آيات عديدة دالة على علمه تعالى وقدرته وحكمته واحاطته وتديره واناطة افعاله بغايات عديدة متقنة ، وتصرفه فى عالم الارواح وعالم الطبع بما لا يمكن ادراك كيفية تصرفه وتمزيجه للقوى الروحانية مع القوى الارضية بحيث لا يمكن التمييز بينهما ؛ ويشبه على كثير ان القوى الروحانية ليست الا القوى الجسمانية حتى قالوا : ان النفس الانسانية جسم سار فى البدن كسر يان الماء فى الزرد [وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ] يعنى من جنسكم [أَزْوَاجًا لَتَسْكُنُوا] لتنبوا [إِلَيْهَا] فتسكنوا عن الحركة عنها فانّ الأزواج لو لم يكن من جنسكم لكنتم نافرين عنهم بعد قضاء حاجاتكم [وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ] ايها الأزواج اوياتها الاناسى [مَوَدَّةً وَرَحْمَةً] محبة وتعطفاً ورقة حتى يكون تلك المحبة سبباً لاجتماعكم وبقاء اجتماعكم وتلك الرقة سبباً لحراسة بعضكم بعضاً وللإهتمام بخيره واصلاحه [إِنَّ فِي ذَلِكَ] المذكور من خلق الأزواج من انفسكم وجعل المودة والرحمة بينكم اوفى جعل المودة والرحمة بينكم اوفى اخراج الحى من الميت (الى آخر الآية) [لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ] .

اعلم ، انّ الانسان بحسب افراده ذو عرض عريض وذو مراتب كثيرة وهكذا بحسب حالات كل فرد ذو عرض عريض ؛ فمنهم من يكون غافلاً عن الله وآياته ولا كلام معهم ولا خطاب ولا آية لهم ولا دالة وكأين من آية فى السماوات والارض يمرّون عليها وهم عنها معرضون ، ومنهم من يتنبه بان الدنيا مقدّمة الآخرة وان ليس المقصود من الانسان ان يتعيش فى الدنيا كتعيش الحيوان فيتفكر فى كيفية خلقه وخلقه سائر المواليد فيتنبه من خلقها بانّ لها مبدءً قديراً علباً حكيماً ، ومنهم من يستعدّ بهذا التفكر لا فاضة الحق الاول تعالى عليه نور العلم ، فيفيض عليه نور العلم فانّ العلم نور يقذفه الله فى قلب من يشاء فيصير صاحب اولى مراتب العلم التى هى تكون سبباً للتّحجّر والانصات ، فانّ اولى مراتب العلم مفسّرة بالانصات كما عن النبى (ص) والتّحجّر يصير سبباً لطلب من يعلمه طريق الوصول الى دار العلم ومعدن النور ، ومنهم من يصل الى عالم وقته بعد طلبه وينقاد له ويستمتع منه وهذه المرتبة ثانية مراتب العلم كما فى الخبر المأثور عن الرسول (ص) ، ومنهم من يخرج من مقام الاستماع الذى هو مقام التقليد والعلم التقليدى فيجد ذوق معلوماته او يشاهد معلوماته او يتحقق بمعلوماته وهذه المراتب هى مراتب التحقيق فى العلم اذا علمت ذلك فاعلم ، انّ الآيات من قوله يخرج الحى من الميت (الى قوله) وهو العزيز الحكيم منزلة على مراتب افراد الانسان ، وكلّما كان منزلاً على مراتب الانسان بحسب افراده كان منزلاً على مراتبه بحسب احوال شخص واحد ، وكلّما كان منزلاً على مرتبة دائية كان لصاحب المرتبة العالية ايضاً لسعته واحاطته ؛ بخلاف ما كان لصاحب المرتبة العالية فانه خاص به وليس لصاحب المرتبة الدائية نصيب منه ، فقله : يخرج الحى من الميت (الى قوله) وجعل بينكم مودةً ورحمةً لصاحب التّنبه والتّفكر يعنى ليس له غيره ، لا ان صاحب العلم لا يدرك تلك الآيات ولا يلتذّبها [وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ] اى سماوات الطبع وارضه او سماوات الارواح وارضى الاشباح فى العالم الكبير والصغير [وَاختِلَافُ

مراتب التحقيق

فى العلم

أَلَسِنَتِكُمْ] بمعنى اختلاف لغاتكم فأنه يعبر كثيراً في العرب والعجم من اللغات والكلمات الجارية على اللسان باللسن أو اختلاف المستكلم في كيفية التأدية مع انكم من نوع واحد [و] اختلاف [أَلَوْ أَنْتُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ] دالات على علمه وحكمته تعالى وكمال عنايته بخلقه وقدرته وادارته وسلطنته و وحدته ، أو دالات على احوال صاحب اللسان والالوان كما في الخبر [لِلْعَالَمِينَ] قرئ بفتح التلام وعليها فليخصص بالذين حصل لهم العلم فان العالمين بفتح التلام مخصوص بذوى العقول بخلاف العالم الذي هو مفردة فأنه اعم من ذوى العقول وغيرهم ، وذووا العقول في الحقيقة هم الذين حصل لهم الشعور الانساني وليسوا الا الذين قذف الله في قلوبهم نور العلم ، وقرئ بكسر التلام وهم الذين قذف الله في قلوبهم نور العلم لا الذين حصلوا الصور الادراكية من امثالهم ومن الدفاتر ، وقدم هذا الصنف على المستمعين باعتبار اولي مراتب العلم فان المستمع هو الذي حصل له مرتبة السماع الذي هو ثانية مراتب العلم كما في الخبر النبوي (ص) ولم يقل لقوم يعلمون كسابقه ولا حقه اشعاراً بان حصول العلم خصوصاً مرتبته الاولى تلويناً لا يكتفى في ادراك تلك الآيات وروى عن الصادق (ع) ان الامام اذا ابصر الرجل عرفه وعرف لونه وان سمع كلامه من خلف حائط عرفه وعرف ماهو ، ان الله يقول : ومن آياته خلق السماوات والارض (الآية) قال وهم العلماء فليس يسمع شيئاً من الامر ينطق به الا عرفه ناج او هالك فلذلك يجيبهم بالذي يجيبهم ، وهذا الخبر بيان لاحد وجوه الآية واعتبر (ع) آخر مراتب العلم ، وقرأ (ع) العالمين بكسر التلام او حملة على معنى يوافق كسر التلام وجعل دلالة الآيات على احوال صاحب اللسان والالوان وعلى هذا فليكن المراد بالسماوات والارض سماوات الارواح وارض الاشباح في العالم الصغير لتكون فيها آيات دالات على احوال صاحب السماوات والارض [وَمِنْ آيَاتِهِ مَنْ أَمَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ] فائدة التقيد بهما مع انه لا يكون منام في غيرهما اطلاق المنام عن التقيد فأنه لو لم يذكرهما عقب المنام لتوهم ان المراد هو المنام بالليل لكونه معداً للمنام دون اليوم ولذلك لم يقيد الابتغاء بهما ففي المنام المطلق آيات دالات على حكمة الحق تعالى واتقان صنعه وكيفية خروج النفس من البدن بالموت ، ودالات على عالم آخر سوى عالم الكون والفساد ، وبقاء ذلك العالم واحاطته بعالم الطبع وكون صور جميع الاشياء ثابتة فيه وكيفية احاطة الحق تعالى بجملته الموجودات [وَأَبْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ] يعني فيهما فان في ابتغاء الفضل الذي فيه كمال النفس بحسب ظنهما سواء كان المراد بالفضل السعة وسائر ما يحتاج الانسان اليه في الدنيا او كمالات الانسان وسعة النفس بحسب امور الآخرة آيات دالات على مبدء ذي كمال وسعة وفضل فأنه لولا مبدء الكمال والفضل لم يطلب الانسان شيئاً منه [إِنْ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ] الذين هم صاحبوا المرتبة الثانية من العلم وهي مرتبة الاستماع والتقليد واليه اشار تعالى بقوله : او القى السمع وهو شهيد [وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ] كان الموافق للسابق واللاحق ان يقول : ومن آياته ان يريكُم البرق لكنه لما لم يرد ان يقول اراءة البرق من آياته عدل عنه ، والظرف لغو متعلق بيريكم ، اما جعل يريكُم بتقدير ان او واقعاً موقع المصدر فيذهب بنكتة العدول عن صريح ان او المصدر فأنه لما اراد ان يبين ان تلك الآيات آيات لمن صار علمه تحقيقياً ولذلك قال : يريكُم وان البرق المشهود انما ينشأ من الآيات الغيبية التي يكون صاحب التحقيق منتظراً لها دائماً قال : من آياته يريكُم دون ان يريكُم [خَوْفًا] اراءة خوف او هو بتقدير التلام وليس مفعولاً له او هو حال عن المفعول [وَوَطْمَعًا] والمقصود بالخوف من الصاعقة والطمع في الغيث [وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ] يحققون في العلم بالخروج من حد التقليد فان التعقل عبارة عن ادراك الشيء بالعقل لا بمحض التقليد وهم الذين يكون لهم قلب المشار اليهم بقوله : لمن كان له قلب وهذا مقام التحقيق في العلم

ووجدان آثار المعلوم والالتذاذ بالعلم وفوقه مقام الشهود والعيان فى ادراك المعلوم وهو خاص بالانبياء والاولياء (ع) وفوقه مقام التحقق بالمعلوم وهو مقام بعض الانبياء والاولياء (ع) [وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ] لا بآلة ومقيم اى السماء والارض فى العالم الصغير والعالم الكبير [ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ] عطف على ان تقوم بتأويل مفرد اى ثم خروجهكم من الارض اذا دعاكم دعوة من الارض [إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ] او هو عطف على مجموع من آياته ان تقوم السماء عطف الجملة ولم يكن حيثئذ من جملة آياته ولم يقل ههنا ان فى ذلك لآيات لقوم كذا لان هذه الآيات خاصة بالمشاهدين ، وليس للعالمين الغير المشاهدين فيها حق ونصيب والمشاهد من حيث انته مشاهد من صقع الله لا من جانب الخلق والله تعالى لا حاجة له الى آية فلم يقل : ان فى ذلك لآيات للمشاهدين وهذه هى الآيات العليا وليست الا للمصنف الاعلى من الانسان ، وقد سلف الاشارة الى ان كلما كانت آية للمصنف الادنى فبى آية للمصنف الاعلى ايضا من دون عكس وقد سبق الآية فى سورة النحل مع بعض الاشارات والنكات [وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ] اى السماوات والارض ومن فيهما يعنى ليس فيهما احد يكون شريكاً له تعالى [كُلُّ لَّهُ فَائِتُونَ] خاضعون منقادون وليسوا مقابلين له كما يقول الثنوية بانثور والظلمة او يزدان واهر يمن فلا تدله ولا ضد [وَهُوَ الَّذِى يَبْدُوُ الْخَلْقَ] لا غيره كما يقول الثنوية والابليسية ان اهر يمن مبدأ الشرور [ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ] اى الاعادة اسهل على الله بالقياس الى قدركم واصولكم والافليس شىء عليه اصعب من شىء ، او الضمير المجرور راجع الى الخلق : ومعنى كون الاعادة اسهل كونها غير محتاجة الى مادة وآلة وترية لحصول مادته واقتضاء فطرته الصعود الى اصله بخلاف الابداء فانه محتاج الى تهية مادة وترية العلوبات وحافظية الارضيات وابتلاف المتخالفات ومزجها وكسر سورتها ، وقيل : الاهون منسلخ عن معنى التفضيل [وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى] اى الصفات العليا [فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ] عن الصادق (ع) : والله المثل الاعلى الذى لا يشبهه شىء ولا يوصف ولا يتوهم فذلك المثل الاعلى ، او المقصود والله المشابه الاعلى فى السماوات من ارباب الانواع والعقول وفى الارض من الانبياء والاولياء (ع) روى عن الرضا (ع) انه قال ، قال النبى (ص) لعلى (ع) : وانت المثل الاعلى ، وفى خبر : نحن كلمة التقوى وسبيل الهدى والمثل الاعلى [وَهُوَ الْعَزِيزُ] الذى لا يغلب [الْحَكِيمُ] الذى لا يفعل ما يفعل الاحكم ومصالح وغايات متقنة [ضَرَبَ] الله [لَكُمْ] لانقاذكم واتعاظكم اولاحواكم فى اشراككم بالله ممالكه حتى تنبئوها وتعلموا ان هذا الاشراك خطأ محض [مَثَلًا] لحاله وحال شركائه بزعمكم [مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ] بيان للمثل كانه قال : المثل كون الممالك مع انهم ليسوا مملوكين لكم حقيقة شركاء لكم [فِيمَا رَزَقْنَاكُمْ] مع كون الرزق منا ونسبته اليكم محض اعتبار ولا ترضون به فكيف ترضون او كيف يرضى الله تعالى بجعل ممالكه الحقيقية التى لا وجود لهم من انفسهم فكيف بسائر الصفات شركاء له فى مملوكاته الحقيقية لكنه عدل الى هذا تأكيداً لنفى رضاهم بشراكة ممالكهم حتى يكون تأكيداً لنفى الشريك لله تعالى [فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ] عطف على مدخول الاستفهام يعنى لستم ترضون بمساواتهم لكم فكيف ترضون او يرضى الله بمساواة ممالكه له ، او عطف على حزب الله والفاء للتعقيب فى الاخبار وبعض اجزاء المعطوف يكون محذوفاً والتقدير فانتم ايها الاحرار فيما رزقناكم مساوون للممالك اوانتم ايها الاحرار والممالك فيه مساوون ولا ترضون بشراكة الممالك لكم مع مساواتهم لكم فى كل الجهات فكيف ترضون او يرضى الله بشراكة الممالك له [تَخَافُونَهُمْ] جملة حالية او مستأنفة والمعنى هل تخافونهم [كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ] فتجعلونهم

شركاء لخوفكم، او المعنى فانتم ومماليكم في الرزق سواء من كل الجهات سوى اعتبار نسبة المالكية اليكم وتخافونهم كخيفتكم من الاحرار، وينبغي لكم ان ترضوا بشراكتكم ولا ترضون فكيف يرضى الله بشراكة مماليكه له مع انهم ليسوا مساوين له بجهة من الجهات ولا يخافهم بشيء من الخوف [كذلك] التفصيل والتتميل لاشراكهم [نُفَصِّلُ الْآيَاتِ] في كل شيء [لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ] يحققون في العلم والادراك بعدما خرجوا من مقام التقليد والقوم يدركون ادراك الانسان لا ادراك الحيوان سواء كان ذلك الادراك تقليداً او تحقيقاً، فان التعقل يستعمل في الادراك الانساني المطلق كما يستعمل في الادراك العقلائي الذي لا يكون الا بالتحقيق دون التقليد، قيل: كان سبب نزولها ان قريشاً والعرب كانوا اذا حجوا يلبون وكانت تلبيتهم لبتيك لبتيك لاشريكك لك لبتيك ان الحمد والتعظيم لك والملك لاشريكك لك؛ وهي تلبية ابراهيم والانبياء (ع) فجاءهم ابليس في صورة شيخ فقال لهم: ليست هذه تلبية اسلافكم قالوا: وما كانت تلبيتهم؟ قال: كانوا يقولون: لبتيك اللهم لبتيك لاشريكك لاشريكك هولك، فتفرق قريش من هذا القول فقال لهم ابليس: على رسلكم (١) حتى آتي على آخر كلامي، فقالوا: ماهو؟ فقال: لاشريكك هولك تملكه وما يملكك، الاترون انه يملك الشريك وما ملكه، فرضوا بذلك وكانوا يلبون بهذا قريش خاصة فلما بعث الله عز وجل رسوله (ص) انكر ذلك عليهم وقال: هذا شرك فأنزل الله تعالى: ضرب لكم مثلاً من انفسكم هل لكم مما ملكتم ايها انكم من شركاء فيما رزقناكم فانتم فيه سواء اي ترضون انتم فيما تملكون ان يكون لكم فيه شريك واذا لم ترضوا انتم ان يكون لكم فيما تملكون شريك فكيف ترضون ان تجعلوا لى شريكاً فيما املك [بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا] وهذا اضراب عن مقدركا أنه قيل: هل لهم برهان مع وضوح بطلان الاشراك؟ فقال: ليس لهم برهان بل اتبع الذين ظلموا انفسهم بالاشراك بالله ما لم يأذن به الله، ووضع الظاهر موضع المضمرة ذمماً لهم بذلك [أَهْوَأَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ] يعني فأضلهم الله بالخذلان ولا يهدي احداً من اضله الله [وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ] ينصرونهم من عذاب الله [فَأَقِمْ] اي اذالم تكن تهدي من اضل الله ولم تكن تنصروهم فلا تحزن عليهم وانصرف عن الاهتمام بالخلق واقم عن الانحراف لهم [وَجْهَكَ لِلدِّينِ] اي الطريق الى الله [حَنِيفاً] ظاهراً او خالصاً وهو حال عن الوجه، او عن المضاف اليه الوجه، او عن الدين والمراد بالدين هو الطريق الى الله التكويني وهو الولاية التكوينية والطريق الى الله التكليفي وهو الولاية التكليفية وقد فسر اقامة الوجه للدين باقامته في الصلوة جانب القبلة من غير التفات الى اليمين والشمال وبالولاية [فِطْرَةَ اللَّهِ] منصوب على الاغراء او على المدح او بتقدير خذ، او مصدر للفعل محذوف دل عليه المذكور بعده، والفطرة هي الخلقة التي خلق الناس بل جميع الموجودات عليها وهي الولاية السارية في كل الموجودات تكويناً المطابق لها الولاية التكليفية التي كلف بها جميع الاناس [الَّتِي فِطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا] والتفاسير المختلفة التي وردت عن المعصومين (ع) في الآية راجعة الى ما ذكرنا [لَا تَبْدِيلَ لِمَخْلُوقِ اللَّهِ] فلا تحزن على ما قالوا في وصيكت ومنعه عن مقامه فانه لا يقدر احد على تبديل الولاية التكوينية والتكليفية [ذَلِكَ] المذكور من اقامة الوجه للدين او ذلك الدين الحنيف او الولاية التكليفية هو [الَّذِينَ الْقِيَمُ] لا غير [وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ] ان الذين القيم هو الولاية التي هي الطريق الى الله فلذلك تمسكوا بصورة الاسلام وتوقفوا عليها واهتموا بها واعرضوا عن الولاية التي هي الدين حقيقة، وصورة الاسلام ليست الا هداية اليها [مُنِيبِينَ إِلَيْهِ] الى هذا الدين الذي هو الطريق من القلب الى الله فانهم على الاستمرار في الانابة من الكثرات اليه بصنع الله الذي اتقن كل شيء فانهم على الدوام في الزكوة التي هي تصرف الفعليات الناقصة وبذلك تكويناً والصلوة التي هي التلبس بالفعليات الكاملة التي هي الانابة الى القلب

(١) اي افقوا مكانكم واستمعوا حتى يتم كلامي .

وطريقه ، اومنيبين الى الله فان الانابة الى طريق القلب والانابة الى الله والاناة الى القلب شيء واحد والتفاوت اعتبارى وهو حال من فاعل اقم بضميمة الامة الى الرسول (ص) اومن الناس [وَاتَّقُوهُ] اى الذين اواله [وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ] قد مضى معنى الصلوة واقامتها فى اول البقرة [وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ] بالله فى الوجوب اوفى العبادة اوفى الطاعة اوفى الدين اوفى اقامة الصلوة [مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ] اى طريق توجتهم اوطاعتهم اوصلوتهم اوولايتهم بان اتخذ كل منهم طريقاً او طاعة او صلوة غير ما للآخر، فاختلف كل مع الآخر، اوفرق كل دينه بان جعل لنفسه طريقاً عبدة او طاعات عديدة (الى الآخر) ، اوفرق كل دينه على اهوية عديدة كرجل متشاكس فيه رجال ، وقرى فارقوا دينهم اى طريقهم الانسانى الذى فطرهم الله عليه وهو الولاية التكوينية اوفارقوا ولايتهم التكليفية بعدم العمل بما وصل اليهم من ولى امرهم ، اوفارقوا علياً (ع) وقد سبق فى آخر سورة الانعام بيان تام لهذه الآية [وَكَانُوا شِيعَةً كُلٌّ حِزْبٌ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ] الجملة حالية اوصفة لشيعاً ، اومستأنفة لبيان حالهم ، اوتعليل لتفرقتهم .

اعلم ، ان الانسان لما كان فطرى التعلق فان تنبه وعلم ان كمالاته الانسانية غير حاصلة له وان ما هو الحاصل له ليس كمالاً كاملاً له ، بل له كمالات مفقودة غير متناهية فان افتقد ما فقدته ولم يكن المفتقد الا السالك الى الله بقدم الصديق لم يكن فرحاً بما عنده بل كان متزجراً مديراً عنه ، ومن لم يكن مفتقداً لما فقدته لم يكن له تعلق الا بما كان حاصلاً له من الكمالات الصورية من العلوم والعقائد والصفات والاخلاق والمكاشفات والاموال والاولاد فكان كل حزب بما لديهم فرحون حتى الكناس بكماله فى كنسه ، والساحر فى سحره ، والتاجر فى تجارته ، والعالم فى علمه ، والعابد فى عبادته ، والزاهد فى زهده ، والعارف فى عرفانه [وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ] لما يرتفع حينئذ حجاب النفس ومانع الرجوع والسلوك الى الله [ثُمَّ إِذَا أَذَقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً] نعمة بعد الخلاص من ذلك الضر [إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ] لا كلهم لان بعضهم لا يغلب عليهم الواهمة ولا تمنعهم من شكر النعمة كما كانوا حال الضر لا يمنعونهم الواهمة عن الالتجاء ودعاء كشف الضر [يَرْبُّهُمْ يُبَشِّرُ كُونَ] بر بهم المطلق يسوون الاصنام والكواكب والاهوية ، او بر بهم المضاف يسوون غير ولى امرهم [لِيَكْفُرُوا] اى بحصول كفرانهم ، اواللام للغاية وليست داخلية على العلة الغائية يعنى فيحصل لهم بعد الاشراك الكفران [بِمَا أَتَيْنَاهُمْ] من كشف الضر والنعمة [فَتَمَتَّعُوا] التفات للمبالغة فى التهديد [فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ] ان اشراككم او تمتعكم كان وبالاً عليكم [أَمْ أَنْزَلْنَاهُ] بل انزلناه [عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا] حجة او داسلطنة من الملائكة [فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشِرُ كُونَ] لفظة ما موصولة اومصدرية والمعنى فهو يتكلم بالاشراك الذى كانوا يشركون ، او باشرارك شريك كانوا به يشركون ، او يكونهم الله يشركون ، او يكونهم يعلى (ع) يشركون فى الولاية وهذا هو المنظور [وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً] نعمة وسعة فى المال والاولاد اوصحة فى الجسم والاولاد [فَرِحُوا بِهَا] لتعلقهم بما عندهم من النفس وقواها وملائمتها [وَأِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ] من رحمة الله [أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ] حتى يشكروا فى السراء ويسألوا فى الضر اء لا يفرحوا بالموجود ولا يأسوا حين فقدانه [إِنْ فِي ذَلِكَ] اى فى اختصاص البسط والتقدير بالله تعالى الذى من شأنه ان يراه كل راء لظهور آثاره من حيث انه يرى ان صاحبى الحبل الدقيقة فى تحصيل المعيشة محرومون عن التسعة فى المعيشة وصاحبى البلاء والبلادة مرزوقون سعة المعيشة [لَا يَأْتِ] عديدة دالة على علمه تعالى وعنايته بخلقه وتدبيره لهم وحكمته فى تدبيره وعجزهم عن تحصيل ما ارادوا

وتسخرهم لغيرهم [لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ] بالبيعة الخاصة فانه بهذا الايمان يفتح باب القلب و يفتح يدرك من الآيات حيثية كونها آيات [فَأَتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ] يعني اذا كان البسط والتقدير بيده تعالى فلا تبخل بما في يدك وآت كل ذي حق حقه وقد مضى الآية مع تفصيل في تفسيرها في اول سورة بنى اسرائيل [ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ] يعني اعطاء الحق لذى الحق ومنه اعطاء الامامة لعلی (ع) واعطاء التسعة في الصدر والقلب لمستحقيها خير للسالكين الى الله والطالبيين لوجهه الذي هو ملكوت ولي امرهم ، وان كان شراً للمنافقين الذين رضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها [وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ] فان الفلاح منحصر في البائعين بالبيعة الخاصة السالكين الى الله تعالى الطالبيين لظهور ملكوت ولي امرهم [وَمَا آتَيْتُمُ] هذا خبر في معنى النهي ولذلك حسن عطفه على الامر ، ولما كان النبي (ص) اصلاً في الخطاب الاول بل كان اصل الحقوق الخلافة وكان اعطاؤه منحصرأ فيه (ص) خصه هناك بالخطاب ، ولما كان المنظور من الحكم الثاني امته جمعهم معه بالخطاب او صرف الخطاب عنه (ص) اليهم [مِنْ رَبِّ] ما من شأنه ان يرد مع الزيادة من قرض او هدية لقصد العوض ، وخص هذا في الاخبار بالهدية التي يتوقع المكافاة عليها بأز يدمنها فانه ورد عن الصادق (ع) قال: الربا براء ان؛ رباً يؤكل ورباً لا يؤكل ، فاما الذي يؤكل فهديتك الى الرجل لتصيب منه الثواب افضل منها فذلك الربا الذي يؤكل وهو قول الله عز وجل وما آتيتم من رباً (الآية) واما الذي لا يؤكل فهو الذي نهى الله عنه واوعد عليه النار ، وعن الباقر (ع) هو ان يعطى الرجل العطية او يهدي الهدية لينتاب اكثر منها فليس فيه اجر ولا وزر ، وقرئ: آتيتم بالقصر بمعنى ما جئتم اليه لاعطائه من رباً [لِيَرْبُوهَا] قرئ بالياء التحتانية مفرد آمن الثلاثي المجرد ، وبالتاء الفوقانية جمعاً من باب الافعال [فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوهُنَّ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمُ مِنْ زَكَاةٍ] اي هدية او صدقة او قرض [تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ] قد مضى قبيل هذا ان المراد بوجه الله هو ملكوت ولي الامر [فَأُولَٰئِكَ] النفات من الخطاب الى الغيبة تفخيماً لهم بالانبات باسم الاشارة البعيدة [هُمُ الْمُضْغِفُونَ] يعني انه ير بوعند الله وير بوفي الدنيا ، فعدل عن ير بوعند الله للاشارة الى الزيادة في الدنيا وفي الآخرة ، عن امير المؤمنين (ع) : فرض الله الصلوة تنزيهاً عن الكبر ، والزكاة تسبيحاً للرزق ، وعن الصادق (ع) : على باب الجنة مكتوب : القرض بشمانية عشر ، والصدقة بعشرة ، ولا اختصاص للربا بالمال ولا للزكاة بل بجران في الاعمال والعرض والجاه والقوى وقوتها [اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ] جملة منقطعة عن سابقها [ثُمَّ رَزَقَكُمْ] فما لكم تبخلون [ثُمَّ يُمِيتُكُمْ] فما لكم تجمعون وتذخرون [ثُمَّ يُحْيِيكُمْ] فما لكم لاتذخرون لحيوتكم الباقية بالاعطاء من الغايات والارباء عند الله [هَلْ مِنْ شَرِّ كَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ] الزام لهم على الاقرار بعجز الشركاء وابطال شراكتهم [سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ] قرئ بالغيبة والخطاب [ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ] الفساد ضد الصلاح وهو في كل شيء ان يكون على ما يقتضيه طبيعته ، والفساد ان يكون خارجاً عما يقتضيه طبيعته ، وقد يستعمل الفساد في اخذ المال ظلاً وفي الجذب والمراد بظهور الفساد كثرته بحيث لم يكن من شأنه ان يكون مخفياً او غلبته على الصلاح ، وعلى العدل او على الرخاء ، والمراد بالبحر نفس البحر والقرى الواقعة فيها وعلى سواحلها [بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ] يعني ان الفساد في الارض ليس الا بشوم اعمال الاناس فيها سواء ارى يد بالفساد خروج الاشياء عن المجرى الطبيعي او الظلم والجذب ، قال الصادق (ع) : حيوه دواب البحر بالمطر فاذا كفت المطر ظهر الفساد في البر والبحر وذلك اذا كثرت الذنوب والمعاصي ، وقال الباقر (ع) : ذلك والله حين قالت الانصار : منّا امير ومنكم امير [لِيُذِيقَهُمُ] الله والفساد

[بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا] أى جزء بعض اعمالهم فان جزء الكل لا يكون الا فى الآخرة [لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ] عن المعاصى [قُلْ] يا محمد (ص) [سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ] كانوا يعملون السيئات فأذاقهم الله بعض جزائها حتى تعتبروا بذلك وتيقنوا بان الأعمال لا تكون بلا جزاء فى الدنيا ولا فى الآخرة ، وقد سبق مكرراً تفسير الأرض بارض العالم الصغير والعالم الكبير وارض القرآن والاخبار والتسير الماضية [كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ] يعنى ان شركهم ابتلاهم بسوء العاقبة فى الدنيا والآخرة فانتبهوا عن الشرك واحذروا عن سوء عاقبته [فَاقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ] كثره لان كل واحد تفرع على امر ولاهتمام باقامة الوجه للدين ، ولان الاول خطاب له (ص) وهذا خطاب له وتعريض بامتته [مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ] أى لا يرده الله او لا يرده ولا يمنعه احد من تصريف الله [يَوْمَ يُنْفِثُ الصَّدْعُونَ] يتصدعون أى يتفرون وقد مضى بيانه فى هذه السورة عند قوله ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرون [مَنْ كَفَرَ] بيان لتفرقهم او بيان لعلته تفرقهم [فَعَلَيْهِمْ كُفْرُهُمْ] وعمل صالحاً فلا لنفسهم يمهّدون] أى يسوون منازلهم فى الجنة ويصلحونها بأعمالهم لانفسهم لا لغيرهم ، عن الصادق (ع) انه قال : ان العمل الصالح ليسبق صاحبه الى الجنة فيمهّد له كما يمهّد لاحدكم خادمه فراشه [لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أٰمَنُوا] علة لاقم وجهك اولئك اولئك يوم اولئك لا مردّ له او ليصدعون والمراد بالايان الايمان العام الحاصل بالبيعة العامة النبوية وقبول الدعوة الظاهرة ، وبالعمل الصالح الايمان الخاص الحاصل بالبيعة الخاصة الولوية وقبول الدعوة الباطنة ، او المراد بالايان الايمان الخاص الحاصل بالبيعة الولوية ويكون قوله [وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ] اشارة الى العمل بما أخذ عليه فى عهده وبيعته [مِنْ فَضْلِهِ] يعنى لا يكون جزاؤهم بسبب عملهم فانه لا يدخل احد الجنة بعمله بل يكون بمحض فضله [إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ] سوق العبارة كان مقتضياً ان يقول : ويجزى الذين كفروا لكنه عدل الى هذا اشارة الى ان جزء الكافرين ليس من الغايات بالذات انما هى من تبعه اعمالهم وكفرهم وقد مضى مكرراً ان امثال هذا يستعمل فى معنى يفضيهم وان كان بمفهومه اعم منه [وَمِنْ آيَاتِهِ] الجملة معطوفة على جملة الله الذى خلقكم فانه فى معنى من آياته ان خلقكم ثم رزقكم ثم امانكم (الى آخرها) [أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَّاحُ مُبَشِّرَاتٍ] يعنى ارسال الرياح لحمل السحاب وتحريكه الى ما اراده من الامكنة ثم امطار الامطار وتوسعة الرزق عليكم بهامن جملة آياته الدالات على مبدء عليم حكيم قدير مريد رؤوف رحيم [وَلِيُنْذِرَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ] عطف على مبشرات فانه فى معنى ليشركم به [وَلِيُنْذِرَكُمْ بِأَمْرِهِ] أى بأمره للرياح فانه لولا الرياح لما جرى الفلك على متن الماء سواء كان تلك الرياح بامر من الله او بصنع من الناس كالفلك التى تجرى بالبخرة المصنوعة [وَلِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ] يجرى الفلك فى البحر او بمطلق ما يحصل من الامطار والرياح [وَلَعَلَّكُمْ] تنبهون بان تلك النعم من الله وان لا يقدر احد على امثاله [تَشْكُرُونَ] نعمه [وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاؤُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ] كما أرسلناك الى قومك فجئتهم بالبينات فكذب الاقوام رسلهم كما كذبك قومك [فَأَنْتَقِمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا] من اقوام الرسل فليحذر قومك من تكذيبك ومن انتقامنا واصبرناك والمؤمنون على اذاهم فانتقم من المجرمين [وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ] ومن كان حقاً على الله ان ينصره على عدوه فلا يحزن من معاداة احد وهو تسلي تامة للمؤمنين وتقوية لقلوبهم وتفخيم لشأنهم من حيث انه تعالى جعلهم

ذوى حق عليه ؛ عن النبي (ص) : ما من امرء مسلم يرد عن عرض أخيه ألا كان حقاً على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة، ثم قرأ : وكان حقاً علينا نصر المؤمنين، وعن الصادق (ع) قال : حسب المؤمن نصره أن يرى عدوه يعمل بمعاصي الله [اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ] جملة مستأنفة في مقام التعليل [فَتُشِيرُ سُحَابًا فَيَبْسُطُهُ] الله [فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ] سائر أواقفاً، سر بعا وبطيناً، غليظاً ورقيقاً، دامطراً وتلج وبرد وخالياً عن ذلك [وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا] قطعاً متراكمة بعد بسطه أو يبسطه تارةً ويجعله كسفاً أخرى [فَتَرَى الْوَدْقَ] أي المطر [يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ] يعني بلادهم [إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ] بمجيء الخصب [وَلِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمُ] المطر [مِنْ قَبْلِهِ] تأكيد [لَمُبْلِسِينَ] لآتين من المطر والخصب [فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ] تعميم بعد التخصيص للتأكيد [وَلَكِنْ أَرْسَلْنَا] على الزروع وسائر النبات والأشجار التي هي آثار رحمة الله وبها أحياء الأرض [رِيحًا قَرَأَوْهُ] أي آثار رحمة الله والسحاب [مُضْفَرًا] يعني مصفراً الأوراق بالرياح الحار أو خالياً من المطر [لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ] بالله وانعامه من حيث أنهم لا يتفكرون أنه تعالى رحيم بعباده ولا يفعل بهم ما يفعل الآلغاية راجعة إليهم وأنه ليس منه الآل الرحمة ولكن قد تصير الرحمة في بعض القوابل نعمة وليست الآل من قبل القابل [فَ] هم ليسوا أحياء بالحيوة الانسانية ولا سامعين ولا مبصرين بالسمع والبصر الانسانيين و [إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى] عن الحيوة الانسانية فلا تحزن على عدم سماعهم ولا تلوم نفسك في عدم هدايتهم [وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ] يعني أن حيوتهم حيوة حيوانية وأنهم صم عن السماع الانساني [إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ] يعني أن الصم إذا كانوا مقبلين يمكن افهامهم بالإشارة وهؤلاء صم وكانوا مدبرين ولو كانوا مقبلين بفهمهم الله كما قيل :

نى غلظت كفتهم كه مگر كرسر نهدي پیش وحي كبر یا سمعش دهد

[وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ] أي يذعن أو يؤمن بالبيعة العامة والخاصة [بِآيَاتِنَا] وأعظمها الأنبياء والأولياء (ع) وأصل الكل على (ع) [فَهُمْ مُسْلِمُونَ] متقادون لك أو مسلمون بالبيعة الاسلامية أو مسلمون لوصيكك [اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ] مستأنف في مقام الامتنان وإظهار الآيات كأنه قال الله لا غيره الذي خلقكم [مِنْ ضَعْفٍ] وهذا من جملة آياته فما لكم تصرفون عنه إلى غيره يعني خلقكم من مادة ضعيفة فإذا أنتم أقوياء خصماء، أو جعل الضعف بمنزلة مادته مبالغته في ضعف مادته، وقرئ في الكل بضم الصاد وفتحها والمعنى واحد [ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا] في سن الكهولة [وَشَيْبَةً] في سن الهرم أو كليهما في سن الهرم [يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ] من ضعف وقوة وشيبة وشيبة وليس خلقه ما يشاء غير منوط بحكمة فأنه لا يشاء إلا ما هو الأصلح بحال خلقه [وَهُوَ الْعَلِيمُ] بخلقهم وما فيه صلاحهم [الْقَدِيرُ] على ما يشاء فلا يشاء إلا ما يعلم أن فيه صلاحهم [وَيَوْمَ تَقُومُ] عطف على قوله الله الذي خلقكم، أو حال بتقدير مبتدئ يعني هذا كيفية خلقهم وامتداد أمدهم ويوم تقوم [السَّاعَةُ] أي القيامة الصغرى أو الكبرى [يُقَسِّمُ الْمُجْرِمُونَ] منهم لغاية دهشتهم واختلال مداركهم من وحشتهم [مَا لَيْشُوا] في الدنيا أن كان المراد بالساعة ساعة الاحتضار، أو في الدنيا والبرازخ أن كان المراد القيامة الكبرى بعد البرازخ [غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ] الانصراف عن الحق ومما كان معلوماً لهم مشهوداً غير غائب [كَانُوا] في

دنياهم [يُؤْفِكُونَ] عن الحق الذى هو مشهود لهم من امر الآخرة وصحة الرسالة وصدق الامامة والخلافة [وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ] عطف على جملة كذلك كانوا يؤفكون ، والاتيان بالماضى للاشارة الى تحقق وقوعه ، او للاشارة الى انه قد مضى بالنسبة الى مقام المخاطب الذى هو محمد (ص) والايمان اى الاذعان والانقياد ، او المراد بالعلم العلم باحكام الرسالة وقبولها فانه كثير يستعمل العلم فى قبول احكام الرسالة والعلم بها تقليداً او تحقيقاً ، وبالايمان الايمان الخاص الحاصل بالبيعة الخاصة الولوية وقبول الدعوة الباطنة فيكون فى معنى قوله قال الذين اوتوا الاسلام بقبول الدعوة الظاهرة والايمان بقبول الدعوة الباطنة ، او المراد بالعلم العلم التحقيقى ، وبالايمان الايمان الشهودى الذين لا يجتمعان الا فى من صار خليفة لله كما عن الرضا (ع) حين يصف الامامة فانه قال : فقلدها علياً (ع) بامر الله عز وجل على رسم ما فرض الله تعالى فصارت فى ذريته الاصفياء الذين آتاهم الله تعالى العلم والايمان بقوله : وقال الذين اوتوا العلم [وَالْإِيمَانُ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ] اى مكتوب الله وهو عالم الطبع وعالم البرازخ والبدن الطبيعى والبدن البرزخى فان الكل كتاب الله الذى كتبه بيده [إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ] يعنى لبثتم من اول خلقكم فى عالم الطبع والبرازخ الى يوم القيامة الكبرى [فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ] ولا يعلم امد ذلك الا الله وانتم لغاية وحشتكم لم يبق لكم شعور بتلك المدة الطويلة [وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ] تلك المدة ولا هذا اليوم لتحيركم وعدم بقاء شعوركم ، وعلى ما بيننا الآية لاحاجة فيها الى التكلفات التى ارتكبتها المفسرون [فَيَوْمَئِذٍ] هذا من جملة قول الذين اوتوا العلم او هو من قول الله [لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ] اى لاهم يسترضون فانه من العتبى بمعنى الرضا ، لامن العتب بمعنى الامر الكريه ، اولاهم يلامون على ان يكون من العتاب بمعنى الملامة يعنى لا يلامون لاسقاطهم عن درجة الملامة [وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ] يتعظ به وينذر ويُبشِّر به ولكنهم لا يتعظون ولا ينذرون [وَلَكِنَّ جِثَّتُهُمْ] عطف احوال [بِآيَةٍ لِيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّكُمْ] ايها الرسول (ص) والمؤمنون [الْأُمُتُطِلُونَ] يعنى انهم لغاية شقوتهم يزيد الامثال والانذار فى عنادهم بحيث اذا رأوا آية منك دالة على صدقك انكروها ونسبوك الى الابطال [كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ] اى لا يتصفقون باول مراتب العلم فان من لا يتصف باول مراتب العلم الذى هو نور يقذفه الله فى قلب من يشاء يكون مطبوعاً على قلبه وان كان مليئاً بجملة المدركات الكسبية [فَاصْبِرْ] يا محمد (ص) على انكارهم ونسبتك الى الابطال ، او فاصبر على انكارهم لخلافة خليفتك [إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ] بنصرتك و اظهار دينك على الاديان او بنصرة خليفتك واحقاق حقه [حَقٌّ] لا يتغير [وَلَا يَسْتَحْفِظَنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ] اى لا يحملنك على الجهل ولا يصرفنك عما انت عليه من الحق .

سُورَةُ الْفَاتِحَةِ

مَكِّيَّةٌ وَقِيلَ : سَوَى ثَلَاثِ آيَاتٍ وَهِيَ قَوْلُهُ : وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ (إِلَى آخِرِهَا)
وَهِيَ ثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ آيَةً أَوْ أَرْبَعٌ وَثَلَاثُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[أَلَمْ تَلِكْ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ]
قد مضى في أول البقرة وفي غيرها ما فيه غنية عن تفسير تلك الآيات [وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ]
الاستماع يستعمل في المعاوضة المطلقة سواء كان العوضان من الأعيان أم غيرها ، وسواء كان قريباً بصيغة خاصة أم لا ،
فيصدق على بذل الأموال على الرعاظ والقصاص والتقال للأسمار ، وعلى بذل القوى والاستعدادات والأعمار في الاستماع
إلى ما فيه حفظ النفس والخيال دون العقل ، سواء كان المسموع من القرآن والأخبار أو من الأباطيل والأسمار ، ولهو الحديث
عبارة عما يشغلك عن الله والآخرة من الأقوال اللسانية والأفعال الأركانية والأحاديث النفسانية سواء كان ذلك
التشاغل قرأنا وخبراً من المعصوم وعبادة شرعية أو كان لغواً في ذاته ومعصية فإن في كل قول وفعل جهة عقلانية وجهة
شيطانية ، فإن كان الاستماع أو الاشتغال به من جهته العقلانية كان ذلك حديثاً صحيحاً عقلياً ، وإن كان صورته صورة
الأباطيل والعصيان ، وإن كان الاستماع أو الاشتغال به من جهته الشيطانية كان ذلك لهو الحديث ، وإن كان صورته صورة
القرآن والأخبار المعصومية ، ومقصوده تعالى ههنا أن القرآن وآياته هدى ورحمة للمحسنين وضلال ونقمة للمسيئين
لكنه عدل عن ذلك تنزيهاً للقرآن عن نسبة الضلال والنقمة إليه وتصريحاً بأن الضلال والنقمة ليس إلا من قبل
انفسهم فأنهم بسوء استعدادهم وصنيعهم يضلون بالقرآن الذي هو هداية من الله وبصير القرآن في اسماعهم كالأسمار
لهو الحديث [لِيُضِلَّ] قرئ بفتح الباء وضمها ، واللام مثل اللام في ليكون لهم عدواً وحزناً ، أو هي اللام الداخلة
على العلة الغائية فإن من الناس من يشتغل بالملاهي وليس مقصوده الضلال أو الاضلال أو كان مقصوده الاهتداء لكن
يضل ويضل من حيث لا يشعر ، ومنهم من يشتغل لقصد الاضلال كمن يحصل العلم لفساد الشريعة [عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ
بِغَيْرِ عِلْمٍ] بالاستزاد أو بغير علم بأن الاستزاد المذكور ضلال واضلال ، أو بغير علم بضلاله واضلاله ، أو متصفاً بغير
علم ، وحينئذ يكون تكبير العلم للجنس أو لفرد ما لكن يكون مستغرقاً لوقوعه بعد غير الذي هو في معنى النقي ، أو يكون
التنوين للتفخيم أي بغير علم عظيم هو العلم بالولاية [وَيَتَّخِذُهَا] أي يتخذ سبيل الله وليس سبيل الله إلا سبيل الولاية
[هَؤُلَاءِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ وَإِذَا تَنَادَوْا عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَئِنْ مُسْتَكْبِرًا كَانُوا لَمْ يَسْمَعُهَا كَانُوا فِي]

أَذُنِيهِ وَقَرَّ أَفْبَشْرُهُ بِعَذَابِ أَلِيمٍ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا] جواب لسؤالٍ مقدّر كأنه قيل بعد ما ذكر جزاء المسيئين :
 ما جزاء المحسنين؟ فقال: ان الذين آمنوا بالبيعة العامة او بالبيعة الخاصة [وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ] على وفق ما اخذ
 عليهم فى بيعتهم ، ووضع الظاهر موضع المضمّر للفصل بين هذا الحكم وبين ذكر المحسنين ، وللإشارة الى ان المحسن
 ليس الا من آمن وعملوا الصالحات [لَهُمْ] لا لغيرهم [جَنَّاتُ النَّعِيمِ خَالِدِينَ فِيهَا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ
 الْحَكِيمُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا] بيان لغزته وحكمته ، عن الرضا (ع) انه قال : ثم عمد ولكن
 لاترونها ، وقد مضى هذا فى اول سورة الرعد [وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ] قد مضت الآية فى اول
 سورة النحل [وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ] اى من كل
 صنف فان كل صنف باعتبار مادونه وما فوقه يسمى زوجاً او كل نبات باعتبار كونه برتياً وبستانياً زوج [كَرِيمٍ]
 الكريم فى كل شيء بحسبه وكرم النبات باعتبار كثرة منافعه بدأ بخلق السماوات فانها اشرف من الارض ، ثم بدأ بخلق
 الارض فى ضمن القاء الرواسي عليها ، ثم بدأ بخلق المواليد من الاشرف الى الاخصس [هَذَا] المذكور من السماوات
 والارض والجبال والمواليد [خَلَقَ اللَّهُ] اى مخلوق الله [فَارْؤُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ] حتى يكونوا
 مستحقين للشراكة معه وللعبادة لهم فان الشريك لا بد وان يكون مثل الشريك الآخر فى شيء من صفاته [بَلِ الظَّالِمُونَ
 فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ] التفات من الخطاب الى الغيبة ووضع الظاهر موضع المضمّر توصيفاً لهم بالظلم فى اشراكهم ،
 وبياناً لعلّة الحكم ، ولفظ بل اضراب من تعجيزهم الى التصريح بضلالتهم [وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ] عطف
 على جملة خلق السماوات فانه لما عدّ اصول النعم التى انعم بها على عباده ذكر الشاكر على نعمه وعدّ شكره حكمة
 فان الحكمة هى دقة النظر فى القوة العلامة واتقان الصنع فى القوة العمالة ، ولم يكن الشكر الا من دقة النظر واتقان
 الصنع القلبى والبدنى فانه كما سبق فى سورة البقرة عند قوله تعالى فاذا كرونى اذكر كرم واشكروا الى عبارة عن
 ملاحظة انعام المنعم فى النعمة وملاحظة حق المنعم فى الانعام المستلزم لتعظيم المنعم وصرف النعمة لما خلقت لاجله
 وليس هذه الملاحظة الا دقة النظر ولا ذلك التعظيم والصرف الا اتفاق الصنع القلبى والبدنى وقد ذكر فى نسبه
 انه كان ابن باعورا من اولاد ادين اخوت ايتوب (ع) او خالته عاش حتى ادرك داود (ع) [أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ] بملاحظة حقه
 وعظمته فى كل ماله مدخلية فى وجودك وبقائتك وهو كل موجود فى العالم الكبير من المحسوسات وغير المشهودات ،
 وفى العالم الصغير من كل ماله مدخلية فى وجودك او فى كمال وجودك ، ولفظة ان تفسيرية وتفسير للحكمة فاتها كما
 تكون تفسيراً للمجمل المحذوف تكون تفسيراً للمجمل المذكور ، او مصدرية بتقدير التلام ، او تكون مع ما بعد هابداً
 من الحكمة [وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ] جملة حالبة او معطوفة على جملة لقد آتينا لقمان (الآية) ،
 اوعلى الحكمة ، اوعلى ان اشكر على ان يكون ان مصدرية ، ويكون بدلا وعليهما فليقدّر قبلهما مضاف حتى
 تصير مفردة والتقدير ان اشكر الله ومضمون من يشكر فانتما يشكر لنفسه ، او عطف على اشكر سواء جعلت ان تفسيرية
 او مصدرية لكن بتقدير القول والتقدير ان اشكر الله وقيل لغيرك : من يشكر فانتما يشكر لنفسه لان نفعه عائد اليه [وَمَنْ
 كَفَرَ] كفران النعم بترك ملاحظة المنعم وتعظيمه فى النعمة وترك صرفها فى وجهها لا يضر الله شيئا [فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ]
 عن حمد الحامدين وشكر الشاكرين [حَمِيدٌ] بنفسه حمداً لم يحمده ، وفى خبرٍ شكر كل نعمة وان عظمت ان يحمده الله
 عز وجل عليها ، وفى خبرٍ : وان كان فيما انعم عليه حق آذاه ، وفى خبرٍ : من انعم الله عليه بنعمة ففرعها بقلبه فقد أدى

شكرها ، وفي خبر اوحى الله عز وجل الى موسى (ع) : يا موسى اشكرني حق شكرى فقال : يا رب وكيف اشكرك حق شكرك وليس من شكر اشكرك به الا وانت انعمت به عليّ؟ قال : يا موسى الآن شكرتني حين علمت ان ذلك مني .

وعن الصادق (ع) انه سئل عن لقمان وحكمته التي ذكره الله عز وجل فقال : اما والله ما اوتي

شرح

في احوال لقمان

لقمان الحكمة بحسب ولا مال ولا اهل ولا بسط في جسم ولا جمال ولكنه كان رجلاً قوياً

في امر الله مستودعاً في الله ساكناً سكيناً عميق النظر طويل الفكر حديد النظر مستغن بالعبر

لم ينم نهاراً قط ولم يره احد من الناس على بول ولا غائط ولا اغتسال لشدة تسيره وعمق نظره وتحفظه في امره ولم

يضحك من شيء قط مخافة الاثم ، ولم يغضب قط ولم يمازح انساناً قط ، ولم يفرح بشيء اناه من امر الدنيا ولا

حزن منها على شيء قط ، وقد نكح من النساء وولد له الاولاد الكثير وقدم اكثرهم افراطاً فما بكى على موت احد

منهم ، ولم يمر برجلين يختصمان او يقتتلان الا اصرح بينهما ، ولم يمض عنهما حتى تحاببا (او تهاجرا) ولم يسمع

قولا قط من احد استحسنته الا سأل عن تفسيره وعمن اخذه فكان يكثر مجالسة الفقهاء والحكماء وكان يغشى القضاة

والملوك والسلاطين فيرثي للقضاة مما ابتلوا به ، ويرحم الملوك والسلاطين لغرتهم وطمايتنتهم في ذلك ، ويعتبر

ويتعلم ما يغلب به نفسه ويجاهد به هواه ويحترزه من الشيطان ، وكان يداوى قلبه بالتفكير والعبر وكان لا يظعن الا

فيما ينفعه ، ولا ينظر الا فيما يعينه ، فبذلك اوتي الحكمة ومنح العصمة وان الله تبارك وتعالى امر طوائف من الملائكة

حين انصف النهار وهذأت العيون بالقائلة فنادوا لقمان حيث يسمع ولا يراهم ، فقالوا : يا لقمان هل لك ان يجعلك الله

خليفة في الارض تحكم بين الناس؟ فقال لقمان : ان امرني ربي بذلك فالتسمع والطاعة لانه ان فعل بي ذلك اعانني

عليه وعلمني وعصمني ، وان هو خيرني قبلت العافية ، فقالت الملائكة : يا لقمان لم قلت ذلك؟ قال : لان الحكم بين

الناس باشد المنازل من الدين واكثر فتناً وبلاء وما يخذل ولا يعان ويغشاه الظلم من كل مكان وصاحبه منه بين امرين ،

ان اصاب فيه الحق فبالحرى ان يسلم ، وان اخطأ اخطأ طريق الجنة ، ومن يكن في الدنيا ذليلاً ضعيفاً كان اهون عليه

في المعاد من ان يكون فيه حكماً سرياً شريعياً ، ومن اختار الدنيا على الآخرة يخسرهما كليهما نزول هذه ولا يدرك

تلك ، قال : فعميت الملائكة من حكمته واستحسن الرحمن منطقته ، فلما امسى واخذ مضجعه من الليل انزل الله عليه

الحكمة فغشاه بها من قرنه الى قدمه وهونائم وغطاه بالحكمة غطاءً فاستيقظ وهو احكم الناس في زمانه ، وخرج على

الناس ينطق بالحكمة ويبشها فيهم قال : فلما اوتي الحكم بالخلافة ولم يقبلها امر الله عز وجل الملائكة فنادت داود (ع)

بالخلافة فقبلها ولم يشترط فيها بشرط لقمان (ع) فأعطاه الله عز وجل الخلافة في الارض وابتلى فيها غير مرة كل ذلك يهوى

في المخطأ ويقبله الله تعالى ويغفر له ، وكان لقمان يكثر زيارة داود (ع) ويعظه بمواعظه وحكمته وفضل علمه ، وكان داود

يقول له : طوبى لك يا لقمان اوتيت الحكمة وصرفت عنك البلية ، واعطى داود الخلافة وابتلى بالحكم والفطنة ، ولما

كان الحكمة لا تحصل الا بمعرفة امام الزمان فسرها الصادق (ع) بمعرفة امام زمانه ، ولما كانت لا تحصل بحسب

جزءها العلمي الا بالفهم والعقل فسرها الكاظم (ع) بالفهم والعقل ، وقد ذكر من حكم لقمان ووصاياه لابنه وغيره في

المفصلات من اراد فليرجع اليها [وَاذْكَالَ] عطف على قوله تعالى لقد آتينا فاته في معنى اذكر اذا آتينا لقمان الحكمة

واذ قال [لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يُعْطِيهِ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ] قدم من مواعظه وآثار حكمته النهي عن الاشراك لان

التوحيد اصل جملة المواعظ واساس جميع انواع الحكم [إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ] لانه لا يغفره الله ويغفر مادون

ذلك فان ظلم العبد لنفسه بتقصيره في حقوق الله يغفره الله ، وظلمه لغيره في ماله او بدنه او عرضه لا يدعه الله لكن ليس

لا يغفره الله فانه بعد المقاصة مغفور بخلاف الشرك فانه ناش من اتانية النفس وما دام للنفس اتانية لا يغفرها الله ، فاعظم

اقسام الظلم هذا القسم [وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ] يعني وصيانه بالاحسان اليهما فان هذه العبارة مستعملة

فى هذا المعنى وقد مضى فى سورة البقرة وسورة النساء عند قوله وبأولادهم أحساناً بيان الوالدين والاحسان اليهما واقسامهما [حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَذَا] حمل ضعف او واهنة [عَلَى وَهْنٍ] فانه كلما يمضى من زمان حمل الولد يحصل وهن آخر [وَفَصَّالَةٌ فِي عَمَيِّنٍ] اى فى انقضاء عامين على الاغلب وعلى ما ينبغى ان يفظم والجملتان معترضان جواب لسؤال مقدّر فى مقام التعليل كما ان مجموع قوله تعالى وَصَيْنَا الْإِنْسَانَ (الى قوله) يَا بَنِيَّ إِنَّهَا ان تَكُ (الآية) كان معترضاً للاشعار بالاهتمام بأمر الوالدين كالاهتمام بأمر التوحيد كما مضى فى السورتين المذكورتين انه تعالى لكمال الاهتمام بأمر الوالدين قرنها بتوحيده وبالنتهى عن اشراكه فى عدة مواضع [أَنْ أَشْكُرَ لِي] ان تفسيره او مصدرية وبدل مع ما بعدها عن الوالدين بدل الاشتمال [وَلَوْلَا الْإِدْرِيكَ] ولكمال الاهتمام بالوالدين ذكر شكر الوالدين قريباً لشكره [إِلَى الْمَصِيرِ] فى مقام التعليل ولم يقل ان اشكر لى واشكر لوالديك لتلايتهن ان شكر الوالدين امر مغاير لشكر الله بل شكر الله ليس الا شكر الوالدين كما عن الرضا (ع) فانه قال امر بالشكر له وللوالدين فمن لم يشكر والديه لم يشكر الله اقول : وليس ذلك الا من جهة كون شكر الله مندرجاً فى شكر الوالدين [وَأِنْ جَاهِدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا] لما كان الوالدان التكوينيّان كما مضى فى سورة البقرة والنساء بحسب كل مرتبة من مراتب وجود الانسان وكل شأن من شؤنه غير الوالدين بحسب المرتبة الاخرى والشأن الآخر وهكذا بحسب التكليف والاختيار كان الشيطان والنفس والديه كما ان العقل والنفس ومحمداً (ص) وعلياً (ع) كانا والديه، فكما يجوز ان يكون المراد بالوالدين الوالدين الجسمانيّين يجوز ان يراد بهما الوالدان الروحانيّان، وكما يجوز ان يراد بالوالدان التكوينيّان يجوز ان يراد بالتكليفين فجاز ان يراد بالوالدين فى قوله وَصَيْنَا الْإِنْسَانَ بوالديه الجسمانيّان والروحانيّان، وبالضمير فى قوله وان جاهداك الجسمانيّان والروحانيّان اللذان هما والداه بحسب مقام جهله تكويناً او تكليفاً بطريق الاستخدام ، وقد ورد اخبار كثيرة دالة على ان محمداً (ص) وعلياً (ع) افضل آباء هذه الامة وان حقهما اعظم من حق آبائهم الجسمانيّين، وان من ارضاها رضى الله والديه الجسمانيّين، فعن جعفر بن محمد (ع) : من رعى حق ابيه افضل محمداً (ص) وعلياً (ع) لم يضره ما ضاع من حق ابيه نفسه وسائر عباد الله فانهما يرضيانهما بشفاعتهما، وعن على بن محمد (ع) : من لم يكن والداه محمد (ص) وعلياً (ع) اكرم عليه من والدى نسيه فليس من الله فى حل ولا حرام ولا قليل ولا كثير، وعن امير المؤمنين (ع) انه قال : الوالدان اللذان اوجب الله لهما الشكر هما اللذان ولدا العلم وورثا الحكم ، وامر الناس بطاعتهم ثم قال : الى المصير فمصير العباد الى الله والدليل على ذلك الوالدان ثم عطف على ابن حنتمة (١) وصاحبه فقال فى الخاص والعام : وان جاهداك ان تشرك بى يقول فى الوصية وتعذر عمن امرت بطاعته فلا تطعهما ولا تسمع قولهما ، ثم عطف القول على الوالدين فقال : وصاحبهما فى الدنيا معروفاً، يقول عرف الناس فضلها وادع الى سبيلها وذلك قوله واتبع سبيل من اناب الى ثم الى مرجعكم قال الى الله ثم اينما فاتقوا الله ولا تعصوا الوالدين فان رضاها رضا الله وسخطهما سخط الله ، وقد ورد اخبار كثيرة فى حفظ حق الوالدين الجسمانيّين ايضاً وطاعتهم والترحم عليهم والدعاء لهما وان كانا لا يعرفان الحق ، روى انه جاء رجل الى النبى (ص) فقال : اوصنى ، فقال (ص) : لا تشرك بالله شيئاً وان حرقت بالنار الا وقلبك مطمئن بالايمان ووالديك فاطعهما وبرهما حينئذ كانا او ميتين وان امراك ان تخرج من اهلك ومالك فافعل فان ذلك من الايمان، وعن الصادق (ع) : بر الوالدين واجب وان كانا مشركين ولا طاعة لهما فى معصية الخالق ولا لغيرهما فانه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق

(١) حنتمة بالحاء المهملة والنون والتاء المثناة الفوقانية هى بنت ذى الرسحين ام عمر.

[وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا] صحابياً معروفاً يعرفه العقلاء بالحسن ، والمعروف بالنسبة الى انواع الوالدين يختلف فان المعروف بالنسبة الى محمد (ص) وعلي (ع) ان لا يخالف قولهما لا في الظاهر ولا في الباطن وان تطيعهما في كل ما امراك به ، وان تحبهما وتبايع معهما ، وتربط معهما المراقبة القلبية بان تكون متوجهاً اليهما ومنذ كثر لهما ومصوراً لصورتها في كل حال ، والمعروف بالنسبة الى والديك الجسمانيين لا يخفى على احد [وَاتَّبَعَ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ] يعني لا يكن صاحبك المعروفة مخرجة لك من طريق الولاية وصارفة لك من توجهك الى طريق قلبك فان الاهتمام بشأن الوالدين ليس الا لسلامة البقاء على طريق القلب وطريق الولاية فلا يكن اهتمامك بالوالدين مخرجاً لك عن الولاية [ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ] يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ [ضمير انها للقصة والاشراك والتأنيث باعتبار الخبر الذي هو مثقال حبة فان المثقال بصحة سقوطه يكسب التأنيث من المضاف اليه ، او باعتبار الخصلة كأنه قال : ان خصلة الاشراك ، وقيل : ان الضمير للعمل سيئة كان او حسنة باعتبار الخصلة ، وقرئ مثقال بالرفع بجعل الضمير للقصة وكون كان تامة [فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ] يعني تكن في جوف اصلب الاشياء [أَوْ فِي السَّمُوتِ] يعني في ابعاد الاماكن [أَوْ فِي الْأَرْضِ] اي في اقرب الاماكن اليكم [يَأْتِي بِهَا اللَّهُ] يحضرها ويحاسب عليها ، قيل : ان ابن لقمان سئل فقال : رأيت الحبة تكون في مقل البحر ايعلمها الله ؟ فقال : انتهاى الحبة التي سألتها ان تك مثقال حبة (الآية) ، وقيل : ان المراد ان الرزق ان كانت مثقال حبة من خردل يأتيك بها الله [إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ] في علمه وعمله فيعلم مثقال حبة من خردل وان كانت في اخفى الاماكن واصليها او ابعدها او اقر بها ويقدر على الاتيان بها من تلك الاماكن لدقته في عمله [خَبِيرٌ] ويجوز ان يكون المراد بالتطيف لطفه في عمله ، وبالخبير لطفه في علمه ، وعن الصادق والباقر (ع) : اتقوا المحقرات من الذنوب فان لها طالباً لا يقولن احدكم اذنب واستغفر الله ان الله يقول : ان تك مثقال حبة من خردل (الآية) [يَأْتِيَنَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ] قدمضي في أول البقرة وفي سورة النساء عند قوله لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى بيان تام لاقسام الصلوة واقامتها [وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ] قدمضي في سورة البقرة عند قوله تأمر ون الناس بالبر وتنسون انفسكم بيان للامر بالمعروف والنهي عن المنكر [وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ] من البلاء او المشقة والاذى في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر [إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ] مما ينبغي ان يعزم عليه لكونه فرضاً من الله وفرضاً تكوينياً للنفس الانسانية وللاهتمام بهذه الامور اتى بقوله : ان ذلك من عزم الامور بين المتعاطفات [وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ] لا تمل خدك عنهم في المعاشرة معهم ولا تعرض عنهم بكلمتك استخفافاً به ، وقيل : المعنى لا تذلل للناس طمعاً فيما عندهم [وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا] المرح شدة الفرح اي تكبر عنهم فرحاً بما عندك [إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ] الاختيال والفخر متقار بالمفهوم فانتها خصلتان ناشتان من ملاحظة النفس وانايتها والفرح بها ، وملاحظة الغير وتحقيره في جنب نفسه لكن في الاختيال ملاحظة النفس غالبية ، وفي الفخر ملاحظة الغير وتحقيره غالبية [وَأَقْصِدْ فِي مَسْئِكَ] يعني عن الاسراع فان المقصود التوسط بين الاختيال الظاهر بالتأني في المشي وبين خفة النفس وعدم وقارها الظاهر بالاسراع في المشي [وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ] اي انقص من صوتك ولا ترفعه قدر ما يمكن لك رفعه فالمقصود التوسط بين الخفض بحيث لا يسمعه من اردت اسماعه ولا يزد على قدر اسماعه [إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ]

اشدّها زجراً [لَصَوْتُ الْحَمِيرِ] عن الصادق (ع) انه قال: هي العطسة القبيحة والرجل يرفع صوته بالحديث رفعا قبيحا ألا ان يكون داعيا او يقرأ القرآن وقد اقتصر تعالى شأنه من حكاية مواعظه على ما هو اصل اصول الدين وهي الاشارة بالله او الاشارة بالنبوة او الولاية وعلى ما هو اصل اصول الاعمال الشرعية من اقامة الصلوة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر عليها وعلى البلاء، لكن المقصود الصبر على الصلوة وما بعدها حتى يمكن عده من جانب الاعمال الشرعية القلبية لان الصبر على البلاء معدود من الاخلاق النفسية وعلى ما هو اصل اصول آداب المعاشرة وقد ذكرنا قبيل هذا ان ما نقل من مواعظه كثيرة من اراد فليرجع الى المفصلات [أَلَمْ تَرَوْا] جواب لسؤال مقدّر ناش من قوله لقد آتينا لقمان الحكمة كأنه قيل: لقد آتينا لقمان الحكمة فما النال من ثبوت الحكمة؟ فقال تعالى: قد آتيناكم اسباب حصول الحكمة فيكم من مدارككم الظاهرة ومدارككم الباطنة وتسخير جميع ما فى السماوات وجميع ما فى الارض لكم بحيث يمكن لكم الاستدلال بها على مبدء عليم قدير حكيم مرير رحيم رؤوف لطيف فى علمه وعمله متقن لصنعه، وعلى ان الانسان اشرف الموجودات، وان الكل مخلوق لاجل بقائه وانتفاعه، وان ليس المقصود منه تعمير هذه الدار الفانية والا كان مثل سائر المواليد موجودا لاجل غيره، وانه ينبغي له ان لا يتوقف على تعيش هذا العالم بل لابد ان يجعل تعيشه فى الدنيا مقدّمة للآخرة، وان كل ما لم يكن مقدّمة للآخرة من جهات هذا العالم فهو فان غير باق لا ينبغي للعاقل ان يتوسّل به ويتوقف عليه وليس الحكمة الا هذا فان لم تفكروا ولم تتصفوا بها كان من قبلكم [أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِى السَّمَوَاتِ] من الكواكب والملائكة الموكلة بالسماوات وكواكبها بحيث لم يتوانوا آثاماً من تحريك الاجسام التى بها وبتحريكها يتولد المواليد وتبقى [وَمَا فِى الْأَرْضِ] من الدواب والنبات والمعادن بحيث لا يتأبى من تصرفكم باى تصرف شتم فمافى السماوات مسخر لله لاجل انتفاعكم ومافى الارض مسخر لله ولكم لاجل انتفاعكم [وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً] النعم الظاهرة كل ملائم لك له تعلق بظاهرك المحسوس من المأكول والمشروب والملبوس والمسكن والمركوب والمنكوح والعز والعرض والحشمة والصيت والمدارك الظاهرة والاعضاء وغير ذلك، واشرف الكل ما له تعلق بظاهرك ومع ذلك يكون جالبا للنعم الباقية الاخرية من الرسول ورسالته وقبول رسالته بالبيعة العامة والدعوة الظاهرة واحكام رسالته والعمل بها، والنعم الباطنة ما له تعلق بباطنك من المدارك الباطنة والادراكات الدقيقة بالتفكرات الدقيقة والنفس والقلب والعقل والاستعداد للخروج من هذه الدار، واشرف الكل الولى (ع) وولايته وقبول ولايته بالبيعة الخاصة والولوية وقبول الدعوة الباطنة واحكام الولاية، وقد اشير الى ذلك فى الاخبار فعن الباقر (ع) اما النعمة الظاهرة فالنبي (ص) وما جاء به من معرفة الله وتوحيده واما النعمة الباطنة فولايتنا اهل البيت (ع) وعقد مودتنا، وعن الكاظم (ع): النعمة الظاهرة الامام الظاهر والباطنة الامام الغائب، وكأنه كان اشارة الى الفكر المصطلح للصوفية من ظهور ملكوت ولّى الامر على صدر السالك [وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِى اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ] قد مضى الآية بتمام اجزائها فى سورة الحج [وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ] اعرضوا و[قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءُنَا] كما كان عليه اهل كل زمان فانه اذا قيل لهم: اتبعوا لى امركم وعالم فتكم يقولون: نحن على ما كان عليه اسلافنا [أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ] يعنى لا ينبغي التقليد لمن لم يكن حاله معلوما لك بل ينبغي ان يكون الانسان مقلدا لعالم حتى قد ميز حاله وعلم انه مجاز من المعصوم بواسطة او بلا واسطة ولا اقل من العلم بانه يفعل ما يقول ويقول ما يفعل، ولا يكون كالمذموم الذين يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم [وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى]

قد مضى أول الآية في سورة النساء مع تفصيل وتحقيق في بيانها وآخرها في سورة البقرة [وَالِلّٰهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ] يعني عاقبة جملة الأمور ينتهي إلى الله بمعنى أن أيجاد الملاك والأفلاك والعناصر ليس إلا إيجاد المواليد، وجميع الحركات الإرادية والطبيعية وسكناتها وجميع المواليد ليست إلا إيجاد الإنسان وقد خلقه الله لأجل نفسه، أو بمعنى كل أمر ينتهي عاقبته إلى الله بمعنى أن كل فعل غايته ينتهي إلى أمر ليس هو مقصوداً بذاته بل هو مقصود لأجل الغير إلى أن ينتهي إلى غاية الغايات ونهاية النهايات، أو بمعنى ينتهي عاقبة كل الأمور إلى الله في النظر والتحفظ بمعنى أن الناظر إذا نظر إلى أمر وجده صادراً عن فاعل، وإذا نظر إلى ذلك الفاعل وجده مسخراً لغيره في ذلك الفعل، وهكذا إلى أن ينتهي إلى المسخر الحقيقي الذي هو الله فيكون فاعل كل أمر هو الله لكنه يكون في هذا التحفظ عاقبة جملة الفواعل [وَمَنْ كَفَرَ] يعني بالولاية فإن إسلام الوجه لله ليس إلا بالولاية فالكفر المقابل لإسلام الوجه لله لا يكون إلا بالكفر بالولاية بترك البيعة مع ولي الأمر أو إنكاره يعني من كفر بولي (ع) [فَلَا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ] فإنه لا يضره ولا يضر علياً (ع) ولا يفوتنا لآته [إِنَّمَا أَمْرُهُمْ فَنَنْبِئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا] لأننا عالمون بدقائق أعمالهم وخفاياها [إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ] أي الكمونات التي في الصدور من القصور والنيات أو من الاستعدادات التي لا شعور لصاحبها بها فكيف بأعمالهم ودقائق أعمالهم وخفاياها [نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا] جواب لسؤالٍ مقدّر كأنه قيل: إن كان الله عالماً بأعمالهم فما لنا نراهم متمتعين بأنواع النعم معافين من أنواع البلاء؟ - فقال نمتّعهم قليلاً حتى نأخذ بذلك التمتع ما أعطيناهم وما بقي فيهم من بقية الله حتى يخلصوا للنار [ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ وَلَكِنَّ سَاءَ لَّهُم مِّنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لِيَقُولُنَّ لِلَّهِ] لأنه لا جواب لهم سواه يعني أن سألت مشركي مكة والآل والزنادقة ومنكروا المبدء لا يقولون ذلك [قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ] الذي لا ينكره ولا ينكر خلقه لظهوره وظهور برهانه من أشرك به، أو بمعنى أن سألت الخلق طراً من خلق السماوات والأرض قالوا أكلاً بلسان حالهم الناطق تكويناً: أن الله خالقهما وإن لم يكن لهم شعور بهذا اللسان ونطقه لكنك لفتح مسامعك الآخروية لسماع الكلمات التكوينية تسمع نطقهم بذلك وشهادتهم فقل الحمد لله على شهادة الكل بذلك وعلى فتح مسامع الآخروية لتلك الشهادة، وفي الأخبار إشارة إلى هذا المعنى فعن رسول الله (ص) كل مولود يولد على الفطرة يعني على المعرفة بأن الله عز وجل خالقهم فذلك قول الله عز وجل ولئن سألتهم [بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ] لا علم لهم بل إدراكهم ليست الأجهالات، أو لا يعلمون أن الستهم ناطقة بذلك لعدم شعورهم بالستهم التكوينية الاستعدادية [لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ] جواب لسؤالٍ مقدّر كأنه قيل: هذا حال السماوات والأرض فما حال ما في السماوات والأرض؟ [إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ] استيناف في مقام التعليل أو جواب لسؤالٍ آخر عن حاله كأنه قيل: الله حاجة إليها؟ فخلقها حاجته؟ فقال: إن الله هو الغني لا غنى سواه فلا يكون له جهة حاجة [الْحَمِيدُ] الذي لا حميد سواه بمعنى أن كل ما يتصور أن يكون له من صفات الكمال كان حاصلاً له وكلما ما يتصور أن يكون متصفاً به من سلوب النقائص كان متصفاً به فلا يتصور جهة حاجة لمثل هذا [وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ] جملة حالية أو معطوفة لتأكيد هذا المعنى [مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٍ وَالْبَحْرِ يَمْدُهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ] قد مضى بيان هذه الآية في آخر سورة الكهف فلا نعيده [إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ] في مقام التعليل يعني أنه عزيز وعزته مانعة من أن تعد مقاماته أو تُنفد كلماته جملة مراتب الأعداد وجملة المسائل التي يصح أن تكون مداداً، والنباتات التي يصح أن تكون أقلاماً فإنه لو غلب شيء على مقاماته أو كلماته كانت متناهية وكلما كان متناهياً كان فناً غير غالب [حَكِيمٌ]

لا يخرج تلك الكلمات الغير المتناهية الا بقدر استعداد موادها واستحقاق اعيانها الثابتة [ما خَلَقَكُمْ] جواب لسؤال مقدر كأنه قيل: ان كانت الكلمات غير متناهية فكيف يحاسب الله تعالى كلها في يوم واحد؟ فقال: ما خلقكم جميعاً [وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةً] أى كخلق نفس واحدة وبعثها، وقيل: بلغنا والله اعلم أنهم قالوا: يا محمد (ص) خلقنا أطواراً نطفاً ثم علقاً ثم انشأنا خلقاً آخر كما ترعم وترعم اننا نبعث فى ساعة واحدة: فقال الله: ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة انما يقول له كن فيكون [إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ] جواب سؤال مقدر فى مقام التعليل يعنى انه سميع لكل مسموع، بصير لكل مبصر؛ فان حذف المفعول ليس الا للتعميم ومن كان كذلك كان لا يشغله شأن عن شأن فلا يمنعه خلق نفس ولا بعثها عن خلق اخرى وبعثها [أَلَمْ تَرَ] الخطاب عام او خاص بمحمد (ص) والجملة جواب لسؤال آخر مقدر فى مقام التعليل للجملة الاولى او لقوله: ان الله سميع بصير [أَنَّ اللَّهَ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ] قد مضى بيان ابلاج الليل والنهار فى آل عمران [وَسَخَّرَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي] جملة حالبة او مستأنفة لبيان حالهما [إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى] يعنى كل يجرى دورة الفلك الى وقت معين مضبوط بحيث يستخرج المستخرجون دوراتهما ومدة دوراتهما سنين قبل وقوعها ولا يقع تخلف فى استخراجهم، او المعنى كل يجرى الى اجل مسمى عند الله وهو وقت خراب الدنيا وطى السماء كطى السجل للكتب [وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ] وليس هذا الا لان الله لا يشغله شأن عن شأن ولا وصف عن وصف ولا علم عن علم [ذَلِكَ] العلم بكل شيء وابلج الليل فى النهار والنهار فى الليل وتسخير الكواكب [بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ] بحقيقة الحقيقة فان الحق بحقيقة الحقيقة كما يقتضى الوجوب الذاتى يقتضى الاحاطة بجميع الاشياء والعلم بالكل على السواء وعدم ممانعة شأن من شأن وعلم من علم [وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ] من الشركاء من الاصنام والكواكب وغيرها او من شركاء على (ع) فى الولاية هو [الْبَاطِلُ] فانه لو كان شوب حقيقة فيها لراحته تعالى فى شأنه وفى علومه، او ذلك المذكور من الجدال بغير علم الى قوله: ان الله خبير بما تعملون بان الله هو الحق وان ما يدعون من دونه الباطل [وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ] كعلو النفس بالنسبة الى قواها واعضاؤها وكبرها كذلك فذلك يكون خبرته بالكل على السواء وتصرفه فى الكل سواء [أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ] جواب لسؤال مقدر فى مقام التعليل لعلوه وكبره يعنى انتك يا محمد (ص) ترى يبصيرتك ان الفلك تجرى على الماء بتسييات رقيقة كان الطبيعيون عمياناً منها وينسبون جربها الى الاسباب الطبيعية غفلة عن الاسباب الالهية، او الخطاب عام والمعنى ينبغى ان ترى يا من يمكن منه الرؤية [لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ] على النظر الى انعام الله والتوجه الى تسبب الله فان غيره لا يدرك من آياته شيئاً [شُكُّورٌ] ناظر الى انعام الله وتعظيمه فى انعامه والمراد بالصبار الشكور هو المؤمن الذى ليس ساهياً عن صلوته فان فى الخبر: الأيمان نصفان نصف صبر ونصف شكر؛ وقيل: المراد راكب البحر فانه بين خوف ورجاء وصبر وشكر [وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَاجٌ] من البحر [كَالْظُّلُلِ] مرتفعاً فوق رؤسهم [دَعَاُ اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ] أى طريق الدعاء او الطاعة والطريق مطلقاً، وقد تكرر فيما سلف انه اذا ارتفع مانع الفطرة من الخيال وحيله خلص الانسان لربه وخلص الطريق الى الله من الطرق الشيطانية [فَلَمَّا نَجَّيْهِمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ] أى منهم من يبقى على خلوصه ومنهم من يعود الى خياله وحيله ويجحد آيات ربه [وَمَا يَجْحَدُ

بِأَيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ] أى غدار فان الختر الغدر أو اقبحه والخديعة [كفور] كثير التستر للطريق أى الولاية
وهى طريق القلب الى الله وكفور للنعم [يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدُ عَنْ وَلَدِهِ]
قرى يجزى من الثلاثى المجرد بمعنى لا يقضى ، ومن باب الافعال بمعنى لا يكفى [وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٌ] أى مولود
شأنه ان يكون جازياً عن ابيه وعن اقربائه [عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ] بانيان القيامة ونشر الكتاب والحساب
والمجازاة فيها [حَقٌّ] لا شوب كذب فيه [فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا] عن آخرتكم واليوم الموعود لكم حتى
تغفلوا عنه وعن العمل له [وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ] أى الشيطان بأن طول آمالكم وارجاكم التوبة عند الموت
واجراكم على معاصي الله وجمع الدنيا من الحل والحرام [إِنَّ اللَّهَ] لا غيره [عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ
وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ] عن
المصادق (ع) هذه الخمسة أشياء لم يطَّلِعَ عليها ملكٌ مقرب ولا نبي مرسل وهى من صفات الله تعالى ، وفى نهج البلاغة فهذا
هو علم الغيب الذى لا يعلمه أحد الا الله ، وقيل : ان الحارث بن عمرو اتى رسول الله (ص) فقال : متى قيام الساعة؟ وانى
قد اقيت حباً فى الارض فمتى السماء تمطر؟ وحمل امرأتى ذكرٌ ام انثى؟ وما اعمل غداً؟ وابن اموت؟ فنزلت هذه الآية .
اعلم ، ان فى الاخبار دلالة على انحصار علم هذه الاشياء الخمسة فى الله واستدلوا على الانحصار بهذه الآية
وقد بلغ اليانا ان الانبياء واوصياءهم (ع) وبعض اتباعهم كانوا يخبرون ببعض هذه الخمسة ، وظاهر هذه الآية لا تدل على
ثبوت العلم لله تعالى فى موت الانفس ومحل موتها فضلاً عن الدلالة على حصر العلم به فيه تعالى فنقول : قد فسرت الساعة
بساعة الموت والاحتضار ، وهى القيامة الصغرى ، وبساعة ظهور القائم (ع) وبالقيامة الكبرى ، وان الساعة من السَّوْعِ
بمعنى الضياع والهلاك ، وكل ذلك فيه معنى الضياع للضياع التبعيات عند الموت وعند ظهور القائم (ع) وعند القيامة
الكبرى ، اما ساعة الموت فقد كانوا يخبرون عنها بل الحذاق من الاطباء كانوا يخبرون عنها ، واما ظهور القائم (ع) فانه
ملازم للموت الاختيارى او الاضطرارى لانه من يموت بزه ويظهر القائم (ع) ايضاً عند القيامة الكبرى ، والقيامة الكبرى
لا يعلمها النبى والوصى والمؤمن من حيث نبوته ووصايته وايمانه ، ولكن لما كان للآلهة درجات والكمالون بعد الخروج
من جهة خلقيتهم يسرون فى الجهة الحقيقية ودرجات الآلهة حتى يقفوا بعد الكمال على الاعراف ، والاعراف مقام
القيامة الكبرى ، لم يكن استبعاد فى علمهم بساعة القيامة الكبرى للعباد من حيثية الآلهة لا من حيثية الخلقية وتنزيل
الغيث والعلم بوقت نزوله ومكانه وقدره قد يجيىء من الانبياء واوصيائهم (ع) واتباعهم لكن لا من حيثية الخلقية بل من
حيثية الآلهة ، وهكذا الحال فى البواقي ، فالعلم بهذه الخمسة وبكل ما غاب عن المدارك البشرية ليس الا الله سواء كان
العلم بها فى المظاهر الآلهية او فى مقام المشية او فى مقام الاحدية ، ونسب الى الائمة انهم قالوا : ان هذه الاشياء
الخمس لا يعلمها على التفصيل والتحقيق الا الله ، واما دلالة الآية على علمه تعالى وحصر العلم بهافيه تعالى فنقول : تقديم
المسند اليه وتقديم الظرف فى قوله : ان الله عنده علم الساعة يدل على الحصر ، وعطف بتزىل الغيث على المسند يدل
على حصر تنزيل الغيث ، وتنزيل الغيث مستلزم للعلم به ، والعدول عن علم تنزيل الغيث للاشارة الى حصر تنزيل الغيث مع
الاشارة الى العلم به وقوله [إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ] مع قوله : ما تدرى نفس يدل على حصر العلم بموت الانفس ومحل
موتها فيه تعالى .

سُورَةُ السَّجْدَةِ

وسميت سجدة لقمان لثلاثا يلتبس بحم السجدة وهى ثلاثون آية مكية سوى ثلاث آيات قوله تعالى : افمن كان مؤمناً (الى تمام الثلاث) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[الَمْ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ] قد مضى فى أول البقرة وفى غيرها ما به الغنية عن بيان الآية ههنا [أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ] اى الكتاب او تنزيل الكتاب [الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مِمَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ] لكونهم فى زمان الفترة وخمود آثار الرسالة وخمود اوصياء الرسل (ع) فيه [لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ] الى الولاية التى هى طريق الآخرة [اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ] قد مضى الآية فى سورة الاعراف [مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ] الشفيع بمنزلة النصير وقد تكرر بيانه فى ما مضى [أَفَلَا تَشْكُرُونَ يَذَّبُرُ الْأُمُورِ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ] اى ينزل الامر مع ملاحظة حسن تدبيره وعاقبته من سماء الارواح الى اراضى الاشباح على استمرار [ثُمَّ يَعْرُجُ] الامر من الارض [إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ] *تكملة على ما مضى*

اعلم، ان أيام الآخرة ليست فى عرض أيام الزمان بل هى فى طولها بمعنى ان أيام الدنيا قوالب لا أيام الآخرة وهى بمنزلة الارواح لا أيام الدنيا، وكل مرتبة من مراتب الآخرة سعتها واحاطتها بالنسبة الى مراتب الدنيا مضاعفة، فكل يوم من أيام الآخرة بالنسبة الى يوم من أيام الدنيا بضاعف سبعة بعشرين ومائة والى عشرة آلاف الى خمسين ألفاً هذا بالنسبة الى أيام الدهر، وأما أيام الترمد فلا تحد بشيء لعدم نهايتها وتحدها، وقد مضى شطر من تحقيق هذا المطلب فى أول بنى اسرائيل، والمراد بالامر الذى يدبره من السماء الى الارض ثم يعرج من الارض الى السماء هو الوجود الفعلى الذى هو المشية التى هى امره تعالى وفعله وكلمته وضافته الى غير ذلك من الاسماء فانه ينزل من سماء المشية الى سماء الارواح ثم الى سماء النفوس الكلية، ثم الى سماء النفوس الجزئية، ثم الى اراضى الاشباح النورية، ثم الى اراضى الاشباح الظلمانية، ثم يتبدء فى العروج من عالم الطبع، او من عالم الجنة الى اراضى الاشباح النورية، ثم الى النفوس الجزئية، ثم الى النفوس الكلية، ثم الى الارواح، ثم الى المشية [ذَلِكَ] العظيم البعيد عن الانظار والالهام والعقول [عَالِمُ الْغَيْبِ] اى عالم عالم الغيب [وَالشَّهَادَةِ] اى عالم الشهادة [الْعَزِيزُ] اى الغالب الذى لا يمنعه عن مراده مانع [الرَّحِيمُ] الذى لا يبدع عباده بلادعوة ولاداع وان اصرأ على مخالفته وعصيانته [الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ] برحمته وعلمه وعنايته بحسب صورة ذلك الشيء وسيرته وجعله مستعداً لطلب كماله فلا يبدعهم بلاداع حتى لا يبقح نشأتهم الاخرية [خَلَقَهُ] بدل من كل شيء على قراءة سكون اللام وصفة لشيء، او بدل من

احسن او مستأنف جواب لسؤال مقدّر على قراءة فتح التلام ، وقيل : المعنى احسن معرفة كل شيء مثل قوله : قيمة المرء ما يحسنه اى يحسن معرفته [وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ] اى آدم او مطلق الانسان [مِنْ طِينٍ] لان الماء والتراب اظهر اجزاء عنصره واغلبها [ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ] النسل الخلق والولد [مِنْ سُلَالَةٍ] السلالة ما انسل من الشيء والمراد ما انسل من الغذاء فى الهضم الرابع [مِنْ مَاءٍ مَّهِينٍ] من بيانية [ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوْحِهِ] اضاف الروح الى نفسه تشريفاً والمراد بالروح هو رب النوع لكنه لما كان اثر ظهور هذا الروح هو الروح الحيوانى والنفسانى وهما شبيهان بالريح ومتحركان كالريح استعمل النفخ فيه وقد مضى فى سورة بنى اسرائيل بيان للروح [وَاَوْ] بعد نفخ الروح فى الشهر الرابع فيكم [جَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ] لصيرورة الانسان بعد الاتصاف بالسمع والبصر والفؤاد قابلاً للتخاطب التفت من الغيبة الى الخطاب [وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا] لتبعد القائلين هذا القول عن ساحة الحضور التفت من الخطاب الى الغيبة [فِى الْأَرْضِ] بتفتت اجزائنا واعضاءنا واختلاطها بتراب الارض [أَتَيْنَا لَهَا خَلْقًا جَدِيدًا] لتأكيد التعجب والتعجب والانكار كتر الاستفهام [بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ] لما كان قوله تعالى قالوا انذا ضللنا فى مقام ذمتهم وان هذا القول منهم ليس عن علم بل محض تخمين وخيال كان فى معنى ان ليس قولهم عن علم وتحقيق بل هم بقاء ربهم اى حسابه فى الآخرة كما ورد فى الخبر اول لقاء ربهم المضاف للقاء الفطرى الذى كان ربهم فى الولاية ملاقياً به فطرة لهم كفرون ولذلك تمسكوا بالخيال واهوتهم واعرضوا عن العلم وآثاره [قُلْ] لهم جواباً لتعجبهم من بعثهم بعد الضلال فى الارض لاتصيرون ضالين فى الارض بل [يَتَوَفَّيْكُمْ] يعنى يأخذ جميعكم وجميع اجزاء وجودكم بحيث لا يبقى منكم أحد ولا جزء فى الارض ولا يضل منكم شيء فى الارض حتى تقولوا كيف نبعث بعد الضلال وانما الضال فى الارض هو مادتك التى ليست منكم [مَلَكَ الْمَوْتِ الَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ] اى يقبض ارواحكم وجميع اجزائكم واحصاء امدكم وآجالكم [ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ] يعنى بعد قبض ملك الموت جميع اجزائكم ترجعون الى ربكم المضاف الذى هو ربكم فى الولاية [وَلَوْ تَرَىٰ] لو للتمنى والشرط ، واذا كانت للشرط كان الجزاء محذوفاً اى لرأيت امرأ عجباً والجملة حالية بتقدير القول على الاول والخطاب عام او خاص بمحمد (ص) [إِذَا الْمُؤْجِرُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ] المضاف يقوون [رَبَّنَا أَبْصَرْنَا] بعد رجوعنا اليك اوفى الدنيا لكن لم نعمل قالوا ذلك اعترافاً بتقصيرهم [وَسَمِعْنَا] منك وقبلنا اوسمعنا فى الدنيا من انبيائك (ع) لكن لم نعمل [فَارْجِعْنَا] الى الدنيا [نَعْمَلْ صَالِحًا] بعد ما رأينا عظمتك وشاهدنا عقوبتك [إِنَّا مُوقِنُونَ] من غير شكك ورب [وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى] اهتدائها ورشدها او اسباب هديها من غير ملاحظة استعداد واستحقاق لكن لم نشأ لتلا يكون مشيتنا جزافاً غير مسبوقه بملاحظة استعداد [وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ] لتلا يقع ارادتي جزافاً ويكون عذاب المعذبين وثواب المطيعين من جهة استعدادهم [فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ] اى تركناكم [وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا] مستأنف جواب لسؤال مقدّر كأنه قال : اليس هؤلاء مؤمنين بالآيات مع وضوحها وظهورها حتى يكونوا منسيين ؟ فقال : ليس

هؤلاء مؤمنين بآياتنا إنما يؤمن بآياتنا [الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا].

اعلم ، ان المدعى بالآيات من حيث أنها آيات عظمة الله وقدرته وسعته اذا ذكر بها لم ينظر منها الى حدودها وتعييناتها بل ينظر اليها من حيث انها آيات عظمة الله فيتذكر بها عظمة الله فلا يتما لك من تذكر عظمة الله ووجدانها فيخر ساجدا لعظمة الله ، كما عن مولانا جعفر الصادق (ع) انه صاح فى الصلوة وخر مغشيا عليه فسئل عن ذلك فقال: كررت الآية حتى سمعتها من قائلها فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته [وَسَبِّحُوا] اى نزهوا لطيفتهم الانسانية التى هى وجه الرب واسمه ومظهره ونفسه بوجه [يَحْمَدُ رَبَّهُمْ] اى بسبب حمد ربهم يعنى بسبب سعة وجوده بحيث لا يشذ عنه وجود وتعين وجود فان التسبيح ليس الا تنزيه الرب من النقص والحدود ، وتنزيهه من النقص والحدود ليس الا بسعة وجوده بحيث لا يخرج منه وجود وليس ذلك الا حمده وسعة كماله [وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ] عن الله او عن تسبيحه ، او عن الخور والتسجود ، او عن الايمان والطاعة ، او لا يستكبرون فى انفسهم [تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ] من جفا السرج عن فرسه رفعه [يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ] قد مضى صدر الآية فى سورة الاعراف وذيلها فى اول البقرة ، عن الباقر (ع) فى هذه الآية انه قال: لعلك ترى ان القوم لم يكونوا ينامون ، لا بد لهذا البدن ان تريحه حتى يخرج نفسه فاذا خرج النفس استراح البدن ورجع للروح قوة على العمل ، قال نزلت فى امير المؤمنين (ع) واتباعه من شيعتنا ينامون فى اول الليل فاذا ذهب ثلثا الليل او ماشاء الله فزعوا الى ربهم راغبين مرهبين طامعين فيما عنده فذكر الله فى كتابه فأخبركم بما اعطاهم انه اسكنهم فى جواره وادخلهم جنته وآمنهم خوفهم واذهب رعبهم ، وفى خبر عن الصادق (ع) فى هذه الآية انه قال: لا ينامون حتى يصلوا العتمة ^(١) [فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ] وقد ذكر فى اخبار كثيرة بيان ما اخفى لهم من قرّة عين من اراد فليرجع الى المفصلات [أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا] جواب لسؤال مقدّر كانه قيل على سبيل التعجب: الهم ذلك؟ فقال: ليس لهم ذلك فمن كان مؤمنا [كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ] أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات بيان لعدم استوائهم [فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا] اى معدة او منزلا [بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ] وأما الذين فسقوا فمأوىهم النار عدل عن قوله لهم الجحيم نزلا اشعارا بان الفاسق لا اعتناء به حتى يكون العذاب نزلا له بل العذاب من تبعه اعماله التى تلحقه [كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا] اعلم ، ان اهل الجحيم مثل اهل الدنيا يريدون الخروج من الجحيم من غم يستولى عليهم لكن لما كان ارادة خروجهم من الغم ولم يكن لهم قائد شوق للخروج لا يخرجون بل يعادون فيها ولو كان ارادة خروجهم من الشوق لخروجهم فى اسرع زمان [وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ] قيل: ان جهنم اذا دخلوها هووا فيها مسيرة سبعين عاما فاذا بلغوا اسفلها زفرت بهم جهنم فاذا بلغوا اعلاها قمعوا بمقام الحديد فهذه حالهم [وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى] الادنى من الدنى بمعنى الساقط الضعيف او من الدنوى بمعنى القرب وعلى اى تقدير فالمراد بالعذاب الادنى عذاب الدنيا ، او عذاب القبر ، او عذاب البرزخ لكن اداة الترجى بعده يناسب عذاب الدنيا [ذُوْنَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ] عذاب الاحتضار او عذاب القبر او عذاب البرزخ او عذاب القيامة [لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ] عن غيرهم او يرجعون فى الرجعة للعذاب الاكبر ، وفسر العذاب الادنى بالعذاب حين خروج الدابة والدجال ، وقد كثر الاخبار فى ان الآيات نزلت فى على (ع) والوليد بن عتبة فان الفاسق الوليد بن عتبة قال لعلى (ع):

(١) العتمة يفتحين صلوة العشاء او وقت صلوة العشاء .

انا والله ابسط منكم لساناً ، واحد منكم سناناً ، و امثل جثواً منكم في الكتبية ، فقال على (ع) : امسكت انما انت فاسق فانزل الله هذه الآيات [وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ] قد مر مراراً أن المراد من امثال هذه العبارة اثبات اظلمية المفضل عليه وان كان مفهوم العبارة اعم منه [ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا] مع وضوح الآيات واقتضاء التذكير بها الاقبال عليها [إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ] يعنى اننا من مطلق المجرم منتقمون والمعرض عن الآيات بعد التذكير بها كان اعظم جرماً من كل مجرم [وَلَقَدْ أَتَيْنَا] عطف على مقدر اى آتيناك الكتاب ولقد آتينا [مُوسَى الْكِتَابَ] كما آتيناك فليس ايتاء الكتاب امرأ غريباً حتى تكون او يكونوا في مربة منه [فَلَا تَكُنْ فِي مَرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ] اى من لقاء الكتاب اليك يعنى من نزوله عليك ، او من لقاء الكتاب الى موسى (ع) ، او من لقاءك لموسى (ع) في الدنيا قبل موته ، او من لقاءك لموسى (ع) ليلة الاسراء ، او في الآخرة ، او من لقاء موسى لك كذلك ، وقيل : فلا تكن في شكك من لقاء الاذى كما لقي موسى (ع) الاذى من قوله [وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ] كما جعلنا كتابك هدى للعالمين [وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا] لا بامر انفسهم [لَمَّا صَبَرُوا] فاصبر انت وبنوك حتى نجعل منكم ائمة [وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ] فلا تشكك انت وبنوك [إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ] بين بنى اسرائيل كما يفصل بين قومك فلا تحزن على اختلافهم او بين المخلوق المختلفين فيفصل بين قومك او بين قومك [يَوْمَ الْقِيَمَةِ] فيما كانوا فيه يختلفون من امر الوصاية والوصى ، او من احكام الشريعة ، او من الكتاب وستر بعض منه وتبديل بعض ، او من تصديق الرسل (ع) وتكذيبهم [أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ] لقومك او لقوم موسى (ع) والجملة معطوفة على مقدر اى الم يتفكروا ، وفاعل يهد ضمير كتابك او كتاب موسى (ع) والله او بهم يفسره قوله [كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ] يسمعون اخبارهم وان لم يكونوا يرون اهلاكهم ولكن يرون آثارهم لانهم [يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ] إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ [لَمَّا كَانَ الْإِطْلَاقُ عَلَى أَهْلِكَ الْمَاضِينَ] بسماع اخبارهم استعمل السماع ههنا [أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ] ارض جرز بالضممتين وجرز بالضم والسكون وجرز بالفتح والسكون ، وجرز بالتحريك وجرز بالفتح لا تنبت او اكل نباتها او لم يصبها مطر [فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ] لَمَّا كَانَ الْإِطْلَاقُ عَلَى سَوْقِ مَاءِ الْمَطَرِ وَمَاءِ السَّيْلِ وَمَاءِ الْإِنهَارِ إِلَى الْأَرْضِ بِالرَّوْيَةِ وَهَكَذَا اخراج الزرع واكل الانعام والانس من نباتها استعمل الابصار واسقط ههنا قوله ان في ذلك لايات اكتفاء بما ذكر في قرينه [وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ] المراد بالفتح المسؤول او المستهزاء به هو ظهور القائم عجل الله فرجه واستنارة الارض بنور ربها وارتفاع الاختلاف عن اهلها ، وليس في العالم الصغير الاحين الموت الاختيارى او الاضطرابى فانهم لما اخبرهم رسول الله (ص) بظهور القائم (ع) وظهور الذين وجعل الاديان كلها ديناً واحداً سألوا على سبيل الاستفهام او التهنيت والاستهزاء عنه والجملة عطف على لم يهد اولم يروا يعنى ان آيات هذا الفتح كثيرة من اهلاك القرون الماضية واحياء الارض بعد موتها ولا يفكرون فيها ويقولون متى هذا الفتح ؟ [إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ] فى هذا الاخبار [قُلْ] فى جوابهم لاتستعجلوا هذا الفتح فان [يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ] فانه يوم بروز المكسوبات لا يوم كسب الخيرات [وَلَا هُمْ يُنْتَظَرُونَ] فاعرض عنهم [اى عن الجواب والسؤال معهم ، او عن دعوتهم ، او عن ذواتهم فانهم لا يتأثرون بمجاورتك [وَأَنْتَظِرُونَ] يوم الفتح [إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ] لذلك اليوم .

سُورَةُ الْاِحْزَابِ

مدنية كلها، ثلاث وسبعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ] نداء له (ص) بآياك اعنى واسمعى يا جارة ، اونداء له والحكم له (ص) وعلى اى تقدير فهو تلتطف به وتعظيم لشأنه [اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ] قيل: نزلت فى ابى سفيان وعكرمة بن ابى جهل وابى الاعور السلمي قدموا المدينة ونزلوا على عبد الله بن أبى بعد غزوة احد بامان من رسول الله (ص) ليكلموه فقاموا معهم عبد الله بن أبى وعبد الله بن سعد بن أبى سرح وطعمة بن أبى رق قد دخلوا على رسول الله فقالوا: يا محمد (ص) ارفض ذكر آلهتنا الثلاث والعزى والمناة وقل: ان لها شفاععة لمن عبدها وتدعك وربك فشق ذلك على النبى (ص) فقال عمر بن الخطاب: ائذن لنا يا رسول الله (ص) فى قتلهم فقال: انى اعطيتهم الامان وامر رسول الله فأخرجوا من المدينة ونزلت الآية ولا تطع الكافرين من اهل مكة والمنافقين من اهل مدينة [إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا] جواب لسؤال مقدر كأنه قيل: لا ينبغي التمسك عن اجابتهم فان فى اجابتهم مصالح عديدة من استمالتهم وخمود نائرة الحرب وسلامة المسلمين وقوتهم وشوكتهم بذلك ومخالطة المشركين معهم واستماع آيات الله منهم وغير ذلك فقال ان الله كان عليماً بالمصالح المترتبة على ما ينهى عنه دونكم [حَكِيمًا] دقيقاً لطيفاً فى علمه وصنعه [وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ] دون ما يقولون لك [مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ] يا امة محمد او يا محمد (ص) وامتة [خَبِيرًا] وقرى بالغيبة [وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ] لاعلى ما يقولون [وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا] لامورك فلا تكل امورك على مشورة غيرك [مَا جَعَلَ اللَّهُ] جواب لسؤال مقدر ناش عن الحصر المستفاد من قوله: لا تطع الكافرين واتبع ما يوحى اليك كأنه قيل: لا منافاة بين اتباع الموحى وبين المداراة مع الكافرين واتباع ما يشيرون اليه فقال: ما جعل [لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ] يحب ويتبع الله بهذا ويحب ويتبع بذلك الكافر، وقيل: نزلت فى ابى معمر حميد بن معمر بن حبيب الفهرى وكان لبيباً حافظاً لما يسمع وكان يقول: ان فى جوفى لقلبين اعقل بكل واحد منهما افضل من عقل محمد (ص) ثم انهزم يوم بدر مع من انهزم واحدى تعلية فى يده والاخرى فى رجله، فقيل له فى ذلك فقال: ما شعرت الا انهما فى رجلى فغرفوا يومئذ انه لم يكن له الا قلب واحد وعن على (ع) انه: لا يجتمع خبتا وحب عدونا فى جوف انسان ان الله لم يجعل لرجل قلبين فى جوفه، فيحب بهذا ويبغض بهذا، وعن الصادق (ع) فمن كان قلبه متعلقاً فى صلوته بشيء دون الله فهو قريب من ذلك الشيء بعيد عن حقيقة ما اراد الله منه فى صلوته، ثم تلا هذه الآية [وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ] زعمت العرب ان من قال لزوجته: انت على كظهر امى صارت زوجته كأمه فى حرمة المواقعة فقال تعالى رداً عليهم: ما جعل ازواجكم (الآية) [وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ] الذمى كالغنى من تبنيته فعيل بمعنى

المفعول ومن كان متهماً في نسبه ، نزلت في زيد بن حارثة الكلبي عتيق رسول الله (ص) وسبب ذلك على ما نقل عن القمي عن الصادق (ع) ان رسول الله (ص) اشترى زيدا بعد تزويجه خديجة (ع) فلما نبئ (ص) دعا زيدا الى الاسلام فأسلم وكان يدعى مولى محمد (ص) فأتى حارثة اباطالب (ع) وقال له: قل لابن أخيك : أمّا ان يبيعه ، وأمّا ان يفاديه ، وأمّا ان يعتقه ، فلما قال ذلك ابوطالب (ع) لرسول الله (ص) قال : هو حرّ لوجه الله فليذهب حيث شاء ، فقام حارثة واخذ بيد زيد وقال : يا بني الحق بشرفك وحسبك فقال : لست افارق رسول الله (ص) ابداً فغضب ابوه وقال : يا معشر قريش اشهدوا اني بري منه وليس هو ابني فقال رسول الله (ص) : اشهدوا ان زيدا ابني ارثه ويرثني وكان يدعى زيد بن محمد (ص) فلما هاجر رسول الله (ص) زوجته زينب بنت جحش وأبطأ عنه يوماً فأتى رسول الله (ص) منزله فاذا زينب جالسة وسط حجرتها تسحق طيباً بفهر لها ، فنظر اليها رسول الله (ص) وكانت جميلة فوقعت في قلب رسول الله (ص) فقال : سبحان خالق النور وبارك الله احسن الخالقين ، ثم رجع وجاء زيد الى منزله فأخبرته زينب بما وقع فقال زيد : هل لك ان اطلقك حتى يتزوجك رسول الله ؟ فقالت : اخشى ان تطلقني ولم يتزوجني رسول الله (ص) فجاء زيد الى رسول الله فقال : هل لك ان اطلق زينب حتى تتزوجها ؟ فقال : لا ، اذهب واتق الله وامسك عليك زوجك ثم حكى الله عز وجل فقال : امسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكمها (الى قوله) وكان امر الله مفعولاً فزوجه الله تعالى من فوق عرشه فقال المنافقون : يحرم علينا نساء ابناتنا ويتزوج امرأة ابنه زيد ، فأنزل الله عز وجل في هذا : وما جعل ادعياءكم ابناءكم (الى قوله) يهدي السبيل وسألت في هذه السورة اخبار اخر في كيفية تزويج رسول الله (ص) زينب لزيد ونفسه [ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ] من غير اعتقاد لكم به ومن غير حقيقة له في الواقع فلا تأثير لهذا القول في ترتب الاحكام الشرعية [وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ] الثابت الذي له حقيقة في نفس الامر وينبغي ان يعتقد [وَهُوَ] لاغيره [يَهْدِي السَّبِيلَ] الى الحق [أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ] بان تقولوا زيد بن حارثة دون غير آبائهم وان كان الغير يدعونهم ابناءهم [هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ] اعدل من غير شوب ظلم وتجاوز عن الحق [فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فِإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ] فادعوهم اخواناً [وَمَوَالِيَكُمْ] فادعوهم احباباً [وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ] بدعائهم الى غير آبائهم قبل النهي او بعد النهي بالنسيان عن النهي او سبق اللسان [وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ] اي فيما تعمدت قلوبكم او ما تعمدت قلوبكم مبتدئ خبره محذوف [وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا] بغفر للمخطئ والمتعمد بعد التوبة ويرحمه تفضلاً منه عليه [الْأَنْبِيَاءُ أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ] مستأنف جواب لسؤال ناش من نفى بنوة زيد لمحمد (ص) وان نسبة البنوة لمحمد (ص) قول بافواههم من غير حقيقة له كأنه قيل : اذالم يكن لنسبة بنوة زيد الى محمد (ص) حقيقة فما النسبة بينه وبين امته حتى يقال : انه ابو امته ؟ فقال تعالى جواباً لهذا السؤال : ان المعنى هو الابوة الجسمانية والاحكام الشرعية القلبية من حرمة نكاح حليمة الابن انما هي للابوة والبنوة الجسمانيتين وأمّا الابوة الروحانية التي تحصل بحصول صورة من الاب في وجود الابن بواسطة البيعة العامة او الخاصة وبتلك الصورة يحصل نسبة الابوة والبنوة فانما هي ثابتة له (ص) بالنسبة الى كل الامة ، ولما كانت تلك الكيفية الحاصلة بالبيعة صورة نازلة منه (ص) وهي نصير الفعلية الاخيرة للابن وشيئة الشيء تكون بالفعلية الاخيرة وتلك الفعلية تكون اولى باسم ذلك الشيء من سائر فعلياته السابقة لاستهلاكها تحت تلك الفعلية وتكون تلك الفعلية صورة نازلة من محمد (ص) كان محمد (ص) اولى

بمن باع معه احدى البيعتين من سائر فعلياته التى تنسب اليه وتكون نفسه عبارة عنها فالنبي يكون اولى بالمؤمنين من انفسهم فى جميع ما ينسب اليهم من الاعمال والاقوال والاحوال والاخلاق والاحكام والآلام ، ولا تظنن انه (ص) حينئذ يكون اولى بهم فى معاصيهم لان المعاصى ناشئة عن الحدود والنقائص ، والحدود والنقائص انما هى ناشئة من الفعليات السابقة وراجعة الى الاعداد لا الى الفعليات فانفسهم تكون اولى بها من الفعلية الاخيرى وقد سبق فى سورة البقرة عند قوله تعالى : وبالوالدين احساناً تحقيق وتفصيل تام للولادة الروحانية ، ومن هذا يعلم ان خلفاء محمد (ص) الذين كانوا مأمورين بأخذ البيعة العامة او الخاصة عن الخلق كانوا اولى بمن باعوا معهم من انفسهم مثل محمد (ص) وكانوا آباء لمن آمنوا بهم من غير فرق ولذلك ورد : ان الائمة كانوا بعد محمد (ص) اولى بالمؤمنين مثل محمد (ص) من انفسهم [وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ] قرأ الصادق (ع) ههنا : وهواب لهم .

بيان

فى الابوة الروحانية
والقالبية

اعلم ، انه (ص) لما صار بحسب مقام بشريته محكوماً بحكم روحه بحيث لم يكن له بحسب مقام قاليه الآثار وروحه وكان نسبته الى امته نسبة الابوة كان جازياً على قاليه حكم الابوة الروحانية فكان ازواجه بالنسبة الى امته مثل ازواج الآباء بالنسبة الى الاولاد ولذلك كن محرمات على امته وان كانت امته بالنسبة اليه بحسب مقام بشريتهم غير محكومين بحكم الفعلية الاخيرة التى كانوا بحسبها ابناءً له فلا يجرى على قوالبهم حكم ارواحهم ولم يكن ازواجهم بالنسبة اليه مثل ازواج الابناء بالنسبة الى الآباء ، مع انه (ص) بحسب قاليه حكمه بالنسبة اليهم حكم الآباء بالنسبة الى الاولاد ولذلك قال تعالى شأنه : ما كان محمد اباً احداً من رجالكم يعنى انه اب لجهاتهم الروحانية ورجالكم الذين هم محكومون بحكم القوالب غير منسوبين اليه بالبنوة فليس هو اباً لرجالكم القالبية وان كان اباً لامته من حيث انهم رجال روحانيون ليهيئون ولذلك قال تعالى : النبي اولى بالمؤمنين يعنى من حيث ايمانهم وازواجه امهاتهم يعنى امتهات المؤمنين من حيث ايمانهم ، لا يقال : ان كان الرسول (ص) بحسب قاليه محكوماً بحكم روحه فينبغى ان لا يجوز له نكاح نساء امته ولا نكاح ازواج امته لاننا نقول : هو (ص) محكوم بحسب قاليه بحكم روحه لكن امته ليسوا محكومين بحكم ارواحهم فلم تكن امته اولاداً له بحسب قوالبهم وشرف امومة المؤمنين وشرف مضاجعة الرسول (ص) مانع من ان لا تكون ازواجه امهات للامة ومحرمات عليهم بحسب قوالبهم ، ولكن ليس هذا الحكم اى جريان حكم النسبة الروحانية على القوالب الجسمانية جارياً بين المؤمنين والمهاجرين يكون بعض منهم اولى ببعض من قراباتهم الجسمانية فى الوصاية وفى الامارة وفى الارث او غير ذلك بل [وَأُولُوا الْأَرْحَامِ] الجسمانية [بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ] فى ذلك من الاقرباء الروحانية [ففى كتاب الله] اى القرآن او مطلق كتبه المنزلة من السماء او فى كتابه العلوى من اللوح المحفوظ ولوح المحو والاثبات او فى مفروض الله او فى احكام الرسالة ، وقد مضت الآية فى آخر سورة الانفال وقد ذكر ههنا موافقاً لما ورد فى الاخبار انها نزلت لنسخ التوارث بالهجرة والنصرة لكن لا اختصاص لها بالتوارث ولا بالامامة ولا بسائر الحقوق بل تجرى فى كل حق واحسان وانفاق ، وما ورد ههنا انها نزلت فى الامرة وانها جرت فى ولد الحسين (ع) من بعده بيان لاهم موارد [مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ] ذكر المهاجرين بعد المؤمنين من قبيل ذكر الخاص بعد العام للاهتمام بالخاص ولقطة من بيان لاولى الارحام او هى من التفضيلية [إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا] استثناء متصل مفرغ يعنى ان اولى الارحام بعضهم اولى ببعض فى كل الامور الا فى فعلتكم الى اوليائكم فى الدين معروفاً فانهم حينئذ يصيرون اولى بتلك الفعلة من اولى الارحام او فى كل حال الا فى حال ان تفعلوا ، واستثناء منقطع يعنى لكن فعلتكم الى اوليائكم معروفاً تكون حسناً والمراد بالفعلة المعروفة الوصية وجعل الاولياء اوصياء ، او الوصية بشيء للاولياء [كَانَ ذَلِكَ فِى الْكِتَابِ مَسْطُورًا] اى فى الكتاب العلوى من اللوحين او فى الكتاب التدوينى

الآلهى النازل اليكم من القرآن والكتب السالفة [وَإِذْ أَخَذْنَا] عطف على فى كتاب الله او على فى الكتاب، او على مقدر والتقدير: النبى اولى بالمؤمنين فى ذلك الزمان وفى وقت اخذنا ميثاق النبيين، او التقدير اولوا الارحام بعضهم اولى ببعض فى هذا الزمان ووقت اخذ الميثاق من النبيين، او معطوف على مقدر تقديره: تذكر ذلك واذكر اذ اخذنا [مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ] فى هذا العالم بأخذ الانبياء ووصيائهم (ع) بالبيعة منهم الميثاق او فى عالم الذر بأخذنا بانفسنا ميثاقهم [وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ] ذكر هؤلاء الخمسة بعد ذكر الانبياء عموماً للاهتمام بشأنهم لكونهم اولى العزم من الانبياء (ع) [وَإِذْ أَخَذْنَا] جملة حالية بتقدير قد، او عطف على اخذنا، او مستأنف على مجيء الواو للاستئناف [مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا] ضمير منهم راجع الى النبيين (ع) اولى المخصوصين المذكورين بعد النبيين [لَيْسَ سَأَلَ] الله او السائل [الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ] اى عن كفيته ومقداره حتى يجازيهم بحسبهما [وَإِعْدَلُ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا] عطف احوال ولم يقل ويسأل الكافرين او يعذب الكافرين للاشعار بان سؤال الكافرين وعذابهم ليس من الغايات الذاتية [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا] ناداهم اولاً لتنشيطاً لهم حتى يكونوا على تيقظ لاستماع ما يأتى [اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ] يعنى الاحزاب فان آباسفيان جمع الاحزاب من الاعراب قريش والقبائل التى كانت حول مكة وبنى غطفان من النجد وبنى قريظة وبنى النضير من حول المدينة [فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا] شديدة الهبوب بحيث لا تبقى خيمة ولا ناراً لهم، وشديدة البرد بحيث لا يتمالكون من بردها [وَجُنُودًا] من الملائكة [لَمْ تَرَوْهَا] لعدم امكان رؤية الملائكة للناس البشرى [وَكُنَّا اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا] من حفر الخندق والخروج من المدينة وتجيئ بعض لبعض واردة بعض للفرار وقولهم ان يوتنا عورة وماهى بعورة، وقرئ لما يعملون اى ما يعمل قريش من التخريب عليكم [اذْجَاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ] من اعلى المدينة وهو جانب المشرق والشمال [وَمِنْ أَسْفَلِ مِنْكُمْ] وهو جانب المغرب والجنوب فان بنى غطفان جاؤا من فوقهم وقريش من اسفلهم [وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ] مالت وتحيّرت من شدة الخوف والدهشة لكثرة الاعداء [وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ] كناية عن اضطراب القلوب فان القلوب عند غلبة الخوف تضطرب وتتحرك من اسفل الى اعلى، واذا اريد التبالغة فى اضطرابها يقال بلغت فى تحركها من اسفل مقامها الى الحناجر [وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا] الانواع من الظن او المظنونات العديدة المتخالفة، وقرئ الظنون بحذف الالف فى الوصل، وقرئ بحذف الالف فى الوصل والوقف، والمراد بالظنون ظن كذب محمد (ص)، وظن تكذيب الله لمحمد (ص) وظن الاستيصال، وظن الغارة على المدينة، وظن صدق محمد (ص) والاطمينان بالله والنصرة من الله والغلبة على الاعداء وهزيمتهم [هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ] بكثرة الجنود من الاعداء مع قلتهم وبالظنون المتخالفة واردة الفرار [وَزُلْزِلُوا زُلُزَالًا شَدِيدًا] وكان المنظور من ذلك الابتلاء وهذا الزلزال خلوص ايمان المؤمن وظهور نفاق المنافق [وَإِذْ يَقُولُ] عطف على اذ جاءكم [الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ] ما وعدنا الله ورسوله من الظنر واعلاء الدين والسلطنة على اهل الارض [الْأَعْرُورًا] وعداموها باطلاً بغير نابه [وَإِذْ قَالَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ] ليس ههنا مقام قيام لكم [فَارْجِعُوا] الى منازلكم [وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ النَّبِيَّ] للرجوع [يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا

عَوْرَةً [العورة الخلخل فى الثغر وغيره والمعنى ان بيوتنا ذوات عورة] وَمَاهِي عَوْرَةٍ اِنْ يُرِيدُونَ [الافراراً] من الزحف [وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ] يعنى لودخل الاعداء بيوتهم او المدينة غالباً عليهم [مِنْ أَقْطَارِهَا] من جوانب البيوت او المدينة [ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ] اى الكفر او المقاتلة مع المسلمين [لَا تَوَّاهَا وَمَا تَلَبَّسُوا بِهَا] مع الفتنة او فى المدينة او البيوت او ما تلبسوا فى اعطاء الفتنة او بسبب اعطاء الفتنة لعدم وثوقهم بدينهم [لَا يَسِيرُوا] اى لا تلبسوا يسيراً اوزماناً يسيراً [وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا اللَّهَ] على يد محمد (ص) [مِنْ قَبْلِ لَا يُؤْثِرُونَ الْأَذْيَارَ] وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا [عن الوفاء به والنقض له] قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ اِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ [فانه لا بد من الموت او القتل لكل واحد ولا ينجوا احد من احدهما] [وَإِذَا] يعنى اذا فررتم [لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا] قُلْ مَنْ ذَا الَّذِى يَعْصِيكُمْ مِنْ اللَّهِ اِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا أَقْدِيَ اللَّهُ الْمُعَوقِينَ مِنْكُمْ [المبتطين عن الغزو وعن الموافقة مع الرسول (ص) ولفظة قد للتحقيق] وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا [منهم او اتياناً اوزماناً او بأساً قليلاً والمراد بالبأس الحرب] [أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ] الشح بالتثليل البخل والحرص، وجاء من باب علم ونصر وضرب والمعنى بخلاء على خيركم او بخلاء ثابتين على ضرركم او حريصون على ضرركم [فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ] رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ [فى رؤسهم من شدة الخوف] [كَالَّذِى يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ] [النَّوْلِ] [الْمَوْتِ] فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ [سلفه بالكلام آذاه، شبهه اللسان بالاسنة واثبت لها الحدة استعارة بالكناية وترشيداً للاستعارة يعنى انهم جمعوا بين البخل والجبن وشدة الاذى حين الأمن] [أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ] حال من اللسان او من فاعل سلقوكم او منصوب على الذم [أُولَئِكَ لَمْ يَأْمَنُوا] اخلاصاً [فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ] التى عملوها فى ظاهرها لاسلام [وَكَانَ ذَلِكَ] الحبط [عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا] يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا [بعد ما ارسل الله عليهم الريح والملائكة وبعدهزيمتهم لشدة خوفهم ودهشتهم] [وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ] كَرَّةً ثَانِيَةً [يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْتَأْذِنُونَ] كل قادم عليهم من المدينة [عَنْ أَنْبَاءِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ] فى الكرة الثانية اولو بقوا فيكم ولم يرجعوا الى المدينة فى الحال الحاضر [مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا] وقد ذكر قصة الاحزاب وجماعاتهم من الاعراب ومجيئهم الى المدينة وقتل عمرو بن عبد ود وهزيمتهم وجبن المنافقين من اصحاب رسول الله (ص) وتجيئهم لغيرهم فى المفصلات؛ من اراد فليرجع اليها [لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ] اى خصلة حسنة ينبغى ان يتأسى بها وهو من باب التجريد مثل رأيت يزيد اسداً [لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ] بدل من قوله تعالى لكم بدل البعض من الكل؛ واللام للتبيين بتقدير مبتدأ محذوف [وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا] يعنى تلك الاسوة لا تكون الا لمن جمع بين رجاء الله وذكره كثير وهذه الجملة معترضة بين حكاية حال المسلمين والاحزاب جاء الله بها تلطفاً بالمسلمين وتعريضا بالمنافقين وتذكيراً للخالصين [وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ] الخالصون [الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ] بخلاف غير الخالصين فانهم قالوا ما وعدنا الله ورسوله الا غروراً [وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا] مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالًا

جواب سؤال مقدّر كأنه قيل: ما حال الخالصين؟ يكونون متساوين؟ فقال: من المؤمنين رجالٌ صدّقوا ما عاهدوا الله عليه [عند البيعة مع محمد (ص)] بالاجابة له في شروطه والمعنى قالوا ما عاهدوه صدقاً لا كذباً كالمنافقين او صدقوا فيما عاهدوه [فمنهم من قضى نحبه] للنحب معان كثيرة منها الخطر العظيم والحاجة والوقت والنوم والشدة والمدة والموت والاجل والنذر، والكل مناسب ههنا فان المراد قضاء عمره [ومنهم من ينتظر] النحب [و ما أبدلوا] ما عاهدوا الله عليه [تبدلاً] شيئاً من التبدل، فيه تعريض باهل النفاق وقد ورد اخبار كثيرة ان الآية نزلت في حمزة وجعفر وعبيدة وعلي (ع)، وفي بعض الاخبار انها نزلت في المؤمنين من شيعة آل محمد (ص)، وفي خبر عن الصادق (ع) المؤمن مؤمنان؛ فمؤمن من صدق بعهد الله ووفى بشرطه وذلك قول الله عز وجل: رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وذلك لا يصيبه احوال الدنيا ولا احوال الآخرة وذلك ممن يشفع ولا يشفع له، ومؤمن كخامة الزرع يعوج احياناً ويقوم احياناً، فذلك ممن يصيبه احوال الدنيا واهوال الآخرة، وذلك ممن يشفع له ولا يشفع، وفي خبر عنه (ع): لقد ذكركم الله في كتابه فقال: من المؤمنين رجال صدقوا (الآية) انكم وفيتم بما اخذ الله عليه ميثاقكم من ولايتنا وانكم لم تبدلوا بنا غيرنا، وعنه (ع) انه قال: قال رسول الله (ص): يا علي (ع) من احببك ثم مات فقد قضى نحبه، ومن احببك ولم يموت فهو ينتظر، وما طلعت شمس ولا غربت الا ظلت عليه برزق وايمان [ليجزى الله الصّادقين بصدّقهم ويعذب المنافقين إن شاء] لتعليل لصدقوا ومن الغايات المترتبة عليه يعني صدقوا فيصير صدقهم مورثاً لان يجزيهم الله اجرهم وان يجعلهم الله ميزاناً لنفاق المنافق ويعذبهم بنفاقهم [او يثوب عليهم] ان تابوا ورجعوا عن النفاق الى الصدق، او ان وفقوا للتوبة، او تعليل لوعدها الله، او لصدق الله، او لقوله ما زادهم الا ايماناً، وحينئذ يكون ايضاً من الغايات المترتبة عليه، او تعليل لقوله لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة او لقوله جاءكم جنود او لارسالنا عليهم ريثاً، او لكان الله بما تعملون بصيراً او لجاؤكم من فوقكم او لابتلى المؤمنين والفاضل لما كان من متعلقات المعلول لم يكن مانعاً من تعلق العلة بها وعملها فيها [ان الله كان غفوراً رحيماً] لتعليل لقوله او يثوب عليهم [وردد الله الذين كفروا] حال عن واحدة من الجمل السابقة المناسبة له او عطف على قوله قالوا هذا ما وعدنا الله او على قالت الاعراب او على يقول او على ابتلى المؤمنين او على زلزلوا او على زافت الابصار او جاؤكم او جاءكم يعني اذكروا نعمة الله اذ رد الله الذين كفروا الى العقاب يعني الاحزاب [بغيطهم] حقدهم [لم ينالوا خيراً] منكم من ظفر وغنيمة [وكفى الله المؤمنين القتال] بارسال الرياح والملائكة عليهم، وفي اخبار كثيرة ان المعنى كفى الله المؤمنين القتال بعلي بن ابي طالب (ع) يعني في تلك الغزوة او مطلقاً فانه دخل على الكفار وهم يقتل عمرو بن عبد ود وتقوى المؤمنون ولم يبق لهم حاجة الى القتال بحيث يقتل المؤمنون في القتال ولذلك ورد: ضربة علي يوم الخندق افضل من عبادة الثقلين [وكان الله قوياً] لا يمكن لاحد مدافعته وممانعته عن مراده [عزيزاً] غالباً كل غالب [وانزل الذين ظاهروهم] يعني ظاهروا الاحزاب [من اهل الكتاب من صياصبيهم] وهم بنو قريظة فانهم نقضوا عهد الرسول (ص) وظاهروا الاحزاب وقصتهم وقصة نقض عهدهم بوسوسة حتى بن اخطاب الذي كان من بني النضير ونزلهم من صياصبيهم وقتلهم واسرناهم وذراريهم مذكرة في المفصلات [وقذف في قلوبهم الرعب] فربقاً تقتلون وتأسرون قريقاً وأورثكم ارضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطوها [وهي

ارض خيبر افتتحها الله بالصالح من دون وطى خيل وجمل بعد بنى قريظة ، وقيل : هي مكة ، وقيل : هي الروم وفارس ، وقيل : هي كل ارض تفتح الى يوم القيامة ، وقيل : هي كل ما افاء الله على رسوله (ص) مما لم يوجف بخيل ولا ركاب [وَكَاَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ] خطاب آخر خاص به (ص) ناداه بعد ما قالت بعض نسائه حفصة او زينب بنت جحش ان طلقنا وجدنا اكفاء في قومنا ، وسببه على ما قاله القمي انه لما رجع رسول الله (ص) من خيبر واصاب كثر آل ابى الحقيق قالت ازواجه : اعطنا ما اصبحت فقال لهن رسول الله (ص) : قسمته بين المسلمين على ما امر الله فغضببن وقلن لعليك انتك ترى ان طلقنا اننا لا نجد الا كفاء من قومنا يتزوجونا ؟ فانف الله تعالى لرسوله (ص) فأمره الله تعالى ان يعتزل لهن فاعتزل لهن رسول الله (ص) في مشربة ام ابراهيم تسعة وعشرين يوماً حتى حضن وطهرن ثم انزل الله هذه الآية فقال : [قُلْ لَا زَوْاجَ لَكُمْ أَنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُمْ وَأَسْرَحْكُمْ سَرَاحًا جَمِيلًا وَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُمْ أَجْرًا عَظِيمًا] لا للمسيئات الخارجات بالسيف فقامت ام سلمة اول من قامت فقالت : قد اخترت الله واخترت رسوله (ص) فقمي كلهن فعانقنه وقلن مثل ذلك فأنزل الله تفخيماً لشأنه (ص) ونخيراً له ترجى من نشاء منهن وتووى اليك من نشاء [يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ] ثم قطع مخاطبة النبي (ص) وخاطب ازواجه تفخيماً لشأنهن من حيث انتهن ازواج النبي (ص) [مَنْ يَأْتِ مِنْكُمْ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ] قبحها او ظاهرة على الانظار كالخروج بالسيف وقد فسرت في الاخبار بالخروج بالسيف وبالخروج على علي (ع) تعريضاً بفعله عائشة [يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ] يعني في الآخرة والا فعلى (ع) احسن اسرها في الدنيا بعد ما قاتل وقتل مقاتليها وقال في حقها : ولها حرمتها ، [وَكَاَنَّ ذَلِكَ] التضعيف [عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا] ولما كان المقام للشهد بداني بالتيسير قبل ذكر تضعيف الاجر للمحسنات منهن ثلاثين وهم انه لتضعيف الاجر .

[الجزء الثاني والعشرون]

[وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُمْ] من يتواضع او يطع [لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا] ما ، او صالحاً عظيماً هو ولاية على بن ابي طالب (ع) [نُؤْتِيهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا] كل ذلك بشرافة قرب النبي (ص) فان عصيان القريب من الرسول (ص) اعظم قبحاً وطاعته اعظم اجراً [يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ] تشریف آخر لهن بتكرار النداء والخطاب [لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ] بسبب قرب النبي (ص) وشرافته [إِنْ أَتَقَيْتُنَّ] ان كنتن على سجية التقوى ، واتقيتن سخط الله ، او اهوية النفس والطرق المختلفة النفسانية [فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ] اي لا تظهرن قولكن لمخاطبيكن بحيث يظهر معها مجتكن لهم [فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ] فيكن [وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا] اي بعيداً من الرية [وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ] قرى بكسر القاف وحيث يجوز ان يكون من الوقار ومن القرار ، وقرى بفتح القاف وحيث يكون من القرار فان قر استعمل من باب علم ومن باب ضرب [وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى] تلويح بعائشة وفعالها بالنسبة الى علي (ع) فانه كما روى عن النبي (ص) عاش يوشع بن نون بعد موسى ثلاثين سنة وخرجت عليه صفوراء بنت شعيب زوجة موسى (ع) فقالت : انا احق منك بالامر فقاتلها فقتل مقاتليها واحسن اسرها ، وان ابنة ابى بكر ستخرج على علي (ع) في كذا وكذا القاء من امتي فيقاتلها فيقتل مقاتليها ويأسرها ويحسن اسرها

وفيهما انزل الله تعالى : وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى يعنى صفوراء بنت شعيب (ع) [وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ] فى سائر ما امركن ونهيكن [إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا] جواب لسؤال مقدّر كأنّ أهل البيت (ع) سألوا، ما يريد بامر نساء النّبىّ (ص) ونهيهنّ والاهتمام بشأنهنّ ؟ فقال تعالى فى الجواب : إنّما يريد الله بالاهتمام بامر نساء النّبىّ (ص) تطهير أهل بيته الذين هم أصحاب الكساء ، وهم الاثمة وشيعتهم فإنّ المقصود من جميع الاوامر والنواهي التي وردت فى الشريعة المطهرة تطهير أهل البيت (ع) يعنى الاثمة وشيعتهم فإنّ الكلّ مقدّم للولاية والبيعة الخاصة المولوية ، وصاحبوا الولاية هم الاثمة (ع) وخلفاؤهم ومن اجازوهم لاختد البيعة او لتبليغ الاحكام القالبيّة ، وقابلوا الولاية شيعتهم الذين يابعوهم البيعة الخاصة المولوية ، وعن طريق العامة والخاصة ورد اخبار كثيرة فى تفسير أهل البيت بأصحاب الكساء الذين هم على (ع) وفاطمة (ع) والحسن (ع) والحسين (ع) وقد ورد عن طريق الخاصة : انها جرت بعدهم فى الاثمة (ع) عن الصادق (ع) انه قال يعنى الاثمة وولايتهم من دخل فيها دخل فى بيت النّبىّ (ص) ولكن الله عز وجل انزل فى كتابه لنبيّه (ص) انما يريد الله (الآية) وكان على (ع) والحسن (ع) والحسين (ع) وفاطمة (ع) فادخلهم رسول الله (ص) تحت الكساء فى بيت ام سلمة ثم قال : اللهم ان لكل نبيّ اهلاً وثقلاً ، وهؤلاء أهل بيتى وثقلى ، فقالت ام سلمة : الست من اهلك ؟ فقال انتك على خير ولكن هؤلاء اهلى وثقلى ، وقال فى آخر الحديث : الرّجس هو الشكك والله لا تشكك فى ربنا ابداً ، وقد ذكر فى المفصلات الاخبار ، من اراد فليرجع اليها ، وللإشارة الى ان المقصود أهل البيت (ع) قال : عنكم لا عنكنّ ، وللاهتمام بشأن أهل البيت (ع) وان المنظور من تأديب نساء النّبىّ (ص) تطهير أهل البيت جاء بهذه الجملة معترضة بين احكام نساء النّبىّ (ص) [وَأَذْكُرَنَّ مَا يَتْلُو فِي يَدَيْهِ يُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ] حتى تكن على ذكر من الله [وَالْحِكْمَةِ] حتى تكن حكيماً فى اموركنّ [إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا] فى صنعته [خَبِيرًا] او المراد باللفظ هو الدقّة فى العلم والعمل والجملة جواب لسؤال مقدّر وتعليل لقوله اذكرن ما يتلى اذ كن ما يتلى [إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ] وهذا تعليل لما سبق من قوله ومن يقنت منكنّ (الى آخر الآيات) والمراد بالمسلمين صورة من يابع على يد محمد (ص) او خلفائه البيعة العامة النبوية بقبول الدعوة الظاهرة والانقياد تحت احكام الشريعة ، وحقيقة من انقاد باطناً تحت احكام الشريعة بحيث لا يتأتى منه خلافها ، وبهذا المعنى ورد عن النّبىّ (ص) : المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه [وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ] المؤمن صورة من يابع على يد محمد (ص) او خلفائه البيعة الخاصة المولوية بقبول الدعوة الباطنة والانقياد تحت احكام الطريقة وقبول احكام القلب ، وحقيقة من صار متخلّقاً بالاخلاق الحسنة ومتطهراً من الرذائل وصار اميناً فى قومه رحيماً كريماً وزيناً حبيباً ، الى غير ذلك من الاخلاق ، وبهذا المعنى ورد عن النّبىّ (ص) : المؤمن من امن جاره بواقفه ، وما آمن به من بات شعبان وجاره طوي ، وورد : المؤمن من اتّبعه المؤمنون على اموالهم وانفسهم ، وقد سبق فى أوّل البقرة تفصيل للاسلام والايمان وانّ الايمان يدخل بسبب كبتية فى القلب بتلك الكيفية يقع نسبة الابوة والبنوة بين المؤمن ومن يابع على يده ، ويقع الاخوة بين البايعين والاسلام ما عليه المناكح والموارث وحقق الدماء و اشار اليه تعالى بقوله : قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم [وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ] اى المتواضعين او القائمين فى الصلوة ، او المطيعين والمطيعات [وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ] اى الخارجين فى اقوالهم وافعالهم واحوالهم واخلاقهم من الاعوجاج [وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ]

على المصائب او الطاعات او عن المعاصي [وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ] قد مضى تحقيق معنى الخشوع والفرق بينه وبين الخضوع والتواضع في سورة البقرة عند قوله تعالى: **وَأَنَّهَا لَكَبِيرَةٌ أَلَا عَلَى الْخَاشِعِينَ [وَالْمُتَّصِدِّقِينَ وَالْمُتَّصِدِّقَاتِ]** من الاعراض الدنيوية والقوى البدنية والحشمة والجاه وكل ما ينسب الانسان الى نفسه ومن انانياتهم [وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ] عن الوجود المنسوب اليهم بانتهاء تقويهم عند ابتداء حشرهم الى الرحمن [وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ] فروجهم بعد حشرهم الى اسم الرحمن بعودهم الى الكثرات وملاحظة العورات التي كانت لهم حين رجوعهم الى الحق تعالى وغفلتهم عنها [وَالَّذِينَ كَثُرَ اللَّهُ كَثِيرًا وَالَّذِينَ كَثُرَتِ أَعْدَاءُ اللَّهِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرًا عَظِيمًا] روى ان اسماء بنت عميس لما رجعت من الحبشة مع زوجها جعفر بن ابي طالب عليه السلام دخلت على نساء رسول الله (ص) فقالت: هل فينا شيء من القرآن؟ قلن: لا، فأتى رسول الله (ص) فقالت: يا رسول الله ان النساء لفي خيبة وخسار فقال: ومم ذلك؟ قالت: لانهن لا يذكرن بخير كما يذكر الرجال فأنزل الله تعالى هذه الآية.

اعلم ، ان الآية اشارة الى جميع مراتب السلوك بعد الايمان الخاص بالحاصل بالبيعة الولوية ودخول الايمان في القلب فان الاسلام تنبه وسبب للهداية الى الايمان ولا بد من حصوله للانسان حتى يحصل له الايمان ، والايمان الحاصل بالبيعة الخاصة الولوية وقبول الدعوة الباطنة ، ونفس تلك البيعة سبب للتوجه الى الله ، وبعد التوجه الى الله يكون السلوك الى الطريق او الى الله ، واول ما يحصل بعد الايمان للتسالك هو المحبة لله والاستشعار بعظمته وعظمة مظهره والاستشعار بالهيبة منه ، ويحصل من ذلك الاستشعار التواضع الذي هو حالة حاصلة من امتزاج الهيبة والمحبة مع غلبة الهيبة ، ويحصل من تلك الحالة الطاعة ، وليس المراد بالقنوت ههنا الا التواضع او الطاعة والقيام في الصلوة ، والقنوت يحصل الخروج من الاعوجاج وبالصدق والخروج من الاعوجاج يحصل الصبر في موارد ، وبالصبر يحصل الخشوع الذي هو حالة حاصلة من امتزاج الهيبة والمحبة مع غلبة المحبة ، وبغلبة المحبة يحصل التصديق وطرح ما يمنع المحب عن خدمة المحبوب ، وبذلك الطرح يحصل الصوم الذي هو انتهاء التقوى ، وبانتهاء التقوى يحصل الرجوع والبقاء بعد الفناء ومراعاة حقوق الكثرات من المنع والاعطاء والبذل والحفظ ، وفي مراعاة الكثرات وحقوقها يحصل الذكر الكثير ، فان الذكر الكثير هو الذي يكون بتذكر الامر والتهى الآلهيين عند كل فعل ، ولا يكون ذلك الا بعد الرجوع الى الكثرات بالله وهو آخر الاسفار التي تكون للتسالك [وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ] عطف على مقدّم مستفاد من السابق كأنه قال: فما كان لمؤمن ولا مؤمنة ان يدعوا تلك المغفرة العظيمة وذلك الاجر العظيم وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اي ماصح وماجاز [إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا] اي حكم الله او حتم او بين [أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ] اسم للاختيار ويقع على المختار ايضاً [مِنْ أَمْرِهِمْ] لانهما اولى بهم وابصر بامرهم وارحم بهم منهم نزلت حين خطب الرسول زينب بنت جحش لزيد مولاه وغضبت هي واخوها وقالت: بنت عمك تنكحها لمولاه؟ فلما نزلت قالت: رضيت وجعلت امرها بيده، وقيل: نزلت في ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط وكانت وهبت نفسها للنبي (ص) فقال: قد قبلت وزوجها زيد بن حارثة فسخطت هي واخوها وقالوا: انما اردنا رسول الله فزوجنا عبده فنزلت: وقد مضى في سورة القصص ان نزول الآية ان كانت في شيء غير الخلافة فالمنظور منها الخلافة يعني ما كان لاحد ان يختار الامام من عند نفسه على من اختاره الله ورسوله (ص) للامامة [وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ] في ما يختارانه لهم يعني في الامامة التي يختارونها لهم [فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا وَادْتَقَوْا] عطف على مقدّم عام او خاص والتقدير

ما كان لمؤمنٍ ولا مؤمنةٍ إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم في أي وقت كان أو في وقت نصب علي (ع) بالخلافة، واذ تقول [لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ] بالاسلام والتوفيق لاطاعتك وخدمتك [وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ] بالعتق والزوجة وبذل ما يحتاج اليه [أَمْسِكَ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ] مع انك علمت ان مختار الله ومختارك ان تصير زينب زوجتك [وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ] من كون نكاح زينب منك مختارك ومختار الله [وَتَخْشَى النَّاسَ] وملامتهم بان يقولوا يتمنى زوجة الغير [وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ] ان كان هذا ممّا يخشى ، روى عن السجّاد (ع) ان الذي اخفاه في نفسه هو ان الله سبحانه اعلمه انها ستكون من ازواجه وان زيدا سيطلقها فلما جاء زيد وقال له: اريد ان اطلق زينب، قال له: امسك عليك زوجك فقال سبحانه: لم قلت: امسك عليك زوجك؟ وقد اعلمتك انها ستكون من ازواجك [فَلَمَّا قُضِيَ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا] حاجة كانت له اليها وملها وطلقها وانقضت عدتها [زَوْجُنَا كُهَا] وفي قراءة اهل البيت (ع) زوجتكها وهذا دل على تعظيمه (ص) فانه ادى على مباشرة التزويج بنفسه دون سفراته وخلفائه [لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ] اي فيما قدر الله له قدراً حتماً فانه تعالى قدر له (ص) قدراً حتماً ان تكون زينب من ازواجه ، نسب الى الباقر (ع) انه قال زوج رسول الله (ص) زينب زيدا فمكث عند زيد ما شاء الله ثم انتهما تشاجرا في شيء الى رسول الله (ص) فنظر اليها رسول الله فأعجبته فقال زيد: يا رسول الله (ص) اتأذن لي في طلاقها فان فيها كبراً وانتهال تؤذي بلسانها؟ فقال رسول الله (ص): اتق الله وامسك عليك زوجك واحسن اليها، ثم ان زيدا طلقها وانقضت عدتها فنزل الله عز وجل: نكاحها على رسوله (ص)، وعن الرضا (ع) في حديث ان الله تعالى عرف نبيه (ص) اسماء ازواجه في دار الدنيا واسماء ازواجه في الآخرة وانتهن أمهات المؤمنين واحد من سمى له زينب بنت جحش وهي يومئذ تحت زيد بن حارثة فاخفى (ص) اسمها في نفسه ولم يده لكي لا يكون احد يقول من المنافقين انه قال في امرأة في بيت رجل انها احد ازواجه من أمهات المؤمنين وخشى قول المنافقين قال الله عز وجل: وتخشى الناس والله احق ان تخشاه يعني في نفسك وان الله عز وجل ماتولى تزويج احد من خلقه الا تزويج حواء من آدم (ع)، وزينب من رسول الله بقوله عز وجل: فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها، وفاطمة (ع) من علي (ع)، وعنه (ع): ان رسول الله (ص) قصد دار زيد بن حارثة في امر اراده فرأى امرأته تغتسل فقال لها: سبحان الله الذي خلقك وانما اراد بذلك تنزيه الله عن قول من زعم ان الملائكة بنات الله (الى ان قال) فقال النبي (ص) لما رآها تغتسل: سبحان الله الذي خلقك ان يتخذ ولداً يحتاج الى هذا التطهير والاغتسال، فلما عاد زيد الى منزله اخبرته امرأته بمجيء الرسول (ص) وقوله لها: سبحان الله الذي خلقك فلم يعلم زيد ما اراد بذلك فظن انه قال ذلك لما اعجب من حسناتها، فجاء الى النبي (ص) فقال: يا رسول الله (ص) ان امرأتى في خلقها سوء وانى اريد طلاقها، فقال له النبي (ص): امسك عليك زوجك واتق الله (الآية) وقد كان الله عز وجل عرفه عدد ازواجه وان تلك المرأة منهن فاخفى ذلك في نفسه ولم يده لزيد وخشى الناس ان يقولوا: ان محمداً يقول لمولاه ان امرأتك ستكون لي زوجة ، فيعيونه بذلك فانزل الله واذ تقول (الآية) ثم ان زيد بن حارثة طلقها واعتدت منه فزوجها الله تعالى من نبيه وانزل بذلك قرآناً فقال عز وجل: فلما قضى زيد منها وطراً (الآية) ثم علم عز وجل ان المنافقين سيعيونه بتزويجها فانزل ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له [سُنَّةَ اللَّهِ] سن ذلك المذكور من تزويج ازواج الادعياء او من رفع الحرج فيما فرض لهم واباح سنة [فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ] يعني في الانبياء الذين خلوا من قبلك بقرينة الذين

يبلغون (الى آخره) [وَكَاْنَ اَمْرُ اللّٰهِ قَدْرًا مَّقْدُوْرًا] يعنى ان امره قدر سابقاً فى الالواح بحيث لا يكون فيه تخلف فما لهم يلومون فى امر يكون قدراً مقدوراً غير متخلف عنه [الَّذِيْنَ يُبَلِّغُوْنَ رَسَالَاتِ اللّٰهِ] صفة او يدل من الذين خلوا، او خير مبتدء محذوف، او مفعول فعل محذوف [وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ اَحَدًا اِلَّا اللّٰهَ وَكَفَى بِاللّٰهِ حَسِيْبًا] فينبغى ان لا يخشى الا منه [مَا كَانَ مُحَمَّدٌ اَبَا اَحَدٍ مِّنْ رِّجَالِكُمْ] قد مضى بيان هذه الكلمة فى اول السورة عند قوله: وازواجه امهاتهم ولما توهتهم من نفى ابوتهم لرجالهم انتفاء النسبة بينه وبين امته استدرك ذلك بانه (ص) ما كان ابا احد من رجالكم الجسمانيين ولكنه اب لامته من حيث انهم مؤمنون ورجال ونساء روحانيون فقوله تعالى [وَلَكِنْ رَّسُوْلَ اللّٰهِ] واقع موقع قوله تعالى ولكنه ابورجاله الروحانيين [وَحَاْتَمَ النَّبِيِّيْنَ] هذه الكلمة للترقى عن كونه ابا لامته فكأنه قال: بل هو اب لجميع المرسلين وامهم لانه خاتمهم والخاتم ينبغى ان يكون محيطاً بالكل ومنسوباً الى الكل نسبة الاب الى الاولاد، وقرئ هذه الكلمة بكسر التاء وفتحها [وَكَاْنَ اللّٰهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيْمًا] لا انتم فيعلم هو النسبة الجسمانية والروحانية بين الاشياء ويعلم مقدار كل وحكم كل بحسبه وقدره لا انتم فلا تقولوا لما يحكم الله به: لم كان كذا؟ اولولم يكن ذلك كذلك افاته رد من الجاهل على العالم، او تأمل من الجاهل فى حكم العالم [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللّٰهَ ذِكْرًا كَثِيْرًا] قد مضى فى سورة البقرة بيان الذكر ومراتبه وانواعه، عن الصادق (ع) ما من شيء الا وله حد ينتهى اليه الا الذكر فليس له حد ينتهى اليه (الى ان قال) فان الله عز وجل لم يرض منه بالقليل ولم يجعل له حدا ينتهى اليه ثم تلا هذه الآية: وعنه (ع): تسبيح فاطمة الزهراء من الذكر الكثير الذى قال الله: اذكروا الله ذكراً كثيراً، وفى خبر: من ذكر الله فى السر فقد ذكر الله كثيراً [وَسَبِّحُوْهُ] بالقول والفعل [بُكْرَةً وَأَصِيْلًا] اشارة الى استغراق الاوقات، او المراد التسبيح فى هذين الوقتين لشرافتهما، وذكر التسبيح بعد الذكر تخصيص بعد التعميم، او تقييد بعد الاطلاق ان اريد بالتذكر الذكر الملقى او النفسى وبالتسبيح ايضاً التسبيح القولى او النفسى لا التنزيه الفعلى وقد مضى الفرق بين التسبيح والتقدیس فى سورة البقرة عند قوله تعالى: ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ومضى فى مطاوى ما سلف ان المراد بتسبيح الرب وتسبيح اسمه وتسبيح الله هو تنزيه اللطيفة الانسانية التى هى اسم للرب بوجه رب بوجه ومظهر لله بوجه وآله بوجه عن حدودها ونقائصها، وجملة الاعمال والاقوال الشرعية مقدمة لهذا التنزيه كما ان جملة الرياضات والمجاهدات وسائر الاعمال القلبية نفس ذلك التنزيه [هُوَ الَّذِيْ يُصَلِّيْ عَلَیْكُمْ] اى یرحمکم او یرزق الرحمة علیکم [وَمَلَاٰئِكَتُهُ] يعنى ويستغفر لکم ملائکته فان الصلوة من العباد الدعاء من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار، وهذه الكلمة فى موضع التعليل للامر بالتذكر الكثير [لِيُخْرِجَكُمْ مِّنَ الظُّلُمَاتِ] ظلمات نقائص المادة وحدود الطبع واهوية النفس وراثتها [اِلَى النُّوْرِ] اى نور الايمان والطاعة والاخلاق الحسنة ونور عالم الاطلاق [وَكَاْنَ بِالْمُؤْمِنِيْنَ رَحِيْمًا] لان فعليتهم الاخيرة التى هى عبارة عن صورة نازلة عن ولى امرهم رحمة من الله وجاذبة لرحمة اخرى منه كما انها ولى امرهم بوجه [تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ] اى يلقون حساباً وحسابه او يلقون مظاهره وائمتهم (ع) لان المؤمن بعد طى البرازخ يلقى امامه سواء كان طى البرازخ بالاخيار وبالسلوك حتى حضروا عند امامهم فى الدنيا، او بالاضرار ووصولهم الى الاعراف وحضورهم عند امامهم فى الآخرة [سَلَامٌ] لان المؤمن بعد الحضور عند امامه يصير سالماً من جميع الآفات والنقائص، وازافة التحية الى الضمير من قبيل اضافة المصدر الى الفاعل او الى المفعول اى تحية بعضهم لبعض، او تحية الله وملائکته لهم والجملة حالبة او مستأنفة

معترضة جواب لسؤال مقدر [وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا] لامتة فيه ولا نقص [يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا] متحملاً للشهادة ممن ارسلت اليهم وعليهم، او مقدرًا لتأدية الشهادة عليهم ولهم، او حاضراً عليهم في اعمالهم [وَمُبَشِّرًا] للمؤمنين [وَنَذِيرًا] للكافرين [وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ] لكل الناس [بِآذَنِهِ] قيد الدعاء بقوله باذنه اشعاراً بأن الدعاء اذا لم يكن باذن من الله كان ضلالاً واضلالاً [وَسِرَاجًا مُنِيرًا] يستضاء بك ويستنير البصائر منك [وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ] عطف على محذوف تقديره فأنذر الكافرين وادع الناس اجمعين وبشر المؤمنين [بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا] واقتصر على ذكر المعطوف اشعاراً بأن المقصود بالتذات هو تبشير المؤمنين [وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ] فيما يقولون في حق فقراء المؤمنين، اوفى ترك التعرض لاصنامهم، اوفى حق على (ع) وخلافته [وَدَعِ أَذْيَهُمْ] هذه الكلمة اسم مصدر لا يذاء ومضاف الى الفاعل او الى المفعول [وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ] في كل امورك [وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا] يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها [اي ايام عديدة تعدونها عليهن] فتمتعوهن [وجوباً بنصف ما فرضتم ان كنتم فرضتم لهن فريضة او بما يتمتع امثالهن ان لم تكونوا فرضتم لهن فريضة، او متعهن استحباباً بعد ما اديتم اليهن نصف مهرهن او نصف مهر الامثال [وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا] اي طلقوهن او ارسلوهن من بيوتكم من غير اذى ومنع حق [يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أَجُورَهُنَّ] اي مهورهن فان المهر اجر للبضع [وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ] افرد العم والخال دون العممة والخالة لارادة الجنس من الخال والعم وتوهم الافراد من العممة والخالة لو افردت الوجود التام التي توهم الافراد [اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ] القيود الثلاثة ليست قيوداً للاحلال لما سيأتي من الاخبار ان الله تعالى احل له ما شاء من النساء واتما ذكر القيود تشريراً له (ص) في الاولين وتشريعاً للنساء في الاخير، وقيل: انها قيود للاحلال، ونقل عليه خبر من طريق العامة واتما ذكر احلال الازواج مع انتهن كن محلات له وكن في بيوته رفعا لما قال بعض وتوهم بعض من انه (ص) حرم على امته ازيد من اربع ونكح هو ازيد من اربع ولا ينبغي ان يكون كذلك، والدليل عليه قوله قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم معترضة بين بيان احلال ازواجه [وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ] التفت من الخطاب الى الغيبة اشعاراً بأن هذا الحكم لشرافة النبوة [إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ] تأكيد لما استفيد من اختصاص هذا الحكم بحبيبة النبوة، وخالصة مصدر لمحذوف اي خلص هذا الحكم خلوصاً لك، او اسم فاعل والتاء للمبالغة وحال عن محذوف اي قلنا هذا الحكم خالصة، او حكمتنا هذا الحكم خالصة، او التاء للتأنيث والتقدير ذكرنا هذه الهبة خالصة لك، وغير ما ذكر من وجوه اعرابها ضعيف جداً [مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ] الظرف حال من الضمير المجرور في لك، عن الباقر (ع): جاءت امرأة من الانصار الى رسول الله (ص) فدخلت عليه في منزل حفصة والمرأة متلبسة متمشطة فقالت: يا رسول الله (ص) ان المرأة لا تخطب الزوج وانا امرأة ايم لا زوج لي منذ دهر ولا ولد فهل لك من حاجة؟ فان يك فقد وهبت نفسي لك ان قبلني، فقال لها رسول الله (ص) خيراً ودعا لها، ثم قال: يا اخت الانصار جزاكم الله عن رسول الله خيراً فقد نصرني رجالكم ورغبت في تساؤكم، فقالت لها: حفصة ما اقل حياءك واجراك وانهمك للرجال، فقال لها رسول الله (ص):

كفّى عنها يا حفصة، فإنها خير منك رغبت في رسول الله فلمتها؟! وعيبتها؟! ثم قال للمرأة انصرفي رحمك الله، فقد اوجب الله لك الجنة لرغبتك في وتعرضك لمحبتى وسرورى، وسيأتيك امرى ان شاء الله، فأترى الله عز وجل وامرأة مؤمنة (الآية) قال فأحل الله عز وجل هبة المرأة نفسها لرسول الله (ص) ولا يحل ذلك لغيره وقد ذكر ان هذا الحكم من خصائصه (ص) وليس لغيره ان ينكح بهية المرأة نفسها من دون مهر، وقيل: ان الرسول (ص) لم يكن عنده امرأة وهبت نفسها له، وقيل: بل كانت عنده ميمونة بنت الحارث بالهبة، وقيل: هي زينب بنت خزيمة المكناة بأم المساكين، وقيل: كانت امرأة من بنى اسد يقال لها أم شريك، وقيل: كانت خولة بنت حكيم، وعن الصادق (ع) انه قال: تزوج رسول الله (ص) بخمس عشرة امرأة ودخل ثلاث عشرة منهن، وقبض عن تسع فاما اللتان لم يدخل بهما فعمرة والشبابة، واما الثلاث عشرة اللاتي دخل بهن فأولهن خديجة بنت خويلد ثم سودة بنت زمعة ثم أم سلمة واسمها هند بنت ابي امية، ثم أم عبد الله عائشة بنت ابي بكر، ثم حفصة بنت عمر، ثم زينب بنت خزيمة بنت الحارث أم المساكين، ثم زينب بنت جحش، ثم أم حبيبة رملة بنت ابي سفيان، ثم ميمونة بنت الحارث، ثم زينب بنت عميس، ثم جويرية بنت الحارث، ثم صفية بنت حيي بن اخطب، والتي وهبت نفسها للنبي خولة بنت حكيم السلمى وكان له (ص) سريتان يقسم لهما مع ازواجه مارية القبطية وريحانة الخندفية، والتسع اللواتي قبض عنهن عائشة، وحفصة، وأم سلمة، وزينب بنت جحش، وميمونة بنت الحارث، وأم حبيبة بنت ابي سفيان، وصفية وجويرية وسودة، وفضلهن خديجة بنت خويلد، ثم أم سلمة، ثم ميمونة [قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي] حق [أَزْوَاجِهِمْ] من العدد والقسم [وَمَا مَلَكَتْ] اى فى حق ما ملكت [أَيَّمَانُهُمْ] من الاماء من التوسعة عليهن فى المعيشة وعدم التنضيق عليهن فى الخدمة والاقتصار على المملوكة ان لم يطبقوا الحرية والاقتصار على حرية واحدة ان خافوا عدم العدالة وهذه الجملة معترضة وجواب لسؤال مقدّر كأنه قيل: لم احلت للرسول (ص) ازيد من الأربع ولم يحل لامته ازيد منها؟ بل لم يحل لهم اكثر من واحدة ان خافوا ان لا يعدلوا؟ فقال: قد علمنا سبب ذلك فيه وفيهم وليس هذا الحكم فيه وفيهم من غير سبب واستحقاق والجاهلون بالاسباب يلومونه على ما فرض الله عليه [لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ] متعلق باحل او بخالصة لك او بعامل امرأة مؤمنة يعنى انتك خرجت من التقيد وصرت مطلقاً ولا ينبغي ان يكون عليك حرج فيما اردت [وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا] فيغفر ما يلزمك من تعدد الازواج من تكدر قلبك بالكثرات وتعدّد الازواج، او يغفر لمن يلومك فى تعدد الازواج من جهله بسببه [رَحِيمًا] يرحمك فيحفظك مما يشينك فى الدنيا من تعدد الازواج، او يرحمك فى الآخرة بالتوسعة عليك فى مقاماتك، او يرحمهم فيحفظهم مما يخرجهم من الايمان فى ملامتك، او يرحمهم فى الآخرة [تُرْجَى مِنْ تَشَاءُ مِنْهُمْ وَتُؤْوَى إِلَيْكَ مِنْ تَشَاءُ] قد مضى سبب نزول هذه الآية عند قوله تعالى: يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتم تردين الحياة الدنيا (الآية) والمعنى تقدم من تشاء من نساك فى المضاجعة والايواء اليك من غير نظر الى القسم فيكون الآية توسعة عليه فى القسم بين نساك، او المعنى تعزل من تشاء منهم بغير طلاق وترد اليك من تشاء بعد عزل لك تسعة وعشرين يوماً، او المعنى تطلق من تشاء وتمسك من تشاء، او المعنى تترك نكاح من شئت من نساء امتك وتنكح من شئت منهم، وعلى اى تقدير فالجملة جواب لسؤال مقدّر وتوسعة له (ص) بالنسبة الى ازواجه ونكاحه، وهل كان تخييره لنسائه بين اختيار الدنيا واختيار الله ورسوله (ص) طلاقاً لهن بعد اختيارهن الدنيا او كمن محتاجات الى الطلاق وكذلك عزله (ص) وارجاؤه لهن؟ فعن الباقر (ع) انه سئل عن رجل خبر امرأته فاخترت نفسها بانت؟ قال: لا، انما هذا شيء كان لرسول الله (ص) امر بذلك ففعل، ولو اخترن انفسهن لطلقهن وهو قول الله تعالى: قل لازواجك ان كنتم تردين الحياة الدنيا (الآية) [وَمَنْ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ] من دون عقد جديد [ذَلِكَ]

التخيير والتوسعة عليك، اودلك الاذن في ترك القسم والتسوية بينهما، اودلك الاذن في ابتغاء من عزلت، اودلك الاذن في نكاح الواهيات لانفسهن وتركك لنكاحهن [أَذْنِي أَنْ تَقْرَأَ أَعْيُنُهُنَّ] اى اعين ازواجك [وَلَا يَحْزَنَ] بترك القسم لهن وترك التسوية بينهما [وَيَرُضِينَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلَّهُنَّ] قرى تقر من الثلاثى المجرى مبنياً للفاعل، وقرى من باب الافعال مبنياً للمفعول، واعينهن بالرفع فيهما، وقرى من باب الافعال مبنياً للفاعل، واعينهن بالنصب، وقرى كلتهن بالرفع تأكيداً لضمير برضين، وبالنصب تأكيداً لضمير آتينتهن [وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ] جمع ازواجه او امته او الجميع معه (ص) فى الخطاب، او صرف الخطاب عنه الى امته، او الى امته وازواجه [وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا] عطف بمنزلة التعليل [حَلِيمًا] فلا يماجلكم بعقوبة ما فى قلوبكم لحلمه، لالجمله، ولا يعجزه [لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ] اى من بعد الاجناس المذكورة فى الآية السابقة كما قيل وكما هو ظاهر الآية [وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بَيْنَ مَنْ أَزْوَاجٍ] أخر غير المذكورات فى الآية السابقة، وقيل: ان منعه من نكاح غيرهن ومن تبدل لهن مكافاة لهن على اختيارهن الله ورسوله (ص)، وقد ورد فى اخبار كثيرة مضمون ما ورد عن الباقر (ع) من انه اتعاى به لا يحل لك النساء التى حرم الله عليك فى هذه الآية حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم (الى آخرها) ولو كان الامر كما يقولون كان قد احل لكم ما لم يحل له لان احكم يستبدل كلما اراد ولكن الامر ليس كما يقولون من الله عز وجل احل لنبية ان ينكح من النساء ما اراد الا ما حرم فى هذه الآية فى سورة النساء، وفى بعض الاخبار: احاديث آل محمد (ص) خلاف احاديث الناس [وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَاقِبًا] حتى على عدد الازواج بالنسبة اليك والى امتهك، والحصر فى العدد والاقتصار على اشخاص معينة من دون الزيادة عليهن ومن دون استبدالهن [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا] نادى للامة كيف ينبغي ان يعاملوا الرسول (ص) الذى هو اب لهم؟ وكيف يكون معاملتهم مع ازواجه؟ [لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ] لعلمهم كانوا يدخلون بيوت النبى (ص) وبيوت بعضهم من غير اذن واستئناس فتزلت هذه الآية وآية الامر بالاستئناس [إِلَى طَعَامٍ] تعدية الاذن الى لتضمين معنى الدعوة [غَيْرِ نَاطِرِينَ] اى ادراكه ونضجه يعنى لا تدخلوا بعد الدعوة قبل نضج الطعام وادراكه للاكل، فان ذلك يضيق المنزل عليه وعلى اهل بيته [وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا] لما ذكر من تضيق المنزل عليه وعلى اهل بيته [وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ] اى لحديث محمد (ص) اول حديث بعضكم بعضاً وهو عطف على غير ناظرين اناه، او حال عن عامل محذوف والتقدير ولا تملكونوا مستأنين لحديث [إِنْ دُلِّكُمُ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ] لما ذكر من تضيق المنزل ولانه ربما يريد الخلوة فى بيته او مع بعض نسائه [فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ] فى ان يأمركم بالخروج [وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ] فى امركم بعدم اللبث عنده [وَلِإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا] اى نساء النبى (ص) [فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ] عن القمى انه لما تزوج رسول الله (ص) بزینب بنت جحش وكان يحبها فاولم ودعا اصحابه وكان اصحابه اذا اكلوا يحبون ان يتحدثوا عند رسول الله (ص) وكان يحب ان يخلو مع زينب فانزل الله عز وجل: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ (الى قوله) من وراء حجاب وذلك انهم كانوا يدخلون بلا اذن، وعن الصادق (ع): كان جبرئيل اذا اتى النبى (ص) قعد بين يديه قعدة العبد وكان لا يدخل حتى يستأذنه وكانت النساء قبل ذلك يبرزن للرجال الاجانب من غير حجاب كما

كانت النساء يبرزن في الملل الباطلة للرجال من غير حجاب ولا شكك ان دواعي الرية تكون اكثر اذا كن بلا حجاب [ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ] من الرية [وَقُلُوبُهُنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ] عطف للتعليل للجمل السابقة وللتمهيد لما يأتي [وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا] لما سبق ان ازواجه امهاتهم [إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا إِنْ تُبَدُّوْا شَيْئًا] كإرادة نكاحهن بان تقولوا بالاستنكاح [أَوْ تَخْفَوْهُ] بان لا تظهروه بالاستنكاح [فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا] تهديد ووعد، عن الفسقى في نزول الآية: انه لما انزل الله النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم، غضب طلحة فقال يحرم محمد (ص) علينا نساءه ويتزوج هو بنسائنا، لئن امات الله محمداً (ص) لتركضن بين خلاخيل نساءه كما ركض بين خلاخيل نساينا، فأنزل الله تعالى: وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله (الآية) ولا اختصاص لهذا الحكم بالمدخول بهن فان المعقودة الغير المدخول بها في حكم ازواج الآباء، قيل: لما قبض رسول الله (ص) وولى الناس ابو بكر اتته العامرية والكندية اللتان لم يدخل بهما رسول الله (ص) والحقهما باهلها وقد خطبنا، فاجتمع ابو بكر وعمر وقال لهما اختارا ان شئتما الحجاب وان شئتما الباه فاخترتا الباه فتزوجتا فجنم احد الزوجين وجن الآخر. وقد روى ان هذا الحكم يجرى في الوصى ايضاً يعني لا يجوز لمن آمن به ان ينكح زوجته [الْأُجْنَحَ عَلَيْهِنَّ] استئناف جواب لسؤال مقدّر كأنه قيل: هل حكم الحجاب جارٍ في المحارم؟ او جواب لسؤال مذكور على ما روى انه لما نزلت آية الحجاب قال الاقارب: يا رسول الله (ص) أو نكلمهن نحن ايضاً من وراء حجاب؟ فقال: لا جناح عليهن [فِي أَبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ] اي النساء المؤمنات [وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ] قد مضى في سورة النور بيان نساءهن وبيان ما ملكت ايمانهن [وَأَتَّقِينَ اللَّهَ] صرف الخطاب عن المؤمنين اليهن تنشيطاً لهن للايتمار [إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا] حتى على نيتكن وابداء زينتكن [إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ] استئناف جواب لسؤال ناش من الاهتمام بشأن النبي (ص) وتفخيمه واسترضائه كأنه قيل: ما بال النبي (ص) وقد بالغ الله في تعظيمه وتحفظ نساءه؟! او ابتداء كلام منقطع عن سابقه وتمهيد لامر المؤمنين بالصلاة عليه [يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ].

اعلم، ان الاخبار في فضيلة الصلوة على محمد وآل محمد وانها افضل من جملة الاذكار من طريق الخاصة والعامّة اكثر من ان تحصى، ففي بعض الاخبار: من صلى عليه في دبر كل صلاة الصبح وصلوة المغرب قضى الله له مائة حاجة، سبعين في الدنيا وثلاثين في الآخرة، وفي بعضها: ان ملكاً قائم الى يوم القيامة ليس احد من المؤمنين يقول: صلى الله على محمد وآله وسلم الا وقال الملك: وعليك السلام، ثم يقول الملك: يا رسول الله (ص) ان فلاناً يقرئك السلام فيقول رسول الله (ص): وعليه السلام، وفي بعضها: كل دعاء محجوب عن السماء حتى يصلّي على محمد وآل محمد، وفي بعضها: اذا كان ليلة الجمعة نزل من السماء ملائكة بعدد الذر في ايديهم اقلام الذهب وقراطيس الفضة لا يكتبون الى ليلة السبت الا الصلوة على محمد وآل محمد، وفي بعضها: ثواب الصلوة عليه وآله الخروج من الذنوب كهنية يوم ولدته امه، وفي بعضها: لم يبق عليه من ذنوبه ذرة، وفي بعض: من صلى على محمد وآل محمد عشر اصبغ الله عليه وملائكته الفأ، وفي بعضها: من صلى على النبي صلاة واحدة صلى الله عليه الف صلاة في الف صف من الملائكة، ولم يبق شيء مما خلق الله الا صلى على العبد لصلوة الله وصلوة ملائكته، فمن لم يرغب في هذا فهو جاهل مغرور قد برأ الله منه ورسوله (ص) واهل بيته (ع)؛ وفي بعضها: ما في الميزان شيء اثقل من الصلوة على محمد وآل

محمد، وفي بعضها: من صلى على ولم يصل على آلي لم يجد ربح الجنة وان ربحها ليجد من مسيرة خمس مائة عام، وفي بعضها: اذا صليت العصر يوم الجمعة فقل: اللهم صل على محمد وآل محمد الاوصياء المرضيين بافضل صلواتك، وبارك عليهم بافضل بركاتك، والسلام عليهم وعلى ارواحهم واجسادهم ورحمة الله وبركاته، فان من قالها بعد العصر كتب الله عز وجل له مائة الف حسنة ومحا عنه مائة الف سيئة، وقضى له بها مائة الف حاجة، ورفع له بها مائة الف درجة، وفي بعضها: صلت الملائكة على وعلى (ع) سبع سنين وذلك انه لم يصل معي احد غيره، وفي بعضها: صل على النبي (ص) كلما ذكرته، او ذكره ذاكر عندك في اذان وغيره، وقد افتى كثير بوجوب الصلوة عليه اذا ذكرته او ذكره ذاكر عندك،

فضيلة الصلوة

على النبي (ص)

واسرارها

وقد اختلف الاخبار في بيان اللفظ الذي يصلّى به عليه، ويستفاد من جملتها واختلافها ان المقصود هو التوجه والاقبال عليه على سبيل التعظيم ولا اعتبار لخصوصية لفظ مخصوص في ذلك ولذلك اختلف الاخبار في تعيين اللفظ، والتسري في فضل الصلوة والاهتمام بها والتأكيد فيها عند ذكر محمد (ص) وتفضيلها على سائر الاذكار كما اشير اليه في الاخبار ان اللطيفة السيارة الانسانية التي هي الامانة العظمى التي اخرجها الله من خزائنه الخاصة به وامرها على سموات الارواح والعقول والنفوس وعلى اراضي الاشباح النورية والاشباح الطبيعية التي يعبر عنها بالسموات الطبيعية والاراضي الطبيعية وجبال المواليد، فابين ان يحملنها لما رآين انها من مقام الاطلاق وليس لائقاً لحملها الا ما فيه استعداد الخروج من مقام التقيد والحد والوصول الى مقام الاطلاق والوجوب، ورأين ان كلاً منهن له مقام معلوم وحد مخصوص ليس له استعداد الخروج من ذلك المقام وهذا الحد، بخلاف هيكल الانسان ومادة صاحب النطق والبيان فانه كان فيه استعداد الخروج من الحد والوصول الى الاطلاق فحملها الانسان انه كان ظلوماً على جميع حدوده وتعبثاته جهولاً لجميع الكثرات وحقوقها عند ظهور سلطان الله ووصول الامانة الى الخزائنه وبعد الحمل رأى ان لها سراً فاق من عالم الجنة والشیاطين يترصدون الفرصة لسرقتها وقطع طريقها، وانه لا يمكنه حفظها بدون معاون من سنخ الجنة والشیاطين، فسأل الله بلسان حاله حفاظاً ومعاونين فاجابه الله تعالى ووكل عليه من عالم الملائكة ما يكفيه في حفظها، ورأى ان لها سراً فاق من الشیاطين الانسية فسأل معاونين من اسنانهم فاجابه الله تعالى وارسل الانبياء والرسل وخلفاءهم (ع) ليكونوا معاونين له في حفظها وايصالها الى الخزائنه، وامرهم باعانة العباد وامر العباد باتباعهم، ولما كانت الاعانة والاتباع في ذلك لم يكن ممكناً الا بالاتصال الروحاني بخلفاء الله (ع) ودخول الحافظ الذي هو صورة نازلة منهم في قلوب العباد وهو المعبر عنه بالايمان الداخر في القلب وذلك الاتصال وهذا الدخول اي دخول الحافظ في قلوب العباد لا يمكن الا بالاتصال الصوري والتوجه التام من الخلفاء والاستغفار للعباد والتوبة والانقياد التام من طرف العباد وهذه هي البيعة التي كانت معموله من لدن آدم (ع) الى زمان الخاتم (ص) وكانت مقررة عندهم بشرائطها، ومالم يكن العباد يبايعون احدي البيعتين لم يكونوا داخلين في الدين ولم يسموا مسلمين ولا مؤمنين، واذا كان واحد منهم يبايع احدي البيعتين لم يكن له عمل اعظم من التوجه الى من يبايع معه والنظر اليه والجلوس معه والخدمة والتعظيم له والتأمل في شأنه وجذبه بحسب روحانيته الى نفسه وانجذاب نفسه بكثرة تذكرة شأنه اليه.

ولما كان محمد (ص) اصل جميع الخلفاء وكل الخلفاء كانوا اظلاله وشؤنه كان كلما يحصل من جميع الخلفاء (ع) يحصل منه (ص)، وكلما يلزم لجميع الخلفاء من النظر والخدمة والتعظيم والتدكير والتأمل في شأنهم يلزم له وحده، وكان كل من يبايع واحداً من الخلفاء كان كمن يبايع محمداً (ص) فكان كل من دخل في الاسلام او الايمان لم يكن له عمل اعظم قدراً وافخم اجراً من التوجه الى محمد (ص) والتدكير له والدعاء له وطلب الرحمة عليه والانجذاب

اليه بحيث يظهر هو واحد من خلفائه بحسب ملكوته على صدره ولذلك ورد عن ابي عبد الله (ع) انه قال: جاء رجل الى رسول الله (ص) فقال: اجعل نصف صلواتي لك؟ قال: نعم، ثم قال: اجعل صلواتي كلها لك؟ قال: نعم، فلما مضى قال رسول الله (ص): كفى هم الدنيا والآخرة، وفي خبر عنه (ع): ان رجلاً اتى رسول الله (ص) فقال: يا رسول الله (ص) انني جعلت ثلث صلواتي لك، فقال له: خيراً، فقال: يا رسول الله (ص) انني جعلت نصف صلواتي لك، فقال له: ذلك افضل، فقال: انني اجعل كل صلواتي لك؟ فقال: اذن يكفيك الله عز وجل ما اهتمك من امر دنياك وآخرتك، فقال له رجل: اصلحك الله كيف يجعل صلواته له؟ فقال ابو عبد الله (ع) لا يسأل الله عز وجل الا بدأ بالصلوة على محمد وآله، وامثال هذه الاخبار كالقرآن ذات وجوه وهي مرادة بكل وجوها بحسب مراتب الناس فان الصلوة تكون بمعنى الدعاء، والغائب عن الحضور لا يكون صلوته لمحمد (ص) الا دعاءه له، ويكون بمعنى الصلوة المشروعة المشتملة على الافعال والاذكار المخصوصة، والحاضر عند محمد (ص) يجوز ان يكون معنى صلوته له دعاءه له وان يكون معنى صلوته له ان يكون في صلوته المشروعة غير ناظر الى غيره، ويكون المخاطب في الصلوة بل المتكلم بل الفاعل محمداً (ص) كما هو شأن من حصل له حالة الحضور عند شيخه، ومن حصل له هذه الحالة كفى جميع مهماته، بل حصل له جميع خيرات الدنيا والآخرة، بل يكون له الغناء عن الدنيا والآخرة، ولذلك كان المشايخ رضوان الله عليهم مهتمين بتحصيل هذه الحالة للتسالكين ولم يكن للتسالكين منظور الا حصول هذه الحال، وكان مشايخ العجم يأمرؤن التسلاك بجعل صورة الشيخ نصب عيونهم تعميلاً حتى يحصل بتلك التعميل هذه الحال، وبعد ما يقال لهم: ان هذا كفر وتقيّد بالصورة واشتغال عن المعبود والمسمى بالاسم، يجيبون بان هذا كفر وتشبّه بعبادة الاصنام لكنه كفر فوق الكفر والايان؛ واليه اشار المولوى قدس سره:

آينه دل چون شود صفائی و پاک
هم بینی نقش و هم نقاش را
چون خلیل آمد خیال یار من
شکر یزدان را که چون او شد پدید
نقشها بینی بیرون از آب و خاک
غوش دولت را و هم فراش را
صورتش بت معنی او بت شکن
در خیالش جان خیال او ندید

وهذا الشعر اشارة الى ان الحضور لدى الشيخ وان كان ظاهره قيدا وكفراً لكنه بحسب المعنى والواقع اطلاق عن القيد لانه تقيّد به.

ومعنى الصلوة من الله الرحمة عليه ومن الملائكة تركيته كما في الخبر، او طلب نزول الرحمة من الله عليه، ومن العباد طلب الرحمة من الله تعالى عليه، ولما كان المؤمن فعليته الاخيرة هي الصورة النازلة من ولي امره وهي صورة نازلة من محمد (ص) كان طلبه الرحمة من الله على محمد (ص) طلباً للرحمة على فعليته الاخيرة فكان صلوته على محمد (ص) دعاءاً لنفسه ولذلك ورد في خبر عن الرضا (ع): وانما صلواتنا رحمة عليه ولنا قرينة، ولما كان محمد (ص) مظهراً تاماً لله كان من توجه اليه وطلب الرحمة من الله عليه توجه الله اليه بمضمون: من تقرب الى شبرا تقربت اليه باعاً، اكثر من توجهه الى الله بعشر او بمائة او بالف او باكثر بحسب استعداد المصلي، وتوجه الله اليه ليس الا صلوته ونزول رحمته على العبد، ولما كان الله حقيقة كل ذي حقيقة كان اذا توجه الى شيء توجه كل الاشياء اليه، فاذا صلى الله على عبد لم يبق شيء الا وصلّى عليه خصوصاً الملائكة المقربون لقرّبهم من الله تعالى ولذلك اقتصر في بعض الاخبار على ذكر الملائكة، وفي بعضها اشير الى انه لا يبقى شيء الا وصلّى عليه [وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا] يستفاد من بعض الاخبار ان المراد بقوله سلّموا تسليماً التحيّة الاسلاميّة، ومن بعضها ان المراد التسليم والانقياد له فيما جاء به من عند الله، ومن بعضها ان المراد الانقياد له فيما جاء به من خلافة علي (ع)، ومن بعضها ان المراد الانقياد لوصيه (ع) [إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ

وَرَسُولُهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ [الجملة جواب لسؤال مقدّر وتعليل لقوله : ما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ، وانما قال يؤذون الله مع ان المقصود ايداء الرسول (ص) اشارة الى ان ايداء رسول الله (ص) ايداء الله تعالى [وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا] تعريض بمن آذى علياً (ع) وفاطمة (ع) فانه صلى الله قال : فاطمة بضعة مني فمن آذاها فقد آذاني ، وقال : من آذاها في حيوتي كمن آذاها بعد موتي ، ومن آذاها بعد موتي كمن آذاها في حيوتي ، ومن آذاها فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله ، وهو قول الله عز وجل : **أَنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ** (ع) انه قال وهو آخذ بشعره فقال : حدثني رسول الله (ص) وهو آخذ بشعره ، فقال : من آذى شعرة منك فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله ، ومن آذى الله فعليه لعنة الله **[وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيًا]** بغير معصية منهم استحقوا بها الايداء **[فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا]** كذباً يعني ان آذاهم بنسبة شيء اليهم لم يفعلوه ولم يكن فيهم ، او المقصود ان ايداء المؤمن ليس الا امرأ باطلاً وكل باطل كذب وبهتان **[وَأُثِمَّ مُبِينًا]** نزول هذه الآية في ايداء علي (ع) وفاطمة (ع) لا ينافي في عمومها لجميع المؤمنين والمؤمنات ، قال في تفسير البيضاوي في هذه الآية : روى انها نزلت في منافقين يؤذون علياً (ع) ، والتسري ذلك ان المؤمن من حيث ايمانه ليس الا ولي امره ، وايدأؤه من حيث ايمانه ليس الا ايداء ولي امره ، وايداء ولي امره قرين لايداء محمد (ص) وعلي (ع) وهو ايداء الله **[يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ]** ادب آخر لنساء النبي (ص) وسائر الامة **[قُلْ لَا زَوْجَ لَكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ]** كن لا يغطين وجوههن وسائر مواضع زينتهن بجلابيهن فأمرهن الله تعالى بستر الوجوه والصذور بالجلابيب حتى يتميزن عن سائر النساء بذلك ، والجلابيب للنساء ثوبٌ واسعٌ يلبسنه فوق الثياب دون الملحفة او هو الملحفة **[ذَلِكَ أَذْنَى أَنْ يُعْرِفْنَ]** يتميزن من الاماء والقيان وسائر النساء **[فَلَا يُؤْذِينَ]** قيل : كان سبب نزولها ان النساء كن يخرجن الى المسجد ويصلين خلف رسول الله (ص) فاذا كان بالليل وخرجن الى صلاة المغرب والعشاء الآخرة والغداة يقعدن الشباب لهن في طريقهن فيؤذونهن ويتعرضون لهن **[وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا]** فيغفر تقصيرهن فيما سلف وبرحمهن بتعليم آداب المعاشرة لهن **[لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ]** لما اراد تهديد اهل الريبة الذين كانوا يتعرضون للنساء في الطرق ضم معهم المنافقين والمرجفين **[وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ]** الذين يرجفون اي يخوضون في اخبار الفتن ويشيرون الفتن بين الناس **[النُّغْرَيْنِكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا]** زماناً وجواراً قليلاً ، او هو مستثنى من الفاعل **[ملعونين]** حال من فاعل لا يجاورونك **[أَيْنَمَا تُقِفُوا]** حال آخر منه او من مرفوع ملعونين **[أُخِذُوا وَقُتِلُوا تَقْتِيلًا]** يعني ان لم ينتهوا يخرجوا من المدينة بأسوء حال جامعين بين اللعن والطرد من الرحمة في الدنيا والآخرة وبين التضيق بالقتل والاخذ وبين لعن الناس لهن وبين التضيق عليهم بالقتل اينما نفقوا **[سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ]** من الانبياء (ع) ومرجفي اممهم **[وَلَكِنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ]** قد مر مراراً ان الساعة فسرت بساعة الموت وهي القيامة الصغرى وبساعة ظهور القائم (ع) وهي ايضاً قيامة اخرى اختيارية او اضطرارية وبالقيامة الكبرى وفيهما ايضاً يكون ظهور القائم (ع) ، ولما كان كل ذلك في طول الزمان لا في عرضه ولا يمكن للمحجوبين بحجب الزمان والمكان ادراكها ، ولا يعلمها الا من خرج من حدود الزمان والمكان ولحق بالمالأ الأعلى وعلم بعلم الله الذي هو عند الله لا عند

الخلق امره الله ان يجيبهم بالاجمال ، فقال [قُلْ إِنَّمَا عَلَّمْتُهَا عِنْدَ اللَّهِ] وانتم تكونون عند الناس ولا يعلم العلم الذي يكون عند الله الا من كان عند الله وعلم بعلم الله [وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا] يعني ان الساعة وان كانت في طول الزمان والمتقيدون بالزمان متباعدون منها غاية البعد لكنها قريبة منهم غاية القرب لانها بمنزلة الروح للزمان والزمانيات وروح الشيء اقرب من كل شيء اليه [إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ] كان المناسب ههنا ان يكون المراد بالكافرين الكافرين بالساعة [وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا يَوْمَ تُقَلَّبُ] متعلق بقوله لا يجدون او يقولون [وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ] في حق علي (ع) [وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا] وقرئ ساداتنا على جمع الجمع [وَكُفِّرْنَا فَاذْلُونا السَّبِيلَ] قرئ الرسول والسبيل بالالف للوقف على الفتح بالالف واجراء الوصل على حال الوقف [رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ] لضلالهم واضلالهم ايانا [وَالْعَنَهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا] وقرئ كثيراً بالثناء المثلثة، القمي كتابة عن الذين غصبوا آل محمد (ص) حقهم باليتنا اطعنا الله واطعنا الرسول يعني في امير المؤمنين (ع) والسادة والكبراء هما اول من بدأ بظلمهم وغصبهم فاذلونا السبيل اي طريق الجنة والسبيل امير المؤمنين (ع) [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى قَبْرًا] الله مما قالوا في حقه وآذوه، وكان مناسب المقام من حمل الآيات في ايداء الرسول وايداء المؤمنين على ايدائه في علي (ع) وايداء علي (ع) وفاطمة (ع) ان يكون المعنى لا تكونوا في ايداء الرسول وفي ايداء علي (ع) كالذين آذوا موسى [وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا] وذلك ان موسى كان حبيباً لا يغتسل الا في موضع لا يراه احد فقال بعض انه عني وقال بعض: انه ليس له الملالج، وقال بعض: ان به عيباً اما برص او اذرة^(١) فذهب مرة يغتسل ووضع ثوبه على حجر فمر الحجر بثوبه فطلبه موسى (ع) فراه بنو اسرائيل عرباناً كأحسن الرجال فبرأه الله مما قالوا [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا] لمتانهي المؤمنين عن ايداء الرسول (ص) بنسبة ما لا يليق به اليه من انه يريد ان يجعل ابن عمه اميراً علينا ، وليس ما يقوله في حق علي (ع) من الله تعالى او امثال ذلك اراد ان يأمرهم بان يقولوا قولاً صدقاً لا شوب بطلان فيه ولا يتولد منه شين علي القاتل او المقول فيه او احد من المؤمنين ولا يكون فيه اذى احد من المؤمنين [يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ] التي تعملونها ان كان فيها خلل وفساد يعني ان اللسان رئيس سائر الاعضاء فان صلح وصلح ما يجري عليه يصلح الله جميع اعمال الاعضاء [وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ] عن الصادق (ع) انه قال لعباد بن كثير الصوفي البصري : ويحكك ، يا عباد غرك ان عف بطنك وفرجك ؟ ! ان الله عز وجل يقول في كتابه : يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم اعمالكم ، اعلم ، انه لا يقبل الله منك شيئاً حتى تقول قولاً عدلاً ، وهذا الخبر يدل على ان اهل العلم والعرفان اذا لم يكونوا مجازين في القول لا ينبغي ان يقولوا حقاً فان اصل سداد القول بان يكون باذن من الله ، ولا سيما اذا كان فيما يتعلق بدين الله ، واذا اجيزوا لا ينبغي ان يقولوا الا ما علموه وعرفوه انه حق ، فالويل كل الويل لمن تشبه باهل الحق من الصوفية والعلماء ! فيجري على لسانه كل ما خطر على قلبه من غير اذن واجازة من الله في القول [وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا] يعني من يطع الله ورسوله في ولاية علي (ع) كما في الاخبار [إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا] المراد بالامانة كما اشير اليه في سورتي النساء والمؤمنون وغيرها وفي هذه السورة قبيل هذا اللطيفة السيارة الانسانية التي

لم يكن في خزنة الحق تعالى شأنه جوهر أبهى وامثل منها، فأخرجها من خزنته الغيبية وعرضها على سماءات العقول والنفوس وسماءات الافلاك الطبيعية بان امرها عليها ثم عرضها على اراضى العناصر ثم على جبال الموالب فأبى الكل من حملها لما لم يكن لها بأهل، لان هذه الجوهرية بذاتها كانت تقتضى محلاً مأمناً عليه حفاظ كثيرة لكثرة سرها وحسادها ومستعداً للخروج من التقيّد والحدود والوصول الى عالم الاطلاق، وكل تلك المذكورات اما لم يكن مستعداً للخروج من الحدود او لم يكن مستعداً اولاً مأمناً ولا عليه حفاظ، فأشفق كل منها عليها ومن فنائها وهلاكها وتضرع على الله ان يعفيه منها، ثم عرضها على المولود الاخير وغاية الكل ونهاية الجميع فوجده اهلاً لحمله، ونظ الانسان الى استعداد وقوة الخروج عن الحدود فاشتاق اليها وتقبلها وسأل الحفاظ والمعاونين من سنخ الجنة والشياطين وسأل الحفاظ من سنخ الاناسى فأعطاه الله ذلك، وبهذا البيان للامانة يجتمع المختلفات من الاخبار ويتوافق المتخالفات منها؛ فقد فسرت فيها بمطلق التكليف، وبالصلوة، وبالامانة والامارة، وبالخلافة، وبمنزلة محمد (ص) وآل محمد، وبتمنى منزلتهم، وبمطلق الامانة، وبولاية علي بن ابي طالب (ع)، وبشهادة حسين بن علي (ع)، وبالخلافة المخصوصة، وباختلاف التفسير في الامانة يختلف تفسير الانسان بعلي (ع) وحسين (ع) وآدم (ع) وغاصبي الخلافة ومطلق الانسان وهكذا الظلوم والجهول، فمن اراد الاطلاع على اختلاف الاخبار فليرجع الى كتب التفسير والخبر [لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ] تعليل لعرض الامانة ولحملها الانسان كما ان قوله: انا عرضنا الامانة كان تعليلاً لقوله اتقوا الله وقولوا قولا سديداً اول قوله يصلح لكم ويفر ذنوبكم كأنه قال: اتقوا سخط الله وعذابه لانا لم نعرض الامانة على السماوات والارض الا لتمييز المنافق والمشرک عن المؤمن والا لعذاب المنافق وثواب المؤمن او يصلح لكم اعمالكم ويفر لكم ذنوبكم لاننا لم نعرض الامانة الا لذلك، وتقديم عذاب المنافق ونسبة العذاب الى الله لكون السورة نازلة في تفضيح المنافقين ولذلك كان اول السورة نهياً لمحمد (ص) عن طاعة المنافقين، ونقل عنهم ان سورة الاحزاب فضحت نساء قريش من العرب وكانت اطول من سورة البقرة ولكن نقصوها وحرّفوها فادى تعالى شأنه عذاب المنافقين كأنه هو الغاية، ونسب العذاب الى نفسه لذلك، ولان يختم السورة بثواب المؤمنين ورحمتهم [وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا] فالغاية بالذات ليست الا مغفرة الله ورحمته للمؤمنين فهو استدراك لما يتوهم من كون الغاية بالذات هو عذاب المنافقين او عذابهم ورحمة المؤمنين.

سُورَةُ سَبَأٍ

مَكِّيَّةٌ كُلُّهَا ؛ خَمْسٌ وَخَمْسُونَ آيَةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[أَلْحَمْدُ لِلَّهِ] قد مضى تفسيره في اول الحمد [الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ] اى سماءات الارواح

وسماوات الافلاك [وَمَا فِي الْأَرْضِ] اى ارض عالمى المثال وعالم الطبع فان الكل بالنسبة الى الارواح اراض وارض العنصر وقد تكرر ان اللام فى مثل هذا تستعمل فى المبدئية والمرجعية والمالكية وتكرر ايضا انه اذا قيل: لزيد ما فى الصندوق، يدل على ان الصندوق وما فيه له خصوصاً اذا كان ما فى الصندوق نفساً [وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ] اى يخصه الحمد فى الدار الآخرة او يخصه فى آخرة مراتب الحمد فانه بترأى ان يكون غيره محموداً ايضاً مادام الانسان فى الدنيا او فى مراتب الحمد وبعد النظر الدقيق وفى دار الآخرة التى يترأى كل شيء كما هو يعلم ان الحمد خاص به [وَهُوَ الْحَكِيمُ] فى فعاله او فى فعاله وعلومه [الْحَكِيمُ] بكل شيء مع اتقان العمل والدقة فى العلم [يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ] اى ما يدخل فى ارض عالم المثال العلوى من اشعة العقول والنفوس، ومن صور علوم العقول والنفوس، ومن الافاضات الثلاثى تفيض عليها من العالم العلوى التى بها بقاؤها ورزقها، والتى تفيض عنها الى مادونها من عالم الطبع وعالم الجنة ويعلم ما يلج فى الارض التى هى جملة عالم الطبع من اشعة العقول والنفوس وعالم المثال، ومما يفيض عليها مما به بقاؤها ورزقها، ومن الصور التى تفيض على اجرامها، ومن الوجود الذى يتجدد على جملة اجزائها آناً فآناً ويعلم ما يلج فى الارض العنصرية من اشعة العقول والنفوس وعالم المثال واشعة كواكب الافلاك وصور المواليد والقوى والاستعدادات التى تدخل فيها بعد امتزاجها بسائر العناصر وتولد المواليد منها وهكذا الاستعدادات التى تدخل فى جملة المواليد ويعلم المياه التى تدخل فيها من البحار والانهار والامطار وما يستحيل من الهواء اليها ومن الاجزاء الرشيّة الهوائية التى تدخل فى تجاوبها، ومن الحبوب والعروق التى تدخل فيها، ويعلم ما يلج فى الارض التى هى عالم الجنة من القوى والاستعدادات، ومن الاناسى الذين يدخلون فى عالمهم من الاشقياء الذين يصيرون من سنخهم، ومما يفيض عليها من العلويتين ومن القوى والاستعدادات التى تتولد فيها من تأثير العلويتين، ويعلم ما يلج فى عالم البرزخ المسمى بهور قولياً فى لسان الاقدمين فانه مدينة لها الف الف باب، وفى النزول يدخل فيها كل يوم من ابوابها المشرقية ما لا يحصى عددهم من الملائكة النازلة، ويدخل فيها من تلك الابواب ما لا يحصى مما يفيض على مادونها من عالم الطبع وعالم الجنة، وفى الصعود يدخل فيها كل يوم بل كل آن ما لا يحصى عددهم من الملائكة الصاعدين والنفوس البشرية المنخلعة عن الابدان الصاعدة الى المثال العلوى وعالم الارواح، والنازلة الى عالم الجنة والجحيم [وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا] يمكن ان يعلم ذلك بالمقايسة [وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَخْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ] الذى يرحم عباده وخلقه بان لا يقطع مدد حيوتهم ورزقهم منهم مع ما يرى منهم من قبائح اعمالهم ومع ما يعرج منهم الى السماوات من الاعمال السيئة التى ينهى ان يعذبوا عليها [الْغُفُورُ] الذى يستر قبائح اعمالهم عن الاناسى والملائكة بل عن انفسهم [وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ] اى القيامة او ظهور القائم او الرجعة انكروها واستبطأوا استهزاء [قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ] قد مضى فى سورة يونس (ع) تفسير الآية وقدم الارض هناك واخبرها ههنا، ووجه تقديم السماوات ظاهر، ووجه تقديم الارض مضى هناك [لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ] لا تعب فيه ولا تبعه له، تقديم جزاء المؤمنين ونسبة الفعل الى الله اشعاراً بان الغاية جزاء المؤمنين وانه غاية بالذات منسوبة الى الله بالذات ولذلك غير الاسلوب ولم يقل وليجزى الذين سعوا فى آيات الله وقال [وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا] الآفاقية من الانبياء والاولياء عليهم السلام بالاستهزاء بهم وتوهمتهم وايدائهم وضررهم وقتلهم واخفاء احوالهم واخلاقهم وسنتهم عن الناس

وتلبس احكامهم وآياتنا الآفاقية الاخر باخفائها عن الناس وعن انفسهم وآياتنا التدوينية باخفائها وتحريفها وتأويلها الى ما يوافق باطلهم [مُعَاجِزِينَ] الناس عن اعلان حقيقتهم واظهار آية حقيقتهم او معاجزين المدعين لدلالة الآيات على الحق عن ادعائهم او معاجزين الله وخلفاءه، وقرئ معجزين بمعنى مثبطين عن الايمان وعن النظر الى دلالة الآية على الحق [أَوَّلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ] تنوين عذاب للتفخيم والتشهير، والرجز مطلق العذاب وحينئذ يكون من التشعيب، او بانية ويكون تنكيره للتفخيم، او المراد منه عبادة الاوثان ويكون من التشعيل او للابتداء، او المراد منه الشرك ويكون التنكير للتفخيم والتنويع ولفتة من كسابقتها، والمراد بالشرك العظيم هو الشرك بالولاية، او المراد منه القدر ويكون لفظة من كسابقتها واليم قرئ بالرفع صفة لعذاب وبالجر صفة لرجز [وَيَرَى الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ] يرى بمعنى يعتقد او يعلم والمراد بالعلم الذي اوتوه هو النور الذي يقذفه الله في قلب من يشاء ولذلك قال تعالى: اوتوا العلم ولم يقل كسبوا العلم واولى درجات هذا العلم هو النور الذي يجعل الانسان متحيراً في امره لا يدري ما يقول ولا ما يفعل فيسكت عن الكلام ويتحير في طلب اصله كيف يطلب، ولذلك قال (ص) حين مثل عن العلم: انه الانصات [الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ] قرئ الحق منصوباً وعليه فالذي انزل اليك مفعول اول ليرى وهو ضمير الفصل والحق مفعوله الثاني وقرئ الحق مرفوعاً وعليه يجوز ان يكون الذي انزل اليك صفة للعلم ومفعول يرى محذوفاً وجملة هو الحق مستأنفة، ويجوز ان يكون الموصول مفعولاً ليرى ويكون يرى متعدياً لواحد، او المفعول الثاني محذوفاً وهو الحق جملة مستأنفة، ويجوز ان يكون الموصول مفعولاً اولاً وجملة هو الحق مفعولاً ثانياً والمراد بالذي انزل اليه (ص) جملة ما انزل اليه او المعهود مما انزل اليه في ولاية علي (ع) والمراد بالذين اوتوا العلم على (ع) او جملة المؤمنين [وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ] عطف على جملة هو الحق او عطف على جملة يرى الذين اوتوا العلم ويكون حينئذ ضمير الفاعل راجعاً الى البعض المستفاد من الذين اوتوا العلم يعني يهدي كل بعض منهم بوجوده وفعله وقوله وخلقه وحاله كعلي (ع) وبعض المؤمنين او بعضها كبعض آخر منهم [وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا] هذه الجملة مقابلة لقوله تعالى ويرى الذين اوتوا العلم وهما معطوفتان وفيهما معنى التشعيل وكان المناسب للمقابلة ان يقول ويقول الذين كفروا لكنه للاشعار بثبات اقوال المؤمنين وفعالهم واستمرارها اتي هناك بالمضارع وللدلالة على عدم ثبات اقوال الكافرين وفعالهم فانها كشجرة خيشة اجتنبت من فوق الارض اتي بالماضي وهنا [هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنْبِئُكُمْ] بامر عجيب كانوا يعنون النبي (ص) ويستنهضون به [إِذَا مَرَّ قُتْمٌ كُلُّ مُمَرِّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ] بالبعث بعد الموت [أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا] في نسبة ذلك الى الله اوفى ادعاء الرسالة من الله [أَمْ بِهِ جِنَّةٌ] اى جنون لا يقول ما يقول عن قصده وشعوره [بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ] وضع الظاهر موضع المضمرة اشعاراً بعلّة الحكم [فِي الْعَذَابِ] الذي جعلهم كالمجنون في عدم الاعتناء بقولهم [وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ] نسبة البعد الى الضلال مجاز عقلي يعني انهم مفترون وانهم كالمجنون لا الرسول [أَفَلَمْ يَرَوْا] اى لم ينظروا او عموا فلم يروا؟ [إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ] سماء الارواح وارض الاشباح فان الانسان من اول الخلق متوجه الى عالم الآخرة وعالم الارواح ومدبر عن عالم الاشباح، وايضاً ارض الطبع تحت قدميه فهي كشيء خلفه وسماء الطبع فوق رأسه فهي ما بين يديه اشارة لفظية من تبعية والمعنى لم ينظروا الى ما بين ايديهم؟ حال كونه بعضاً من السماء وبعضاً من الارض، او ابتنائية والمعنى لم يروا الى ما بين ايديهم من الحوادث الماضية؟

حال كونه ناشئاً من حركات السماء وتأثيرات الأرض أو من الحوادث الآتية؟ على اختلاف تفسير ما بين أيديهم وما خلفهم
والإنسان أن ينظر إلى سماء الطبع وما فيها من الكواكب وما منها من الآثار الحادثة في الأرض ونظر إلى أرض الطبع وما
يحدث فيها بواسطة أشعة الكواكب ودوران الأفلاك إيقن أن له مبدءاً حكيماً ومرجعاً باقياً، وكذلك أن ينظر إلى نفسه
وبدنه واتصالهما وتعانقهما وتعاشقهما، ونظر إلى انحلال البدن واستكمال النفس بكاملاتها الثلاثة بها إيقن ببقاء
البدن وبقاء النفس وإن لهما محدثاً مدبراً حكيماً عليماً قادراً مختاراً [إِنْ نَشَأْ نُخَسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ] الجملة
بدل عن قوله إلى ما بين أيديهم نحو بدل الاشتمال فيكون العامل معلقاً عنه والمعنى الميرور إلى السماء والأرض وإلى
أنا أن نشأ نخسف بهم الأرض [أَوْ نُسْقِطُ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ] أو الجملة مستأنفة معترضة [إِنْ فِي ذَلِكَ]
النظر والفكر أو في ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض أو في قدرتنا على خسف الأرض واسقاط الكسف من
السماء [لَا يَأْتِيهِمْ عَلَى الْمُبْدِءِ وَالْمَعَادِ] [لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ] إلى باطنه مشغول بنفسه عن غير نفسه أو منيب إلى ربه
بالرجوع إلى ولي أمره أو إلى ولي أمره بالتوبة على يده والبيعة معه [وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا] جملة حالية أو
معطوفة على مقدّر والمعنى، لم لا ينظرون إلى ما بين أيديهم؟ أو إلى ما خلفهم من الحوادث الماضية؟ حتى ايقنوا بالمبدء
العليم الحكيم، والحال أنا آتينا داود منّا فضلاً بدل على ذلك والتقدير لقد احدثنا في ماضى آيات عجيبة دالة
على كمال قدرتنا وخبرتنا ولقد آتينا داود منّا فضلاً [يَا جِبَالُ] حال أو مستأنف أو بدل تفصيلي من آتينا والكل
بتقدير القول أي قلنا يا جبال [أَوْبَى] رجعى نداءه بالتسبيح بصداكك [مَعَهُ وَالطَّيْرُ] قرئ بالرفع عطفاً على الجبال
أو على المستتر في أوبى واكتفى عن التأكيد بالمنفصل بفاصل ما، وقرئ بالنصب عطفاً على محل جبال أو على الضمير
المجرور على ضعف في العطف على الضمير المجرور بدون إعادة الجار، أو مفعولاً معه، وقد مضى الآية مع بيانها في
سورة الأنبياء [وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ] مثل الشمعة يطبعه في أي شكل أراد [أَنْ أَعْمَلَ] أن تفسيرية أو مصدرية
[سَابِغَاتٍ] دروعاً واسعات واكتفى بالسباغات لشهرة صنع الدروع من الحديد من داود (ع) [وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ]
في حلقها ونسجها ومساميرها بحيث يمكن لبسها وتمنع السيف والتسهم والسنان من النفوذ فيها، ولا يكون ثقبلاً
يعجز التلبس عن حملها، ولا خفيفاً لا يمنع المذكورات من النفوذ [وَأَعْمَلُوا صَالِحًا] ضم أهله أو عشيرته أو أمته
معه في الخطاب، وتنكير صالحاً أما للتشجيع والاكتفاء منهم بصالح ما أو للتفخيم والاشعار بالصالح الحقيقي الذي
هو الولاية [إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ] [وَلِسُلَيْمَانَ] أي أنا سليمان (ع) [الرَّيْحُ] بمعنى سخرناها له [غُدُوها]
أي سيرها في طرف الصبح [شَهْرُورَ أَحْهَا] أي سيرها في طرف العصر [شَهْرُ] قيل كانت الريح تحمل كرميه أو
بساطه فتسير به بالغداة مسيرة شهر وبالعشي مسيرة شهر [وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ] أي الصقر، قيل: أسال له النحاس
من معدنه ينسج منه نبوع الماء من البنيوع ولذلك سماء عيناً وكان ذلك باليمن [وَمِنَ الْجَنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ]
أي بين يدي سليمان (ع) [بِإِذْنِ رَبِّهِ] الضمير للموصول أو سليمان [وَمَنْ يَرِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِ نَأْذِقْهُ مِنْ عَذَابِ
السَّعِيرِ] في الدنيا أو في الآخرة [يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبَ] أي قصور ربيعة سميت بها لمنعها من
الاستيلاء عليها والقدرة على المحاربة فيها [وَتَمَاثِيلَ] أي صور، عن الصادق (ع): والله ما هي تماثيل الرجال والنساء
ولكنها الشجر وشبهه [وَجِفَّانٍ] جمع الجففة بمعنى القصعة [كَالْجَوَابِ] جمع الجابية الحوض الضخم [وَقُدُورٍ]

رَأْسِيَّاتٍ] ثابتات على الأثافي لا تنزل عن مكانها لعظمها [اعْمَلُوا] أي قائلين اعملوا [أَلْ دَاوُدُ شُكْرًا وَقَلِيلٌ
 مِنْ عِبَادِي الشُّكُّورُ] الكثير الشكر الذي لا يغفل عن النعمة والآنعام وتعظيم المنعم وصرها في وجهها ومع ذلك
 لا يمكن لأحد أداء الشكر حقّه، لأنّ الشكر نعمة اعظم من كلّ نعمة يشكر عليها [فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ
 مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ] أي الأرضة وهي بتحريرك الرءاء دويبة معروفة تأكل الخشب وتجعله كالارض
 وفعلها يسمّى ارضاً بمعنى اكل الخشب وجعله كالارض لانها تجعل سطح الخشب من الطين الذي نجعله عليه كالارض
 وازافتها الى الارض اضافة الفاعل الى الفعل او اضافة الفاعل الى ما يجعل المنفعل مثله ، ومفعول دلّهم راجع الى الجن
 او الى الانس او الى المجموع [تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ] اسم آله من نسائه اذا طرده او دفعه او ساقه [فَلَمَّا خُرَّ تَبَيَّنَتْ
 الْجِنَّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ] روى عن الرضا (ع) : ان سليمان بن داود (ع)
 قال ذات يوم لاصحابه : ان الله تعالى وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي سخر لي الريح والانس والجن والطير
 والوحوش وعلمني منطق الطير وآتاني من كل شيء ، ومع جميع ما اوتيت من الملك ما تم لي سرور يوم الى الليل وقد
 احببت ان ادخل قصرى في غدي فاصعد اعلاه وانظر الى ممالكى ولانأذنوا لاحد على لثلا يرد على ما ينغص على يومى ،
 قالوا : نعم ، فلما كان من الغد اخذ عصاه بيده وصعد الى اعلى موضع من قصره ووقف متكئاً على عصاه ينظر الى ممالكه
 مسروراً بما اوتى فرحاً بما اعطى اذ نظر الى شاب حسن الوجه واللباس قد خرج عليه من بعض زوايا قصره فلما بصر
 به سليمان (ع) قال له : من ادخلك الى هذا القصر؟ وقداردت ان اخلو فيه اليوم؟ فباذن من دخلت؟ قال الشاب : ادخلني
 هذا القصر ربّه وباذنه دخلت ، فقال : ربّه احقّ به متى : فمن انت؟ قال انما ملك الموت ، قال : وفيما جئت؟ قال :
 جئت لاقبض ، قال : امض لما امرت به فهذا يوم سرورى ، وابى الله عز وجل ان يكون لي سرور دون لقائه ، فقبض ملك
 الموت روحه وهو متكئ على عصاه ، فبقى سليمان (ع) متكئاً على عصاه وهو ميت ماشاء الله والناس ينظرون اليه وهم
 يقدرون انه حى فافتتنوا فيه واختلفوا ، فمنهم من قال : قد بقي سليمان (ع) متكئاً على عصاه هذه الايام الكثيرة ولم يتعب
 ولم يثم أولم يأكل ولم يشرب ، انه لربنا الذي يجب علينا ان نعبد ، وقال قوم : ان سليمان (ع) ساحر وانه يريدنا انه
 واقف متكئ على عصاه بسحر اعيننا ، وليس كذلك فقال المؤمنون : ان سليمان (ع) هو عبدالله ونبى يدبر الله امره
 بما يشاء فلما اختلفوا بعث الله عز وجل الارضة فدبت في عصاه فلما اكلت جوفها انكسرت العصا وخر سليمان (ع)
 من قصره على وجهه ، فشكرت الجن للارضة صنيعها فلجل ذلك لا توجد الارضة في مكان الا وعندها ماء وطين
 وذلك قول الله عز وجل : فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ يَعْنِي عَصَاهُ فَلَمَّا خُرَّ
 تَبَيَّنَتْ الْجِنَّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ، وعن النبى (ص) : عاش سليمان بن داود سبعمائه سنة
 واثنى عشرة سنة [لَقَدْ كَانَ] جواب لسؤال مقدّر كأنه قيل : هذا المذكور من حوادث السماء والارض الدالة على
 علمه تعالى وقدرته وحكمته كان من نعم الله تعالى وانعامه فهل وقع من نعمه ما يدل على ذلك؟ فقال تعالى : لَقَدْ كَانَ
 [لِسَبَإٍ] لاولاد سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، عن النبى (ص) انه سئل عن سبأ أرجل هو ام امرأة؟ فقال : هو
 رجل من العرب ولد عشرة تبا من منهم ستة ونشأ من منهم اربعة فاما الذين تيامنوا فالازد وكندة ومذحج والاشعرون
 وانمار وحمير ، قيل : ما انمار؟ قال : الذين منهم خثعم وبجيلة ، واما الذين تشاءوا فعاملة وجزام ولخم وغسان
 [فِي مَسْكَنِهِمْ] وقرى في مساكنهم وهو موضع سكنهم ، قيل : كان باليمن ويقال له مأرب بينه وبين صنعاء مسيرة ثلاث

[أَيَّةٌ] دالة على قدرة الحق وعنايته بخلقه وثوابه وعقابه في الدنيا والآخرة [جَنَّاتَانِ] جماعتان من البساتين [عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ] لبلدهم في مسيرة عشرة أيام كل واحدة كأنها بستان واحد لتضامتها والتفافها مقولاً فيهم [كُلُّوا] اوهو مستأنف بتقدير القول كأنه قيل: ما قيل لهم؟ - او ما قلت يا رب لهم؟ - فقال: قيل او قلنا: كلوا [مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ] هذه أيضاً مستأنفة في مقام التعليل اي هذه بلدة طيبة [وَرَبُّ غَفُورٌ] وقرئ الكلمات الأربع بالنصب على الحالية او على المدح [فَأَعْرَضُوا] عن الشكر بل ملؤا عن النعمة كما سيأتى [فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ] قد فسر العرم بالسد الذى يبنى فى الاودية وهو جمع بلا واحد او واحد العرمة ، وبالجرز (١) التذكر الذى خرب سدّهم ، وبالمطر الشديد ، وبوادٍ كان السد فيه ، قيل: ان بحرأ كان فى اليمن وكان سليمان (ع) امر جنوده ان يجروا لهم خليجاً من البحر العذب الى بلاد الهند ففعلوا ذلك وعقد واله عقدة عظيمة من الصخرة والكلس حتى يفيض على بلادهم وجعلوا للخليج مجارى فكانوا اذا ارادوا ان يرسلوا منه الماء ارسلوه بقدر ما يحتاجون اليه، وكانت لهم جنتان عن يمين وشمال عن مسيرة عشرة ايام فيها يمر المار لا يقع عليه الشمس من التفافها، فلما عملوا بالمعاصى وعتوا عن امر ربهم ونهاهم الصالحون فلم ينتهوا بعث الله عز وجل على ذلك السد الجزز وهى الفأرة الكبيرة فكان تقلع الصخرة التى لا تستقلها الرجال وترمى بها فلما رأى ذلك قوم منهم هربوا وتركوا البلاد فما زال الجزز تقلع الحجر حتى خربت ذلك فلم يشعروا حتى غشيهم السيل وخرب بلادهم وقلع اشجارهم [وَبَدَّلْنَا لَهُمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِى أُكُلٍ خَمْطٍ] مرّ يشع قيل المراد به ام غيلان [وَأَثَلِ وَشَىءٌ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ] لما كان ثمر السدر مما يؤكل وصفه بالقلة وسمى بدل الجنتين بالجنتين للتهكم [ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا] فتنبها يا امة محمد (ص) ولا تكفروا نعمة النبوة والولاية اللتين هما كبستانين حافظتين ليمينكم وشمالكم ولا تكفروا نعمة صفحتى النفس العمالة والعلامة ولا تكفروا نعمة الاسلام الحاصل بالبيعة العامة النبوية، والايمان الحاصل بالبيعة الخاصة الولوية، ولا تكفروا نعمة احكام الشريعة القالبيّة، ولا نعمة آثار الطريقة القلبية [وَهَلْ نَجَازِى إِلَّا الْكَفُورَ] قرئ نجازى بالنون والكفور بالنصب، ويجازى بالياء مبنياً للمفعول والكفور بالرفع [وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا] اي بلاد الشام وقيل مكة [قُرَى ظَاهِرَةً] بمعنى متواصلة يظهر بعضها لبعض لقربها واتصالها [وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ] بحيث يتقل كل من الغادى والرائح من قرية الى قرية اخرى من غير تعب فى السير [سِيرُوا فِيهَا] حال بتقدير القول او مستأنف جواب لسؤال مقدّر بتقدير القول [لِيَأْتِيَ وَيَأْتِيَا] الى الشام والى مكة [أَمْنِينَ] من الجوع والعطش ومن السراق وقطاع الطريق [فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا] بلسان الحال حيث عملوا بالمعاصى وكفروا النعمة او بلسان القال والحال جميعاً بان اظهروا الملل من النعمة والعافية وسألوا بعد المسافة فى الاسفار ليتناولوا فيها بحمل الزاد وما يحتاج اليه فى الاسفار على الفقراء، وقرئ ربنا بالنصب وبعد بصيغة الامر من التفعيل وبعد بصيغة الماضى من الثلاثى المجرد، وربنا بالرفع وبعده بصيغة الماضى من المفاعلة، والقراءة المشهورة ربنا بالنصب وبعده من المفاعلة بصيغة الامر، واذا كان بصيغة الخبر كان مقصودهم عدم الاعتداد بالنعمة وطلباً للمزيد مع الكفران [وَوَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ] بكفران النعمة [فَجَعَلْنَا لَهُمْ أَحَادِيثَ] جمع الحديث على التشذوذ، اوجمع الاحداث جمع الحدث،

(١) - الفأرة الكبيرة ، والارض الجزز التى لا تنبت .

او جمع الاحدوثة بمعنى الامر الغريب يعنى جعلناهم بحسب حالهم ومآلهم من غرائب الدهر بحيث يتحدث الناس بهم وبحالهم [وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ] فرقناهم كل تفريق حتى لحق كل بيلد، قيل: لحق غسان منهم بالشام، وانما يثرب، وجزام بتهامة والأزد بعمان [إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ] دالة على قدرتنا على الخسف واسقاط الكسف وعلى علمنا وحكمتنا وتدبيرنا لامور عبادنا، وجزاء كل منهم بحسب حاله، وعلى اننا نجزى الشكور بالمزيد والكفور بسلب النعمة [لِكُلِّ صَبَّارٍ] عن المعاصي وعلى الطاعات وعلى المصائب فان غير الصبار لكونه اسيراً للشهوات والغضبات ومورداً للبلايا لا يكون له فراغ حتى يتأمل في ذلك ويستدل بها على شيء آخر [شكور] ناظر في النعمة الى الانعام والى المنعم واما الغافل عن المنعم والانعام فلا يدرك من النعمة وزوالها وتغيرها تصرف المنعم فيها حتى يستدل من النعمة وتبدلها على صفات المنعم وعلمه وحكمته وقدرته .

اعلم ، ان الآيات القرآنية كآيات العظمى الآفاقية من الانبياء والاولياء (ع) لها ظواهر وبواطن الى سبعة ابطن الى سبعين الف بطن الى ماشاء الله ، ولها تنزيل وتأويل ولتأويلها تأويل الى سبعة الى ماشاء الله ، وتنزيل هذه الآية قد ذكر ، وقد ورد عن الصادق (ع) في تنزيلها انه قال : هؤلاء قوم كانت لهم قرى متصلة ينظر بعضهم الى بعض وانهار تجارية و اموال ظاهرة فكفروا نعم الله عز وجل وغيروا ما بانفسهم من عافية الله ، فغير الله ما بهم من نعمة وان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم ، فارسل الله عليهم سبل العرم ففرق قراهم وخرّب ديارهم وذهب بأموالهم وابدلهم مكان جنتيهم ذواتي اكل خمط وائل وشيء من سدر قليل وتأويلها بحسب الصغير والكبير كثير ، فان النفس الحيوانية بعد تجلّي العقل عليها بالنفس الانسانية يجعل الله بينها وبين القرى المباركة التي هي العقول والارواح قرى ظاهرة من مراتب النفس الانسانية ومراتب القلب فتسأل بلسان حالها بالتوالت عن تلك القرى والتوغل في المشتبهات الحيوانية بعد السفر بينها وبين القرى ، او تستبعد بتوغلها في تلك المشتبهات السفر الى تلك القرى فتسبط الى الارض الحيوانية وتوحد من السفر اليها ، وايضاً افراد الانسان بعد البلوغ واستكمال النفس الحيوانية بالنفس الانسانية يجعل الله بينهم وبين القرى المباركة الذين هم مشايخ الائمة (ع) قرى ظاهرة هي شعيتهم ورواة احاديثهم ونقله اخبارهم فيتوالت عنهم ويسألون بلسان حالهم بعد الاسفار والمشقة والاختار ، او يجعل الله بينهم وبين القرى المباركة الذين هم الائمة (ع) قرى ظاهرة هم مشايخ الائمة (ع) الذين نصبهم الائمة (ع) لهداية الخلق واخذ العهد منهم بالبيعة على ايديهم والتوبة عندهم وعلى ايديهم وافراد الانسان بعد الاسلام والبيعة العامة وقبول الدعوة الظاهرة يجعل الله بينهم وبين القرى المباركة الذين هم مشايخ الائمة (ع) او هم الائمة (ع) قرى ظاهرة ، وافراد الانسان بعد الايمان والبيعة الخاصة الولوية وقبول الدعوة الباطنة يجعل الله بينهم وبين القرى المباركة الذين هم الائمة (ع) مشايخ وناقلين لاخبارهم ، او يجعل الله بينهم وبين القرى المباركة الذين هم الائمة بنورانيتهم وظهور ملكوتهم على نفوس بايعيهم قرى ظاهرة من مراتب ذكرهم وفكرهم ، او من مراتب نفوسهم الى مراتب قلوبهم التي فيها يظهر ائمتهم بنورانيتهم ، وافراد الانسان بعد ما يظهر عليهم ائمتهم بنورانيتهم يجعل الله لهم قرى ظاهرة هي مراتب نورانية ائمتهم بينهم وبين مقام ولاية ائمتهم فيمزق كل هؤلاء ، كما يشاهد من الناس غير المؤمنين بالبيعة الخاصة الثابتين على ايمانهم المسافرين على القرى الظاهرة من تفرقهم كل التفرق بحسب المقصد والمذهب والارادة والمشتهى بحيث يلعن بعضهم بعضاً ويغض ويكفر بعضهم بعضاً قلما يتفق منهم اثنان ، وان اتفق اتفاقهم بالنسبة الى بعض المؤمنين كان اتفاقهم كاتفاق الكلاب الواقعة على الجيف من حيث انها يغض كل للآخر ويعقر كل للآخر ، واذا رأت انساناً من بعيد مع انه متأذ من جيبتها تتفق في الحمل عليه ونهشه وقتله ، اعاذنا الله من غضبه وكفران نعمه .

وقد ورد عن الباقر (ع) انه قال: بل فينا ضرب الله الامثال في القرآن فنحن القرى التي بارك الله فيها وذلك قول الله عز وجل فيمن اقرت بفضلنا حيث امرهم ان يأتونا فقال: وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة، والقرى الظاهرة الرسل والنقلة عنا الى شيعتنا وفقهاء شيعتنا وقوله سبحانه: وقدرنا فيها السمر فالسمر مثل للعلم سير به فيها ليالي واياماً مثل ما يسير من العلم في الليالي والايام عنا اليهم في الحلال والحرام والفرائض والاحكام آمنين فيها اذا أخذوا عن معدنها الذي امروا ان يأخذوا منه آمنين من الشكك والضلال والنقلة من الحرام الى الحلال، والاخبار في هذا المعنى واردة منهم كثيراً [وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ] الذي اظهره عند قوله لا غور بينهم اجمعين وعند قوله لا ضللتهم ولا منيتهم (الآية).

اعلم، ان تنزيل هذه الآية في اهل سبا لكن تأويلها في منافق امة محمد (ص) فانه ورد عن ابي جعفر (ع) انه قال: لمّا اخذ رسول الله (ص) بيد علي (ع) يوم الغدير صرخ ابلّيس في جنوده صرخة لم يبق منهم احد في بر ولا بحر الا اتاه فقالوا: يا سيدنا ومولينا، ماذا هالك؟ فما سمعنا لك صرخة او حش من صرختك هذه؟ فقال لهم: فعل هذا النبي فعلاً ان تم لم يعص الله ابداً، فقالوا: يا سيدنا ان كنت لآدم: فلما قال المنافقون ينطق عن الهوى، وقال احدهما لصاحبه: اما ترى عينيه تدوران في رأسه كأنه مجنون، يعنون رسول الله (ص) صرخ ابلّيس صرخة بطرب فجمع اولياءه فقال: اما علمتم اني كنت لآدم من قبل؟ قالوا: نعم، قال: نعم نقض العهد ولم يكفر بالرّب وهؤلاء نقضوا العهد وكفروا بالرسول (ص)، فلما قبض رسول الله (ص) واقام الناس غير علي (ع) لبس تاج الملك ونصب منبراً وقعد في الزينة وجمع خيله ورجله ثم قال لهم: اطربوا لا يطاع الله حتى يقام امام، ونابو جعفر (ع): ولقد صدق عليهم ابلّيس ظنه (الى آخر الحديث) وبهذا المضمون مع اختلاف في اللفظ اخبار كثيرة [فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا قَرِيْقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِّنْ سُلْطَانٍ] دفع لما يتوهم من استقلال ابلّيس في تصرفه كما توهمته الابليسية والثنوية يعني ان سلطانه عليهم ليس الا باذننا وتسليطنا على من شئنا تسليطه عليه وليس هذا التسليط [إِلَّا لِنَعْلَمَ] اي ليظهر علمنا او ليظهر متعلّق علمنا [مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ] اولنعلم في مقام المعلوم من يؤمن بالآخرة متميّزاً ممّن هو منها في شكّ [وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ] دفع لما توهم من قوله لنعلم من حصول العلم له بعد ما لم يكن يعني لا حاجة لربك الى هذا الامتحان فانه على كل شيء حفيظ فيعلم كل شيء بجميع صفاته وآثاره فتسليط الشيطان ليس الا لظهور معلومه عليكم [قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ شُرَكَاءَ اللَّهِ مِنْ دُونِ اللَّهِ] من دون اذن الله احوال كونهم عبادة من غير الله يعني قل ادعوهم في حوائجكم [لَا يَمْلِكُونَ] حال او مستأنفة جواب لسؤال مقدّر [مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ] فلا يملكون ولا يقدرّون على جلب نفع لكم ولا على دفع ضرر [وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ] في شيء منها ولا في شيء مما فيهما يعني لا يملكون شيئاً فيهما لا بالاستقلال ولا بالشراكة فهو بمنزلة الاضراب والتزك من الصفة العليا الى الدنيا [وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ] اضراب من العليا الى الدنيا ايضاً كأنه قال بل لا مدخلية لهم فيهما بنحو المظاهرة لله [وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ] اضراب آخر كأنه قال: بل ليس لهم شافعية او مشفوعة عنده لانه لا تنفع الشفاعة [عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ] في الشافعية او في المشفوعة ولم يأذن لهم في الشافعية او في المشفوعة، وقد سبق في مطاوي ما سلفنا ان الامامات وبيان الاحكام للانام والقضاوات والامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجراء التوبة واخذ الصدقات واخذ البيعة من العباد لله والرياسات الدينية كلّها نحو شفاعة عند الله وليس شيء

منها جائزاً ومباحاً ألا لمن اذن الله له بلا واسطة كالانبياء (ع) او بواسطة كالاصفياء (ع) فالويل ! ثم الويل ! لمن نصب نفسه علماً للناس وتصدى المحاكمات او الفتاوى او الامامة او اخذ الصدقات او اخذ البيعة من العباد من غير اذن واجازة من الله فانه مفتري على الله ومن اظلم ممن افترى على الله كذباً . نسب الى القمى انه قال : لا يشفع احد من انبياء الله واولياء الله (ع) ورسله (ع) يوم القيامة حتى يأذن الله له الا رسول الله (ص) فان الله عز وجل قد اذن له في الشفاعة من قبل يوم القيامة والشفاعة له وللائمة (ع) ثم بعد ذلك للانبياء وعن الباقر (ع) في حديث : ما من احد من الاولين والآخرين الا وهو محتاج الى شفاعة رسول الله (ص) يوم القيامة ثم قال : ان لرسول الله (ص) الشفاعة في امته ولنا الشفاعة في شيعتنا ، ولشيعتنا الشفاعة في اهلهم ، وان المؤمن ليشفع في مثل ربيعة ومضر ، وان المؤمن ليشفع حتى خادمه يقول : يا رب حق تخدمني كان يقيني الحر والبرد [حتى اذا فرغ] غاية لمحذوف تقديره فالخلق في الحيرة والوحشة حتى اذا فرغ [عن قلوبهم قالوا] اي بعضهم لبعض او قالوا للملائكة اوللشافعين [ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير] وفي خبر عن الباقر (ع) وذلك ان اهل السماوات لم يسمعو اوجياً فيما بين ان بعث عيسى بن مريم (ع) الى ان بعث محمد (ص) فلم يبعث الله جبرئيل (ع) الى محمد (ص) سمع اهل السماوات صوت وحى القرآن كوقع الحديد على الصفا فصعق اهل السماوات فلما فرغ من الوحي انحدر جبرئيل (ع) كلما مر باهل سماء فرغ عن قلوبهم يقول كشف عن قلوبهم فقال بعضهم لبعض : ماذا قال ربكم ؟ قالوا الحق وهو العلي الكبير ، وعلى هذا فالتقدير استمع جبرئيل الوحي وصعق الملائكة من سماعه فانحدر جبرئيل حتى اذا مر باهل السماوات وفرغ عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربكم ؟ [قل] يا محمد الزما لهم على الاقرار بالمبدء الخالق الرازي [من يرزقكم من السموات والارض] بتبعية الاسباب السماوية والارضية لازراقكم الانسانية والحيوانية والنباتية او من السماوات بالرزق الانساني ومن الارض بالرزق النباتي والحيواني [قل الله] اذ لا جواب لهم سواه [وانا اوتياكم لعلى هدى اوفى ضلال مبين] بعد ما ابطال الشركاء وابطل جواز دعوتهم اتى بضلالة اتباع الشركاء بنحو يكون اقرب الى الانصاف وابعده من المشاغبة ، فان المعنى المستفاد من هذه العبارة بعد ما سبق من اظهار عجز الشركاء معنى قولنا نحن على هدى وانتم في ضلال مبين لكنه اتى بكلمة او التفصيلية المفيدة للتقسيم في جانب المسند اليه والمسند جميعاً لتلايشاغب الخصم وبتشد معاصمته وانكاره فكانه قال : انا واياكم لعلى هدى وفي ضلال مبين بنحو اللف والنشر ، واختلاف حرفي الجر في جانب المسند للشعار بان المهتدى مستول على صفاته ومحيط بها ، والضال مغلوب لصفاته ومحاط لها [قل] بطريق الانصاف في المجادلة [لا تستلون عما اجرمننا] بنسبة الاجرام الى انفسكم [ولا تستلون عما تعملون] بنسبة العمل دون الاجرام اليهم [قل يجمع بيننا ربنا] في القيامة حتى يكون وعداً ووعيداً لكم ولهم [ثم يفتح بيننا بالحق] بحكومة حق [وهو الفتاح العليم قل ارونى الذين الحقتم به شركاء] يعنى قل اظهروا شركاءكم لله حتى يظهر عليكم انه ليس لها من وصف الشراكة لله شيء [كلا] كلام من الله لردعهم عن الاشراك اوجزه مقول قوله [بل هو الله] المعبود بالحق لا غيره [العزيز] الغالب الذى لا يجوز ان يكون في مقابله ثان [الحكيم] الذى يعجز عن ادراك دقائق صنعه ولطائف علمه عقول العقلاء فكيف يكون مصنوعه او مصنوعكم شريكاً له مع اتصافه بالجهل وعدم الشعور فضلاً عن الحكمة [وما ارسلناك الا كافة للناس] كافة حال مقدم عن الناس بمعنى كلهم نحو جاء الناس كافة كأن معناه حالكون الناس كافة بعمومه كل فرد من الخروج عن

تحتة ، اوصفة لمفعول مطلق محذوف اى رسالة كافة للناس بمعنى مانعة لهم عن اتباع اهويتهم ، اوحال عن مفعول ارسلنا وحينئذ يكون المعنى ما ارسلناك الا مانعاً للناس عن اتباع اهويتهم والثاء تكون حينئذ للمبالغة [بشيراً] للمؤمنين وللمن استعداً للإيمان من حيث ايمانهم واستعدادهم [ونذيراً] للكافرين وللمؤمنين والمستعدّين من حيث كفرهم وغفلتهم [وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ] رسالتك او عموم رسالتك اولى لهم جهة علم حتى يعلموا رسالتك فلذلك ينكرون رسالتك ، عن الصادق (ع) فى حديث: وارسله كافة الى الابيض والاسود والجن والانس، وعنه (ع) انه قال لرجل: اخبرني عن الرسول (ص) كان عامماً للناس؟ اليس قد قال الله عز وجل فى محكم كتابه وما ارسلناك الا كافة للناس، لاهل الشرق والغرب واهل السماء والارض من الجن والانس هل بلغ رسالته اليهم كلهم؟ قال: لا ادري ، قال: ان رسول الله (ص) لم يخرج من المدينة فكيف ابلى اهل الشرق والغرب؟! ثم قال: ان الله تعالى امر جبرئيل (ع) فاخضع الارض بريشة من جناحه ونصبها لرسول الله (ص) فكانت بين يديه مثل راحة فى كفه ينظر الى اهل الشرق والغرب ويخاطب كل قوم بالستهم ويدعوهم الى الله عز وجل والى نبوته بنفسه فما بقيت قرية ولا مدينة الا ودعاهم النبي (ص) بنفسه . وفى كثير من الاخبار مضمون انه لا يبقى ارض الا نودى فيها بشهادة ان لا اله الا الله ، وان محمداً رسول الله (ص) لكن فى الرجعة اوفى ظهور القائم (ع) [وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ] اى وعد الجمع بينا ويوم فتح الله [إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ] وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ [من الكتب التى تدعون انها نازلة من السماء او من الكتب الدالة على رسالتك] وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ [لوشريعة محذوفة الجواب او للتمنى ولا جواب لها والجملة حالية وتسلية له (ص) ولا مته وتهديد لهم وقد مضى بيان الآيات فى اول الانعام عند قوله: ولوترى اذوقوا على ربهم [يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ] يتحاورون ويتحاربون [يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا] يعنى الاتباع [لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا] مخاطبين لهم [لَوْ لَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ] فانكم صددتمونا عن الايمان [قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا] مجاوبين [لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا] أَنْحَنُ صَدَدْنَا كُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ [إِذْ جَاءَكُمْ] الهدى بتوسط الرسل ، او المراد بالهدى الرسل انفسهم [بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ] انكروا ان كانوا صدوهم واسندوا عدم هديهم الى اجرامهم فانه لولا اجرامهم لما اثر فيهم صد الصادقين ، بمعنى ان استعدادهم الفطرى لقبول تقليد من لا يصح تقليده واجرامهم الكسبى منعهم عن التوجه الى الفطرة الانسانية وقبول قول من يعين تلك الفطرة ويقويها وصرّهم الى قبول قول من لا يصح قبول قوله عند من له ادنى شعور والنفات الى الآخرة [وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ] بعدما لم يقدروا على جوابهم والمحااجة معهم وعلى نسبة تقصيرهم الى الرؤساء نسبوا تقصيرهم الى مكر الليل والنهار كما هو عادة النساء فى نسبة تقصيرهم الى الغير ، او مقصودهم من هذا الكلام الرد على الرؤساء فى نسبة الضلال الى اجرامهم ، والمعنى ليس ضلالنا باجرمانا بل بتكرار مكرهم فى الليل والنهار وهذا المعنى اوفق بقوله [إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرُوا] اى الرؤساء او الاتباع او الجميع [النَّدَامَةُ لَمَّارًا أَوِ الْعَذَابُ] حتى لا يطلع كل على الآخر ، وروى انهم يسمون الندامة فى النار اذ ارأوا ولي الله ، فقيل: يابن رسول الله (ص) وما يغنيهم اسرارهم الندامة وهم فى العذاب؟ قال : يكرهون شماتة الاعداء [وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ] الاتيان بالماضى فى تلك الافعال لتحقق وقوعها ، او للاشارة الى انها

بالنسبة الى محمد (ص) قد وقعت [فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا] وضع الظاهر موضع المضمر اشعاراً بعلته الحكم و اظهاراً لدم آخر لهم [هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ] اى نفس ما كانوا او جزاء ما كانوا يعملون والجملة حالية بتقدير القول او مستأنفة جواب لسؤال مقدّر كأنه قيل: لم يجعل الاغلال في اعناقهم؟ فقال: ما يجزون الا ما كانوا يعملون لكنه اداه بصورة الاستفهام لتأكيد النفي [وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا] اى متنعموها [إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ] لان كل الفساد يفشو من المتعتمين واما الاتباع فليس لهم شأن الا النظر الى الرؤساء ومن كان مثيراً في الدنيا لعدم العقل الانساني وعدم استعمال العقل الجزئي الذي يكون لهم [وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا] فان كان ما تدعونه حقاً من الرسالة فنحن اولى بذلك لكثرة اموالنا وكثرة اولادنا فان تلك الكثرة تدل على تفضل الله بالنسبة الينا وقربنا منه وتعيننا في رايستنا [وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ] لقربنا من الله وفضله علينا فلما لم يرسلنا الله علم انه لا رسالة وانكم كاذبون، ولو فرض صدق ما تقولون من العذاب في الآخرة فلسنا بمعذبين لقربنا من الله، او المعنى ما نحن بمعذبين وانتم تقولون لو عصينا عذبنا الله فنحن بسبب عدم العذاب اولى بالرسالة، او المعنى نحن اكثر اموالاً واولاداً، وهذا يدل على فضل الله بالنسبة الينا فلم نكن نحن بمعذبين لفضل الله بالنسبة اليها، فلا حاجة لنا اليكم والى رسالتكم [قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ] بملاحظة حال نظام الكل وليس لكرامة الغنى ولا لهوان الفقر [وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ] ذلك او لا يعلمون سر ذلك [وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِاللَّهِ تُقَرَّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى] حتى تكونوا بذلك مستحقين للرسالة او غير معذبين [إِلَّا مَنَ آمَنَ] اى الا اموال من آمن واولاده [وَعَمِلَ الصَّالِحَاتِ] بان يتحمل المال لله وينفقه لله ويربى الاولاد لله [فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ].

اعلم، ان المؤمن لما كان متوجهاً الى الله مؤتمراً بأمر الله متنبهاً بنهي الله كان توجهه الى الاموال والاولاد من حيث ايمانه تحملاً لمشاقها من حيث امر الله وعدم اهمالها مع الانزجار عنها من حيث نهى الله وصرف الوجه عن جهة التوحيد بأمر الله ونهيه توجهه الى الله مع مراعاة حقوق كثرات وجوده وكثرات خارج مملكته، والتوجه الى الله بتلك الكيفية تكميل لصفحتي النفس المجردة والمتعلقة وتتميم لجهة الوحدة والكثرة فيكون مستحقاً من الجهتين وموجباً للاجر من الحيتين فيكون اجره مضاعفاً بالنسبة الى من لم يكن له ذلك بخلاف الكافر فان توجهه الى الاموال والاولاد اغفال عن الفطرة واهلاك للطيفة الانسانية ولذلك كانت عذاباً له في الحياة الدنيا وسبباً لزهوق ارواحهم وهم كافرون فكانت نقمة عليه لانه لا ينعم، ولذلك ورد عن الصادق (ع) انه قال لمن ذكر الاغنياء ووقع فيهم: اسكت، فان الغنى اذا كان وصولاً برحمه وباراً باخوانه اضعف الله له الاجر ضعفين لان الله يقول: وما اموالكم ولا اولادكم (فقرأ الى آخر الآية) وورد ان ابا بصير قال: ذكرنا عند ابي جعفر (ع) من الاغنياء من الشيعة فكانت كره ما سمع منا فيهم، فقال: يا ابا محمد اذا كان المؤمن غنياً رحيماً وصولاً له معروف الى اصحابه اعطاه اجر ما يتفق في البر اجره مرتين ضعفين لان الله عز وجل يقول وما اموالكم (فقرأ الآية الى آخرها) [وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا] مقابل لسابقه باعتبار المعنى كأنه قال الذين آمنوا وعملوا الصالحات من صاحبى الاموال والاولاد حالهم كذا، والذين يسعون من صاحبى الاموال والاولاد او من الناس على الاطلاق في آياتنا الآفاقية التكوينية والتدوينية وآياتنا الانفسية خصوصاً الآيات العظمى من الانبياء (ع) وخلفائهم (ع) [مُعَاجِزِينَ] الله او معاجزين الانبياء والاولياء (ع) او معاجزين المؤمنين المقرين

بِالآيَاتِ [أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرْ لَهُ] هذه الآية بالنسبة إلى شخص واحد باعتبار وقتين من أوقاته ويدل عليه التقيد بقوله له وسابقتها بالنسبة إلى أشخاص متعددة فلا تكرر، أو هذه خطاب للمؤمنين وتلك للكافرين ويدل عليه التقيد بقوله: من عباده فلا تكرر أيضاً، أو هذه تكرير للأولى وتأكيد له باعتبار أن هذا المطلب مطلب عظيم هم عنه غافلون [وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ] تجربة على الانفاق وتحذير عن التقدير، عن النبي (ص): من صدق بالخلف جاد بالعطية، وعن علي (ع): من بسط يده بالمعروف إذا وجدته يخلف الله له ما انفق في دنياه ويضاعف له في آخرته، وقيل للصادق (ع): أني انفق ولا أرى خلفاً، قال: افترى الله عز وجل أن خلف وعده؟ قيل: لا، قال: فبم ذلك؟ قيل: لا أدري؟ قال (ع): لو أن أحدكم اكتسب المال من حله لم ينفق درهماً إلا أخلف عليه [وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ] ممن تنظرون إليه من وسائط الرزق ومما تعدونه وسائط الرزق من الأسباب السماوية والأرضية ومن القوى العمالة في إيصال الرزق الحقيقي الذي هو الجوهر المشبهة بجوهر البدن إلى المرتزق الحقيقي الذي هو خلل الأعضاء، هذا في الرزق النبائي، وهكذا الحال في الرزق الحيواني والإنساني، فإن كل من كان غيره من الرازقين ليس إلا آلة إيصال الرزق، والرازق حقيقة هو الله تعالى شأنه فإنه أعطى المرتزق أسباب الارتزاق والآلة، وأعطى الرزق الصورة صورة وكيفية بها يرتزق المرتزق، وهو الذي يعطى الرزق بغير عوض ولا غرض ولا منة بخلاف غيره من وسائط الرزق كما قال المولوي:

أقمه بخشي آيد از هر کس بکس خلق بخشي کاريز دانست و بس
خلق بخشد جسم را و روح را خلق بخشد بهر هر عضوی جدا

وقال أيضاً

روزی بیرنج جوی ویی حسیب کز بهشت آورد جبریل سبب
بلکه رزقی از خداوند بهشت بی صداع باغبان بی رنج کشت
زانکه نفع نان در آن نان داد اوست بدهدت آن نفع بی توسیط پوست

[وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ] عطف على محذوف متعلق بـيخلفه أو بخير الرازقين أي في الدنيا ويوم نحشرهم، أو متعلق بمحذوف عطف على قل أي اذ كرم يوم نحشرهم [جَمِيعًا] الاتباع والمتبعين في الضلالة [ثُمَّ نَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ] اختار الملائكة من بين المعبودين بالذكر لأنهم أشرف المعبودين وأبصرهم بحال العابدين وأعلمهم بنياتهم، وما اجابرا كان ذلك جواب السائرين سواء كانوا شاعرين أو غير شاعرين [أَهْلَاء] المدعون لعبادتهم [إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ قَالُوا سُبْحَانَكَ] عن شراكة أمثالنا [أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ] نزهة الله تعالى أولاً عن شراكة أمثالهم وانكروا الرضا بعبادتهم ثانياً واضربوا عن ذلك وعن عبادتهم لهم الاستفادة من تنزيه الله ومن اظهار عدم الرضا بفعالهم واثبتوا عبادتهم للجن [أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ] لابنا وانما اشبهه عليهم الجنة والملائكة وهموا في ذلك وعبدوا الجنة بزعم انهم الملائكة.

اعلم، انه قد تكرر فيما سبق ان عالم الطبيعة واقع بين الملكوتين العليا والسفلى، وان عالم الجن مثل عالم الملائكة محيط بالدنيا ومتصرف فيها، وانه لا فرق في ذلك بين الجنة والملائكة، ولذلك اشبه على الملائكة حال ابليس فظنوا انه منهم، وان من راض نفسه بقلّة الطعام والشراب والنوم والكلام والعزلة عن المخلوق، فان كان بأمر أمرا لهي يتصل بعالم الملائكة ويشبه بهم في الاحاطة والاطلاع على ما لم يطلع عليه البشر والتصرف في العناصر

بيان
للاتصال بالملكوتين
العليا والسفلى

وموالدها باي تصرف شاء وتقلب الاعيان عن وجوها على انه يخبره الملائكة ويعينونه فيما لم يقدرُوا على العلم به والتصرف فيه وان لم يكن رياسته بأمر أمرٍ إلهي لو كان لكنه خرج عن تحت امره واستبد في رياسته ومشاهدته برأيه سواء كان تحت أمرٍ شيطاني أو لم يكن، وسواء كان رياسته بطريق الشرائع وعلى قانون التواميس الالهية أو لم تكن اتصل لامحالة بعالم الجنة والشياطين، ونشبه بهم في الاحاطة والتصرف، وقدر على ما لم يقدر غيره، وعلم ما لم يعلمه غيره، وعبد المتصرف في العالم المشهود له بظن أنه الله وأنه ملك عظيم من ملائكة الله وسمى عبادته عبادة الملك ولذلك انكر الملائكة عبادتهم لهم واثبتوا عبادتهم للجن، واعلم ايضاً، ان كل عابد غير الله لا يعبد الا باطاعة الشيطان المعنوي سواء كان المعبود الذي هو غير الله ملائكة الله او غيرهم من الجمادات والنبات والحيوان والانسان والجان والشيطان، فالعابد غير الله يعبد أولاً الشيطان وعبادة الشيطان يعبد غير الله فهو في عبادة غير الله عابد للشيطان حقيقة لا لمعبوده لانه لولا الشيطان لم يعبد [فَالْيَوْمَ لَا يَحْمِلُكَ] الفاء للترتيب في الاخبار اوجزاء شرط مقدر يعني اذا كان اليوم انكر المعبودون عبادة العابدين وتحير كل في امره واضطرب غاية الاضطراب فاليوم لا يملك [بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفَعًا وَلَا ضَرًّا] لان الامر كله في ذلك اليوم بيد الله بخلاف يوم الدنيا فانه قد يتوهم ان بعضاً يقدر على نفع بعض اضره والخطاب للملائكة وعابديهم وللمطلق المعبودين والعبادين، وللمطلق الرؤساء والمرؤسين، اول الجنة وعابديهم [وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا] من المعبودين والمطاعين بان لم يكن معبوديتهم ومطاعيتهم باذن من الله والعبادين والمطيعين بان لم يكن عبادتهم وطاعتهم واشراكهم باذن من الله [ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ] واذ انتلني عليهم عطف باعتبار المعنى ولذلك التفت من الخطاب الى الغيبة يعني كانوا اذا قبل لهم: اتقوا النار التي يوعدكم الله قالوا: ان هذا الاكذب، واذ انتلني اوصرف للخطاب عنهم الى محمد (ص) وبيان لحال امته وعطف ايضاً باعتبار المعنى، والمعنى كانوا اذا انتلني عليهم آياتنا كذبوا بها واذ انتلني على قومك [آيَاتُنَا بَيِّنَاتٌ] في الوعد والوعيد وفي الاحكام المعادية او المعاشية [قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ] بهذا الذي يظهره علينا [أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانُوا يَعْبُدُ آبَاءَكُمْ] ويجعلكم تابعين لنفسه في مبتدعانه، نسبوا عبادتهم للمعبودين الى عبادة آبائهم استظهاراً بحقيقتها تسليماً لحقبة فعل آبائهم [وَقَالُوا مَا هَذَا] الذي يقول [إِلَّا افكٌ مُفْتَرًى] على الله [وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا] وضع الظاهر موضع المضمرة ذمماً لهم وبياناً لعللة الحكم [لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ] ان هذا الذي يقوله فيما ابتدعه [الأسحر] اى علوم دقيقة، او ان هذا الذي يظهره علينا من المعجزات الاسحر حاصل من تمزيج القوى الطبيعية مع القوى الروحانية، او ان هذا الذي يقول في حق ابن عمه الا صرف لما قاله الله تعالى عن وجهه [مُبِينٌ وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا] يقرأونها حتى ينسبوا صحة مذهبهم وانكار مذهبك الى تلك الكتب [وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ] حتى ينسبوا ذلك الى قول النذير فلا يقولون الا عن عصبية بطريقهم، وعن تقليد آبائهم من غير تحقيق لمذهبهم ولما قالوا في مذهبك، ومن غير تحقيق لتقليدهم [وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مَعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ] يعني ان هؤلاء كذبوك وليس تكذيبهم امرأ غريباً فان الذين قبلهم كذبوا رسلهم لكن بينهم وبين من قبلهم فرق عظيم، فان من قبلهم اوتوا من الاموال والقوة والاولاد وطول الاعمار ما به افتتنوا واغترأوا وانكروا، وهؤلاء ما بلغوا معشار ما آتيناهم من ذلك، او المعنى وما بلغ السابقون معشار ما آتينا هؤلاء من المعجزات والدلائل على صدق الرسل (ع)، او المعنى وما بلغ الرسل (ع) السابقون معشار ما آتينا محمداً (ص) وآل محمد (ع) من الفضل، عن هشام بن عمار رفعه قال، قال

المعصوم: كذب الذين من قبلهم رسلكم (ع) وما بلغ ما آتينا رسلكم معشار ما آتينا محمداً (ص) وآل محمد (ع) فيكون الآية تسلية للرسول (ص) بخلاف الوجهين السابقين فانتهاهما يفيدان التسلية ضمناً، ويكون لتفويض قومه يعني أن الرسل الماضين قد كذبوا والحال أنك أولى بالكذب منهم لأن ما آتيناك أولى بالحسد مما آتيناهم، وليس التكذيب لامثالكم إلا من جهة الحسد عليهم، أو المعنى ما بلغ الرسل (ع) معشار ما آتينا محمداً (ص) من دلائل الصديق فيكون مثل الوجهين السابقين في الدلالة على تفويض القوم [فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ] يعني أنك أو أنكم يا أمة محمد (ص) إن لم تشاهدوا نكيري وإنكارى عليهم فقد سمعتم أخبارهم وشاهدتم آثار مؤاخذتي لهم فليحذر قومك عن تكذيبك ومؤاخذتي [قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ] بكلمة واحدة أو خصلة واحدة [أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ] عن أعوجاجكم أو عن قعودكم عنه [مُتْنِي وَفُرَادِي] وهذه بدل من واحدة وقد ورد في أخبار كثيرة أن المراد بالواحدة ولاية علي (ع) وحينئذ يكون أن تقوموا بتقدير التلام أو بدلاً منها بدل الاشتمال أو بدل الكل من الكل فإن الولاية بوجه هي القيام لله وبوجه مستلزمة للقيام لله، روى عن يعقوب بن يزيد أنه قال: سألت أبا عبد الله (ع) عن قول الله عز وجل: قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ؟ قال: بالولاية، قلت: وكيف ذلك؟ قال: أنه لما نصب النبي (ص) أمير المؤمنين (ع) للناس، فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اعتبس رجل وقال: إن محمداً (ص) ليذو كل يوم إلى امرئ جديد وقد بدأ بأهل بيته يملكهم رقابنا، فأنزل الله عز وجل: علي نبينا قرآنًا فقال له: قل إنما أعظكم بواحدة، فقد أدبت اليكم ما افترض ربكم عليكم، قلت: فما معنى قوله عز وجل: أن تقوموا لله متني وفرادي؟ فقال: أما متني يعني طاعة رسول الله (ص) وطاعة أمير المؤمنين (ع)، وأما قوله فرادي يعني طاعة الإمام من ذريتهما من بعدهما، ولا والله يا يعقوب ما عني غير ذلك، وعلى هذه الرواية يكون متني وفرادي حالين من الله والمعنى قل إنما أعظكم بواحدة يعني بولاية علي (ع) أن تقوموا لطاعة الله في مظهره حالكون الله متني باعتبار مظهره كزمان الرسول (ص) فإن الرسول (ص) وأمير المؤمنين (ع) كانا مظهرين في ذلك الزمان لله وطاعة كل كان طاعة الآخر وطاعة الله، وفرادي كزمان سائر الأئمة (ع) فإن كلاً كان في زمانه مظهراً لطاعة الله وكان فرداً فإن الإمام الآخر كان صامتاً غير داعٍ، أو يكونان حالين من فاعل تقوموا يعني أن تقوموا لله حالكون كل منكم ذوا وجهين، وجه قبول الرسالة ووجه قبول الولاية كما في زمان الرسول (ص)، أو ذوا وجه واحد هو وجه قبول الولاية، فإن أحكام الرسالة مقدمة لقبول الولاية كما ورد: أن الله رخص فيها ولم يرخص في الولاية، وعلى التفاسير السابقة يكونان حالين من فاعل تقوموا، والاختصاص بهاتين الحالين لأن الأزدحام بفرق المخاطر ولا يبقى له حالة الفكر، وبدل على تفسير الواحدة بالولاية قوله تعالى: قل ما سألتكم من أجر فهو لكم فإنه ما سألتكم من أجره إلا المودة في القربى يعني اتباع أو صباه وقبول ولا يتهم، يعني ما سألتكم من الأجر على التبليغ من المودة في القربى فإنه نافع لكم لأنكم إن اتبعتموهم نجوتهم من عذاب الآخرة وبوركتم في دنياكم وأنعم عليكم في عقابكم كما قال: لو أن أهل القري آمنوا و اتقوا الفتحنا عليهم بركات من السماء بحسب الآخرة والأرض بحسب الدنيا وليس الإيمان إلا قبول الولاية كما نكرت في مطاوي ما سلف [ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا] يعني بعد القيام لله وخلوص الوهم والمتفكرة من حكومة الشيطان وتصرفه ينبغي أن تتفكروا [مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ] جملة معلق عنها تتفكروا يعني أن تتفكروا في أنه ما بصاحبكم من جنة وتعلموا أنه في كمال العقل والتدبير [إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لِّبَئْسَ بُدَىٰ عَذَابٍ شَدِيدٍ] عذاب البرازخ أو القيامة أو الجحيم [قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ] إن أجرى الذي هو عائد إلي ونافع لي

[إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ] فيعلم اننى صادق فيما اقول وان الاجر الذى اطلبه منكم من العودة فى القربى نافع لكم، وان اجرى الذى هو نافع لى ليس الا على ربى وليس فى وسعكم القيام بأدائه [قُلْ إِنْ رَبِّى يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ، أَوْ يَقْذِفُ بِالْحَقِّ إِلَى أَنْبِيَائِهِ (ع) أَوْ يَقْذِفُ بِالْحَقِّ إِلَى عَلَى الاستمرار [عَلَّامُ الْغُيُوبِ] فيعلم الباطل ولو كان مكموناً فى قلوبكم ونفوسكم فيد مغه ويعلم محال الحق فيلقيه اليها، رضيتم ام لم ترضوا [قُلْ] مستبشراً بمجيء الحق وتهديداً لاهل الباطل [جَاءَ الْحَقُّ] يعنى الولاية فانها حق بحقيقة الله كما تكرر فى ماسلف وكل حق حق بحقيقته [وَمَا يُبْدِيهِ الْبَاطِلُ وَوَمَا يُعْيِدُ] يعنى زهو الباطل بحيث لا يتمشى منه ابداء ولا اعادة، ويجوز ان يكون لفظة ما استفهامية يعنى اى شيء يبدى الباطل فيكون نفيّاً للابداء مثل الاول مع التأكيد، وقيل: ان المراد بالباطل ابليس فيكون رد على الثنوية المعتقدة لابليس وابدائه واعادته، وقيل: المعنى لا يبدى الباطل لاهله خيراً فى الدنيا ولا بعيد خيراً فى الآخرة، او المعنى ما يتكلم الباطل بكلام مبتدء ولا باعادة كلام الغير كالجبال، روى عن الرضا (ع) انه دخل رسول الله (ص) مكة وحول البيت ثلاثمائة وستون صنماً فجعل يقطعها يعود فى يده ويقول: جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقاً، جاء الحق وما يبدى الباطل وما يعيد [قُلْ] بصورة الانصاف معهم [إِنْ ضَلَلْتُ] فليس ضرر ضلالتى عليكم [فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنْ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحِيَنِ إِلَى رَبِّى] فلا مفاخرة لى فيه عليكم [إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ] يسمع اقوالى ويعلم احوالى واستعدادى واستحقاقى [وَلَوْ تَرَى] لولتمنى اول للشرط والجواب محذوف [أَذْفَرُ عُوا] من الهول او من الصيحة [فَلَا فَوْتَ] لهم من بأسنا واخذ ملائكتنا [وَأَخِذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ] من تحت اقدامهم بالخسف كما فى الخبر عن الباقر (ع): لكاننى انظر الى القائم (ع) وقد اسند ظهرة الى الحجر (الى ان قال) فاذا جاء الى اليلءاء يخرج اليه جيش السفينانى فيأمر الله عز وجل الارض فتأخذ باقدامهم وهو قوله عز وجل: وَلَوْ تَرَى أَذْفَرُ عُوا فَلَا فَوْتَ واخذوا من مكان قريب [وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ] يعنى بالقائم (ع) او بمحمد (ص) [وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاقُشُ] اى التناول للآيمان [مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ] فانهم كانوا حينئذ فى اسفل مراتب النفس والآيمان لا يؤخذ الا فى اعلى مراتب النفس [وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ] بالقائم (ع) او بمحمد (ص) [مِنْ قَبْلُ] اى من قبل ذلك الزمان، او من قبل ذلك المكان الذى هو اسفل امكنة النفس [وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ] اى يلقون الامر الغائب عنهم بمحض الظن والتخمين، او يقذفون بالغيب الغائب عنهم على الحاضر المشهود لستره [مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ] من الغيب [وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ] بانفسهم الحيوانية عند الموت، اوفى القيامة، او فى كليهما [كَمَا فَعِلَ بِأَشْيَاءِهِمْ] اى اسناخهم [مِنْ قَبْلُ] اى من قبلهم او كما فعل بانبايعهم من قبل بسبب متابعتهم فانهم باتباعهم للرؤساء قد حرّموا على انفسهم بعض المشتبهات وحرّموا عن جملة المشتبهات الاخرية [إِنَّهُمْ] اى الاشباع او الرؤساء او المجموع [كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ] عن النبى (ص) انه ذكر فتنة تكون بين اهل المشرق والمغرب، قال: فيناهم كذلك يخرج عليهم السفينانى من الوادى اليابس فى فور ذلك حتى ينزل دمشق فيبعث جيشين، جيشاً الى المشرق وآخر الى المدينة حتى ينزلوا بارض بابل من المدينة الملعونة يعنى بغداد فيقتلون فيها اكثر من ثلاثة آلاف، ويفضحون اكثر من مائة امرأة، ويقتلون بها ثلاث مائة كبش من بنى العباس، ثم ينحدرون الى الكوفة فيخرجون ما حولها ثم يخرجون متوجهين الى الشام فيخرج راية هدى من الكوفة فلحق ذلك الجيش فيقتلونهم

لا يفلت منهم مخبر، ويستنقذون ما في أيديهم من السبى والغنائم، ويحل الجيش الثاني بالمدينة فينبهونها ثلاثة أيام بليلاتها، ثم يخرجون متوجهين إلى مكة حتى إذا كانوا بالبيداء بعث الله جبرئيل، فيقول: يا جبرئيل اذهب فأبدِهِم، فيضربها برجله ضربة يخسف الله بهم عندها ولا يفلت منهم إلا رجلان من جهينة فلذلك جاء القول: وعند جهينة الخبر اليقين، فذلك قوله ولو ترى اذ فرعوا (الآية)، وورد أخبار كثيرة في تفسير الآية بخروج المهدي وجيش السفيناء نظير ما ذكر عن النبي (ص).

سُورَةُ فَاطِرٍ

مَكِّيَّةٌ كُلُّهَا، وَقِيلَ: الْآيَتَيْنِ، قَوْلُهُ: إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ (الآية) وقوله: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ (الآية) خمس أوست وأربعون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ] خالفهما [جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا] إلى أنبيائه وإلى أوصيائهم بالوحي والالهام والتحديث والرؤيا الصادقة، وإلى الصالحين من عباده بالالهام والتحديث والرؤيا، وإلى جميع خلقه بالالهام والرؤيا وإصلاح أمورهم وجيران نقائصهم وإخراج نفوسهم من القوى إلى الفعليات [أُولَى أَجْنَحَةٍ] بحسب العوالم التي يسبرون فيها ويطيرون بها لإصلاح أمورهم [مُثْنَى وَثُلُثَ وَرُبَاعَ] بحسب العوالم الثلاثة، الملك والملكوت والجبروت، ولا ينا في هذا ما ورد في أخبار كثيرة أن عدد جناح جبرئيل ست مائة ألف جناح، وأن درائيل له ست مائة ألف جناح وغير ذلك فإن المراد نوع الجناح وأن أنواع جناح الملائكة ثلاثة وأن كان لكل نوع أعداد عديدة من أفراد الجناح، وورد أخبار كثيرة في أوصاف الملائكة وكثرة عددهم وأن الله ملكاً ما بين شحمة أذنه إلى عينه مسيرة خمس مائة عام يخفقان الطير، وأن له ملائكة ما بين منكبي كل وشحمة أذنيه سبع مائة عام، وأن له ملائكة أنصافهم من برد أنصافهم من نار، وأن له ملائكة يسدون الأفق بجناح من أجنتهم دون عظم أبدانهم، وغير ذلك من أوصاف عظمتهم، وأنه ليهبط في كل يوم أوفى كل ليلة سبعون ألف ملك فيأتون البيت الحرام فيطوفون به ثم يصعدون إلى السماء بعد ما يأتون رسول الله (ص) وأمير المؤمنين (ع) والحسين (ع) ولا يعودون أبداً [يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ] إشارة إلى كثرة عددهم أو إلى كثرة أجنتهم وأن الاختصار على هذا العدد بحسب النوع لا بحسب الشخص، أو أن الاختصار على هذا العدد لبيان الكثرة لا للاختصار في هذا العدد، وإشارة إلى أن كثرة الأجنة جزء من أجزاء جمال خلقه ويزيد في جمالهم بحسب الصورة والهيئة والخلق وغير ذلك ما يشاء، وقد ورد عن النبي (ص) أنه الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن [إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ] من الزيادة في العدد والجمال والأجنة والأخلاق، وعن الثمالي قال: دخلت على علي بن الحسين (ع) فاحتبست في الدار ساعة ثم دخلت البيت وهو يلتقط شيئاً وأدخل يده من وراء الستر فتأوله من كان في البيت، فقلت: جعلت فداك هذا الذي أراك تلتقطه أي شيء هو؟ قال: فضلة من زغب الملائكة نجمعه إذا خلونا نجعله مسبحاً لا ولدنا، فقلت: جعلت فداك فأنتم ليأتونكم؟ -

فقال : يا با حمزة ليزاحمونا على تكاثرنا^(١) وقد ورد اخبار كثيرة ان الائمة يرون الملائكة ويصافحونهم وقد ذكرنا في سورة البقرة عند قوله تعالى : واثمهما اكبر من نفعهما في ذيل بيان مراتب الانسان والفرق بين الرسول والنبي والمحدث ، وجه ما ورد ان الرسول يرى الملائكة في المنام ويسمع كلامه ويعاينه في البقعة ، والنبي يرى في المنام ولا يعاين في البقعة ويسمع الصوت ، والمحدث لا يرى في المنام ولا يعاين ويسمع الصوت ، وقد ذكرنا هناك وجه عدم منافاة هذه الاخبار لما ورد منهم انهم يعاينون الملائكة ، من اراد فليرجع الى ما هناك [مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ] جملة حالية من قوله : ان الله على كل شيء قدير كأن الاولى كانت لعموم قدرته وهذه لعجز غيره عن ممانعته من نفوذ قدرته ، او مستأنفة جواب لسؤال مقدّر لبيان هذا المعنى ، او مستأنفة منقطعة عن سابقها لبيان قدرته وعجز غيره [فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ] من رحمة او ما يمسك من رحمة ونعمة ، او ما يمسك من نعمة ولعل هذا المعنى هو المراد لتلا ينسب امساك الرحمة اليه لانه ليس منه الا افاضة الرحمة على الدوام وانما الامساك يعنى عدم وصول الرحمة الى بعض القوابل ليس الا من قبلها لا من قبل الله [فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ] الذى لا يقدر على منازعته احد [الْحَكِيمُ] الذى لا يفعل ما يفعل الا بملاحظة غايات عديدة دقيقة لا يمكن دركها الا له والا باتقان في الصنع بحيث يعجز عن ادراك كيفيته عقول العقلاء [يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ] من غاية رحمته بعباده ، كرّر تذكير نعمته عليهم حتى لا ينسوها ويقوموا بحق شكرها وناداهم قبل الامر بذكر النعمة ليكونوا ملتذّين بندائه فيصنفوا الى امره حق الاصغاء ، وقد تكرر في ماسبق ان اصل النعمة الولاية التكوينية التى يعبر عنها بحبل من الله والولاية التكليفية التى يعبر عنها بحبل من الناس وكل ما كان متصلاً بتلك الولاية فهو نعمة بسببها ، وكل ما كان منقطعاً عن الولاية كائناً ما كان كان نعمة [هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ] جملة حالية عن النعمة او عن الله بتقدير القول او مستأنفة جواب لسؤال مقدّر بتقدير القول ، او مستأنفة لمدح النعمة [يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ] بتهبة الاسباب السماوية [وَالْأَرْضِ] بتهبة الاسباب الارضية ، او من السماء بالرزق الانساني والارض بالرزق الحيواني والنباتى [لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ] حالية او مستأنفة لبيان حال الله او لتعليل حصر الرزق فيه او للمدح [فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ] اى تصرفون عنه [وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ] فلا تحزن عليهم فان الرسول لا بد وان يكذب لعدم سخيته لهم وهكذا كانت سنتنا قديماً [فَقَدْ كَذَّبَتْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ] فندكر حالهم وحال امهم في تكذيبهم حتى لا تحزن على تكذيب قومك [وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ] يعنى اليه تنتهى انت ومكذبوك فيجازى كلاً بحسبه او الى الله ترجع الامور بعد النظر الدقيق فاليه يرجع تكذيبهم بمعنى ان ليس تكذيبهم الا بامر تكويني وترخيص من الله لمصلحة عائدة اليك والى امتك فلا تضيقن لذلك [يَا أَيُّهَا النَّاسُ] ناداهم تلطفاً بهم لتهيجهم للاستماع وصرف الخطاب عنه (ص) الى المكذبين بعد تسليته ردعاً لهم عن تكذيبهم او الى مطلق العباد وعداً وعيداً لهم [إِنْ وَعَدَ اللَّهُ] بالشواب والعقاب [حَقٌّ] لا خلف فيه [فَلَا تَغُرَّنَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا] فتغفلوا عن وعده الله ولا تعملوا له [وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ] اى الشيطان بان يمتيكم المغفرة ويؤخركم التوبة [إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ] فاذا كان عدواً لكم [فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا] ولا توافقوه فيما يأمركم به وكونوا منه على حذر [إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ]

(١) التكاثر بضم التاء والتحرير كهمزة ما يتكئ عليه ومنه حديث اهل البيت : وانهم يعنى الملائكة ليزاحمونا على

تعليل لعداوته وتأكيده للامر بالحذر منه [الَّذِينَ كَفَرُوا] جواب لسؤال مقدّر كأنه قيل: فما حال حزبه؟ فقال: [لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ] ووضع الظاهر موضع المضمحل يكون إشارة الى ان حزبه كافرون وكفروهم صاروا من اصحاب السعير [وَالَّذِينَ آمَنُوا] بالكفر به والبيعة مع ولي امره البيعة الخاصة او العامة [وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ] بالبيعة الخاصة ان كان المراد بالايمان البيعة الاسلامية او بالعمل بالشروط المأخوذة عليه في بيعته ان كان المراد بالايمان البيعة الخاصة [لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ] أفمن زين عطف على محذوف تقديره امن اتبع الشيطان ولم يرقح عمله كمن اتبع ولي امره ورأى قبائح اعماله ونقائصها فمن زين [لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا] فضلاً عن رؤية قبحه كمن لم يزين عمله بل رأى اعماله الحسنة قبيحة في حضرة مولاه [فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ] تعليل لقوله زين كأنه قيل: زين لا اتباع الشيطان عملهم وقبح لا اتباع الرحمن اعمالهم لان الله يضل عن الطريق المستوى الذي هو عدم رؤية حسن العمل المنسوب الى النفس كائناً ما كان اذا كان الامر كذلك [فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ] فلا تهلك نفسك لتتابع الحسرات لاجل اتباعهم للشيطان [إِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِمْ بِمَا يَصْنَعُونَ] تعليل للنهي [وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ] عطف على قوله ان الله يضل من يشاء وتعليل لهداية بعض واضلال بعض ورؤية بعض حسن اعماله السيئة ورؤية بعض قبح اعماله الحسنة كأنه قال: الله الذي يرسل رياح اهوية النفوس فتثير سحاباً فيحبى به بعض النفوس ويهلك بعضاً [فَتُثِيرُ سَحَابًا فُسْقَنَاهُ] النفات من الغيبة الى التكلم [إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ] مستعد للاحياء [فَأَحْيَيْنَاهُ بِهِ الْأَرْضَ] اى ارض ذلك البلد بالنبات واخضرار الاشجار [بَعْدَ مَوْتِهَا] عن النبات وعن اخضرار الاشجار وكذلك يرسل الله الرياح النفسانية والعقلانية ورياح حوادث الزمان ويسوق سحاب الرحمة بها الى بلاد نفوسكم اليابسة عن نبات الايمان فيحبى به النفوس المستعدة ويهلك النفوس الجافة القاسية [كَذَلِكَ النُّشُورُ] من قبور نفوسكم وغلاف ابدانكم ومن قبور براز حكمم فان القوى والاستعدادات المكمونة في الابدان والنفوس مثل الحبوب والعروق المكمونة في الاراضى وخروجها من القوة الى الفعلية بأماطار الرحمة الالهية، كخروج الحبوب والعروق بالنبات والاشجار والاوراق بأماطار السحاب [مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْغَزَا] منقطع عن سابقه لفظاً ومعنى لا بداء حكم ونصح، او جواب لسؤال ناش من سابقه كأنه قيل: فما بفعل من كان يريد الغزاة ايطلبه من غير الله؟ مع ان احياء نبات الارض بيده او لا يطلبه الا من الله؟ فقال: من كان يريد الغزاة فلا يوجد الغزاة الا عند الله [فَلِلَّهِ الْغَزَا جَمِيعًا] فلا يطلب الغزاة احد من احد الا من الله لعدم وجدانه عند احد غير الله [إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ] الكلم لكونه اسم جنس جمعى يعامل معه معاملة المفرد المذكور والجملة جواب لسؤال مقدّر كأنه قيل: لا يمكن لنا الوصول الى الله حتى نطلب الغزاة من عنده، فقال: ان كان لا يمكن لكم الوصول الى الله بذواتكم يصل اليه كلماتكم الطيبة والاقوال الصالحة من الاذكار العالية واقوالكم لاصلاح ذات البين والتصحح للعباد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وتعليم العلوم وهداية الخلق الى الطريق وغير ذلك من الاقوال [وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ] الاركانى [يَرْفَعُهُ] فقولوا قولاً طيباً واعملوا عملاً صالحاً تُعْرَضُوا، وعن الصادق (ع): الكلم الطيب قول المؤمن: لا اله الا الله، محمد رسول الله (ص)، على ولي الله (ع) وخليفة رسول الله (ص)، والعمل الصالح الاعتقاد بالقلب ان هذا هو الحق من عند الله لا شك فيه من رب العالمين، وعنه (ع) في هذه الآية قال: ولا يتناهل البيت، واومى بيده الى صدره، فمن لم يتولنا لم يرفع الله له عملاً، وعن الباقر (ع) قال:

قال رسول الله (ص): ان لكل قول مصداقاً من عمل يصدق به فإذا قال ابن آدم وصدق قوله بعمل رفع قوله بعمله، وإذا قال وخالف عمله قوله ردّ قوله على عمله الخبيث وهوى في النار، ولما كان اصل جميع الكلم الطيب هو كلمة الولاية والقول بها والا اعتقاد بها صح تفسير الكلم بالولاية، ولما كان اصل جميع الصالحات هو عمل الولاية التي هي البيعة الخاصة بالولاية التي يترتب عليها جميع الخيرات وجميع الاعمال الصالحات ولا يصير الصالح صالحاً الا بها صح تفسير العمل الصالح بها مع ان الآية عامة لجميع الكلمات وجميع الاعمال [وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ] عطف باعتبار المعنى كأنه قال: فالذين يعملون الصالحات برفع أقوالهم وأعمالهم الى الله ويعزّون بها والذين يمكرون السيئات كقريش ومكرهم في دار الندوة، او كمنافقي الامة ومكرهم في دفع خلافة علي (ع) ولكل من يمكر السيئة بالنسبة الى العباد او الى قوى نفسه واهل مملكته، فان كل من يعصى ربه فهو يمكر في ارتكاب معصيته لاختفاء النفس قبح فعله عليه واظهارها حسنة لديه [لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ] بالفعل لكنه لا يحسن به مثل صاحب الخدر الذي يحرق عضوه النار ولا يحسن به فان السيئة نفسها عذاب عاجل للطيفة السيارة الانسانية واختفائها تحت فعليات النفس لا تحسن به [وَمَكْرُؤٌ وُلِيكَ هُوَ يَبُورُ] يهلك او يفسد لانه من النفس والنفس ولو ازماها لكة فاسدة، تسلياً للرسول (ص) في مكرهم به او بعلي (ع) [وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ] عطف باعتبار المعنى او على مقدّر كأنه قال: فانه اعزكم بالكلم الطيب والعمل الصالح، والله اذلكم بمكر السيئات، والله خلقكم [مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا] بالذكورة والانوثة او جعلكم اصنافاً من الذكر والانثى، والابيض والاسود، والدميم والحسن، والشقي والسعيد [وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى] منكم او من مطلق الحيوان [وَلَا تَضَعُ] جنبها [إِلَّا بِعِلْمِهِ] فلا يعزب عنه شيء فكيف يعزب عنه مكر اولئك او عمل المؤمنين [وَمَا يَعْمرُّ مِنْ مَّعْمَرٍ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ] معناه ما يبلغ عمر معمر عمره الطبيعي او قريباً منه او ازيد، وما ينقص من عمره الطبيعي والعمر القريب منه الا حال كونه ثابتاً في كتاب هو الكتاب الذي كتبه الملائكة المصورّة حين تصويره في رحم امه، او الكتاب الذي هو عالم العقول، او الكتاب الذي هو عالم النفوس الكلّية او الجزئية، او المعنى الا حال كونه يكتب بعد اعطاء العمر ونقصانه في كتاب هو كتاب اعماله الذي يكتبه الملائكة الموكلة عليه، او هو كتاب المحو والاثبات الذي يكتب فيه ما يظهر من استعداد المستعدين من اهل عالم الطبع فيه بعد ظهور الاستعداد، وهذه الآية بهذا الوجه تدل على ثبوت البداء الذي ورد في اخبار كثيرة.

تحقيق البداء

اعلم، ان الآيات والاخبار تدل بالصراحة والاشارة على ثبوت البداء لله وقد ورد في الاخبار نسبة التردد في الامر اليه تعالى، وورد ما يدل على تأثر الله من فعل العباد مثل اجابة الدعوات وتغيير الامر والعمر بالصدقات والصّلات والشكر والكفران وسائر الحسنات والسيئات، وكل ذلك يدل على ان الله قد يظهر فعلاً ثم يتركه ويظهر غيره كالنّادم من فعله الاول والمظهر لغيره، ويدل بعضها على كون فعل الله تابعاً لفعل العباد، ولذلك انكرت الفلاسفة كل ذلك وأولوا ما ورد في الآيات والاخبار من امثال ذلك لان ذلك كله يدل على عجز الله ونقصانه في فعله، وجهله بعاقبة بعض افعاله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. فنقول: بيان ذلك يستدعي تحقيق العوالم وبيان حقيقة كل عالم وبيان ان العوالم كلّها مراتب علم الله وارادته وان بعض العوالم لضيقه لا يسع ظهور جميع فعليات ما في العالم الاعلى ولا يظهر فعليات ما في العالم الاعلى فيه الا على التعاقب، كما ان عالم الطبع لا يسع ظهور فعليات جميع الصور فيه الا على التعاقب، فاعلم، ان العوالم بوجه ثلاثة، وبوجه ستة، وبوجه سبعة، لانها امام مجردة ذاتاً وفعلان عن المادة والتقدّر، او مجردة ذاتاً متعلقة فعلاً او متعلقة ذاتاً وفعلان بالمادة، والاولى هي عوالم العقول الطولية المعبر عنها في لسان التشريع بالملائكة المقربين وعوالم العقول العرضية التي يعبر عنها بآباب الطلسمات والصّافات

صفاً ، والثانية هي عوالم النفوس الكلية والجزئية المعبر عنها بالمدبرات أمراً ، والملائكة الركع والسجد ، وعوالم المثال العلوى والسفلى ، والثالثة هي عوالم الطبع التى وجودها وجود تعلقى مادى ، وان العوالم كلها معلولة لله تعالى ، وان العلوية ليست كما توهمها المتوهمون مثل علوية البناء للبناء والنار للنار ، والشمس للتبويض والتسويد ، بل هي بالتشأن بمعنى ان المعلول لا بد وان يكون شأناً من العلة ومتقوماً بها لان تقابلها تقابل التضائف والمتضائفان غير منفكيتين فى الخارج وفى الذهن فلو لم يكن العلة داخلة فى قوام المعلول والحال ان المعلولية عين ذات المعلول كان تصور المعلول لمن تصوره بكنهه منفكاً عن تصور العلة ، والعلوية فى الحق الاول تعالى عين ذاته كما ان المعلولية فى الممكن عين ذاته ، وان ذات العلة علم و ارادة كلة كما انه وجود كلة ، ولما لم يكن قوام المعلول فارغاً من العلة كان قوامه علماً و ارادة لله تعالى وان المجردات الصرفة كلما كان لها بالامكان كان حاصلها لها بالفعل لعدم القوة والاستعداد فيها وان النفوس الكلية من حيث ذواتها وتجردها الذاتى كلما كان فى العقل بالفعل كان فيها ايضاً بالفعل لكن بنحو البساطة والوجود الوحدانى لانبحو الكثرة ولذلك كانت النفوس الكلية لوحاً محفوظاً من التغير والتبدل لا يتطرق اليها المحو والاثبات ، وان النفوس الجزئية العلوية التى لها تعلق بعالم المادة بتوسط عالم المثال العلوى لضيقها عن الاحاطة بالجزئيات الغير المتناهية ليس كلما فيها بالقوة يكون بالفعل بل يتعاقب عليها الفعليات وتخرج من القوى والاستعدادات بحسب قرب استعداداتها الى الفعليات من اجل تعلقها بالماديات ، او بحسب تقرب تشبهاتها المتعاقبة بالعلويات استعداداتها الى الفعليات كالنفوس الخيالية للانسان فى انها تتعاقب عليها الفعليات لاجل ضيقها وعدم احاطتها بجمليتها دفعة وقرب استعداداتها الى الفعليات الطيبة او الردية باعداد العبادات والمعاشرين والافكار الطيبة والردية وغير ذلك ، وان النفوس الجزئية العلوية كالنفوس الجزئية البشرية لها وجه الى الماديات به تتأثر منها وتستعد لاخذ الفعليات من العلويات ، ووجه الى المجردات به تأخذ من المجردات ما قرب استعداداتها منه ، وكلما استعداد مادى من الماديات لحصول صورة او كيفية فيه يفيض صورة تلك الصورة او الكيفية من المجردات على تلك النفوس الجزئية العلوية ولكن لضيقها لا يثبت فيها جميع شروطها وجميع معداتها وموانعها ، فاذا اتصل بعض النفوس البشرية كنفوس الانبياء واصحابهم (ع) فى النوم واليقظة بتلك النفوس الجزئية يشاهد فيها ما ثبت فيها من الصور والكيفيات ويرى فيها وقوع الحادثة فيخبر احياناً بتلك الحادثة ، ثم يرى بعد ذلك تخلف تلك الحادثة وعدم وقوعها ويرى محوها من تلك النفوس وثبت ضدها فيها فيقول على سبيل المشاكلة : بدا لله تعالى فيها او يقول حقيقة : بدا لله تعالى لان تلك المرتبة من النفوس هي علم الله و ارادته ومحو الارادة الاولى وثبت الارادة الثانية ليس الا البدء وليس ذلك من جهل وعجز فى الفاعل بل هو من ضيق القابل ، وقد يثبت فى تلك النفوس صورة الحادثة مع جميع الشرائط والمعدات والموانع لكن المتصل بها لضيق مداركه عن الاحاطة بجميع ما فيها لا يدرك جميع الموانع والشروط فيخبر بصورة الحادثة ثم تنحلف الحادثة فيقول : بدا لله تعالى ، ولما كان تلك النفوس المتأثرة من الماديات واعداد الماديات يفيض عليها من المجردات وكانت هي من مراتب ارادته تعالى صبح نسبة التردد بواسطتها الى الله تعالى وصح تأثير الصدقات والدعوات والمصلات فيها وتغيير ما فيها ومحو المثبت وثبت الغير المثبت فيها بواسطة ذلك ، وما قاله الفيلسوف من : انها من الاتفاقيات ولا تأثر للعلوى من السفلى ، لا يصحى اليه ، بعد شهود اهل الشهود وامكان ذلك فيها ، وما ورد عن الصادق (ع) انه يبعث عبد المطلب امة واحدة عليه بهاء الملوك وسيماء الانبياء (ع) وذلك انه اول من قال بالبدء فالمقصود انه اول من حقق البدء فى حقه تعالى والا فأكثر الانبياء (ع) والسلف كانوا قائلين بالبدء كما وصل اليها من اخبارنا [**إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ**] كما ذكرنا ان ذلك من لوازم وجود النفوس الجزئية العلوية

لا حاجة له فيه الى تعمل وتمهيد اسباب [وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ] قدمضى فى سورة الفرقان بيان للبحرين [وَمِنْ كُلِّ تَآكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَازِيرَ] الفلك المواخر التى يسمع صوت جريها او تشق الماء بجؤجؤها ، او المقبلة والمندبرة بريح واحدة [لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ] اى من فضل الله بالتجارات الرباحة [وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ] النعمة التى اودعها الله تعالى فى الفلك والبحرين [يُولِجُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ] قدمضى بيان هذه الكلمة فى اول سورة آل عمران [وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى] قدمضى الآية فى اول الرعد وفى غيرها [ذَلِكُمْ] الموصوف بتلك الاوصاف [اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ] عالم الملك مقابل الملكوت ، او الملك بمعنى كل مملوك لا شركة لغيره فى عالم الملك كما يقوله الثنوية ، ولا فى شيء من الممالك كما يقوله بعض العابذين للملائكة وجميع الثنوية [وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ] من دون اذنه كمن يدعو مقابلى ولى الامر او حالكونهم بعضاً من غيره لكل معبود سواه ولم يأذن تعالى فى اشراكه [مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ] اى الجلد الرقيقة التى تكون على ظهر النواة ، او شق النواة ، او القشرة التى تكون فيه او النسكة البيضاء التى فى ظهرها [إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بَشِرْ كُفْرَكُمْ] الاوصاف مترتبة فى الترتل كأنه تعالى اضرب عن كل الى الآخر [وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ] على الاطلاق وهو الخبير بمجمل الامور وهو الله تعالى [يَا أَيُّهَا النَّاسُ] ناداهم تلطفاً بهم وثبينا لغناه وفقدهم [أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ] تعريف المسند لارادة الحصر رداً لمن قال : ان الله فقير ونحن اغنياء [وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ] اعلم ، ان الفقر والحاجة فى الممكن عين ذاته الوجودية ، بمعنى ان وجوده وتعلقه والتعلق عين ذاته لان وجوده شيء والتعلق صفة له وهذا النحوم الوجود لا يكون له شأن الا الفقر والفاقة والتعلق ، وان وجوده تعالى وجود غنى بذاته عن كل ما سواه وان الغنى عين ذاته تعالى كسائر صفاته وهذا النحوم الوجود لا شأن له سوى الغنى ولا يتجاوز الغناء عنه الا به تعالى وكل من كان الغناء عين ذاته يكون حميداً على الاطلاق بمعنى انه لا يكون حميد الا وهو لانه لو وجد صفة كمال لم تكن هى الله تعالى كان مفتقراً اليها فاقداً لها ولم يكن غنياً على الاطلاق [إِنْ يَشَاءُ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ] هذه من القضايا التى يكون فيها وضع المقدم دائماً كأنه قال : لكنه يشاء ذلك او من القضايا الفرضية التى لا وضع لمقدمها كأنه قال : لكن لم يشأ ذلك فلم يذْهِبْكُمْ ، على ان يكون المعنى ان يشأ يذْهِبْكُمْ قبل آجالكم [وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ] اى شديد حتى يكون متعذراً او متعسراً عليه وهذه الجملة تأكيد لغناه وفقدهم اليه [وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ] اى نفس قابلة لان تزر وزراً [وَزَرًا أُخْرَى] فلا تغترا بما قيل لكم : نحن نحمل خطاياكم ، وقوله تعالى وليحملن اثقالهم واثقالاً مع اثقالهم لا بنا فى ذلك لان معناه ليحملن اثقالاً ناشئة من اضلالهم مع انه لا يخفف من اثقال من اضلوهم شيء لانهم يحملون اثقال من اضلوهم فيصير الاتباع خالين من الاثقال [وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ] اى ان تدع نفس مثقلة من الاوزار [إِلَى حِمْلِهَا] الحمل بالكسر ما يحمل يعنى ان تدع كل ما يمكن ان يدعى من الله وخلفائه ومن الشركاء الله ومن الشركاء فى الولاية ومن كل نفس بشرية ومن كل ما يحمل شيئاً من اصناف الحيوان [لَا يُحْمَلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ] المدعو [ذَاقِرَبًى] له رحيماً عليه بفطرة قرابته [إِنَّمَا تُنذِرُ] جواب لسؤال مقدّر كأنه قيل : فما لهم لا يخافون من سوء العاقبة

مع هذه الانذارات؟ فقال: انما تنذريا من ينذر، او يا محمد (ص) [الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ] يعنى تنذر من كان فطرته الانسانية التى شأنها خشية الرب باقية فيهم حال كونهم بالغيب من الرب او حال كون الرب بالغيب منهم [وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ] الفطرية التى هى الجبل من الله الذى هو الولاية التكوينية يعنى ان الانذار من جهات الكفر لا ينفع الا من كان هذه حاله لا غيره [وَمَنْ تَزَكَّى] فى مقام وآتوا الزكوة لكنه عدل الى هذا لافادة هذا المعنى مع شيء زائد [فَيَنْمَازْ تَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ] فيجازيهم على اقامة الصلوة وابتاء الزكوة [وَمَا يَسْتَوِ الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ] فى تميز الاشياء وفى تميز الحسن والقيبح والضار والنافع حتى يتساوى الذين لا يخشون ربهم مع الذين يخشون فى الانذار [وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ] حتى يستوى الذين يستنير قلوبهم بنور العلم فيخشون ربهم بذلك مع غيرهم [وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحُرُورُ] قيل: المعنى ولا الجنة ولا النار، وقيل: ولا الليل ولا النهار، او المعنى ولا البرد ولا السموم، فان الحرور اسم للسموم وكل ذنبك المتقابلين كناية عن المؤمن وايمانه والكافر وكفره، او هو ممثل به والمؤمن وايمانه والكافر وكفره هو الممثل له [وَمَا يَسْتَوِ الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْواتُ] اى الاحياء بالحيوة الايمانية الفطرية او الايمانية التكليفية اللتين يعبر عنهما بالعقلين وبالولاية التكوينية والتكليفية [إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ] التى هى قبور اجسادهم الميتة وهؤلاء حالهم حال من كان ميتاً واقفاً فى قبره، او ما انت بمسمع من كان متغمر فى قبور نفوسهم الحيوانية وابدانهم الطبيعية [إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ] سمعوا او لم يسمعوا [إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ] اى بالولاية فانتها الحق المطلق وكل ما سواه حتى بحقيقته [بَشِيرًا وَنَذِيرًا] للمؤمن والكافر [وَلَنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ] يعنى ما اهلنا امة من الامم بل بعثنا فى كل امة نذيراً من نبي او وصى نبي، فى حديث عن الباقر (ع): لم يمت محمد (ص) الا وله بعث نذير قال: فان قيل: لا، فقد ضيع رسول الله (ص) من فى اصحاب الرجال من امته، قيل: وما يكفيهم القرآن؟ قال: بلى، ان وجدوا له مفسراً، قيل: وما فسر رسول الله؟ قال: بلى، قد فسر له لرجل واحد وفسر للامة شأن ذلك الرجل وهو على بن ابي طالب (ع). اعلم، انه تعالى جعل غاية خلق العالم بنى آدم، وجعل غاية خلق بنى آدم ولاية على بن ابي طالب (ع) سواء كانت ظاهرة فى هيكل النبوة او الرسالة او الخلافة وليس المراد بالنذير الا الرسول والنبي او خليفتهما، فلو لم يكن فى العالم حيناً نذير بطل الخلق ولم يكن لها غاية، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، فلم يكن عالم الا وكان فيه آدم، ولم يكن آدم الا وكان له نذير وهكذا لم يبق العالم بلا آدم ولا نذير [وَلَا يُكَذِّبُوكَ] فلا تحزن فان هذه سنة قديمة [فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ] قد مضى فى آخر آل عمران هذه الكلمات [ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا] يرسلهم وكذبوهم [فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ] بالعقوبة لهم تهديد للمكذبين [أَلَمْ تَرَ] الخطاب خاص بمحمد (ص) ولا اشكال فانه يرى ان الله انزل من السماء ماء، او عام فالمعنى انه ينبغي ان يرى كل راء ذلك لانه لو لم يكن بصره محجوباً كان يرى ذلك فهو ملوم على ان لا يرى [أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ] لما كان انزال الماء من السماء بتوسط الاسباب الطبيعية الظاهرة على الابصار والعقول اتى بالله بلفظ الغيبة كانه تعالى عند ذلك غائب عن الابصار والظواهر عليها هو الاسباب بخلاف اخراج الثمرات فان الاسباب الطبيعية فيه خفية عن الابصار فكان الناظر اليه لا يرى بتوسط الاسباب ويرى المسبب عنده

فلذلك التفت من الغيبة الى التكلم [مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ] جمع الجُدَّة بالضم الطريقة مثل الجادة وهو عطف على محل معمولي أن، او عطف على جملة ألم تر فأنه في معنى انت ترى البتة، احوال والمقصود ان انزال الماء من السماء واخراج الثمرات المختلفة من الماء الواحد واختلاف جدد الجبال المتحدة في الحجرية كلها تدل على قدرته وعلمه وادارته [بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا] اي الوان البيض بالكدره والشفافة، وكذلك الحمر باختلاف الوانها [وَعَرَابِيبٌ سُودٌ] جمع الغريب تأكيد الاسود وكان حقه ان يقول سود غريب لكنه عكس للتأكيد ولقصد بيان الغريب [وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ] الضمير راجع الى البعض المستفاد من لفظة من [كَذَلِكَ] متعلق بمختلف اي مختلف الوان المذكورات مثل اختلاف جدد الجبال واختلاف الثمار [إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ] جواب لسؤال مقدّر كأنه قيل: لم لا يخشى الناس من الله مع هذه الدلائل وتلك الانذارات؟ فقال: لا ينع الدلالات والانذارات لمن لم يقذف الله في قلبه نور العلم، ولما كان اغلب الناس خالين من نور العلم لا ينفع هذه فيهم.

اعلم، ان الانسان له مراتب ولكل مرتبة منه خوف ورجاء ونحو من العلم غير ما للمرتبة الاخرى، فالولي مراتبه مرتبة نفسه الامارة، وفي تلك المرتبة لا تسمى ادراكاته الا ظنوناً ولا يكون ادراكاته الا محصورة على لوازم الحياة الدنيا فان ذلك مبلغها من العلم ولا يكون خوفه ورجاؤه الا فيما يتعلق بالحياة الدنيا، وثانية مراتبه مرتبة نفسه اللوامة وفي تلك المرتبة يختلط ادراكاته من الظنون والعلوم والذوق والوجدان لانه قد يظهر حيث يشاء بشأن النفس الامارة فيحكم عليه باحكامها، وقد يظهر بشأن النفس المطمئنة فيحكم عليه باحكامها، وثالثة مراتبه مرتبة النفس المطمئنة وفي تلك المرتبة يكون ادراكاته علوماً وذوقاً وجداناً، وخوفه يكون من الله ومن سخطاته وفراقه ويسمى ذلك الخوف خشية لان الخشية حالة حاصلة من امتزاج استشعار القهر واللطف والخوف والمحبة، وما لم يصل الانسان الى ذلك المقام لم يحصل له محبة ما لله فلم يحصل له خشية ما منه وكان خوفه خوفاً صرفاً من قهره فقط اذا كان له خوف، ورابعة مراتبه مرتبة قلبه وفي تلك المرتبة يكون ادراكاته شهوداً وذوقاً وجداناً ويكون خوفه هبة فان المشاهد لا يرى الله الا محيطاً بنفسه وليس شأن المحاط الا الهيبة من المحيط وبعد ذلك يكون التسطوة والتسحق والمحق [إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ] تعليل لخشية العلماء فان العزة يستلزم الخوف الذي هو احد جزئي الخشية، والغفران يستلزم المحبة التي هي جزء آخر منها، عن الصادق (ع) يعني بالعلماء من صدق قوله فعلمه ومن لم يصدق قوله فعلمه فليس بعالم، وعن السجاد (ع): ما العلم بالله والعمل الا لفان مؤتلفان، فمن عرف الله خافه وحبته الخوف على العمل بطاعة الله، وان ارى باب العلم واتباعهم الذين عرفوا الله فعملوا له ورجعوا اليه وقد قال الله: إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ [إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ] جواب سؤال مقدّر كأنه قيل: فما لمن يخشى الله؟ فقال: ان الذين يخشون الله لكنه ابد له بما ذكر في الآية للاشعار بان الذين يخشون الله يتلون كتاب الله [وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً] قد مضى في اول البقرة بيان هذه الكلمات والاختلاف بالمضى والاستقبال في تلك الافعال لا يخفى وجهه على الفطن [يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ] لن تفسد والمعنى انهم بانفسهم يرجون ذلك او يرجي لهم تجارة لن تبور فينبغي ان يرجوا بانفسهم ذلك [لِيُؤْتِيَهُمْ أَجْرَهُمْ] تعليل للرجاء اوللتجارة، او لقوله لن تبور او لقوله يتلون والمعطوفات عليه [وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ] فلا يحاسبهم على مساويهم فيصبر ترك المحاسبة زيادة من فضله [شُكُورٌ] فيزيدهم لامحالة

بمقتضى شكره [وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ] عطف على أن الذين يتلون كتاب الله أو على مدخول أن وجه المناسبة بينهما أن السامع كأنه تردّد في أن كتاب الله الذي مدح الله تاليه هو مطلق احكام النبوات من احكام نوح وهود وصالح و ابراهيم وموسى وعيسى (ع) ومطلق الكتب السماوية من صحف ابراهيم والتوراة والانجيل والقرآن فعطف وقال: أن الذي أوحينا اليك من كتاب النبوة ومن صورة القرآن [هُوَ الْحَقُّ] لاحق سواء فلا يتوهم متوهم أن المذكورات ايضاً حق ينبغي تلاوتها فانها صارت منسوخة [مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ] ولما توهم من حصر الحق فيما اوحى اليه بطلان المذكورات اضاف اليه قوله مصدقاً لما بين يديه من الشرائع والكتب حتى يحقق بذلك حقيقتها ايضاً [إِنَّ اللَّهَ بَعِثَ فِيهِ لَخَبِيرٌ] فيعلم بواطن امورهم [بَصِيرٌ] فيعلم ظواهر امورهم فلو لم يكن فيك ما يقتضى ابعاء مثل هذه النبوة التي هي خاتم النبوات والرسالات ومثل هذا الكتاب الذي هو خاتم الكتب ومهيمن عليها لما اوحى اليك [ثُمَّ أَوْزَنَّا الْكِتَابَ] عطف على أن الذين يتلون كتاب الله باعتبار عقد الوضع اوعلى الذي اوحينا اليك من الكتاب باعتبار عقد الوضع ايضاً، والمراد بالكتاب هو احكام الرسالة والنبوة والقرآن صورتها، وبراثنها عبارة عن قبولهم تلك الاحكام بالبيعة العامة الصحيحة الاسلامية، او قبولهم تلك البيعة الخاصة الایمانية [الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا] بقبولناهم اي بقبول خليفتنا لهم بالبيعة [فَجَعَلْنَاهُمْ ظَالِمًا لِنَفْسِهِ] بوقوفه في مريض بهيميته وسبعيته وشيطنته من غير خروجه الى انسانيته [وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ] وهو الذي خرج الى انسانيته ولم يبلغ الانتهاء في ذلك ولم يرجع لتكميل غيره [وَمِنْهُمْ سَابِقٌ] لكل من سواه [بِالْخَيْرَاتِ] جميعاً [بِإِذْنِ اللَّهِ] او بجنس الخيرات وهو الذي بلغ منتهى ما ينبغي ان يبلغ بحسب شأنه واستعداده ثم رجع لتكميل غيره فانه سبق غيره بجمله الخيرات او ببعضها.

وهذه الآية بهذا التفسير تشمل كل من باع البيعة العامة الاسلامية الصحيحة لا البيعة الفاسدة كالذين باعوا مع خلفاء الجور سواء باع البيعة الخاصة الایمانية ام لا، وسواء ترقى عن مقامه الذي كان فيه قبل البيعة او لم يترق، او لا تشمل الا الذي باع البيعة الایمانية فان المسلم وان كان له نسبة النبوة الى من باع معه البيعة الاسلامية، ونسبة الاخوة الى من باع تلك البيعة لكنها لغاية خفائها كأنها لم تكن ولذلك كانت تلك النسبة لم يبلغ سلطانها الى الآخرة ولا يحصل منها الا حفظ الدّم والمال والعرض وجريان المناكح والموارث، والاجر لا يكون الا على الايمان، فالوارث من النسب او خليفته ليس الا من باع معه البيعة الایمانية وبذلك البيعة يتحقق نسبة الابوة والنبوة بينهما، ونسبة الاخوة بينه وبين سائر المؤمنين ويكون سلطانها باقياً الى الآخرة، هذا بحسب ظاهر الآية فان الداخلين في الاسلام والداخلين في الايمان بقدر قوة نسبتهم وضعفها الى الرسول (ص) وارثون منه كتاب الرسالة وارثون منه كتاب القرآن لكن ورد اخبار كثيرة جداً في تخصيص الوارثين والمصطفين باولاد فاطمة (ع)، وان الآية نزلت في الفاطميين وانهم مغفور لهم على ظلمهم، وانه لا يدخل فيهم من اشار بسيفه ودعا الناس الى ضلال، وفي بعض الاخبار انها لآل محمد (ص) خاصة ولعلّ التخصيص بالفاطميين او بآل محمد (ص) للاشارة الى شمول الآية للبايعين البيعة الخاصة الایمانية دون البايعين البيعة العامة فانه ورد عنهم (ع) ان شيعتنا الفاطميون والعلويون والهاشميون، ولوحصصت الآية باولاد فاطمة (ع) اولادها الجسمانيين كما في بعض الاخبار من التلويع اليه لما كان بعيداً فانهم الوارثون حقيقة والمصطفون واقعاً، وغيرهم من شيعتهم وارثون بايرائهم ومصطفون باصطفائهم وتبعيتهم، وورد ان الظالم لنفسه الذي لا يقر بالامام، والمقتصد العارف بالامام، والسابق بالخيرات الامام، وفي بعض الاخبار فسر الظالم بمن لا يعرف حق

الامام ، وعن الصادق (ع) : الظالم يحوم حول نفسه ، والمقتصد يحوم حول قلبه ، والسابق يحوم حول ربه ، وبهذه المضامين اخبار كثيرة ، ويستفاد من جملتها ان ذرية فاطمة (ع) الجسمانيون ان لم يعرفوا امامهم ولم يبايعوا معه كانوا مغفوراً لهم ، والبائعين مع الامام البيعة الخاصة ان لم يخرجوا من حدود انفسهم ووقفوا في مهاوى انفسهم مغفور لهم بمحض حصول النسبة الايمانية من غير الوصول الى دار الايمان ، لكن : اقول لكم اخواني : لا تغتروا بامثال ذلك حتى لا تجتهدوا في الخروج من مهاوى انفسكم وتقفوا على ملذات البهيمية ولا تعرفوا من الفقر الا الحلق والدلق لانكم لو ابقيتكم النسبة الى الموت كان ذلك لكم بل لكم المغفرة بل الترقى الى الدرجات العالية ولوجتكم بساتين الجن والانس ، لكن ابقاء تلك النسبة مع عدم المبالاة بحفظها وعدم الاجتهاد في الخروج عن مقام البهيمية في غاية الاشكال ولوقطعت تلك النسبة العياد بالله لكان عذاب المنقطع النسبة عذاباً لا يعذب الله احداً بذلك العذاب ، فكونوا على حذر من قطعها ، حفظني الله واياكم ووقفني واياكم [ذَلِكَ] الاصطفاء والابرار او السبق بالخيرات [هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ جَنَّاتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا] قرئ برفع جئات عدن مبتدء وخبر ، او قرئ بنصبها منصوباً على شريطة التفسير ، او بدلاً من الكتاب بدل الاشتمال ، وعلى الوجهين تكون الجملة جواباً لسؤال مقدّر ، وقرئ يدخلونها مبنياً للمفعول [يُدْخَلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا] قرئ بالجر والنصب [وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ] لائق بالجنة لا من جنس حرير الدنيا [وَقَالُوا] بعد ما رأوا مقامهم وطهارتهم عن كل ما لا يليق بالانسان [الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ] على ما يليق انسانيتنا [إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ] لانه اذهب وسرّع علينا ما يحزننا [شُكْرًا] اعطانا على قليل اعمالنا بواسطة نسبتنا الى اوليائنا ما كنا لانصوّر اعطاه [الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ] اي دار الاقامة [مِنْ فَضْلِهِ] لا باستحقاقنا وهي اخيرة مراتب الجنات فان غيرها دار العبور [لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ] لغوب لغب لغباً كالنصر ولغوياً بضم اللام وفتحها كمنع وسمع وكرم اعياء اشده الاعياء ، وعن النبي (ص) في حديث يذكر فيه ما اعد الله لمحبي علي (ع) يوم القيامة انهم اذا دخلوا منازلهم وجدوا الملائكة يهتنونهم بكرامة ربهم حتى اذا استقروا قرارهم قبل لهم : هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ؟ قالوا : نعم ، ربنا رضينا فارض عنا ، قال : برضاي عنكم وبحبكم اهل بيت نبيي حللتهم دارى وصافحتهم الملائكة فهنيئاً هنيئاً عطاء غير مجذوذ ليس فيه تنغيص فعندها قالوا : الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن (الآية) وعن أبي جعفر (ع) ان رسول الله (ص) مثل عن قول الله عز وجل : يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفداً ، قال : فقال : يا علي ان الوفد لا يكونون الا ركبانا (وساق الحديث الى ان قال) فاذا دخل الى منزله في الجنة وضع على رأسه تاج الملك والكرامة والبس حلل الذهب والفضة والدر منظومة في الاكليل تحت التاج (قال) والبس سبعين حلة بالوان مختلفة وضروب مختلفة منسوجة بالذهب والفضة واللؤلؤ والياقوت الاحمر فذلك قوله عز وجل : ويدخلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير وهذا الحديثان يدلان على شمول الاصطفاء وابرار الكتاب لذرية فاطمة (ع) سواء كانوا جسمانيين او روحانيين [وَالَّذِينَ كَفَرُوا] بالله او بمحمد (ص) او بآله (ع) او بالايمان او بالكتاب او بنعمة الولاية او بمطلق النعم فانه مقابل قوله ثم اورثنا الكتاب لانه بمنزلة ان يقال : ان الذين آمنوا لهم كذا ، والذين كفروا [لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا] فيستر يحوا من عذابها [وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ وَهُمْ يَصْطَرِّخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ] من الكفر بالولاية او بسائر ما ذكر ، روى عن علي (ع) انه

قال: قال رسول الله (ص): يا علي ما بين من يحبك وبين ان يرى ما يقربه عيناه الا ان يعاين الموت، ثم تلا: ربنا اخرجنا
نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل يعني اعداء علي (ع)، وهذا الحديث يدل على ان المراد بالذين كفروا من كفر
بالولاية وهو يدل على شمول الآية لمطلق المؤمنين بالولاية [أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم] بتقدير القول مثل قوله ربنا اخرجنا
[مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ] فسر العمر الذي يتذكر فيه بشماني عشرة سنة، وفي خبر ان العبد لفي فسحة من امره ما بينه
وبين اربعين سنة وبعد ذلك يوحى الله الي ملائكته اني قد عمرت عبدي عمراً فغلظا وشداوا حفظا عليه قليل عمله وكثيره
وصغيره وكبيره، وفي خبر: العمر الذي اعذر الله فيه الى ابن آدم ستون سنة، وفي آخر عن النبي (ص): من عمره الله ستين
سنة فقد اعذره اليه [وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ] جملة حالية [فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ] يدفع العذاب عنهم
[إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ] جواب لسؤال مقدّر كأنه قيل: لا يظهر عداوة علي (ع) والكفر به على
ظاهر الاكثر فهل يعلم الله ذلك؟ فقال: ان الله عالم غيب السماوات فكيف لا يعلم ما في قلوب عباده [إِنَّهُ عَلِيمٌ
بِذَاتِ الصُّدُورِ] تأكيد للآزم الجملة السابقة ولذلك لم يأت بأداة الوصل [هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي
الْأَرْضِ] لنفسه فانه جعلكم على مثاله او خلائف للماضين وهذه منقطة عن سابقها وتمهيد لما بعدها، وهو جواب
لسؤال مقدّر ناش من سابقها كأنه قيل: هو يعلم ما في الصدور؟ فقال: هو الذي جعلكم خلائف فكيف لا يعلم ما في
صدوركم [فَمَنْ كَفَرَ] بالله او بالنبوّة او بالولاية او بنعمة الخلافة او بمطلق النعم [فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ] لا على غيره لان الله
عادل وعالم بكفر الكافر وایمان المؤمن [وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ
كُفْرُهُمْ إِلَّا خُسَارًا] فان مقت الرب مورث لامحالة لخسار العبد [قُلْ] لهؤلاء المشركين بالله او بالولاية او للمشركين
اهو يتهم بامر ربهم [أَرَأَيْتُمْ] قد مضى تحقيق هذه الكلمة وانتهتستعمل بمعنى أخبروني [شُرَكَاءُ كُمْ الَّذِينَ
تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي] بدل من ارايتهم [مَا ذَاخَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ] فضلا عن السماء [أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي
السَّمَوَاتِ أَمْ أَتَيْنَاهُمْ كِتَابًا] فيه اذن منافي اشراكهم [فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ] من الكتاب او من الله في الاشراك
حتى يكونوا معذورين في اتباع الشركاء يعني ان هذا امر عظيم لا ينبغي ان يأخذ العاقل من دون دليل يدل عليه من
كون الشريك خالفاً لشيء من مواليد الارض او شريكاً في شيء من اجزاء السماء، او اسبابها المؤثرة في الارض،
او كونه ذا حجة من الله يدل على شراكته او كون المشرك ذا حجة من الله تعالى وليس لهؤلاء شيء من ذلك [بَلْ إِنْ
يَعِدُّ الظَّالِمُونَ] اي المشركون او الشركاء في الولاية [بَعْضُهُمْ] كل بعض منهم او رؤسائهم [بَعْضًا] اي كل
بعض او رؤسبهم [الْأَغْرُورًا] وعداً لا حقيقة له بان يقول شركاء الولاية اتباعهم: نحن شفعاؤكم قالوا اوحالا فان
ادعاء الامامة والخلافة ادعاء للشفاعة او بان يقول رؤساء الضلالة: نحن نتحمل خطاياكم، او يقولوا: نحن نحفظكم
من محمد (ص) او من البلاء، او ننصركم فيما دهاكم، او بان يقول الاتباع: نحن معكم ونغزو وعدوكم وغير ذلك من الوعد
الكذب [إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا] اي يمسك السماوات والارض من الزوال عن
امكنتهما، او المراد يمسك سماوات الارواح وارضى الاشباح من الزوال عن مقامهما، او سماوات الصغير وارضه
من الزوال والجملة جواب لسؤال مقدّر كأنه قيل: فما للشركاء دخل في السماوات والارض في العالم الكبير ولا في
العالم الصغير؟ فقال بنحو الحصر: ان الله لا غيره يمسك السماوات والارض ان تزولا [وَلَكِنَّ زَايِغًا مِمَّنْ هُمَا]

مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ [مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَوْ مِنْ بَعْدِ الزَّوَالِ] [إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا] فلذلك لا يعجل في عذاب الشركاء وعابديهم [غَفُورًا] يغفر لمن تاب منهم [وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ] يميناً غليظاً [لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ] من اليهود والنصارى وهذا يدن النساء وكل من كان على شبيهن بأن يقولوا: لو كان كذا لكان كذا، فيمشون ويعشون على قول: لو كان كذا، قبل: أن قرئوا لما بلغهم أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم (ع) قالوا: لعن الله اليهود والنصارى لو أتانا رسول لنكونن أهدي من إحدى الأمم [فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ] يعني محمداً (ص) [مَا زَادَهُمْ إِلَّا تَفُورًا] عن التدبير فضلاً أن يكونوا مهتدين أو أهدي [اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ] مفعول له [وَمَكْرُ السَّيِّئِ] عطف على استكباراً أوهما مصدران وفعلهما محذوفان [وَلَا يَحِقُّ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ] لأن الماكر حين يكر ليس إلا سخرية للشيطان ومحاطاً به ومحكوماً له، والدخول تحت حكومة الشيطان عذاب عاجل لانسانية الإنسان قبل وصول مكره إلى الممكور، وبعد وصول مكر الماكر إلى الممكور يكون ارتفاعاً للممكور أمافي الدنيا والآخرة، وفي الآخرة، وتترلاً للماكر فيهما وفي الآخرة فقط [فَهَلْ يَنْظُرُونَ] أي ينتظرون [إِلَّا سُنَّةَ الْأُولِينَ] في الرسل والمكذبين الماكرين بتعذيبهم واحاطة وبال مكرهم بهم [فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا] وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا [عن المستحق إلى غير المستحق] [أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ] حتى يشاهدوا آثار الرسل وآثار مصدقهم ومكذبيهم [فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ] فيعتبروا بهم ويتأسوا بالمصدقين ويجتنبوا عن مثل أفعال المكذبين وأقوالهم وقد مضى مكرراً تفسير الأرض والتسير فيها بارض القرآن والأخبار والتسير الماضية وبارض العالم الصغير [وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً] فهؤلاء أولى لضفهم بأن يجتنبوا عن مثل أفعالهم [وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ] عن انفاذ امره وامضاء سنته [فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ] [إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا] بجملة الأشياء فيعلم تكذيب المكذب واستكباره ومكره وتصدق المصدق وتسليمه [قَدِيرًا] على ما يريد [وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا] لأنه لو يؤاخذهم فلم لا يؤاخذهم؟! فعطف قوله ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا رفعاً لذلك التوهم [مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرٍ] أي ظهر الأرض [مِنْ دَابَّةٍ] بشؤم أعمال بني آدم ومؤاخذة دواب الأرض بمؤاخذتهم [وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى] فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعبادته بصيراً [فيجازي كلاً بما عمله ولا يهتوا أحد منهم]

سُورَةُ بَنِي إِسْرَءِيلَ

مَكِّيَّةٌ كُلُّهَا ، وَقِيلَ : الْآيَةُ مِنْهَا وَهِيَ قَوْلُهُ : وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ (الْآيَةُ) نَزَلَتْ بِالْمَدِينَةِ وَهِيَ ثَلَاثٌ وَثَمَانُونَ آيَةً ، وَقَدْ وَرَدَ فِي فَضْلِهَا أَخْبَارٌ كَثِيرَةٌ وَأَنَّهَا قَلْبُ الْقُرْآنِ ، وَعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (ع) أَنَّهُ قَالَ : مَنْ قَرَأَ سُورَةَ بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي عَمْرِهِ مَرَّةً كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ

خلق في الدنيا وبكل خلق في الآخرة وفي السماء بكل واحد الفى الف حسنة ، ومحا عنه مثل ذلك ولم يصبه فقر ولا غرم ولا هدم ولا نصب ولا جنون ولا جذام ولا وسواس ولا داء يضمره ، وخفف الله عنه سكرات الموت واهواله وولّى قبض روحه ، وكان ممن يضمن الله له السعة في معيشته والفرح عند لقاءه والرضا بالشواب في آخرته ، وقال الله تعالى لملائكته اجمعين من فى السماوات ومن فى الارض : قد رضيت عن فلان فاستغفر واله .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[يس] قد مضى فى أول البقرة وفى غيرها ما يكفى لبيانها ، وقد ورد فى الاخبار ان يس ونون من اسماء محمد (ص) ، وقيل ههنا : ان يس معناه يا انسان بلغة طى ، وقرئ يس ونون باظهار النون فى الوصل على الاصل ، وقرئ بادغام النون فى الواو على خلاف الاصل ، وقرئ بكسر النون بناء كجبر ، ويفتحها بناء كايين ، او باضمار حرف القسم ومنع الصرف وبالضم بناء كحيث ، او اعراباً على تقدير هذه يس [وَالْقُرْآنُ الْحَكِيمُ] اقسام تأكيداً واقسم بالقرآن تفخيماً له ليكون دليلاً على رسالته لان رسالته بالقرآن ، وكون القرآن حكيماً لاشتماله على دقائق العلوم بل دقائق العمل [إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ] وهى الولاية التكوينية والتكليفية وهى الطريق المستقيم الى كل خير والطريق الموصل الى الله وهذه الكلمة تثبت له (ص) على ما هو عليه ولا مته وردع لمنكره [تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ] قرئ بالرفع خبراً للمحذوف اشارة الى القرآن وكون التنزيل بمعنى المنزل ، او اشارة الى التنزيل المشهود له ، وقرئ بالنصب مصدراً لفعله المحذوف او مفعولاً لا عنى او امدح محذوفاً ، وقرئ بالجر على البدل من القرآن ، وازاد التنزيل الى العزيز الرحيم رفعاً لخوفه عن غيره وتقوية لخوفه ورجائه منه [لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ] عن الله وعقابه وثوابه وامره ونهيهِ ، وفى خبر منسوب الى الصادق (ع) اشعار بان المعنى لتنذر بولاية امير المؤمنين (ع) فهم غافلون عنها وذلك ان الولاية غاية الرسالة واصل جملة الاحكام والوعيدات والوعيدات [لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ] بدخول النار او بالعذاب [عَلَى أَكْثَرِهِمْ] وفى الخبر المذكور انه قال : ممن لا يقرّون بولاية على امير المؤمنين (ع) والائمة من بعده (ع) [فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ] بولاية على (ع) بالبيعة على يده وايدى خلفائه (ع) ، وفى ذلك الخبر انه قال بولاية امير المؤمنين (ع) والاولياء من بعده فلمّا لم يقرّوا كانت عقوبتهم ما ذكر الله [إِنَّا جَعَلْنَا فِيْ أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا] هى صور اعمالهم اوجزاء اعمالهم بناء على تجسّم الاعمال وجزاء العامل بصورة اخرى اخروية مناسبة لصورة الاعمال المجسّمة ، والاثيان بالماضى امّا لتحقق وقوعه او للاشارة الى ان الاغلال تكون فى اعناقهم فى الدنيا لكن مداركهم خدرة لا يدركونها وذلك ان الاغلال الاخروية مأخوذة من الاخلاق الدنيوية وهى فى الدنيا محيطة بهم وفى الآخرة تظهر بصورة الاغلال [فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ] لسعتها واحاطتها بجميع ابدانهم [فَهُمْ مُّقْمَحُونَ] اقبح الغل الاسير ، ترك رأسه مرفوعاً لضيقه [وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ] يعنى من جهة دنياهم او من جهة آخرتهم [سَدًّا مِّنْ خَلْفِهِمْ]

سَدًّا] حتى لا يبصروا من جهة دنياهم شيئاً يعتبروا به ولا من جهة آخرتهم [فَأَغْشَيْنَاهُمْ] من جميع جوانبهم [فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ] قدامهم وخلفهم ولا إيمانهم وشمالهم لا غشائهم بالسدين، ولا يبصرون ماتحت اقدمهم لمنع الغل ذلك، ولا ما فوق رؤسهم لذلك، وذكر في نزول الآية اشياء من اراد فليرجع الى المفصلات [وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ] وفي الخبر المنسوب الى الصادق (ع) انه قال: فهم لا يؤمنون بالله وبولاية علي (ع) ومن بعده وقد سبق بيان هذه الكلمات في اول البقرة [إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ] قد مضى مكرراً ان الذكر هو الولاية التكوينية والتكليفية وان محمداً (ص) وعلياً (ع) لكونهما متحدين مع الولاية يكونان ذكراً، وان القرآن ابضاً صورة الولاية، وان الذكر اللساني والخيالي صورة ذلك الذكر فالمقصود بالذكر هنا هو الولاية التكوينية التي هي عبارة عن القطرة الانسانية ومن اتبع القطرة الانسانية علم بحسب فطرته بالله، ومن علم بالله خشيه، ولا ينفع الانذار الا لمن توجه الى فطرته وقذف الله في قلبه نور العلم وخشي ربه [فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ] عظمة لجميع مساويه [وَأَجْرٍ كَرِيمٍ] لا نقصان ولا نفاذ فيه ولا منته فيه على الماجور [إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى] تعليل وتسليه ووعد ووعد [وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا] من الاعمال التي لا تبقى بصورها عليهم [وَأَنَّا نُرَاهُمْ] من العلوم والاخلاق وآثار الاعمال التي عملوها فبقي آثارها على نفوسهم [وَكُلُّ شَيْءٍ] غير المذكورات [أَخْصَيْنَاهُ] اى كنبناه [فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ] هو اللوح المحفوظ، او القلم الاعلى، او الامام الذى هو بنفسه علم الله بكل شيء فان الله بكل شيء عليم في بيوت اذن الله ان ترفع وتلك البيوت هي ائمة الناس [وَأَضْرِبْ لَهُمْ] اى اذكر لهم [مَثَلًا] اى حالاً شبيهة بحالهم حتى يتنبهوا لبحر احوالهم وافعالهم [أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ] اى مثل اصحاب القرية وهو بدل من مثلاً بجعل اضرب متعدياً لواحد امفعول اول لا ضرب ومثلاً مفعول ثانٍ له والقرية انطاكية ارسل اليها عيسى (ع) او ارسل الله اليها كما في بعض الاخبار [إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ] اذ ارسلنا اذ الاولى بدل من اصحاب القرية بدل الاشتمال، واذ الثانية بدل من الاولى [إِلَيْهِمْ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا] اى قويتنا هما [بِثَالِثٍ] هو شمعون او نبي من الله تعالى وكان اسم الرسولين يحيى ويونس (ع) [فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ] نقل عن الباقر (ع) ان الله ارسل الى مدينة انطاكية رجلين فجاءاهم بما لا يعرفون فغلطوا عليها فآخذوهما وحبسوهما في بيت الاصنام (الى آخر الحديث المذكور في التفاسير) وفي رواية بعث عيسى (ع) هذين الرسولين فاتيا انطاكية ولم يصالا الى ملكها وطالت مدة مقامهما فخرج الملك ذات يوم فكبراً فآخذهما الملك وحبسهما في بيت الاصنام فبعث عيسى (ع) شمعون الصفا رأس الحواريتين فدخل شمعون البلدة منكراً ونصر الرسولين وادخل الملك واهل البلدة في الدين كما في التفاسير [قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا] اثبتوا لهما البشرية وحصر وهما فيها باعتقاد انتهاتنا في الرسالة من الله المجرد من المواد ونقايتها [وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ] لان الرحمن لا ينزل الى البشر [إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ] بمتزلة النتيجة [قَالُوا] بعد ما اصرروا على الانكار بتاكيدات عديدة [رَبَّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ] لغاية انكارهم لم يقتصروا على المدعى وتاكيداته [قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا] عما نقولون وهو الذى تطيّرنا به [لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ] علاوة عن الرجم [مِنْ أَعْدَابِ إِلَهِكُمْ] قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ] قد مضى هذه الكلمة

مكررة [أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ] تطيرتم او توعدتم [بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ] في جميع الامور فلا غرو في ان تعدّ بونا بعد ان تذكرتم باننا لانقول الا الحق [وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى] هو حبيب التجار مؤمن آل يس قبل: انه آمن بمحمد (ص) وبينهما ستمائة سنة، وكان في غار يعبد الله فلما بلغه خبر الرسل اظهر دينه، وعن النبي (ص) انه قال: الصديقون ثلاثة: حبيب التجار مؤمن آل يس، وحز قبل مؤمن آل فرعون، وعلى بن أبي طالب [قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا] فلذلك كانوا احقّاء بالاتباع لعدم نظرهم الى دنياكم فليس لهم هم الا آخرتكم [وَهُمْ مُّهْتَدُونَ] لظهور اهتدائهم من اقوالهم وافعالهم [وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدَ الَّذِي فَطَرَنِي] والفاطر اولى بالعبادة من كل معبود [وَالَّذِي تَرْجَعُونَ] ومن كان رجوع الخلق اليه آخر الامر اولى بان يعبد [أَتَأْخُذُ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا] والمعبود لابد وان يدفع عن العابد وان لم يدفع فلا اقل ان يشفع عند من يريد به ضرراً [وَلَا يَنْقُذُونَ] منه [إِنِّي إِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ] اظهر (ع) دينه حيث لا يرى في التقية خير العباد ولا نصر الرسل (ع) فقال: [إِنِّي أَمِنْتُ بِرَبِّكُمْ] الخطاب للرسل (ع) اولاهل القرية مع التلميح الى بطلان دينهم وحقيقة دينه [فَاسْمِعُونِ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ] يعنى قالت الملائكة او الله له بعد قتله بشارة له قبل الدخول اواكراماً واعزازاً [قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ] في حديث نصحه قومه حباً ومبتناً.

[الجزء الثالث والعشرون]

[وَمَا أَنْزَلْنَاهُ عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ] كما انزلنا يوم بدر والخندق بل كفينا امرهم بصيحة [وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ] ما نافية او موصولة معطوفة على جند اي وما انزلنا على قومه ما انزلنا على السابقين من الاحجار والامطار والرياح [إِنْ كَانَتْ] اخذتنا [الْأَصْحَاحُ وَأَحَدَةً] صاح بها جبرئيل [فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ] يا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ [يا قوم حسرة على العباد او جعل الحسرة مناداة على عادة العرف] ما يأتيتهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن [نعريض بأمة محمد (ص) وتنبية لهم] أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ] قد مضى نظير الآية في آخر سورة هود عند قوله: وان كلاً لما يوفيتهم ربك اعمالهم [وَأَيَّةٌ لَهُمْ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ] وهو دليل على علمنا وقدرتنا واهتمامنا بهم وعدم اهمال شيء بلا غاية وان احياءنا لهم ليس الا لغاية متقنة [وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَعِيمٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ لِيَسْأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ] عطف على ثمره والضمير راجع الى المذكور والمراد من ما عملت ايديهم انواع العصيرات وما يجففونه من الثمار او ما يصنعونه من مطلق الحبوب والاثمار، او لفظه ما نافية والجملة حاله [أَفَلَا يَشْكُرُونَ] ونبغى ان

يشكروا ويلاحظوا المنعم في تلك النعم ، ويعظموه بطلب امره ونهيه وامتنالهما [سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا] اى اصناف المواليد [مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ] من انواع النبات والاشجار [وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ] من اصناف المعادن والحيوان التي لم يروها ولم يسمعوها بها [وَأَيَّةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ] نزيله مستعار من سلخ الشاة [فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ] عن الباق (ع) يعنى قبض محمد (ص) وظهرت الظلمة فلم يبصروا فضل اهل بيته [وَالشَّمْسُ تَجْرِي] مبتدء وخبر وبدل على كونها آية ذكر الجملة في ذيل تعداد الآيات او الشمس عطف على الليل [لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا] اى لمستقر لجرها من منطقها بحيث لا يتجاوزها الى غيرها والا فلا سكون لها حتى يكون لها مستقر [ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ] الذى لا يمنع من امضاء امره وارادته مانع [الْعَلِيمِ] الذى يعلم مصالح كل شيء وغاياتها المترتبة عليه فيوجده مشتملا على تلك المصالح والغايات لعدم المانع له من ايجاده كذلك [وَالْقَمَرُ قَدَرُ نَاهُ مَنَازِلَ] الثمانية والعشرين المشهورة المعروفة عند العرب ولذلك لم يذكر من اوضاع الفلك الا تلك المنازل فان العرب كانوا يأخذون احكام النجوم من تلك المنازل وكون القمر فيها ونظرة الى سائر الكواكب فيها [حَتَّىٰ عَادَ] بعد انتهاء سيره الى المنزل الاول [كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ] العرجون العثكول من النخل او العنب عليه التمر او العنب مقصوده تشبيهه فى دقته واعوجاجه بالعرجون اليابس الدقيق المعوج [لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ] لتباين افلاكهما واختلاف مجاريهما وبسرعة سير القمر وبطء سير الشمس ، او المعنى لا الشمس ينبغى لها ان تفوق القمر فلا تدعه ان يظهر نوره كما ان شمس الارواح لا ينبغى لها ان تفوق اقمار النفوس والمثال فيقنيها [وَاللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ] فانقضا بحيث لم يكن يدع النهار يظهر ، او آية الليل التي هي القمر لا ينبغى لها ان تدرك آية النهار وهي الشمس ، او المعنى ليس وجود الليل سابقا على وجود النهار ، روى عن الاشعث بن حاتم ، قال : كنت بخراسان حيث اجتمع الرضا (ع) والفضل بن سهل والمأمون بمرور فوضعت المائدة فقال المأمون : ان رجلا من بنى اسرائيل سأل بالمدينة فقال : النهار خلق قبل ام الليل ، فما عندكم ؟ قال : فأداروا الكلام فلم يكن عندهم فى ذلك شيء فقال الفضل للرضا (ع) : اخبرنا بها اصلحك الله ، قال : نعم ، من القرآن ام من الحساب ؟ قال الفضل : من جهة الحساب ، فقال : قد علمت يا فضل ان طالع الدنيا السرطان والكواكب فى مواضع شرفها فزحل فى الميزان والمشتري فى سرطان والشمس فى الحمل والقمر فى الثور فذلك يدل على كينونة الشمس فى الحمل فى العاشر من الطالع فى وسط السماء فالتنهار خلق قبل الليل ، وفى قوله تعالى : لا الشمس ينبغى لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار اى قد سبقه النهار [وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ] يعنى كل من الشمس والقمر وسائر اصناف النجوم فى فلك يسبحون ، حمل الجمع على كل امة باعتبار تقدير المضاف اليه اصناف النجوم ، ولجعل كل من النجوم جماعات ، فان كلا له نفس ذات جنود ، وجمع العقلاء لكون كل ما فى السماء عقلاء ، وعن الصادق (ع) خلق النهار قبل الليل ، والشمس قبل القمر ، والارض قبل السماء ، وفى خبر : وخلق النور قبل الظلمة [وَأَيَّةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفَلَكِ الْمَشْحُونِ] باصناف الحيوان او باصناف الاجناس ، والتدرية من التدرى بمعنى النشر ، او من الذرء بمعنى الخلق ، او بمعنى التكاثر تطلق على ولد الرجل وعلى نسل الثقلين وعلى النساء ، يستوى فيها المفرد والجمع وقد تجمع والمراد بها ذرية الموجودين باعتبار حمل آبائهم ولم يقل : حملنا انفسهم ، لان حمل التدرية يستلزم حملهم فهو يفيد حملهم مع الامتنان عليهم بحمل ذرياتهم ونسائهم ، والمراد بالفلك سفينة نوح (ع) ، والمراد بالتدرية الآباء لانها من الذرء بمعنى الخلق ، والمراد

بالفلك سفينة نوح كما قيل ، او المراد بالذرية الاولاد والنساء ، والمراد بالفلك السفن الجارية ، والامتان بحمل الذرية والنساء لانهم ضعفاء لا يقدرّون على السير في البحر بنحو آخر ولا على السير في البر بالمشي ، والقريظة على ذلك قوله [وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ] من الدواب لتيسر المشي في البر لهؤلاء الضعفاء [وَاِنْ نَشَاءُ نُغْرِقْهُمْ] والتأدية بالشرط المستقبل دليل المعنى الاخير [فَلَا صَرِيحٌ لَهُمْ] بمنع الغرق ودفعه عنهم [وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ] بعد الغرق [اِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا اِلَىٰ حِينٍ] الاستثناء منقطع بمعنى لكن لم نفرقهم رحمة منا او لكن نرحمهم رحمة منا ، او الاستثناء متصل من قوله لا صريح لهم ولا هم ينقذون ، او متصل من نفرقهم بمعنى الاحال كوننا نرحمهم رحمة منا [وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ] من حوادث الدنيا وعذابها ، او من عقوبات الآخرة وعقوباتها [وَمَا خَلْفَكُمْ] يعلم بالمقايسة ، وعن الصادق (ع) معناه اتقوا ما بين ايديكم من الذنوب وما خلفكم من العقوبة [لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ] اعرضوا ولم يقبلوا حذف الجواب بقريظة قوله [وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ اِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ] لانهم تمرّوا على الاعراض [وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ انْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ] على المحتاجين [قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا] بالله او بمحمد (ص) او بعلي (ع) وولايته [لِلَّذِينَ آمَنُوا] مخاطبين لهم [أَنْتُمْ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطَعْتُمْ] تخصيص المؤمنين بالخطاب اما للتّهكم بهم كانتهم تعرضوا بانتم مقرّون بالله وانه رازق كل مرزوق فلو كان الامر كما تذكرون كنتم انتم اولي باطاعته ، او مقصودهم ابداء العذر في عدم الانفاق بان الله اولي منا بالاعطاء فلما لم يشأ الله اطعامهم كنّا اولي بعدم الاطعام [اِنْ أَنْتُمْ] في هذا القول وفي الاقرار بالله او بمحمد (ص) او بعلي (ع) [اِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ] اي وعد العذاب الذي تعدوننا انتم وصاحبكم او وعد القيامة واحياؤنا للجزاء وعذابنا عندها [اِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ] في ان لنا مبدءاً وانه يبعثنا بعد موتنا ، وان محمداً (ص) رسول منه وان ما يقوله صدق [مَا يَنْتَظِرُونَ] اي ما ينتظرون [اِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً] هي النفخة الاولى يعني ان انتظارهم ليس الا النفخة الاولى التي هي نفخة الامانة وبعد النفخة الاولى يكون الموعود [تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ] يخضمون ، قرئ يَخِصِّمُونَ بفتح الياء وكسر الخاء وتشديد الصاد ، وبكسر الياء كذلك ، وبتفتح الخاء والياء وتشديد الصاد وباسكان الخاء وتشديد الصاد ، وقيل : انه غلط والكل مغير اختصم ، وقرئ من الثلاثي المجرد يعني تأخذهم حال كونهم مخاصمين في معاملاتهم ، في حديث : تقوم الساعة والرجلان قد نشرتا ثوبيهما يتبايعانه فما يطويانه حتى تقوم ، والرجل يرفع اكلته الى فيه فماتصل الى فيه حتى تقوم ، والرجل يلبط حوضه ليسقي ماشيته فما يسقيها حتى تقوم ، وقيل : هم يخاصمون هل ينزل بهم العذاب ام لا ؟ [فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا اِلَىٰ اٰهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ] عن القمي ذلك في آخر الزمان يصاح فيهم صيحة وهم في اسواقهم يتخاصمون فيموتون كلهم في مكانهم لا يرجع احد الى منزله ولا يوصي بوصية [وَنُفِخَ فِي الصُّورِ] اعنى النفخة الثانية وقد سبق في سورة المؤمنون بيان وتفصيل للصور والنفخ ، ولمكث الخلائق بين النفختين ، وكيفية النفخ واحياهم [فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ] اي من القبور الترابية او من القبور البرزخية ، عن الباقر (ع) : ان القوم كانوا في القبور فلما قاموا حسبوا انهم كانوا نياماً [اِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ] يسرعون [قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا] نسب الى علي (ع) انه قرأ من بعثنا من الجارة والمصدر [هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ] قالوها تحسراً وفي حديث الباقر (ع) السابق : قالت الملائكة : هذا

ما وعد الرحمن وصدق المرسلون [إِنْ كُنْتُمْ] أى النّفخة أو البعثة [إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً] هى النّفخة الأخيرة [فَاذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ] بيان لتسهيل امر البعث واستغنائه عن الاسباب [فَأَلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ] إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكِهُونَ [يعنى ان اصحاب الجنة فارغون من الحساب وفى شغل عظيم فخير مثل ذلكون به بخلاف اصحاب الشمال فانهم فى الحساب وفى العذاب معذبون ، عن الصادق (ع) : شغلوا بافتضااض العذارى [هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ] أى السرر المزينة جمع الأريكة وهى سرير فى حجلة وكل ما يتكأ عليه من سرير ومنصة وفراش أو سرير منجد مزين فى قبة أو بيت [مُتَكِبُونَ] عن الباقر (ع) انه قال : قال رسول الله (ص) : اذا جلس المؤمن على سريره اهتز سريره فرحاً [لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ] عظمة لذيدة لا يمكن وصفها [وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ] ما يشتهون او ما يتمنون من قولهم ادع على ماشئت، او ما يدعونه فى الدنيا من الجنة ونعيمها بسبب ايمانهم ، او ما يدعونه فى الدنيا من لقاء الله [سَلَامٌ] بدل من ما يدعون او خير مبتدء محذوف أى هو سلام او مبتدء خبر محذوف أى لهم سلام [قَوْلًا] حال موطئة [مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ] صفة قولاً وهو فوق كل نعم الجنان [وَامْتَنَّاؤُا] أى يقال امتازوا [الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ] يعنى بعد ما جمعهم الله يؤمر اهل الجنة بالدخول فى الجنة ويقال لاهل النار : امتازوا عن اهل الجنة ، عن القمى : اذا جمع الله الخلق يوم القيامة بقوا قياماً على اقدامهم حتى يلجمهم العرق فتنادوا : يا رب حاسبنا ولوالى النار قال : فيبعث الله عز وجل رياحاً فتضرب بينهم وينادى مناد : وامتازوا اليوم ايها المجرمون فيميز بينهم فصار المجرمون فى النار ، ومن كان فى قلبه الايمان صار الى الجنة [أَلَمْ أَعْهِدْ لَكُمْ] حال او مستأنف جواب لسؤال مقدر بتقدير القول ، او ابتداء كلام من الله للحاضرين [يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ] عبادة طاعة كعبادة أكثر الناس له فيما يأمره وينهاه ، او عبادة عبودية كعبادة الابليسية [إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ وَأَنْ اعْبُدُونِي] عبادة طاعة فى طاعة خلفائى وعبادة عبودية بالاستكانة لى [هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبَلًا] قرئ جبلاً بكسر الجيم والباء وتشديد التلام ، وقرئ جبلاً بضم الجيم وسكون الباء وتخفيف التلام ، وقرئ بضم الجيم والباء وتشديد التلام ، وقرئ جبلاً بضمها وتخفيف التلام ، ومعنى الجميع الخلق والخلق الكثير [كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ] هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ اِصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ [عن الباقر (ع) وليست تشهد الجوارح على مؤمن انما تشهد على من حقت عليه كلمة العذاب ، فاما المؤمن فيعطى كتابه بيمينه قال الله عز وجل فاما من اوتى كتابه بيمينه فاولئك يقرؤن كتابهم ولا يظلمون فيها [وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ] يعنى مسحنا اعينهم فى الدنيا حتى لا يبصر وافى الدنيا ومسحنا اعينهم فى الآخرة [فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ] للسلوك عليه [فَاتَنَّى يُبْصِرُونَ] الطريق وما فيه فضلاً عن غيره [وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ] بتبديل صورهم الانسانية الى الصور الاخر [عَلَى مَكَانَتِهِمْ] على منزلتهم او ثابتين فى امكنتهم [فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ] ولا رجوعاً [وَمَنْ تُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ] أى فى خلقته بان نجعل اعضاءه وقواه فى الانقاص ، او ننكسه بين الخلق بان نجعله منحياً او منتقصاً من اعضاءه وقواه والجملة حالية لتأييد القدرة على الطمس والمسح [أَفَلَا يَعْقِلُونَ] افلا يشبهون فيصبرون عقلاء ، او افلا يفكرون فيعقلون ان الانتفاص فى الخلقة ينتهى الى الفناء [وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ]

حتى يكون القرآن الذي يجري على لسانه شعراً موزوناً مقفىً ، او كلاماً شعرياً لا حقيقة له وكان يتزين بتمويهات وتخيلات لا حقيقة لها ، فان الشعر يطلق على الكلام الموزون ، وعلى الكلام الشعري الذي يكون باطلاً وظاهراً بصورة الحق بتمويهات وتزيينات ، ونسبوا كليهما اليه ، ولما كان الشعراء في اغلب الامر بقوة فصاحتهم وطلاقة لسانهم يأتون بكلام منظوم او منشور يجذب قلوب السامعين ورواؤه منه مثل ذلك قالوا : انه شاعر وكلامه شعر ، ولما ارادوا ان يقولوا ان كلماته محض تخيلات من غير حقيقة له قالوا : انه شاعر كما قالوا : انه مجنون يعني انه آت بكلام مموه لا حقيقة له كما ان المجنون يأتي بكلام لا حقيقة له لكن فرق بين الشاعر الآتي بالكلام المموه ، والمجنون الآتي بالكلام الظاهر البطلان الغير المموه ، ولا يستفاد من هذا ذم الشعر على الاطلاق بل ذم ما ارادوا من نسبة الشعر اليه (ص) ، فانه (ص) مدح الشعر واصفى الى الشعراء ومدح الحسان بن ثابت ، وروى انه كان يتمثل بقول الشعراء لكن كان يغير الشعر ولم يأت به موزوناً ولكن الرواية من طريق العامة وقد نسب الى ائمتنا (ع) اشعار كثيرة ونسب اليهم (ع) انهم كثيراً ما كانوا يتمثلون بالاشعار وكانوا يصلون الى من كان يقول فيهم شعراً [وَمَا يَنْبَغِي لَهُ] يعني انا لم نعلمه كلاماً شعرياً ولم يكن شأنه ان نعلمه ذلك ولم يكن بنفسه ان يأتي بذلك [اِنْ هُوَ] اى القرآن الجارى على لسانه [اِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ] كلام جامع لطرفي الدنيا والآخرة واحكام القالب والقلب والروح [مُبِينٌ] ظاهر صدقه وجامعيته ، او مظهر لصدقه وجامعيته بمضامينه [لِيُنْذِرَ] القرآن او محمد (ص) [مَنْ كَانَ حَيًّا] بالفطرة كما عن علي (ع) انه فسرّه بمن كان عاقلاً يعني من كان حياً بالحياة الانسانية بان كان حبل الله فيه ظاهراً غير منقطع ولا محتجب تحت حجب الاهوية ، او من كان حياً بالحياة التكليفية الحاصلة بالبيعة الخاصة الولوية المورثة للحبل من الناس ، وانذار الحى ليس الا من جهة كفره السائر لذنبك الحبلين [وَيَحْيِي الْقَوْلُ] بدخول النار [عَلَى الْكَافِرِينَ] لم يقل ويعذب او يورث العذاب للاشعار بان العذاب ليس من قبل الله ولا من قبل خلفائه انما هو من قبلهم وناش من سوء اعمالهم ، والخلفاء لما كانوا موازين للعباد واعمالهم كانوا مظهرين بسوء اعمالهم ولواحقها [اَوْ لَمْ يَرَوْا] انا خلقنا لهم ممّا عَمِلَتْ اَيْدِيُنَا يعني ملائكتنا العمالة فانهم ايدى الله [اَنْعَامًا] خصص الانعام بالتذكر من جملة ما ينتفع الانسان فى معاشه او معاده به لما فيها من المنافع المعاشية من المأكول والمشروب والملبوس والمركوب فهي نافعة له فى جميع جهات معاشه دون غيرها وينتفع بها فى جهات معاده [فَهُمْ لَهَا بِالْكَوْنِ] بخلاف سائر ما ينتفع به من انواع النباتات والاشجار والمعادن فان اكثرها غير مملوكة لهم [وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ] بحيث تنقاد لصبيانهم [فَمِنْهُمْ هَارُ كُوبُهُمْ وَمِنْهُمْ يَأْكُلُونَ] من البانها ولحومها [وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ] اخر من منافع ظهرها واشعارها واورها واصوافها وجلودها [وَمِنْ شَارِبٍ] من البانها [اَفَلَا يَشْكُرُونَ] اى لا ينظرون الى ذلك؟! ولا يفكرون ان خلق امثال ذلك مشتملة على ما يناسب الجهة التى ينبغى ان ينتفع الانسان بها ليس الا من عليم حكيم بصير قدبر مدبر ذى عناية بالانسان فلا يشكرون تلك النعم؟! [وَاتَّخَذُوا] عطف على فلا يشكرون يعني افلا يشكرون؟! بل يكفرون بان اتخذوا ، او عطف على مجموع افلا يشكرون يعني انهم لا يشكرون البتة وينبغى ان يشكروا واتخذوا بدلاً من الشكر [مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهَةً] كفراناً به وبنعمه ، ويجوز ان يكون عطفاً على لم يروا او على أولم يروا [لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ] بالآلهة مع ان الله ناصرهم فى جليلهم وحقيهم ومعطيهم فى قليلهم وكثيرهم [لَا يَسْتَطِيعُونَ] جواب سؤال مقدّر اوصفة لآلهة [نُصِرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُّحَضَّرُونَ] يعني انهم جند للآلهة وينصرون الآلهة لان الآلهة ينصرونهم ومحضرون

عند الآلهة كأن الشياطين أو نفوسهم تحضرهم عند الآلهة والآلهة لعابديهم جند فأنها اتباع أهويتهم وآثارها محضرون في النار، أو العابدون جند للآلهة محضرون معهم في النار [فَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ] في الله وفيك أوفى خلافة خليفتك والآخر هو المراد لانه غاية الرسالة [إِنَّا نَعْلَمُ] جواب سؤال مقدري في مقام التعليل [مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ] فلا تبال بما قالوا فأننا قادرون وسامعون لأقوالهم وعالمون بما ينون ويستحقون [أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ] قدرة جماد من اضعف الاشياء [فَيَا ذَاهُو] رجل قادر قوي ناطق [خَصِيمٌ] يعني ذوعقل وعلم ونطق وقدرة وقوة على الدفع [مُبِينٌ] ظاهر او مظهر [وَضَرَبَ كَنَامِثًا] هو قوله من يحيى العظام بعد اخذها وتفتيتها [وَنَسِيَ خَلْقَهُ] من نطفة بلا سبق اثر منه والحال ان احياءه بعد بقاء روحه وسائر آثاره من المادة والبدن المثالي والنفس الحيوانية والنفس الانسانية والروح والعقل اسهل [قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ] من دون اثر منها [وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ] فيعلم ما بقى منها مذكرنا ويعلم كيفية وصلها وفصلها ووضعها في مواضعها .

اعلم، ان الانسان له بدن طبيعي هو مركب لبدنه المثالي وله بدن مثالي هو مركب لنفسه الحيوانية وهي مركب لنفسه الانسانية وهي مركب لروحه وعقله، والباقي منه هو عقله وروحه ونفسه الانسانية ونفسه الحيوانية وبدنه المثالي والفاني منه هو بدنه الطبيعي وهو مادة معتبرة في الانسان بنحو الابهام، وانما التشخص والتحصيل له ليس الا بذلك المراتب الباقية، الا ترى ان بدنه الطبيعي من اول استقرار نطفته الى آخر عمره في الفناء والانحلال والبقاء لا يبقى منه شيء الى آخر عمره ومع ذلك هو من غير تبدل لشخصيته وتخصله، وذلك لما كررنا ذكره ان شبيهة الشيء هي فعليته الاخيرة وما سوى فعليته الاخيرة مأخوذة بنحو الاجمال في شخصيته، وفي الاخبار اشعار بما ذكر فانه ورد عنهم (ع) : ان اجزاءه الاصلية تبقى مستديرة عند صدره يعني ان اجزاءه الغير الاصلية غير معتبرة فيه بنحو التفصيل، وعن الصادق (ع) : ان الروح مقيمة في مكانها، روح المحسن في ضياء وفسحة وروح المسيء في ضيق وظلمة، والبدن يصير تراباً كما منه خلق، وما تقذف به السباع والهوام من اجوافها مما اكلته ومزقته كل ذلك في التراب محفوظ عند من لا يعزب عنه مثقال ذرة في ظلمات الارض، ويعلم عدد الاشياء وزنها، وان تراب الروحانيين يمتزلة الذهب في التراب، فاذا كان حين البعث امطرت الارض مطر النشور فتربوا بالارض ثم تمخض مخض السقاء فيصير تراب البشر كمصير الذهب من التراب اذا غسل بالماء، والزبد من اللبن فيجمع تراب كل قالب الى قلبه فينتقل باذن الله القادر الى حيث الروح فتعود الصور باذن المصور كهيئتها وتلج الروح فيها فاذا قد استوى لا ينكر من نفسه شيئاً، وعنه (ع) في نزول الآية قال : جاء ابي بن خلف فاخذ عظماً بالياً من حائط ففنه ثم قال : يا محمد (ص) اذا كنا عظماً ورفناً ائتنا المبعوثون خلقاً فنزلت [الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا] هو الشجر المرخ يؤخذ منه عود ان فيسحق باحدهما الآخر فيوقد النار، ويسمى العود الاعلى زنداً والاخرى السفلى زنده [فَيَا ذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ] ابتداء فكيف بهم اعادة [بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ] شأنه الخلق كثيراً ابتداءً واعادةً [أَلَعَلَّيْكُمْ] بكل ما يلزم خلق الخلق في الابتداء والاعادة، عن الصادق (ع) : واما الجدل بالتي هي احسن فهو ما امر الله به نبيه (ص) ان يجادل به من جحد البعث بعد الموت وحياءه له فقال حاكياً : وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه (الآية) فأراد من نبيه (ص) ان يجادل المبطل الذي قال : كيف يجوز ان يبعث هذه العظام وهي رميم ؟!

قال: قل يحييها الذي أنشأها أول مرة أفيعجز من ابتداءه لا من شيء إن يعيده بعد أن يبلى بل ابتداءه أصعب عندكم من إعادته ثم قال: الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً أي إذا اكمن النار الحارة في الشجر الأخضر الرطب ثم يستخرجها فغرفكم أنه على إعادة من بلى أقدر ثم قال: أو ليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر (الآية) أي إذا كان خلق السماوات والأرض أعظم وأبعد في أوهامكم وقدركم أن تقدروا عليه من إعادة البالي، فكيف يجوزتم من الله خلق هذا الأعجب عندكم والأصعب لديكم ولم تجوزوا منه ما هو أسهل عندكم من إعادة البالي [إنما أمره] أي شأنه [إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون] قد مضى في أوائل البقرة عند قوله بديع السماوات والأرض ما يغني عن بيان هذه الآية [فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء] قد مضى في سورة هود عند قوله تعالى: ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها ما يغني عن بيان هذه الكلمة، وهكذا مضى بيان اجمالي لها في سورة المؤمنون عند نظير الآية [وإليه ترجعون] قد مضى مكرراً هذه الكلمة.

سورة الصافات

مكية كلها، مائة وأحدى وثمانون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[وَالصَّافَّاتِ صَفًّا فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا] أقسم تعالى بأصناف الملائكة فإن الملائكة أصناف، صنف يقال لهم المقربون والمهيمنون والقيام لا ينظرون وهم العقول الطولية بلسان الفلاسفة، وصنف يقال لهم الأرواح وارباب الأنواع وارباب الطلسمات واليهام الإشارة في الأخبار بقولهم (ع): أن في العرش لديكاً إذا صاح صاحبت الديكان في الأرض، وأن في العرش ثوراً وهم العقول العرضية بلسان الفلاسفة وهم صفوف عند الله، ولكونهم صفوفاً سمواهم العقول العرضية أقسم الله تعالى بهم، وقيل: المراد مطلق الملائكة والأنبياء ومن صف الله وعبدته، وقيل: المراد بهم الملائكة تصف أنفسها صفوفاً في السماء كصفوف المؤمنين في الصلوة، أو تصف أجنتها في الهواء إذا ارادت النزول إلى الأرض، وقيل: المراد المؤمنون يقومون مصطفين في الصلوة وفي الجهاد، وصنف يقال لهم النفوس الكلية والنفوس الجزئية وعن المدبرات أمراً وهم الملائكة ذوات الأجنحة، وهم الملائكة الذين يدبرون الطبائع والمواليد ويزجرون الطبائع بقصرها على خلاف طبيعتها، بفصلها عن إحيازها، ووصلها بغير اجناسها، وجسها مع غير جنسها، كما في المواليد، وحركتها على خلاف طبائعها كما في الفلكيات، ويزجرون المكلتفين من الجنة والناس كما ورد أن لكل إنسان ملكاً يزجره، وقيل: هم الملائكة الموكلة بالسحاب تزجرها وتسوقها، وقيل: المراد زاجر القرآن وآياته الناهية، وقيل: المراد المؤمنون يصبحون عند قراءة القرآن لأن الزجرة الصيحة، وصنف من الملائكة يتزولون على الأنبياء والأوصياء (ع) بأحكام العباد وهم الملائكة الموكلون على العلوم والوحى، وهم التالون ذكر أعظماً

على الانبياء (ع)، او المراد الملائكة النازلة على المؤمنين بالشارة بعد ظهور السكينة عليهم، والسكينة هي الذكر العظيم فيكون التالي من التلو، وقيل: المراد الملائكة الذين يتلون كتاب الله الذي كتبه لملائكته وفيه ذكر الحوادث فيزيدون يقيناً بوجود المخبر على وفق الخبر، وقيل: المراد المؤمنون يقرؤون القرآن في الصلوة [إِنَّ إِلَهُكُمْ لَوَاحِدٌ] وحدة خارجة من الوحدات المعروفة بل وحدة لا يبقى كثرة ألا وتكون فانية فيها، ولا يكون فيها شوب كثرة بوجه من الوجوه بخلاف الوحدة الجنسية فانها في عين الوحدة تكون فيها كثرة الانواع والاصناف والاشخاص والتركيب ولا اقل من الوجود والمهية والوجوب والامكان وهكذا حال الوحدة النوعية والصفية والشخصية، وبخلاف الوحدة العددية التي لها ثان ومقابل، وبخلاف الوحدة الاجتماعية الطبيعية او الصناعية او الاعتبارية التي ليس فيها إلا الكثرة، وبخلاف الوحدة الانتصالية الطبيعية او الصناعية او الاعتبارية [رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا] من اصناف الملائكة والكواكب واصناف الموالب [وَرَبُّ الْمَشَارِقِ] جمع مشرق الكواكب فان كل كوكب له مشرق خاص به، بمعنى ان قطعة من الفلك تكون في مدة دوره مشرقاً له ويكون له في كل يوم بل في كل آن ايضاً مشرق خاص به، اوجمع المشرق بمعنى ذي الضياء فان الكواكب كلها مشرقة اما بذواتها كالشمس، او بكسبها الضوء من مشرق آخر كالقمر، وبحسب التأويل كل مرتبة عالية بالنسبة الى دانيتها مشرق للشمس الحقيقية، وكل مرتبة عالية متألثة ومشرق بالنسبة الى دانيتها والمراتب غير متناهية فالمشارك بهذا المعنى غير متناهية [إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِزَيْنَةٍ أَلْكُوكِبِ] جواب سؤال مقدر في مقام التعليل، اوفي مقام بيان الحال والمراد بالسمااء الدنيا السمااء الطبيعية لا السمااء الدنيا الى الارض بالنسبة الى سائر السماوات فلا بنا في كون اكثر الكواكب في السمااء الثامنة، او المراد بالسمااء الدنيا عالم المثال وسماواته، او المراد الصدر المنشرح بالاسلام، والمراد بالكواكب الكواكب المضئية الطبيعية او كواكب القوى والمدارك الجزئية والكلية في مراتب نفس العالم الكبير او نفس العالم الصغير، والمدارك المستتيرة بنور الاسلام والايمان مانعة للشياطين من العروج الى تلك السماوات والتصرف فيها كما قال تعالى [وَحِفْظًا] عطف باعتبار المعنى كأنه قال: زينناها للزينة وللحفظ، او عطف على مقدر كأنه قال: زينناها زينة وحفظاً، او مصدر لمحذوف معطوف على زيننا [مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ] مرد كنصر وكرم مروداً ومرادة اقدم وعتا، او بلغ الغاية التي يخرج بها من جملة ما عليه ذلك الصنف، ومردة قطعه ومزق عرضه، وعلى الشيء مرن وقد مضى بيان الشيطان في اول الكتاب في تفسير الاستعاذة وسبق في سورة الحجر كيفية ردع الشياطين بالشهب [لَا يَسْمَعُونَ] لا يستمعون يعني لا يقدرّون على الاستماع [إِلَى الْمَلَائِكَةِ] لا انهم لا يريدون الاستماع بقريته ما يأتي وذلك انهم ظلمانيون بفطرتهم والملائكة الاعلى نورانيون بفطرتهم ولا يقدر الظلمة على قرب النور ولا بطل ذاتها [وَإِذَا ارَادُوا اسْتِرَاقَ السَّمْعِ يَتَّقَدُّونَ] اي يرمون بالشهب التي هذه الشهب المحسوسة نموذج منها وصورتها والافالشهب التي يرمون بها شهب مناسبة لعالم المثال يعني عالم الجن وعالم الملائكة [مِنْ كُلِّ جَانِبٍ] اي من جوانب السمااء ومن جوانبهم اذا قصدوا صعود السمااء المحسوسة فانها لكونها مظهراً لسمااء عالم الملائكة لا يقدرّون على الصعود اليها الا بنحو استراق السمع فانهم يصعدون الى قربها لاستراق السمع، وهكذا اذا قصدوا صعود سمااء عالم المثال الكلية وعالم المثال الجزئي الانساني، ولما كان عالم الانسان نسخة مختصرة من العالم فلينظر المراقب المجاهد وليسر صعود الشياطين الى مقام صدره ولير شهب تذكراته وطردهم بها عنه حتى يعلم كيفية صعودهم الى سمااء العالم الكبير وطردهم عنها بشهبها [دُحُورًا] الدحور والدحور بضم الدال الطرد والابعاد والدفع وهو مفعول له او حال بجعله بمعنى مدحورين او بحمله على الذات مبالغة، او بتقدير ذوى

دحوراً أو بجعله مفعولاً مطلقاً لفعله المحذوف وجعل المحذوف حالاً ، أو مستأنف بتقدير فعله [وَلَهُمْ عَذَابٌ
 وَأَصِيبٌ] وصب مرض ودام وثبت يعنى لهم عذاب واصب مطلقاً أو بعد استراق السمع وطردهم عن السماء بالشهب
 [إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ] أى اختلس المسموع أو السماع [فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ] يثقبهم بنفسه أو يثقب
 الجو بضوئه [فَاسْتَفْتَيْهِمْ أَهْمُ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا] من الملائكة والجن والسموات والأرض وما بينهما
 والمشارق والكواكب والشهب [إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ] من اضعف شيء يعنى [مِنْ طِينٍ لَّازِبٍ] أى لازق فهم اضعف
 من أكثر المخلوق بحسب المادة واصغر بحسب الصورة واهون بحسب القوة وهم بشر كون بنا ويعصون، وغيرهم مع قوتهم
 وعظمتهم يوحدوننا ويطيعوننا [بَلْ عَجِبْتَ] قرئ بالخطاب وبالتكلم، والاضراب عن الامر باستفتائهم بمعنى انه
 لا ينبغي الاستفتاء لعدم الحاجة اليه بل ينبغي التعجب منهم ومن حالهم، واداه بالماضى المتحقق للاشعار بشدة اقتضاء
 المقام ذلك كأنه قد وقع [وَيَسْخَرُونَ] والحال انهم يسخرون منك أو من الله أو من توحيد الله أو ممن يوحد الله
 [وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ] هذه الجملة مع الجملة السابقة والجملة الآتية حالات من عجبت وهى المتعجب منها
 [وَإِذَا رَأَوْا آيَةً] معجزة أو آية من الآيات العظمى الذين هم الانبياء والاولياء (ع) أو آية من آيات الكتاب التدوينى
 أو اذا رأوا آية فى عالمهم الصغير [يَسْتَسْخِرُونَ] يبالغون ويشندون فى السخرية بها أو بصاحب الآية [وَقَالُوا
 إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ] قالوا ذلك تعجباً من هذا القول [وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا] إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ
 أَوْ أَبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ] صاغرون [فَاتِمَاهِ] أى البعثة أو البعث والتأنيث باعتبار المسند
 [زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ] أى صيحة واحدة هى النفخة الثانية [فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ] يبصرون أو ينتظرون الحساب أو
 ينتظرون ما يفعل بهم [وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ] يوم المجازاة [هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ
 تُكَذِّبُونَ] من قول بعضهم لبعض أو من قول الله عز وجل أو الملائكة [أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا] حال أو مستأنف
 بتقدير القول، واصل الظلم الظلم لآل محمد (ص) وكلما نشأ من هذا الظلم فهو ظلم، وأول الظلم لآل محمد (ص)
 هو ستر الولاية التكوينية التى هى جبل من الله وينشأ منه الظلم التكليفى وترك الولاية التكليفية، وفسر الظلم ههنا بظلم
 آل محمد (ص) [وَأَزْوَاجُهُمْ] المناسبات لهم [وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْذُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ
 الْجَحِيمِ] استعمال الهداية للتهكم بهم [وَقِفُوهُمْ] فى الموقف [إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ] عن ما فعلوا أو عن النبأ
 العظيم الذى هو ولاية أمير المؤمنين (ع) كما فسره ، نسب الى النبى (ص) والى الباقر (ع) فى تفسيره انه لا يجاوز قدماً
 عبد حتى يسأل عن أربع : عن شبابه فى ما ابلاه ، وعن عمره فيما افناه ، وعن ماله من أين جمعه وفيما انفقه، وعن حبنا اهل
 البيت (ع) [مَالِكُمْ] جواب سؤال بتقدير القول [لَا تَنَاصَرُوا بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ] متقادون لحكم الله
 أو للعذاب أو مسلمون بعضهم بعضاً [وَأَقْبِلْ بَعْضُهُمْ] أى التابعون [عَلَى بَعْضٍ] أى المتبوعين : أو قبل كل
 بعض على كل بعض [يَتَسَاءَلُونَ] يسألون ويجابون [قَالُوا] أى الاتباع [إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ]
 الجملة بدل عن قوله يتساءلون أو مستأنفة جواب لسؤال مقدّر أو حال والمراد بالأتیان عن اليمين الاتیان بصورة أعمال -
 الدين وبصور أوامر الله ونواهيهِ فان النظر الى رؤساء الفضلالة الذين ادعوا الدين والايمان والامامة ورياسة الدين من
 غير اذن وإجازة فانهم منعوا عباد الله الذين فطرتهم فطرة الايمان والاسلام عن طلب الدين وطلب من يأخذ دينهم عنه

فانهم لو تركوهم لجالوا حتى يجدونا كما في خبر [قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ] لانكم كنتم على صورة الاسلام من غير الاثيان بشروطه وعهوده ولم تكونوا على الايمان الحقيقي ولا على الاسلام الحقيقي بل كنتم متحليين بصورة الاسلام والايمان الفطري الذي هو جبل من الله لم يكن يكفى بدون الاسلام التكليفي والايمان التكليفي الذي هو جبل من الناس [وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ] سلطنة على باطنكم وايمانكم وحجة واضحة لظاهركم [بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَآغِينَ] عن الامام والايمان وكننا ندعوكم الى الضلال فجعلتم صورة دعوتنا التي كانت بصورة اعمال الدين خديعة لنفوسكم ووسيلة لماربكم النفسانية [فَحَقَّ عَلَيْنَا] اي علينا وعليكم [قَوْلُ رَبِّنَا] بالعذاب [إِنَّا لَذَائِقُونَ] اي العذاب والجملة بمتزلة النتيجة لسابقها [فَأَغْوَيْنَاكُمْ] الفاء للتبعية [إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ] في موضع التعليل [فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ] كما كانوا في الغواية مشتركين [إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ] بعملق المجرمين او بهذا الصنف من المجرمين يعني المشركين [إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ] عن سماعه وقوله [وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَرَاهُ الْإِلهَ تَنَارًا كَوًّا] الهتينا لشاعر مجنون من غير تحقيق لقوله ودينه ومن غير تعمق في وصف آلهتهم ودينهم [بَلْ] ليس بشاعر يأتي بالباطل بنمويه الحق ولا بالخيالات الفاسدة بصورة المعقولات الحقّة وليس بمجنون مخبط كما سولت لكم انفسكم ولكن [جَاءَ بِالْحَقِّ] يعني كلما يأتي به من الاقوال والافعال والاحكام من الله كان حقاً [وَ] دليل حقيقته انه [صَدَقَ الْمُرْسَلِينَ] الذين اعتقدتموه [إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ وَمَا تُجْزَوْنَ] في ذلك الذوق [إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ] بنفسه على تجسم الاعمال او بجزائه [إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ] استثناء منقطع ان كان الخطاب خاصاً بالمشركين او متصل ان كان لجملة العباد [أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ] يعلمه الخدم لهم من الملائكة والعلماء والحدود [قَوَاهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ] بحسب الرزق والسكن والمقام والمعاشر [فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ] على سرر متقابلين يطاف عليهم بكأس فيها خمر [مِنْ مَعِينٍ] من شراب معين او نهر معين اي جار سائل، شبه حالهم في الجنة بحال اهل الدنيا وشربهم الخمر [بَيَاضًا] بخلاف خمر الدنيا فانها حمراء كدرة [لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ] مصدر او وصف تأنيث لذب بمعنى اللذيذ [لَا فِيهَا غَوْلٌ] بخلاف خمر الدنيا فان فيها غول الصداق والخمار [وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ] نزف كمنى ذهب عقله او سكر، وقيل المعنى لاهم عنها يطرودون [وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ] يقصرن اطرافهن على ازواجهن لا يتجاوزنها الى غيرهم كبعض ازواج الدنيا [عِينٌ] جمع عينا مؤنث اعين، عين كفرح عظم سواد عينه في سعة وفسر بشدة سواد العين في شدة بياضها [كَأَنَّهُنَّ بَيَاضٌ مُكْنُونٌ] عن الاغبرة [فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ] اذاه بالماضي اشارة الى تحقق وقوعه اولانه كان واقعاً بالنسبة الى محمد (ص) [يَتَسَاءَلُونَ] يتحدث كل لكل او يسأل بعضهم و يجيب بعضهم [قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ] بدل من اقبل بعضهم او من يتساءلون او مستأنف جواب لسؤال مقدر [إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ يَقُولُ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ إِذَا امْتَنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا] إِنَّا لَمَدِينُونَ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطْلَعُونَ [اي قال القائل لجلسائه: هل انتم مشرفون سأل اشرافهم على اهل النار ليطلعوا على حال قريته وقال الله: هل

انتم مشرفون على اهل النار يعني اشرفوا او قال قائل قول اننى كان لى قرين لندمائه بطريق السؤال هل انتم مطلعون على حاله حتى تخبرونى بحاله [فَاطَّلَعَ] القائل [فَرَأَاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ] اى وسطها [قَالَ تَاللّٰهِ اِنْ كِدْتُ لَتُرَدِّبَنِيْ] انه كدت لتردبنى [وَلَوْ لَا نِعْمَةُ رَبِّىْ] اى ولاية ولى امرى فانها النعمة حقيقة او انعام ربى بالولاية [لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِّينَ] فى العذاب معك [أَفَمَنْ نَحْنُ بِمِثِّيَّتَيْنِ] يستهزء بالقرين برده قوله عليه و انكار ما كان يقوله فى الحياة الدنيا [الْأَمْوَاتِنَا الْأُولَى] من الحياة الدنيا معنى رأيت موتات بعد موتك الاولى التى كنت تقول ليس موة الا موتتنا الاولى وقد مضى فى اول البقرة عند قوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتاً فاحياكم تفصيل للموتات والاحيانات [وَمَنْ نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ] ان هذا [المقام الذى للمؤمن القائل او هذا النعيم او هذا الحجاج^(١)] والالتذاذ بالغبلة [لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ] لمثل هذا فليعمل العامدون [وهذا الكلام من المؤمن القائل او من الله] [أَذْلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا] اشارة الى المشار اليه الاول والاثنان باسم الاشارة البعيدة لتفخيمه [أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ] الزقوم كتنور شجرة بجهنم ونبات بالبادية له زهرا سمينى الشكل وطعام اهل النار وشجرة بارىحاء ولها ثمر كالتمر حلو عفص ولنواه دهن عظيم المنافع فى علاج الامراض البلغمية والرياح الباردة ويقال اصله الا هليلج الكابلى نقلته بنوامية وزرعته بارىحاء ولما تمادى غيرته ارض اريحاء عن طبع الا هليلج، والزقوم، واللقيم، والترقوم، التلقم كذا فى القاموس [إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ] روى ان قريشاً لما سمعت هذه الآية قالت: ما نعرف هذه الشجرة قال ابن الزبير: الزقوم بكلام البربر التمر والزبد وفى رواية بلغة اليمن، فقال ابو جهل لجار يته باجارية زقمينا، فانته الجارية بتمر وزبد فقال لاصحابه: ترقموا بهذا الذى يخوفكم به محمد (ص) فيزعم ان النار تنبت الشجر والنار تحرق الشجر فانزل الله سبحانه هذه الآية انا جعلناها فتنه للظالمين [إِنهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ] طلعتها كأنه رؤس الشياطين فى تنامى القبح فانه كما يشبه المتناهى فى الحسن من الانسان بالملك والخور يشبه المتناهى فى القبح بالشياطين والنفارىت [فَإِنَّهُمْ لَا كِلُونَ مِنْهَا] لغاية جوعهم وشدة احتياجهم الى الاكل [فَمَا لِيُونَ مِنْهَا الْبُطُونُ] ثم ان لهم عليها لشوباً [ما يعاها الغسق] والصد يدخلها [من حميم] ماء حميم يقطع امعائهم [ثم ان مرجعهم لا لى الجحيم] لتنميم العذاب وتغليظه فان الزقوم وهذا الشراب هو نزلهم الذى يعد لهم فى اول ورودهم [إِنَّهُمْ أَلفُوا أَبَاءَهُمْ ضَالِّينَ] فى موضع التعليل يعنى انهم وجدوا آباءهم على غير الطريق الذى يوصل الى الجنان ومعذلك اتبعوهم فاستحقوا بذلك هذا العذاب [فَهُمْ عَلَى أَثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ] يسرعون مع علمهم بانهم ضالتون، والاثنان بالاهراع المبني للمفعول الذى هو بمعنى كونهم محمولين على الاسراع والاضطراب للاشارة الى انهم ماتتبتوا فى ذلك التقليد كان نفوسهم اخذت الاختيار منهم وحملتهم على التقليد من غير ملاحظة حجة وبرهان وهو ذم آخر لهم [وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ] ولقد أرسلنا فيهم منذرين فانظر كيف كان عاقبة المُنذَرين [المكذبين] وهذا بابا لك اعنى واسمعى يا جارية يعنى ان قومك ينبغي ان ينظروا الى مكذبي الانبياء السلف حتى يعتبروا بحالهم ويخافوا من عاقبة تكذيبك [إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ] استثناء منقطع او متصل باعتبار المعنى كأنه قال: كان عاقبة الناس اسوء عاقبة الا عباد الله المخلصين اى المصدقين للانبياء (ع) [وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا] شروع فى بيان حال المنذرين

(١) - الحجاج كقتال مصدر بمعنى المعاجة .

والمنذر ين تنميماً للشهد يد وتسلياً للرسول (ص) يعني نادينا بالدعاء على قومه بعدما تمادوا في التكذيب والانكار والايذاء بقوله: رب لا تذر على الارض من الكافرين دياراً [فَلَنَنْعَمَ الْمُجِيبُونَ] يعني فأجيبناه فوالله لنعم المجيبون نحن [وَنَجِّنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ] اي اذى قومه ومن الغرق [وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ] في المجمع عن ابن عباس وقتادة، فالتاس كلهم بعد نوح (ع) من ولد نوح فالعرب والعجم من اولاد سام بن نوح والترك والصقالبة والخزرو يأجوج وماجوج من اولاد يافث بن نوح، والسودان من اولاد حام بن نوح قال الكلبي: لما خرج نوح (ع) من السفينة مات من كان معه من الرجال والنساء الا ولده ونساءهم الى ههنا كلام المجمع، لكن عن الباقر (ع) في هذه الآية يقول: الحق والنسبة والكتاب والايمان في عقبه وليس كل من في الارض من بني آدم من ولد نوح (ع) قال الله عز وجل في كتابه احمل فيها من كل زوجين اثنين واهلك الامن سبق عليه القول منهم ومن آمن وما آمن معه الا قليل وقال ايضاً ذرية من حملنا مع نوح، فاقول معنى الآية على هذا جعلنا ذريته هم الباقين بالكتاب والنسبة وان كان غيرهم ايضاً باقين بالحياة الحيوانية [وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ] الذين اتوا بعده جاريماً على الستهم [سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ] سلام على نوح مفعول تركنا او هو مستأنف من الله ومفعول تركنا محذوف اي تركنا عليه في الآخرين المدح والثناء له وفي العالمين متعلق بقوله على نوح على ان يكون خبراً للسلام او هو ظرف مستقر خبر للسلام ومتعلق بقوله تركنا عليه او بدل من قوله في الآخرين والمعنى تركنا عليه في جميع العوالم ذلك وهذا معنى قول الانبياء (ع) اجعل لي لسان صدق في الآخرين ويستفاد من بعض الاخبار ان الله يقول تركت على نوح دولة الجبارين يعني تركت بعده على ضرره باعتبار وصيته ووصية دولة الجبارين الذين تجبروا على اوصيائه ويعزى الله محمداً (ص) بذلك وعلى هذا يكون قوله سلام على نوح مستأنفاً من الله، فانه ورد عن الصادق (ع) في حديث: وبشرهم نوح بهود (ع) وامرهم باتباعه وان يقيموا الوصية كل عام فينظروا فيها ويكون عيداً لهم كما امرهم آدم (ع) فظهرت الجبرية من ولد حام ويافث فاستخفى ولد سام بما عندهم من العلم وجرت على سام بعد نوح (ع) الدولة لحام ويافث وهو قول الله عز وجل وتركنا عليه في الآخرين، يقول تركت على نوح دولة الجبارين ويعزى الله محمداً (ص) بذلك، قال في هذا الخبر وولد لحام السند والهند والحيش، وولد لسام العرب والعجم وجرت عليهم الدولة وكانوا يتوارثون الوصية عالم بعد عالم حتى بعث الله عز وجل هوداً (ع) [إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ] بترك لسان الصدق لهم في الآخرين وبقاء العلم والكتاب والنسبة في عقبهم وباعطاء البركة في عقبهم [إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ] يعني من العباد المشرف بتشريف الاضافة اليها [ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ] عطف على نجينا [وَأَن مِّن شَيْعَةٍ] اي ممن شايع نوحاً في الرسالة واجراء احكام الله على العباد وتحمل اذى القوم والصبر على الابتلاء بهم [لِأَبْرَاهِيمَ] هذا ظاهر الآية الشريفة ويكون الشيعة من المشايعة والاتباع كما افسرنا لفظها به، وعن الباقر (ع) بهنكم الاسم، قيل وما هو؟ قال الشيعة، قيل: ان الناس يعيروننا بذلك، قال: اما تسمع قول الله تعالى وان من شيعته لابراهيم وقوله: فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه لكن قد ورد من طريق الخاصة اخبار كثيرة ان المقصود ان من شيعة علي (ع) ابراهيم (ع) وهذا مما يخص بفهمه من خطوب بالكتاب وسر ذلك، كما ورد عن الصادق (ع) ان الله لما خلق ابراهيم (ع) كشف له عن بصره فرأى الانوار الخمسة فقال: ما هذه الانوار؟ فقال الله تعالى: هذه نوز محمد (ص) وعلي (ع) وفاطمة (ع) والحسن (ع) والحسين (ع) ورأى تسعة انوار قد حفوا بهم فقال: ارى تسعة انوار قد حفوا بهم فقال: هؤلاء الائمة (ع) من ولد علي (ع) وفاطمة (ع) وسماهم

له، فقال ابراهيم : الهى وسيدي ارى انواراً قد اُحدقوا بهم لا يحصى عددهم الا انت ، قيل : يا ابراهيم هؤلاء شيعتهم شيعه امير المؤمنين (ع) فعند ذلك قال ابراهيم : اللهم اجعلنى من شيعه امير المؤمنين (ع) قال ، فقال تعالى : وان من شيعته لابراهيم .

اعلم ، ان جميع الانبياء والمرسلين (ع) وجميع الاوصياء والصالحين من جملة شيعه امير المؤمنين (ع) فانه بعليته ومقام ولايته الكلّية امام الكلّ حتى رسولنا الختمى (ص) من حيث رسالته لا من حيث ولايته فانه (ص) متحد مع على (ع) من حيث ولايته كما مضى مكرراً ان الولاية الكلّية روح للنبوّة والرسالة كلّية كانت اوجزيّة وروح للولايات الجزئية تماماً ، وعلى هذا يجوز ان يكون الشيعة من شاع بمعنى اتبع ، ويجوز ان يكون من الشعاع ويكون اصله شعه بتشديد العين ثم تخفف بابدال العين الاول باء كما فى احسست واحسيت [اذجاء] ظرف للخبر [رَبُّهُ بِقَلْبِ سَلِيمٍ] قد مضى فى سورة الشعراء بيان للقلب السليم [اذقال لابيهِ] بدل من اذا الاولى او ظرف لجاء اولسليم [وقومِهِ ما ذا تَعْبُدُونَ] افاكاً اِلَهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ] حتى صرفتم عنه الى المصنوع الذى صنعتوه بانفسكم [فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى النُّجُومِ] فرأى نظراتها [فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ] ورد فى الخبر ان ابراهيم (ع) كذب ثلاث كذبات : قوله ، انى سقيم وقوله ، بل فعله كبيرهم هذا وقوله ، فى سارة انها اختى والمقصود انه كذب فى الظاهر ولم يكن منه كذب لانه اراد الاصلاح والمصلح ليس بكاذب ، او انه ورى عن ذلك كله فانه نظرى النجوم ونظر الى حركاتها وافنائها بحر كاتها لكلّ حادث فقال : انى ساسقم يعنى ساموت ونظر فى النجوم فرأى ان نوبة حمّاه قريبة فقال : انى سقيم يعنى ان نوبة حمّاه قريبة ، ونظر فى النجوم ايها ما لهم انه يحاسب مثلهم ويحكم بنظرات النجوم فقال : انى سقيم ايها ما لهم وكان مقصوده انى سقيم غير كامل بعد فى الانسانية فانه لم يكن بعد له مقام الامامة التى هى كانت آخر مقاماته ، او كان مقصوده انى سقيم القلب حزينة مما تفعلونه من عبادة ما لا ينفعكم ولا يضرّكم ، وعن الصادق (ع) انه حسب فرأى ما يحل بالحسين (ع) فقال : انى سقيم لما يحل بالحسين (ع) وعن الصادق (ع) والله ما كان سقيماً وما كذب ، وقيل : كان اغلب اسقامهم الطاعون وكانوا يخافون السراية فقال : انى سقيم لثلاث يخرجوه الى عيد لهم وكان موسم عيدهم حتى يبقى مع الآلهة فيفعل بهم ما اراد من كسرهم [فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ] الى عيد لهم [فَرَأَى إِلَى آلِهَتِهِمْ] راغ الرجل مال [فَقَالَ] لهم نهكبا بهم [أَلَا تَأْكُلُونَ] الطعام الذى عندكم [مَالَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ] ولا تجيبونى [فَرَأَى عَلَيْهِمْ ضَرْبًا] مفعول له لراغ ، او مفعول مطلق لفعله المحذوف ، او حال عن فاعل راغ [يَا لَيْمِينَ] فكسرهم كلهم الا كبيراً لهم كما سبق فى سورة الانبياء [فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ] اى الى ابراهيم (ع) [يَزِفُونَ] قرى مبنياً للفاعل من زف اذا اسرع ، ومبنياً للمفعول من زف العروس الى زوجها اذا اهداها اليه [قَالَ] لهم بعد ما وصلوا اليه [أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ] وتركون الله الذى ينبغى ان يعبد [وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ] ما تصنعون من الاصنام وغيره فان موادها بخلقته وصنعها باقداره [قَالُوا] بعد ما حاجتهم وحاجوه كما سبق فى سورة الانبياء (ع) [ابنوا له بُنْيَانًا فَأَلْقَوْهُ فِى الْجَحِيمِ] اى النار الشديدة [فَارَادُوا بِهِ كَيْدًا] باحراقه بالنار [فَجَعَلْنَاهُمْ أَسْفَلِينَ] بابطال كيدهم وجعله حجة عليهم [وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّى سَيَهْدِينِ] عن الصادق (ع) يعنى بيت المقدس وعن امير المؤمنين (ع) فى بيانه فذهابه الى ربه توجهه اليه عبادة واجتهاداً وقربة الى الله

جلّ وعزّ، ولا يبعد ان يكون مراده الذهاب الى ربه البشرى في الدين والايمان او الذهاب الى مقام الحضور عند ربه الملكوتى الذى يعبر عنه بالفكر والسكينة والحضور [رَبَّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ] بعضاً من الصالحين يكون انيسالى فى وحدتى، ومعينالى عبادتى ودعوتى، وكان منظوره (ع) طلب الولد [فَبَشِّرْهُ بِأَسْمَاءَ] يعنى اجنباه الى مسئله بعد يأسه ويأس زوجته من الولد [بَغْلَامٍ حَلِيمٍ] فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ [يعنى لما اعطيناه وبلغ السعى معه فى اعماله يعنى بلغ المراهقة او مبلغ الرجال رأى فى المنام ان الله يأمره بذبحه و [قَالَ] لولده [يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ] لما صارت رؤياه مكررة قال أرى [أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى] قرى بفتح التاء والراء وبضم التاء وكسر الراء [قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ] الايتان بالتصغير ولحق التاء بالاب لاظهار الشفقة [مَا تُؤْمَرُ] لم يقل مارأيت او ماترى اظهاراً لما اعتقده من ان الرؤيا لم تكن الا من الله ولم تكن الا امرأ له بما رأى [سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ] فَلَمَّا أَسْلَمَا [استسلاماً لا مرالله واسلم اسمعيل (ع) نفسه وابراهيم (ع) ابنه وقرأ على (ع) والصادق (ع) فلما سلما من التسليم [وَتَلَّهُ] صرعه [لِلْجَبِينِ] اى على الجبين [وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا] بالعزم والايتان بالمأمور وجواب لما محذوف اى وقع ما وقع من الاستبشار ورفع الدرجات له وصدور المكالمات عنه وحدوث الحزن له بمنعه من تلك الرياضة العظمى والفيض العظيم وجواب الله تعالى عن ذلك كما ورد فى الاخبار [إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ] إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبْتَلِى [يعنى ان هذا الامتحان بالامر بذبح الولد هو الامتحان العظيم، وهذه المصيبة التى هى ذبح الولد، وهذا الصبر والتوفيق لامثال مثل هذا الامر العظيم لهو النعمة العظيمة من الله [وَقَدْ يَنْبَأُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ] اى عظيم الجثة او عظيم القدر، قد اختلف الاخبار فى ان الذبيح كان اسمعيل (ع) او اسحاق (ع) والمشهور من الاخبار انه كان اسمعيل (ع) وانه كان جد نبينا محمد (ص) وان السلطنة كانت فى اولاد اسمعيل (ع) والنسبة فى اولاد اسحاق، وان البشارة لابراهيم (ع) كانت اولاً باسمعيل (ع) من هاجر، وثانياً باسمحاق (ع) من سارة، وان هاجر كانت جارية لسارة فوهبتها لابراهيم (ع)، وان هاجر لما حملت باسمعيل وولده اغتبطت سارة عليها لانها لم يكن لها ولد حينئذ فكانت توذى ابراهيم (ع) فاشتكى الى الله فقال الله تعالى: ان المرأة مثل عظم الضلع لو ذهبت تقيمها كسرتها ولو ابقيتها استمعت بها، نَحْ هَاجِرَ وَاسْمَعِيلَ مِنْ عِنْدَهَا، فذهب بها وبولدها بأمر الله ودلالة جبرئيل (ع) الى مكة ولم يكن بهما ماء ولا عمارة ولا احد، وان بين بشارته ابراهيم (ع) باسمعيل وبين بشارته باسمحاق كانت خمس سنين، وروى عن الصادق (ع) انه سئل: كم كان بين بشارته ابراهيم (ع) باسمعيل وبين بشارته باسمحاق؟ قال: كان بين البشارتين خمس سنين، قال الله سبحانه فبشرناه بغلام حلیم يعنى اسمعيل وهى اول بشارة بشر الله بها ابراهيم (ع) فى الولد، ولما ولد لابراهيم (ع) اسحاق (ع) من سارة وبلغ اسحاق ثلاث سنين اقبل اسمعيل (ع) الى اسحاق (ع) وهو فى حجر ابراهيم (ع) فنحاه وجلس فى مجلسه فبصرت به سارة فقالت: يا ابراهيم (ع) ينحى ابن هاجر ابني من حرك و يجلس هو مكانه لا والله لا تجاورنى هاجر وابنها فى بلاد ابدافنحهما عنى، وكان ابراهيم (ع) مكرماً لسارة يعزها ويعرف حقها وذلك لانها كانت من ولد الانبياء (ع) وبنت خالته فتش ذلك على ابراهيم (ع) واغتم لفراق اسمعيل (ع)، فلما كان فى الليل اتى ابراهيم (ع) آت من ربه فأراه الرؤيا فى ذبح ابنه اسمعيل (ع) بموسم مكة فأصبح ابراهيم (ع) حزيناً للرؤيا التى رآها فلما حضر موسم ذلك العام حمل ابراهيم (ع) هاجر و اسمعيل (ع) فى ذى الحجة من ارض الشام فانطلق بهما الى مكة ليذبحه فى الموسم، فبدأ بقواعد البيت الحرام فلما رفع قواعده خرج الى منى حاجاً وقضى نسكه بمنى ثم رجع الى مكة فطاف البيت اسبوعاً ثم انطلقا فلما صارافى السعى قال: ابراهيم (ع) لا اسمعيل (ع): يا بني اتى

أرى في المنام اننى اذبحك في الموسم عامى هذا فما ذاترى؟ قال: يا ايت افعل ماتومر، فلما فرغا من سعيهما انطلق به ابراهيم (ع) الى منى وذلك يوم النحر فلما انتهى الى الجمرة الوسطى واضجمه لجنبه الايسر واخذ الشفرة ليذبحه نودى ان يا ابراهيم (الآية) وقد ذكر كيفية ذبحه واثنان الغداء له في المفصلات، وهكذا ذكر الاخبار المختلفة في ذلك الباب في المفصلات من اراد فليرجع اليها [وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ] قد سبق بيانه قبل هذا [كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ] لما سبق هذه الكلمة في هذه القصة وكان السامع كأنه تلقاها بالقبول ولم يبق له حالة شك وسؤال اتاها مهنا بدون التأكيد [إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ] وبشرناه بإسحق نبياً من الصالحين وباركنا عليه وعلى إسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين وفي هذا وفي قوله تعالى ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا (الى قوله) فعنهم ظالم لنفسه (الآية) اشعار بان آعقاب الانبياء (ع) قديكونون على الظلم وان ظلمهم ليس شيئاً لأبائهم وقد ذكر بيان لظلم النفس هناك [وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ] بانجائهما وانجاء قومهما من شدة الاستعباد ونصرهما واعطاء الكتاب والنبوة وبقاء لسان الصدق في الآخرين وغير ذلك وعلى هذا فقوله تعالى [وَنَجَّيْنَاهُمَا] الى آخر المعطوفات عطف فيه معنى التفسير لقوله مننا [وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكُرْبِ الْعَظِيمِ] الذى هؤلاء الاستعباد وقتل الاولاد والتفريق بين الرجال والنساء وتجسس حياء النساء للعب او الولد وخوف قتل فرعون لهم بعد خروجه من مصر واخذهم واستعباده ثانياً وخوف الغرق بعد دخول البحر [وَنَصَرْنَاهُمْ] بانجائهم من عدوهم واغراق عدوهم [فَكَانُوا هُمْ الْغَالِبِينَ] واتيناهما الكتاب المستبين [البالغ في ظهور الصدق وكون صاحبه صادقاً والمراد به النبوة والرسالة واحكامهما والتوراة صورتهما] وهديناهما الصراط المستقيم [وهو الصراط الانسانى الذى فطره فطرى الولاية وتكليفه تكليفى الولاية وبالجملة هو اشارة الى الولاية كما ان الكتاب اشارة الى النبوة والرسالة] [وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ سَلَامٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ] كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ وَإِنَّ الْيَأْسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ] قيل: هو ادريس النبى (ع)، وقيل: كان نبياً من انبياء (ع) بنى اسرائيل من ولد هارون بن عمران ابن عم اليسع، بعث بعد حزقيل، ولما فتح يوشع الشام بوأها بنى اسرائيل وقسمها بينهم فاحل سبطاً منهم بعلبك وهم سبط الياس (ع)، وقيل: ان الياس (ع) صاحب البرارى، والخضر صاحب الجزائر ويجتمعان فى كل يوم عرفة بعرفات، وقيل: انه ذوالكفل [إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ] مناصحاً لهم بصورة الشفقة [أَلَا تَتَّقُونَ أَتَدْعُونَ بَعْلًا] اسم صنم كان لهم وكان من الذهب، وقيل: البعل اسم الرب بلغه اليمن والمقصود ادعون رباً غير الله [وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ] قد سبق بيان لكونه تعالى احسن الخالقين [اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ] للحساب اوفى النار [إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ] وتركنا عليه فى الآخرين سلاماً على [الياسين] قد روى من طريق الخاصة اخبار كثيرة بان القراءة آلى يس بفتح الالف ومدة وكسر اللام وان المراد بهم آل محمد (ص) وان يس من اسمائه وقد ذكر حاجتهم على علماء العامة بهذه القراءة بحيث لم يكونوا ينكرونها وكانوا معترفين بصحة القراءة بذلك، ويكون يس اسماً من اسماء محمد (ص) وقد روى من طريقهم القراءة بذلك وانه فى بعض مصاحفهم مكتوب بفصل الآلى من يس وكان المنظور كان من الاثنيان آل محمد (ص) بهذا اللفظ فى ذيل الياس (ع) ان لا يسقطوه، لوقال سلام على آل محمد (ص)، ولما كان محمد (ص) واهل بيته (ع) شرف كل ذى شرف وفخر كل ذى فخر ومقام كل ذى مقام كان السلام على آل

محمد (ص) سلاماً على كل ذي سلام وشرفاً لكل ذي شرف ولسان صدق لكل صادق، فصيح ان يقال تركنا على الياس في الآخرين لسان صدق هو سلام على آل محمد (ص) وقرى الياسين بوصل اللام في الكتابة فقل ان اسم لياس مثل سينا وسينين، وقيل: انه جمع له لكنه بعيد لان الاعلام اذا جمعت اتى بها معرفة باللام [إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ وَإِنْ لَوْ طَأَّ لِمِنَ الْمُرْسَلِينَ] قد سبق قصته في سورة هود وحجر وغيرهما [اذْجَبْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ لَا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ وَإِنَّا لَكُمُ بِأَهْلٍ مَكَّةَ لَنَمُرُونَّ عَلَيْهِمْ] يعنى على آثارهم فان منازلهم كانت سدوم في طريق الشام [مُصْبِحِينَ وَبِاللَّيْلِ أَقْلًا تَعْقِلُونَ وَإِنْ يُؤْنَسَ لِمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ فَسَاهُمْ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ] قد اشرنا في سورة يونس (ع) ان قصته وقصة قومه ودعاه الى قومه وفراره عنهم بعد دفع العذاب عن قومه ودخوله الفلك وابتلاءه ببطن الحوت مذكورة في المفصلات، من اراد فليرجع اليها، عن الباقر (ع) انه قال: لما ركب مع القوم فوقفت السفينة في اللجة واستهموا فوق السهم على يونس ثلاث مرات، قال فمضى يونس (ع) الى صدر السفينة فاذا الحوت فاتح فاه فرمى بنفسه، وعن الصادق (ع) ما تقارع قوم ففوضوا امرهم الى الله عز وجل الاخرج سهم المحق وقال: اى قضية اعدل من القرعة اذا فوضوا الامر الى الله ليس الله عز وجل يقوم فساهم فكان من المدحضين يعنى المغلوبين في القرعة، دحض برجله، فحص، وعن الامري بحث ودحض برجله زلت، الشمس زالت، والحجة بطلت [فَأَلْتَمَعَهُ الْحَوْتُ وَهُوَ مُلِيمٌ] من الام بمعنى عدل، او من الام بمعنى اتى ما يلام عليه او صار ذا لائمة [فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ] تعريض بالائمة يعنى اذا ابتليتم ببلية فاكثروا من تسبيحه وتهليله وذكره حتى ينجيكم منها [فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ] اى المكان الخالى عما يغطيه من شجر او نبت او بناء او جبل [وَهُوَ سَقِيمٌ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ] وهو كل شجرة تبقى من الشتاء الى الصيف ليس لها ساق كذا قيل: وقيل: المراد الدباء (١) [وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ] بل يزيدون، عن الصادق (ع) يزيدون ثلاثين الفا [فَأَمَّنُوا فَمَرَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ] سقى لآجالهم [فَاسْتَفْتَيْهِمْ] بعد ما ذكرت لهم هذه القصص التى فيها عبر لكل من يعتبر [الرَّيْلُكَ] الذى فعل ما فعل بالامم السالفة ومكذبهم ومصدقهم وانبيائهم (ع) [الْبَنَاتُ] الثلاثى من اخس الاولاد [وَلَهُمُ الْبَنُونَ] الذين هم اشرف الاولاد حتى يعلموا انهم مخطئون فى تلك النسبة فيتنبهوا فيعلموا انهم مخطئون فى نسبة الولد اليه [أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ أَشَرُّ الْخَلَائِقِ وَبَرِئُونَ مِنْ نَقَائِصِ الذَّكُورَةِ وَالْأُنثَى] مبتليات بانواع النقائص [وَهُمْ شَاهِدُونَ] حتى يتنبهوا ان قولهم هذا ليس الا عن محض حرص وتخمين، وبتفكروا ان العاقل لا ينبغي ان يفتوه فى مثل هذا المطلب العظيم بالظن والتخمين [أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ أَفْكَهَمَ لَيَقُولُونَ] قولا عظيما لا ينبغي ان يقال، يقولون: [وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ] من غير احتمال صدق فى قولهم [أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ] قبح ما تقولون وتنسبون الى الله فان نسبة الولد الى الله تخرجه عن الوجوب الى الامكان، وعن الغنى الى الحاجة، وعن التثنية الى التندس، وعن الشجر دالى كونه ماديا، وغير ذلك من النقائص، وبعد نسبة الولد اليه لا تذكرون قبح ما تقولون من ان اولاده بنات لابنون [أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ] حجة

(١) الدباء بالضم والمد = القرع ؛ الواحدة دباء ويقال له بالفارسية: كدو .

[مُبِينٌ] واضح وموضح انكر قولهم لربنا البنات، والملائكة بنات الله، ثم انكر نسبة الانوثة الى الملائكة الذين هم منزّهون عن دنس الذكورة والانوثة ثم انكر شهودهم حين خلق الملائكة والحال ان الانوثة والذكورة لا تعلمان الا بالشهود، ثم انكر نسبة الولد اليه وصرح انها من جملة افكهم وصرح بانهم كاذبون تأكيداً، ثم عيّرهم على نسبة البنات اليه والبنين الى انفسهم مع انه اذا نسب البنات اليهم ظلت وجوههم مسودة، ثم عيّرهم على عدم تذكر قبح ذلك مع انه يتذكر قبح امثال ذلك كل ذي شعور، ثم عيّرهم على القول بلا حجة خصوصاً امثال هذا القول، ثم طالبهم بالحجة الزاماً لهم على الاقرار بعدم الحجة، كل ذلك لتأكيد قبح هذا القول ولتأكيد تعبير قائله [فَاتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ] في هذا القول ونسبة الولد الى الله، فان المصادق لا بد له من حجة على دعواه او ان كنتم صادقين في ادعاء الحجة والكتاب [وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسْبًا] قيل: انهم تارة يقولون الملائكة بنات الله، وتارة يقولون: الجن بنات الله، وبعضهم يقولون: الجن بنات الله، وبعضهم يقولون: الملائكة بنات الله، وقيل: ان مرادهم بالجن، الملائكة سموهم جنّاً لا مستأرهم، وقيل: قالوا ان الله صاهر^(١) الجن فخرجت الملائكة، وقيل: قالوا، الله والشيطان اخوان والله خالق الخير، والنور والشيطان خالق الشر والظلمة، وقيل: المراد بالنسبة النسبة في العبادة فان بعضهم يعبدون ابليس ويقولون انه احق بالعبادة من الله او مثله في العبادة [وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ] في الحساب اوفى النار، وضمير انهم للجنة او للمشركين او للمجموع [سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ] في حقه من الولد والنسبة والمصاهرة [إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ] استثناء من فاعل يصفون او من مرفوع لمحضر ونواستثناء منقطع [فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ] من الملائكة والجنة والشياطين وغير ذلك من المعبودات [مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ] اي على ما تعبدون او على الله او على هذا الوصف [يَفْقَاتِنِينَ] بفسدين الناس ومضليهم والجملة جزء شرط محذوف اي اذا كان الله منزّها عما تقولون بافواهكم من غير تحقيق والتمتزه عن المادة ونفائضها لا يمكن للمادى التصرف فيه فانكم ومعبوداتكم لا تقدرون افتتاح الناس على خلاف امره التكويني [إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ] داخل فيها محرق بها يعني من كان بالفعل داخل نارا للجحيم وان لم يكن شاعراً بالدخول لكون مداركه خدرة غير متأثرة بحرقها [وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ] هذا قول الملائكة ردّاً على عابديهم والجملة حالية بتقدير القول او معطوفة والمعنى انهم يقولون ما منّا الا له مقام معلوم، وقيل: هذا قول جبرئيل (ع) للشي (ص) وعن الصادق (ع) قال: انزلت في الائمة والاوصياء من آل محمد (ص) والمعنى ما منّا احد الا له مقام في العبودية لا تتجاوزه فكيف نكون معبودين مراقبين لعابدين وحافظين لهم وناصرين لهم؟ [وَأِنَّا لَنَحْنُ الصّٰفُّوْنَ] في العبادة والخدمة لانه يصف العباد لنا [وَأِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ] لله لانه يجوز ان يسبحنا احد، وعن الصادق (ع) كنا انواراً صفوفاً حول العرش نسبح فيسبح اهل السماء بتسبيحنا، الى ان هبطنا الى الارض فسبحنا فسبح اهل الارض بتسبيحنا وانّا نحن الصّٰفُّوْنَ وانّا نحن المسبحون [وَأِنْ كَانُوا] انهم كانوا [لَيَقُولُونَ] اي المشركون [لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ] اي كتاباً من كتبهم، او شريعة من شرائعهم، او نبياً من انبيائهم (ص) [لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ] فكفروا به [اي بالذكر الذي هو محمد (ص) او القرآن او شريعة محمد (ص) او ولاية علي (ع) [فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ] عاقبة كفرهم [وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا] بالوعد والنصر [لِعِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ] او المعنى لقد سبقت كلمتنا التي هي فعلية الانسانية

(١) اي تزوج منهم بنتاً فولدت له الملائكة .

التي هي دليل كل خير وطريق كل مطلوب وفعلية كل كمال، اوسبت كلمتنا التي هي الولاية كلمة الشيطان فصارت كلمة الشيطان مغلوبة، واذا صارت كلمة الشيطان مغلوبة صارت جملة جنوده الداخلة والخارجة مغلوبة، وصارت جملة جنود الحق الداخلة والخارجة غالبية والآية تسلية للرسول والمؤمنين وتهديد للكافرين [انهم لهم المنصورون] بدل من كلمتنا او جواب لسؤال مقدّر في مقام بيان الكلمة او في مقام التعليل [وان جندنا لهم الغالبون فتول عنهم] واعرض عن مجادلتهم ومقاتلتهم [حتى حين] حتى تبلغ الى موعد نصرك وقتلهم [وابصروهم] فانك فتحت بصيرتك ويمكنك ابصارهم على حالهم الفظيعة التي تؤذيهم الى الجحيم والى العذاب الاليم، وابصروهم على حالهم التي يكونون عليها في القيامة وعند الحساب، اوفي الجحيم وعند العذاب فانك لا حاجة لك الى اتيان القيامة بعد فان القيامة صارت حالك [فسوف يبصرون] ذلك في القيامة لعدم خروجهم بعد عن مضيق طبعهم وسجن نفوسهم وحجب اهويتهم [افبعذابنا يستعجلون] تهديد لهم، روى انه لما نزل فسوف يبصرون قالوا متى هذا؟ فقال تعالى تهديد لهم: ابعذابنا يستعجلون [فادانزل بساحتهم فساء صباح المنذرين] اي وقت المنذرين فانه كثيراً ما يستعار الصباح لمطلق الوقت [وتول عنهم حتى حين وابصروهم فسوف يبصرون] تأكيد للاول وتعقيب لكل من الوعد والوعيد بذلك اتماماً لطرفي الوعد والوعيد [سبحان ربك] عن كل ما يصفه الواصفون وخصوصاً عما يصفه المشركون [رب العزة] لانه ليس كمال ولا وصف الا انه تعالى خالقه وربّه [عما يصفون وسلام] اي سلامة او الله او تحية السلام [على المرسلين] كانه تعالى قال: فالتقمة على المشركين وسلام على المرسلين فان قوله سبحان ربك رب العزة في مقام ان يقال تقمة عظيمة من غير دافع على المشركين وسلام على الموحدين [والحمد لله رب العالمين] تعليم للعباد وانشاء للحمد تعظيماً لنفسه، واخبار بان كل كمال وكل صفة كمال خاص بالله فكيف يكون له شريك في ملكه.

سورة ص

مكية وهي ثمان وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

[ص] فري بالسكون وهو الاصل في فواتح السور، وقرئ بكسر الدال املاً لالتقاء الساكنين والتحرريك بالكسر، اول جعله امرأ من المصاداة وهي المعارضه، وقرئ بفتح الدال لالتقاء الساكنين، اول جعله علماً للتسوية ومنع صرفه وفي اخبار كثيرة ان ص عين تنبع من تحت العرش، او من يمين العرش، او من ركن من اركان العرش وهي ماء الحياة، وفي خبر ان ص من اسماء الله، او من اسماء النبي (ص) وقد سبق في اول البقرة تفصيل تام يغنيانها عن التعرض لبيانها [والقرآن] اقسام بالقرآن [ذي الذكر] والجواب محذوف اي ان القرآن حق، وانتك حق، وان الكافرين به او بك كفروا به لا لحجة.

[بَلِّ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَ] مناعة عن قبول الحق وتأنف منه و [شِقَاقٍ] وفي طرف مع الله ورسوله ولذلك لم يقبلوا رسالة رسوله ولا كتابه [كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ] أمة هالكة تهدد لهم على كفرهم [فَنَادَوْا وَلَا تَحِينَ مَنَاصٍ] هو من قولهم وماتنادوا به أو من الله أو من الملائكة، حكى بنقير القول أي فنادوا وقال الله أو الملائكة لات حين مناص وزيادة التاء على لا للتأكيد [وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ] والحال أنه لا ينبغي أن يكون المنذر إلا منهم [وَقَالَ الْكَافِرُونَ] أي قالوا، ووضع الظاهر موضع المضمحل لظاهر ذمتهم وبيان مبني قولهم [هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ] قد مضى بيان السحر في سورة البقرة عند قصة هاروت وماروت [أَجْعَلِ الْإِلَهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا] استغربوا ما سمعوه من خلاف ما اعتادوه [إِنَّ هَذَا شَيْءٌ عَجَابٌ] بالغ في العجب [وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ] يعني انطلق السنتهم ولذا أتى بأن التفسير بآية بعده أو انطلقوا بأرجلهم والمعنى انطلقوا عنه مسارين [أَنِ امْشُوا] من عند هذا الرجل أو امشوا على دينكم [وَأَصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا] الذي هو من جملة البلايا والمصائب [لَشَيْءٌ يُرَادُّ] بنا أو أن هذا الذي يدعيه من الرياسة على العباد والترفع في البلاد شيء يريد به كل أحد [مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْأُمَمِ الْأَخِيرَةِ] أي الأمة التي هي غير هذه والملة التي أدر كناها [إِنَّ هَذَا إِلَّا اخْتِلَافٌ] وقد ورد الأخبار بأن الآية نزلت بمكة بعد أن أظهر رسول الله (ص) دينه وسمعت به قريش وذلك أنه اجتمعت قريش إلى أبي طالب (ع) وقالوا: يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سفته أحلامنا وسب آلنا وأفسد شباننا وفرق جماعتنا فإن كان الذي يحمله على ذلك العدم جمعنا له مالا حتى يكون أغنى رجل في قريش ونملكه علينا، فأخبر أبو طالب (ع) رسول الله (ص) فقال: لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري ما أردته ولكن يعطوني كلمة يملكون بها العرب ويدين لهم بها العجم ويكونون ملوكاً في الجنة، فقال لهم أبو طالب ذلك، فقالوا: نعم وعشر كلمات، فقال لهم رسول الله (ص): تشهدون أن لا آله إلا الله وأنتي رسول الله فقالوا: ندع ثلاث مائة وستين آلهاً ونعبد آلهاً واحداً؟! فأنزل الله سبحانه بل عجبوا (الآية) [عَازِلٌ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا] مع أنه كان يتيماً لا مال له ولا علم ولا شأن [بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي] لأنهم ايقنوا بالذكر وانكروا أن تكون أنت هو أو تكون أنت صاحبه [بَلْ لَمَّا يَبْذُوقُوا عَذَابِ] حتى ايقنوا بعذابي وايقنوا بذكرى، يعني أنهم ابطرتهم كثرة النعم والفراغ من البلايا فاشتغلوا بلذات النفوس وانكروا ما وراءها [أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ] حتى يختاروا لرحمته التي هي النبوة ونزول الذكر من شاؤا من رجل من القريتين عظيم [أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا] حتى يتصرفوا فيها بما شاؤا ويجعلوا فيها من شاؤا رئيساً ومن شاؤا مرؤساً [فَلْيَسِّرْ تَقْوَا] امر للتعجيز [فِي الْأَسْبَابِ] فليصعدوا في أسباب الصعود إلى العرش فينزلوا الذكر على من شاؤا، وقيل: المراد بالأسباب السماوات لأنها أسباب المواليد السلفية [جُنْدُ مَا هَئِلِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ] الجملة جواب سؤال مقدّر كأنه قيل: فما حالهم ومآل امرهم؟ فقال: أنهم سيهزمون لأنكارهم الذكر وصاحبه لكنه قال: جنود كثيرة أو عظيمة في مقام هذا الإنكار الذي هو بعد المقام عن مقام العقول صاروا مهزومين من الفرق المتفرقة المختلفة من العرب والعجم والترك والديلم ليكون تنبيهاً ودليلاً وتهديداً على المقصود [كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ] بيان للأحزاب المكذّبين المنكرين وبيان لانهمهم بالتلويح [ذُو الْأَوْتَادِ] سمى به كما في الخبر لأنه كان إذا أراد أن يعذب أحداً بسطه في الأرض على وجهه وأوتديده ورجليه باربعة أوتاد في الأرض وربما

بسطه على خشب منبسط فاوندتها كذلك وتركه حتى يموت ، وقيل : معناه ذوالملك الثابت بالآلات ، وقيل : معناه ذوالالركان القوية فانه كان صاحب جنود كثيرة وامراء عظماء ووزراء قويين [وَتَمُودُ وَفَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ] اي قوم شعيب [أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ] المهزومون فانظروا حالهم ومآل تكذيبهم وانكارهم [إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ] اي رسلهم اوجميع الرسل لان تكذيب واحد تكذيب للجميع [فَحَقَّ عِقَابٌ وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ] نصريح بما عرّض به من عقوبة المنكرين من قريش والمراد بهؤلاء المنكرون من قريش [إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً] هي الصيحة عند الموت او عند القيامة يعنى المراد به النفخة الاولى او الثانية [مَالَهُمْ مِنْ قِوَايٍ] توقف اوجوع اواراحة او افاقة من الغنى وجوع الى الدنيا او فتور [وَقَالُوا] اي يقولون بعد الصيحة واذاه بالماضي لتحقق وقوعه ، اولاته قد وقع بالنسبة الى محمد (ص) ، او المعنى انهم بلسان حالهم سألو انزل العذاب الموعود بهم ، او بلسان قالهم كما قالوا : ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او كما قالوا متى يكون هذا الوعد [رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْعَانًا] قسطننا من العذاب الموعود [قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ] استعجلوا ذلك استهزاء او استعجلوا الشدة عذابهم قبل القيامة في البرازخ بظن ان عذابهم قبل يوم الحساب ينجيهم من عذابهم في البرزخ او من عذاب يوم الحساب [إِصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ] ولا تحزن بقولهم فانهم لا يفوتوننا ولا ينالونك بمكروه من غير اذننا وراجع ربك على كل حال [وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ] جمع اليد بمعنى القوة والنعمة كما في الخبر [إِنَّهُ أَوْ أَبٌ] مع كونه كثير القوة والنعمة فراجع انت ربك [إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ] بيان لقوته ونعمته [مَعَهُ يَسْبِغْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ] يعنى وقت اشراق الشمس او هو كناية عن الغداة [وَالطُّيُورَ مَحْشُورَةً] اليه من كل جانب او حالكون الطير محشورة من اوتكارها [كُلُّ لَهُ أَوْ أَبٌ] قد سبق الآية بتركيبها وتفسيرها في سورة الانبياء وفي سورة النساء [وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ] يعنى قويناه بحيث لا يمكن لاحد الاخلال في ملكه [وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ] المراد بالحكمة آثار الولاية فان الحكمة ليست الا دقة العلم واتقان العمل والدقة فيه وهى من آثار الولاية فان الانسان ما لم يقبل الولاية بشروطها المقررة عندهم لم يفتح بصيرته وما لم يفتح بصيرته لم يصير نظره دقيقاً ، وما لم يصير نظره دقيقاً لا يمكنه الاتقان في العمل وقدمضى مكرراً ببيان الحكمة مفصلاً والمراد بفصل الخطاب آثار الرسالة فانه باى معنى كان كان من جهة الاشتغال بالكثرات والاشتغال بالكثرات من جهة العباد ليس الا لاجل الرسالة اليهم اولا لاجل قبول الرسالة من الرسول (ع) وقد فسر فصل الخطاب في خبر مروي عن علي (ع) بقوله : البيئته على المدعى واليمين على المدعى عليه ، وفي خبر مروي عن الرضا (ع) انه معرفة اللغات ، وفسر فصل الخطاب بتمييز الحق عن الباطل ، وبالكلام المفصول المبين الذي لا يشبهه على سامعه ، وبالخطاب القصص الذي ليس فيه ايجاز مخل ولا اطناب ممل ، وبمطلق العلم بالقضاء [وَهَلْ أَتَىكَ نَبَأُ الْخَصْمِ] تنبيه له (ص) ولا مته على ان الامتحانات الالهية كثيرة تكون بصورة اتيان المتخاصمين وبصورة الاذلال والاعزاز وبصورة عناد المعاندين ومحبة المحبين فلا تغفلوا عن امتحانه ولا تغفروا بانعامه واعزازه ، واتى بالاستفهام للتعجب من حاله (ع) ومبادرته بنسبة الظلم الى الخصم من غير تثبيت واستظهار ليكون أكد في ذلك التنبيه [إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ] التسور الدخول من قبل السور ، والمحراب مجلس الاشراف الذي يحارب دونه وهو مقامهم الخاص لعبادتهم او نزاهتهم وخلوتهم [إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ] لانهم دخلوا في غير وقت دخول الاغيار ودخلوا من دون اذن ومن غير المحل المعتاد للدخول [قَالُوا]

بعد ما رأوا انه فرع منهم [لَا تَخَفْ خَصْمَانِ] كأنهم كانوا جماعة وقال بعضهم: هذان خصمان، او: نحن خصمان [بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ] لانجر في الحكومة [وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ] المرضى لله وللعقل [إِنَّ هَذَا أَخِي] بيان لصورة المخاصمة [لَهُ تَسْعُ وَتِسْعُونَ نَجْعَةً] هي الانثى من الضأن [وَلِي نَجْعَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا] ملكيتها من الكفل بمعنى النصيب اى اجعلها نصيبى، او من الكفالة اى اجعلنى كفيلها [وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ] غلبنى فى المخاصمة [قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لِيَبْغَى بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ] مازائدة او وصفية لتأكيد التقليل [وَوَظَنَ دَاوُدُ] بعد ما تبادر فى الحكم بالظلم [أَنَّمَا قَتَلْنَاهُ] امتحنام بذلك [فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ] من تبادره فى الحكم [وَوَحَّرَ رَأْسَهُ] خاضعاً [وَأَنَابَ] رجع الى الله بالاعتذار [فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ] التبادر [وَأَنَّ لَهُ عِندَنَا لُزْفَى] قرابة [وَحُسْنُ مَّآبٍ يَّادَاوُدُ] على طريق الحكاية اى قلنا يا داود [إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً لَّنَا فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ] قد سبق فى سورة لقمان بيان ما لخلافة داود (ع) فى ذيل بيان حال لقمان (ع) وحكمته وعن الرضا (ع) فى بيان عصمة الانبياء، واما داود (ع) فما يقول من قبلكم فيه؟ فقيل: يقولون: ان داود (ع) كان يصلّى فى محرابه اذ تنسّر له ابليس على صورة طير احسن ما يكون فقطع داود صلوته وقام لياخذ الطير فخرج الطير الى الدار فخرج فى اثره فطار الطير الى السطح فصعد فى طلبه فسقط الطير فى دار اور يابن حيان، فاطلع داود فى اثر الطير، فاذا بامرأة اور باتغتسل فلما نظرت اليها هو بها وكان قد اخرج اور يافى بعض غزواته فكتب الى صاحبه ان قدم اور بالامام التابوت فقدم فظفر اور بالالمشركين فصعب ذلك على داود (ع) فكتب اليه ثانية ان قدمه امام التابوت فقدم فقتل اور يافترّج داود بامرته، قال: فضرب الرضا (ع) يده على جبهته وقال: انّا لله وانّا اليه راجعون. لقد نسبتم نبياً من انبياء الله الى التهاون بصلوته حتى خرج فى اثر الطير ثم بالفاحشة ثم بالقتل، فقيل: يابن رسول الله (ص) فما كانت خطيئته؟ فقال: ويحك! ان داود (ع) انما ظنّ أنّه ما خلق الله عز وجل خلقاً هو اعلم منه، فبعث الله عز وجل اليه الملكين فتسورا المحراب فقالا له: خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط ان هذا اخى له تسع وتسعون نعمة ولى نعمة واحدة فقال: اكفليهما وعزني فى الخطاب فعجل داود (ع) على المدعى عليه فقال: لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه ولم يسأل المدعى البيئته على ذلك ولم يقبل على المدعى عليه فيقول له: ما تقول؟ فكان هذا خطيئته رسم حكم لا ما ذهبتم اليه، الا تسمع الله يقول: يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق (الى آخر الآية) فقيل: يابن رسول الله (ص) فاقصته مع اور يا؟ قال الرضا (ع): ان المرأة فى ايام داود (ع) كانت اذا ماتت بعلمها وقتل لا تترّج بعده ابد آفاول من اباح الله تعالى ان يترّج بامرأة قتل بعلمها، داود (ع)، فترّج بامرأة اور يا قتل وانتقضت عدتها فذلك الذى شقّ على اور يا والاخبار فى انكار ماروته العامة كثيرة عن ائمتنا (ع) حتى انه روى عن امير المؤمنين (ع) انه: من حدث بحديث داود على ما يرويه القصاص جلده مائة وستين جلدة، يعنى جلده حدّين للمفترى، وفى خبر عنه حدّ اللبوة وحدّ الاسلام وروى عنهم تصديق ماروته العامة ايضا وقد ذكر فى بيان الحكم بين الناس بالحق ان يكون المدعى والمدعى عليه عند الحاكم متساويين فى النظر والتكلم والمجلس والبشر، وقد ذكر ان الحكم بالحق ان يكونا متساويين فى ميل القلب بمعنى انه يكون ميل قلبه من حيث حكومته ومن حيث احقاق الحق اليهما متساويا لا انه يجب ان يكون الحق لاحدهما، ولا يختلف الحال عندهما

كان محققاً، ولا يبعد ان يكون قوله تعالى [وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ] تلويحاً اليه فان النهي عن اتباع الهوى يشير الى النهي عن الهوى وميل النفس الى احدهما من باب المقدمة [فَيُضِلُّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ] وهو الحكم بالحق [إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ الْحِسَابِ] واتبعا هوى النفس [وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا] هذه من تنمة خطاب داود (ع) فتكون الجملة حالية او استئناف خطاب لمحمد (ص) كما يشعر به اخبارنا فتكون معطوفة بلحاظ المعنى كأنه قال: ما فتننا داود عبثاً انما فتنناه لنخلصه من النقص الذي كان فيه وما خلقنا السماء، او تكون حالية بمعنى لخلق السماء والارض غايات عديدة هي مشهودة ومعلومة لكم وهي توليد المواليد، وتوليد المواليد ايضاً غايات عديدة هي ايضاً مشهودة ومعلومة لكم، وترجع جملتها الى انتفاع الانسان في معاشه وليس حياة الانسان ذاتية غاية الغايات ونهاية النهايات لغناها وعدم بقائها، ولا يكون الفاني الذائر غايةً للذائم الباقي فبقى ان يكون حياته الباقية الدائمة غاية الغايات ونهاية النهايات حتى لا يكون خلق الكل باطلاً، وعليهذا لا يكون المؤمن والمفسد ولا المتقي والفاجر متساويين [ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا] بالله او بالرسالة او بالخلافة او بالآخرة [فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ] المراد بالمتقين والفجار هما المؤمنون والمفسدون كثرهما بتغيير الوصفين تأكيداً ونصراً يحبان التقوى لا تكون الا للمؤمن، والفجور ليس الا للمفسد، سئل الصادق (ع) عن هذه الآية فقال: الذين آمنوا وعملوا الصالحات امير المؤمنين (ع) واصحابه كالمفسدين في الارض قال: حبترو زريق واصحابهما، ام نجعل المتقين كالفجار حبترو زلام واصحابهما [كِتَابٌ] خير مبتدئ محذوف او مبتدئ خبره مبارك اوليدتروا والمعنى ان القرآن كتاب، او على (ع) كتاب [أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ] ذو بركة وخير على المتمسك به والتفسير بعلى (ع) اوفق بقوله ووهبنا لداود سليمان [لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ] قد مضى مكرراً ان الانسان مالم يتصل بالولاية كان بلا لب واذا اتصل بالولاية بشروطه المقررة عندهم صار ذال لب فهو بدون الولاية يكون كالجوز الخالي عن اللب ويكون لائقاً للنار وبالولاية تصير كالجوز الذي يكون له لب، عن الصادق (ع) ليدبروا آياته امير المؤمنين والائمة (ع) فهم اولوا الالباب [وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ] سليمان (ع) [إِنَّهُ أَوَّابٌ] مثل داود (ع) [إِذْ عَرِضَ] ظرف لاواب او لما يلزم قوله نعم العبد من المدح لكنهما يوجبان تقييد ما المقصود منه الاطلاق او ظرف لا ذكر مقدراً، فان المقصود من قوله ووهبنا تذكيره (ص) بحال سليمان (ع) وتنبهه على هبة على (ع) له [عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِرَاتُ الْجِيَادُ] الصافن الفرس الذي يقوم على طرف سنبك يد او رجل وهو من الصفات المحموده للخيل، والجياد جمع الجواد بمعنى سريع السير جيده [فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي] احببت بمعنى تفاعدت فان احب استعمل بمعنى يرك او من المحبة والمعنى احببت نوع حب الخير متفاعداً عن ذكر ربّي او حب الخير مفعول به حينئذ واذا كان احببت بمعنى تفاعدت يكون حب الخير مفعولاً له والمراد بالخير الخيل لان العرب تسمى الخيل بالخير، وروى عن النبي (ص) انه قال: الخير معقود بنواصي الخيل الى يوم القيامة، او المراد به المال الكثير كما فسر الخير به في قوله تعالى: ان ترك خيراً [حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ] اي توارت الشمس بقرينة الحال وقرينة ذكر العشي المستلزم لسير الشمس، وقيل: حتى توارت الخيل عن نظره بالحجاب الذي لها من مربضها

اوانته امر باجرائها فكان مشتغلاً بالتفكير فيها والنظر اليها حتى توارت عن نظره [رُدُّوْهَا عَلَيَّ فَطَطْفِقَ مَسْحَابُ السُّوقِ
وَالْأَعْنَاقِ] قد ورد الاخبار من طريق الخاصة ان سليمان (ع) اشتغل ذات يوم بالعشى بعرض الخيل لانه كان يريد الجهاد
ففات وقت صلوة عصره وتوارت الشمس وغربت، وفي بعض الاخبار فات اول وقت صلوة وقيل فات صلوة نفلته فقال: للملائكة
بأمر الله ردوا الشمس على حتى اصلي صلوتي في وقتها فردوها عليه، فمسح ساقيه وعنته وامر اصحابه الذين فاتتهم الصلوة
معه بمثل ذلك وكان ذلك وضوءهم ثم قام فصلى فلما فرغ غابت الشمس وطلعت النجوم، وقيل: انه قال لاصحابه:
ردوا الخيل على فردوها عليه فضرب سوقها واعناقها بالسيف لانها كانت سبب فوت صلوته، وقيل في تصحيحه: انها
كانت اعز ماله فذبحها ليتصدق بلحومها على المساكين فانه لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وقيل: جعل يسح
اعراف خيله وعراقيبها بيده حباً لها، وقيل: مسح اعناقها وسوقها وجعلها مسبلة في سبيل الله، وقيل: انه لما قتل الخيل
ضل خاتمه بسبب قتلها سرقة شيطان اربعين يوماً وجلس مكانه وفر سليمان ثم وجد خاتمه في بطن الحوت، وقد ذكر
قصته في سورة البقرة عند قوله تعالى وما كفر سليمان قال ابن عباس: سألت علياً عن هذه الآية فقال: ما بلغك فيها يا ابن
عباس؟ قلت: سمعت كعباً يقول: اشتغل سليمان (ع) بعرض الافراس حتى فاتته الصلوة فقال: ردوها يعني الافراس كانت
اربعة عشر فامر بضرب سوقها واعناقها بالسيف فقتلها فسلبه الله ملكه اربعة عشر يوماً لانه ظلم الخيل بقتلها، فقال علي (ع):
كذب كعب لكن اشتغل سليمان (ع) بعرض الافراس ذات يوم لانه اراد جهاد العدو حتى توارت الشمس بالحجاب فقال
بأمر الله للملائكة الموكلين بالشمس: ردوها على فردت فصلت العصر في وقتها، وان انبياء الله تعالى لا يظلمون ولا يأمرون
بالظلم لانهم معصومون مطهرون [وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ] امتحنه [وَأَلْقَيْنَا عَلَيَّ كُرْسِيَهُ جِثَّةً ثُمَّ أَنَابَ]
روى عن النبي (ص) ان سليمان (ع) قال: يوماً في مجلسه لا طوفان الليلة على سبعين امرأة تلد كل امرأة منهن غلاماً
يضرب بالسيف في سبيل الله، ولم يقل، ان شاء الله، فطاف عليهن فلم تحمل منهن الا امرأة واحدة جاثت بشق ولده
ثم قال: فوالذي نفس محمد بيده لو قال: ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرساناً والجسد الذي كان على كرسية كان
هذا، وعن الصادق (ع) ان الجن والشياطين لما ولد لسليمان بن داود (ع) قال بعضهم لبعض: ان عاش له ولد لنلقين
منه ما لقينا من ابيه من البلاء، فاشفق منهم عليه فاسترضعه في المزن وهو السحاب فلم يشعر الا وقد وضع على كرسية ميتاً
لتنبيهه على ان الحذر لا يرفع من القدر واتما عوتب على خوفه من الشياطين، وقيل: ان المراد بالجسد هو الشيطان الذي
جلس مكانه على كرسية سمى بالجسد لخلوه من روح الانسان، وذكر في سبب ابتلائه (ع) بسلب ملكه ان امرأة كانت تعبد
في بيته صورة اربعين يوماً ولم يشعر به، ونقل ان سليمان (ع) لما تزوج باليمانية ولد منها ولد وكان يحبه فتزل ملكه
الموت على سليمان وكان كثيراً ما ينزل عليه فنظر الى ابنه نظراً ففرغ سليمان من ذلك فقال لامه: ان ملك الموت نظره
اظنه قد امر بقبض روحه فقال للجن والشياطين: هل لكم حيلة ان تفروه من الموت؟ فقال واحد منهم: اناضعه تحت
عين الشمس في المشرق فقال سليمان (ع): ان ملك الموت يبلغ ذلك، فقال آخر: اناضعه في السحاب والهواء فرفعه
ووضعه في السحاب وجاء ملك الموت فقبض روحه في السحاب فوقع جسده ميتاً على كرسى سليمان، فعلم انه قد اخطأ
فحكى الله ذلك في قوله والقينا على كرسية جسد ثم اناب وامثال هذه وامثال روايات سلب ملك سليمان (ع) وجلس
الشيطان على كرسية وكون ملكه منوطاً بخاتم ليس الا من الرموز التي رمزها الاقدمون ثم اخذها العامة بصورها الظاهرة
ومفاهيمها العامة ونسبوا الى الانبياء عليهم السلام ما لا يليق ان ينسب الى مؤمن فكيف بكامل اوني (ع) [قَالَ رَبُّ
اغْفِرْ لِي] بعدما استشعر باننا فتناء [وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ] يعني
لانك تكون كثير الهبة وكانت عادتك ذلك وكانت الوهابية منحصرة فيك سألته هذا السؤال فانه ان كان عظيماً

بالنسبة إلينا فهو حقيرٌ بالنسبة إلى وهائيتك .

اعلم ، أنه يرى من ظاهر الآية أن سليمان (ع) بخل بعباء الملك لغيره وقد اشير في الاخبار إلى ذلك مثل قول رسول الله (ص) : رحم الله أخى سليمان بن داود (ع) ما كان أبخله ، وقد ذكر في الاخبار في دفع توهم البخل أن مراده (ع) لا ينبغي أن يقال من بعدى أنه مأخوذ بالغلبة والجور فأعطاه الله تعالى ملكاً لا يمكن أن يقال : أنه مأخوذ بالغلبة مثل ملك الجبابرة حيث سخر له الريح وجملته دواب الأرض وطيرها ، وذكر في الاخبار في بيان قول النبي (ص) أن مراده (ع) ما كان أبخله بعرضه وسوء القول فيه ، أو المراد ما كان أبخله أن كان أراد ما كان يذهب إليه الجهال ، وعن الأكابر أن مراده هب لى ملكاً لا نقلاً بمقامى لا ينبغي لأحد يكون مقامه بعد مقامى وليس هذا بخلاً بل سؤالاً لما يليق بمقامه أو بما يليق بمن يكون مقامه فوق مقامه [فَأَجْبَنَاهُ وَأَعْطَيْنَاهُ ذَلِكَ] وَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً [لَيْتَ] [حَيْثُ أَصَابَ] أى أراد أصابته [وَالشَّيَاطِينَ] وسخرنا له الشياطين [كُلَّ بَنَاءٍ وَغَوَّاصٍ] بدل تفصيل من الشياطين [وَأُخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ] قائلين [هَذَا] الذى أعطيناك من الملك الذى لم يكن لأحد من البشر أو هذا الاعطاء [عَطَاؤُنَا] عطيتنا أو اعطائنا [فَأَمْنُنْ] ما شئت لمن شئت [أَوْ أَمْسِكْ] ما شئت ممن شئت [بِغَيْرِ حِسَابٍ] وتقدير منك لما مننت وامسكت لو فور ما اعطيناك وعدم نقصانه باعطائك بغير حساب وتقدير أو بغير مطالبتنا منك حساب ما اعطيت أو امسكت لتفويض الأمر إليك ، عن الصادق (ع) في قوله تعالى : هَذَا عَطَاؤُنَا (الآية) قال : أعطى سليمان (ع) ملكاً عظيماً ثم جرت هذه الآية في رسول الله (ص) فكان أن يعطى من شاء ما شاء ويمنع من شاء ما شاء واعطاه أفضل ما أعطى سليمان (ع) لقوله : مَا آتَيْتُكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وقيل : للرضا (ع) حقاً علينا أن نسألكم؟ قال : نعم ، قيل : حقاً عليكم أن تجيبونا؟ قال : ذلك البنا شئنا فعلنا وإن شئنا لم نفعل ، ثم قرأ هذه الآية [وَأَنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى] رفع لتوهم أن درجات الآخرة والقرب من الله لعلها تنافى في هذا الملك العظيم في الدنيا لأن الدنيا والآخرة صرتان لا اجتماع [وَحُسْنُ مَأْوَ] وَأَذْكُرْ عَبْدُنَا أَيُّوبَ [إِذْ نَادَى رَبَّهُ] بدل من عبدنا بدل الاشتغال كما أن أيوب بدل منه بدل الكل والمعنى اذكر أيوب (ع) وابتلاءه وشدة بلائه ليكون تسلية لك عن ابتلاك فان الأنبياء (ع) قلما يكونون بلا بلاء واذكر وقت التجائه إلينا الشدة بلائه ليكون أسوة لامتك في ذلك حتى يتذكروا ذلك ويلتجوا حين الاضطراب البنا ، واذكر اجابتنا له باحسن الاجابة حتى تكونوا على رجاء تام باجابتنا [أَنِّي مَسْنِي الشَّيْطَانُ] يَنْصَبُ وَعَذَابُ [النَّصَبُ] بضم النون وسكون الصاد وضمتها وفتح النون وسكون الصاد وفتحها التعب ، وقرئ بها جميعاً ، ونسب العذاب إلى الشيطان تكرماً وحياء من نسبة السوء إلى الله ، وقيل : كان الشيطان يوسوس إليه ويقول : طال مرضك ولا يرحمك ربك ، وقيل : كان يقول : كنت في نعمة وولدوا هاهنا كذا ، ووقعت الآن في بلية كذا العلة يجزع ، وقيل : اشتد مرضه حتى اجتنبه الناس فوسوس إلى الناس أن يستقذروه ويخرجوه ولا يتركوا أمره أن تدخل عليهم وكان أيوب (ع) يتأذى بذلك فشكا ذلك ولم يشك البلية [أُرْكُضْ] بمعنى اجبناه وقلنا : اركض [بِرَجْلِكَ] الأرض فضرب برجله الأرض فنبعت عين [هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ] أى ما يغتسل فيه وما يشرب منه ، والمقصود الأمر بالاغسال والشرب منه فاغتسل وشرب وبره كأحسن ما يكون [وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ] الذين هلكوا في أول ابتلائه [وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ] أى الذين هلكوا من قبل ابتلائه وقد سبق في سورة الأنبياء بيان لنسبة أيوب (ع) ونسبة امرأته وقديس هناك مدة ابتلائه وكيفية ابتلائه وبيان ابتلاء أهله وكيفية ابتلاء مثلهم معهم [رَحْمَةً مِنَّا] من غير استحقاق

منه [وَذِكْرِي] وتذكيراً [لِلْأُولَى الْأَلْبَابِ] حتى لا يكونوا على بأسٍ مِنَّا ويكونوا راجين رحمتنا حين سلب النعمة منهم، وقد سبق مكرراً أن اللب لا يحصل للانسان الا بتلقيح الولاية فان الانسان ما لم يحصل له الولاية بالشروط المقررة عندهم يكون كاللوز والجوز الخالي من اللب التلثق للنار، وحصول الولاية للانسان مثل التأبير للنخلة يجعله ذا ثمر وذالِبٍ فليس المراد بالولي الالباب الا لشبهة على (ع) الذين حصل لهم ولايته بشروطها [وَأَخَذَ بِيدِكَ] عطف على اركض [ضِعْثًا] حزمة من خشبٍ [فَأَضْرِبْ بِهِ] زوجتك [وَلَا تَحْنَثُ] قسمك وذلك انه كما قيل : حلف بعد ما اخبر ان زوجته اخذت في الزنا وقطعت ذؤابتها ورأى ذؤابتها مقطوعة ان يضر بهاماته وتندم على ذلك بعد ما اخبرته انها باعته واخذت له طعاماً [إِنَّا وَجَدْنَاهُ ضَالِّاً] لتعليل لا ذكر اول قلنا اركض برجلك او لو هبنا له اهله او لو هبنا مثلهم معهم او قلنا اخذ بيدك ضِعْثًا او للمجموع او بيان لحاله في جواب سؤال عن حاله [نِعْمَ الْعَبْدُ] ايوب (ع) [إِنَّهُ أَوْ أَبٌ] كثير الرجوع شديد الرجوع تام الرجوع الى الله، عن الصادق (ع) انه سئل عن بليّة ايوب (ع) التي ابتلي بها في الدنيا، لأي علة كانت؟ قال: لنعمة انعم الله عز وجل عليه بها في الدنيا وادى شكرها وكان في ذلك الزمان لا يحجب ابليس عن دون العرش فلما صعد ورأى شكر نعمة ايوب حسده ابليس فقال: يا رب ان ايوب لم يؤد اليك شكر هذه النعمة الا بما اعطيته من الدنيا ولو حرمته دنياه ما دى اليك شكر نعمة ابدأ، فسلطني على دنياه حتى تعلم انه لا يؤدى اليك شكر نعمة ابدأ، فقيل له: قد سلطتك على ماله وولده، قال: فانهدر ابليس فلم يبق له مالا ولا ولداً الا اعطيه^(١)، فازداد ايوب لله شكراً وحمداً، قال: فسلطني على زرعه، قال: قد فعلت، فجمع شياطينه فنفخ فيه فاحترق، فازداد ايوب لله شكراً وحمداً، فقال: يا رب فسلطني على غنمه، فسلطه على غنمه، فأهلكها، فازداد ايوب شكراً وحمداً، فقال: يا رب سلطني على بدنه، فسلطه على بدنه ما خلا عقله وعينيه، فنفخ فيه ابليس فصار قرحة واحدة من قرنه الى قدمه فبقى في ذلك دهرًا طويلاً يحمداً لله وبشكره حتى وقع في بدنه الدود، فكانت تخرج من بدنه فيردّها فيقول لها: ارجعي الى موضعك الذي خلقتك الله منه وتنن حتى اخبره اهل القرية من القرية والقوة في المزلة خراج القرية، وكانت امرأته رحمة بنت يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم تصدق من الناس وتأتيه بما تجده، فلما طال عليه البلاء ورأى ابليس صبره اتى اصحاباً لا يوب كانوا رهباناً في الجبال وقال: لهم مروا بنا الى هذا العبد المبتلى فنسأله عن بليته، فركبوا بغلاً شهباً وجاؤا فلما دنوا منه نفرت بغالهم من نتن ريحه فنظر بعضهم الى بعض ثم مشوا اليه وكان فيهم شاب حدث السن فقعدوا اليه فقالوا: يا ايوب لو اخبرتنا بذنبك لعل الله كان بملكنا اذا سألناه وما نرى ابتلاءك بهذا البلاء الذي لم يبتل به احد الا من امر كنت تستره، فقال ايوب (ع): وعزة ربي انه لي علم اني ما اكلت طعاماً الا وبيتم او ضعيف يأكل معي، وما عرض لي امر ان كلاهما طاعة لله الا اخذت بأشدهما على يدي، فقال الشاب: سوته لكم غيرتم نبي الله حتى اظهر من عبادة ربه ما كان يسترها؟ فقال ايوب (ع): يا رب لو جلست مجلس الحكم منك لادليت بحجتي، فبعث الله عز وجل اليه غمامة فقال: يا ايوب ادل بحجتك فقد اعدتلك مقعد الحكم، وها انا ذا قريب ولم ازل، فقال: يا رب انك لتعلم انه لم يعرض لي امر ان قطاً كلاهما لك طاعة الا اخذت بأشدهما على نفسي الم احمدك؟ الم اشكرك؟ الم اسبحك؟ قال فتودى من الغمامة بعشرة آلاف لسان: يا ايوب من صيرك تعبد الله والناس عنه غافلون؟ وتحمده وتسبحه وتكبره والناس عنه غافلون؟ اتمن على الله بما الله فيه المنّة عليك؟ قال: فاخذ التراب فوضعه في فيه ثم قال: لك العتبي يا رب، انت فعلت ذلك بي، فانزل الله عليه ملكاً فركض برجله فخرج الماء فغسله بذلك الماء فعاد احسن ما كان واطراء، وانبت الله عليه روضة خضراء وردّ عليه اهله وماله وولده وزرعه وقعد معه الملك يحدثه ويونسه فاقبلت امرأته معها

(١) عطب عطبا واعتطب = هلك وأعطيه = أهلكه .

الكسرة فلما انتهت الى الموضع اذا الموضع متغير و اذا رجلا نجالسان فبكث وصاحت وقالت: يا ايوب مادي بك؟ فناداها ايوب فاقلت فلم تارأته وقد رد الله عليه بدنه ونعمته سجدت لله عز وجل شكراً، فرأى ذو ابنتها مقطوعة وذلك انهما سئلت ان يعطوها ما تحمله الى ايوب من الطعام وكانت حسنة الذوائب فقالوا لها: تبيعيننا ذؤابنتك هذه حتى نعطيك، فقطعتها ودفعتهما اليهم واخذت منهم طعاماً لايتوب فلما رآها مقطوعة الشعر غضب وحلف عليها ان يضر بها مائة، فأخبرته انه كان سببه كيت وكيت، فاغتم ايوب من ذلك فأوحى الله عز وجل اليه: خذ بيدك ضغناً فاضرب به ولا تحث فأخذ عذفاً مشتملاً على مائة شمراخ فضر بها ضربة واحدة فخرج من يمينه، قال: فرد الله عليه اهله الذين ماتوا قبل البلاء، ورد عليه اهله الذين ماتوا بعد ما اصابهم البلاء كلهم، احياهم الله له فعاشوا معه وسئل ايوب بعد ما عافاه الله: اى شيء كان اشد عليك مما عليك، فقال: شمانة الاعداء قال: فأمر الله عليه في داره جراد الذهب وكان يجمعه فكان اذا ذهب الريح منه بشيء عدا خلفه فردة فقال له جبرئيل: اما تشيع يا ايوب؟ قال: ومن يشيع من رزق ربه عز وجل. وعنه (ع) عن ابيه (ع) قال: ان ايوب ابتلى بغير ذنب سبع سنين وان الانبياء معصومون لا يذنبون ولا يزغون ولا يرتكبون ذنباً صغيراً ولا كبيراً، وقال: ان ايوب مع جميع ما ابتلى به لم تنتن له رائحة، ولا قبحت له صورة، ولا خرجت منه مدة من دم ولا قيح، ولا استقدره احد رآه، ولا استرحش منه احد شاهده، ولا تدود شيء من جسده وهكذا يصنع الله عز وجل بجميع من يبتليه من انبيائه واوليائه المكرمين عليه وانما اجتنبه الناس لفقره وضعفه في ظاهره لجهلهم بماله عند ربه تعالى من التأييد والفرج وقد قال النبي (ص): اعظم الناس بلاء الانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل، فانما ابتلاه الله بالبلاء العظيم الذي يهون معه على جميع الناس لئلا يدعوا له معه الربوبية اذا شاهدوا ما اراد الله تعالى ذكره ان يوصله اليه من عظام نعمه متى شاهدوه ليستدلوا بذلك على ان الثواب من الله على ضر بين استحقاق واختصاص، ولئلا يحقر واضعيفاً لضعفه، ولا فقيراً لفقره، ولا مريضاً لمرضه، وليعلموا انه يسقم من يشاء ويشفي من يشاء، متى شاء، كيف شاء، باي شيء شاء ويجعل ذلك عبدة لمن يشاء، وشقاوة لمن يشاء، وسعادة لمن يشاء، وهو عز وجل في جميع ذلك عدل في قضائه، وحكيم في افعاله، لا يفعل بعباده الا الاصلح لهم ولا قوة الا بالله [وَاذْكُرْ عِبَادَنَا اِبْرَاهِيمَ وَاسْحَقَ وَيَعْقُوبَ اُولَى الْاَيْدِي وَالْاَبْصَارِ] يعنى انهم كانوا صاحبى النعم في الدنيا وصاحبى البصيرة في امر الآخرة حتى لا تنسى انت ولا امتك حين النعمة امر الآخرة وتجعلوا دنياكم مقدمة لآخرتكم كما فعل هؤلاء [اِنَّا اَخْلَصْنَاهُمْ] بسبب النعمة [بِخَالِصَةٍ] بخالصة خالصة لنا [ذِكْرَى الدار] بدل من خالصة يعنى بخالصة هي تذكرهم دائماً لدار الآخرة او مفعول له تحصيلى او حصولى اى اخلصناهم بعبادة خالصة لنا لذكرى الدار الآخرة، واطلق الدار اشعاراً بان الآخرة هي الدار ومحل القرار لا الدنيا فانها معبر للارشاد والاختيار [وَاِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْاَخْيَارِ] واذكر اسمعيل بن ابراهيم [وَالْيَسَعَ] قد مضى في سورة الانعام [وَاذْكُرْ] قد مضى في سورة الانبياء [وَكُلٌّ مِنَ الْاَخْيَارِ هَذَا] المذكور من الانبياء واحوالهم [ذِكْرٌ] وعبرة لمن اراد الآخرة [وَاِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ] سواء كانوا انبياء اولم يكونوا [جَنَّاتٍ عِدْنٍ مِّنْ مَّفْتَحَةٍ لَهُمْ الْاَبْوَابُ مُتَكِئِينَ فِيهَا] كناية عن الاستراحة فيها [يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ] اى يدعون احبا بهم الى فاكهة كثيرة او يدعون غلمانهم وجوارهم بسبب الاتيان بفاكهة كثيرة او يدعون نفس الفاكهة والشراب فان امتعة الجنة كلها ذوات علم وشعور وتأتى بانفسها الى طالبها، وزيادة الباء لتأكيد لصوق الدعوة الى الفاكهة [وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ] عن غير ازواجهن [اَتْرَابٌ] لدات (١) لا عجوز فيهن ولا صبية لا يمكن الاستمتاع بهن نقول نحن او ملائكتنا لهم: [هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ] ان هذا الرزقنا

(١) لدات، جمع لدة وهو الترب (بالفارسية، همسال)

مَالَهُ مِنْ نَفَادٍ] انقطاع [هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاعِينَ لَشَرَّ مَثَابٍ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَ نَهَا فَيَبْسُ الْمِهَادُ] فسّر الطّاعين بنو أمية وأولياءهم، وقد تكرر أن الأصل في كل شرّ وذى شرّ اعداء على وبنو أمية ومن وافقهم ولذلك صحّ تفسير كل شرّ وذى شرّ ذكر في القرآن بهم [هَذَا أَفْلَيْدُ وَقُوَّة] هذا مبتدأ وليد وقوه خبره، والفاء زائدة، او منصوب على شريطة التفسير والفاء زائدة او منصوب بمضمر مثل المذكور والفاء غير زائدة، او مبتدأ بتوهم أمّا او تقديره والفاء غير زائدة، او مبتدأ خبره حميم وفليد وقوه معترضة، او خبر مبتدأ محذوف، او مبتدأ خبر محذوف أى العذاب هذا وهذا هو العذاب، او المعنى خذ هذا المذكور من كون شرّ المآب للطّاعين [حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ] غسق الجرح غسقاً سال منه ماء اصفر والمراد به ما سال من ابدان اهل النار من الصّديد [وَأَخْرَجْنَا مِنْ شَكْلِهِ] عطف على حميم او مبتدأ خبر محذوف أى لهم عذاب آخر من مثل هذا العذاب او مذوق آخر من مثل هذا المذوق، او مبتدأ خبره [أَزْوَاجٌ] أى عذاب آخر لهم من مثله ازواج او خبر مبتدأ ازواج والمعنى صنف آخر مثل هذا الصّنف أزواج لهذا الصّنف وانواع مختلفة بحسب الباطن وقرئ أخر على الجمع [هَذَا فَوْجٌ] جملة حالبة او مستأنفة على تقدير القول [مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ] الاقتحام الدّخول فى الشّدة بنحو الشّدة بمعنى يقال للرّؤساء ولبنى أمية: هذا السّوادى المتبوعون او بنو العباس فوج مقتحم معكم [لَا مَرْحَبًا بِهِمْ] جملة حالبة او وصفية او مستأنفة جواباً لسؤال مقدّر اولدعاء عليهم من كلام الله ومن قول الرّؤساء للمتبعين بتقدير القول [إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ] تعليل وقيل: يقول بنو أمية: لا مرحباً بهم [قَالُوا] أى الاتباع للمتبعين او بنو العباس لبنى أمية [بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ] لاقدامكم أو لا على ما ادخلنا فى النار وكونكم فى ذلك قدوة لنا [أَنْتُمْ قَدْ مَثُمُوهُ] أى هذا العذاب او الدّخول فى النار وهذا الدّعاء [لَنَا] باقدامكم أو لا و جعلنا اتباعكم [فَيَبْسُ الْقَرَارُ] جهنّم [قَالُوا] قيل: ثم يقول بنو أمية [رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَرَدَّهِ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ] لتأسيسهم ظلم آل محمد (ص) واتباعنا لهم فى ذلك [وَقَالُوا] أى الاتباع او بنو العباس او قال المتبوعون وبنو أمية او المجموع [مَالَنَا لَأَنْتَ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ] قيل: ثم يقول اعداء آل محمد (ص) ذلك والمراد شيعة امير المؤمنين (ع) [أَتَخَذْنَا هُمْ سِخْرِيًا] قرئ بكسر الهمزة صفة اخرى لرجالاً، وقرئ بهمزة الاستفهام على الانكار التوبيخى [أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ] ام معادلة لقوله ما لنا لا نرى كأنهم قالوا ليسوا ههنا فلا نرى بهم ام كانوا ههنا ولكن مالت ابصارنا عنهم فلا نرى بهم [إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ] واقع [تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ] بدل من ذلك، عن الصادق (ع) لقد ذكركم الله اذ حكي عن عدوكم فى النار بقوله وقالوا مالنا لا نرى (الآية) قال والله ما عنى الله ولا اراد بهذا غيركم صرتم عند اهل هذا العالم من اشرار النّاس وانتم والله فى الجنة تحبرون وفى النار تطلبون، وروى اما والله لا يدخل النار منكم اثنان، لا والله ولا واحد، والله انكم الذين قال الله تعالى وقالوا مالنا وفى رواية: اذا استقر اهل النار فى النار يتفقّدونكم فلا يرون منكم احداً فيقول بعضهم لبعض مالنا (الآية) وذلك قول الله تعالى ان ذلك لحقّ تخاصم اهل النار يتخاصمون فيكم كما كانوا يقولون فى الدنيا [قُلْ] للمشركين او للمنافقين من امتك [إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ] لست اجبركم على التّوحيد وعلى ولاية على (ع) [وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ أَلَوْ أَحَدُ الْقَهَّارُ] فلا حكم الا له لقهاريته فلا معبود سواه فلست احكمم بالخلافة من قبل نفسى ولا حكم لمن اشركتموه به [رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا] فلا ربوبية لشركائكم فى شيء منها

ولا حكم لاحد في خلقه بنصب الخليفة من قبل نفسه [الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ قُلْ هُوَ] اى التوحيد او ما انا انكم به من ولاية على (ع) وامامته كما فسر في الخبر بامير المؤمنين (ع) وامامته [نَبَوُّ عَظِيمٍ] لان الولاية هي النبأ الذي لا نبأ الا وهو نبأ منه ولا امر ولا نهى ولا رسالة ولا نبوة ولا بشارة ولا انذار ولا وعد ولا وعيد الا به وله [اَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ] والاعراض عنه اعراض عن اللطيفة الانسانية وهي اللطيفة الالهية وهي رب كل مربوب في مقامه النازل وهي اسم الرب وهي العبودية التي كنهها الربوبية وهي الحب من الله الذي ضرب عليهم الذلة الا به وبحبل من الناس [مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ] مقول قوله (ص) يعنى قل لهم ما كان لي علم ان سالوك عن الملائكة الا على اوتيتهم على ان الملائكة الاعلى الذين لا التفات لهم الى الارض واهلها يختصمون في هذا النبأ لسبب العلم باختصاصهم عن نفسك وقل: ما كان لي من علم قليل [بِالْمَلَائِكَةِ] اذ يختصمون في هذا النبأ العظيم لعظم اختصاصهم وعظم المختصم فيه كانه لا يمكن للبشر العلم باختصاصهم مع اني قد اطلعت على مقامهم وكلامهم [اِنْ يُوحَىٰ اِلَيَّ اَلَا اَنْتُمْ اَنْذِرُ مُبِينٌ] قرئ بفتح همزة انما بتقدير اللام او يجعل الجملة في موضع مرفوع يوحى، وروى ابن عباس عن النبي (ص) انه قال: قال لي ربي: انتدرى فيم يختصم الملائكة الاعلى؟ قلت: لا، قال: اختصموا في الكفارات والدرجات فاما الكفارات فاسباغ الوضوء في السبرات، ونقل الاقدام الى الجماعات، وانتظار الصلوة بعد الصلوة، واما الدرجات فافشاء السلام، و اطعام الطعام، والصلوة بالليل والناس نيام، وعليهذا يكون هذا الكلام على الحكاية بتقدير محذوف كانه قيل: قال لي ربي: انتدرى فيم يختصم الملائكة الاعلى؟ قلت: لا علم لي (الى الآخر) وذكر في خبر المعراج مضمون هذا الخبر ويجوز ان يكون المراد بالنبأ العظيم خبر خلق آدم ويكون قوله ما كان لي من علم بالملائكة الاعلى اذ يختصمون بمعنى اذ يختصمون في خلق آدم (ع) ويكون قوله [اِذْ قَالَ رَبُّكَ] متعلقاً باختصموا او بدلاً من اذ يختصمون واذ يختصمون ظرف لكان او بدل من الملائكة الاعلى يعنى ما كان لي من علم بالملائكة الاعلى بوقت قوله تعالى [لِلْمَلَائِكَةِ اِنِّي خَالِقُ بَشَرٍ مِنْ طِينٍ فَاِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ] فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ اَجْمَعُونَ اِلَّا ابْلِسَ اسْتَكْبَرُ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ قَالَ يَا ابْلِسُ مَا مَنَعَكَ اَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِیْدَیْ اَسْتَکْبَرْتَ اَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِیْنَ قَالَ اَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِیْنٍ] قد مضى في اول البقرة بيان تام لهذه الآيات وقد اشير الى بيانها في سورة الاعراف ايضا [قَالَ فَاخْرِجْ مِنْهَا فَاِنَّكَ رَجِيمٌ وَاَنْ عَلَیْكَ لَعْنَتِیْ اِلَی یَوْمِ الدِّیْنِ] قَالَ رَبِّ فَاَنْظِرْنِیْ اِلَی یَوْمٍ یُبْعَثُونَ قَالَ فَاِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِیْنَ اِلَی یَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ] قد مضى بيان هذه الآيات في سورة الحجر [قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَا غَیْبَ لَهُمْ اَجْمَعِينَ اِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخَلَّصِينَ] قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ اَقُولُ] قرئ بنصب الحق في كليهما، وعلى هذا يكون الحق الاول مفعول فعل محذوف اى فالحق الحق اوقال الحق نقول، او يكون مفعولا لا قول ويكون الحق الثاني معطوفاً للتأكيد او يكون مفعولا لخذ محذوفاً بقرينة المقام، او يكون منصوباً بحذف حرف القسم، وقرئ برفع الاول ونصب الثاني، وعليه يكون الحق الاول مبتدأ محذوف الخبر اى الحق مقول لي او مقول لك او يعنى او منى، او يكون خبره جملة القسم المحذوف وجوابها فان الحق في معنى الجملة، او يكون الحق الاول خبراً محذوف المبتدأ اى انا الحق او قولي الحق او قولك الحق، وقرئ مرفوعين على ان يكون الحق الاول على الوجوه السابقة، ويكون الحق الثاني مبتدأ واقول خبره

محذوف الضمير او يكون تأكيداً للاول و اقول مستأنفاً او يكون الحق الاول مبتدء و اقول خبره والحق الثاني تأكيداً له ، و قرنا مجرورين على اضمار حرف القسم و قرئ بجر الاول و نصب الثاني و وجهه ظاهر [لَا مَلَأَ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ] استئناف خطاب لرفع وصمة الحرص عنه و للوعد والوعيد يعنى قل لكفار مكة : ان ادعائي هذا ان كان كذبا فلا يخلوا ان اكون طالباً للدنيا، وان كنت طالباً للدنيا كان يظهر مني بالتلويح طلب مال منكم او طلب اعتبار و ما ظهر مني الى الآن شيء من ذلك، او قل لهم: لا اسألکم عليه اجرا حتى تنهموني بالطمع في اموالکم وتعرضوا عني [وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ] ولو كنت كاذباً لكنت متكلفاً لا محالة، او اخبار بانہ لا يتكلف في شيء من اموره لافي لباسه ولا في غذائه ولا في ضيافته ولا لاضيفه و اصحابه، والمراد بالضمير المجرور التبليغ او التصحيح والتذكير والقرآن [إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ] تذكرا او شرف وصيت [لِلْعَالَمِينَ] او المراد انه ليس على (ع) او تبليغ ولايته الا ذكراً للعالمين [وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ] اي نبأ تبليغي او نبأ القرآن او نبأ على (ع) و ولايته [بَعْدَ حِينٍ] بعد الموت او يوم القيامة او يوم بدر او بعد تمام سلطنتي واستكمالها .



صفحة	عنوان	صفحة	عنوان
١٨٣	سورة القصص	١	سورة مريم
١٩٣	في اسلام ابي طالب (ع)	١٠	بيان لتعدد الافلاك والشموس والاقمار
٢٠١	سورة العنكبوت	١٦	سورة طه
٢٠٨	الجزء الهادي والعشرون	٤٢	سورة الانبياء
٢١٣	سورة الروم	٤٢	الجزء السابع عشر
٢١٧	مراتب التحقيق في العلم	٤٨	اعلم (قول في تعبير المسيح بابن الله)
٢٢٦	سورة لقمان	٦٥	سورة الحج
٢٢٨	شرح في احوال لقمان	٦٨	اعلم (قول في صحة التقليد وعدم جوازه)
٢٣٥	سورة السجدة	٨٨	سورة المؤمنون
٢٣٧	سجدة واجبة	٨٨	الجزء الثامن عشر
٢٣٩	سورة الاحزاب	٩٠	اعلم (قول في الفرق بين الارث الصوري والمعنوي)
٢٤١	بيان في الابوة الروحانية والقالبية	١٠٢	بيان في الدفع بالاحسن الى المسمى
٢٤٥	الجزء الثاني والعشرون	١٠٣	بيان لترقي الارواح في البرزخ
٢٤٧	اعلم (اشارة الى مراتب السلوك)	١٠٣	شرح في نفخ الصور
٢٥٤	فضيلة الصلوة على النبي (ص) واسرارها	١٠٦	سورة النور
٢٥٨	سورة سباء	١١٨	آية النور
٢٦٤	اعلم (تأويل في معنى القرى بمشايخ الائمة (ع))		تطبيق اجزاء المثل بالمثل له على الاحتمالات
٢٦٥	اعلم (تأويل الآية في منافق امة)	١٢١	الاربعة عشر فيه على عدد آل محمد (ص)
٢٦٩	بيان للاتصال بالملكوتين العليا والسفلى	١٢٢	وجوه اعراب آية النور
٢٧٣	سورة فاطر	١٣٤	سورة الفرقان
٢٧٦	تحقيق البداء	١٣٧	الجزء التاسع عشر
٢٨٠	اعلم (اشارة الى مراتب الانسانية)	١٤١	حكاية اصحاب الرس
٢٨١	تفسير سابق بالخيرات بالامام	١٥١	سورة الشعراء
٢٨٤	سورة يس		اعلم (قول في قضاء الشهوة وتصرف الشيطان
٢٨٧	الجزء الثالث والعشرون	١٦٠	فيه على خلاف الطبيعة)
٢٩٢	اعلم (قول في فناء البدن الطبيعي وبقاء الروح)	١٦٦	سورة النمل
٢٩٣	سورة الصافات	١٧٦	الجزء العشرون
٣٠٤	سورة ص	١٧٧	معنى المضطر (واجابة الدعاء)
٣١١	في بليته ايوب (ع) واحواله	١٧٨	معنى الغيب

